

المقدمات في العقيدة

- ١ -

الحمد لله الذي يتحير العقل عن أوصافه ويقف، ولا يجوز تشبيهه فمن شبهه هلك ومن عطّله تلف.

أحمدته سبحانه وتعالى على جزيل نعمه التي منها نغترف.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إله أقسم بالسماء ذات الحُبك: إنكم لفي قول مختلف.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رافع لواء التوحيد، هو البطل الذي أعلنها صريحة مدوية في قلعة الأصنام، اسمعه وهو يقول (أحمد-حا:ض): **«أيها الناس جددوا إيمانكم. قالوا: وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله»** و**«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»** (م)، **«ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»** (م).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذي هو من بحر فيض الكريم يغترف، وعلى آله وصحبه الذين كل منهم بالكمال متصف، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيقول عليه الصلاة والسلام **«من قرأ سورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) إحدى عشرة مرة في اليوم ابتغاء مرضاة الله نزع الله الفقر من بين عينيه، وجعل غناه في قلبه وحشى قلبه بالحكمة»**.

قل هو الله أحد هي سورة الإخلاص، هي سورة التوحيد.

قال ذات يوم ﷺ لأبي ذر: يا أبا ذر إن جبريل يقرئك السلام.

قال أبو ذر: وهل يعرفني جبريل يا رسول الله.
قال الحبيب الأعظم: قد سألتُ جبريل هذا السؤال، أتعرف أبا ذر
يا جبريل؟

قال سيدنا جبريل: وكيف لا أعرف أبا ذر وجميع ملائكة السماء تعرفه!
قلت: وكيف عرفته ملائكة السماء؟!

قال سيدنا جبريل: عرفته بكثرة قراءته ل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

أيها السادة الموحدون

من الأحد؟ من الصمد؟ من العدل؟ من المقسط؟ من المبدئ؟ من
الرحيم؟ من الرحمن؟ من علم القرآن، من خلق الإنسان، من علمه البيان؟ من
الذي له النجم والشجر يسجدان؟ من بيده الأمر كله؟ من الواحد؟ من الماجد؟
من الواحد؟ إنه الواحد الأحد.

لا إله إلا الله: أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله، أفني بها عمري، لا إله إلا
الله: يغفر بها ذنبي. لا إله إلا الله: أدخل بها قبري، لا إله إلا الله: ألقى بها
ربي.

الله ربي لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو

أيها الإخوة:

وقفت فيكم اليوم لأفتح معكم ملفاً هو أفضل من ملف الفقه، إنه ملف
التوحيد أو العقيدة.

لأن الدين الإسلامي أيها الإخوة ذو ثلاثة أركان:

علم الإسلام وهو (الفقه) ومحلّه الجسم.

وعلم العقائد (وهو الإيمان) ومحلّه القلب.

وعلم الإحسان (وهو الإخلاص) ومحلّه الروح.

وكلامنا سيكون في الأمر الثاني وهو العقيدة.

نعم العقيدة التي بقي رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يدعو أهلها لأن يقولوا: لا إله إلا الله، العقيدة التي لا يقبل الإسلام إلا بها، لأنها تعني:

الإيمان بالله تعالى موجد الأكوان بلا شريك:

وتعني الإيمان بملائكة الله الذين لا يدركهم البصر ولا المجهر إلا للخواص.

وتعني الإيمان بكتب الله وشرعية الله التي أنزلها ليسيّر على هديها العباد والبشر.

وتعني الإيمان برسول الله الذين أخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وب: اليوم

الآخر يوم ينتصف المظلوم من الظالم، ويجازى كل بعمله، وب: القضاء

والقدر خيره وشره من الله تعالى خالق النفع والضرر.

هذه هي أركان العقيدة الستة، وسميت عقيدة لعقد قلبنا عليها، كأننا ربطنا

(عَقْدْنَا) قلوبنا بذلك الأمر، والعرب تُسمي الأمر المحتم عقداً.

ولكنني وقبل أن أفتح هذا الملف في القضايا الاعتقادية، أريد أن أعرفكم

بإمامين جليلين اشتهرا بهذا العلم فنسب إليهما، فكما أن لدينا في الفقه مذاهب

أربعة، فهناك مذهبان في العقيدة لا ثالث لهما، سمي كل مذهب باسم إمامه

الداعي إليه، أما الأول: فهو: الإمام أبو الحسن الأشعري، وإليه تنسب عقيدة

الأشاعرة، وهي عقيدة أتباع الإمام مالك والشافعي والحنابلة وبعض الحنفية.

من المتأخرين.

وأما الثاني فهو: الإمام أبو منصور الماتريدي، وإليه تنسب العقيدة

الماتريدية وهي أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان وبعض الشافعية والمالكية.

المتأخرين.

هذان الإمامان الجليلان هما إماما المتقدمين من أهل السنة، ظهر الأول بالبصرة، وظهر الثاني بسمرقند، وكثيراً ما نرى الإشارة إليهما في كتب العقيدة، ونسمع إلى جوارهما أسماء أئمة آخر شاركوا في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، أمثال:

حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي، والإمام فخر الدين الرازي، وإمام الحرمين الجويني، والإمام أبو اسحق الشيرازي، وأبو اسحق الاسفراييني، هؤلاء هم أبطال الأمة في العقيدة، ولئن نسينا هذه الأسماء فلا ينبغي علينا أن ننسى اسمي اللذين دونا لنا العقيدة ونشراها حتى اشتهرت بأسماء البطليين الإمامين أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي.

أما سيدنا وقدوتنا (١) إلى الله سيدنا **أبو الحسن فهو علي بن إسماعيل الأشعري**، يصل نسبه إلى سيدنا أبي موسى الأشعري، الصحابي الجليل، فقد اشتهر هذا الإمام بذكائه المفرط، وقوة فهمه، وتبحره في العلم، وله مؤلفات كثيرة جداً.

بدأ حياته بدراسة مذهب المعتزلة (كان معتزلياً)، وبرع فيه حتى أصبح رأساً من رؤوس المعتزلة، وكان لفصاحته يتولى الجدل نائباً عن شيخه الجبائي، ثم كره مذهب الاعتزال، وتبرأ منه على منبر البصرة، وأنه تاب إلى الله تعالى وعاد إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وقف في إحدى الجمع فقال: كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن الشر فعلي ليس بقدر، وإني تائب معتقد الرد على المعتزلة.

وما أن نزل منبر البصرة حتى سارع إليه الناس يهنئونه، واستقبله شيخه الجبائي المعتزلي ليرده إلى مذهب الاعتزال، فقال له سيدنا أبو الحسن الأشعري:

. أناظرك أمام الناس في مسألة فإن أقنعتني أعود إلى الاعتزال، (وكان الإمام الأشعري يقول بأن الله يجوز أن يفعل الصلاح والأصلح، والجبائي يقول يجب عليه ذلك، فأراد الأشعري أن يرده عن هذه المسألة بمثال بسيط.)، فقال لشيخه الجبائي:

. ماذا تقول في ثلاثة صغار، مات أحدهم، وكبر اثنان، فأمن أحدهم وكفر الآخر. فما العلة في اخترام الطفل (في وفاته باكراً قبل البلوغ).

قال الجبائي: لأن الله تعالى علم أنه لو بلغ لكفر، فكان اخترامه أصلح له.

قال الإمام الأشعري: فقد أحيا أحدهما فأمن.

قال الجبائي: إنما أحياه ليعرضه أعلى المراتب.

قال الإمام الأشعري: فلم لا أحيا الطفل ليعرضه لأعلى المراتب.

قال الجبائي: وسوست!!

قال الإمام الأشعري: لا، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة.

وهكذا معشر السادة ردّ الإمام الأشعري على شيخه ما كان يدعيه، وبيّن

أنه لا يجب على الله شيء عقلاً فكانت هذه المناظرة وأشباهاها سبباً في تركه

مذهب الاعتزال وعودته إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

أيها الإخوة:

صنف هذا الإمام ٣٠٠ مؤلف، رد في أكثرها على المعتزلة والفرق

الضالة، حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٢٤هـ.

وأما الإمام **أبو منصور الماتريدي** فأكثر متبعيه من السادة الحنفية، وهو

إمام ماوراء نهر دجلة (أي في إيران)، و هو محمد بن محمد بن محمود

الماتريدي، نسبة إلى قرية ماتريد بسمرقند.

درس آراء الإمام أبي حنيفة النعمان في العقيدة، ونظر فيها واستقى علمه منها ثم شرحها بأسلوبه ومعارفه التي حصل عليها طيلة حياته العلمية، وآراؤه لا تختلف عن آراء الإمام الأشعري. من حيث النتائج، وإنما اختلفا في طريقة العرض والمقدمات، لكنه يختلف عن الإمام الأشعري بأنه جعل لمصدر العقيدة النقل والعقل، فإذا اختلفا قدم النقل والشرع على العقل، وجعل للعقل استقلالاً أن يتعرف على الله تعالى ولو لم يبعث الله نبياً يبين ذلك.

توفي هذا الإمام بسمرقند سنة ٣٣٣هـ.

أيها الإخوة:

هذه المقدمة اللطيفة البسيطة التي عرضتها على حضراتكم كان لا بد منها. وها نحن في الصفحة الأولى من هذا الملف، فإن الذي دعاني لأفتح لكم هذا الملف أن عقيدة العباد في عصرنا الفاسد أصيبت بهزة عنيفة، وأزمة حادة كادت تقضي عليها، وانتشرت ألفاظ الكفر والردة في الطرقات والشوارع دون مبالاة أو انتباه، وارتفعت أصوات المصلحين تنادي بالعودة إلى الدين والتشبث بالعقائد الموروثة عن أنبياء الله ورسله قبل أن يعم الظلام نواحي الحياة، ويطغى الضلال طغياناً لا قبل لأحد بمقاومته، ولن ينفع عندها التقدم العلمي ولا الثقافي، ولن يوفر للناس الأمن والسلام، وستصاب الإنسانية بنكسة خطيرة لتركها الدين وعقيدة التوحيد، ولقد حذر المصطفى من هذا الترك فقال: (د-ت-ن-ه-أحمد):

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين

فرقة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (د-ت: حسن صحيح).

وقال: «أقبلت الفتن يتبع آخرها أولها».

ولم يجد المصلحون لإصلاح قلوب العباد مثل غرس العقيدة الصحيحة، لأن العقيدة إذا امتزجت في قلب العبد ودمه، وغذاها بالعمل الصالح ونماها بالبر والتقوى أكرمه مولانا بخوارق وكرامات كالتى نسمعها عن سلفنا الصالح كمصعب بن عمير الذي:

«كان يحمل لواء سيدنا النبي يوم أحد، حين اختلّ الموقف في ميدان القتال، فثبت فيه، وتشتدّ صدمة قريش على المسلمين، فينكشفون بسبب مخالفتهم أمر القائد الأعظم للأمة، ويتفرقون عن اللواء، ولكن مصعباً أثبت قدمه في الأرض محتفظاً بلواء سيدنا رسول الله جهد الاستطاعة، ويقبل على حامل اللواء فارس من قريش فيضرب يده بالسيف فيقطعها، ويسقط اللواء فيسرع سيدنا مصعب ويتناول اللواء بيده الأخرى ويرفعه عالياً، ولكن فرسان قريش تتكاثر عليه ويضربه أحدهم على يده الأخرى فيقطعها، وتبقى قدمه ثابتة، لا يزول ولا يميل، ومازال اللواء مرفوعاً يضم عليه عضديه، ويغيط ذلك فرسان قريش، فيكرون على مصعب وينفذون رماحهم في صدره فيسقط ويسقط معه اللواء، فيتلقى اللواء أخوه أبو الروم، وما يزال اللواء لواء رسول الله ﷺ مرفوعاً حتى يبلغ المدينة. (مرسل بن عمير بسند صحيح) (١).

ويرى رسول الله مصعباً في ميدان القتال مضرباً بدمه، فيتلو قول مولانا عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣

ثم يقول: «إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة». وأنا أسأل: لم هذه التضحية؟ ولم هذا الإقدام وهذه البسالة، أليست هي العقيدة، أليس هو الإيمان الراسخ؟ جعلهم ينطلقون في الأرض كالشعلة في

الهشيم تحيله ناراً ونوراً، أليست هي العقيدة التي جعلت لقاء الله في سبيل الشريعة أحب إليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم.

وإذا العقيدة لامست قلب امرئ كانت له في التضحيات روائع
لذلك أوجب الله تعالى على عباده معرفته، أوجبها على كل مكلف سليم
الحواس، بلغته دعوة الإسلام، ولا يكفي الظن في أمر التوحيد، لقوله تعالى:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلِّبَكُمُ وَمَثُونَكُمُ ۝١٩﴾ محمد: ١٩ وهذه الآية الكريمة تدل دلالة قاطعة على
أن الإنسان يجب عليه أن يؤمن إيماناً جازماً ليس فيه مجال للشك أن الله
تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله.

وعليك . أيها العبد . أن تؤمن بذلك بدون تقليد لأحد، يعني مثلاً في
الصلاة والعبادات أقول عن نفسي أنا حنفي أو شافعي، أما في معرفة الله فلا
يوجد تقليد، عليك أنت أن:

تعتقد أنه لا إله إلا الله، اسمع إلى ناظم العقيدة:

إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد
إلا في حالة واحدة: أن يجزم المقلد جزماً لا رجعة عنه بصحة قول
المقلد، بحيث لو رجع المتبوع لم يرجع التابع، عندها يكفي ذلك في الإيمان.
اسمعوا أيها الإخوة: إن تارك العبادات عن غير عمد قد يغفر الله تعالى
له، أما إذا أشرك بالله تعالى فلا غفران له لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ النساء: ٤٨

أيها الإخوة فما هي الكلمة الجامعة للعقيدة؟

إننا في الصفحة الثانية من ملف التوحيد، والكلمة الجامعة للعقيدة هي:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

هذه الكلمة الجامعة لكل معاني ومراتب التوحيد، ورمز لكل ما يعتبر من أركان العقيدة.

والتوحيد . أيها الإخوة . ينقسم إلى ثلاثة أركان:

إلهيات . نبويات . سمعيات

إلهيات: أمور تتعلق بالذات الإلهية.

نبويات: أمور تتعلق بالأنبياء.

سمعيات: أمور تتعلق بالأمور التي وردتنا سماعاً من الكتاب والسنة.

هذه الأقسام الثلاثة كلها تشتمل على كلمة التوحيد . الوجدانية، لكنني اليوم

أتدبر معكم هذه الصيغة: لا إله إلا الله. لأنه مرة سألني أحد تلامذتي قال:

كيف اشتق العلماء الصفات الإلهية من هاتين الشهادتين، مع أنها

لا تدل إلا على الوجدانية.

فقلت له: إنها اعتراف بأنه سبحانه هو المعبود بحق، والمعبود بحق جامع

لكل كمال، ومنزه عن كل نقص، إذ لا يستحق العبادة التي هي نهاية التعظيم،

وغاية المحبة والخشية إلا من كان كذلك.

والألوهية تقتضي استغناء الإله عما سواه، وافتنار كل ما عداه إليه،

اسمعوا هذا: معنى كلمة لا إله إلا الله، أنه يستغني عن كل ما سواه، ويفتقر

إليه كل ما عداه.

والمستغني عن كل ما سواه يجب أن يكون قائماً بنفسه (لا يحتاج لأحد)،

موجوداً قديماً باقياً، وغير مشبه بالمخلوقات، ومنزه عن النقائص.

ومن كان منزهاً عن النقائص فيجب أن يكون سمياً بصيراً متكلماً، لأنه لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجاً إلى من يوجده، أو من يدفع عنه سبحانه النقائص.

وإذا قلنا يفتقر إليه كل ما سواه فيعني أنه حي قادر مريد عالم. فما هي أسس التوحيد؟ أو بعبارة أخرى لماذا ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله ذكر صفة الوجدانية فقط.

للإجابة عن هذا السؤال أدعكم أولاً لتوحدوا الله تعالى: لا إله إلا الله لعلمكم عرفتكم الجواب: إنه هذه الكلمة بالذات: الوجدانية. لأن الوجدانية أهم مقصد من مقاصد التوحيد، فالناس منذ زمن سيدنا نوح وهم يشركون بالله، بل إن مولانا عز وجل قال:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف: ١٠٦

نحن عندما نعظم الملوك والأغنياء نكون قد أشركنا بالله، ولا أنسى إن نسيت شاعراً منافقاً، وما أكثرهم. قام يريد أن يمدح رئيس بلده يوماً، أتعرفون ماذا قال له، اسمعوا الكفر، وناقل الكفر ليس بكافر، قال له: ماشئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار أسمعتم كفراً وشركاً أعظم من هذا؟.

النصارى أرادوا أن يمدحوا سيدنا عيسى فقالوا عنه: إنه ابن الله، (باسم الآب والابن).

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ يقول (خ- أحمد): «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله». عبد الله أي حادث = مخلوق = أي سيموت = سيفنى.

وكل عظيم، وكل غني، وكل حي على وجه البسيطة لن يعيش إلى الأبد،

بل سيموت وقد قال الله لنبيه ومصطفاه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِإِنتِهِمْ مَّيْتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ الزمر:

﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ الأنبياء:

٣٤ لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله ولا رب إلا الله.

يروى سيدنا عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان على المنبر يوماً فسأل أصحابه . هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، فقالوا: ما فينا غريب يا رسول الله، فقال أغلقوا الباب . باب المسجد . ثم قال: ارفعوا أيديكم، قال: فرفعنا أيدينا، فقال: قولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله محمد رسول الله، عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق.

قال: ... : فرفعنا أيدينا ساعة، ثم قال رسول الله: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمات ووعدتني عليها الجنة ثم قال: قوموا فقد غفر الله لكم. وأنا أنقل لكم هذه البشارة على لسان سيدنا رسول الله قوموا فقد غفر الله لكم.



الله

واجب الوجود

- ٢ -

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد، وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوي البصائر إلى يوم التتاد، وشرع لنا شرعاً وأنزل به كتابه وأرسل به سيد العباد، وجعلنا على المحجة البيضاء وقال لنا (هذه سبيل الرشاد).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب المشارق والمغارب وما بينهما ورب العباد.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة ندخرها ليوم المعاد.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، السيد السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة زكية بلا نفاذ، وسلم تسليماً.
أما بعد:

فإن مولانا أكرمنا إكراماً عظيماً في الجمعة الماضية، حين فتحنا ملف التوحيد وقد استعرضت معكم المقدمات وها نحن معاً في الحلقة الثانية التي عنوانها: الله واجب الوجود.

فإن أول ما يجب على العبد معرفته أن يعرف بأن الله تعالى موجود، وأن يعرف صفات الله وأحكام ألوهيته، ولا أعني به معرفة ذاته وحقيقة كنهه، لأنه لا يعرف ذات الله إلا الله.

وقد سئل صديق الأمة، بَمَ عرفت ربك؟ فقال: سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي، العجز عن درك الإدراك إدراك، فما عرف الله بالحقيقة إلا الله، وقد أخذ بعض الموحدين هذه الكلمة فصاغها وقال:

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث في ذات الله إشراك

لذلك مولانا في القرآن انصبَّ توجيهه على التفكير في الكون لا على التفكير في ذات الله: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ

وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ يونس: ١٠١

هذا كله لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته، فإنه سبحانه لا تحيط به الفكرة، وكيف تحيط به الفكرة وهو بكل شيء محيط.

فإذا تفكرنا في المخلوقات أوصلتنا إلى عظمة الخالق وكمال قدرته وعلمه وأنه لولاه، لولا وجوده لما شَمَّ شيء في هذا الوجود رائحة الوجود.

وفي أحد الأيام خرج يوماً مَنْ تحبون أن تصلوا عليه، فرأى أصحابه وهم يتفكرون، فقال لهم « لا تفكروا في ذات الله تعالى ولكن تفكروا فيما خلق »

وفي رواية: « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » . (أبو نعيم في الحلية ١/٣٨١ كشف الخفا رقم الحديث /١٠٠٥).

وفي رواية: « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله أو في ذات الله »

وفي رواية ابن عمر: «تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تفكروا في الله تعالى» . (حسن صحيح).

ولهذا اسمع إلى قول إمام الشريعة والحقيقة الإمام الجنيد اسمعه يقول: ما

عرف الله بالحقيقة سوى الله، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشْرَكُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ الزمر: ٦٧ .

أيها الإخوة:

تعالوا نبحث مع أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عن الإله الحق أثناء محابته لقومه.

فسيدنا إبراهيم الخليل رأى أباه أو عمه، وكان مثلاً، ينحت الأصنام بأنامله، يعمل في الحجر صورة، فيتخذها هو وقومه آلهة، حجر تصنعه يد الإنسان ثم تعبده، إله أخلقه وأطلب منه أن يخلق لي ما أريد، هذا أمر لا يقبله عقل فأين الإله الحق إذن؟

أيها الإخوة: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى سيدنا إبراهيم الخليل، وهو الآن يبحث ويفكر مع قومه ليدلهم على الله عز وجل انطلاقاً من آياته البينات، وأدركهم الليل، وطلع عليهم النجم براقاً لامعاً عالياً، لم يخرج من الأرض كالصخرة التي تصنع منها التماثيل، لم يعمله الإنسان بيده، وظنوا أنهم وجدوا الإله الذي يبحثون عنه، وإذا بالقمر يطلع فيختفي النجم، ويروا القمر أكبر في النظر وأضوأ فيعتقدون أن القمر هو الإله، ويرقبون الليل كله فإذا بالشمس تطلع فتطفئ شعلة القمر، وتفيض النور على الأرض فيقولون هذا هو الإله، ولكن الشمس تأفل، تدع الأرض في الظلام، فما هذا الإله الذي يمضي ويتخلى عن ملكه، كلا ليست الشمس إلهاً خلقتني، فلم يبق إلا احتمال واحد هو الصحيح، هو الحق وما عداه باطل، هو أن وراء هذه الجمادات كلها إلهاً قادراً عظيماً هو الذي أوجدها وأوجدني وأوجد كل شيء. هكذا توجه الخليل إلى قومه قائلاً: ﴿قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٧٨)

هذا هو الدليل الذي عرض له القرآن في جملة واحدة، جملة واحدة هي معجزة من معجزات البيان الرباني قاضية على من يخضع العقل ويقول إنها المصادفة أو الطبيعة.

لأنه كان السخفاء من الملحدين من أرباع المتعلمين يقولون : الطبيعة أوجدت الإنسان، الطبيعة أوجدت العقل للإنسان، قلت: ما الطبيعة؟ قالوا: الطبيعة هي المصادفة... فن الاحتمالات.. أتعرفون ما مثال هذا الكلام؟

مثاله: إثنان ضاعا في الصحراء، فمرا على قصر كبير عامر، فيه الجدران المزخرفة المنقوشة والسجاد الثمين والساعات والثريات.

قال الأول: إن رجلاً بنى هذا القصر وفرشه.

فرد عليه الثاني قائلاً: أنت رجعي متأخر هذا كله من عمل الطبيعة.

قال كيف كان بفعل الطبيعة؟

قال: كان هنا حجارة فجاءها السيل والريح والعوامل الجوية فتراكمت وبمرور القرون بالمصادفة صارت جداراً.

قال: والسجاد.

قال: أغنام تطايرت أصوافها، وامتزجت وجاءتها معادن ملونة، فانصبغت وتداخلت فصارت سجاداً، ألا تقولون إن هذا مجنون؟

هل المصادفات هي التي جعلت الخلية من خلايا الكبد التي لا ترى إلا بالمجهر تقوم بأعمال كيميائية تحتاج إلى معمل كامل كبير ثم لا تستطيع أن تقوم إلا بجزء منها؟ هذه الخلية تحول السكر الزائد في الدم، إلى مولد سكر العنب نستعمله عند الحاجة بعد إعادته إلى كليكوز، وتفرز الصفراء وتعُدّل الكولسترول في الدم وتصنع الكريات الحمر وغير ذلك؟؟!!

هل المصادفات هي التي جعلت في اللسان تسعة آلاف عقدة صغيرة كلها تصلح للتذوق؟؟!!

هل المصادفات جعلت في كل أذن مئة ألف خلية للسمع؟؟!!

هل المصادفات جعلت في كل عين مئة وثلاثين مليون خلية كلها تصلح

لاستقبال الضوء؟؟!!

أيها الإخوة: اسمحوا لي أن انتقل بكم الى معمل الكيمياء الإنساني، دخلت معمل الكيمياء الإسلامي لأقابل أحد العلماء هناك، وجرى الحديث عن الخلايا

في الجسم البشري، فقال العالم البروفيسور: إن في جسم الإنسان /١٠٠٠/ ألف بليون خلية، البليون /١٠٠٠/ مليون يعني /١٠٠٠٠٠٠/ مليون، هل هذه مصادفة؟!

وسألت هل ترى كل خلية منها بالعين المجردة؟، فقال: لا، بل بالمجهر والمكبر. قلت: مما تتركب كل خلية؟

قال البروفيسور العالم: أما غشاء الخلية فيتتركب من عنصري الليبيدات (الشحوم) والبروتينات (المواد الدسمة). وسمعت عجباً:

دخلت إلى قسم الستيوبلازما، فرأيت أنه عبارة عن وسط شفاف يتراوح بين القوام السائل والهولام الجامد، ويتكون من مواد عضوية ومواد لا عضوية، كما يحتوي على جسيمات جلاتينية، وهي غنية أصلاً بالليبيدات.

سألت وأنا آخذ طريقي داخل معمل الكيمياء: ما نوع السكر الذي تتكون منه الخلية؟ فأجابني البروفيسور العالم: بأنه من نوع كليكوز (سكر عنب).

سألت: مانوع البروتينات التي تتكون منها الخلايا؟

قال: من نوع البروتينات النووية التي تعرف بالريبوز.

توجهت بعد ذلك إلى قسم البروتوبلازما، رأيت عجباً، رأيت عناصر عديدة تكونت منها الخلية: رأيت أن البروتوبلازما ٧٥% من وزنه ماءً، ثم احتوى على الأملاح المعدنية والفيتامينات، أملاح الكالسيوم، أملاح الصوديوم، أملاح الحديد، والمنغنيز واليود، كذلك احتوى على السكريات والبروتينات والليبيدات، وسألت: أكل هذا في خلية واحدة لا ترى إلا بالمجهر.

قال: نعم. قلت هل خلقت نفسها بنفسها، قال: لا. قلت: هل للطبيعية

العمياء دخل؟ قال: لا، قلت: فمن الذي خلقها قال: الله، والله وحده، فقرأت

قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٠) ^٤ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (٢١) ﴿الذاريات: ٢٠ - ٢١﴾

إن العاقل أيها الإخوة ليعلم تماماً أن لكل صنعةٍ صانع، ولكل خلق خالق، ولكل أثرٍ مؤثر، ولكل سبب مسبب، وكل عبد يقول: إن خلقاً خلق بالمصادفة فهو يخالف العقول السليمة والبد依يات المتعارف عليها، وهذا يسمى في العلم الحديث بقانون السببية، فالعقول السليمة تعلم أن لكل سبب مسبباً ولكل أثر مؤثراً فعندما تكون جالساً مفكراً فتسمع جرس الباب تقوم لتتري من يقف خلفه، عندما ينقطع التيار الكهربائي فجأة في يوم محموم تسارع لتتعرف إلى سبب ذلك أقطع عام أم عطل خاص؟، وهكذا العقول السليمة تعلم أن لكل سبب مسبباً. وقد سئل قس بن ساعدة هل لهذا العالم إله: فقال: «إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام يدل على المسير، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير».

فمولانا عز وجل دلّ بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته.

ليسمع الملحدون، ليسمع الكافرون لدليل وجود الله، إن الدليل على وجوده في أنفسنا:

فيا عجباً كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

اسمعوا مولانا عز وجل يُخَضِّرُ الدليل على وجوده، اسمعه يقول:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) **الطور: ٣٥** هذا هو الصدق، هذا هو الحق.

معاشر السادة الكرام:

إنني أوجه هذه الأسئلة اليوم إلى الملحدين، إلى الذين لا يؤمنون بوجود إله في هذا الكون، إنني أسألهم:

من فيهم يذكر مولده؟ من يذكر أيامه لما كان في بطن أمه، فهل كان موجوداً قبل أن يعلم بوجوده؟ فهل يمكن أن يقال: إنه هو الذي أوجد نفسه؟ سل هذا الكافر الملحد . إن لقيته . قل له: هل خلقت أنت نفسك، بإرادتك وعقلك، هل أنت الذي أدخلت نفسك في بطن أمك، هل أنت الذي اختار هذه المرأة لتكون لك أمّاً، هل خلقت بلا خالق ولا فاعل، فمن هو الذي فعل ذلك كله، وإذا لم يجبك وخرس لسانه، فقل له أنت: إن الذي فعل ذلك هو الله. والله وحده.

ومرة وقع الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان في نقاش مع بعض الزنادقة فقد طلبوا إليه أن يجادلوه في الله وهو شديد المحال، فعين لهم موعداً يأتي إليهم فيه لمجادلتهم وإقامة الحجة عليهم بوجود الله.

ولما حان الموعد تأخر عنهم رضي الله عنه، وهم ينتظرون ثم قدم إليهم بعد أن يؤسوا من مجيئه، فعاتبوه في التأخر، فقال لهم معذراً لقد قدمت إليكم في الموعد المحدد، ولكنني لبثت طويلاً على شاطئ دجلة باحثاً عن صاحب زورق يجتاز بي النهر، فما وجدت، ولما يؤست وهمت بالرجوع، رأيت ألواحاً من الخشب قادمة بنفسها وجعلت تنتظم إلى بعضها حتى صارت بين يديّ زورقاً حسناً، فركبته وقطعت به النهر، وقدمت إليكم الآن.

فقال الزنادقة للإمام: أتهزأ بنا، وهل يمكن أن تأتي ألواح بنفسها كما وصفت فتكون زورقاً بدون أن يصنعه أحد.

فقال لهم: هذا ما اجتمعتم لتجادلوني به، فإذا كنتم لا تصدقون أن زورقاً يصنع نفسه بنفسه فكيف تريدون مني أن أصدق، أم كيف تصدقون في عقولكم أن هذا الكون المتقن العجيب قد خلق نفسه بنفسه دون خالق عظيم؟! وهنا استيقظ الزنادقة من غفلتهم وهدى الله قلوبهم فدخلوا في الإسلام على يديه جميعاً.

أيها الإخوة: هل سأل أحد منكم لماذا وهبنا الله العقل، لماذا جعل لنا مولانا عز وجل إرادة وعقلاً، لأنه ومن خلال هذين النبعين يتحصل لنا مفاهيم، هذه المفاهيم قسман:

مفاهيم صحيحة: توصلنا إلى عقيدة صحيحة، وتجعل سلوكنا مستقيماً.

ومفاهيم فاسدة: توصلنا إلى عقيدة فاسدة، وتجعل سلوكنا فاسداً.

أرأيتم...؟ مقدمة أولى تؤدي إلى مقدمة ثانية وينتج عنها نتيجة.

والعقيدة الصحيحة توصلنا إلى وجود إله واحد خالق كل شيء لا شريك له. وحينما قام بعض الملاحدة المتحامقين في درسه الذي يلقيه في إحدى المدارس الابتدائية قام ليقول لتلامذته: نحن لا نؤمن بوجود أي شيء حتى نراه، ولا نسلم به حتى نشاهده، وجعل يضرب الأمثلة على ذلك إلى أن توصل إلى موضوع وجود الله، فقال لهم:

نحن لم نشاهد الخالق، فهو إذاً غير موجود. وسكت الأطفال ملياً مندھشين فقام طفل صغير لم يتجاوز العاشرة في زاوية الصف، فقال له عبارة، اسمعوا هذه العبارة من طفل أشرقت فطرة التوحيد في قلبه، قال له: يا أستاذ نحن كلنا لم نر عقلك الذي تفكر به، فأنت إذاً لا عقل لك.

وأنا أسأل: هل كل شيء غاب عن حسي أو عيني أقول عنه إنه غير موجود؟ لا، هذا غلط:

إذا كنت في غرفتك فسمعت طرقاتاً على الباب، هل تقول: لا أحد وراء الباب؟ لا، لأنك تعلم يقيناً أن الباب لا يدق نفسه بنفسه، فتقول: لا بد أن يكون هنالك طارق طرقه.

إذا لم أر مكة والكعبة، أقول هي غير موجودة؟!.

يعني: عالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده، ويصدق ناقله، عند ذلك أقول بأنني أقبل هذا الكلام وأسلم به.

عقولنا . أيها الإخوة . محدودة لا تستطيع أن تستوعب كل الأمور، العقل لا يؤمن إلا بما رآه، أو بما يحسّه، أو يسمعه، أو يذوقه، أو يشمه، هذه هي الحواس الخمس التي عن طريقها تصل المعلومات إلى العقل، ما عنده إلا هذه الطرق.

إذاً: عقلنا محدود، لأن مصدره عن المعارف محدود، معدود، وإذا كان العقل محدوداً فكيف يستطيع أن يحيط بـ الله، والله عز وجل غير محدود، كيف يحيط المحدود بغير المحدود (وحدوا الله، الله لا يحده زمان ولا مكان ولا جهة، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك).

لذلك اسمعوا إلى إمامنا الشافعي رحمته الله ماذا يقول:

«إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه»

حتى الحواس . أيها الإخوة . قد تخطىء، واليكم الدليل:

أمشي في الصحراء ساعة الظهيرة، فأرى بركة ماء تلوح ظاهرة للعين فإذا جئتها لم أجد إلا التراب لأن الذي رأيته سراباً.

أضع القلم المستقيم في كأس الماء، فأراه منكسراً وهو لم ينكسر.

والسحرة والمشعوذون يعرضون الغرائب تراها ولا حقيقة لها.

فالحواس إذاً تخطيء وتتخدع وتتوهم أو يتوهم صاحبها.
ويوجد أناس بسطاء يدركون بفطرتهم، بدون علم ولا معرفة، بل من كثرة
العبادة تشرق روحه، ويستتير قلبه حتى يدرك ما لا يدركه كثير من علماء
الإدراك الحسي أصحاب العقول العظيمة.
مر الإمام الفخر الرازي رضي الله عنه في الطريق وحوله أتباعه وتلامذته
الكثيرون والناس يقومون له ويعظمونه، فرأته عجوز مؤمنة في جانب الطريق
فسألت عنه فقالوا:

هذا الإمام الفخر الرازي، الذي يعرف ألف دليل ودليل على وجود الله تعالى.
فقالت المرأة العجوز: لو لم يكن عنده ألف شك وشك لما احتاج إلى
ألف دليل ودليل، فسمعتها الإمام الرازي شيخ أهل التوحيد في عصره فقال:
. اللهم إيماناً كإيمان العجائز (أي أسألك إيماناً كإيمان العجائز لا يحتاج
إلى دليل).

امرأة مؤمنة قد أدركت بصفاء فطرتها وجود الله وكمال صفاته، لم تحتج
إلى مناقشات ومداولات، ولا إلى رد شكوك، بل تركزت في أعماقها عقيدة
صحيحة سليمة، لا تستطيع قوة في الدنيا أن تزعزعها، لذلك اسمعوا إلى
مولانا عز وجل يقول لنا ولنبيه الكريم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ

ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۝ الروم: ٣٠

السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها قيل لها: إن فلاناً أقام ألف دليل على
وجود الله، فضحكت وقالت: دليل واحد يكفي، قيل لها: وما هو؟

قالت: لو كنت ماشياً وحدك في الصحراء وزلت قدمك فسقطت في بئر ولم
تستطع الخروج فماذا تصنع؟ قال: أنادي يا الله، قالت وذاك هو الدليل.

نعم ذاك هو الله، إذا جد الجد ودنت ساعة الخطر رجع العبد إلى الله وحده ونبذ كل معبود سواه، لماذا؟

لأن الإيمان غريزة، فطرة، وأصدق تعريف للإنسان أنه حيوان متدين. وانظروا إلى الملحدّين الماديّين عندما يأتيهم الموت؟ هل تظنون أن ماركس أو لينين لما أيقنا بالموت دعوا وسائل الإنتاج التي يؤلّهانها، أم دعوا الله؟ ثقوا أنهما لم يموتا حتى دعوا الله عز وجل، ولكن حيث لا ينفع الدعاء. وفرعون تجبر وتكبر وقال: أنا ربكم الأعلى، حتى إذا أدركه الغرق وعابن الموت بعينيه قال: آمنت برب موسى وهارون ، فقال له مولانا:

﴿إِنِّى كُنْتُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ يونس: ٩١

أيها الإخوة:

لنرجع جميعاً إلى الله تعالى قبل أن نقف مثل موقف فرعون، لنعد إلى الله، إلى توحيد الله لا نريد أن نعبد مع الله ملكاً ولا حاكماً ولا أميراً ولا غنياً، إنّنا أمة موحدة شعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله. الله خالقنا، وسيدنا محمد قائدنا، وقرآننا دستورنا، والكعبة قبلتنا والتوحيد شعارنا.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله



تذكر عزيزي الموحّد:

الله واجب الوجود: أي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم.
المطلوب منك إيماناً:
أن تتفكر في مخلوقات الله ولا تتفكر في ذات الله تعالى
لأنه سبحانه لا تحيط به الفكرة.
لا يؤخذ في العقائد إلا الأدلة القطعية.
عقولنا لا يمكن أن تدرك كُنْهَ وحقيقة الله لأنها محدودة.
العقيدة الصحيحة توصلنا إلى وجودِ إلهٍ واحدٍ خالقٍ كل
شيءٍ لا شريك له.

الأسماء والصفات

- ٣ -

الحمد لله القديم الأول، فلا أول له ولا افتتاح، الآخر الباقي فلا آخر له ولا
بقاء لسائر الأشباح.
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله لي ولكم النطق
بالشهادتين عند ذهاب الأرواح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير ولا ند ولا شبيه ولا
مثيل له، شهادةً بها النفس ترتاح.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، نبي يقال له يوم القيامة: اشفع
تشفع ما عليك من جناح. وهو الذي قال: « **من شهد أن لا إله إلا الله وأن
محمداً رسول الله يبتغي بذلك وجه الله حرم الله عليه النار** ». (ت: ض،
أحمد - هـ - الدارمي).

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى
آله وصحبه خير من حملوا السيوف والرماح، وسلم تسليمًا.
أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

فَهَذِهِ عَقَائِدُ التَّوْحِيدِ	نَنْجُو بِهَا مِنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ
فَاحْفَظْ لِمَوْلَى الْخَلْقِ عَشْرِينَ	تَكُنْ بِهَا فِي غَرْفِ مَزْخَرَفَةِ
لَهُ الْوُجُودِ وَالْبَقَاءِ وَالْقَدَمِ	مُخَالَفَ لِمَا يَنَالُهُ الْعَدَمِ
وَقَائِمِ بِنَفْسِهِ وَوَاحِدِ	فَهَذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ تَسْرُدُ
مِنْهَا الْوُجُودُ صِفَةُ نَفْسِيَّةِ	وَالْخَمْسُ بَعْدُهَا هِيَ السَّلْبِيَّةِ
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ:	

وقفت معكم في الجمعة الماضية مع أول قضية من قضايا التوحيد
وأهمها، بل هي أم القضايا جميعها ورأسها، وهي الإيمان «بوجود الله تعالى
موجد الأكوان وخالقها ومحدثها».

وَبَيَّنْتُ بَأَن الْعِلْمَ يَوْصَلُ إِلَى الْإِيمَانِ بِ اللَّهِ ثُمَّ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ دَلَائِلَ
وُجُودِ الْخَالِقِ مُنْبِثَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الْبَدْءُ مَعَكُمْ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ
بَابِ الْإِلَهِيَّاتِ، أَيِ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ حَيْثُ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: مَا

يجب لله تعالى، وما يستحيل أن يتصف به الله تعالى، وما يجوز في حقه عز وجل.

وبدأت معكم بقسم الواجب لشرفه، وأخذت منه صفة واحدة فقط هي صفة: «واجب الوجود».

لأنها رأس الدين، وركنه الأعظم، وهي كالأصل لمسائل الإلهيات، وقلت: «إن معنى « الله واجب الوجود » هو الذي يكون وجوده من ذاته، لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم لا يحتاج إلى شيء أصلاً، لأن مبدأ المخلوقات بأسرها لا بد أن يكون واجباً لذاته».

واليوم . بإذن الله تعالى وتوفيقه . أطرق معكم باب الصفحة الثانية، وأرى على رأس الصفحة عنواناً هو : صفات الله تعالى.

نعم صفات الله تعالى، لنزداد إيماناً ومعرفة بمولانا عز وجل وصفاته العلياء، فأسمائه وصفاته هي الوسائل التي تعرّف بها الله تعالى إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله تعالى مباشرة، وهي التي تحرك الوجدان وتفتح أمام الروح آفاقاً فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله.

جرب بنفسك وقل: يا الله، ألا تشعر بالنور، جرب وقل من قلبك يا رحمن: هل شعرت بأن روحك أشرقت، ولهذا مولانا عز وجل أمرنا في كتابه أن ندعوه بأسمائه فقال:

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا

تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ الإِسْرَاءِ

واسمع معي إلى حبيب الله ومصطفاه يقول لنا في (ق) الحديث الشريف:

«ان لله تسعاً وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة».

كما أن له اسماً أعظم إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فعن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، وهو يقول:

« اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد » .

قال: فقال: « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » . (د- ت- أحمد: صحيح). فيا الله، يا مولانا إنا نشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الإله:

الواحد، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الخلاق البارئ المصور الغفار القاهر القهار الوهاب الرزاق الفتاح العالم العليم السميع البصير الحكيم اللطيف الخبير الحليم العظيم الغافر الغفور الكافي الشاكر الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب المليك الأكرم الكريم القريب الرقيب المجيب الواسع الجامع الودود المجيد الحافظ الشهيد الشديّد الحق الوكيل الكفيل القوي المتين المبين المولى الولي الأعلى الحميد المحيي المحييط الحي القيوم القادر المقتدر القدير الأول الآخر الظاهر الباطن المستعان الربّ الغالب المتعالي البرّ التواب الوهاب المنتقم العفو الروؤف مالك الملك الغني المغني القائم الرفيع الفاطر الوارث النور الهادي البديع.

يا الله علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا من فضلك علماً، واقض حاجاتنا وفرج كربنا وانصرنا على أعدائنا يا أكرم الأكرمين.

أيها الإخوة الكرام :

يا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية بياناً ثلاثياً، أذاعه أحد صحابة سيدنا رسول الله ﷺ عن سيد المرسلين وإمام المتقين، فما هو هذا البيان، ما صفته؟ ما حقيقته؟

هذا سؤال أجيب عنه مع الدرس الثالث من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، فتعالوا إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية سيدنا محمد ﷺ (بعد أن تصلوا عليه):

إن رسول الله الآن في عرصات يوم القيامة، والخطبُ جَلَل، والأمر عظيم: فقد دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، إنني وأنا أتلو هذا البيان أشعر وكأن رسول الله جالس بيننا.

فأرسلوا التحية العطرة لسيد الوجود، ثم أعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية لنستمع إلى البيان من فم سيدنا رسول الله، تعالوا لنسلم على سيدنا رسول الله قولوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، نحن اليوم ننزل ضيوفاً عليك، وأنت أهل الكرم والوفاء، اسمعوا مقدمة البيان:

« لكل نبي دعوة مستجابة، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » (ق).

اسمعوا بيان سيدنا رسول الله ﷺ الكريم، ما هي المرات الثلاث يا رسول الإنسانية الأعظم، ما هي هذه المرات الثلاث يا من بعثك الله رحمة للعالمين، أما الأولى: فيقول عليه الصلاة والسلام بعدما دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: يارب أمتي أمتي، فيقول مولانا عز وجل:

. انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من شحير من إيمان فأخرجه من النار.

فينطلق الحبيب الأعظم، وأما الثانية فيسأل مولانا عز وجل : يا رب أمتي أمتي. فيقول مولانا عز وجل:

. انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها.
فينطلق الحبيب الأعظم، وأما الثالثة فيسأل مولانا عز وجل: يارب أمتي أمتي، فيقول مولانا عز وجل:
. انطلق فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها.

فينطلق الحبيب الأعظم، ثم يسأل الرابعة ويقول: يارب أذن لي فيمن قال لا إله إلا الله.

فيقول الله تعالى: ليس ذلك إليك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله يغفر بها ذنبي، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله ألقى بها ربي.
أيها السادة الكرام:

عندما أشاهد آلة تؤدي عملها بشكل جيد، فإنني أقول بداهة: إن مبتكر هذه الآلة وصانعها ذو معرفة بالآلات الصناعية وهندستها، وذو مقدرة على الابتكار، وذو إرادة حرة، يعرف ما يريد، والإتقان يستلزم العلم والحكمة، والحكمة تعني القدرة على تنفيذ هذا العمل، وأن صاحبه لديه القوة على هذا التنفيذ، فالصانع اجتمعت لديه صفات: علم، إرادة، قدرة.

ومتى اجتمعت هذه الصفات في موصوف عُلِمَ أن هذا الموصوف حي لا ميت، وأنه يملك القدرات السمعية والبصرية التي يتقن بها صناعته، ومحيط بها ومهيمن عليها ومسيطر على كل صغير وكبير فيها.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ / النحل: ٦٠.

ونحن . اليوم . بعد أن ثبتت لدينا صفة وجود الله تعالى، وعجزت عقولنا عن تصور أو توهم حقيقة ذاته العلية، فإننا ندرك بدهشة أن الخالق العظيم الذي صدرت عنه هذه الموجودات الكونية لا بد أن يكون متصفاً بصفات الكمال:

وقد قسم علماء التوحيد صفات مولانا عز وجل إلى أربعة أقسام:

١- صفة نفسية (ذاتية).

٢- صفات سلبية.

٣- صفات معاني

٤- وصفات معنوية

أما الصفة النفسية فهي صفة الوجود، وكان هذا درسنا في الجمعة الماضية من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ / الأنعام: ١٢. أي ذاته.

وأما الصفات السلبية فهي التي سلبت عن الله تعالى ما لا يليق بكماله، وهي خمس صفات: البقاء والقدم ومخالفته للحوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانية.

وأما صفات المعاني فهي سبعة: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر والكلام.

وأما الصفات المعنوية فهي: كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلاً.

هذه أمهات الصفات الواجبة في حق مولانا عز وجل.

إننا في الصفحة الثالثة وعنوانها: الصفات السلبية.

الأولى : صفة القدم: سلبت عن مولانا عز وجل الحدَّ لأولية الوجود،

الثانية: صفة البقاء: سلبت عن مولانا عز وجل الحدَّ لآخرية الوجود

الثالثة : صفة المخالفة للحوادث: سلبت عنه المماثلة لها،

الرابعة: صفة القيام بالانفس: سلبت عنه الافتقار،

الخامسة: صفة الوجدانية: سلبت عنه التعدد.

فمن صفات مولانا أنه:

قديم: لا أول لوجوده، وباقٍ: أي لا آخر لوجوده، بمعنى أن مولانا غير

مسبق بعدم ولا يلحقه فناء، لأنه واجب الوجود، اسمعوا إلى مولانا عز وجل

يقول عن ذاته المجيدة: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

الحديد: ٣

هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، أي لا يدخل في وجوده زمان ولا

مكان، وكيف يدخل في وجوده زمان ومكان، وهو الذي خلق الزمان والمكان؟

ف الله عز وجل موجود قديم قبل الزمان والمكان، كان ولا زمان ولا مكان،

اسمع إلى حبيبك يقول ﷺ : «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ» (خ).

ويقول جل وعلا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨

إذن ف الله قديم، والقدم صفة من صفات مولانا عز وجل، فهل لنا أن

نقول: بناء قديم، وكتاب قديم؟!

الجواب: نعم، لأن القديم من المخلوقات لا يقصد به أنه لا أول لوجوده،

بل يقصد به القدم الزمني (طول المدة الذي ضُبِطَ بِسَنَةِ)، ما توالى على

وجوده الأزمنة، وهذا موجود بكتاب مولانا عز وجل اسمعوا ماذا يقول:

﴿وَالْقَمَرُ فَدَرَنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس: ٣٩

فالقديم في حق المخلوق طول الأزمنة أو طول مدة الوجود.

ف الله تعالى قديم، ولو لم يكن مولانا قديماً لكان حادثاً (مخلوقاً)، ولو كان مخلوقاً لافتقر إلى خالق، وهكذا إلى ما لا نهاية وهذا باطل، لأن واجب الوجود لا يكون مخلوقاً، لأنه هو الذي أوجد الوجود، وإذا بطل القول بحدوثه سبحانه ثبت أنه قديم.

لذلك . أيها الإخوة . لا يصح أن يسأل عنه سبحانه وتعالى: (متى كان)، لأن (متى) تعني الزمن المطلوب تحديده، كيف وهو سبحانه لا أول لوجوده، بل هو الأول لكل شيء. (أما سمعت إلى قول حبيبك يقول «كان الله ولا شيء غيره».

أيها الإخوة الكرام

مازلت عند حبيب الله ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ لأنقل لكم مناجاته لمولانا عز وجل على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية فأسمعنا مناجاتك يا سيدي يا عظيم الجاه، يقول: « **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء** » (م).

ولأجل هذا أيضاً لا يصح أن يسأل سائل (من خلق الله؟) لماذا؟ لأن الخالق لا يصح أن يكون مخلوقاً، المخلوق سبقه عدم، أي لم يكن موجوداً ثم خلق، كان معدوماً فوجد، واسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى

الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ۝١﴾ الإنسان: ١

المخلوق هو الذي سبقه عدم، أما الخالق فلم يكن مسبقاً بعدم، ولا افتتاح لوجوده، ولا آخر لبقائه، فهو مستمر لا ينقطع وجوده، هو الآخر، اسمعه يقول

لك: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ﴿٣٧﴾ الرحمن: ٢٧
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ القصص: ٨٨

لو لم يكن مولانا باقياً - أيها الأخوة - لأمكن أن يلحقه العدم، ولو لحقه
لكان حادثاً (مخلوقاً)، لأن المخلوق تتغير حاله من حالة إلى حالة، وكونه
حادثاً (مخلوقاً) محال لأنه ثبت له القدم، وقد اتفق العقلاء على قاعدة توحيدية
عليك أن تحفظها اليوم: قالوا: مَنْ وَجِبَ قِدْمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ.

فلا يصح أن يسأل أحد هذا السؤال (من خلق الله؟)، وهذا السؤال حقيقة
مصدره وسوسة إبليس، اسمعوا البيان النبوي يقول ﷺ (ق):

«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا، من خلق كذا؟ حتى يقول له:
من خلق ربك؟ فإذا بلغه ذلك فليستعذ بالله ولينته» ، وفي رواية (م): «إن
الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق
الأرض؟ فيقول: الله فيقول: من خلق الله؟، فإذا وجد ذلك فليقل: آمنت بالله
ورسوله» (م) - كنز العمال ج ١ ص ٢٤٧.

وفي رواية يقول: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ الإخلاص: ١ - ٤ ثم ليتفلن عن
يساره ثم ليستعذ » .

ومرة جاء أناس من الصحابة إلى سيدنا النبي ﷺ فقالوا:
يا رسول الله! إنا نجد في أنفسنا شيء يعظم أن نتكلم به، مانحب أن لنا
الدنيا وأنا تكلمنا به.

فقال ﷺ : أوقد وجدتموه؟! ذلك صريح الإيمان. وفي رواية: « تلك محض
الإيمان » .

أي تعاضمه في النفوس هو صريح الإيمان، وليست الوسوسة نفسها لأنها من كيد الشيطان.

احفظوا . أيها الإخوة . هاتين الصفتين: القدم . والبقاء، واعلموا أن البقاء واجب له عز وجل، ومرة سأل أحد التلامذة الأذكياء سؤالاً، قال: أليس أهل الجنة والنار خالدين فيها أبداً؟. فما الفرق بين بقاء الله وبقاء أهل الجنة والنار؟.

فقلت له: بقاء مولانا عز وجل واجب لذاته، أما بقاءنا في الجنة فهو جائز في ذاته، فيجب أن نفرق بين بقاء مولانا عز وجل وبقائنا، فبقاؤه عز وجل واجب لذاته لا لغيره، وبقاؤنا في الدارين إنما كان لوعده الله، هو الذي وعد الطائع بالخلود في الجنة فبقاء الطائع لوعده الله، لا بقاء ذاتي ولهذا يسمى بقاءنا واجباً عَرَضِيّاً أي شرعياً. وقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة: يا حَتَّان، يا حَتَّان، يا حَتَّان... فأمر مولانا عز وجل أمين وحي السماء جبريل أن يخرج من النار ويأتي به ليقف بين يديه، فذهب سيدنا جبريل فوجد الناس كلهم يستغيثون . أجارنا الله من النار . فعاد وقال: ما عرفته يا رب، فقال له مولانا عز وجل: إنه في موضع كذا وكذا.

فذهب سيدنا جبريل وأخرجه من النار كالفحمة السوداء، فلما وقف بين يدي مولانا عز وجل سأله: كيف وجدت مقيلك؟!

فقال: شر مقيل!!.

فيقول مولانا عز وجل: أعيدوه إلى النار.

فقال العبد: وعزتك ما ظننت بعد أن أخرجتني منها أن تعيدني فيها.

فيقول مولانا عز وجل: أدخلوا عبيد الجنة بحسن ظنه بي.

أيها السادة اسألوا الله الجنة واستجيروا به من النار.

فإن يثبنا فبمحض الفضل وإن يعذب فبمحض العدل
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها أن يوحد الله تعالى



أوصاف الإيمان الثلاثة

- ٤ -

الحمد لله المبدىء المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب
الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن
أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد. سبحانه وتعالى يعلم ما
ظهر وما بطن وما خفي وما علن، وما هجن وما كمل، وهو أقرب إلى كل
مريد من حبل الوريد، قسم الخلق قسمين: وجعلهم فريقين، فريق في الجنة
وفريق في السعير إن ربك فعال لما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد،
كان ينادي ويدعو ويقول: « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**، فقال له
سيدنا أنس بن مالك: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت، فهل تخاف علينا، قال:
نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي المعونة على الطاعة والتأييد،
صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

كيف؟، وما هو؟

كيف يكون العبد مؤمناً، وما هو المطلوب من العبد إيمانياً؟

سؤالان أطرحهما على بساط البحث لنخرج بعدهما مؤمنين موحدين برب
العالمين، ولا بد من عرض هذه القضية الإيمانية قبل متابعة ذكر صفات
مولانا عز وجل، إنني وقفت معكم منذ ثلاث جمع مضت أتحدث فيها عن
القضايا الإيمانية، فإذا بسائل يقول: يا سيدي تحدثت عن أركان الإيمان
السته، ونحن مؤمنون بها والله الحمد، ولكنكم لم تتحدثوا عن المطلوب منا، ما
هو المطلوب من العبد المؤمن؟ وكيف يكون مؤمناً؟

هذان السؤالان أسألهما اليوم وأجيب عنهما مع الدرس الرابع من دروس
القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، واستمد العون من مولانا عز وجل في
الإجابة عنهما.

أيها الإخوة المؤمنون:

للجواب عن هذين السؤالين أسأل سؤالاً ثالثاً: ما معنى الإيمان؟ إذا أردت أن أعرف ما هو المطلوب مني، عليّ أن أعرفَ الإيمان، وهذا التعريف تولى الإجابة عنه علماء التوحيد أو العقيدة فقالوا:

الإيمان هو ١- التصديق ٢- والإقرار ٣- والعمل.

التصديق بجميع ما جاءنا عن سيدنا رسول الله ﷺ وإن لم يكن متواتراً، وعلم من الدين بالضرورة والتزام أحكام الشريعة، والإيمان يعني التبرؤ من كل دين إلا دين الإسلام، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول:

﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: ٢٨٥

كل آمن: أي صدق وأذعن وقبل ورضيت نفسه به، ونفذ أحكام شريعة الله المنزلة على أنبيائه. هذا هو معنى الإيمان، وهذا هو المطلوب منك، اسمع موجزه:

اعتقاد بالجنان (القلب)، وقول باللسان، وكماله عمل بالأركان.

كان هذا - أيها الإخوة - هو موجز الأنباء الإيمانية، وإليكم الأنباء بالتفصيل.

نحن أمام ثلاثة أصناف من العبيد: الأول عبد صدق بقلبه ونطق بلسانه وعمل بالشريعة المأمور بها وانتهى عن المنهيات فهذا هو العبد الكامل إيمانياً.

والثاني: عبد صدق بقلبه ولم يقر بلسانه (إذا لم يكن أحرص) بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهذا إن لم يقر بلسانه مع القدرة عليه فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية أي تجري عليه أحكام التشريع

الإسلامي وإذا مات لا يدفن بمدافن المسلمين، أي أننا نحن معشر المسلمين لا نحكم بإيمانه، لأننا أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

وقد مات مرة رجل فاجر من بني إسرائيل لم يعمل حسنة قط فرمّوه مع القمامة، فأوحى مولانا إلى سيدنا موسى: أن غسل هذا العبد وكفنه وصل عليه وادفنه، قال: يا رب إن بني إسرائيل يقولون إنه عصاك ولم يعمل حسنة قط، فأوحى إليه مولانا عز وجل وقال:

لقد فتح مرة التوراة فقرأ اسم حبيبي محمد فقبّله ووضع على عينيه محبة به، وأنا غفرت له لأجل ذلك.

إذاً المعتقد بقلبه دون الإقرار والعمل بالأركان مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية.

الثالث: عبد طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ولو أذعن قلبه، كافر، جاحد، نعم يسمى جاحداً، قال لي أحدهم: عجباً هل يجتمع التصديق مع الجحود، قلت: نعم، وهو كفر، كل كافر يقول لك قلبي مؤمن مصدّق بسيدنا محمد ﷺ، فنقول له: انطق بالشهادتين أو ادخل في الإيمان؟ فيقول لك: لا، يأبى النطق بهما، هذا كافر، وإليك الدليل، بل الأدلة:

الدليل الأول: قوم فرعون الذين قال في حقهم مولانا عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مَبْصُرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَحَدَّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ النمل: ١٣ - ١٤

أسمعتهم قول مولانا العليم بما في القلوب، اسمعوا: ﴿وَحَدَّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي صدّقوا بها تصديقاً جازماً: يقيناً، وهذا الجحود سماه مولانا ﴿ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾.

الدليل الثاني: اليهود لعنهم الله، كانوا قبل البعثة يستفتحون على الذين كفروا، يقولون للأوس والخزرج: عندما يُبعث النبي الأمي الذي نجده مكتوباً عندنا في التوراة سوف نكون من أتباعه وأنصاره وسوف نفعل بكم كذا وكذا. أليس هذا تصديقاً؟ أليس هذا إذعاناً وقبولاً؟

اسمعوا البيان الإلهي يقرر الجحد، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٨٩

بل اسمعوا أكثر: اليهود قال عنهم مولانا إنهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٤٦

الله أكبر: يعرفون نبينا الأعظم كمعرفتهم لأبنائهم، لكنهم لم يدينوا لكلمة الحق، وضربوا عنها صفحاً، واسمعوا معي إلى شهادة أحد اليهود، الذي عندما سمع ببعثة سيدنا محمد ﷺ دخل في الإسلام مباشرة، وبعد أن أعلن إسلامه صرح التصريح التالي، اسمعوا التصريح كما نقلته وكالة الأنباء الإسلامية على لسان صاحبه سيدنا عبد الله بن سلام (قولوا رضي الله عنه)، قال: (والله تسجل هذه الكلمة بماء الذهب، وهي صفقة لليهود وأي صفقة) قال: . لقد عرفتُ محمداً حين رأيته كما أعرفُ ابني، ومعرفتي لمحمد أشد. (الله أكبر).

قال له سيدنا عمر: ولم؟! فقال:

. لأنني لست أشك في محمد أنه نبي، فأما ولدي فلعل أمه خانت. فقبل الفاروق رأسه على هذه الشهادة.

من هنا كان اليهود كفاراً مع اعتقادهم وبقينهم بأمره، لأنهم أضاعوا شطر الركن الاعتقادي وهو الرضا والتسليم، والإقرار.

المطلوب منك وأنت تعتقد بأركان الإيمان أن ترضى بها وتسلم تسليماً مطلقاً، لأنه كان من دعائه ﷺ رضيت بـ الله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

لابد من الرضى والتسليم بدون مضض ولا حرج ولا شك، وهذا - أيها الأخوة - موجود بكتاب مولانا اسمعوه . بعد أن توحدوا الله . يقول عز من قائل لنبيه ومصطفاه:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

١- يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

٢- ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

٣- وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾ / النساء: ٦٥.

أسمعتكم قضية التسليم والرضا ﴿ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴾.

فتش عن إيمانك في قلبك، هل أنت مؤمن وراض بهذا الإيمان أم لا والعياذ بـ الله؟.

وكننت ذكرت لكم فيما مضى موقف أبي طالب عبد مناف بن جدي عبد المطلب، حينما كان على فراش الموت وقد طلب منه الحبيب الأعظم أن ينطق بالشهادتين، أبو طالب الذي كان يقول في شعره:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

أبو طالب الذي دافع عن ابن أخيه دفاعاً عظيماً، وقد جاءت إليه صناديد

الكفر ليطلب من ابن أخيه التخلي عن دعوته ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ

مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ / الصف: ٨

وكان رد سيدنا رسول الله عظيماً شافياً وافياً قال: « ما أنا بأقدر علي أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة » (يعني الشمس) ومعناه: كما ورد في سند ضعيف: « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلكَ دونه ».

فماذا كان موقف عمه أبي طالب قال: اذهب يا ابن أخي فوالله لا أسلمك لشيء أبداً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
هل نسي سيدنا النبي لعمه هذا الموقف، أبداً ما نسيه، أراد الحبيب أن يرد إليه الجميل فذهب إليه وهو على فراش الموت وقال له: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله.

وكان عند أبي طالب ساعتها رجلان من رؤوس الشرك والكفر: أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقام أبو جهل وهمس في أذن أبي طالب، وقال: لقد عرفناك طوال حياتك رجلاً، أغير دينك ودين آبائك؟!، لا تسمع لمحمد.

ورسول الله يحاول مع عمه: قلها يا عم ولو بأذني.
وشمس العُمر توشك أن تدخل في مجال كسوفها، ويوشك أبو طالب أن يلف في أكفان القبر، ولسانه لم يتحرك بلا إله إلا الله، ودخل ملك الموت ليأخذ الأمانة، والحبيب الأعظم يلح على عمه ليسمع منه كلمة التوحيد.
وأبو جهل يمنع، وملك الموت يسرع الخطا حثيثاً إلى أبي طالب، ويوشك الستار أن ينسدل على عُمر أبي طالب وتتفض سوق أيامه، ورسول الله يردد يا عماه، يا عماه، لكن أبا طالب أخيراً رفض أن يقولها، واعتذر من ابن أخيه وقال:

لولا الملامةُ أو حذارُ مَسَبَةٍ لوجدتني سَمَحاً بِذَٰكَ مُبِينًا
أبى أن ينطق بالشهادتين، وآثر النار على العار بزعمه ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ﴿١٩﴾ ق: ١٩ وأسلم أبو طالب روحه. فما الذي
حدث؟

أيها الإخوة الكرام: لا محسوبية في الإسلام للكفار، لا شفاعة للكافرين، ولا
وساطة لهم في دخول الجنة، إن الحبيب الأعظم يعلنها صريحة مدوية: «والذي
نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (خ).
فماذا صنع الحبيب لعمه قال سيدنا رسول الله ﷺ (خ): يا عمي أما
إني سأستغفر لك الله ما لم أنه عن ذلك، فماذا كان ردُّ الإله الواحد؟
إن مولانا أرسل كبير أمناء وحي السماء وسفير الأنبياء، وهبط بقول
مولانا:

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿التوبة: ١١٣﴾ (الله أكبر)

الرابع: رجل أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه، يعني هل يصح إيمانه؟ رجل
أقر بلسانه بالشهادتين، فهذا الرجل مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند
الله تعالى.

مؤمن ظاهراً غير مؤمن حقيقةً، فَنَكِلُ أمره إلى الله تعالى، إذا أقر العبدُ
بلسانه وكان باطنه خلافَ ذلك فإنه بإقراره يعصم نفسه وماله إلا بحقه، ومرة
كان سيدنا أسامة بن زيد الحبُّ ابنُ الحبِّ يتحدث عن إحدى المعارك التي
خاضها فقال:

وعرض لي رجل بارزته فلما غلبته ورفعت سيفي لأضرب عنقه قال: « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتركته » ، فما هو إلا أن وجدته بعد قليل يقاتل المسلمين، فانقضضت عليه كالصاعقة حتى تمكنت منه، فلما رفعت سيفي قال: « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فتركته، وإذا به بعد قليل يقاتل المسلمين وهنا حسمت أمري معه، فأسرعت إليه ومازلت أقاتله حتى تمكنت من علاوته (من رأسه) وإذا به يقول: « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، لكنني ضربت عنقه.

قال: وكان الحبيب الأعظم يسمع فبان الغضب في وجهه وقال: **كيف تفعل ذلك مع من نطق بالشهادتين.**

فقال أسامة: كان كذاباً يا رسول الله، فقال سيدنا النبي: **هلاً شقت عن قلبه، هلاً شقت عن قلبه...** وراح يكررها حتى قال أسامة: لينتي لم أفعل (ق). الذي يقر بلسانه ولا يصدق بقلبه، في قلبه مرض، يعني منافق، تعالوا لأنقل لكم على الموجة الإيمانية من سورة البقرة ماذا يقول مولانا عز وجل، اسمعوا:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ ﴾ يعني كذابين، والكذب نفاق، والمنافق مؤمن أمام الناس (ظاهراً مؤمن) وهو يطعن الإسلام بالخفاء، اسمعوا بقية البيان الإلهي: يُخٰدِعُونََ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونََ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ ﴿٩﴾ فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿١٠﴾ ﴿البقرة: ٨ - ١٠﴾

ولأجل هذا لما مات حقير المنافقين ابن أبي بن سلول (وكان يظهر الإسلام ويطعنه في الخلف) وأراد سيدنا النبي ﷺ أن يصلي على جنازته

لرجاء ولده الشديد، وقف الفاروق في وجهه وقال: يا رسول الله! أعلى عدو الله تصلي؟! ولكن رسول الله لم يسمع له، فأنزل مولانا تأييداً لرأي عمر قائلاً للحبيب الأعظم ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨٤) التوبة: ٨٤

إذاً: الإقرار دون التصديق بالقلب لا يكفي، الإسلام لا يحب ذا الوجهين، المطلوب منا أن يكون ظاهرنا كباطننا، علينا مادمنا أقررنا بالتوحيد واعتقدناه أن نسلّم ونذعن، وتخضع قلوبنا لقيوم السموات والأرض، فمن فعل ذلك وعمل بالشرعية ونفذ الأركان فقد حصل كمال الإيمان. كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل واليكم موجزها (احفظوا معي):

من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن أخل بالشهادة وأباها فهو كافر، ومن اعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق.

لم يعمل؟!، ماذا يعمل؟ هل للإيمان عمل؟ ألا يكفي التصديق القلبي والإقرار باللسان؟ قال: لا، لا يكفي، أما سمعت القاعدة الإيمانية تقول: الإيمان: اعتقادٌ بالجنان، وقولٌ باللسان، وكمالهُ عمل بالأركان؟

لا بد من العمل، انظروا . أيها الإخوة . هذه القضية (العمل) بمفردها قضية إيمانية إسلامية، يعني من ترك العمل بالشرعية، الشرعية:

مثال هذا الحج والصلاة كذا الصيام فادر والزكاة

من ترك العمل بالشرعية مع اعتقادها والإقرار بها فهو فاسق، عاصٍ.

ما هذا الكلام؟ أتعني أن الإيمان والمعصية يجتمعان؟! نعم يجتمعان ويسمى صاحبهما: مؤمناً فاسقاً، فليس العاصي كافراً؟!، لا، العاصي إذا كان مؤمناً فهو فاسق. ولماذا الأخذ والرد في المسألة وبين أيدينا كتاب الله (وحدوا

الله، يقول مولانا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الألعم: ٨٢) انتبهتم:

آمنوا، وهم ظالمون، بناءً على أن الظلم معصية، آية أخرى: ﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُم مِّنَ ظُلْمٍ﴾ (الحجرات: ٩) سماهم مؤمنين مع أن التقاتل حرام ومعصية، وليس منا أحد لم يقارف في عمره معصية، ولم يجد لهذه المعصية لذة، أقلها أنه أثر متعة الفراش مرة على القيام لصلاة الفجر، فماذا بقي في أيدينا الآن من هذه اللذة التي أحسنا بها قبل عشر سنين أو أكثر؟

وليس منا أحد لم يجبر نفسه على أداء الطاعة، ولم يحمل لهذه الطاعة ألماً، أقله الجوع والعطش في رمضان، فماذا بقي في نفوسنا الآن من ألم الجوع في رمضان، الذي جاء في عشر سنين؟ لا شيء.

ذهبت لذات المعاصي وبقي عقابها، وذهبت آلام الطاعات وبقي ثوابها. المعاصي لذية. أيها الإخوة. مصداق هذا القول عند سيدنا رسول الله ﷺ « حَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » (م) طبيعة النفس تحب الدعة واللذة، إنك تجد لذة في سماع الغيبة والمشاركة فيها، لأنها تشعرك بأنك خير من هذا الذي يذكرونه بالسوء وأفضل، والسرقة لذية لأن فيها امتلاكاً لمال بلا تعب ولا نصيب، إن الزنا لذية لأن فيه إعطاء النفس هواها، إنالتهام مشتهاها، والغش في الامتحان لذية، لأنه يوصل للنجاح بلا جهد، والهرب من الواجب. أيّاً كان. لذية على النفس، لأن فيه الراحة والكسل.

ولكن العبد حين يفكر ويستعمل عقله، يجد أن هذه اللذة المؤقتة لا تساوي ما بعدها من سجن طويل في جهنم، وهذه اللذة المحرمة لا تعدل ما بعدها من العذاب.

من يرضى منكم. أيها الإخوة. أن نجعل بيننا وبينه عهداً (اتفاقية عند الكاتب

بالعدل) مدتها عام، نعطيه خلالها كل ما يطلب من مال، ونسكنه في القصر الذي يريد، في البلد الذي يختار، ونزوجه بمن شاء من النساء، مثنى وثلاث ورباع ولو طلق كل عشية واحدة، وتزوج كل صباح أخرى، ولا نمنع عنه شيئاً يريده، ولكنها إذا انقضت السنة، علّقناه في عنقه على المشنقة حتى يموت، ألا يقول: لا والله، تعساً وبعداًً للذة سنة بعدها الموت، ألا يتصور نفسه ساعة يعلق على المشنقة فيرى أنه لم يبق في يده شيء منها؟ مع أن ألم الشنق يعد دقيقة وعذاب الآخرة دهر طويل.

وحقيقةً: العبد لا يقع في المعصية إلا عندما يكون غافلاً عن الله غير مستحضر جلاله، وإذا عصى نقص إيمانه، واسمع معي إلى حبيبنا رسول الله ﷺ يقول: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » البخاري عند أبي هريرة. أسمعتم؟ نفى عنه الإيمان المطلق، ولم ينفِ مطلق الإيمان، يعني لا يفعل هذه المعاصي فاعلها وهو كامل الإيمان.

أيها الإخوة الكرام

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية بياناً شافياً وافياً كافياً، أذاعه الصحابي الجليل سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عن المربي الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ما هو هذا البيان، ما صفته ما حقيقته؟ اسمعوه على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية بعد أن تصلوا على صاحبه، يقول عليه الصلاة والسلام:

« ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » .

قال أبو ذر: قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق، فكرر سيدنا أبو ذر مقالته ليتأكد والنبي يكرر له تأكيده، حتى قال له في الرابعة: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر (م).

فما هو الدواء للبعد عن المعاصي؟ وللإجابة عن هذا السؤال أنقل بحضراتكم إلى أحد الصالحين، سأله أحدهم: أشكو مرض البعد عن الله. فقال العبد الصالح للسائل:

. يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر، وعصير التواضع ضع ذلك في إناء التقوى، وصُب عليه ماء خشية، وأوقد عليه نار الحزن، وصَفِّهِ بمصفاة المراقبة، وتناول به كف الصدق واشربه في كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وأبعد نفسك عن الحرص والطمع، تشفى من مرضك بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨

ومعنى قوله ﷺ: « **إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » أي أنه لا يخلد في النار، بل يعذب فيها على قدر غدراته في الدنيا، ثم يخرج الله من النار بفضلِه ومَنِّه، اللهم أجِرنا من النار، يعذبه الله سنة أو مئة سنة الله أعلم، اسمعوا هذا الحديث: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُغْمَسُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، ثُمَّ يُسَأَلُ سُؤَالًا، هَلْ وَجَدْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟! فيقول: لا يا رب، ما وجدت نعيمًا قط. وَيُؤْتَى بِأَبْأَسِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُغْمَسُ فِي الْجَنَّةِ غَمْسَةً ثُمَّ يُسَأَلُ سُؤَالًا، هَلْ وَجَدْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟! فيقول: لا والله ما وجدت بُؤْسًا قَطُّ » .

علينا - أيها الإخوة - أن نتوب إلى الله كي لا نغمس في النار ولو غمسة، إن كل مؤمن يريد أن يتوب ويرجع إلى الله، ولكنه يؤجل، ويسوّف: كنت أقول: إذا بلغت الأربعين تبت، فبلغتها وما تبت، وجاوزت الخمسين وما تبت وشبت وما تبت، ليس معنى هذا أنني مقيم على المحرمات والعياذ بالله أو مرتكب للفواحش والعياذ بالله، لا ويحمد الله، ولكن معناه، أن الإنسان يرجو لنفسه الصلاح، ولكنه يُسوّف، يظن أن في الأجل فسحة، ويظن أن

العمر طويل، فيرى الموت قد طرقه فجأة، وكم من رجل رأى الموت بعينه ثم نجاه الله، ثم تراه ينغمس ثانية في غمرة الحياة، وينسى... وينسى الموت. أيامك معدودة، ولا بد لك أن تسافر إلى الله مهما عشت ستين أو سبعين أو مئة، نوحٌ لبث يدعو قومه تسعمئة سنة وخمسين، فأين سيدنا نوح الآن؟ هل بقيت له الدنيا، هل سلم من الموت؟

من كان أمامه سفرة لا يعرف موعدَها ألاَّ يتهيأ لها، ألا يكون جاهزاً. ولنا وقفة بإذن الله تعالى مع حقيقة الموت في الركن الخامس الإيماني. إذاً العاصي مؤمن فاسق، عمل بالمعصية فنقصت حسناته، نعم الإيمان قول وعمل يزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي. وَرَجَّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةُ الْإِنْسَانِ وَنَقَصَهُ بِنَقْصِهَا وَقِيلَ: لَا وَقِيلَ لَا خَلْفَ كَذَا قَدْ نَقَلَا

الإيمان . اللهم اجعلنا مؤمنين . ينبعث من الباطن إلى الجوارح، والإسلام يسري في الجوارح إلى القلب، والمسلم الحق هو الذي يكون ظاهره ترجماناً صادقاً لما وقر في صدره. ولهذا يقول سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل».

ولهذا قال أهل التوحيد: إنه يزيد بفعل الطاعات واجتناب المنهيات، وينقص (أي الإيمان) بسبب نقص الطاعة. تعالوا بنا نستمع إلى الموجة الإيمانية من سورة (الأنفال) يقول تعالى:

﴿وَإِذَا ثَلِثْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢)

وعلى الموجة الإيمانية من سورة (الم نشر): ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ (الم نشر: ٣١)

وعلى الموجة الإيمانية من سورة (الفتح): ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح: ٤)

أسمعتهم ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، المؤمنين من غير الأنبياء والملائكة، لأن الأنبياء يزداد إيمانهم ولا ينقص، والملائكة لا يزيد إيمانهم ولا ينقص.

المؤمنون وعلى رأسهم سيدنا الصديق أبو بكر الذي يقول عنه سيدنا عمر رضي الله عنه: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به».

ويقول جدي سيدنا علي رضي الله عنه:

« إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو نقطة سوداء فإذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه » وتلا قول مولانا عز وجل:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)

ران: اسودَّ، ولأجل ذلك كتب الخليفة السابع سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي قائلاً:

إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسناً من استكملها، استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

أيها الإخوة الموحدون:

يا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت أود أن أتابع معكم ملف صفات مولانا عز وجل ولكن الوقت قصير، والزمن يسير بنا فلأدع ذلك إلى الجمعة القادمة وأدعكم لتستغفروا مولانا من المعاصي، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

من الصفات السلبية

- ٥ -

الحمد لله المنفرد في كبريائه وتعالیه، المستحق للتمجيد والتقدیس والتسبیح والتتزيه، الذي قطع بالموت عذر المعتذرين، وقمع به كبرياء المتكبرين، وحسم به أطماع الطامعين، وحكم به على الخلق أجمعين، أحمده سبحانه وتعالى حمداً يكون لجلاله تمجيذاً ولنواله معيداً وعن نكاله محيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يتخذ من دونه معبوداً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بشيراً ونذيراً وشهيداً، سيدي أبا القاسم يارسول الله

والمال منا والنفوس فداءً
يوم القيامة فرحةً ورجاء

لك في القلوب محبةً
ياسيد الأكوان إن لقاءكم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة توجب
لهم من فوائده مزيداً، وتُقَلِّدُهم فرائدَ مَنِّهِ تَقْلِيداً، أما بعد:

فَهَذِهِ عَقَائِدُ التَّوْحِيدِ	نَجْوُ بِهَا مِنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ
فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفة	تكن بها في غرف مزخرفة
له الوجود والبقاء والقدم	مخالف لما يناله العدم
وقائم بنفسه وواحد	فهذه ست صفات تسرد
منها الوجود صفة نفسية	والخمس بعدها هي السلبية

أيها الإخوة الكرام:

مازلنا في الصفحة الثالثة من بحث الأسماء والصفات، مع الدرس الخامس
من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وبالتحديد عند الصفات السلبية،
فقد وقفت معكم منذ جمع أربع عند هذه الصفات الكريمة، وبدأنا بصفة
الوجود، ثم القدم والبقاء، وبقي أن أتحدث معكم عن ثلاث صفات:

الأولى: مخالفته تعالى للحوادث، والثانية: قيامه بنفسه، والثالثة: الوجدانية.
وأما مخالفته تعالى للحوادث فهي صفة سلبت عن الله تعالى مماثلته
للحوادث، والحوادث هي المخلوقات التي أحدثها الله تعالى.

وأما قيامه بنفسه فقد سلبت عن الله تعالى الافتقار والاحتياج، فمولانا قائم
بنفسه أي غني عن المحل والموجد، فهو لا يحتاج إلى ذات يقوم بها، وهو
غير محتاج إلى موجد يؤثر فيه الوجود، فهو الغني بذاته عن كل شيء،
اسمعه يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾
فاطر: ١٥

ولأنه لو احتاج إلى موجد لاحتاج موجد له لمن يوجده، وهكذا، وهذا محال ،
ولو لم يكن مولانا مخالفاً للحوادث (للمخلوقات) لكان مماثلاً لها، ولو كان

ممثلاً لها لكان مخلوقاً مثلها وهذا محال أيضاً، لأن علماء التوحيد يقولون: **الاحتياج من صفات المخلوقين**، والخالق منزّه عن الاحتياج والافتقار، ولأن مولانا لا يمثله شيء من المخلوقات، فإذا كان للمخلوقات جسم، فالله تعالى ليس بجسم، وإذا كان للمخلوقات كل وأجزاء وأعضاء فالله تعالى ليس كلاً ولا جزءاً، وإذا كان للمخلوقات حركة أو سكون أو طلوع أو نزول أو حيز أو مكان، فالله تعالى ليس محتاجاً إلى حركة أو سكون أو مكان، كيف وهو السابق على الزمان والمكان.

وإذا كان الإنسان خلق ضعيفاً، فمولانا الخالق قويّ عزيز، وإذا كان الإنسان والدّاً ومولوداً، فالله تعالى لم يلد ولم يولد، وإذا كان الإنسان ينسى، فالله تعالى لا يضل ولا ينسى، وإذا كان الإنسان ناقصاً، فالله تعالى له الكمال المطلق، وإذا كان الإنسان محكوم عليه بالعدم والموت فالله حي باق لا يموت، وإذا كان العبد يقوم ويقعد ويجلس بجهة من الجهات، فالله تعالى ليس محتاجاً إلى قيام ولا قعود ولا جهة، وليس له فوق ولا تحت، ولا يكون فوق العالم أو تحته، ولا يقال كيف هو، ولا أين هو، ولا ما هو، ولا لماذا فعل كذا، أو حكم بكذا، واحفظ معي القاعدة التوحيدية: «كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك».

فما العمدّة في هذه الصفات؟ العمدّة فيها قول مولانا عز وجل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

فهذه الآية دليل قاطع في منع المشابهة والمماثلة لشيء من الأشياء، ولم؟

لأن كلمة شيء واقعة في سياق النفي: ليس: نفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

تعني: لا شيء يماثل مولانا، فيكون معنى الآية الكريمة: ليس كذاته وكصفته

وفعله شيء، يقول مولانا: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠)

علماء التوحيد يقولون:

كل من يقول إن مولانا يشبه شيئاً من مخلوقاته فهو مُجَسِّمٌ كافر.
فكيف يكون التفكير في الله تعالى؟ هذا السؤال يفرض نفسه على بساط البحث. هل لنا أن نعلم حقيقة ذات الله؟ والجواب هو: لا، لا نتفكر في ذات الله تعالى لأنه لا يمكن لأحد أن يعرف حقيقة الله إلا الله، فتعالوا معي - أيها الإخوة - وتأملوا، أعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية، أصغوا إلي بأسماع أفهامكم:

إذا تأملنا في تدبير أرواحنا لأجسامنا، ونحن هي، وهي نحن، وعجزنا عن إدراك حقيقتها وعن كيفية تصرفها في أجسامنا، وأين قرارها في حال نومنا، ومن أين تأتينا عند يقظتنا، وكيف يدخلنا الألم والفرح والحزن والغضب والحلم واللفظ والرحمة، وغيرها من العوارض.

إذا تأملناها كلها ونحن نجزم بوجودها علمنا عظم الخالق لها والمدبر، وأيقنا بعجزنا عن معرفة حقيقته تعالى، لأن العجز عن إدراك المصنوع مع مشاهدته أو مشاهدة أثره أعظم دليل على العجز عن إدراك من صنع ذلك، وأنه عظيم فوق جميع ذلك، ولأجل هذه السعة غلبت عظمته تعالى على قلوب الخلق وتكلموا بالكلمات العظيمة كحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان. وهذا الكلام لا يعني نسبة عجز إلى الله تعالى ولكن من شدة الاستغراق في أسرار الكائنات وأن ما ظهر مطابق للعلم الإلهي بحيث لا يمكن أن يوجد غير ما علمه الله تعالى.

الواجب عليك أيها العبد أن تعرف صفات وأحكام الألوهية لا معرفة ذاته وحقيقته لأنه لا يعرف حقيقة الله إلا الله، ولهذا سألوا الصديق مرة بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي.

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث في ذات الله إشراك
فما عرف الله بالحقيقة إلا الله.

أيها الإخوة:

كم مرة نقرأ آية الكرسي في اليوم؟ هل تفكرتم في معاني هذه الآية العظيمة التي قال عنها سيدنا رسول الله ﷺ إنها: **أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ (م)**. آية الكرسي؟! نعم آية الكرسي التي من لم يحفظها كان محروماً من بركتها، بركتها؟! نعم، ومن بركتها أن من قرأها قبل نومه حفظه الله حتى يصبح (خ)، ومن قرأها دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت (ابن السني: صحيح).

تعالوا معي نستشف بعض المعاني الإيمانية من هذه الآية الكريمة التي يبدؤها مولانا بقوله:

﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ البقرة: ٢٥٥ الله واحد في ألوهيته، لا يعبد معه غيره، وهو الحي في ذاته الذي لا يموت أبداً، والقيوم الذي قامت به السموات والأرض وجميع الموجودات وهو غني عنها، ولا قيام لها بدون أمره فمن آياته: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ** ﴾ الروم: ٢٥

﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾ البقرة: ٢٥٥ لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيداً على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية به ألا تأخذه سنة ولا نوم ولا تغلبه سنة (الوسن) هو النعاس، والنوم أقوى من السنة. ومرة قام الحبيب الأعظم خطيباً في الصحابة رضي عنهم، اسمعوا إلى هذه الخطبة العصماء المختصرة الوجيزة البليغة الفصيحة قام فقال:

(إن الله لا ينام، ولا ينبغي أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجاب النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (م).

فالله لا ينام: لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ / البقرة: ٢٥٥.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ البقرة: ٢٥٥ الكون كله أرضه وسماؤه مملوك له، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتدبيره وقهره وسلطانه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥ لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة مثل حبيبنا سيدنا رسول الله ﷺ الذي يأتي تحت العرش فيخر ساجداً إلى ما شاء الله ثم يقال: ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع ﷺ .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ البقرة: ٢٥٥ علمه محيط بكل شيء، بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأما مخلوقاته فـ

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة: ٢٥٥ لا يدرك أحد شيئاً من علم مولانا إلا بالقدر الذي يشاؤه هو.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ البقرة: ٢٥٥ السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش.

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة: ٢٥٥ لا يثقله حفظه السموات والأرض فالأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة، صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد.

ولذلك لما سئل سيدنا رسول الله ﷺ : صف لنا ربك، أو انسب لنا ربك، أنزل عليه مولانا عز وجل:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾ الإخلاص: ١ - (ت- ح- ابن خزيمة- ابن جرير- أبة الشيخ: ص)

أي ليس له مماثل ولا مكافئ، وهو ما يسمى بالتنزيه، يعني نفي الشبيه والعدل والمماثل، ولهذا كانت أعظم آية في التنزيه قوله تعالى ٤ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٥ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٦ ﴾ الشورى: ١١ أي لا يشبه شيئاً من الكون، ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلاً لله فضلاً عن أن يكون مثلاً له، هذا أحسن تعبير، يعني بإيجاز. الخالق لا يشبه المخلوق.

ومن هنا ضل الضلال البعيد الذين يمثلون رب العزة بخلقه، كفرعون، الذي قال لشعب مصر: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، فقالوا: بلى فقال لهم: ما علمت لكم من إله غيري، فاستخف قومه فأطاعوه، وادعى الألوهية والخلود على الأرض.

فخلف من بعده خلف قالوا: إن سيدنا جبريل كان يتمثل بصفة دحية الكلبي، وبصفة أعرابي يأتي النبي بالوحي، وتمثل لمريم بشراً سوياً ومع هذه الحالة هو جبريل بعينه لم يتغير عن المَلَكِيَّة، وضلوا وأضلوا كثيراً، فقالوا: إذا قَدَّرَ المخلوق على أن يتطور ويتلون بأشكال مختلفة، فالخالق القادر على ذلك أقدر بأن يظهر في صورة مخصوصة أو في صورة الكون، فجسموا الله وشبهوه بخلقه، وجوزوا أن يحل في الخلق ومرقوا من الدين كالسهم من الرمية،

واسمع معي إلى قول ابن حجر العسقلاني يقول عنهم: قال: الطوفي: والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية الكلبي. قالوا فهو روحاني خَلَعَ صورته وظهر بمظهر البشر قالوا: الله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً(١)، واتسع الخرق على الراقع في إحدى الدول التاريخية التي حكمت في عصور الانحطاط فاعتقدوا في ملوكهم الربوبية كالحاكم بأمر إبليس الذي قال: إن الله حَلَّ في أجداده، ثم حل فيه . يا ويله على هذه الدعوى . فصار أعوانه يسجدون له ويركعون، ولما مات هذا الملك قام ولده من بعده، وأعلن أن أباه كان كذاباً وكافراً، وتبرأ من دعوة أبيه وأمر الناس بعبادة الله، الله الذي لا يحل في إنسان، واسمعوا ماذا يقول الشيخ الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه:

جَلَّ عن حُلُولٍ وعن اتحَادٍ وعن العُقُولِ في فَهْمِ المُرَادِ
وقد ادعى مرة النمروذُ الألوهيةَ على الأرض زمن سيدنا إبراهيم الخليل،
فجاء إليه الخليل وناقشه قائلاً:

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨
فأحضر رجلين حكم عليهما بالموت، فأطلق سراح أحدهما وقتل الآخر، وحين
نظر الخليل إلى هذه المفارقة العجيبة قال للنمروذ: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ البقرة: ٢٥٨ كفانا
تخبطاً وعبوديةً للملوك، ولنعد جميعاً إلى عبادة الواحد الأحد، إن جبريل جسم
مخلوق نوراني يقبل التغيير والتنقل والتشكل، لأنه مخلوق، وأما مولانا عز
وجل فليس جسماً ولا عَرَضاً ولا مادة، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإذا

وسوس لك إبليس قائلاً: إذا لم يكن المولى كما ذكر فما حقيقته، فقل في الردّ عليه وعلى أبالسة الإِس: لا يعلم حقيقة الله إلا الله، ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٧٤)، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى: ١١ إذاً . أيها الإخوة .

الله هو الغني، هو القائم على كل نفس بما كسبت، هو القيوم، قيوم السموات والأرض، به قامت السموات والأرض، هو مالك الملك يتصرف فيه تصرفَ المالك الحر بملكه، يحيي ويميت: هل تقدر أنت أن تدفع عن نفسك الموت وتمنحها في الدنيا الخلود؟ مادمت لا تستطيع فلا تدّعي العظمة والربوبية والخلود، واعلم أن مولانا غني عن كل شيء، لا يماثل المخلوقات لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وهذا هو معنى مخالفته للحوادث.

فالعبد تحت قهره تعالى، صفتك العجز والجهل والفقر والضعف، وصفة مولانا تضادُ صفة العبد، لأن صفة الحق عز وجل الغنى والقدرة والعلم والقوة، وغيرها من صفات الكمال، فهل عرفت نفسك؟؟

أنت محتاج وربك الغني، عرفت نفسك؟ إذا عرفت نفسك عرفت ربك، فقد قيل: من عرف نفسه عرف ربه.

إذا عرفت نفسك بالجهل، عرفت ربك بالعلم، وإذا عرفت نفسك بالضعف، عرفت ربك بالقوة، وإذا عرفت نفسك بالفقر، عرفت ربك بالغنى،

إذا ما تذوقت فقرك الذاتي وجدت أنه لا حول لك، ولا قوة لك إلا بربك سبحانه، ووجدت أن كل ما هو لك وارد منه إليك، وناشر جنح التفضل عليك، فقل من قلبك الحمد لله، وارفع إليه كفيك وأظهر عجزك وذلك، وعبوديتك، وإياك أن تتكبر وتتجبر وتعنقد أنك إليه لا ترجع، وإياك أن تدّعي أن الله نداً،

فإنك ومن تدعيه أت ربك يوم القيمة فودا، ﴿ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴾ ٨٦
 ﴿ مريم: ٨٦ ﴾ حيث يقال لهم: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ ٨٧ ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
 يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴾ ٩٠ ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ ٩١ ﴿ مريم: ٨٩ ﴾

- ٩١ -

الله، الله لا شريك له، لا ولد له، الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته،
 واحد في أفعاله، فهو تعالى المنفرد بالإيجاد والإمداد، ولا مؤثر معه في فعل
 من الأفعال، وإلا لما كان واجب الوجود، ولأن وجود شريك له تعالى يعني
 احتياجه إلى من يستعين به أو إلى موجد، وهو يؤدي إلى أنه مخلوق عاجز،
 وهذا محال على الله تعالى، اسمع إليه يقول لك:

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ١٦٣ البقرة: ١٦٣

فهل تعرفون ماذا يعني أنه لا إله إلا هو، معناها له خمسة أعداد:

الأول: ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء.

الثاني: أنه لا توجد ذات تشبه ذاته تعالى.

الثالث: أنه تعالى واحد في صفاته أيضاً فليس له صفتان من جنس واحد

بل قدرة واحدة وإرادة واحدة وعلم واحد.

الرابع: وأنه ليس لغيره صفة تشبه صفته تعالى.

الخامس: واحد في أفعاله فليس لغيره تأثير ما في فعل من الأفعال، بل

الأفعال كلها لله تعالى، لا فاعل إلا الله، اسمع إليه يقول لنا: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴾ ٩٦ ﴿ الصافات: ٩٦ ﴾ أي خلقكم وخلق عملكم (فعلكم).

وهذا البحث يسمونه العلماء بحث الوجدانية أو صفة الوجدانية لله تعالى،

لينفوا عن مولانا التعدد، يعني: لا يوجد إلهان لهذا الكون، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا

(السموات والأرض) إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿الأنبياء:

٢٢ أي لم توجد، (لماذا؟) لتعارض الإرادتين واجتماع الضدين، إيجاد ولا إيجاد، ومادام قد وجدت هذه المخلوقات فدل ذلك على أن الموجد واحد. وقد يقول أحد فإن اتفقا على وجود شيء. فأقول له لا يمكن أن يوجداه معاً لنلا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد.

وقد يقول: آخر: فإن أوجداه مرتباً (يعني يجده أحدهما ثم يوجد الآخر). فأقول له: لا يمكن لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

فقال لي ثالث: فإن أوجد أحدهما بعضه وأوجد الآخر بعضه الثاني، فقلت له: هذا دليل العجز لأنه لم يقدر على خلقه كله. إذاً تحصل لدينا أن مولانا عز وجل واحد في ذاته: ليس له من شريك وليس مركباً من أعضاء وأجزاء.

واحد في صفاته: غير متعدد الصفة من جنس واحد، وليس لغيره صفة كصفته تعالى.

وواحد في أفعاله: ليس لغيره تأثير في فعل ما، حتى أفعال العباد الله هو خالقها، فهو الذي يمرض ويشفي، هل تقدر أن تشفي مَنْ حَرَمَهُ الله الشفاء: إن الطبيب له بالطب معرفة إذا كان في عمر الإنسان تأخير فإذا ما انتهت أيامه مدته حار الطبيب وخانته العقاقير

فمولانا يمنح المال ويبنتلي بالفقر، يبعث السيول ويصيب بالجفاف، كان في السنة الماضية فيضانات في شمال إيطاليا جرفت المدن ودمرت العمران، وكان في ذلك الوقت في الهند جفاف يبس معه الزرع، وهلكت الماشية وصار توزيع الماء بالبطاقات، فمن زاد الماء على هؤلاء حتى شكوا منه؟ وحرّم أولئك

حتى تمنوه؟ من يعطي هذا بنات وهذا بنين ويجعل من يشاء عقيماً؟ هل يستطيع من رزق البنات أن يحولهن إلى بنين؟ ومن كان عقيماً أن ينجب الولد؟ من يفعل ذلك؟ الله... والله وحده.

ولا تظن أنك عندما تأكل الطعام فإنه يشبعك، لا، إن مولانا يخلق الشبع عندما تأكل أنت الطعام، ويخلق لك الري عندما تشرب الماء، ويخلق الإحراق عند وجود النار، ويخلق القطع عند وجود حد السكين، فلا فاعل إلا الله، هل سألت نفسك لماذا لم تحرق النار سيدنا إبراهيم لما ألقاه النمرود في النار؟!

لأن مولانا أعطى أولمه للنار ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الأنبياء: ٦٩

عقيدتنا أن المؤثر هو الله، والله وحده ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الصافات: ٩٦ وأنه تنزه عن شريك أو والد أو ولد، وأما ما يدعيه المشركون أن الله ابناً أو زوجة أو بنات فهو باطل وشرك وكفر، ولهذا اسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ

إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ﴿٩١﴾ المؤمنون: ٩١ فهذه الآية تضمنت أن الله سبحانه لم يتخذ ولداً، لاستلزام انفصال الولد عن أبيه، وذلك يقتضي التركيب المحال على الله، ولأن الولد يجانس أباه ويمثله والله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى: ١١

ثم ذكرت الآية الكريمة أنه لا ينبغي أن يكون معه من إله، لأنه لو كان معه إله يشاركه في الألوهية ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلقه، ولعلا بعضهم على بعض، أي غالب بعضهم ليوسع ملكه، ولو حصل هذا لفسد

نظام العالم، ولو كان من آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذي الجلال، اسمعه يقول لنا:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٤٢ - ٤٣ فإله تعالى ليس له من شريك، فهو

واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، فكيف يقولون إن معه اثنين من الشركاء الابن وروح القدس كيف يقولون:

فهو الإله ابن الإله وروحه فتلاثة هي واحد لم تقسم

الله الذي ليس كمثله شيء، والذي ذاته فوق متناول العقول، والذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار يقولون: إن له شريكاً؟!.

وبدأ الشرك عند النصارى بـ الله عندما قام رجل اسمه بولس ليقول: إن المسيح أرقى من الإنسان بل هو نموذج لإنسان جديد، وعقل سام متولد من الله، وأنه كان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم. وأنه تجسد هنا ليخلص الناس من ذنوبهم وخطاياهم. ما هذا الكلام وما هذه الهرطقة؟ وكيف خلّص الناس من ذنوبهم، اسمعوا ماذا قالوا بعد أن عظموه قالوا: إنهم صلبوه ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق، ثم (ابن الإله) يصلب وتسمّر يديه ورجليه في الخشب، ثم يُقتل ويُضرب وجهه ويُسخر منه ويُضفر له إكليل من الشوك، ويبصق في وجهه، عجيب وغريب أليس مولانا يقول ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴾ (٣٨) المشر:

٣٨ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الإسراء: ١٥

ثم الأعجب والأغرب في أمرهم أنهم مع اعتقادهم بصلب السيد المسيح فهم يعتقدون بألوهيته، أو بأنه ابن الإله، وإذا صلب الإله كيف يكون شأن الخلق،

وكيف لم يستطع الإله أن يخلص نفسه من بين أيديهم أو ينقذ ولده من تنكيلهم واجرامهم!!؟

أعباد المسيح لنا سؤال نروم جوابه ممن وعاه
إذا صلب الإله بفعل عبد يهودي فما هذا الإله؟

فما هي العقيدة الصحيحة في سيدنا عيسى؟ الحقيقة هي ما قررها القرآن الكريم وهو أنه رسول بعثه الله إلى بني إسرائيل بالهدى والبينات وأمه الصديقة الطاهرة البتول التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين: ﴿كَانَ يَأْكُلُ

الطَّعَامُ﴾ المائدة: ٧٥

انظروا إلى هذا الأدب الرفيع، إن الله ليشير إلى أن الذي يأكل ويشرب محتاج، والإله ليس بمحتاج، والذي يتناول الطعام يحتاج إلى إخراج الفضلات، يحتاج إلى التغوط، وأن يدخل بيت الخلاء، فكيف يليق هذا بالإله أو بابن الإله؟ كيف يكون سيدنا عيسى إلهاً مع أنه خرج من رحم امرأة، وولد كبقية الناس، ولذلك رد القرآن الكريم عليهم باطلهم وضلالهم وبيّن كفرهم، فقال جل ثناؤه:

﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ١٧١

وعلى الموجة الإيمانية من سورة المائدة قال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ٧٢

لذلك اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول: «ما يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار» (م).

ولأجل ذلك يقول عليه الصلاة والسلام «ينزل فيكم عيسى بن مريم إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً أربعين سنة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» (ق).

وسيحكم بشريعة القرآن فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، فهنيئاً لكم معشر المسلمين ويا أمة محمد ﷺ، هنيئاً يا من جنتم لتجددوا العهد مع الله وتقولوا لا إله إلا الله، كلكم ما أتى إلا ليوحد الله، ما الذي جاء بكم، اسمعوني بربكم، وارفعوا أصواتكم، وجددوا إيمانكم وقولوا لا إله إلا الله يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ «من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله؟» فقال ﷺ: «إن أحق الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو

قل: «نفسه» ويقول مولانا ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، وقل ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



- العلم -

- ١ -

الحمد لله الواحد في ذاته وأفعاله وصفاته، الماجد في حلى آياته، المعروف بالقدم والبقاء قبل إيجاد مخلوقاته. الموصوف بكبرياء ردائه وعظمة إزاره، أشكره على جزيل هباته، وأستغفره وأتوب إليه وأسأله أن لا يقطع عنا عوائد صلاته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي هو أفضل مخلوقاته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا بشريعته، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فإننا تحدثنا حتى الآن حول نوعين من الصفات الإلهية، وهي الصفات النفسية والسلبية، ونحن نسير مع منظومة التوحيد التي نظمها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى: ووصلنا إلى الصفات المعاني:

وواجب لربنا المنان سبع صفاتٍ سُميت معاني
علمُ إرادةٍ وقدره بَصَرُ سَمْعُ كلامٍ وحياةٍ تعَبَّرُ

وسميت هذه الصفات بالمعاني لأن لها معنى، لأنها تدل على معنى قائم بذاته تعالى، وهذه الصفات صفات قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى، بحيث لو

كشف عنا الحجاب لرأيناها قائمة بذات الله تعالى، أي أنه متصف بها ومتحقق وجودها به. من هذه الصفات: صفة العلم.

أي أن مولانا محيط بكل الأشياء دون سبق خفاء، أحاط بكل شيء علماً، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان سواء منها المعلومات الماضية أم الحاضرة أم المستقبل، لم يسبق علمه جهل، ولا يعتريه نسيان، وعلمه بالكلية كعلمه بالجزئيات، اسمعه يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)

فمولانا يعلم كل شيء جملة وتفصيلاً كلاً وجزءاً، يعلم الواجبات والمستحيلات والممكنات (أي المخلوقات)، ولهذا كرر مولانا في كتابه الكريم أدلة علمه فقال:

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨)

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: ٣)

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨)

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩)

فإذا عظمت في عقل العبد هذه الإحاطة فليرجع إلى قول مولانا ﴿مَا

خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٨) ما

خلق جميع المخلوقات من قبل آدم إلى يوم القيامة بالنسبة إلى قدرته إلا

كنسبة خلق نفس واحدة، الجميع هين عليه، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

﴿ القمر: ٥٠ ﴾ واسمعوا إلى عظمة مولانا عز وجل، ليسمع الملحدون، لتسمع الدنيا كلها، إن مولانا يقول:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ الزمر: ٦٧ ﴾

فأعلمنا مولانا عن عظمته بتقليل الكون، حيث شبهه بقبضة يتصرف فيها قابضها من بون مشقة ولا عناء، قبضاً هو أعلم به ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى: ١١

وإنما أثبت علماء العقيدة لمولانا صفة العلم لتنفي عنه الجهل، لأنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً، والجهل عجز، والجاهل لا يصح أن يريد شيئاً، وأما مولانا فإنه عالم الغيب والشهادة قال عن ذاته العلية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ﴿ هود: ١٠٧ ﴾ وأما نحن فنوصف بالمعرفة والعلم، يعني لا يصح أن أقول (الله عارف ذلك)، بل نصفه بالعلم، وأما نحن فنوصف بالمعرفة والعلم، لم ؟ لأن المعرفة يسبقها جهل، وأما العلم فلا يسبقه جهل في حق ذاته عز وجل، وأما نحن فقد سبقنا جهل، بل نحن كلما ازددنا علماً ازددنا علماً بجهلنا، وأنا أسأل هذا السؤال: ما مدى العلم الذي تبلغه عقولنا أو حواسنا؟

إن مثلنا مع الموجودات وعلمنا بها كمثل رجل سجنه حاكم في برج القلعة، وسد عليه الأبواب والنوافذ، ولم يترك له إلا شقوقاً في جدار البرج، شقاً يطل منه على النهر الذي يجري في الشرق، وشقاً على الجبل الذي يقوم في الغرب، وشقاً على القفر الذي يجثم في الشمال، وشقاً على الملعب الذي يقع في الجنوب.

السجين هو النفس، والقلعة الجسد، وهذه الشقوق هي الحواس، حس النظر يشرف على عالم الألوان، وحس السمع على عالم الأصوات، وحس الذوق على عالم الطعوم، وحس الشم على عالم الروائح، وحس اللمس على عالم الأجسام.

والسؤال الآن: هل أعلم وأدرك بكل حاسة من هذه الحواس كل ما في العالم الذي أشرف عليه، السجين عندما ينظر من شق النهر، لا يرى النهر كله، ولكن جزءاً منه، وكذلك العين حين تشرف على عالم الألوان، لا تراه كله بل ترى بعضه، السمع لا يسمع كل شيء، لا أسمع للمحسوسات صوتاً، لأن أذني تلتقط الهزات من خمس إلى عشرين ألفاً فإن نقص لا تسمعه وما زاد تسمعه طبلة الأذن. وأنا لا أشم رائحة السكر مع أن النملة والذباب يشمه ويسرع إليه، إذاً الحواس لا تدرك في العوالم التي سلطت عليها إلا جزءاً منها، لذا اسمع إلى مولانا يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ البقرة: ٢٥٥

وقد ورد في الحديث الشريف عن سيدنا رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِيَّ حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِيَّ فَمَا سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا عَلَّمْتُهُ فَأُورِثَنِي اللَّهَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» (ابن أبي شيبه: حسن).

واختص مولانا ذاته بعلم لم يطلع أحد عليه، هي من مفاتيح الغيب منها قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقن: ٣٤ وكذا اختص ذاته بحقيقة الروح ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥ ولخص بتفصيل بدء الخلق ﴿ مَا

أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾
 الكهف: ٥١ ويتفصيل النشأة الأخرى ﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ الواقعة:
 ٦١ وبنوده جل وعلا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ ﴿٣١﴾
 المنثر: ٣١ اسمعه يقول لك ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿٣١﴾ إِلَّا مَنْ
 أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿ الجن: ٢٦ - ٢٧

أيها الإخوة الكرام

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك، إلى ما قبل ألفين وخمسمئة عام وأرى
 سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقف خطيباً في بني إسرائيل .
 فيما يرويه البخاري . وبكت العيون لكلامه، ورقت القلوب لعظاته، حتى إذا
 ولى أدركه رجل فقال: أيا رسول الله، من أعلم أهل الأرض؟ فنظر سيدنا
 موسى، ثم قال: أنا. فأوحى إليه مولانا ﷺ واسمعوا هذا الكلام بين مولانا
 وكليمه فقد كلم الله موسى تكليماً، وأوحى الله إليه:
 يا موسى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعتني وجعلت فيك عشرة
 آلاف لسان حتى كلمتني وأحب ما تكون إلي وأقرب ما تكون إلي إذا صليت
 على حبيبي محمد . (وهب بن منبه).

قال: أي رب أي عبادك أقضى، قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى،
 قال أي رب أي عبادك أعلم؟ قال. الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن
 يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى، قال: أي رب هل في أرضك
 أعلم مني؟ قال: نعم، قال: فمن هو؟ قال: الخضر (سمي الخضر لأنه جلس
 على حشيش يابس فإذا هو يهتز من تحته أخضر بإذنه تعالى والناس فيه
 فريقان: فريق يقول بحياته وأنه حي إلى يوم القيامة ومنهم سيدنا الإمام النووي

وابن الصلاح، ومنهم من يقول بموته وكل منهم له دليل والله أعلم به).، فاستأذن الله تعالى أن يذهب إليه ليتعلم منه، فأذن له، فقال له: اجعل لي علامة، فقال: خذ حوتاً (سمكة كبيرة) في مكنل فإذا فقدته فهو هناك.

وسار مع فتاه يوشع بن نون وأوصاه حين يفقد الحوت أن يخبره.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ الكهف: ٦١ أوى سيدنا موسى لينام وبقي يوشع يحرسه فإذا بالحوت يخرج من الوعاء ويسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر، فلما استيقظ نسي يوشع أن يخبره عن الحوت فانطلقا بقية يومهما، ﴿

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي غَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ الكهف: ٦٢ فكان الحوت سبباً ولموسى وفتاه عجباً، قال: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً، حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال سيدنا الخضر: وأنى بأرضك السلام، من أنت؟ فقال: أنا موسى، فقال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم ﴿

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف: ٦٦ ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، يعني أنت نبي في علم الشريعة، وأنا نبي في علم الحقيقة، بحران: بحر في علم الشريعة، وبحر في علم الحقيقة، فقال سيدنا موسى ﴿

قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ الكهف: ٦٩، قال له سيدنا الخضر (والراجح أنه نبي، لأنه لا يعلم نبياً إلا نبي)، ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف: ٧٠

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير أجر، فلما ركبا في السفينة إذا بالخضر يقلع

لوحاً من ألواح السفينة، بالقدوم، فقال موسى: قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ الكهف: ٧١ (منكراً)، قال سيدنا الخضر: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ الكهف: ٧٢ - ٧٣ فكانت الأولى من موسى نسياناً، وهنا . أيها الإخوة . جاء عصفور فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقر هذا العصفور في البحر.

أيها الإخوة:

أتابع معكم هذا الحدث الهام على الموجة الإيمانية من سورة الكهف من جامع الدرويشية، لأن سيدنا الخضر راح يثبت في مراحل سيرهما أن العبد مهما بلغ من العلم فإن أموراً كثيرة لا تحصي يجهلها، ظهر هذا في اعتراض سيدنا موسى على قتل الغلام وعلى رفع الخضر الجدار للفلاحين، وتذكروا: «ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا مثل ما نقص العصفور من هذا البحر» (خ).

إن مولانا أحاط بكل شيء علماً من الجزئيات والكلديات والموجودات والمعدومات والممكنات ومنها (المخلوقات) والمستحيلات، ولا يكفي أن تنفي الجهل عنه، فإن نفي الجهل لا يكون صفة مدح، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم لا بنفي الجهل، وعلينا أن نثبت ما أثبتته الله تعالى لنفسه وننفي ما نفاه ونمسك عما أمسك عنه، اسمعه يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ البقرة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١١﴾ غافر: ١٩ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ المائدة: ٩٧ انظروا إلى هذا الكون:

خلقه بحكمته المتقنة، الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وإحكام وإتقان وذلك لا يحصل إلا للعالم بها وهو الله.

وقد قام رجل إلى ابن الشجري وهو على كرسي الوعظ فقرأ قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) الرحمن: ٢٩ فوقف على رأسه رجل وقال يا هذا: مايفعل ربك الآن؟، فسكت، وبات مهموماً فرأى المصطفى في المنام وذكر له ذلك وسأله فقال له: إن السائل هو الخضر، وأنه سيعود فقل له: «شؤون يديها ولا يبتديها، (أحوال يظهرها ولا يستأنفها علماً)، يخفض أقواماً ويرفع آخرين» فمضى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) كل وقت هو في أمرٍ على وفق علمه وإرادته أولاً، فأصبح مسروراً، وما أن جلس على كرسي وعظه حتى أتاه سيدنا الخضر وأعاد عليه السؤال: ما تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ما يفعل ربك الآن؟ فقال ابن الشجري:

. شؤون يديها ولا يبتديها يخفض أقواماً ويرفع آخرين. فقال له سيدنا الخضر: . صلّ على من علمك ﷺ .

فالله تعالى - أيها السادة ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦) إِلَّا مَنْ أَرَزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ ﴿الجن: ٢٦ - ٢٧

واسمحوا لي أن افصل في هذه الآية لأهميتها:

الغيب: هو الغائب، كل ما غاب عني فهو غيب، ولكنه يتناولُه غيرك بالمشاهدة، كالعلم بالدول والأقطار، والطبقات الأرضية والأجهزة الداخلية للإنسان والحيوان فهذا غيب بالنسبة لبعض دون بعض، وقد يُعلم الغائب عنه بسماع أخباره عن شاهدته.

والغيب ما غاب عن حس الناس جميعاً ولكنه يكون في متناول عقولهم إما بالتجربة أو بغيرها، مثلاً علم ما سيقع في الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف والشروق والغروب، ومنازل الشمس والقمر، المستنبطة من علم الفلك وقد قل في شأنها مولانا ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾

الأنعام: ٩٦ وقال ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالْجَنَابِ﴾ الإسراء: ١٢

وهناك مغيبات قد يعلمها الإنسان بالاستدلالات العقلية، كمثل علمنا بحياة الجنين بحركته في بطن أمه، أو نستدل على عقل الرجل بمنطقه، أو نستدل بالخلق على الخالق، فهذا من الغيب الذي يتناوله العلم، وأما الذي نحن في صدده فهو الغيب الذي يغيب عن الحواس والعقول معاً، وهذا هو المقصود ﴿

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ النمل: ٦٥ منها:

علم الساعة . وقت قيام القيامة . فهذا لا يعلم إلا عن طريق الوحي بل هناك علوم أطلقها الله تعالى لمن ارتضاه من رسول، الدليل:

قوله تعالى لنبيه الكريم ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ

الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الفتح: ٢٧

٢- ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾

الروم: ٢ - ٣

٣- حبيبنا سيدنا رسول الله في ليلة بدر ماذا فعل، كان يشير إلى أرض المعركة ويقول: « هنا مصرع فلان بن فلان غداً، وهنا مصرع فلان غداً، ويضع يده على الأرض » يقول الراوي في صحيح مسلم: فوالله ما جاوز واحد منهم موضع يد رسول الله ﷺ (م).

أريد أن أنبه أيها الإخوة، فأقول: حين نستعمل كلمة العلم هنا إنما أريد العلم بمعناه الصحيح، وهو الذي لا يتطرق إليه شك ولا خطأ، هذا هو المحجوب عن الخلق، أما ظن الغيب فليس محجوراً على أحد، يعني من باب الفراسة الصادقة، أليس قد ورد (ض): « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

ولهذا نسمع علماء الطبيعة تحدثنا عن العواصف والأمطار قبل وقوعها بيوم أو بيومين استناداً إلى الأرصاد الجوية، وتتنبأت علماء الفراسة، وغيرهم عما يجيء به المستقبل، وكذلك أقوال علماء الطب عما في الأرحام المعلقة قبل تحرك الجنين وإلهامات الصالحين بأمر ما من الأمور .

وهذا كله يخطئ ويصيب لأنه مبني على التقوى وشدة الإيمان إنما ليس من العلم الجازم المطابق في شيء، وإذا أخطأنا في تقديرنا وجدنا أنفسنا نقول: وتقدرن وتضحك الأقدار .

أيها السادة تذكروا (وتقدرون وتضحك الأقدار) واحفظوا هذه الصفة:

« **الله عالم الغيب** » .

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى



- الإرادة -

- V -

الحمد لله سهل ما صعب من الأمور الكائنات، فاتح فاتحة الفتوح
الميسرات، المتقدس عن الحدث والنقصان والآفات، المستحق لكمال النعوت
والصفات، المسبّح بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات،
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه السابغات، حمداً دائماً على ممر
الأوقات والساعات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والشبهات.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآباء والأمهات،
وابتعثه بالمعجزات البالغات، والآيات والحُجج الواضحات، وختم به النبوة
والرسالات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل
الصلوات، وسلم تسليمًا.
أما بعد:

وواجب لرَبِّنا المَنَّانِ سَبْعُ صِفَاتٍ سُمِّيَتْ معاني
عِلْمُ إِرَادَةٍ وَقُدْرَةٌ بَصَرٌ سَمْعٌ كَلَامٌ وَحَيَاةٌ تَعْتَبِرُ

أيها الإخوة الكرام

أقف اليوم بينكم مع الدرس السابع من القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية لنقف في محراب العقيدة، لنقف بين يدي الواحد الأحد لنتابع
الحديث عن صفات المعاني الإلهية العظمى.

فقد مر معنا أن مولانا عز وجل يحيط بكل شيء علماً، وأن معلوماته وعلمه ليس له حد ولا عد ولا حصر، فإذا أراد مولانا أن يبرز معلومة من هذه المعلومات القديمة إلى حيز الوجود خصصها أولاً بالصفات التي تكون عليها في عالم الحس، والتخصيص عمل صفة الإرادة.

مثلاً أعددنا كان في علم الله تعالى قبل أن يوجد فلما أراد الله تعالى أن يبرز عبده إلى الوجود خصصته إرادته بصفاته التي سيوجد عليها، مثلاً عيون زرق أو سود، طويل أو قصير، حسن أو قبيح، عالم أو جاهل، لون بشرته بيضاء أو سمراء، هيئته نحيف أو سمين، الزمن الذي سيخلق فيه والمكان الذي سيولد فيه، هذا كله عمل الإرادة، يختار له مولانا الصفات التي سيخلقها عليها، وهذا الاختيار والتخصيص عمل صفة الإرادة.

ومن فضل الله علينا ورحمته بمخلوقاته لم يجعل مولانا فينا نقائص أو متضادات في وقت واحد، في موجود واحد دفعة واحدة، فلم يجمع فيه مولانا البياض والسواد معاً والطول والقصر معاً، والوجود والعدم، يعني يبرزه مولانا إلى الوجود بصورة واحدة متناسقة جميلة اسمع إلى الله يقول لك: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)

وإذا أراد الله إبراز مخلوق فيه المتضادات غيَّب عنا واحدة وأظهر لنا واحدة، مخلوق فيه متضادات؟ نعم، كسيدنا جبريل عليه السلام، فهو جسم نوراني، ملك، صورته الملكية لا يراها إلا الخواص كالأنبياء والرسل، وحين يريد مولانا أن يجعلهم على صورة الآدميين ماذا يفعل؟، يغيب صورته الملكية، ويظهره بأبهى منظر.

أيها الإخوة الكرام: اسمحوا لي أن أطير بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيد الخلق وحبيب الحق أستاذ الإنسانية الأكبر

وقائد المسلمين الأعظم وصاحب الرسالة العصماء سيدنا ومولانا محمد، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وأرى الحبيب الأعظم يجلس مع كوكبة من أصحابه فيهم سيدنا عمر بن الخطاب، إذ دخل عليهم رجل (ق)، اسمعوا وصفه على لسان عملاق الإسلام الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، زاد أبو هريرة: أحسن الناس وجهاً، وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسه دنس.

أسمعتكم هذا الوصف، وراح هذا الرجل يسأل النبي الكريم ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟ وكلما أجاب النبي جواباً قال له الرجل: صدقت، حتى قال الصحابة: فعجبنا له يسأله ويصدق، فلما ولى، قال لهم النبي الكريم: « **أعرفتم من السائل؟** » قال الصحابة: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: « **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » .

الشاهد من الكلام أن مولانا غيب عنا ملكية جبريل، وأظهره بشكل الآدميين، حتى لا يظهر بمتضادين ملكي وآدمي، ولهذا جمّله بحسن المنظر ولم يزرى بملابسه، وهذا ليس تكبراً والعياذ بالله، بل فيه إشارة لأهل العلم الداعين إلى الله أن يتجملوا من الحلال الطيب، فذلك أدنى إلى توقير الناس لهم وميلهم إلى اتباعهم، وهو مع ذلك من شكر النعمة، فإنه تعالى إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثر نعمته، والعناية بنظافة الثياب وجمالها ليس من التكبر، لأن الإمام مسلماً يروي عن ابن مسعود عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال:

« **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر**، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال**، **الكبر بطن الحق وغمط الناس** » .

بل يجب على كل مسلم أن يتزين لحضور مجالس العبادة والعلم، قال

تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف: ٣١

أيها الإخوة الكرام:

وبعد أن ثبت لدينا أن مولانا يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته

وحكمته، وهذا أمر يسير جداً على مولانا لأنه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

القصص: ٦٨ وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل: ٤٠

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج: ٦٦ فاعل مختار لا يكرهه أحد على فعل

شيء، كل شيء ينشأ عن إرادته دون تغيير ولا تبديل، تصوروا إلهاً ليس

مريداً ماذا يكون؟ يكون مكرهاً، ولو كان مكرهاً لكان عاجزاً، وكونه عاجزاً

محال، لأنه هو الذي قال لنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٠

أيضاً: لولا صفة الإرادة القائمة بذاته تعالى، احزروا ماذا كان؟ الإرادة

تخصص الصفات والأمكنة والأزمنة والوجود والعدم والجهات وغيرها، لولا

صفة الإرادة ماذا كان؟

لكننا نحن جميعاً وجوهنا مثل بعض، وجهاً واحداً، وأطواننا طولاً واحداً،

وأحجامنا حجماً واحداً وألواننا لوناً واحداً، وولادتنا في وقت واحد، بل وفي

مكان واحد، ولولا الله في إرادته لجاءت كل بصماتنا نسخة واحدة، هذا هو

فضل الله ورحمته بنا.

خصص الأشياء التي يمكن أن توجد (خصصها) أولاً بما ستكون عليه،

واختار لها بعض ما يجوز عليها، حسب ما هو موجود في علمه سبحانه.

ويجب أن نعلم أن هذه الإرادة لمولانا إرادة واحدة محيطية بجميع مراداته

على وفق علمه بها، فما علم منها مولانا أنه يكون أراد كونه، خيراً كان أو

شراً، وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون، ولا يحدث شيء في العالم لا يريده الله تعالى وهذا هو معنى (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن).

أيها الإخوة الكرام:

مازلنا في عصر الحبيب الأعظم وعصر الصحابة الأجلاء، وأنتقل بكم بالذات إلى صحابي جليل له فضل على أهل الشام هو سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه فقد قدم إلى الشام ليعلمنا ديننا، وها هو في المسجد يصلي، وإذا ببعض الناس يأتون عليه ويعزونه ويطيّبون خاطره، فقال لهم: ما الذي حدث؟ فقالوا: السوق احترق وبيتك في وسط السوق!!.

فقال: لكن بيتي لم يحترق، قالوا: وكيف ودارك وسط السوق؟ قال لهم: إن داري لم تحترق. وما أن خمدت النار في السوق، ودخلوا السوق إذا ببيت أبي الدرداء لم يمسه سوء، وجأؤوا إليه وسألوه عن ذلك، فقال لهم: علمني حبيبي رسول الله كلمات من قرأهن صباحاً لم يضره شيء حتى يمسي، وإذا قرأهن مساءً لم يضره شيء حتى يصبح، فطلبوا منه الكلمات فقال لهم:

« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم » (ض).

احفظوا وصية رسول الله ﷺ ولا تتركوها صباحاً ولا مساءً، واعلموا أن مولانا بيده مقاليد كل شيء، لا يحدث شيء في هذا الوجود إلا بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومرة أتى سيدنا النبي ﷺ يهوديٍّ وراح يسأله عن المشيئة، فقال له المعلم الأول ﷺ : المشيئة لله تعالى. قال اليهودي: فإني أشاء أن أقوم. قال: قد شاء الله أن تقوم. قال: فإني

أشياء أن أقعد، فقال: فقد شاء الله أن تقعد. قال: فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة، قال: فقد شاء الله أن تقطعها. قال: فإني أشاء أن أتركها، قال: فقد شاء الله أن تتركها.

وسرعان ما أتى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء فقال للحبيب الأعظم: لقت حجتك كما لقتها إبراهيم، وقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٥ قطعتموها أو تركتموها: فعلتم خيراً أو شراً فهو من الله، إن أراد الله حدوث شيء أحدثه، ونحن من ناحية الأدب لا ننسب الشر إلى الله تعالى: وفي كتاب الله أدلة كثيرة على ذلك، فعلى الموجة الإيمانية من سورة الجن قالت الجن: ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ الجن: ١٠ فحين ذكروا الشر بنو الفعل للمجهول تحاشياً أن يقولوا: أشراً أراد الله بمن في الأرض، وحين ذكروا الرشد والهدى أسندوه إلى الله تعالى.

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الكهف في قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر حين أعاب السفينة قال لسيدنا موسى: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ الكهف: ٧٩ ، نسب العيب إليه، مع أنه قال في نهاية الأجوبة الثلاثة:

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ الكهف: ٨٢ هذا كله لأب، لذلك عليك حين تتناول الأمور الخسيسة أن تتأدب مع الله تعالى، واسمع إلى قول سيدنا إبراهيم الخليل يقول: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٨٠) الشعراء: ٧٨ - ٨٠ مع أن الممرض والشافى هو الله تعالى، ولكنه يعلمنا الأدب مع الله، وهذا لا يقال إلا في مقام التعليم.

أيها الإخوة الكرام:

ثبت لدينا أن لمولانا صفة الإرادة، وأن كل ما يحدث في هذا الوجود من أمور وحوادث صغيرة أو كبيرة داخل ضمن الإرادة الإلهية، ولا يخرج عن إرادته شيء، فتعالوا بنا نستعرض بعض هذه الأمور:

في أمر الهداية: يقول عز وجل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ الحج: ١٦
من يريد الله له الهداية يهديه ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿الأنعام: ١٢٥﴾
في أمر العادة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿البقرة: ١٨٥﴾
ف الله يريد أن يكلف خلقه بما يطيقون ولا يكلفهم بالعسير من العبادات،
اسمعه يقول لك: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمُ﴾ النساء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ المائدة: ٦

في شأن الحكم: يقول عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١﴾ المائدة: ١
في أمر النصح للعباد، لا ينتفع العباد بالنصح والوعظ إلا إذا شاء الله تعالى ذلك، اسمعه يقول على لسانه نبيه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمُ﴾ نصحي إن أردت أن أنصح
لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴿هود: ٣٤﴾

واسمعه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَأَعْلَمْتُ أَنِّي يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بَعْضَ ذُنُوبِهِمْ﴾ المائدة: ٤٩ ﴿قُلْ﴾
إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿الن: ٢١﴾

لذلك حينما أعرض من أعرض من كفار قريش عن الإسلام ورفضوا الدخول فيه أنزل مولانا على نبيه تعزية حارة، اسمعوا نص التعزية كما نزل:

﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يُضْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧٦) آل عمران: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ

لَهُ ﴾ الرعد: ١١

أيها الإخوة الكرام:

تعالوا بنا نشهد النصيحة الغالية العظيمة في العقيدة، التي نصحتها سيد
الموحدين سيدنا محمد ﷺ لابن عمه سيدنا عبد الله بن عباس، فأين أنت
يا حبيب الله؟

إن الحبيب الأعظم راكب على ناقته وخلفه عبد الله بن عباس، اسمعوا
الدرر، اسمعوا أغلى من اللؤلؤ والجوهر، قال له:

**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت
فاستعن بالله، (اسمعوا الشاهد من الحديث).**

**«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد
كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه
الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».**

وما أن ذكرت هذا الحديث حتى قام بعض تلامذتي الأذكياء فقال:
يا سيدي إذا لا اختيار للعبد ولا إرادة له؟ إذا كان لا يحدث شيء في هذا
الوجود إلا بإرادة الله جل جلاله فما هو دور العبد، إذا كان الله هو الذي يوجه
إرادة العبد إلى الشيء أو ضده فلماذا الجنة أو النار؟

وللإجابة عن هذا الكم الهائل من المعاني أَدْعِمُ أولاً لتملؤوا قلوبكم بتوحيد
الله تعالى، ثم أقول: للعبد ميل وهم وعزم وفعل وإرادة ووجدان وفكر:

والوجدان: هو شعور الميل نحو الفعل أو كراهيته، وهذا بيد مولاك، اسمعوه
يقول لكم:

﴿ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ (شعور الميل) إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ (شعور الكراهية)

إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ الحجرات: ٧

وأما الفكر الذي يدرك به الحقائق على وجهها فهو بيد الله تعالى، فهو الذي يوجهك إليه، اسمعوا:

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ الأنفل: ٢٤ وقال: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٧ وأما

إرادتك فمقيدة، لا تريد حتى يريد الله تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ٣٠ ﴿

الإنسان: ٣٠ ومرة قدم كفار قريش إلى النبي ﷺ فقالوا: سمعنا آية نزلت

عليك، قال: ما هي؟، قالوا: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٢٧ ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ ٢٨ ﴿

التكوير: ٢٧ - ٢٨. قال: نعم صحيح.

فقالوا: لو شئنا استقمنا أو شئنا لم نستقم. فإذا بكبير أمناء وحي السماء ينزل على نبينا الأعظم على وجه السرعة يطوي السموات العلا ينزل بقوله

تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٢٩ ﴿ التكوير: ٢٩

هذا هو الجواب، إن الإنسان وإن كان مختاراً لفعله كان هذا الاختيار ليس داخلاً تحت قدرته بل الله يسيّره بهذا الاختيار إلى ما أَرَادَهُ مِنْهُ، أصغوا إلي بأسماع أفهامكم، أعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية:

العبد ذو إرادة يتوجه بها إلى الفعل (يهم ويعزم)، وذو قدرة يباشره بها، ومولانا يريد منه ذلك الفعل ويباشره بقدرته، لكن مع التفاوت في نوع المباشرة، قدرة مولانا تباشره إحداثاً وإيجاداً، وقدرة العبد تباشره تتولاً عن يد القدرة الإلهية، غير أن إحداث الرب له ومناولته كقدرة العبد مربوط بشيء من قِبَلِ

العبد وهو عزمه المصمم على الفعل، فلا يحصل هذا الفعل بدون أن يسبقه العزم، ولهذا يثاب العبد على الفعل أو يعاقب عليه.

وعلى كل حال:

إذا رأيت الله تعالى قد أقامك على عبادته وطاعته فعليك أن تحمد الله تعالى، وإذا رأيت أنه قد أقامك على غير ذلك فعليك أن تتوب وتستغفره عسى أن ينقلك من ذل المعصية إلى عز الطاعة، ومن ديوان العصاة إلى ديوان الطائعين.

أيها الإخوة:

وفي أحد الدروس الإيمانية قام تلميذ آخر فقال لي: يا سيدي هناك أمر عجيب في قصة سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، قلت: ما هو، فقال: مولانا عز وجل أمر سيدنا الخليل في المنام أن يذبح ولده، قلت: نعم، هذا لاشك فيه لأن رؤيا الأنبياء حق على المعتمد، فقال التلميذ: لكن هذا الأمر الإلهي لم يقع، وسيدنا إسماعيل لم يذبح، والله فداه بذبح عظيم، فكيف ذلك؟

هل سمعتم مثل نكاء هذا الطالب، مولانا أمر بذبح إسماعيل، ولم يرد أن يذبح، فكيف أمر ولم يُرد؟ للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نملاً قلوبنا بتوحيد الله تعالى.

انظروا . أيها الإخوة . هناك : إرادة . وأمر . ورضا ، وليس بينها تلازم ، كيف ؟ في هذا الحدث الإيماني نجد أن مولانا أمر ولم يُرد ، يعني يأمر ولا يريد ، أمر بذبح إسماعيل ولم يرد أن يذبح فلم يذبح ، إذن : الأمر شيء ، والإرادة شيء .

وقد يأمر ويريد: أمر الرسل والأنبياء والملائكة والمؤمنين بالإيمان، وأراده منهم فآمنوا.

وقد يأمر ولا يريد: أمر الكفار بالإيمان ولم يردده منهم فلم يقع.
وقد يريد ولا يأمر كالكفر مِمَّنْ علم الله عدم إيمانهم وكالمعاصي فإنه أرادها مولانا ولم يأمر به، يريد المعاصي من الخلق العصاة، ولا يأمرهم بها، لأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ولأنه ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ النحل: ٩٠ وهذا نقوله حتى لا يدعي أحد أن شيئاً يخرج عن ملك الله وإرادته.

واليكم هذا المشهد التطبيقي الذي حدث للإمام الاسفراييني، أحد أعلام التوحيد في زمنه، وقد دخل على الخليفة فرأى معتزلياً جالساً بحضرته وما أن جلس حتى قال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال إمام أهل السنة: سبحان الذي لا يجري في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أفيريد ربنا أن يُعصى. فقال الإمام: أفيعصى ربنا كرهاً؟ فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالزّدى أحسن إليّ أم أساء؟ فقال الإمام: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء.

وهكذا . أيها الإخوة الكرام - نرى رأي العين أن العبد تحت إرادة الله وقهره وسلطانه وجبروته، وهو الذي أنزل على نبيه ومصطفاه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ

شَيْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨ ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ القصص: ٦٨ ولهذا أمرنا مولانا إذا أردنا أن نقول أيّ شيء أن نتبعه بقولنا: إن شاء الله.

ومرة الحبيب الأعظم جاءه مجموعة من كفار قريش يسألونه عن فتية أهل الكهف وعن الروح وعن ذي القرنين، فقال لهم: « أجيبكم غداً » . ولم يقل:

(إن شاء الله تعالى)، فمكث الوحي عنه خمسة عشر يوماً، ثم نزل عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ﴾ (٣٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿الكهف: ٢٣ - ٢٤﴾

وكل من لا يؤمن بهذا فهو قدرى كذاب، لأن القدرى يقول الإرادة إرادتي، والقدرة قدرتي، والله لا يعلم ما أفعل إلا بعد أن أفعل، وهؤلاء كفار بلا خلاف. وفي عهد الملك هشام بن عبد الملك أحضر إليه رجل قدرى وقال له: قد كثر كلام الناس فيك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أدع من شئت فيجادلني فإن أدركت علي بسببٍ فلقد أمكنتك من علاوتي (رأسي). فقال هشام: قد أنصفت.

فبعث هشام بن عبد الملك إلى الإمام الأوزاعي، فلما حضر الإمام الأوزاعي قال هشام: يا أبا عمرو ناظر لنا هذا القدرى. الآن. أيها الإخوة. المناظرة بين الإمام الأوزاعي الذي يقول (إن الله يفعل ما يشاء وليس للعبد مشيئة إلا بما شاء الله) وبين قدرى ومدعي (أنه هو الذي يشاء).

قال له الإمام الأوزاعي: اختر إن شئت. ثلاث كلمات، وإن شئت أربع كلمات، وإن شئت واحدة. فقال له القدرى: بل ثلاث كلمات.

فقال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل: هل قضى على ما نهى؟ فقال القدرى: ليس عندي في هذا شيء، فقال الأوزاعي: هذه واحدة. ثم قال الأوزاعي، أخبرني عن الله تعالى هل حال دون ما أمر؟ فقال القدرى هذه أشد من الأولى ما عندي في هذا شيء؟ فقال الأوزاعي: هذه اثنتان يا أمير المؤمنين.

فقال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل هل أعان على ما حرم؟
فقال القديري: هذه أشد من الأولى والثانية، ما عندي في هذا شيء.
فقال الإمام الأوزاعي: يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات، فأمر الخليفة هشام فضربت عنق القديري.

فقال الخليفة هشام بن عبد الملك للإمام الأوزاعي: فسر لنا هذه الكلمات ما هي؟
قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما تعلم أن الله تعالى قضى على ما نهى،
نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بأكلها فأكلها، وأن الله تعالى
حال دون ما أمر، أمر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود، وأن
الله تعالى أعان على ما حرم، حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ثم أعان
عليه بالاضطرار إليه ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٣ فقال هشام بن عبد الملك: فأخبرني عن الواحدة
ما كنت تقول له؟ قال كنت أقول له:

. أخبرني عن مشيئتك دون مشيئة الله عز وجل، فبأيهما أجاب حل ضرب
عنقه.

- قال فأخبرني عن الأربع الكلمات ما هن؟ قال كنت أقول له:
١. أخبرني عن الله عز وجل حيث خلقك، خلقك كما شاء أو كما شئت فإنه
يقول: كما شاء.
 - ٢- أخبرني عن الله عز وجل حيث يرزقك كيف شاء أو كما شئت فإنه
يقول: كما شاء.
 - ٣- أخبرني عن الله عز وجل حيث يتوفاك إذا شئت أو إذا شاء فإنه كان
يقول: إذا شاء.

٤- أخبرني عن الله عز وجل حيث توفاك أين تصير حيث شئت أو حيث شاء فإنه يقول: حيث شاء.

قال الإمام الأوزاعي:

يا أمير المؤمنين: من لم يتمكن أن يُحسِّن خلقه ولا يزيد في رزقه، ولا يؤخر في أجله، ولا يصير نفسه حيث شاء، فأى شيء في يده من المشيئة يا أمير المؤمنين.

أيها الإخوة الكرام:

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها.

الإرادة صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها مولانا الممكنات ببعض ما يجوز عليها على وفق علمه تعالى، فما هي صفة القدرة، بأي صفة يوجد مولانا المخلوقات، ما هو الرد على من ينكر إيجاد الخلق بعد العدم؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة.

أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



تذكر عزيز الموحّد

الوجود: صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات الإلهية دون معنى زائدٍ عليها.

الصفات السلبية: صفات عدمية تنفي عن الله ما لا يليق

بكماله

الصفات المعاني: تدل على معنى قائم بذاته تعالى.

الصفات المعنوية: تعني قيام صفات المعاني بذات مولانا وأنها

غير مكتسبة والراجح أنها أسماء لمولانا عز وجل.

- القدرة -

- ٨ -

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال، ويكرمه وجوده تدرك الآمال، وعلى وفق مشيئته تتصرف الأفعال، وبإرادته تتغير الأحوال، وإليه المصير والمرجع

والمآل، سبحانه هو الباقي بلا زوال، المنزه عن الحلول والانتقال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أسبغ من الإنعام والإفضال حمداً لا توازنه الجبال ملء السموات والأرض وعلى كل حال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم لا بيع فيه ولا خِلال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سني الخصال الذي قال (د): « من قال: **رضيت بـ الله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وجبت له الجنة** » وفي رواية م: « **حين سمع المؤذن... غفر له ذنبه** » .

هذه العبارة المجملة جمعت عقيدتي التوحيد في طرفيها وأجملت سائر العقائد في وسطها، ونبهت على ركن مهم في الدين وهو الرضى والارتياح النفساني لهذه العقائد، لأنه بدون هذا الرضى لا يغني الاعتقاد شيئاً، لذلك لا جرم أن من رضي بهذه الصفات الثلاث صادقاً مخلصاً فيها كان جديراً أن يصدر له هذا الوعد العظيم منه ﷺ : وجبت له الجنة لذلك صلوا معي على هذا النبي الكريم.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال.

صلى الله عليه وعلى عترته الطيبين ما أفل كوكب وطلع هلال، وعلى آل سيدنا محمد وصحبه خير صحب وأكرم آل، وعلى تابعيهم وجميع الأولياء والأبدال، وعفا عن المقصرين من أمته أولي الكسل والملال، وحشرنا في زمرة متمسكين بشريعته وهديه بما ضرب من الأمثال، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فأريد منكم اليوم أن ترجعوا معي البصر كرة أخرى لننظر في موقع علم التوحيد من بين العلوم. هذا العلم تأتي أهميته من كون قضاياه متعلقة بمولانا عز وجل، وبالأَنْبياء والرسل، ولأجله أوجب العلماء على المكلفين من الأمة الإسلامية أن يتعلموا هذا العلم، نعم هو واجب على كل فرد بالغ عاقل سليم الحواس.

ولو كان ثقیلاً على النفس، ولا تتكروا وصفي للدين بأنه ثقیل، فإن الله سماه بذلك في القرآن قال: ﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ﴿المزمل: ٥﴾ وكل المعالي ثقیلات على النفس:

تَرْكُ التلمیذ للمفسدين والإقبال على الدرس ثقیل، وترك العالم مجلس تسليته والاشتغال بالقراءة والإقراء ثقیل، وترك النائم فراشه للنهوض إلى صلاة الفجر ثقیل، وهجر الرجل زوجه وولده ومشيه إلى الجهاد ثقیل، لذلك نجد الطالحين أكثر من الصالحين، والغافلين السادرين في الغي أكثر من الذاكرين السالكين سبيل الرشاد، ولولا أن القلة والندرة من صفات السمو والرفعة ما كان الألباس نادراً والفحم كثيراً موفوراً، ولا كان العباقرة والنابعون والأبطال المتميزون قلة في الناس.

إن الأنبياء ووراثهم من صالحی العلماء هم الدعاة إلى طريق الجنة، والشياطين وأعاونهم من الفاسدين المفسدين من الناس هم الدعاة إلى طريق النار، وقد جعل فينا (في داخلنا) أنصار لهؤلاء وأنصار لهؤلاء، في دواخلنا حزب مع هؤلاء الأنبياء، وحزب مع حزب الشياطين، فحزب الأنبياء يتمثل بالعقل وحزب الشياطين يتمثل بالنفس والهوى ومن يميل لهؤلاء فقد غوى. قال ﷺ: « ما منكم إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا

رسول الله قال: وإياي إلا أن الله مكنني منه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » .

تقولون ما العقل وما النفس؟ ولست أدعي أنني أضع لكل منهما حدوداً ظاهرة اليوم، وأميزها تمييزاً واضحاً فإن هذه الأمور لا تزال في ظلمات جهلنا بها، لم يستطع العلم أن يضيء جوانبها، كلنا يقول: (قلت لنفسي) (وقلت لعقلي)، فما أنت وما نفسك، وما نفسك وما عقلك؟ لم يتضح ذلك لنا بعد، فلست أكشف لكم اليوم المجهول، ولكن أذكر بمثال مشاهد معلوم؟

تكون نائماً في ليال الشتاء، متمتعاً بدفء الفراش، ولذة المنام فتسمع قرع المنبه يدعوك إلى الصلاة، فتحس صوتاً من داخلك يقول لك قم إلى الصلاة، فإذا جئت تقوم سمعت صوتاً آخر يقول لك نم قليلاً، فيعود الصوت الأول يقول: الصلاة خير من النوم، فيقول الثاني: نم، قم، نم، قم، هذا هو العقل وهذه هي النفس، وعلى مقدار ما يكون من انتصار العقل تكون قوة هذا الإيمان.

لهذا اسمعوا إلى قول مولانا الإمام الشافعي رحمته الله، يقول: العقل نور يقذفه الله في القلب يشع نوره إلى الدماغ.

ورب سائل يقول ما الذي دفع الشيخ ليتكلم بهذا الكلام اليوم؟ الحقيقة أنني وقعت في هذه الحيرة بين العقل والنفس، فإني حين افتتحت ملف التوحيد رأيت ثناءً واستحساناً من الناس قل نظيره، وما أن بدأت أغوص في هذا العلم الشريف لأستخرج درره ولآلئه، وبدأنا معاً ننهض بأنفسنا لنتعرف شيئاً فشيئاً على صفات مولانا حتى بدأت النفوس يصرعها شياطينها.

بعضهم قالوا لأنفسهم ما أعظم هذا الكلام، وبعضهم قال: هذا علم لا يخطب على المنابر، وبعضهم طلب مني أن أعود إلى التاريخ الذي انتهينا منه عن سيرة الخليفة الراشدي السابع سيدنا عمر بن عبد العزيز، أو السيرة النبوية، وبعضهم قال: استمر اسلك هذا الطريق ولا تحزن لقلّة السالكين.

وأصبحت في حيرة لا أحسد عليها، أكمل، قف، أكمل، قف، وانقسم السامعون قسمين:

قسم يحبون الطرق السهلة والبساتين والأشجار والأزهار والثمار وكل ما يلذ القلب ولو كان في نهايته هوة سحيقة فيها الموت المحقق والهلاك الأكيد. وقسم يحبون معالي الأمور وصفاتها، ولو كان طريقها وعراً وجبالها عالية وبحاراً وأشواك وحفرأ، لأنهم يعلمون أن في آخر هذا الطريق، رضا الله سبحانه والغاية التي يطلبونها.

ووقفت أنظر أي الطريقين أسلك، النفس تميل إلى السهل دون الصعب، اللذيذ دون المؤلم، ولكن العقل يتدخل ويوازن بين اللذة القصيرة الحاضرة يعقبها ألم طويل، وبين الألم العارض المؤقت لتكون بعده لذة باقية.

ولو رجعنا إلى الرعيل الأول من المؤمنين رأينا رجالاً لا يعدلون عن الإيمان إلى أي شيء آخر، لا يتركون التوحيد ولو قُطِّعوا أو شويت أجسامهم أو كويت بالحديد والنار.

أيها الإخوة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عصر هذه المرأة الصالحة زمن فرعون إلى ماشطة ابنة فرعون وهي تقوم بتمشيط شعر ابنة فرعون فسقط المشط من يدها فمدت يدها إليه، وقالت: بسم الله. فقالت ابنة فرعون: أتعنين أبي؟ فقالت: لا، بل ربي وربك ورب أبوك ورب السموات والأرض.

وعلى جناح السرعة كان التقرير على طاولة فرعون، من نقله إليه أي خبيث، الله أعلم، فأمر على جناح السرعة بإقامة محكمة عسكرية ميدانية، وأحضرت الماشطة موجودةً وسألها المتكبر المتبجح:

. من ربك؟ قالت: ربي وربك الله.

فأمهلها إلى الغد، وأعاد عليها السؤال: من ربك؟ فقالت: ربي وربك الله .
وهنا أمر فرعون بإحضار إناء من النحاس كبير فيه الماء المغلي وهو يقذف
بالزبد، وجيء بأولاد الماشطة، حتى بدأ بإلقاء أولادها الواحد تلو الواحد، وهو
يسألها: من ربك؟ فتقول: ربي وربك الله، هكذا دون نفاق أو خشية عذاب
فرعون، وإيمانها لا يتزحزح راسخ كالجبل الراسخ، وأولادها يُرمون أمامها في
الماء المغلي كغلي الحميم، حتى وصل الدور إلى صغير رضيع كانت تحمله
بين يديها، وهنا سألها فرعون: من ربك فترددت في الجواب فإذا بالقادر
المقتدر يُنطق الولد وينادي على أمه ويقول لها:

. تقدمي يا أمي ولا تتأخري فإننا في الجنة، قعي يا أمي ولا تقاعسي فإنك
على الحق.

من الذي أنطق الرضيع الصغير؟ أسمعوني، مَنْ الإله؟، من الواحد؟، من
الأحد؟، من القهار؟، من الجبار؟ من المجيب؟ إنه الله، وحدوا الله. أرايتم
عظمة التوحيد وقوة اليقين والإيمان ب الله.

وحين أراد أن يلقيها سألها: ما هي أمنيته الأخيرة. قالت: أن تجمع عظامي
وعظام أولادي فندفن معاً. أتعرفون هذه البقعة التي دفنت فيها الأم مع الأولاد؟
هذه البقعة مرَّ عليها الحبيب الأعظم ليلة الإسراء فشم رائحة طيبة أطيب من
ريح المسك، فسأل سفير الأنبياء ومستشار الرحلة المباركة جبريل الأمين، ما
هذه الرائحة؟ فقال جبريل: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها (صحيح).
إن من يدرس التوحيد يسمى موحداً، والموحد رائحته أطيب من ريح المسك،
فهل عرفت رائحتك عند الملاء الأعلى، وعند أصحاب الأنوف النظيفة؟.

وهذا أتعرفون ما مثاله:

مثاله التلميذ ليالي الامتحان يتألم حين يترك أهله عاكفين على المفسديون يشاهدون ما يسر ويمتع، ويفرد هو بكتبه ودفاتره فيجد بعد هذا الألم لذة النجاح.

ومثاله: المحمي، يصبر أياماً على ألم الحمية عن أطايب الطعام فينال بعدها سعادة الصحة. هذا هو مثال طريق الجنة وطريق النار.

وضع الله الطريقين أماناً ووضع فينا ملكة نفرق بها بينهما، نعرف الخير من الشر، سواء في ذلك العالم والجاهل والصغير والكبير، كل منهم يستريح ضميره إذا عمل الخير وينزعج إذا عمل الشر، بل إن هذه الملكة موجودة حتى في الحيوان، القط إذا أُلقيت إليه بقطعة اللحم أكلها أمامك متمهلاً مطمئناً، وإذا خطفها ذهب بها بعيداً فأكلها على عجل، و هو ينظر إليك يخاف أن تنتزعها منه، أوليس معنى هذا أنه أدرك أن الأولى حق له والثانية عدوان منه.

ونظرت وعزمت، نظرت في أعظم ميراث تركه رسول الله ﷺ لنا فوجدت أنه علم التوحيد، ورحت أجول بفكري حولي، فرأيت أفكاراً ونحلاً ومعتقدات ماديةً وروحية تخرج من المسلمين الجاهل، منهم منحرفون وضالّاء دخلاء على الدين، ومنهم كفار مارقون يريدون أن يدخلوا الفساد في عقائد المسلمين وقلوبهم، أو يجعلوها تعيش مع عقائدهم في قلب واحد، فهل يجتمع النور مع الظلام، أو هل يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد؟.

وقعت بيدي جريدة كتب فيها أحد الفلاسفة، أتعرفون ماذا كتب هذا الأفاك،

قال: إبتوني بالماء وبالأجزاء الكيماوية والوقت وسوف أخلق لكم إنساناً ﴿

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ الكهف: ٥

ورأيت أن هذا الأفاك وأمثاله، وهذه الافتراءات وأمثالها تهاجم العقيدة في جوهرها، وأن السكوت عليهم هدم للعقيدة وخداع للناس، وفوجئت برجل آخر

مخدوع قال له أحدهم: ينبغي أن تحب الله تعالى أكثر مما تحبه. قال المخدوع الأخرق: وكيف أحبه أكثر؛ قال له: لماذا تصلي ركعتين وثلاث وأربع، لماذا لا تجعل جميع الصلوات المفروضة أربعاً، وهو أعظم محبة لله، أتعرفون ماذا صنع هذا المخدوع؟ لقد وقف في هذا المسجد يصلي أربعاً، الفجر أربعاً والمغرب أربعاً وسوف تراه يوماً ما يمشي على أربع كما تمشي الدواب.

وقام أحد المنافقين الذين كفروا بنفاقهم يقول لحاكمه في بدء الستينات: عبدناك بعد الله، وهذه الكلمة كلمة كفر، لا نعبد أحداً بعد الله ولو كان سيدنا محمداً ﷺ، ومرة أجريت مقابلة في المفسديون مع أحد الفاسقين المطربين فسألوه ما هي أحب أغانيك إليك فقال: أحبها إليّ سلّمي، أتعرفون ما هي أغنية سلّمي إنها الأغنية التي يقول فيها (سلّمي عبدتك بعد الله).

ما هذا الهراء؟ ما هذا الكفر؟ ما لهؤلاء يعيشون كالأنعام بل هم أضل؟. لو درسنا التوحيد لن نرى أمثال هذا في مجتمعنا ونقول لهؤلاء الكفار والفلاسفة والملحدين ومن يعوي من أمثالهم أقول لهم:

لن يضر السحاب نبج الكلاب، والقافلة تسير مهما ظلت الكلاب تعوي، وسنبقى ندرس العقيدة حتى نلقى الله موحدين، لأن التوحيد يعني الوجدانية، والوجدانية تعني أن الله هو الواحد، والواحد يعني أن المشرع واحد، وأما كل من يشرع شرعاً ضد تشريع الله وتشريع رسوله فهو كافر، فكيف يعلم هذا المخدوع أنه على ضلال إن لم يدرس علم التوحيد.

وهنا حزم العقل أمره فقال: أعقل العقلاء من يقوده عقله إلى الحق، والحق أن يبدأ العقل أولاً بدراسة علم التوحيد، علينا أن نشدّ هممنا لنستعيد عافيتنا التوحيدية من جديد.

أن نقوي عقيدتنا، لأن العقيدة والإيمان نور في القلوب يشع إلى الجوارح يورث الاستقامة على شرع الله، فإذا ما تمكنت العقيدة بدأ التفاعل بين العقيدة والسلوك، وبدأت المطابقة شيئاً فشيئاً بين الإيمان والعمل، هل إيماننا مطابق لعملنا، هل إيماننا كإيمان الصحابة كالحارث بن مالك الأنصاري حين مر به رسول الله ﷺ فقال له:

كيف أصبحت يا حارث؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك، فقال:

عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها.

فقال ﷺ: يا حارث عرفت فالزم (الطبري: ض).
أيها الإخوة:

العقيدة هي دماغ السلوك والتصرفات فإذا ما تعطل جزء منه أحدث خللاً ملموساً في السلوك وبعداً عن صراط الله السوي.

نحن مقصرون في جنب الله، أنا أول واحد مقصر في جنب الله، أتعرفون لماذا؟ لأننا ننسى واجبنا تجاه الله تعالى، ولماذا ننساه لأجل الدنيا، أتستكثر ساعة في البقاء في محراب العبودية لتعلن عبوديتك له، قو إيمانك، قوه بمعرفة مولاك، لا تترك المحراب لأجل الدنيا، لا تتس أهم شيء لأجل لا شيء.

إن كان الله قد تكفل لك بالرزق فاهتمامك لماذا؟ إن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ إن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ إن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ إن كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالخوف لماذا؟

لا يكن أنسك بغير الله، إن المؤمن الحق لا يكون أنسه إلا بـ الله، إن سلوك طريق التوحيد يوصلك إلى العقيدة السليمة ويرسخ دعائمها، ولهذا يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه:

« إذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد، فإنه عليه أن يعتقد في الحال ما هو الصواب في حق الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله ولا يسعه تأخر الطلب، ولا يعذر بالوقت، ويكفر » .

الإيمان: هو المنطلق الأساسي للسلوك الإنساني، ولهذا نرى رسولنا الأعظم ﷺ يربط السلوك بالإيمان، اسمعه يقول لك: « **من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يؤذ جاره،... فليكرم ضيفه، فليقل خيراً أو ليصمت** » (خ). « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » (ت).

وقال: « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**، قالوا من؟ خاب وخسر يا رسول الله، قال: **من لا يأمن جاره بوائقه** » (خ).

يا أخي لا تستصعب هذا العلم، إذا أشرق عليك نور اليقين سهلت عليك تعابير العقيدة، وأصبحت لديك كالماء الفرات.

أيها الإخوة الكرام

إننا مع الدرس الثامن من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، مع صفة القدرة.

ولأبدأ معكم من حيث وقفنا في تسلسل الصفات، فقد تقدم معنا أن لمولانا علماً يحيط بكل جزئية من جزئيات الوجود، ومعلومات لا تحصى، فإذا تعلق علم الله بشيء وأراد خروجه إلى الوجود تقوم الإرادة بتخصيصه وباختيار صفاته التي سيكون عليها في الوجود، ثم يقدر له مولانا بإرادته الزمان والمكان

لظهوره إلى الوجود، فإذا حان زمان وجوده قدر له المكان فتعلقت به قدرة الله تعالى فأبرزته على وفق إرادته وعلمه إلى الوجود، فإذا يمكن أن نقول إن عمل صفة القدرة « إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة والعلم » ، وهي صفة صالحة في الأزل للإيجاد والإعدام للممكنات قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة .

وهذه الممكنات لله عز وجل فيها شؤون، فهي تكون معدومةً فإن شاء مولانا قطع ذلك العدم بقدرته وأبدله بالوجود، وإن شاء أبقى ذلك العدم بقدرته، وإن شاء أبقى استمرار الوجود، وإن شاء قطعه.

أريدكم أن تفهموا أنه: لولا إنعامه سبحانه على المكوّنات بإيجادها لم توجد، ولولا إنعامه عليها بإمدادها في كل لحظة لاضمحل وجودها، ف الله يمدّها في كل لحظة بالمدد الإلهي ليبقى وجودها فإذا قطع إمداده عنها انعدمت بإذن الله.

ولذلك يقول ابن عطاء الله : « نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكوّن منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد » ، أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد، ولهذا أقسم مولانا في كتابه الكريم فقال:

﴿ فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠] وقال ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣] ومرة قدم إلى نبينا ﷺ أحد كفار مكة وهو أبي بن خلف وقد أحضر بيده عظماً بالياً فتنّته أمام الحبيب الأعظم وراح يقول: « أترغم أن الله يحيي هذه العظام بعد أن رمت وبليت وصارت تراباً؟! » إن ألبياً يريد أن ينفي القدرة عن مولانا، ولو انتفت القدرة لكان عاجزاً عن الإيجاد والإعدام ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذه المخلوقات.

قال له الحبيب الأعظم أجل يحييها الله ثم يميتك ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار، وأنزل مولانا عز وجل في ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة (حا).

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ ٧٩ ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿ ٨١ ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿ ٨٢ ﴾ يس: ٧٨ - ٨٢ هذه هي عظمة القادر المقتدر، انظروا حولكم تجدوا قدرة مولانا ظاهرة في الأكوان، أسألوا علماء الفلك، وعلماء الفيزياء وعلماء غزو الفضاء، إلى أي مدى وصلت اكتشافات الأفلاك، تقول الحقائق العلمية الثابتة:

. إن العلم لم يصل في عالم الأفلاك إلا إلى جانب يسير، هذا الجانب اليسير يشمل على مئة ألف مليون مجموعة شمسية، وكل مجموعة شمسية تحتوي على مئة ألف مليون شمس، أقل هذه الشمس شمسنا التي تغذي الأرض بحرّها، أسألوا العلماء، ما هي المسافة التي بيننا وبين الشمس، بيننا وبين الشمس ٩٢٨٧٠٠٠٠ مليون ميل، يعني لو سارت سيارة بسرعة ٦٠٠ كم في الساعة تصل إلى الشمس بعد ١٧ سنة وستة أشهر هذا إن وصلت ولم تنصهر، أسألوا في كم من الزمن يصل ضوء الشمس إلى الأرض بقدرة القادر المقتدر، سرعة الضوء ١٨٦٠٠٠ ميل في/ ثا وعليه فإن ضوء الشمس يصلنا منها كل صباح في ٨ دقائق و ٩ ثواني، من الذي أوصلها إلينا؟ إنه الله.

ولكل شمس كواكب، ولكل كواكب أقمار، وشمسنا هذه التي تضيء لنا لها تسعة كواكب منها أرضنا، فأرضنا ما هي إلا فرد من العائلة الشمسية،

عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأورانوس، ونبتون، وبلوتو، هذه الكواكب التسعة التي تحيط بالشمس.

اسألوا العلماء ماذا يحدث لو أن حرارة الشمس نقصت بنسبة ١٣% من المقدار الذي حدده القادر المقتدر، ماذا يحدث لأرضنا؟ يكسوها طبقة من الجليد سمكها ميل، من الذي أمسك بميزان الحرارة (روسيا . أمريكا . ألمانيا . اليابان)، أتعرفون من؟ إنه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) فاطر: ١

هذه هي قدرة الله، وعظمة الله.

أندرون كم تفقد الشمس من كتلتها في الثانية الواحدة، تفقد ٤ ملايين طن، هذه الملايين الأربعة تكفي لصنع ألف مليون قنبلة ذرية، ومع ذلك فإن هذه الشمس لا تقف إلى يوم القيامة أتعرفون لماذا؟ لأن الذي خلقها خلق كل شيء فقدره تقديراً، إنه الله.

فلنرجع جميعاً إلى الله، لا غنى لنا عن الله ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ فاطر: ١٥

إن هذا الكون كله، بل هذا الوجود وما فيه من كل موجود في قبضة الله تعالى في قبضة قدرته، إن شاء الله أوجده أو أعدمه، وإن شاء أبقاه على وجوده أو أبقاه معدوماً (لا يخلقه) وإذا أراد الله إعدام المخلوقات أندرون ماذا يفعل؟ يقطع عنها إمداداته فتتعدم كأن لم تكن.

هذا هو الله في قدرته، لا فاعل إلا الله، لا مؤثر إلا الله، لا يعجزه شيء أبداً، جاء مرة إبليس إلى سيدنا إدريس بهيئة إنسان وسأله:

- هل يقدر المولى أن يدخل الدنيا في قشرة البندق؟

فنخسه في عينه بالإبرة ففقأها، وقال له: إن الله قادر أن يدخل الدنيا في سمّ الخياط، إن الله قادر أن يصغر الدنيا أو يوسع سمّ الخياط أليس هو القادر المقتدر؟ قولوا: بلى.

يخلق الخير كما يخلق الشر، تَعَلَّمُوا هذا، قلته لأعلمكم ذلك، وإلا فالأدب ألاّ يقال ذلك، لنبق هنا ضمن الأدب مع مولانا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



الكلام والحياة

- ١٠ -

الحمد لله الذي نستفتح بحمده الكلام، والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقلام، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على الدوام، فسبحانه وتعالى له الصفات العليا التي منها صفتا الحياة والكلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تأخذ بيد قائلها إلى دار السلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من الأنام. أول الأنبياء وواسطة عقدهم على أنه آخرهم ومسك الختام.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم السادة الأعلام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

فحديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن صفتين إلهيتين مقدستين هما صفتا الكلام والحياة، وفي هذا اليوم نتوجه إلى الله تعالى بصفته الكلام والحياة أن يجعلنا من المتكلمين التالين لكلامه الكريم، وأن يحيي قلوبنا بذكره، ويحيي عقولنا بعلمه، ويحيي أجسادنا بالحياة والصحة التامة، علنا نفهم ونعي هذا العلم الشريف علم التوحيد.

إننا باختصار مع الدرس العاشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لتوحدوا الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام:

صفة الحياة لمولانا عز وجل صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى، يستحيل وجود الصفات بدونها، وحياته تعالى ليست مماثلة لحياة الأنام، إذ أن حياته تعالى لذاته أي ليست بروح، بعكس المخلوقات فحياتهم بسبب سريان الروح فيهم، هذه اللطيفة الربانية التي بها مدد الحياة، السر الإلهي الذي يورث الأبدان حياة، والروح عنصر من عناصر العالم العلوي يتصل بمدد رباني إلى العالم السفلي، فإذا كانت الروح لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الإسراء: ٨٥ إذا كانت الروح التي تسري فينا لا نعلم كنهها فكيف لنا أن نعرف كنه حياته تعالى اسمعه يقول لنا عن ذاته: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ الأنعام: ١٠٣ ويخفيك أن تعلم أن مولانا حي، لأنه لو انتفت عنه الحياة لكان ميتاً. ولو كان ميتاً للزم منه انتفاء الصفات الإلهية كلها، وهذا باطل لأن صفاته سبحانه موجودة، وهذا العالم لا يمكن أن يصدر إلا من حي وهو الله سبحانه، وحياة مولانا لا يلحقها عدم، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء، ولهذا اسمع إلى مولانا يقول لنا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة: ٢٥٥

وقال لك أمراً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الفرقان: ٥٨ فالله هو الحي الكامل المطلق الذي تتدرج تحت إدراكه جميع المدركات، كما تتدرج تحت فعله جميع الموجودات المخلوقات، فصفة الحياة توجب له تعالى أن يتصف بالإدراك أولاً ولذا ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُغُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ غافر: ٦٥

وكما أن صفة الحياة قديمة فكذا صفة الكلام صفة أزلية قائمة بالذات المقدسة تدل على جميع المعلومات التي لانهاية لها، ونحن في صفة الكلام أماننا عدة قضايا يجب أن نفهمها حتى تكون عقيدتنا صحيحة فيما يتعلق بصفة الكلام.

وأولى هذه القضايا:

أن كلام مولانا عز وجل الذي يجب أن نعتقد أنه قديم هو الكلام النفسي الأزلي القائم بذاته تعالى، وأعني بالكلام النفسي كالكلام الذي يجريه الإنسان على قلبه، لا الذي يتلفظ به، وأما الذي نتلفظ به بواسطة الحروف والأصوات فهو ليس قديماً، وأما صفة الكلام الإلهية القائمة بذاته تعالى فهو المنزه عن الحروف والأصوات وغيرها.

هذه هي القضية الأولى،

وأما القضية الثانية فإن كلام مولانا متعدد الدلالات، أي له أقسام اعتبارية ففيه:

الأوامر . والنواهي . والأخبار . والوعود . والوعيد .

فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ البقرة: ٤٣ : أمر .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ الإسراء: ٣٢ : نهى .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ القصص: ٤ هذا خبر .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) الكهف: ١٠٧ : هذا وعد .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) القمر: ٤٧ : هذا وعيد .

القضية الثالثة: إن كلامه تعالى لا يشبه كلامنا الذي نجريه على قلوبنا، فكما أن وجوده تعالى وصفاته لا تشبه وجود المخلوقين ولا صفاتهم، فكذلك لا يشبه كلامه كلامهم، ومن ظن المشابهة فقد دخل في باب من أبواب الشرك:

آ . فإذا كان كلامنا له حروف وأصوات فكلام مولانا ليس بحروف وأصوات وإنما هذه الحروف والأصوات التي نقرأها في القرآن تدل على الصفة القديمة لمولانا، فإذا سمعنا قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ ﴾ الإسراء: ٣٢: فهما منه النهي عن قربان الزنا، ولو أزيل عنا الحجاب لفهمنا من الصفة القديمة هذا المعنى فمدلول الكلام اللفظي هو مدلول الكلام النفسي.

ب . وإذا كان كلامنا فيه تقديم وتأخير كقولنا الحمد لله، فنحن ننطق بالحاء قبل الميم، فإن كلام الله منزّه عن ذلك، فنقول زيد قائم وعمرو جالس فالجملة الأولى متقدمة على الجملة الثانية والثانية متأخرة عن الأولى فليس في كلام الله تقديم ولا تأخير، حسبك أن تفهم هذا.

ج . وإذا كنا نتكلم ونسكت، فإن كلام مولانا لا يتوقف أزلاً وأبداً، بل هو منزّه عن السكوت النفسي، بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه.

د . وإذا كان كلامنا فيه الإعراب (رفع، نصب، جر) والبناء واللحن فقد تنزه كلام مولانا عن ذلك.

هـ . وإذا كان كلامنا يعتريه التجزؤ والتبعّض فكلامه سبحانه منزّه عن ذلك، فقولنا « زيد قائم » كلام له جزءان، الجزء الأول: « زيد » . والثاني: « قائم » .

وهذا كله يوصلنا إلى قضية رابعة:

ما هو كلام مولانا؟، ما كنهه؟، ما حقيقته؟

أولاً: إن كلام الله تعالى هو القرآن الكريم، المكتوب لفظه في المصاحف، والمحفوظ في صدر الأمة وما يتبعها من المقروء بالألسنة، إلا أن معناه وهو الكلام النفسي قديم، وأما الألفاظ والحروف والأصوات وما يتبعها من الكيفيات فهي حادثة مخلوقة؟

وكذلك نقول عن الكتب المنزلة من السماء والحديث القدسي والصحف الربانية فكل ذلك كلام الله تعالى: اللفظ حادث والمعنى قديم، واسمعوا إلى القاعدة التوحيدية التي نص عليها الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الذي يقول: «ما قام بالمخلوق مخلوق، وما قام بالخالق قديم».

ولهذا إذا سألت عن كنه كلامه تعالى فإن جوابه محال لا محالة، لأنه سؤال عن كيفية ما لا كيفية له، فكما أن مولانا حجب عنا كنه الذات والصفات حجب عنا كنه كلامه وكيفيته، ولو أننا تدبرنا ذاتنا وكلامنا وكيف تتكلم أعضاؤنا يوم القيامة وهي مخلوقة حينما قال مولانا:

﴿وَكَلَّمْنَا أَيُّدِيَهُمْ﴾ يس: ٦٥ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فصلت: ٢١

لو تدبرنا ذلك لجهلناه. وعرفنا أننا نجهل كيفية تسبيح الحصى بيد المصطفى ﷺ، وكيفية تسبيح الطعام، وكيفية سلام الحجر على سيدنا رسول الله ﷺ دون فم ينبعث منه صوت، إذا كنا نجهل ذلك كله وهو معنا، موجود مثلنا مخلوق مثلنا، بل هو فينا، إننا نجهل كلام أنفسنا، ونحن لا نقدر على إدراكه وهو قائم بنا، وإننا لا ندرك كيفية أكلنا وشرابنا وبولنا وألمنا وفرحنا، فأنتي لنا أن ندرك كلامه تعالى.

وقد قام مرة أحد تلامذتي ليسأل سؤالاً ذكياً مفيداً أذكره في هذا المقام، قال لي:

فكيف سمع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله تعالى؟
وأنا أزيد على هذا السؤال فأقول: إن مولانا عز وجل لم يكلم سيدنا موسى
فقط بل كَلَّمَ سيدنا آدم وكلم سيدنا محمداً ﷺ وهذا يجب علينا ألا ننساه.

إننا لا نشك لحظة أن مولانا كلم سيدنا موسى، لأنه عز من قائل يقول: ﴿
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤ ويقول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ الأعراف: ١٤٣

ولهذا أكد القرآن هذا الكلام، أكد بالمصدر (تكليماً)، يعني كَلَّمَهُ على
الحقيقة التي نعقلها، إذاً كيف كلمه؟ يقول علماء التوحيد: إن مولانا عز وجل
أزال الحجاب بينه وبين سيدنا موسى حتى أدرك كلام الله القديم بجميع
أعضائه من جميع الجهات، ثم رد عليه الحجاب.

أسمعت أزال الحجاب، يعني لم يكن مولانا ساكتاً ثم ابتدأ الكلام، ولا أنه بعد
أن كلمه انقطع كلامه، لا، لأن كلامه تعالى قديم باق مستمر لا ينقطع.

أيها السادة: كثر الكلام والجدل في صفة كلامه تعالى في عصر الإمام
الشافعي حتى سمو علم التوحيد بعلم الكلام، فلما جاء عصر الإمام أحمد بن
حنبل قام بعض خلفاء بني العباس بفتنة خلق القرآن وخصوصاً المأمون
والمعتصم والواثق، فمالوا إلى رأي المعتزلة الضلال الذين قالوا: إن القرآن
كلام الله مخلوق.

المعتزلة حكّموا العقل في كل شيء وما خالف عقولهم رموه خلف ظهورهم،
أرادوا أن ينزهوا الله تعالى فوقوا في الضلال، وقد كان أحد المعتزلة ينكر أن
الله تعالى كلم سيدنا موسى وكان يقرأ قوله تعالى {وكلم الله موسى}، أي أن
موسى هو الذي كلم الله وليس مولانا، فقال له أبو عمرو ابن العلاء (أحد

القراء السبعة): لو قرأناها كما نقول فكيف ستقرأ قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ الأعراف: ١٤٣ فبهت الذي فسق.

إن من اعتمد على عقله ضل، ومن اعتمد على ماله قل، ومن اعتمد على جاهه ذل، ومن اعتمد على الكفار لينصروه ملّ، ومن اعتمد على الله تعالى فلا ضلّ ولا قلّ ولا ملّ ولا ذلّ.

المعتزلة قالوا: إن معنى كون الله متكلماً: أنه خالق للكلام وموجده في الأجسام كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي أو الشجرة، فرأوا كلام الله حروفاً وأصواتاً يخلقها الله تعالى في محل ما، ولولا آية ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤ بأنه خلق الكلام في الشجرة كما يخلق كل شيء، فخرجوا بهذه الفتنة العظيمة وهي أن كلام الله مخلوق، والعياذ بالله تعالى.

وقد بدأت هذه الفتنة في عهد الرشيد فحبس طائفة ممن تكلموا به، وقام أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة بطرد أحد جلسائه (وهو بشر بن غياث المريسي) من مجلسه حيث تكلم بخلق القرآن، وتوقف القول بهذا حتى وفاة الخليفة الرشيد هارون الرشيد، فلما جاء عهد المأمون وكان تلميذ أحد المعتزلة عقد المناظرات في القول بخلق القرآن وقبيل وفاته سنة ٢١٨ هـ أوصى أخاه المعتصم بالمعتزلي أحمد بن أبي دؤاد.

فلما تولى الخليفة المعتصم حمل الناس بالقوة على ذلك، فقد كتب وهو بالرقعة لنائبه في بغداد ثلاثة كتب قال له في أول الأمر:

- ١- إ عزل من العمال كل من لا يقول بخلق القرآن ولا تقبل شهادته.
- ٢- وفي الكتاب الثاني طلب منه امتحان الفقهاء والمحدثين، فأجابوه بالتوقف في هذه المسألة: نقول هو كلام الله.

٣- فأرسل الكتاب الثالث متوعداً بالإعدام من لا يقول به، فأقرّ الجميع إلا: سجادة . والقواريري . ومحمد بن نوح . والبويطي (خليفة الشافعي) والإمام أحمد بن حنبل: الذي سجن نحواً من ٢٨ شهراً وهو لا يستجيب ومزق جسمه بالسياط ثم أطلق سراحه فآل الأمر إلى الواثق، فمنعه من التحدّث والفتيا فمكث في بيته حتى مات رضي الله عنه.

وفي خلافة الواثق كان الرجوع عن القول بخلق القرآن، وبدأ ذلك حين دخل مضحك الواثق فقال له: أعظم الله أجرك بالقرآن، فقال: وكيف ذلك؟ فقال المضحك: كل مخلوق يموت، فمن يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن يا أمير المؤمنين. فأمره الواثق بالسكوت. أيها الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى العصر العباسي وبالذات في خلافة الواثق لأنقل لكم نهاية الفتنة بالقول بخلق القرآن.

فقد دخل على الخليفة الواثق شيخ وعنده أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، وراح يكيل الأسئلة حتى سأله عن القول بخلق القرآن فقال له: هل علمها رسول الله ؟ قال: نعم، فقال له: هل دعا رسول الله إلى مقاتلتك هذه ؟، فسكت أحمد بن أبي دؤاد.

هل دعا إليها أبو بكر؟، عمر؟، عثمان؟، علي؟، وهو في كل ذلك ساكت لا يدري ما يجيب، ثم قال له:

شيء لم يدعُ إليه رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس إليه، ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه، فإن قلت علموه وسكتوا عنه فقد وسعني وإياك من السكوت ما وسع القوم، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت، فيالكع بن لكع يجهل النبي والخلفاء الراشدون شيئاً وتعلمه أنت.

وهنا قال الخليفة: نعم، هذا هو.

كانت هذه المناظرة من أروع المناظرات، فقد هُزِمَ بها ابن أبي دؤاد هزيمة منكرة وأطفاً بها هذا الشيخ فتنة طال أمدها وذهب ضحيتها كبار الفقهاء والمحدثين. وأنا اليوم وإن طال بنا المقام قليلاً أريدكم أن تنتبهوا إلى قول هذا الشيخ الذي دحض رأي ابن أبي دؤاد وَرَدَّ دَعْوَاهُ شكلاً ومضموناً، انتبهوا: إن السلف وهم أفضل من كانوا قبل الخمسئة هجرية المسلمين وخيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين الكبار ما عرفوا هذه المسألة ولا بحثوا فيها وكان دينهم أسلم، وإيمانهم أصح، وهم قدوتنا في ديننا (وهم من كانوا قبل الخمسئة هجرية).

ثانياً: هذه الفتنة كان مدارها على أساس واحد هو قياس الخالق على المخلوقين، وتطبيق منطق العقل البشري وأحوال النفس الإنسانية على الله، وذلك باطل، لأن الخالق لا يشبه بالمخلوق، فهو ليس كمثله شيء.

ثالثاً: هذه الأمور من عالم الغيب، والعقل قاصر حكمه على عالم المادة لا يستطيع أن يحكم على عالم الغيب ولا أن يدركه.

ونحن اليوم ما هو دورنا تجاه هذا الخلاف، نحن واجبنا أن ننقل الموضوع من جدال في صفات الله إلى سلوك في الحياة يوصل إلى رضاه، فبدلاً من أن نبحث هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟، نقول:

إن القرآن أنزله لنا الله لنعمل به، فلنعمل به، ولنأتمر بأمره، ولنقف عند نهيه، وأن نسلك في الحياة سلوكاً موافقاً لشرع ربنا جل جلاله.

أيها الإخوة الكرام:

إننا على أبواب الصفحة الأخيرة من هذا البحث. من نتائجه أن مولانا عز وجل متكلم لا ينقطع كلامه أبداً، اسمعوه يقول لنا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

شَجَرَةً أَقْلَمَ وَالْبَحْرَ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ لقمان: ٢٧

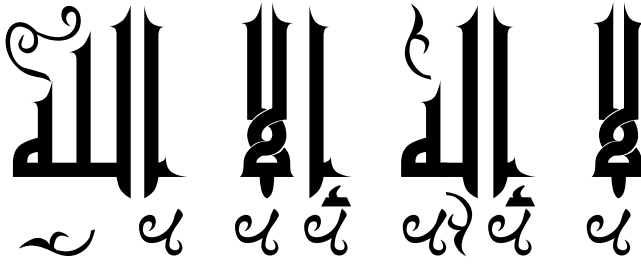
ولهذا لفضله وكرمه وجوده فإنه يتكلم مع المؤمنين يوم القيامة في الجنة،
وإليكم هذا الحدث الإيماني الذي نقله لنا الإمام البيهقي رضي الله عنه.

فعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
بينما أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا
رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم، فقال: يا أهل الجنة سلوني،
فقالوا: نسألك الرضا عنا، فيقول مولانا: رضاي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي،
وهذا أوانها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت
أحمر أزمتها من زمرد وياقوت أخضر وياقوت أحمر فيحملون عليها، تضع
حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار، فتجيء
جوار من الحور العين، وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات
فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر عز وجل بكثبان من مسك أبيض
أذفر (ذكي الرائحة) فينشر عليهم ريحاً يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى
جنة عدن وهي قصبة الجنة (عاصمتها) فتقول الملائكة:

. يا ربنا قد جاء القوم. فيقول مولانا: مرحباً بالصادقين، مرحباً بالطائعين،
قال فينكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى فيتمتعون بنور
الرحمن... فذلك قول مولانا: ﴿تُزَلَّ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ فصلت: ٣٢

أيها الإخوة الكرام:

يعز علي أن أعود بكم من هناك إلى هنا فمن أراد أن يدخل هناك ويبقى
مع الله هنا فليوحد الله تعالى.



الصفات المعنوية والمستحيلات

- ١١ -

الحمد لله المحتجب عن الأبصار بخفيات الحُجُبِ المختلفة، الذي علا
عن الأصوات وجلَّ عن حادثات الصفات، وسبحته الألسُنُ بغرائب اللغات.

أحمدہ أبلغ محامدہ علی جمیع فوائده، وأستهديه بهدایتہ وأستعینہ علی طاعته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد، خير مولود دعا إلى ربٍّ معبود.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يتجددان في ظلم الليل وأدبار السجود، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فحينما أكرمنا الله تعالى بفتح ملف العقيدة على منبر سيدنا رسول الله ﷺ اعتقد بعض الصحب أنها إن هي إلا خطبة أو خطبتان وننتقل إلى موضوع آخر، لأن الناس لم تألف الحديث عن العقيدة على المنابر، وقد صرح لي بهذا بعض أشياخي الكرام.

ولكن مولانا عز وجل أراد على وفق علمه أن نفتح هذا الملف هنا، وعلى هذا المنبر بالذات وفي هذا الزمن بالتحديد، وهذا دليل محبة الله لنا، وأنه يريد منا جميعاً أن نكون من الموحدين عن علم ودين وعقيدة، وبدأنا هذا الأمر بتعريف العقيدة وقلنا: إنها سميت عقيدةً لعقد القلب عليها وربطه على الإيمان بـ الله تعالى.

ثم قسمنا علم التوحيد أو العقيدة إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، نبويات، سمعيات. وقلت إن الواجب الشرعي على كل مكلف بالغ عاقل سليم الحواس أن يعرف معرفةً جازمة ما يجب لله تعالى وما يستحيل أن يتصف به مولانا، وما يجوز في حقه سبحانه، وأن يعرف مثل ذلك لرسله الكرام، عليهم الصلاة والسلام.

وسرنا معاً بشكل متوازن مع منظومة التوحيد التي نظمها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى، وهي على قلة أبياتها جمعت أهم أطراف علم التوحيد، فقد قسم الشيخ الشرنوبى صفات مولانا عز وجل إلى عشرين صفة.

صفة نفسية، وصفات خمس سلبية، وسبع صفات معاني وسبع معنوية، فتحصل أنها عشرون صفة تجب لله تعالى، وهي:

صفة الوجود: وأن وجوده تعالى لذاته: لم يلد ولم يولد.

ثم بدأنا بالصفات السلبية وقلنا إنها خمس:

أولها: القدم: فلا أول لوجوده تعالى ولا يدخل في وجوده زمان ولا مكان.

ثانيها: البقاء: أي لا آخر لوجوده تعالى، قال عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد: ٣ وثالثها: مخالفته تعالى للحوادث أو المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله: بمعنى أنه ليس مماثلاً لشيء من المخلوقات، فهو القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

رابعها: قيامه تعالى بنفسه غنياً بذاته عن كل شيء، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر: ١٥ وهو القائل سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الرعد: ٣٣ قل لنا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة: ٢٥٥

الخامسة من الصفات السلبية (التي سلبت عن الحق جل جلاله ما لا يليق بكماله هي صفة:

الوحدانية: وهي عدم وجود شريك له تعالى في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو: واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، فله الكمال المطلق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

الأنبياء: ٢٢ ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ محمد: ١٩ فهذه ست صفات: الصفة النفسية، والخمس السلبية.

وكان إكرام الله لنا عظيماً فقد تابعنا الحديث عن العقيدة فتحدثنا عن صفات المعاني، وسميت بالمعاني لأنها تدل على معنى قائم بذاته تعالى، وهي سبع صفات وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى:

أولها: العلم: الصفة التي تتكشف له بها تعالى الأشياء انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء، فالعلم صفة كشف وجلاء لا صفة تأثير، ولهذا يقول عز من قائل: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن: ٢٨

الثانية: الإرادة: صفة يخصص بها مولانا الممكنات ببعض ما يجوز عليها على وفق علمه تعالى، يجعل فلاناً غنياً، وآخر فقيراً، واحداً طويلاً وآخر قصيراً أسمر أو أبيض ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ٤٩ أو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإُنثَىٰ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا الشورى: ٤٩ - ٥٠ وهكذا ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ القصص: ٦٨

الثالثة: القدرة: وهي صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة والعلم، فالله قادر مقتدر وهو على كل شيء قدير.

الرابعة والخامسة: البصر والسمع: صفتان ينكشف بهما كل موجود على ما هو عليه، والانكشاف الحاصل بالسمع غير الانكشاف الحاصل بالبصر لذلك مولانا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لقمان: ٢٨

السادسة: صفة الكلام: وهي أنه تعالى متكلم بكلام قديم منزّه عن الحرف والصوت والتقديم والتأخير والكلّ والبعض والتجديد والسكون واللحن والإعراب

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤

السابعة: صفة الحياة: وحياته تعالى لذاته ليست بروح يقول جل وعلا : ﴿

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ البقرة: ٢٥٥

هذه الصفات الـ ١٣ صفة كان حديثنا عنها خلال عشر حلقات إيمانية في جامع الدرويشية، ويبقى علينا الحديث حول صفات سبع تلازم الصفات المعاني لا تتفك عنها هي الصفات المعنوية، وعلماء التوحيد يقولون: لا يكفي أن نثبت أن الله تعالى قدرة وإرادةً وعلماً وحياءً وسمعاً وبصراً وكلاماً، بل لا بد أن نقول بأن هذه الصفات تقوم بالذات العلية، وهذا هو معنى الصفات المعنوية، ثبوت هذه الصفات له تعالى. وهي كونه تعالى عالماً مريداً قادراً حياً متكلاماً سميعاً بصيراً.

وتعني أيضاً (الصفات المعنوية) أن مولانا لم يكتسبها من أحد، ويمكن أن نقول عن هذه الصفات بأنها أسماء، احفظوها على أنها أسماء له تعالى، وكلها قديمة قدم ذاته العلية.

وبهذا وردت أسماء الله تعالى في القرآن الكريم فهو سبحانه عليم بصير .

قدير . قادر . مقتدر . سميع . بصير . حي . عالم

أيها الإخوة:

هذه هي الصفات العشرون الواجبة في حقه تعالى، وكل من ينفي هذه الصفات ويثبت أضدادها فهو كافر، لماذا؟

- ١- لأن من نفى صفة الوجود فقد أثبت العدم، وهو كفر.
- ٢- ومن نفى صفة القدم فقد أثبت الحدوث، وهذا كفر.
- ٣- من نفى صفة البقاء فقد أثبت الفناء، وهذا كفر.
- ٤- من نفى صفة مخالفته تعالى للحوادث فقد أثبت مشابهته تعالى للحوادث وهذا محال.

- ٥- من نفى صفة قيامه تعالى بنفسه فقد أثبت قيامه بغيره وهذا محال.
- ٦- من نفى صفة الوجدانية فقد أثبت أن الله متعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال وهذا محال.

- ٧- من نفى صفة القدرة فقد أثبت العجز لله تعالى وهذا محال.
- ٨- من نفى صفة الإرادة فقد أثبت الإكراه (بأنه يفعل شيئاً بغير اختياره) وهذا باطل.

ومعنى الكراهة هنا العقلية لا الشرعية (الشرعية النهي عن الشيء) لأن الله تعالى قد يوجد الشيء مع كراهته له شرعاً، فالمكروه والمحرم لا يقعان إلا بإرادته سبحانه، احفظوا هذا الأمر، ومرة وقف أحد أئمة أهل السنة والجماعة وهو أبو اسحق الاسفراييني يناقش أحد المعتزلة الذي كان ينكر أن الله تعالى يوجد الشيء مع كراهته له شرعاً وكان هذا المعتزلي يقول بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى، إذ قال المعتزلي (وهو عبد الجبار الهمداني):

. سبحانه من تنزه عن الفحشاء.

فقال الأول (أبو اسحق الاسفراييني): سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء. فقال المعتزلي: أفيريد ربنا أن يعصى؟

فقال الإمام أبو اسحق: أفيعصى ربنا كرهاً.

فقال المعتزلي: رأيت إن منعي الهدى وقضى عليّ بالردى، أحسن إلي أم أساء؟
فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء .

فالذي نعتقه أن الله تعالى فاعل بالإرادة والاختيار لا بالقهر والإجبار، فلا يجري في ملكه قليل أو كثير، خير أو شر، نفع أو ضرر، إيمان أو كفر، غنى أو فقر، طاعة أو عصيان، فوز أو خسران إلا بقضائه وقدره وحكمته وإرادته.

٩- كذلك من نفى صفة العلم فقد أثبت الجهل وهذا كفر.

١٠- ومن نفى صفة الحياة فقد أثبت الموت وهو عدم الحياة.

١١- و من نفى صفة السمع فقد أثبت الصمم.

١٢- ومن نفى صفة البصر فقد أثبت العمى (عدم الإبصار).

١٣- ومن نفى صفة الكلام فقد أثبت الخرس أي البكم.

ومن نفى كونه تعالى قادراً فقد أثبت كونه عاجزاً.

ومن نفى كونه تعالى مريداً فقد أثبت كونه مكرهاً.

ومن نفى كونه تعالى عالماً فقد أثبت كونه جاهلاً.

ومن نفى كونه تعالى حياً فقد أثبت كونه ميتاً.

ومن نفى كونه تعالى سميعاً فقد أثبت كونه أصم.

ومن نفى كونه تعالى بصيراً فقد أثبت كونه أعمى.

ومن نفى كونه تعالى متكلماً فقد أثبت كونه أخرس.

وهذا كله كفر والعياذ بالله تعالى.

أيها السادة :

وقد كنت وعدتكم ومازلت عند وعدي بأن من يحفظ منظومة التوحيد للشرنوبى من على هذا المنبر، أي بأن يكون قد حضر كل الدروس الإيمانية وحفظها منى من على المنبر أن له خمسمئة ليرة سورية، وأفضل ما أختتم به مجلسنا اليوم هو ما تقدم لنا في هذه المنظومة وهي تلخيص لكل ما قلنا:

الحمدُ لله الذي توحَّدا	في ذاته وبالبَقا تفرَّدا
وبعدَ حمْدِ الله والصلاةِ	على النبي صاحب الصَّلَاتِ
فهذه عقائدُ التوحيدِ	ننجو بها من رِبقةِ التقاليدِ
فاحفظْ لمولى الخلقِ عشرين صفه	تكنُ بها في غرفِ مزخرفه
له الوجودُ والبقاءُ والقُدَمُ	مخالفٌ لما ينالُه العدمُ
وقائمٌ بنفسه وواحدُ	فهذه ستُّ صفاتٍ تُسَرِّدُ
منها الوجودُ صفةٌ نفسيةٌ	والخَمْسُ بعدها هي السلبية
وواجبٌ لرَبِّنا المَنَّانِ	سبعُ صفاتٍ سُمِّيتْ معاني
علمٌ إرادةٌ وقُدرةٌ بَصَرٌ	سمعٌ كلامٌ وحياةٌ تُعَبِّرُ
وسَبْعَةٌ قد لَزِمَتْها تُدعى	بمعنويةٍ فألقِ السمعَا
ككونه حيًّا مُريدًا قادرًا	وفي ثبوتها خلافٌ قد جرى
والحقُّ لا استغناء بالمعاني	عنها كما حُقِّقَ بالبرهانِ
وضدُّها عليه يستحيلُ	فإنه المنزَّهُ الجليلُ
بكلِّ أوصافِ الكَمالِ قد وُصِفَ	طوبى لِمَن له بهذا يَعْتَرِفُ

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



الجائزات في حقه تعالى

- ١٢ -

الحمد لله الذي أعاد وأبدى، وأنعم فهدى، أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على ما منح من الإنعام وأسدى، ونستهديه فإنه لا يضل من هداه، ومن أضله فلن يهدي، ونستغفره لذنوبنا التي لا تحصى عدداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً، أحداً فرداً، شهادة تُرغمُ بها أنف من كفر عناداً وجحداً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكرم به رسولاً عبداً، أمده الله بإمداداته الربانية مدّاً، نبي أنطق الله بنبوته ضباً وظبياً وحجراً صلداً.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم أمثال طريقة وأقوم سبيلاً وأهدى، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فأقف اليوم على منبر سيدي رسول الله شاكراً حامداً لمولانا أن أوصلنا إلى الدرس الثاني عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية.

فقد قسم علماء التوحيد الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام: واجب وجائز ومستحيل، فالواجب ما لا يقبل الانتفاء في ذاته. والمستحيل ما لا يقبل الثبوت في ذاته، والجائز هو كل أمر قابل في حد ذاته للانتفاء والثبوت، وهذه الأقسام الثلاثة يجب على المكلف معرفتها لتوقف مباحث علم التوحيد عليها، لأن القاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد عرفنا حتى الآن الواجبات والمستحيات في حقه تعالى، وبقي أمامنا الحديث عن الجائزات. فما هي هذه الجائزات في حقه تعالى؟ يقول الشيخ عبد المجيد الشرنوبى:

وجائز عليه فعل الممكن وتركه إن لم يشأ لم يكن الجائز في حقه تعالى، إيجاد كل ممكن وإعدامه حسب ما يشاء الله ويختار صلاحاً أو ضده، كل ممكن، والممكنات كثيرة جداً يصعب إحصائها منها: الخلق، والرزق، والإماتة والإحياء، والصحة، والإسقام، وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والثواب والعقاب، والقضاء والقدر، وفعل الصالح والأصلح، ورؤية المؤمنين لله تعالى بلا كيف ولا انحصار، وإيجاد تأثيره تعالى عند الأسباب العادية كإيجاد تأثيره تعالى عند قدرة العبد الحادثة، والاحتراق عند النار، والضوء عند الشمس، والنور عند القمر والمصباح، والشبع عند الأكل، والجوع عند عدم الأكل، والري عند شرب الماء، والستر والوقاية عند لبس الثوب، والقطع عند السكين، والشفاء عند التداوي. كل هذا من الجائزات في حقه تعالى.

أيها السادة:

كان هذا هو موجز الأنباء وإليكم الأنباء بالتفصيل بعد أن توحدوا الله تعالى.

أيها الإخوة:

أمامنا اليوم عدة قضايا لنفهم الجائزات في حقه تعالى، وأنتقي لكم بعض هذه القضايا لأزيل عنها الغموض الذي يكتنفها بإذن الله تعالى.

القضية الأولى: الخلق: خلق العباد وخلق أعمالهم سواء منها الخيرة أم الشريرة، والعمدة في هذه العقيدة قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾

الصفات: ٩٦ وقال لنا ﴿اللَّهُ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الرعد: ١٦

وقد ضل أقوام أرادوا أن ينزهوا الله تعالى عن خلق الشر، وغفلوا أنه سبحانه خلق إبليس وهو الشر كله، ولعمري إننا نردد كل يوم بعد كل صلاة مفروضة وقبل النوم سورة فيها هذه العقيدة، وأنه سبحانه خالق الخير والشر، إنها سورة الفلق يقول عز وجل:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ الفلق: ١ - ٢

أسمعتهم: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿٢﴾ الفلق: ٢ فالخير والشر كله من خلق الله تعالى، واسمعوا معي إلى هذه الآية الكريمة يقول مولانا عز وجل:

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ

كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النساء: ٧٨

ولهذا يقول ﷺ (ق): «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

وبعد هذه الأدلة نقول: كل من يقول بعكس هذا فهو فاسق جاهل، لأنه بنكرانها جعل ما يقع من العباد إنما يقع على غير مراد الله تعالى، فيكون في ملك الله ما لا يريده، ولهذا جاءت الآيات تصرح وتبين عكس هذا الاعتقاد، يقول عز وجل:

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ الرعد: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ

مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة: ٢٥٣ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام: ١٢٥

فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

أيها الإخوة الكرام : ولأجل إيضاح هذا المفهوم، اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مولاي وقدوتي إلى الله سيدي الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمته الله فهو في موقف عجيب غريب مع أحدهم، أتدرون من هو الذي تمثل بين يدي الإمام الشافعي رضي الله عنه، إنه إبليس اللعين . قولوا لعنه الله - : فقد وجه للإمام سؤالاً عظيماً من غاب عنه خرج من ديوان العبودية لله، وأنا أنقله لكم اليوم على الموجات الإيمانية من جامع الدرويشية، فما هو هذا السؤال، وما هو الجواب العظيم الذي أجابه مولانا الشافعي رحمته الله؟

قال إبليس اللعين: يا إمام ما تقول فيمن خلقتني لما اختار، واستعملني فيما اختار، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار، أعدل في ذلك أم جار؟

يقول الإمام الشافعي رحمته الله : فنظرت في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلت: يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فاضمحل إبليس وتلاشى ثم قال: والله يا شافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة.

أيها الإخوة:

يجب علينا أن ننسب الخير إلى الله تعالى لأنه هو الفاعل الموجد وننسب أدباً الشر إلى أنفسنا، لأننا اكتسبناه اكتساباً ولأنه أجراه على أيدينا، ولهذا انظروا إلى هذا الأدب العالي في قول سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة

والسلام ﴿الَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُهْدِي ۚ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ الشعراء: ٧٨ - ٨٠ فقد أسند كل الأفعال إلى الله تعالى خلا

المرض مع أنه يعلم حق العلم أن الله تعالى خالق كل شيء، فالله تعالى خالق كل شيء، حققوا في هذه العبارة: (كل شيء): الجهر والإسرار، العقائد والخواطر، الماء والنبات، الأوراق والثمار.

وهذا يوصلنا إلى القضية الثانية، هل الماء هو الذي ينبت الزرع والنبات، هل هو الخالق . والعياذ بالله . لا، بل الماء سبب، سبب عادي يخلق الله عنده الأوراق والثمار والنبات، والله سبحانه قادر أن يمنع الماء ألا ينبت، وكم من ماء ينزل والبذار في الأرض ولا تنبت ذرة واحدة من حشيش أو نبات، لذلك لفقت القرآن الكريم نظرنا لهذه العقيدة فقال:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ أَمْ أَنْتُمْ نَزَعْتُمْ مِمَّا زَرَعْتُمْ أَمْ أَنْتُمْ لَكُمْ زَرْعٌ ﴿٦٤﴾ الواقعة: ٦٣ - ٦٤

فنسبه له تعالى لأنه هو مخترعه وخالقه ومنميه، ونسبته إلينا لأننا نحرثنا في زرعنا، فظهرت الحركة المخلوقة فينا، فهذه كلها أفعال خلقها الله تعالى وأظهرها في عباده.

ونقيس على ذلك كل النصوص الأخرى: فالنار مثلاً لا تحرق بذاتها أو بطبعها، لأن الحرق خلق من خلق الله يصيب به من يشاء وكل من ينسب لها التأثير فقد أشرك بالله تعالى، فلا تأثير للنار في الحرق. ولهذا تأملوا هذا الحديث الذي نطق به لسان وقلب سيدنا رسول الله ﷺ ، «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السَّجُودِ» من العبد، أي الوجه أو جميع أعضاء السجود، هل سمعتم أيها الساجدون، إن تلك الأعضاء التي عفرت وجهها بالتراب ساجدة لله تعالى حفظها الله تعالى عن النار، فهذا دليل أن التعذيب بأمر الله لا بطبيعة

النار، ولهذا علينا أن نعتقد أن المؤثر هو الله تعالى، ولكن جعل بين الأسباب والمسببات تلازماً عادياً بحيث يصح تخلفه، أي يمكن للنار ألا تحرق إذا شاء الله تعالى، ولهذا عندما أُلقي فيها الخليل سيدنا إبراهيم أمرها مولانا فقال:

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الأنبياء: ٦٩ فهل لو كنت

النار تحرق بطبعها كانت توقفت عن حرق الخليل؟

أيها الإخوة: إلى هنا توقفت مرة عن الحديث فنظرت فرأيت على وجه أحد تلامذتي الأذكىاء إشارات الاستفهام، ما الأمر يا بني؟ قال الطالب: نقرأ كثيراً في الآيات القرآنية أن الله ينسب فيها الأفعال والأعمال والصنع والخير للعباد فما السر في ذلك، لماذا نسبها إليهم؟

أسمعتكم مثل هذا السؤال الذكي؟، فتأملت في هذا السؤال ثم قلت له:

عندما تقول: إن الأمير أو الوزير أو أي شخصية على ممر التاريخ ذكر عنها المؤرخون أنهم بنوا مدينة مثلاً، عندما يقال: بنى الأمير المدينة، هل هو الذي أخذ المعاول والاسمنت وغيرها وبقي يبنّيها سنوات، لا، بل نسبت إليه من باب إسناد الفعل لما هو سببه، ونقيس على ذلك كل النصوص الواردة التي نسبت إليها الأفعال للجملادات والأعراض، تقول: سال الوادي بالمطر، لقوله تعالى ﴿ فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ الرعد: ١٧ وقال: ﴿ تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ المؤمنون: ١٠٤ فما نسبت الأفعال إلى هذه الجملادات إلا لأنها محل لظهورها، أما موجدتها وخالقها فهو الله والله وحده لا شريك له، وعليه اسمعوا القاعدة التوحيدية:

(إن الله يوجد تأثيره عند الأسباب العادية لا بها، ولا بقوة أودعها الله تعالى فيها)، فقد أجرى المولى العادة أن يخلق عند الأسباب لا بها، أو بها عادةً مع صحة التخلف، فمن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بنفسه فلا نزاع في

كفره، ومن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بقوة أودعها الله تعالى فيه فهو فاسق وهو قول المعتزلة، وأما الحق الذي لا مرية فيه فهو أن نقول:

إن الله يوجد الاحتراق عند النار، ويوجد الضوء عند الشمس، ويوجد النور عند القمر والمصباح، ويوجد الشبع عند الأكل، والجوع عند عدم الأكل، والري عند شرب الماء، والقطع عند السكين، والشفاء عند التداوي.

غبي ذلك الذي يعتقد أن الدواء هو الذي يشفيه أو الطبيب هو الذي يشفيه، الشافي هو الله، فيا رب بحق هذه العقيدة التي اعتقدناها أن تشفينا وتعافينا بيدك الشافية.

أيها الإخوة:

هذه العقيدة أو الإيمان الذي نجده الآن في قلوبنا هو من خلق الله تعالى وهذا يوصلنا إلى القضية الثالثة: إن الله تعالى يخلق في قلب العبد الطاعة أو المعصية، لا يخلقهما بطريقة الغلبة أو القهر بل يخلقها في قلبه مقروناً باختيار العبد وكسبه، فهو قد جعل الإيمان محبوباً للمؤمنين، وجعل الكفر مطلوباً للكافرين، ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ الروم: ٣٢ أسمعتم هذه الآية، المهم أن الله تعالى بفضله حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبِعَدْلِهِ جل جلاله ترك هداية أهل الكفر وحبب إليهم العصيان وكره إليهم الإيمان، فسبحان القائل ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ المنشئ: ٣١، ﴿وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ﴿الزمر: ٣٦﴾ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ ﴿الزمر: ٣٧﴾ وهذا يوصلنا إلى القضية الرابعة.

هل يجب على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح للعبد؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول: إذا كان هناك أمران أحدهما فيه صلاح للعبد، والآخر أصلح منه، فهو جائز في حقه تعالى أن يفعل الأصلح دون الصلاح، وهذا خلاف للمعتزلة الفساق الذين قالوا بوجوبه على الله تعالى، فإنه سبحانه لو وجب عليه فعل الأصلح لعباده لما خلق الكافر والفقير، والمعذب في الدنيا والآخرة، ولا ابتلى بالأسقام والآلام والمحن والآفات، ولهذا رد عليهم أهل السنة والجماعة فقالوا:

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب

ألم يروا إيلاهم الأطفالا وشبهها فحاذر المحالا

حكي أن الحافظ ابن حجر مر يوماً في السوق بموكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي، وأثوابه ملطخة بالدرن وهو في غاية الرثاثة والبشاعة فقبض على لجام بغلته ، ثم قال له:

يا شيخ الإسلام، أنت تزعم أن نبيكم قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (أحمد - م - ت - هـ: صحيح)، فأني سجن أنت فيه مع هذه النعمة، وأي جنة أنا فيها مع ما ترى؟!

فقال له الحافظ رحمته الله: أما فإن الذي أنا فيه بالنسبة لما أعدّه الله لي في الآخرة من النعيم للمؤمنين يعد سجنًا، وأما أنت فالذي فيه بالنسبة لما ينتظرك من العذاب الأليم يعد جنة. فأسلم اليهودي.

وهذه المسألة بالذات هي السبب في ترك الإمام أبي الحسن الأشعري مذهب المعتزلة فقد قال لشيخه الجبائي المعتزلي في درسه: ما تقول في ثلاثة إخوة، مات أحدهم كبيراً طائعاً، ومات الثاني كبيراً عاصياً، ومات الثالث صغيراً.

قال الجُبَّائي: الأول يثاب بالجنة، والثاني يعاقب بالنار، والثالث لا ثواب له ولا عقاب: فقال الأشعري: فإن قال الثالث: يا رب لم أمتني صغيراً ولم تبقيني حتى أبلغ، فأطيعك فأدخل الجنة، فقال الجُبَّائي: يقول له ربه: علمت أنك لو كبرت عصيت، فتدخل النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً.

فقال الأشعري: فإن قال الثاني: يا رب لما علمت أنني إن كبرت عصيت فدخلت النار فلم لم تمتني صغيراً حتى أكون كأخي، ماذا يقول الرب؟ فبهت الذي فسق، وقال له: وسوست يا أبا الحسن؟! فقال الإمام الأشعري: لا، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة.

أيها الإخوة:

وهذا يوصلنا إلى القضية الخامسة، الثواب على الطاعة، والعذاب على المعصية، فهذان من الجائزات أيضاً في حق مولانا عز وجل.

الثواب الذي وعدنا الله إياه هو بفضله تعالى وليس واجباً عليه، أي أن الله تعالى معط لمن أراد به خيراً وعده الذي سبقت به إرادته في الأزل، لأنه لو تخلف إعطاء الموعود للزم الكذب والسفه والخلف بالوعد، والتبديل في قول الله تعالى، وهذا خلاف قوله تعالى ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَمِيدِ ﴾ (٢١) ق: ٢٩

وقوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ (١١٤) ل: ١٩٤ على أن وعد المؤمنين بلجنة لا يتخلف شرعاً، وأما الوعيد فلا بد من تحققه بالكافرين قطعاً لأنه عز وجل

يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ النساء: ١١٦

وأما عصاة المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً، فيجوز أن يغفر الله لهم، ويجوز أن يعذبهم ويدخلهم النار واسمعوا إلى من تحبون أن تصلوا عليه يقول: « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على عمل

عقاباً فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» (طب- أبو يعلى). والذي علينا اعتقاده أن الثواب هو بفضل الله تعالى وليس واجباً عليه وأن العقاب بعذله وليس واجباً عليه أي ليست المعصية مستلزماً للعقاب.

أيها الإخوة: إليكم هذا الحديث الإيماني العظيم الذي رواه لنا سيدنا جابر بن عبد الله (قولوا رضي الله عنه) قال:

«خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً فقال: يا محمد، والذي بعثك بالحق إن عبداً من عباد الله عبد الله 500 سنة على رأس جبل في البحر، وقد أخرج له عيناً بعرض الأصبع تفيض بماء عذب فتستتقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة، يتعبد يومه فإذا نزل أصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام بصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وألا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه الله وهو ساجد، قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله سبحانه فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملتي، فيقول أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: بل بعملتي، فيقول الله عز وجل قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة ٥٠٠ سنة وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه. فيقول ادخلوا عبدي النار، فيجر إلى النار، [ولهذا ورد في الحديث من نوقش الحساب بعمله هلك] كتاب السنة للشيباني، فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه. فيوقف بين يديه ويعدد الله عليه نعمه التي أنعمها عليه ويسأله رب العزة: من الذي أنعم عليك بكذا وكذا وفي كلها يقول: أنت يارب.. ويعدد عليه نعمه ثم يقول: فعلت

معك ذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة أدخلوا عبدي الجنة، فنعم العبد كنت يا عبدي، فأدخله الله الجنة، قال جبريل:

. إنما الأشياء برحمة الله يا محمد» ض

فيا رحمة الله حلي في منازلنا وجاورينا بخير الرسل كلهم
أيها الإخوة الكرام: أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد،
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

آيات الصفات

- ١٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته، وتعزز بعلو أحديته وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناء وتصوير، فسبحانه تعالى له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدٍ موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده قال لنا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥

استوى كما أخبر، وعلى الوجه الذي أراد، وبالمعنى الذي قال، استواء منزهاً عن الحلول والانتقال، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته.

فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ بأنه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان، علم ما كان، وعلم ما يكون وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، من الذي أمره بين الكاف والنون؟ أإله مع الله، وحدوا الله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الدجى،
وأصحابه مفاتيح الهدى، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فخير ما نستهل به جمعتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله:

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران: ٧

أيها الإخوة الكرام:

كتاب الله تعالى مشحون بالتوحيد، وهو الدليل القاطع على وجوده سبحانه
وتعالى، ومن لم يكن هداه من قبله تعالى لا تنفعه براهين عقله، لأن العقل عند
الأشاعرة لا يستقل بنفسه في الدلالة على الصانع المدبر، وإن اتسع فهمه
وتعاضد علمه، بل لا بد من معونة الله تعالى، وإلا ضاع سعيه، وركب متن
عمياء، وخبطَ خبطَ عشواء، وهوى في المهوى المهلكة وهو لا يشعر.

وفي كتاب مولانا عز وجل والسنة المطهرة نصوص ظاهرها فيه تناقض
وهو ما يسمى عند العلماء بالمتشابه، والمتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده،
والتي فيها نظر وتحتاج إلى تأويل، وهو على ثلاثة أضرب:

١- نوع لا سبيل إلى الوقوف عليه كأوائل السور. ألم - حم

٢- ونوع يمكن للعبد معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة.

٣- ونوع بين الأمرين، وهذا يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم
ويخفى على من دونهم.

وأما المحكم فهو الواضح الظاهر الذي لا يحتاج إلى بيان، عُرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره. والمتشابه: الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح وتأويل، والمتشابه تشابه اللفظ مع اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه.

أيها الإخوة الكرام:

استعدوا اليوم فإننا مع الدرس الإيماني الثالث عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية، وعنوان هذا الدرس: آيات الصفات، فما هي هذه الآيات؟ أدعوكم أولاً لتوحيد الله تعالى.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

على رأس هذه الآيات قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ طه: ٥ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الأنعام: ١٨ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ النحل: ٥٠ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ الرحمن: ٢٦ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ۝٢١٠﴾ البقرة: ٢١٠ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ الفجر: ٢٢ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الحديد: ٤ ﴿مَأْمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ ۝١٦﴾ الملك: ١٦ ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الأنعام: ٣ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْأَوْبِدِ ۝١٦﴾ ق: ١٦ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة: ١٨٦ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ ۝٨٤﴾ الزخرف: ٨٤

ومن الأحاديث التي صحت عن سيدنا رسول الله ﷺ قوله:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (ق).

ومنها قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» (م).

ومنها قوله ﷺ: «رأيت ربي في المنام في أحسن صورة» (صحيح بمجموع طرقه).
ومنها حديث الجارية التي سألتها رسول الله ﷺ: «أين الله» فأشارت إلى السماء (صحيح).

ومنها قوله ﷺ: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها» (الآجري)
وقوله ﷺ: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا يبرقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه» (خ).
أيها الإخوة:

وهذه الآيات والأحاديث دعت بعض المشبهة والمجسمة أن يعتقدوا اعتقاداً خطيراً ابتغاء الفتنة، فأتوا في أحاديثهم عنها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات خطيرة تحتل التشبيه والتنزيه والكفر والإيمان، من مثل قولهم إن الله يشار له بالإشارة الحسية، وإن له جهةً فوق، وأنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً، ويأتون بصفات لا تليق إلا بمخلوق.

ولأجل هذا انبرى علماء التوحيد لتبيين المراد من هذه الألفاظ الموهمة، فلجأوا إلى التأويل لئلا يقع الناس في الإلحاد في الدين، وعليكم أن تحفظوا هذه المسألة: ما ألجأ علماء الخلف إلى التأويل إلا الضرورة الماسة ليصححوا مسار العقيدة التي وقع بها أصحاب العقول السقيمة التي شبهت الخالق بالمخلوق، ونسوا أن مولانا عز

وجل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١

وهذه معناها أنه ليس بجسم ولا في حيز، وأنه ليس متجزئاً ولا مركباً ولا محتاجاً لأحد، ولا مفتقراً إلى مكان، ولا زمان، ولا حالاً فيهما، اسمع إليه يقول لنا ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر: ١٥ وقال لنا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ١

فقوله (أحد) يدل على نفي الشريك، وكونه إلهاً يقتضي كونه غنياً عن كل ما سواه، ولهذا جاءت الآية الكريمة بعدها ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ والصمد هو السيد الغني عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه، ولو كان جسماً أو مختصاً بحيز أو جهة لكان محتاجاً فلا يكون صمداً على الإطلاق.

أيها الإخوة: نحن اليوم نعالج بحثاً دقيقاً هاماً في علم العقيدة. إننا حين نفتح كتاب الله ونقرأ فيه، سوف نقرأ آياتٍ كالتي صدرتها في حديثي إليكم، تُؤهِمُ أن الله يشبه خلقه، وآياتٍ أخرى تنفي الشبه عنه تعالى لأحد من خلقه نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١، فما هو دورنا حين نقرأ هذه النصوص التي في ظاهرها تناقض وتضاد؟.... انتبهوا:

إذا ما ورد نصان ظاهرهما فيه تناقض فماذا نفعل؟ ما الواجب على العبد من جهة الاعتقاد؟ ماذا نعني بقول علماء العقيدة:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضُ وَرْمُ تَنْزِيهِهَا؟

للجواب على ذلك أريدكم أن تملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى.
أيها الأخوة:

يجب علينا أن نجمع بين ما ظاهره الجهات والتشبيه فيحمل ذلك على المجاز لتعذر الحقيقة بالمناقضة، فإن كان العبد واسع القلب، فسيح الصدر، عظيم الذوق والإدراك يردُّ علم جميع ذلك لله تعالى، وينزهه عن المعنى

الحسي المفهوم من ظاهر الكلام، كما كان عليه قرن الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وهذا المذهب هو الأسلم، والطريق الأقوم.

وإن كان العبد ليس من فرسان هذا الميدان فليرجع إلى التأويل، كما عليه أئمة معتبرون، وهم من جاء بعد القرون الثلاثة أو الخمسة الأولى الهجرية، ليفهم القاصر وليطمئن قلبه فكيف ذلك؟

إنني وقبل أن أدخل معكم في خضم هذا البحث العظيم الواسع الذي نرجو من الله أن نخرج منه جميعاً وقد امتلأت قلوبنا بالإيمان والاعتراف لمولانا بالكمال المطلق فإنني أريد أن أضع أمامكم مثلاً واحداً يوضح فكرة التأويل؟ ما هو التأويل؟

التأويل: هو حمل النص المتشابه على خلاف ظاهره المتبادر مع بيان المعنى المراد، فهو أولاً يصرف اللفظ عن ظاهره قطعاً. وهو ثانياً يؤوله فيبين فيه المعنى الذي يظن أنه مقصود. ولئلا يتبادر إلى أذهانكم أن العلماء ابتدعوا أمراً في الدين لم يكن موجوداً فإنني أذكر لكم مثلاً من القرآن، ومثلاً من السنة أثبت لكم فيه أن هناك نصوصاً لا بد من تأويلها وصرفها عن ظاهرها.

ولاً من كتاب مولانا عز وجل: قل تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ التوبة: ٦٧ وقال: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا الْفَأْ يَوْمَهُمْ هَذَا﴾ الأعراف: ٥١

وأنا أسأل: أفيجوز نسبة النسيان لله تعالى؟، وهو نوع غفلة تنزه الله عنها، أوليس هو الذي قال ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم: ٦٤

هنا لا بد من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر في الذهن إلى معنى يليق
بكمال الله تعالى، ولهذا اسمعوا إلى سيدنا ابن عباس الذي دعا له رسول الله
(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (ق). عندما سئل عن هذه الآية، قال:
أي نتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم.
إذاً هذا نص لا بد من تأويله

ثانياً النص من السنة المطهرة: وهو حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه
يرفعه رسول الله ﷺ إلى مولانا عز وجل بما نسميه نحن بالحديث القدسي،
إنه دليل قوي على التأويل . إن جاز لنا قول ذلك . حديث قدسي؟ نعم،
فأعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية، يقول مولانا عز وجل (م):

« يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال:
أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما إنك لو عُدَّته لوجدتني عنده » .

أرأيتم حديثاً عظيماً في التأويل كهذا، فقد وجه مولانا إلى عبده نصاً
متشابهاً، يوهم أن الله تعالى يمرض، وهو محال على الله تعالى، وحين تلقى
العبد النص على ظاهره، أحس بأنه لا يتفق مع ما لديه من حقائق التوحيد
والتنزيه، وأن الله لا يتصف بصفات المخلوقين، فبادر إلى السؤال التعجبي:
وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟! فأجابه مولانا:

« مرض عبدي » (عبدي: تشریف) « فلم تعده، أما إنك لو عُدَّته لوجدتني
عنده » (أي لوجدت ثوابي) هو من باب قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ

حِسَابُهُ ۖ النور: ٣٩

انتبهوا أيها الإخوة:

نسبة المرض إلى الله تعالى محال، لذلك لم يقل له مولانا إن مرضي ليس
كمريضك يا عبدي، فقد قال المجسمة بذلك، فوقعوا في التشبيه ابتغاء الفتنة.

أيها الإخوة:

بهذين المثالين يتبين لنا أن من نصوص القرآن ما لا يمكن إجراؤها على ظاهرها، وأنا أسأل ماذا يمكن أن نقول في قوله تعالى لسيدنا موسى ﴿وَلِصَّنْعَ عَلَىٰ عَیْفَ ۝٣٩﴾ طه: ٣٩ هل يقتضي استقرار سيدنا موسى على تلك العين والتصاقه بها، واستعلاءه عليها؟ هذا لا يقوله عاقل، بل لا يقوله مسلم منزّه الله تعالى.

أيضاً ماذا نقول في قوله تعالى لسيدنا نوح ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ بِأَعْيُنِنَا هود: ٣٧ هل يقتضي أن تكون الأعين آلة تلك الصنعة؟

واسمعوا إلى قوله تعالى ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: إن إثبات الأعين في الوجه الواحد لا يليق بمخلوق، فكيف بالخالق؟

إننا نقول إنه لا بد من التأويل، على ما يليق بصفات الله تعالى، أي صرف النص عن ظاهره المحال في حقه تعالى، وأن ننزّهه عن الانتقال وسائر صفات الحوادث.

وأما أن نمسك عن تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١ وهذا هو التفويض والتسليم فنقول: لا نعلم المراد بهذا، ولكن نؤمن به مع اعتقاد أن ظاهره غير مراد وأن له معنى يليق بالله تعالى.

وكلا الفريقين من أهل السنة والجماعة، ولهذا اسمع إلى قول الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «نثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفاه عن نفسه فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١».

أيها الإخوة الكرام:

هذه التساؤلات التي أثارها أمامكم اليوم أدعوكم لأجيب عنها هنا في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



واجبنا أمام آيات الصفات

- ١٤ -

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصابيح، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات.

فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً، وأوضحها بياناً وأعلاها مقاماً، وأحلاها كلاماً، وأوفاها زمناً، فأوضح الطريقة، ونصح الخليقة، وشهر الإسلام وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وحذر الحرام.

اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة.

ماذا وما هي؟

سؤالان أسألهما وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما مع
الدرس الرابع عشر من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية: ماذا يجب
علينا معشر المسلمين تجاه آيات الصفات؟، وما هي الكليات الستة في آيات
وأحاديث الصفات؟.

فقد وقفت معكم في الجمعة الماضية على هذا المنبر المبارك وتلوت على
أسماعكم بعض آيات وأحاديث الصفات، والتي عدها علماء التوحيد من
المتشابه، وقلت لكم: إن علماء التوحيد بالنسبة لآيات الصفات ينقسمون إلى
قسمين أهل التفويض والتسليم، وأهل التأويل والتصريف.

وإن أهل التفويض يقولون: إننا لا نعلم المراد بهذا، ولكن نؤمن به مع
اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وأن له معنى يليق بالله تعالى، لأن ظاهرها
محال في حقه فيقولون: أمرؤها كما جاءت.

وأما أهل التأويل فيقولون: بصرف النص عن ظاهره المحال في حقه
تعالى، وأن ننزله عن الانتقال وسائر صفات الحوادث.

فما الذي يجب علينا نحن أمام هذين الفريقين في هذه المسألة الهامة؟
أدع جواب هذا السؤال لحجة الإسلام سيدي الإمام الغزالي في كتابه (إجام
العوام)، ولكي نتبارك بهذا الإمام فاسمعوا اسمه إنه سيدي محمد بن محمد بن
محمد الغزالي، فما أعظم هذا الاسم الذي ارتبط بسيد الوجود ﷺ يقول هذا الإمام
العلم: إن الواجب على عوام الخلق تجاه آيات وأحاديث الصفات أمور:

أولاً: التقديس: تنزيه مولانا عن الجسمية ومشابهته للحوادث.

ثانياً: التصديق: الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة على الوجه الذي أراده
الله ورسوله ﷺ .

ثالثاً: الاعتراف بالعجز: أن يقرر بأن معرفة مراده تعالى ليس على قدر طاقته.

رابعاً: السكوت: وهو أن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه، ويعلم أن سؤاله عنه بدعة.

خامساً: الإمساك: أي لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى أو الزيادة فيه أو النقصان منه.

سادساً: الكف: يكف بالمرة عن التحدث به بداخله.

أيها الإخوة الكرام: هذه هي الكليات الست التي يجب علينا تنفيذها عند قراءتنا لهذه الآيات.

ولكي أهدم معكم آخر سور بين الإيمان وبين ضعيفي الإيمان، ولكي تشرق شمس الحقيقة بازغة تفضح وسوسة كل شيطان، وتحرق ضلال المجسمة والمشبهة فإنني اليوم على موعد معكم في الحلقة الرابعة عشرة في بحث التأويل على مذهب الخلف، ولأجيب عن سؤال هام: كيف أول الخلف من علماء التوحيد الألفاظ المتشابهة؟
إن علماء التوحيد قالوا:

«كل ما ورد في الكتاب والسنة يجب أن يفهم بضوء السياق الذي ورد فيه».
واسمحوا لي قبل أن أتابع أقوال علماء التوحيد أن أشرح هذه القاعدة الهامة في التأويل وأمثل لذلك بأمثلة موضحة:

مثلاً: قوله تعالى مخبراً عن القرآن الكريم بأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا

مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت: ٤٢ هل المراد إثبات اليمين للقرآن؟

إن المراد من ذلك لغة العرب التي نزل بها القرآن وهو الإخبار عن الحفظ لهذا الكتاب المبين فلا يصح أن يقال: إن للقرآن يدين، ثم يقول: يدان ثليقان به.

مثال آخر: قوله تعالى على لسان عبده: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٥٦ ليس المراد إثبات جنب الله، لأن المراد في لغة العرب: إثبات أن هذا العبد فرط في أوامر الله ونواهيه في الدنيا، فهو يندم ويتحسر عليها في الآخرة.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [١٤٢] ل عمران: ١٤٢ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾، هل يصح هذا الإيراد أن نأخذه على ظاهره؟ هل يصح أن نقول إن الله كان لا يعلم؟ لا، لأن الله قبل خلقنا يعلم كل شيء، يعلم من الذي سيجاهد في سبيله، ومن هم الصابرون ابتغاء مرضاته، إذاً المعنى المراد من الآية غير ظاهرها.

إذاً: كل ما ورد في الكتاب والسنة يجب أن يفهم بضوء السياق الذي يرد فيه، فليس كل ما ورد يصح وصف الله به ويؤخذ على ظاهره: اليد، القدم، الساق، الوجه، الصورة، وأشباهاها من الأعضاء، لا يصح القول بأنها صفات لله تعالى وتذكروا معي صفة الوجدانية وأن أول شيء يجب أن نعتقه أن الله تعالى ليس مركباً من الأعضاء والأجزاء، وهو منزّه عن الشكل والهيئة، لأنها من صفات المخلوق، المخلوق مركب من صورة، اسمع إلى مولاك يقول: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [٨] الانفطار: ٨ المخلوق مركب من أجزاء وأعضاء، وأما مولانا فليس كمثله شيء، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [٤] الإخلاص: ٣ - ٤

فليس بعد هذا البيان الأساسي بيان.

أيها الإخوة:

وصلت معكم إلى القاعدة الهامة والحكم العقائدي فأصغوا إليَّ بأسماع وأفهامكم، فنقول: إن الذين يقولون: «إن لله يداً وعيناً وجنباً وأصابع، وقبضةً وحركةً وسكوناً ومجيئاً (وجلوساً)، ثم يقول: إنها حقيقية» يكون مجسماً ومشبهاً، ولا يفيد أنه يقول بعد ذلك بلا كيف أو بلا تشبيه، وكذا لا يفيد أنه يقول بعد ذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١

وتدعيماً لهذا القول إليكم الدليل من قول إمام الأئمة في عصره سيدنا الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول:

«قد غلط ابن قتيبة فأجرى الحديث على ظاهره فقال: «الله تعالى صورة لا كالصور» وهذا الذي قاله ظاهر الفساد، لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركب مُحدث، والله تعالى ليس بمُحدث، فليس هو مركباً وليس مصوراً، ثم قال: وهذا كقول المجسمة، جسم لا كالأجسام... وأن لفظ الجسم والصورة يتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث» انتهى كلام النووي. أيها الإخوة:

لما قال المجسمة قولهم هذا قام علماء الخلف الذين يعرفون العربية وطرقها في التعبير، وقواعد الأصول والفروع فلجؤوا إلى التأويل، خشيةً على عقائد المسلمين من الاهتزاز أو الضياع، ولولا أن المبتدعة قاموا ببدعهم، وأحاطوها بالشبه والأباطيل، لما قام هؤلاء بالتأويل.

فما هو حديث الصورة الذي سقط فيه المجسمة إلى هاوية الضلالة، إنه حديث رواه البخاري ومسلم ونصه: «**إن الله خلق آدم على صورته**» وفي رواية «**على صورة الرحمن**».

والمراد من هذا الحديث تشريف ابن آدم، لأنه نَسَب صفاتهم إلى صفات الله تعالى، على صورته: تشريف لأنه من المحال أن تكون لله صورة قائمة

بذاته تعالى، لذلك حضرة نبينا الأعظم عندما رأى مولانا عز وجل في المعراج سأله ابن عباس عن هذه الرؤية فقال: « **نوراً أنى أراه** » (م)، رآه نوراً، بلا كيف ولا انحصار.

فالمعنى المراد في التأويل: خلق آدم على صورته، أي على صفاته، الصورة هي الصفة، فكما أن لمولانا سمعاً وبصراً وعلماً وحياءً، فكذلك لبني آدم، وليس في الكائنات أحد له المظهر الكامل لتلك الصفات إلا الإنسان.

لكن يجب علينا التمييز بأن صفاته تعالى قديمة وصفة الإنسان حادثة. وكذلك نقول عن الآيات والأحاديث التي فيها ألفاظ المجيء والإتيان: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [الفجر: ٢٢]، « **ينزل ربنا** »، ﴿ **يَأْتِيهِمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ألفاظ يجب أن تفهم من سياق الكلام، وأنا أسألكم اليوم ماذا نقول بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُمْ سَاعَةً** ﴾ [الأنعام: ٤٠] هل تستطيعون أن تقولوا لي كيف تأتي الساعة أو العذاب بدون رجلين أو جسم، وقوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ أَمْرُهُمْ** ﴾ [يونس: ٤٩] وقوله ﴿ **فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ** ﴾ [الأحزاب: ١٩] الإتيان والمجيء: جاء أمره وتدبيره.

﴿ **يَأْتِيهِمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢١٠]. أولت برويتهم إياه بعد أن غاب عنهم.

النزول: نزل أمره أو نزل الملك بأمره.

وقوله ﷺ: « **قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء** »

وقوله تعالى: ﴿ **وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح: ١٠]، هذه كلها ظاهرها جوارح، الأصابع جارحة، الوجه جارحة، اليد جارحة، والله منزّه عنها، لذلك أولت اليد بالقدرة « **والذي نفسي بيده** »: (بقدرته)، ﴿ **لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ** ﴾ ص: ٧٥ بقرتي وإرلتني. « **بين أصبعين** »:

بين صفتين من صفات الرحمن هما صفتا القدرة والإرادة، وهذا يعني أن مولانا متحكم بالقلوب، ف اللهم ثبت قلوبنا على ذلك.

وهكذا كل حديث يحتمل صفات الحوادث ننزه مولانا عنه، وهناك حديث عظيم عن سيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه: « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » (ق)، والظل منزّه مولانا عنه لأن للحوادث ظلاً، فظله هنا: أي في كنفه وتحت رعايته، كما قال لسيدنا موسى ﴿ **وَلِئُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنٌ** ﴾ طه: ٣٩ أي تربية ملحوظة بعناية الله وجميل رعايته، فالعين: أي الحفظ والتربية والرعاية. أيها الإخوة الكرام

وقبل أن أفارق هذا المنبر الشريف أختم هذا الملف بقوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ طه: ٥ هذه الآية التي بدأنا فيها هذا الملف، فإن ظاهر الاستواء على العرش (بمعنى الجلوس مع التمكن والتحيز والاستقرار) محال في حقه تعالى، والاستواء له ثلاث معان:

- ١- الجلوس وهذا محال على الله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ الشورى: ١١
- ٢- القدرة أي ملكاً وقدرتاً، أو علا وارفع، وقد قال لنا ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ طه: ٥ أي استوت رحمانيته، من قوله تعالى ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ الأعراف: ١٥٦ أو هو الاستيلاء بالقهر والغلبة، وهذا يقال به لإفهام من لا فهم له، أي عند الضرورة.

وقد سئلت السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر» .

إن القول بأن مولانا جالس على العرش أو كائن في السماء قول باطل وعقيدة فاسدة، إنه يعني: أن مولانا يحتاج إلى مكان، يحل في مكان، بينما

أهل التوحيد يقررون بأنه إله قديم مستغن عن كل ما سواه، كان قبل خلق المكان والجهة، وقد جاء رجل (خ) إلى سيدنا رسول الله ﷺ فسأله: أَخْبِرْنَا عن أول هذا الأمر؟ فقال ﷺ: « **كان الله ولم يكن شيء غيره** » .

وجاء رجل إلى جدي سيدنا علي رضي الله عنه فسأله: « أين كان الله قبل خلق السموات والأرض؟ » فقال رضي الله عنه: « " أين " سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان، وهو اليوم على ماكان » وسمع معي إلى قول ابن عباس رضي الله عنه يقول: « ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم ».

ورضي الله عن الإمام الغزالي الذي لخص لنا هذه المواقف فقال:

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه	قصرته والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا	تدري من أنت ولا كيف الوصول
أنت لا تدري صفات ركبت	فيك حارت في خفاياها العقول
أين تسكن الروح في جوهرها	هل تراها فتري كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها	لا، ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم فقل لي ياجهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري فيك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي	بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب أم كيف يرى	فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو في كل النواحي لا يزول

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله



النبويات حاجة البشر للأنبياء - ١٥ -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمته وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات.

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فأعطى آدم الصفوة، وإبراهيم الخُلَّة، وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أراح بنور وجوده ظلم الجهالات.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم لومة لائم في سائر الأوقات، وسلم تسليماً.

أما بعد . فيا أيها الإخوة

حينما أكرمنا الله تعالى بفتح ملف العقيدة، تذكرون بأننا قسمنا علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ١- إلهيات ٢. نبويات ٣. سمعيات.
وكلها مستمدة من الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله).

وقد بقينا على مدار أربع عشرة حلقة حول الإلهيات، سائرين كلمة فكلمة، وبيتاً فبيتاً مع منظومة العلامة الشيخ عبد المجيد الشرنوبى، وبدأ الناظم بعد الإلهيات بالحديث عن النبويات فقال رحمه الله تعالى:

وواجبٌ لرسُلِهِ الأمانَةُ والصِّدْقُ والتَّبْلِيغُ والفِطَانَةُ
ومستحيلٌ ضَدُّهَا فَلتَعْلَمَ وجائزٌ كالأكْلِ في حَقِّهِم

لكنني وقبل أن أستعرض معكم ملف النبويات اسمحوا لي أن أقف معكم هنيهة حول مدى حاجة البشر إلى الأنبياء والرسل الكرام، وما الفرق بين النبي والرسول.

وفي بداية ملف النبويات علينا أولاً أن نرفع التحية لجميع الأنبياء والرسل الكرام بأن نصلي عليهم من قلوبنا، ثم علينا أن نرفع التحية بشكل خاص لأولي العزم من الرسل سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى، ثم نرفع التحية لسيد الأنبياء، وخاتم رسل الله الكرام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد:

خُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّما بِهِ الْجَمِيعَ رَبُّنَا وَعَمَّما
بعثته فشرعهُ لا يُنْسَخُ بغيرِهِ حَتَّى الزَّمانُ يُنْسَخَ

محمد سيد الكونين والثقليين والفريقين من عُزْبٍ ومن عَجَمٍ
فيا:

مولاي صلّ وسلم دائماً أبداً
على حبيبك خير الخلق كلهم
وارفعوا أكفكم إلى الله تعالى وقولوا:

اللهم أكرمنا بإتمام ملف النبويات والتوحيد بجاء هؤلاء الأنبياء، وبجاه
سيدهم سيدنا محمد ﷺ ، وأن يتجلى علينا بالفهم والقبول والاعتقاد الصحيح
الذي يرضى به عنا مولانا عز وجل.
أيها الإخوة:

إننا مع الحلقة الخامسة عشرة من ملف التوحيد، أنقلها لكم على الموجات
الإيمانية من جامع الدرويشية، فما هي النبوة؟
النُّبُوَّةُ لغةً: ما ارتفع من الأرض، يقال نبا الشيء إذا ارتفع، فالأنبياء قوم
رفعهم مولانا عز وجل على سائر الخلق والبشر.

والنبيُّ: عبد اصطفاه مولانا عز وجل من بين عباده بالوحي إليه، فإذا كان
النبي رسولاً فإنه يكلف أن يبلغ شريعة للناس، فالرسول هو النبي المكلف من
قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه، ولهذا اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول: أعوذ
بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن

بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ آل عمران: ٣٣ - ٣٤

اصطفى: اختار واجتنبى، ولأجل ذلك يقول علماء التوحيد: إن النبوة لا
تكتسب اكتساباً، ولا تتال بالدراسة والدكتوراه والبحث، ولا بالوجاهة والزعامة،
بل هي عطاء إلهي وإكرام رباني من مولانا الذي يقول لسيدنا موسى عليه
وعلى نبينا الصلاة والسلام:

﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ

الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ الأعراف: ١٤٤

ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبه

بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن شاء جل الله واهب المنن

ولماذا الرسل للناس وهو على جمعهم إذا يشاء قدير؟.

فلماذا الرسل، ومولانا يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿١٨٠﴾ هود: ١١٨

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال، اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد من على سفينة في البحر، إذ ركب فريق من طلاب إحدى الجامعات في سفينة ابتغاء النزهة في البحر، وكان الملاح المجدّف أمياً، فجعلوا يسخرون منه طيلة الرحلة، قال له أحدهم: يا عم! ماذا درست من العلوم؟

أجابه: لا شيء يا عزيزي، قال: أما درست العلوم الطبيعية؟ أجابه: لا، ولا سمعتُ بها.

فقال له آخر: لكنك لا بد درست الجبر والهندسة؟ فأجابه: صدّقْ أنني لأول مرة أسمع بهذه الأسماء. ودار الحديث بين ضحكات صاخبة، وغمز ولمز وإشارات مستهزئة، ثم قال له أحدهم: كم عمرك يا عم؟

قال: أنا في الأربعين من عمري، قالوا: لقد ضيعت نصف عمرك يا عمنا، وسكت الملاح على مَضَضٍ، وهاج البحر وماج، وارتفعت الأمواج، وأخذت السفينة تتراقص كريشة، وكانت أول تجربة للطلاب في البحر، فقال لهم الملاح: يا شباب ما هي العلوم التي درستوها؟ وشاروا في الرد عليه، ثم أخذوا يسردون له ما تعلموه، والملاح يبتسم حتى أفرغوا ما بجعبتهم، ثم سألهم سؤالاً واحداً: هل درستم علم السباحة، وهل تعرفون إذا

أسمعتم: لا نفرق بين أحد منهم، فإذا آمن العبد ببعض الرسل ولم يؤمن ببعضهم الآخر، وفرق بينهم في الإيمان فهو كافر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ النساء: ١٥٠ - ١٥١

أيها الإخوة:

من محاسن الصدف ما حدث في عهد بعض الأمراء فقد اجتمع بحضرته أحد علماء المسلمين، مع أحد رؤساء اليهود، مع أحد أساقفة النصارى، فقال لهم: أريد من كل منكم أن يثبت لي أنه سوف يدخل الجنة، فالتفت الحاخام اليهودي وقال: ليقل الأسقف أولاً، وقال الأسقف: ليقل عالم المسلمين أولاً.

فقال هذا العالم العلامة: « إن اليهود يدعون أنهم سيدخلون الجنة وهم لا يؤمنون بعيسى ومحمد، وأن الأسقف يدعي أنه سيدخل الجنة دوننا معشر المسلمين وهو لا يؤمن بمحمد رسولاً، أما نحن معشر المسلمين فلا شك أننا سندخلها لأننا نؤمن بموسى وعيسى وبمحمد ﷺ » فبهت الذي كفر

أيها الإخوة إن هذه الآية: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ / النساء: ١٦٥ / تعني أنهم يرسلون بلسان أقوامهم، من الأمة نفسها، من بني البشر، ويتعرضون لما يتعرض له غيرهم من البشر من الصحة والمرض والقوة والضعف، واللذة والألم، بشر، الرسل بشر، لا يملكون ضرراً ولا نفعاً، ولا يعلمون الغيب إلا بالقدر الذي يريد الله تعالى. اسمعوا إلى مولانا عز وجل يخبرنا عن ذلك كله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ الأنبياء: ٧ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان: ٢٠ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ الرعد: ٣٨ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ. ﴿ الأنبياء: ٨٣ - ٨٤ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ آل عمران: ١٤٤ ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْنَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ الأعراف: ١٨٨

أيها الإخوة الكرام:

إننا نستطيع أن نقول: إنه لا بد لكل أمة من مصلح مثالي تتوافر فيه صفات القدوة الحسنة والعصمة عن الخطأ في المبادئ والعلوم التي يهدي إليها، والعصمة عن الخطأ في الأعمال والأخلاق التي يرشد إليها ويأمر بها، ولا يمكن أن تتوفر هذه الصفات إلا في الرسول المعصوم المؤيد من الله تعالى.

وقد ظهر في البشر عباقرة، ولكن العبقرية تكون من ناحية واحدة من جوانب حياة العبقرية، وباقي حياته سقطات، ومثل هذا لا يصح أن يقتدى به في كل شيء، ويكون المثل الأعلى للناس.

وسمنا وشاهدنا أساتذة في الجامعات ودكاترة علماء ولكنهم لم يصلوا إلى مستوى الأئمة المجتهدين فكيف بدرجة النبوة والرسالة، ولهذا ليس كل إنسان يدعي النبوة أو الولاية نسلم له دعواه تلك، بل لا بد أن يكون متصفاً بصفات القيادة والأمانة والعصمة من الضلال والأوهام والأخطاء، مبرراً من كل طمع

ومساومة وريح مادي، لا تتغلب عليه الشهوات، وإليكم، هذا المثل الذي ضربته الملائكة لبيان مدى حاجتنا إلى الرسل:

فقد جاءت كوكبة من الملائكة إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: «مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدِبَةِ، وَمَنْ لَمْ يَجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدِبَةِ.

فقالوا: أولها له يفقهها، فقالوا:

الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله» (خ).

الداعي سيدنا محمد ﷺ يدعو للتوحيد والعبادة والأخلاق والمعاملات، لذلك شخصية الرسول شخصية غير عادية، فذة، مصونة بالعصمة الربانية ومتصفة بالكمال الإنساني، ولهذا عندما دعا سيدنا محمد صديقه أبا بكر الصديق إلى الإسلام، وكان قد عرف عنه شخصيته المثالية المؤهلة لأن يصطفيه الله برسالاته وبكلامه، لما دعاه قال له سيدنا أبو بكر: مَدَّ يَدَكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

أنا أشهد أنك رسول الله، يعرفه حق المعرفة: صادق، أمين، رؤوف، رحيم، كريم الأخلاق، بل اسمعوا معي إلى مَلِكِ عمان الجلندي، حينما دعاه رسول الله إلى الإسلام، أتعرفون ماذا قال؟.

قال: والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعود، فأشهد أنه نبي.

وحينما حمل سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا رسول الله كتاباً إلى النجاشي، (ملك الحبشة) وكان نصرانياً، يدعو فيه إلى الإسلام، لم يتأخر النجاشي عن الكتابة لسيدنا رسول الله ﷺ قال فيه: « فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً، وقد بايعتُك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ».

فلنعلن جميعاً اليوم إسلامنا، أسمعوني تحديكم لشياطين الإنس والجن، أعلنوها من قلوبكم، جددوا إيمانكم، ارفعوا أصواتكم، أشهدوا جدران المسجد على توحيدكم:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

لا إله إلا الله محمد عبده ورسوله.

لا إله إلا الله، عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الجنة حق والنار حق.

هذه هي مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يبقى موحداً لله تعالى.

لا إله إلا الله



عصمة الأنبياء وأمانتهم

- ١٦ -

الحمد لله المبدىء المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد،
من هداه فهو السعيد ، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى سبيل
النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف من أظلت
السما وأقلمت البيد.

نبيّ أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فحذرنا ناراً وبشّر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
تعاليت رب العرش عن قول جاحد فأياك نستهدي وأياك نعبد
وشق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولي المعونة على الطاعة والتأييد، صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد، وسلم تسليماً. أما بعد:

فقد أوجب الله على كل مسلم أن يؤمن بجميع رسل الله دون تفریق، وبين مولانا أن هذا هو إيمان المؤمنين قال سبحانه: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: ٢٨٥ وأخبر مولانا أن البر والخير في هذا الإيمان فقال عز من قائل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ البقرة: ١٧٧

وهؤلاء الرسل والأنبياء أرسلهم مولانا إلى الأمم في جميع العصور المتطاولة، فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله، ويرشدها إلى الحق، اسمع إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ النحل: ٦٣ و﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ فاطر: ٢٤ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يونس: ٤٧ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿٧﴾ الرعد: ٧ وكلهم دعوتهم واحدة، يدعون إلى عبادة الله وحده وإقامة دينه في الأرض: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ الأنبياء: ٢٥ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣

ولذلك هم أسوتنا وقوتنا فإذا كان مولانا قال عن نبيه ومصطفاه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فإن هذه الأسوة ثابتة للرسل جميعاً ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الممتحنة: ٦]

وإذا كان في أتباع الأنبياء (ممن يدعون الانتساب إلى واحد منهم) من يطعن على غير نبيه، فإن الإسلام أوجب علينا معشر المسلمين تعظيم الأنبياء والرسل جميعاً، فإذا أساءوا القول في واحد منهم أو طعن عليه خالف طريق الإسلام، فالمسلم يحب سيدنا موسى وعيسى كما يحب سيدنا محمداً ﷺ ويجلهم ويكبرهم إكبار سيدنا محمد وإجلاله.

واليهودي الذي دخل النصرانية لما جاء بها السيد المسيح لم يخسر موسى، ولكنه ربح معه عيسى، والنصراني الذي يدخل اليوم في الإسلام لا يخسر سيدنا عيسى وموسى ولكنه يربح معهما سيدنا محمداً صلى الله عليهم أجمعين. اسمع معي إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقول: « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران** » رواه مسلم.

أيها الإخوة الكرام

إننا مع الحلقة السادسة عشرة من ملف النبوات الذي يقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام: واجبات، ومستحيلات، وجائزات، صفات واجبات في حقهم، وصفات مستحيلات في حقهم، وصفات يجوز أن يتصفوا بها. وحديثنا اليوم عن الواجبات في حقهم عليهم الصلاة والسلام، يقول ناظم العقيدة الشرنوبية:

وواجبٌ لرسوله الأمانة والصدق والتبليغ والفظانه
ومستحيلٌ ضدها فلتعلم وجائز كالأكل في حقهم

فالواجبات في حقهم عليهم الصلاة والسلام أربعة: الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة.

ونحن اليوم مع الواجب الأول في حقهم: وهو الأمانة.
وأعني بالأمانة: العصمة والوقاية، العصمة ملكة يخلقها الله في عبده المصطفى المجتبي تحمله على فعل الخير، وتمنعه عن فعل الشر، دون أن يفقد اختياره، وهذا معناه: (حفظ ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي منه، ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى) وكل نبي يبعث يؤكد في أمته أمانته وإخلاصه، فسينا نوح عليه الصلاة والسلام قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٧) وسيدنا هود وصالح ولوط وشعيب، كل واحد منهم قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٢٥ - ١٦٢).

فالأمانة الركن الأساسي في مفهوم النبوة والرسالة، ولهذا شاء الله تعالى أن يتصف بها الحبيب الأعظم قبل البعثة، وألهم أهل مكة أن يلقبوه: (بالصادق الأمين).

والعصمة للأنبياء والرسل يخلقها الله تعالى بهم منذ الولادة، يعني الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها، فلا يصدر منهم ذنب، لأنهم منزهون عن الصغائر التي تزرى بفاعلها، وتحط منزلته وتسقط مروءته، وكذلك منزهون عما يوجب النفور منهم قبل النبوة كفجور الأمهات، والصغائر الدالة على الخسة، إننا نقول بيقين: إن الله صان أنبياءه عن أن يكونوا أولاداً غير شرعيين هم وأصولهم، بل يبعثهم الله في حسَب قومهم، لهذا اسمع إلى النسابة ابن الكلبي يقول: «كتبت لرسول الله خمسمئة أم لم أجد واحدة منهن ولدت من سفاح أو زنى».

وأنا أسأل سؤالاً: لماذا العصمة للأنبياء، وما السر في وجوبها لهم؟
لماذا يجب أن يكون الأنبياء والرسل معصومين من الصغائر والكبائر
والمكروهات؟

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال الهام، أدعكم أولاً لتصلوا على الحبيب
الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام.

إن الأنبياء تجب لهم صفة العصمة لأنهم قادة، لأنهم أسوة وقدوة، مُتَّبَعُونَ،
نحن مأمورون باتباعهم والافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل أو
منقشة، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ل عمران: ٣١ والاتباع لا يصح أن
يكون بمحرم ولا بمكروه ولا بخلاف الأولى، ولهذا فإن مولانا مدح أنبياءه بما لا
يدع مجالاً للشك بأن أنبياء الله يستحيل عليهم فعل المعاصي، اسمعه يخبرنا عن
أنبيائه ورسله الكرام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الأنبياء: ٩٠
﴿وَأَتَتْهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ص: ٤٧﴾ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ
﴿٤٦﴾ ﴿ص: ٤٦﴾ وقال لسينا إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة: ١٢٤
ولخبر عنه قل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿مريم: ٤١﴾ وقل
عن غيره له لصفاه نفسه: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ ﴿طه: ٤١﴾ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ
حَبَّةَ مِثْقَالٍ وَلَوْ تَصَنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿طه: ٣٩﴾ وقل لنبيه ورسوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور: ٤٨

هذه العناية الإلهية بأنبيائه ورسله الكرام بلغت الغاية من السمو الروحي
والصلة بالله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ البقرة: ٢٥٣

وهكذا . أيها الإخوة :

نجد هذه الأدلة الكثيرة الواردة في كتاب الله تضي عليهم الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعلهم نموذجاً حياً للكمال الإنساني والقدوة الحسنة:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ الأنعام: ٩٠

ولهذا نقول: كل ما ورد في القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره، وعلى رأسهم أبو البشر سيدنا آدم، فإن مولانا يقول: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾ طه: ١٢١ - ١٢٢ فظاهر هذه الآية الكريمة أن سيدنا آدم عصى ربه وغوى بمخالفته أمر الله، واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلّة وقع فيها: ﴿فَأَرَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦ هذا أولاً.

وثانياً: نقل أهل التفسير وأهل التوحيد في تفسير القرآن الكريم: أن مولانا نهى سيدنا آدم عن الأكل من شجرة الفصح قل لهما: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ البقرة: ٣٥ فظن سيدنا آدم شجرة بعينها (هذه الشجرة) فتركها وأكل من جنسها، ولهذا عد مولانا عمله ذلك عصياناً نظراً لمقام آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، ونبيّ هذا شأنه يجب أن يكون يقظاً كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه، وهذا كما قال علماء التوحيد من باب: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» (من كلام أبي سعيد الخزاز).

أيها الإخوة:

وأورد لكم مثلاً ثانياً عن سيدنا يوسف، فإن الآيات التي نزلت في شأنه تدل دلالة قاطعة على أنه لم يهمل بفاحشة، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ

هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا^ط لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ط ﴿يوسف: ٢٤﴾ فلما امرأة العزيز فقد همت به لا شك في ذلك، أما سيدنا يوسف فلم يوجد في نفسه الهَمُّ لماذا؟
لشئئين:

الأول: من ناحية اللغة: لولا حرف امتناع لوجود، (لولا المطر لمات الزرع)، امتنع موت الزرع لوجود المطر، وهنا ﴿يَهُ^ط وَهَمَّ بِهَا^ط لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^ط﴾ يوسف: ٢٤ ، امتنع الهَمُّ لوجود العصمة (برهان ربه).

الثاني: لوجود العصمة عن المعاصي، فلولا وجود العصمة الإلهية لَهَمَّ بها. لذلك لما راودته امرأة العزيز عن نفسه، وغلقت الأبواب ودعته إلى نفسها اسمعوا إلى جواب المعصوم الآبي: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ يوسف: ٢٣ إن المعصوم عن المعاصي لا يهَمُّ بالمعصية بل ولا بالمكروه، ولا بخلاف الأولى، لأن الله تعالى صانه ورياه وكرمه، واسمعوا إلى شهادات البراءة التي قدمها مولانا عن عصمة نبيه ورسوله سيدنا يوسف قبل بعثته، إن مولانا يقول عنه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ يوسف: ٢٢ واسمعوا إلى شهادة البراءة الثالثة، يقول عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ يوسف: ٢٤ إن من كان مخلصاً لله لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه أو تفكر إلى سوء أو إلى فحش لا في قول ولا في عمل.

الشهادة الرابعة: قالت امرأة العزيز لصديقاتها: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَادَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ؕ فَاسْتَعْصَمَ﴾ يوسف: ٣٢ امتنع وأبى لوجود العصمة والحماية الإلهية.

واسمعوا إلى شهادة البراءة الخامسة: قال الملك لامرأة العزيز ولصديقاتها

وقد جمعهن: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا

عَلَيْهِ مِنْ سَوْءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ يوسف: ٥١

أيها الإخوة:

علينا أن نعتقد الكمال البشري في الأنبياء والرسل ولنا وقفة . بإذن الله تعالى .

مع كل نبي ورسول بعثه الله تعالى بعد شهر رمضان بإذن الله تعالى .

فالأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها، واسمع معي إلى سيد الخلق وحبيب

الحق (صلوا عليه) ماذا جرى له قبل النبوة، فقد كان لقريش صنم تعظمه

وتعتكف عليه يوماً إلى الليل كل سنة، وكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم

رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه، فيأبى الحبيب الأعظم ذلك حتى يغضب

عليه أبو طالب هو وعماته ويقتلن له:

. إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتتاب آلهتنا .

ويقتلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً .

فلا يزالون به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع مرعوباً فزعاً،

فقتلن له: ما دهاك؟

قال: إني أخشى أن يكون بي لمم .

فقتلن: ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما

الذي رأيت؟

قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي:

. ورايك يا محمد لا تمسه .

أليست هذه هي العصمة، أسمعوني الصلاة على الحبيب الأعظم.
قيل له مرة: يا رسول الله هل عبت وثناً قط؟ قال: لا، قالوا: هل شربت
خمرأً قط، قال: لا، ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر.
هذه هي الأمانة وهذه هي العصمة:
فصلوا على الهادي البشير المنذر صلوا على أهل الكمال المسفر
هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



الصدق والفظانة

- ١٧ -

الحمد لله الذي تفرد بكل كمال، وتفضل على عباده بجزيل النوال، بيده
الخير كله فله الحمد في كل حال، أحمده سبحانه وتعالى على ما منح من
النعماء، وأشكره في البكور والآصال.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تَقَدَّسَ عن الأشباه والأمثال.
وجَلَّ عن صفات الحوادث من الفناء والزوال، والتحول والانتقال، جواد لا
يبخل، غني لا يفتقر، كريم يبتدئ بالإحسان قبل السؤال
ياحي ياقيوم أنت المرتجى وإلى علاك علا الجبين الساجد
يامن له عنت الوجوه بأسرها رهباً وله جميع الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذي كل القلوب له تقر وتشهد
سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنعوت بالخلق العظيم وشرف الخلال.
اللهم فصل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وأصحابه خيرٍ صحبٍ وخيرٍ آل، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فاستعدوا اليوم لزيارة أربعة من الأنبياء المرسلين من أولى العزم
من الرسل، وقبل أن أبدأ معكم هذه الزيارة المباركة، اسمحوا لي أن أذيع عليكم
هذا النبأ الذي أعلنه الناطق الرسمي لعقيدة التوحيد:

« إن الرسول عبد اصطفاه مولانا عز وجل بالوحي إليه، وأنه مبلغ عن الله
تعالى علوم شريعته وأحكامه لخلقه، وأنه حمل مهمة الدعوة إلى الله تعالى
والى الأعمال الصالحة بالأسلوب الحكيم، وأنه القدوة الحسنة الذي يؤتسى به
في عمله وفي أخلاقه ويُهتدى بهديه، وأنه مطاع بإذن الله مُتَّبَعُ بأمر الله، وأنه
قائد أُمته ومدير أمور سياستها الدينية والدنيوية» .

أيها الإخوة:

إننا مع الدرس السابع عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية
أستعرض على حضراتكم صفتين واجبتين في حق الأنبياء والرسل وهما
الصدق والفتانة. وقبل ذلك نرفع عالياً شعار التوحيد:

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أيها الأخوة: إنَّ قائد أمة مثل الرسول يجب أن يكون فطناً يقظاً ذكياً راجح
العقل سليم الذوق، حكيماً يعالج أمور أُمته ويقودها وفق طبائعها وأخلاقها،
بيطل حجج الخصوم ويدحض دعاوي المجادلين الذين يجادلونه في أمر
الشريعة، وقد ذكر لنا مولانا عز وجل في كتابه القديم موافقاً لرسول الله مع
أقوامهم تدل دلاله قاطعة على مدى فتانة هؤلاء الرسل، واسمعوا معي هذا

الموقف الذي ذكره مولانا على الموجة الإيمانية من سورة إبراهيم: ﴿

قَالَتْ

رُسُلُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ إبراهيم: ١٠ - ١١

هذا الموقف ذكره مولانا بين الرسل وأقوامهم الذين تعجبوا أن يكون الرسول بشراً كأحدهم ورفضوا الدخول في الإسلام، فكان جواب الرسل بأن الله يصطفي من يشاء من عباده ويمن عليهم بالرسالة والوحي إليهم، وترون هذا الهدوء والسكينة في الدعوة إلى دين الله تعالى، وهذه الحوارية ليس فيها ضوضاء ولا خصومات، وهكذا شأن الرسل في الدعوة إلى دين الله تعالى قال مولانا لنبیه ومصطفاه ﴿ وَجَدِلْهُمْ بِالْقِيَمَةِ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ وهذه الطريقة يتبعها الرسل حتى مع المتألهين على الأرض أمثال فرعون، فقد أرسل مولانا سينما موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه: ٤٤ وسمعوا إلى هذه المجادلة الهلجنة بين سينما موسى والمتأله على الأرض الذي ظن نفسه أنه سيعيش خالداً مخلداً في الدنيا، اسمعوا هذه المحاورَةَ على الموجات الإيمانية من سورة طه: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طه: ٤٩ - ٥٣ وعلى الموجات الإيمانية من سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

يَنْهَمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولَوْ حِشَّتَكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ الشعراء: ٢٣ - ٣٣

أيها الإخوة:

علينا أن نعتقد أن منصب النبوة والرسالة يعني بالبداية راحة العقل وفطنته وذكاءه، فلا يمكن للرسول أن يتصف بالبلادة وضعف التفكير والغفلة والعياذ بالله تعالى.

ومرة وقع سيدنا إبراهيم الخليل في موقف مع أحد المتألهين على الأرض وهو النمرود وقع معه بنقاش. واسمعوا معي إلى قوة الحجة التي آتاها الله سيدنا إبراهيم على قومه، وقوة الحجة من كمال العقل، ومن تمام الفطنة والنباهة وحضور البديهة.

أيها الإخوة الكرام: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى ما قبل ٣٧٠٠ عام على ما قدره المؤرخون، إلى الخليل سيدنا إبراهيم فإنه يقف موقفاً عظيماً سجله له مولانا على الموجات الإيمانية من سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨ قال: فأحضر رجلين حكم عليهما بالإعدام فأطلق أحدهما وقطع رأس الآخر، فسيدنا إبراهيم لم يجادله في هذه المغالطة بل

حاجبه ببرهان آخر على قدرة الإله ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٨ هذه هي الفطنة التي كما ثبتت للخليل ثبتت لجميع الأنبياء والرسل، وهذه منة عظيمة من مولانا لهم ورفعة لشأنهم، ولهذا أتى عليه مولانا على الموجة الإيمانية من سورة الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٢) ﴿ الأنعام: ٨٣ ﴾ إن المجلل يحتاج إلى نباهة زائدة، وفطنة كبيرة وعقل راجح حتى يستطيع أن يُعرّف مجادليه بالحق، ويقبض في جدالهم على مرامي كلامهم ثم يقنعهم بأقرب طريق وألين حوار.

لذلك اسمعوا إلى شهادة رجل كان من أهل الكتاب، قرأ كتب الأقدمين كلهم، وحينما رأى الحبيب الأعظم (صلوا عليه) وكلمه دخل في دين الإسلام، إنه سيدنا وهب به منبه الذي يقول: «قرأت في واحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها: أن الله تعالى لم يعط جميع الرسل من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل سيدنا محمد إلا حبة رمل من بين جميع رمال الدنيا، وأن محمداً أرجح الناس عقلاً». وهذه منة عظيمة نالها الحبيب الأعظم من بين جميع الرسل، وقد قال له مولانا: ﴿ سُنِّفْتُكَ فَلَا تَنْسَخْ ﴾ (٦) ﴿ الأعلى: ٦ ﴾ وهذه الشهادة تثبت فطنته وجدّة عقله وسعة فهمه، وبهذا يستطيع الأنبياء أن يعالجوا أمتهم بالتربية الحكيمة والقيادة السليمة.

أيها السادة:

ومما من الله على أنبيائه ورسله أنهم لا يكذبون أبداً في جميع أحوالهم، فهم الصادقون المصدّقون، ولم يُعلم عن نبي قط قبل بعثته ولا بعدها أنه كذب.

والصدق . عرّفه علماء العقيدة . مطابقة خبرهم للواقع، وقد أجمعت الأمة على صدق الرسل فيما يبلغونه عن مولانا عز وجل، لأنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى وهذا محال، فقد أيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهم، والمعجزة أمر خارق للعادة يجريها الله على يد رسوله ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته، فيتحدى قومه بالمعجزة ليثبت أنه نبي ورسول.

فالأنبياء منزّهون عن الكذب قليله وكثيره وسهوه وعمده، لذا لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا بعدها، لأنه يُزري بهم ويريب، وينفّر القلوب من تصديقهم بعد الإرسال، ولهذا نجد أن نبينا الأعظم لقّب بالصادق الأمين قبل النبوة، وهذا مدعاة لأن يصدق بعد النبوة.

وكلنا يذكر أن سيدنا رسول الله ﷺ حينما جاءه الوحي وذهب إلى السيدة الأولى في الإسلام إلى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وقال لها: لقد خشيت على نفسي.

قالت له: كلا والله لن يخزيك الله أبداً، إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر (خ).
وحين أعلن رسول الله ﷺ بعثته كان أول المؤمنين به أهل بيته ومواليه وخدمه وصديقه الصديق أبو بكر، وما توقفوا عن المسارعة إلى الإيمان به لأنهم على يقين من صدقه وأمانته.

ودخل عليه أعرابي فنظر إلى الحبيب الأعظم فوجد الصدق يحوطه من كل جانب فأعلن إسلامه لساعته وقال قولته: والله ما هذا الوجه بوجه كذاب.
وقدم الجارود بن العلاء . من علماء النصارى . مع وفد من قومه من إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال له: (سيرة ابن هشام)

. والله لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك في الحق نبياً! لقد وجدتُ وَصَفَكَ في الإنجيل وَبَشَّرَ بك الرب، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين، مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله.

وما أن أعلن إسلامه حتى أسلم معه قومه جميعاً.
علينا - أيها الإخوة - أن نعتقد أن الصدق من الصفات الواجبة في حق الأنبياء والرسول، وأنهم لا يكذبون لأن الكذب كبيرة من الكبائر، والأنبياء معصومون منها، وأنا أسأل سؤالاً:

هل يقبل العقل أن يكذب الرسول على الله تعالى؟ ثم يتركه مولانا يكذب عليه دون أن يفضح كذبه، إن الرسول لا يكذب على الله لأن مولانا يقول: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزٍ ﴿٤٧﴾﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧

الوتين: النخاع الذي متى قطع هلك صاحبه.
واسمعوا شهادات الصدق التي وصف بها مولانا رسوله الأعظم ﷺ يقول تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم: ٣ - ٤ وقال في سورة النساء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ النساء: ١٧٠

لذلك النبي لا يقول إلا حقاً في جميع أحواله وأقواله، في حال غضبه، وحال فرحه، وصحته ومرضه، لسلامة قلبه وصحة لسانه، واسمع إلى قول صاحبه الكرام: كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً.

سألته عجوز أن تكون معه في الجنة، فقال لها: « لا تدخل عجوز الجنة»، فتأثرت من كلامه فقال لها « إنها تدخلها شابة بإذن الله تعالى». أو كما قال.
أيها الإخوة: وكان الرسول إذا أرسل إلى قومه يدعوهم إلى الواحد الديان، يطلبون منه دليلاً وبرهاناً ومعجزة على صدقه، لأن المعجزة لسان حالها يقول: صدق الرسول فيما يبلغ عن الله تعالى.

المعجزة أمر خارق يتحدى بها الرسول قومه أن يأتوا بمثلها، وقد حاول مرة مسيلمة الكذاب أن يأتي بمعجزة ليثبت لقومه أنه نبي، فقد بلغه أن سيدنا رسول الله تفل في عين أرمد فشفيت، فجيء إليه بأعور فتفل في عينه فعميت الصحيحة فثبت أنه كذاب أشر.

يشترط للمعجزة أن تكون:

١_ قولاً (كالقرآن) أو فعلاً (كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ) أو تركاً (كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم).

٢. وأن تكون خارقة للعادة (ما اعتاده الناس فيما بينهم).

٣. وأن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة.

٤- وأن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة (لا قبل النبوة لأنها تسمى بالإرهاص).

٥_ أن تكون موافقة للدعوى لا مخالفة لها (فيقول علامة صدقي في انفلاق البحر فانفلق الجبل).

٦_ أن لا تكون مكذبة له كأن يقول: علامة صدقي في نطق هذا الجمار فنطق الجمار بأنه كذاب.

٧_ أن لا يستطيع أحد معارضته بهذه المعجزة.

وأما معجزات الرسل فهي الآيات العظيمة التي ثبت بها صدقهم وأنهم رسل الله، وقد قص مولانا في كتابه الكريم بعضها:

فقد طلب الحواريون من سيدنا عيسى معجزة فريدة عجيبة، اسمعوها على الموجات الإيمانية من سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

وهناك معجزات كثيرة لنبينا الأعظم ﷺ جاءت من طرق صحيحة عديدة، كتكثير الطعام القليل، وتكليم الجمادات له، وتفجير الماء ببركته وإبراء المرضى بلمسه ﷺ .

وعن سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع سيدنا رسول الله ﷺ حُنيئاً فولى صحابة رسول الله ﷺ فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثم استقبل وجوه الكفار فقال: شأهت الوجوه، ورمى بالقبضة.

يقول الراوي سيدنا سلمة رضي الله عنه: فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين، فهزمهم الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام:

وأما صحابة نبينا الأعظم ﷺ فكانوا يقتدون به في جميع أقواله وأفعاله ويعلمون أنها حق، ومرة اشترى سيدنا النبي فرساً من (سواء بن قيس) (أو

اسمه سَوَادُ بن الحارث: طب) سواء بن قيس المحاربي فجده سواء، فشهد صحابي جليل اسمه خزيمة للنبي أنه اشتراه، مع أنه لم يكن حاضراً، فقال له سيدنا النبي ﷺ :

. ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً.

قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً.

فقال سيدنا رسول الله ﷺ : من شهد له خزيمة أو شهد عليه فهو حسبه»، فشهادته بشهادة اثنين (د-ن).

إنهم لم يجربوا عليه كذباً في أي خبر قاله لذلك كانوا كل يوم يزدادون حباً له ﷺ وتعلقاً به، وطاعة له، حتى إنهم ليفدون به بأنفسهم، وانظروا إلى مدى تصديقهم له وطاعتهم إياه:

مرة كان يصلي بهم إماماً وقد لبس نعليه الشريفتين، فإذا به يخلعهما ويرمي بهما فخلع الصحابة نعالهم ورموا بها، وخلع مرة خاتمه الشريف فخلعوا خواتيمهم تبعاً له (خ).

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

ياخير مخلوق وأفضل مرسلٍ	وشفيح قومٍ أذنبوا وأسأؤوا
أنوارك العظمى إذا ما أشرقت	يوم القيامة فالورى سعاء

أيها السادة الكرام: فما هو الواجب الرابع في حق الرسل الكرام؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



تبليغ الشريعة

- ١٨ -

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد موفق بتوحيده مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، وخاتماً للنبيين وحرزاً للأُميين وإماماً للمتقين، بأوضح دليل وأفصح تنزيل وأفسح سبيل، وأنفس تبيان وأبدع برهان سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

روحي بحبك في الضياء تهيم	والشوق مني في هواك عظيم
والقلب مسرور بذكر محمدٍ	في ذكره نور وفيه نعيم

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته
المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً، أما بعد:

فواجبٌ لِرُسُلِهِ الْأَمَانَةُ والصدقُ والتبليغُ والفِطَانَةُ

وقد تناولنا بالتفصيل الواجبات الثلاثة الأمانة والصدق والفتانة وأنه
يستحيل على الأنبياء ضدها من ارتكاب المعاصي والكذب الغفلة والسنا،
وبقي لنا الكلام عن الواجب الرابع والأخير في حق الأنبياء وهو التبليغ عن
مولانا عز وجل ما أمروا بتبليغه للخلق، بخلاف ما أمروا بكتمانهم أو ما خيروا
فيه، فنحن أمام أمور ثلاثة تفرعية:

الأول: ما أمروا بتبليغه فهذا مستحيل في حقهم كتمانهم.

الثاني: ما أمروا بكتمانهم.

الثالث: ما خيروا فيه بين تبليغه وكتمانهم.

وهذا الأمر الثالث بَيَّنَّهُ سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه فقال: « عَلَّمَنِي حَبِيبِي رَسُولُ
اللَّهِ جُرَابِينَ مِنْ عِلْمٍ، فَرَشْتُ أَحَدَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْآخِرَ لَوْ تَكَلَّمْتُ بِهِ لَقَطَعْتُمْ
عَنْقِي ». (أو كما قال).

وأما العلم الواجب تبليغه فهو كل ما أمرهم به مولانا بتبليغه، فلو كتموا شيئاً
مما أمروا بتبليغه للخلق لكننا مأمورين بكتمان العلم، لأنهم قدوتنا وأسوتنا، وبما
أننا لا يجوز أن نكتم علماً فإنه يلزم أنهم لا يكتمون شيئاً، لذلك اسمع إلى
حبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (د . ت حسن):

« من سئل عن علم فكتمه أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

وقال صلى الله عليه وسلم : من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجمه الله يوم

القيامة بلجام من نار » (د - ت - أحمد: حسن).

أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الدرس الثامن عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية، ولكنني وقبل أن أُلج معكم عتبة باب الدرس اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى البقعة الطاهرة الشريفة التي جعلها الله مثابة للناس وأمنا إلى بيت الله العتيق، وأرى الحبيب الأعظم يقف على جبل أبي قبيس، وقد نزلت عليه آية عظيمة أفلقتة وبدأ بها عهد الجهر بالدعوة إلى دين الله تعالى، فقد أنزل عليه مولانا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ المائدة: ٦٧

إن الأمر إذاً جدٌ خطير فإنه لأول مرة يقف رسول الله هذا الموقف الحاسم من أمر الدعوة الإسلامية.

أيها الإخوة الكرام:

الحبيب الأعظم يناديكم من خمسة عشر قرناً، نادى آباءكم الأقدمين، فاسمحوا لي أن أنقل لكم هذه الإذاعة الداخلية على موجة إيمانية نابغة من قلب سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ، اسمعوا وأنصتوا لعلمكم ترحمون نادى الحبيب الأعظم:

يا بني عبد المطلب! يا بني فهر! يا بني كعب.

وانفضت إليه المجالس، لم يتأخر عن تلبية النداء أحد، وخاصة أن الذي يناديهم ويدعوهم هو الصادق الأمين.

قالوا جميعاً: لبيك يا محمد ﷺ .

قال: أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا جميعاً: نعم، فما جرّنا عليك كذباً، أنت عندنا الصادق الأمين.

فقال رسول الله ﷺ : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

كانت هذه الكلمات تعني بدء تبليغ الدعوة الإسلامية والتي لم تتوقف طيلة حياته ﷺ لم يكتف شيئاً مما أمر بتبليغه، حتى ألوان العتاب الإلهي التي وجهها مولانا لحبيبه لم يكتفها عن صحابته، ولقد سطر القرآن ألواناً منها متنوعة: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُمُخِّجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٧)

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب: ٣٧)

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾ (التوبة: ٤٣) (عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنباً).
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۝ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝ (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ۝ (٥) فَأَنَّ لَهُ تَصَدَّى ۝ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ۝ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۝ (٩) فَأَنَّ عَنْهُ تِلَهَى ۝ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ (١١) ﴾ (عبس: ١ - ١١)
أيها الإخوة الكرام:

تعالوا نتفكر في موقف سيدنا رسول الله ﷺ يوم جاءه الأعمى، تعالوا نعرض الأمر على عقلاء الدنيا، لو لم ينزل مولانا هذه الآيات من سورة عبس وتولى، وعرض موقفه على عقلاء الدنيا وساستها وعلمائها، هل كان فيهم أحد يقول: بأن في موقف رسول الله ﷺ ما يُنتقد، أم يقرر الجميع أن الذي فعله هو عين الصواب؟

رجال من كبار القوم يتألفهم الحبيب الأعظم ويحاول أن يكسبهم لنصرة الدعوة، وهو عليهم حريص وعائنه فيهم مولانا فقال: ﴿فَلَمَّا لَكَ بَنَجٌ نَفْسَكَ عَلَى

ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ الكهف: ٦ فماذا جرى؟

أتى واحد من أتباعه يسأله عن مسألة ليست مستعجلة، ولا ينشأ عن تأخيرها ضرر، وهو يستطيع أن يسأل عنها في كل وقت، فيرجئ الحبيب جوابه حتى ينتهي مما هو فيه.

هل يفعل أحد من الناس غير هذا؟ هل في الدنيا من يقول: بأن عمل سيدنا رسول الله ﷺ ليس صواباً؟

إنه هو الصواب في مقياس المنطق البشري، ولكن لما نزل الوحي نزل بمقياس آخر، تبين أن ميزان الله أقوم من موازين الناس، وأن حكم من خلق العقل أصح من حكم العقل، بل هو الحكم القويم.

ومثل هذا يقال في موقفه ﷺ يوم أسرى بدر، فإنه ﷺ وقع منه اختيار الفداء، ولماذا؟، وقد وصفه مولانا فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٧﴾

﴿الأنبياء: ١٧﴾ هذا ليس فيه خطأ بالمعنى المعروف بوصفه عظيماً من عظماء البشر، بل فيه الدليل على أن وحي السماء فوق حكمة الأرض، إنه من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

لذا يقول علماء التوحيد: لو كان رسول الله كتم شيئاً مما أمر بتبليغه لكتم هذه الآيات الخاصة بعتاب الله له.

وأيضاً لا يوصف الرسول بنسيان تبليغ شرع الله تعالى، لأن النسيان غفلة، قبل

التبليغ لا يمكن أن ينسى، وقد أنزل عليه مولانا ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۝٦﴾ الأعلى: ٦

وأما فيما بعد التبليغ، فإن مولانا عز وجل ينسيه كي يشرع، أي أن نسيانه ﷺ نسيان رحماني أي تشريعي، ولا يقال إن نسيانه من الشيطان، بل هو ليشرع لأُمته ماذا يفعلون إذا حدث فيهم ذلك، فقد أنساه مولانا مرة في صلاة العصر فسلم من ركعتين فلما ذكره الصحابة كبر وأتى بالركعتين، وعلمهم كيف يسجد الساهي سجدتين قبل أن يُسلم من الصلاة، وقال لهم ﷺ: «**إنما أنسى لأُسن**» (مالك واصله ابن الصلاح)، وقال لهم: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني**» (ق).

فعلينا أن نعتقد أن نسيانه ﷺ لأجل سن التشريع للأمة، وأنه يكون بعد تبليغه هذا التشريع لا قبل، وأن نسيان الشيطان عليهم مستحيل لأنهم مستغرقون في حضرة الحق جل جلاله لا تغيب ظواهرهم وبواطنهم عنه، فالرسول ﷺ :

قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله
أيها الإخوة الكرام:

وكل من بلغته دعوة الرسل وجب عليهم أن يدخلوا في الإسلام، هذا هو الواجب على البشر جميعاً، كل من بلغته دعوة الرسول وكان عاقلاً بالغاً سليم الحواس ولا يجيب دعوة الرسل ثم يموت على كفره وشركه أو إلحاده فهو من أهل النار، وهذا القرار اتخذه القائد الأعظم لهذه الأمة، قراراً وجاهياً غير قابل للاستئناف لأنه مبرم، وغير قابل للنقض لأنه محكم.

لهذا اسمع إلى حبيبنا نبي الله يقول فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

وما أن ذكرت هذا الكلام حتى رأيت أحد تلامذتي يستأذن بالكلام، قال: يا سيدي فما حال الصبيان الذين يموتون قبل سن البلوغ سواء كانوا من أولاد المسلمين أو من أولاد الكفار؟!

فقلت له: هؤلاء ناجون يوم القيامة بإذن الله تعالى، لأنهم ماتوا على الفطرة، وفي هذا يقول الإمام العلم سيدي الشيخ محيي الدين النووي الشافعي: «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً ثم قال: والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أن أولاد المشركين من أهل الجنة» شرح مسلم (القدر).

ثم قام تلميذ آخر فسأل سؤالاً آخر، قال: « هل توجد أمة لم يرسل لها نبي، وما حكم من لم تبلغه دعوة رسول من الرسل؟ »

فقلت له: هؤلاء يسمون أهل الفترة، فإن أهل الفترة هم الأقوام الكائنون بين
أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، ففي الفترة من الرسل
يتطرق تغير وتحريف للشرائع لتتقدم العهد، فيختلط الحق بالباطل والصدق
بالكذب، كما بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد ﷺ، وكذلك يقال عن أمة العرب
بين سيدنا إسماعيل وسيدنا محمد ﷺ، إنهم أهل فترة، فلا يعرف التاريخ رسولاً
بينهما، وهؤلاء كلهم ناجون يوم القيامة بإذن الله تعالى عند الأشاعرة، فقد
تواترت النصوص على أنه سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه،
منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) الإسراء: ﴿وَمَا كَانَ
رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي
الْفَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٨٩) القصص: ٥٩

فماذا يفعل مولانا بهؤلاء يوم القيامة؟ أدع الجواب عن هذا السؤال إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ فقد قال: أربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، أما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئاً.

وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يخدفونني بالبر.

وأما الذي في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول.

فيأخذ موثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، فو الذي نفسي بيده، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، «ومن لم يدخلها رد إليها».

(البخاري والإمام أحمد) (وهو حديث حسن بمجموع طرقه).

فأهل الفترة ناجون بإذن الله تعالى، هذا إذا لم يموتوا قبل بعثة الرسول مشركين، كعمرو بن لحي الذي أحدث للعرب عبادة الأصنام، وكذا ما استثناه الحديث الشريف كامرئ القيس وحاتم الطائي.

وأما الذي اهتدى منهم بعقله إلى الإله الحق جل جلاله، كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، فهؤلاء لا خلاف في نجاتهم، فإن قساً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله كان يقول: «إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام يدل على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير»؟؟!.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فكان يسجد ويقول: «إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم» (خ)، ويقول: «إني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أوأمن به وأصدقه، وأشهد أنه نبي، ومن طالت به مدة ورآه مرة فليقرئه مني السلام».

وقد عاصر النبي ﷺ واجتمع به، وأمن به قبل بعثته بخمس سنين، ولم يدركها.

ومن أهل الفترة الناجون بإذن الله تعالى أبو سيدنا رسول الله ﷺ بل جميع آبائه وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم على دين الحنيفية السمحة لسيدنا إبراهيم لم يخلطهم كفر بأدلة قرآنية كقوله تعالى: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ الشعراء: ٢١٩ واسمع معي إلى قول الإمام المجدد للمئة الهجرية العاشرة، خاتمة حفاظ مصر وهو الإمام السيوطي رحمه الله فقد قال: «قد صرح جماعات كثيرة بأن أبوي النبي لم تبلغهما الدعوة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقَّ نَبَعَتْ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥ وهذا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعيين في الفقه، والأشاعرة في الأصول، ونص على ذلك الإمام الشافعي، وتبعه على ذلك الأصحاب.

وأما ما نقل عن أبي حنيفة من أن والدي المصطفى ماتا على الكفر فمدسوس عليه، وحاشاه أن يقول ذلك، فالحق الذي تلقى الله تعالى عليه أن أبويه ﷺ ناجيان، وقد ألف الإمام السيوطي في هذه المسألة عشرة مؤلفات كلها تصب في وجوب الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ ، وأن من آذاه فقد آذى الله تعالى ومن آذاهما فهو ملعون، وقد سئل القاضي ابن العربي المالكي الفقيه المحدث عن رجل قال: إن أبوي النبي في النار، فقال إنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ الأحزاب: ٥٧ ولا أدنى أعظم من أن يقال عن أبيه ﷺ إنه في النار، فلا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب، وليست من المسائل الاعتقادية التي يضر جهلها.

إلى هنا أيها الإخوة يتوقف اللسان، ويكف الجنان ويغمد البنان، فقد قدم علينا شهر رمضان شهر البر والإحسان، ورمضان معيار لا يسع غيره، موعدا في إتمام ملف العقيدة والتوحيد بعد هذا الشهر الكريم بإذن الله تعالى.
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



عزيزي الموحد تذكر أن:

الواجبات في حق الأنبياء والرسل

١- الصدق: مطابقة خبرهم للواقع

- 187 -

٢- الأمانة: حفظ ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس

عقيدة الإيمان بالرسل الكرام (المستحيلات والجائزات)

- ١٩ -

الحمد لله الذي تعاظم ملكوته فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعز من شاء ونصر. ورفع أقواماً آخر، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل. وقطرات المطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر:
قسماً بالله وقدرته
الخلق جميعاً قبضته
سبحانه ليس له ولد
والله أني لأعتقد
والله إنني لأشهده
فبكل كمال أنعته
هل يمكن أن نقدر قدره
فالمسلم من أسلم وجهه
فحذار حذار أخا الشرف
فاللؤلؤ يكمن في الصدف
إياك أخي تكن ضجراً
واعبد مولاك وقم سحراً
وجلال الحق وعزته
والكل يقرُّ بوحدته
بل ليس يشابهه أحد
برسالة طه ودعوته
أبداً لا شيء يشابهه
فالحكم له بمعيته
أن ندري حقيقته وكنهه
لله وعاد لفطرتيه
أن تغفل عن تلك التحف
أولست تكون بمخرجه
ومن التقصير فكن حذراً
تحظ بالقرب ولذته (١)

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر، نبي شق عن صدره، وشق له القمر، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والسور.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه قادات الخير والبشر، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد وقفت معكم قبل شهر رمضان المبارك حول قضية الإيمان بالأنبياء والرسول الكرام، وقلت لكم:

إن عقيدة الإيمان بالرسول مستمدة من الشهادتين:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، فهذه الشهادة فيها إثبات الرسالة لنبينا الأعظم ﷺ، ويلزم منه تصديقه في كل ما جاء به. ويدخل فيه التصديق بالرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الشيخ عبد المجيد الشرنوبى رحمه الله تعالى:

وواجب لرسله الأمانة والصدق والتبليغ والفظانة

ومستحيل ضدها فلتعلم وجائر كالأكل في حقهم

وتقدم معنا الحديث عن الواجبات في حق الأنبياء والرسول وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة، فما هي المستحيلات والجائزات في حقهم عليهم الصلاة والسلام؟ بل ما هو المستحيل، وما هو الجائر؟

أيها الإخوة الكرام

المستحيل هو ما لا يُتصور في العقل وقوعه أو هو ما لا يقبل الوجود (الثبوت) والمستحيل الأول في حق الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام هو: الخيانة بفعل شيء منهي عنه نهى كراهة أو نهى تحريم أو خلاف الأولى، والدليل على ذلك (على أنهم لا يخونون) أننا أمرنا بالافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، وكوننا مأمورين بذلك يعني تطهيرهم عن الخيانة وغيرها، فلو كانوا يخونون لكنا مأمورين بالخيانة وهذا باطل، لأن مولانا حفظهم وحفظ قلوبهم ووقفهم لفعل الخيرات وقال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

فلا تصدر عنهم معصية، ولا تسلط لإبليس عليهم، ولا يرتكبون خطأ في قول أو عمل أو خبر.

أيها السادة:

والمستحيل الثاني في حقهم عليهم الصلاة والسلام: الكتمان، كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق، وتذكرون أنني قلت لكم في الدرس الثامن عشر أن نبينا الأعظم لو كتم شيئاً لكتم عتاب الله إياه في عدد من مواضع القرآن الكريم، كإخفائه أمر زواجه من السيدة زينب بنت جحش بعد طلاق متبناه زيد بن حارثة لها، وكان مولانا قد أعلمه بذلك ليبطل تقليداً من تقاليد الجاهلية، إذ كانت هذه التقاليد تقضي بتحريم زوجة المتبنى مثل تحريم الزواج بزوجة الابن من النسب، فكان رسول الله يجده حرجاً، مثل أي إنسان عندما يتحرج من مخالفة التقاليد والخروج على العادات، واسمعوا معي إلى البيان الإلهي في ذلك: ﴿وَلَا تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ (بالإسلام) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (بالعق) أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ (من أنه سيطلقها وتزوجها أنت) وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ الأحزاب: ٣٧

ولذلك - أيها الإخوة - مدح مولانا نبيه وحبيه فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤) ﴿التكوير: ٢٤﴾ أي ليس بخيلاً بما أنزل الله تعالى، لا يضمن عليهم بما يعلم، فإذا جاءه الغيب بيّنه وأخبره وأظهره، لا يكتمه أو يخفيه. لأن الرسالة الإلهية التي يؤمر بتبليغها الرسل لا يتم مقصودها إلا بأمرين: أداؤها من غير كتمان، وأداؤها على وجهها من غير زيادة أو نقصان. ولهذا جعلهم مولانا فطناء أذكياء، فيستحيل في حقهم البلادة وهي ضد الفطنة، فلو كان الرسول بليداً أو مغفلاً لما أمكنه إقامة الحجة أو المجادلة أثناء تبليغ الدعوة.

ثم المستحيل الرابع في حقهم عليهم الصلاة والسلام : الكذب، وهو عدم مطابقة خبرهم للواقع، فهم منزهون عن الكذب، قبل النبوة وبعدها، لأن الاتصاف بالكذب يزرى بهم ويريب في أقوالهم وينفر القلوب من تصديقهم بعد البعثة، ولهذا فهم معصومون عن الكذب وعن كل ما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام، وإرشاد الأمة، ولهذا اسمعوا إلى سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا حَدَّثَكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخَذُوا بِهِ فَإِنِّي لَن أَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» (م).

وهل يترك مولانا الرسل يكذبون عليه؟ أبدأ، ولهذا يقول عز من قائل: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ (٤٤) ﴿لَا خِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦) ﴿الْحَاقَّةُ: ٤٤ - ٤٦﴾ ولذا كل ما ورد مما يوهم ظاهره أن الأنبياء قد كذبوا فيؤول بحسب موافقهم، كما في واقعة سيدنا إبراهيم، وإليك هذا الحدث الإيماني على الموجة الإيمانية من سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا هَٰذَا عِبَادِينَ﴾ (٥٣) ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ (٥٥) ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٦) ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ (٥٧) ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ آتَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١) ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢) ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣) ﴿الأنبياء: ٥١ - ٦٣﴾

فظاهر هذا النص القرآني أوله العلماء تنزيهاً لأبي الأنبياء عن أن يوصف بالكذب، التأويل الأول معنى لغوي لا يخفى على اللبيب وهو أن:

١- الجملة شرطية معناها ربط الفعل بنطق الأصنام، أي ربط ﴿فَعَلَهُ﴾ بـ

﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، وماداموا لا ينطقون فلم يفعله الصنم الكبير، فالمعنى أنه لم يفعل لأنهم لا ينطقون.

٢- والتأويل الثاني لأهل العقيدة أن سيدنا إبراهيم أشار بأصبعه المسبحة

إلى كبير الأصنام وقال عن أصبعه هو: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ كبير الأصابع هذا (وأشار إلى أصبعه).

٣- نقرأ الآية مع الوقف على ﴿فَعَلَهُ﴾، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ﴾ كَبِيرُهُمْ

هَذَا فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾

وعلى جميع التأويلات ليس في المسألة كذب، وهكذا كل المواقف الإيمانية للأنبياء لأنهم معصومون عن ارتكاب الكبائر والصغائر والمكروهات وخلاف الأولى وقد استشكل بعض علماء العصر مسألة عرضت للصحابة الكرام مع سيدنا رسول الله ﷺ فما هي هذه المسألة وكيف فسرها هذا الداعية؟
أيها الإخوة الكرام:

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك، إلى المدينة المنورة إلى سيد الخلق وحبيب الحق، وأرى سيدنا رسول الله ﷺ ماراً أمام بساتين الأنصار فرآهم يلحقون النخيل، فسألهم ماذا تفعلون؟ فقالوا: إنهم يلحقون (يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح). فقال: لو تركتموها لصلحت. قال: فتركوها ثانية بعد مدة، فشاصت. فمر بهم فقال: ما لنخلكم. فقالوا: قلت لنا كذا وكذا. قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم (م).

وهنا رأى أحد العلماء في عصرنا بناءً على هذه الحادثة أن سيدنا رسول الله يخطئ في أمور الدنيا، وراح يستدل بأدلة أخرى باطلة في فهمها لا مجال لذكرها هنا.

ولكننا نقول بأن الأنبياء والرسل لا يخطئون ولا يغلطون ولا يكذبون لا في أمر الدنيا ولا في أمر الدين، وهذه المسألة (مسألة تأبير النخيل) أراد سيدنا نبي الله منها أن يكرم هؤلاء النفر من الصحابة بحيث تقع له معجزة بأن تصلح نخيلهم بدون تأبير، ولكنهم تلقوا خبر النبي الكريم بشك وعدم إيمان ويقين بقوله، وكان يريد أن يعلم الصحابة بأن الله تعالى يسري فعله في سائر الممكنات بلا واسطة ولا سبب، وأن العلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة عادية، سبب عادي، فرسول الله أراد أمراً آخر حين قال ما قال في تأبير النخيل، أراد معجزة تحدث لأصحابه حين يصدقون ويوقنون ويجزمون بقوله، إنه موقف مشابه لما حدث مع الصحابي أبي رافع مولى رسول الله ﷺ حين صنع له شاه مشوية وأتاه بها، فقال له النبي الكريم: ناولني الذراع، فناوله، ثم قال ثانية: ناولني الذراع فناوله، ثم قال الثالثة: ناولني الذراع. يقول أبو رافع فقلت له: يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان. فقال ﷺ: لو سكت ناولتني منها (ذراعاً فذراعاً)، لو سكت ناولتني منها ذراعاً مادعوتُ بها.

لقد أراد النبي الكريم إظهار معجزة من معجزاته، فلو سكت أبو رافع لخلق الله تعالى فيها ذراعاً فذراعاً ولما انقطع المدد.

ونحن نقول: لو استقبل القوم الذين يؤيرون النخيل ما أراد أن يتحفهم به رسول الله من صلاح النخيل دون تأبير خرقاً للعادة لنالوا ذلك، لكنهم وقفوا عند معلوماتهم المطردة في فن الزراعة، ولأجل ذلك ردهم إلى الأسباب المعتادة وقال لهم قولته: أنتم أعلم بأمور دنياكم، أي ارجعوا لما أنتم عليه.

أيها الإخوة الكرام:

وبهذا نصل إلى الأمر الثالث في أقسام الحكم العقلي وهو الجائزات في حق الأنبياء والرسول.

وهو معنى قول الشيخ الشرنوبى: وجائز كالأكل في حقهم.
وكما قال صاحب الجوهرة:

وجائز في حقهم كالأكل وكالجماع للنساء في الحل

فقد تقدم معنا أن الرسول بشر مكرم بالوحي، ولهذا اسمع ماذا قال مولانا للحبيب الأعظم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ الكهف: ١١٠ وانظروا إلى لفظه: ﴿إِنَّمَا﴾ فهي تؤكد بشرية الرسل لأنها تفيد الحصر والقصر، وتتفي عن الرسول ما ينافي البشرية، ولهذا أكد هذا المعنى بقوله ﴿مِثْلُكُمْ﴾ فهو مثلنا في تكوين جسده، وطبيعة خلقه، فإذا كان بشراً مثلنا فيجوز عليه ما يجوز علينا، كالأكل والشرب، والركوب والبيع والشراء والمشي في الأسواق، وقد تعجب من هذا بعض الأهل فقالوا: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الفرقان: ٧ فرد عليهم مولانا عز وجل قل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الفرقان: ٢٠

وقال مولانا يحدثنا عن صفات الرسل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (لا إلهة إلا الله) كَأَنَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ المائدة: ٧٥

والرسول يتزوج ويولد له نرية من البشر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الرعد: ٣٨

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض والقوة والضعف واللذة والألم، إلا أن ما ينزل به لا يعرضه لتغيير الناس منه، يقول مولانا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الأنبياء: ٨٣ - ٨٤

والرسول يتعرض للبلاء والمحن كما وقع للحبيب الأعظم من الجوع وأذى قومه وخدش جبينه وانكسار سنه (فذاك نفسي يا رسول الله). والرسول والأنبياء يموتون ويطرأ عليهم ما يطرأ على البشر، وفي ذلك يقول مولانا عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤

فأجساد الأنبياء متصفة بأوصاف البشر يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر، فهم مثلنا في تكوين أجسادهم وطبيعة خلقهم، ولكنا لسنا جميعاً مثلهم في أخلاقهم ولا في مزاياهم ولا في عظمتهم، ولو لم يكن سيدنا محمد خاتم الأنبياء لكان بلا جدال أعظم العظماء وبطل الأبطال.

ولهذا هم صفوة الخلق، أي أن النبوة والرسالة لا يكتسبها العبد اكتساباً بشدة العبادة والتحلي بالأخلاق العالية الحميدة:

فلم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبة

بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن يشاء جل الله واهب المنن

وكل شخص يدعي النبوة بعد نبينا الأعظم كاذب، كذاب أشر، واسمعوا إلى

هذا البيان النبوي (ت . حسن): «سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه

نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» (ق).

لتعلم الأمة قاطبة أن كل من ادعى مقام النبوة بعده فهو كذاب أفاك ودجال ضال مضل، بدءاً من الأسود العنسي ومسيلمة ومروراً بغلام أحمد وختماً بالمسيح الدجال.

فمن هو أول الأنبياء إلى الأرض، من هو أول مخلوقات الله تعالى من البشر؟ أجيب عن هذا السؤال بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة فلا تغيّبوا، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَحْمَدُهُ لَكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ



بدء الخلق

- ٢٠ -

الحمد لله رب العالمين، موجد الأشياء بلا معين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين، ثم جعله نقطة في قرار مكين، ثم خلق النقطة علة سوداء للناظرين، ثم خلق العلة مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضغين، ثم خلق المضغة عظماً مختلفة المقادير

أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب للابسين، ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين فهدى به من الضلال وعلم به من الجهالة: سيدي أبا القاسم يا رسول الله صلى عليك الله يا علم الهدى، ما هبّت النسائم وما ناحت على الأيك الحمام، وعلى سائر أنبياء الله تعالى، وسلم تسليماً:

ألا أن إيماناً برسلٍ تحتّموا وهم	آدم إدريس نوحٌ على الولا
وهود صالح لوط مع ابراهيم أتى	كذا نجله اسماعيل اسحق فضلا
ويعقوب يوسف ثم يتلو شعبيهم	وهارون مع موسى وداود ذو العلا
سليمان أيوب وذو الكفل يونس	والياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا
كذا زكريا ثم يحيى غلامه	وعيسى وطه خاتماً قد تكملا
وقد تم نظمي جمع رسل مرتبا	لهم حسب إرساله كما قاله الملا
عليهم صلاة الله ثم سلامه	يدومان ما دام الأراضي وما علا
فيا رب فرج كربى بجاههم	وبالآل والأصحاب ثم الذي تلا

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً
أما بعد:

فيجب على كل مكلف أن يعرف خمسة وعشرين رسولاً بأسمائهم، بحيث لو سئل عن واحد منهم لاعترف وصدّق بأنه رسول، وهم المذكورون في القرآن

الكريم في آيات متعددة، منهم من اقتصر على ذكر اسمه كإدريس وذي الكفل، ومنهم من أورد مولانا قصته موجزة كإسماعيل واسحق ويونس، ومنهم من أورد قصته مفصلة كسيدنا إبراهيم وموسى ويوسف وعيسى، وكل ما جاء به القرآن من قصص الأنبياء حق وصدق يجب الإيمان به، وقد جُمعت أسماؤهم في خمس آيات هي قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) الأنعام: ٨٣

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ﴿وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) الأنعام: ٨٤ - ٨٦

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٨٧) الأعراف: ٦٥

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (٨٨) الأعراف: ٧٣

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٨٩) الأعراف: ٨٥

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٩٠) الأنبياء: ٨٥

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٩١) الفتح: ٢٩

وذكر مولانا عز وجل سيدنا آدم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ (٩٢) آل عمران: ٣٣ ولم يصرح بأنه كان رسولاً، ولكن الآيات القرآنية التي ذكر فيها تدل على ترجيح القول برسالته.

أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الدرس العشرين من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية وبالذات مع أبينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فما هو أول ما خلق مولانا عز وجل؟ فهذا سؤال هام جداً. إذ اختلف العلماء رحمهم الله في كون القلم أول المخلوقات. أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما.

أما خلق الله تعالى العرش (١) فقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال: وعرشه على الماء» (م ٣٠٤٤/٤ - خ ٢٦٥٣).

وأما بعد أن خلق مولانا القلم قال له: اكتب، فقال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء (أحمد . ت).

وخلق مولانا عز وجل الأرض قبل خلق السموات، لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف يقول عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ لقوة: ٢٩ وكلن قد خلق الأرض في يومين يوم

الأحد والاثني، وفي ذلك يقول مولانا عز وجل: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ

الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا

وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا (أي ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأمكن التي تررع وتغرس في يوم الثلاثاء والأربعاء

فيهما مع يومين لسبقين مجموعهما أربعة أيام، ولهذا قل مولانا) في: أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ (وهي بخار الماء المتصلب منه حتى خفت الأرض) فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا (قل مولانا عز وجل السموات: طلعي شمسي وقهري ونجمي وقل للأرض: شقي لهلك

وأخرجني ثمارك) قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فصلت: ٩ - ١١

قيل: الذي أجاب من منطقة الأرض هو مكان الكعبة اليوم، ولذلك اتخذهُ مولانا قبة للناس، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿فصلت: ١٢﴾ (أي آخريين وهما يوم الخميس والجمعة، وكان خلق سيدنا آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل). ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَُا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الَّذِي يَمْصُبُهُ حِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿فصلت: ١٢﴾.

أيها الإخوة الكرام:

وأراد مولانا عز وجل أن يُعرَف، أن يخلق خلقاً ليعرفوه فخلق الملائكة والجن، ففي الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ (أي ليعرفوني فيعبدوني).

ولما أراد مولانا خلق سيدنا آدم أخبر الملائكة الكرام أنه سيخلق بشراً يجعله خليفة له في الأرض، وأنقل لكم هذا المشهد الإيماني على الموجة الإيمانية من سورة البقرة يقول عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٣٠﴾

لَمْ قالت الملائكة هذا القول؟ لأنها رأت الجن يقتتلون على الأرض حتى أرسل مولانا إبليس يرأس كوكبة من الملائكة إليهم فقتل منهم وأسر بعضهم وردهم إلى الجزر في البحار، فالملائكة لم تعترض على مولانا لأن الاعتراض معصية، ولم يقولوه غيبة لبني آدم لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم ظنوا أن البشر سيفعلون ذلك كما فعل الجن من قبل، ولذلك مولانا قال

لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٣٠﴾

وبدأت عملية خلق سيدنا آدم، «فأمر مولانا . كما في صحيح البخاري . سيدنا جبريل أن يأتي بقبضة من تراب الأرض وأنواعه جميعاً» وقال له: إني خالق مما ستأتي به خلقاً من أطاعني منهم دخل الجنة، ومن عصاني أدخلته النار.

فنزل سيدنا جبريل ليأخذ تلك القبضة من الأرض، فسألته ماذا يفعل؟ فقال أمرني ربي عز وجل أن آخذ منك أنواعاً وألواناً من التراب ليخلق منه خلقاً من أطاعه منهم أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار. فقالت: أعوذ بالله أن تنقص مني شيئاً أو تأخذ مني شيئاً إلى النار.

فامتنع سيدنا جبريل وصعد إلى السماء، وقال لمولانا: سمعت ما قالت لي الأرض، فأرسل سيدنا ميكائيل، فقالت له مثل ذلك، ثم أرسل ملك الموت فقالت له ذلك، فقال لها: وأنا أعوذ بالله وجلاله أن أعصي له أمراً، وأخذ القبضة وصعد إلى السماء، فقال له مولانا: وعزتي لأخلقن مما جئت به خلقاً ثم لأسلطنك على أرواحهم.

«كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» (حم . خ في التاريخ . ت) ويقول:

«إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته» (حب . حا)

بل ورد في تفسير ابن أبي حاتم وعند أبي نعيم في دلائل النبوة عند تفسير

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ الأحزاب: ٧

وابتدأت المرحلة الثانية في الخلق: مرحلة الطين، كيف؟

أخذ مولانا التراب وأسقط عليه ماء الحزن مئة سنة، ثم أسقط عليه ماء

الفرح ثلاث سنوات حتى صار التراب طيناً، ثم تركه ما شاء الله تعالى، حتى

أصبح في المرحلة الثالثة للخلق وهي مرحلة: الحمأ المسنون: طين أسود منتن لازب (ملتصق بعضه ببعض).

وفي المرحلة الرابعة أخذ بصناعة سيدنا آدم، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض (من ترابها)، وبدأ خلقه من القدمين.

وانظروا إلى هذا التشريف، اسمع كيف شرفك مولانا عز وجل، خلقك بيديه، لم يفعل كما فعل مع الملائكة: أخذ قبضة من النور وقال كوني فكانت، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) يس: ٨٢ ولا فعل كما فعل مع الجن أخذ قبضة من نار وقال كوني فكانت، لا، بل صنعك بيديه، هل عرفت قدرك عند الله لذا أنت مكتوب على قلبك هذا خلق الله.

ومن القدمين إلى الساقين ارتقى حتى سواه إنساناً كاملاً مستوياً متناظراً جميلاً قائماً في أحسن صورة وأبهى منظر طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع، وتركه حتى يجف ويصبح صلصالاً كالفخار، وفي كل يقول مولانا عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢٨) الحجر: ٢٨

وجاءت الملائكة قبل نفخ الروح في أبينا آدم لتبارك إلى الله بالخلق الجديد، وجاء معهم إيليس، إيليس ليس ملكاً، إيليس قال عنه مولانا بأنه: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٥٠) الكهف: ٥٠ ولكنه كان رئيس كوكبة من الملائكة قال: لكثرة عبادته وجمال مناجاته لله تعالى حتى قيل: إنه لم يترك مكاناً في السموات أو في الأرض لم يسجد فيه لله تعالى، لما رأى جسد سيدنا آدم راح يتفحصه، يدخل من فمه ويخرج من دبره ومن أنفه، ثم قال: لأمر ما خلقك الله؟!، ثم قال للملائكة: هذا الجسد ضعيف (سيقع وينكسر). قالت الملائكة:

ولم؟ قال: لأنه أجوف وليس صمداً. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾
 ﴿الإخلاص: ١ - ٢﴾ الله صمد لا جوف له، وسيدنا آدم له جوف أي ليس
 صمداً (١)، قالت الملائكة: ماذا تقول يا إبليس هذا خلق الله؟ (استحي من الله
 تعالى)

قال إبليس: لئن سلطت عليه لأهلكنه ولئن سلط علي لأعذبته.
 وهنا بدأ التشريف الرابع: نفخ الروح، فلم يأخذ له مولانا من أرواح الحيوان
 والطيور، أو من أرواح بقية المخلوقات، لا، ولكن خلق له روحاً ونسبها إلى
 ذاته قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ الحجر: ٢٩ فالروح التي فيك سرٌّ من
 أسرار الله لا يعرف كنهها أحد ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الإسراء: ٨٥ فظرت
 الروح فلم تدر من أين تدخل إلى جسد أبينا آدم، فسألت مولانا: يا رب من أين
 أدخل. قال لها: ادخلي كرهاً وستخرجين كرهاً.

قال فدخلت من يافوخه (من رأسه) فلما وصلت الروح إلى عينيه نظر آدم
 إلى نفسه كيف يحوله الله تعالى إلى لحم ودم، فوصلت الروح إلى أنفه
 فعطس، فلما وصلت إلى فمه قال: الحمد لله رب العالمين. فقال له مولانا:
 رحمك ربك يا آدم ولهذا خلقتك. (صحيح حب - حا ووافقه الذهبي).

وصارت الروح تدخل أعضاء سيدنا آدم حتى قام حياً لحماً ودماً، وما أن
 قام حياً حتى سجد له الملائكة سجود تحية واحترام وطاعة لمولانا إذ أمرهم من
 قبل: فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٣١﴾ فسجد الملائكة
 كلُّهم أجمعون ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (قال عنه مولانا) ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝٣٢﴾
 الحجر: ٢٩ - ٣١

وعلى الموجة الإيمانية من سورة البقرة: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ البقرة: ٣٤ قل له مولانا عز وجل: ﴿قَالَ يَبْنَطُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ الحجر: ٣٢

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الأعراف قل مولانا: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ الأعراف: ١٢

وعلى الموجة الإيمانية من سورة ص: ﴿قَالَ يَبْنَطُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ قال أنا خيرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ص: ٧٥ - ٧٦

إذا المسألة مسألة: أنا، بدأها إبليس هناك واستمرت حتى الآن، كانت فردية وأصبحت دولية، أصبحت عنصرية، كل أمة اليوم تدعي أنها شعب الله المختار، ألمانيا تقول أنا الشعب الآري أفضل عنصر من عناصر البشر، إسرائيل تردد اليوم بأنها شعب الله المختار، أمريكا تقول: نحن لسنا شعب الله المختار، لا بل نحن الله نفسه، وحين قالت أمريكا ما قالت راحت روسيا وبلدان المشرق تقول: ونحن نكفر بالله والعباد بالله.

وكلها معركة التكبر، والعنصرية التي ابتدأها إبليس بقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

هذه المعركة معركة نوعية الجنس: أنا ابن فلان، أنا من بلد كذا، هؤلاء جميعاً ينضمون لإبليس، وهذه الدعوى الإبلسية نهى عنها مولانا، وبين أن الأفضلية للتقوى فقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (لا لتنافروا) ﴿١٣﴾ الحجرات: ١٣ لذلك كل إنسان يقيس نفسه بالشبر وبالسنتمتر

يقول لك: معي ١٠٠ مليون فأنا نصف إله، وآخر معه ٢٠٠ مليون يقول أنا ثلاث أرباع إله، والثالث معه ٥٠٠ مليون يقول لك أنا الإله بنفسه وكلهم يرون بقية العباد دود تمشي على الأرض أو صراصير.

هذا الموقف أصل الكبر، وزعيم هذا المذهب إبليس لما قال: أنا خير منه، ونحن عندما نبدأ بالتفاخر بالأنساب والأحساب والبلدان والأموال والمناصب والأموال نكون متكبرين على عباد الله تعالى، وكم من أصنام الآلهة يمشون على الأرض متكبرين متجبرين، ولذا حذرنا سيدنا رسول الله ﷺ فقال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (م).

وقال أيضاً: «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» (أحمد - طب - صحيح).

ويقول جدي سيدنا الحسن رضي الله عنه: «عجباً لابن آدم يغسل الخُرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر على جبار السموات والأرض».

وقال سيدنا محمد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: «ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذل».

واسمع معي حبيبك ﷺ يقول: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» (ق)، وحدثنا عن رجل فقال: «بينما رجل يتبختر في برديه أعجبت نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» خ (٥٧٨٩) م (٢٠٨٨).

فالمتكبرون ليسوا موحدين، لأن الموحّد خاضع متواضع لله، إنهم عبدوا إبليس، فهل أمرنا مولانا بهذا، ليس قد قلنا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿سورة البقرة﴾ ٦٠ لكر على عبد الله بأ به إبليس بقوله: أنا خير منه، وإن معصية الكبر معصية عظيمة، اسمع إلى

مولاك يقول: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نافسني فيهما قصمته ولا أبالي» م (٢٦٢٠) د (٤٨٠) ج (٤١٧٤) أحمد (٢/ ٢٤٨).

والمتكبر قلما يوفق في حياته ما لم يتنازل عن كبره وصلفه، وسوف نتابع عليه الضربات القاصمة من مولانا واليكم الدليل:

زعيم الكبر إبليس أول ضربة أصابته ما نقله لنا مولانا في كتابه الكريم:

الضربة القاصمة الأولى: إخراجهم من السموات العليا قال تعالى: ﴿قَالَ فَأَهِيطَ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣) الأعراف: ١٣

الضربة الثانية جعله شيطاناً رجيماً ملعوناً إلى يوم الدين، قال تعالى ﴿قَالَ

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ الحجر: ٣٤ -

٣٥ وفي سورة (ص) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨) ص: ٧٨

وهنا إبليس طلب من مولانا أن يمهل به إلى يوم القيامة فقال: ﴿قَالَ رَبِّ

فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

ص: ٧٩ - ٨١ وهنا إبليس اللعين قال لمولانا عز وجل: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ

لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ص: ٨٢ - ٨٣ (وفي

سورة الأعراف ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧) الأعراف: ١٦ - ١٧

(فقال له مولانا عز وجل): ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥) ص: ٨٤ - ٨٥ (وفي سورة الإسراء) ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ

مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (١٣) وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ

عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ ^بوَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ الإسراء: ٦٣ - ٦٤

أيها الإخوة الكرام: هذه الضربات القاصمة سوف ينالها كل متكبر كما نالها
زعيمه إبليس، فكيف دخل أبونا آدم الجنة؟ كيف تزوج السيدة حواء؟ كيف
زاده الله تعالى تشريفًا؟ أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة إن شاء الله
تعالى وأعود بكم إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله
تعالى.

لا إله إلا الله



وزواجه من السيدة حواء - ٢١ -

الحمد الذي ابتدأ الإنسان بنعمته وصوره بيده كيف يشاء بحكمته وجعل له
السمع والأبصار، وأخرجه من ظلمة العدم إلى سعة الأرض والفضاء ورباه
بإحسانه وغذاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار، ونقله

من حال إلى حال وحفظه بالليل والنهار حتى إذا بلغ حد التكليف طلب منهم العبادة عبداً و أحرار.

أحمدته سبحانه وتعالى على كل حال حمداً يفوق حمد الحامدين بعدد ما هبَّ ودبَّ وطار، وأشكره شكراً كثيراً يوجب المزيد من النعم والالحق بالأبرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا مثل وهو الموحّد القهار، شهادة نحيا عليها ونموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رافع دين الإسلام ومماحق دين الكفار. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه بعدد ما أظلم

عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على أبي البشر مع الحلقة الواحدة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أذكركم لترفعوا شعار التوحيد (لا إله إلا الله) وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة

من كتاب الله المجيد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ

كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا

سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثِيَتَهُمْ

بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ

مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة: ٣١ - ٣٣

أيها الإخوة:

هذه الآيات الكريمات الثلاثة ذكر فيها مولانا شرف سيدنا آدم على الملائكة

بما اختصه به من علم أسماء كل شيء، فقد علمه مولانا كل شيء خلقه

مولانا عز وجل وما سيخلقه: جبل . سماء . شمس . قمر . ملك . جن . سهل . بحر ... وغيرها، ومن هنا عرفت الملائكة أن مولانا عز وجل فضل عليهم سيدنا آدم في العلم، هذه الأفضلية بينها مولانا في كتابه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١

ولهذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (ت حسن صحيح). ويقول ﷺ «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (ه: صحيح).

ولهذا فالذين يرثون النبوة هم العلماء: «العلماء ورثة الأنبياء» (د- ت - حب - حا) (١).

كان هناك تشريف عظيم آخر ينتظر سيدنا آدم، فبينما طرد إبليس من السموات العلى، نجد أن مولانا كرم سيدنا آدم فأدخله الجنة، وجعله يتمتع بكل ما فيها، ورأى نفراً من الملائكة في الجنة، فقال له مولانا: ائت هؤلاء الملائكة فقل لهم: السلام عليكم، فأتاهم فقال: السلام عليكم. فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال له: «هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم».

ورأى سيدنا آدم الجنة وما فيها من العجائب، لكنه مع ذلك شعر بالوحشة، وجد نفسه وحيداً فألقى الله عليه النوم، وأخذ ضلعه الأيسر المعوج ووضع مكانه لحماً، وخلق من الضلع السيدة حواء، وهذا معنى قول مولانا: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا﴾ النساء: ١

فلما هب سيدنا آدم من نومه رأى خلقاً جميلاً إلى جنبه فسألها: من أنت؟!، قالت: امرأة. قال: ولم خلقت، قالت: لتسكن إلي، وهنا سأله الملائكة ليروا

مبلغ علمه فقالوا: ما اسمها يا آدم؟ فقال: حواء، قالوا: ولم. قال: لأنها خلقت من شيء حي. وألقى مولانا عليه الشهوة، فقال آدم: يا رب زوجنيها، قال: فأمهرها. قال: وما مهرها. قال: وكان مكتوباً على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله: قال: إن مهرها أن تصلي على محمد عشر مرات، قال: إن فعلت تزوجنيها؟ قال: نعم (ض)، فصلى سيدنا آدم على سيدنا محمد عشر مرات فكان مهر السيدة حواء، وكان الشهود الملائكة وكان الذي عقد العقد مولانا رب العالمين.

وأمرهما مولانا بالتمتع بكل شيء في الجنة، وأن يأكلا منها إلا من شجرة القمح، يقول عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥

أيها الإخوة الكرام:

استعدوا اليوم، فنحن على موعد لزيارة أبينا آدم في بيت الزوجية، إنه مع زوجه السيدة حواء في سكن غير مستأجر، لم يدفعاً فروغاً ولا خلواً، وإنما أسكنهما في جنته من يقول للشيء كن فيكون، واسمحوا لي أن أذيع عليكم وقائع هذا الدرس من سورة طه، فمن البقرة إلى طه، وعلى الموجات العاملة من سورة طه أنقل لكم درس اليوم:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾ طه: ١١٦ - ١١٩

تعالوا نسلط الأشعة الهادئة الكاشفة على هذه الآيات:

مولانا في عليائه ينصح أبانا آدم: ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾: اسم إشارة يدل على القريب
كل الشيطان ألمه يراه مرأى العين، ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ وَلَا يَخْرُجُكَ: أنت وزوجك.

﴿ يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾: وانتبهوا إلى قوله تعالى، لم يقل مولانا فلا
يخرجكما من الجنة فتشقى بل قال: فتشقى أنت وحدك، أنت وحدك ستشقى يا
آدم. ولماذا لا تشقى حواء معي؟، لأن السيدة حواء أنثى، والأنثى مكانها البيت،
وأما أنت فإذا خرجت من الجنة فسوف تشقى في مناكب الحياة، سعياً وراء لقمة
العيش، سعياً وراء النفقة، سعياً وراء الكسوة... أما الأنثى فمخلوقة من ضلع
الرجل لا شقاء عليها ولا سعي ولا ركض ولا حر ولا برد ولا غلاء أسعار، ولا
مواصلات... أنت الذي ستذوق ذلك وحدك يا آدم.

هل وقفتم معي على هذا المعنى، أن الرجل تقع على كاهله أعباء الحياة، وأن
المكان الصحيح للمرأة هو بيتها، ألستم معي أن هذه الآية الكريمة تشير إشارة
واضحة وتلمع إلماعة ساطعة وتومئ إيماءة لا ريب فيها، أن الرجل هو المسؤول
عن المرأة وأن المرأة مكانها هو بيتها، ولهذا يقول ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ
بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَتُوبَ أَوْ تَرْجِعَ» (ض).

وما زلت أذكر هذا المشهد الذي حدث أيام سيدنا رسول الله ﷺ (طب ضعيف
من طريقين): أحد الصالحين يخرج متاجراً، فأوصى زوجته قبل خروجه ألا تخرج
من بيتها حتى يعود من سفره، وصية وثيقة لا تخرجي حتى أعود.

ويأتي أخوها يخبرها أن أباه مريض، ويطلب منها أن تخرج لتعوده،
فتتذكر وصية زوجها، فنقول لأخيها: إن زوجي أوصاني ألا أخرج حتى يعود

من سفره، فاذهب إلى رسول الله فاستأذنه، اذهب إلى ولي أمر المؤمنين أجمعين: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)

وذهب أخوها إلى مولانا سيدنا محمد ﷺ يستأذنه، أتدرون ما قال له سيدنا رسول الله ﷺ ، إن رسول الله رأى أن في ذهابها إلى بيت أبيها شيئاً ولو قليلاً من الاعتداء على حق الزوج، فقال له: يا هذا أخبر أختك أن طاعتها لزوجها خير من زيارتها لأبيها.

فماذا قالت؟ . قالت: سمعاً وطاعة لله ورسوله.

وبعد أيام مات أبوها، وجاءها أخوها لتشهد الفصل الأخير من حياة أبيها، الذي عما قليل سيطوى بين أطباق الثرى، ليتوسد التراب ويقدم مائدة إلى ديدان الأرض، فقالت له: و الله يا أخي لا أذهب حتى تستأذن لي رسول الله ﷺ . وذهب أخوها، وعرض أمرها على سيد المرسلين، على النبي الأمين، على الأمي الذي علم المتعلمين، على اليتيم الذي بعث الأمل في قلوب اليائسين، على الفقير الذي أغنى الأغنياء بالإيمان العظيم، فقال له حبيب الله: يا هذا أخبر أختك أن طاعتها لزوجها خير لها من أن تشهد جنازة أبيها.

والى هنا يسدل الستار على هذا المشهد المهيّب، على هذه الصورة النسائية العظيمة، على هذه المرأة التي لم تتخرج من جامعة دمشق ولا من كلية العلوم ولا من كلية الفنون، ولا من مدارس الفرنسيّسكان أو الفيرير، وإنما تخرجت من مدرسة سيدنا محمد ﷺ مدرسة كتب على بلبها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) القلم: ٤ على مدرسة قال عنها صاحبها: «إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (حسن لغيره)(١).

لكنني بعد أن أسدلت الستار على هذا المشهد رأيت مشهداً أعجب وأعظم من هذا الفصل، فقد حضر زوجها من سفره، وأخبر الخبر، وسرعان ما ذهب

إلى سيدنا محمد ﷺ وعرض عليه ما فعلته زوجته من السمع والطاعة لله ورسوله، رسول الله الذي قال عنه مولانا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥

وإذا بسيدنا محمد ﷺ يصدر حكمه، وحكم رسول الله لا يقبل نقضاً لأنه مبرم، ولا يقبل استئنافاً لأنه محكم، قال له الحبيب الأعظم (صلوا عليه): يا هذا أخبر زوجتك بأن الله قد غفر لأبيها إكراهاً لطاعتها لك.

لتسمع النساء: غفر الله لأبيها، ولهذا يقول ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ» (طس ١٦٦ / ٢ حب أحمد ١٦٦١ أبو نعيم ٦-٣٠٨ وهو حديث حسن).

ولذلك يجب على الأب أن يبحث لابنته عن رجل مؤمن غير متكبر، غير فاسق وليس مع الآباء ماذا يقول الإمام الشعبي، يقول: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

ويقول جدي سيدنا الحسن: «لا تزوج ابنتك إلا لتقي، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها».

فإذا خطبت الفتاة كان على والديها أن يقدموا لها نصيحة الطاعة لزوجها، فمن الذي وصى أمنا حواء بحسن المعاشرة لأبينا آدم؟، إنه الله، من الذي علم آدم سنن الأخلاق الزوجية، إنه الله، (وحدوا الله).

ولأجل ذلك ما يزال يَرْنُ في أذني صوت هذه السيدة العربية التي وصت ابنتها ليلة زفافها بتلك الوصية الحكيمة البليغة المؤثرة الموجزة إيجازاً بليغاً، لكنها احتوت على معنى كريم، وغالٍ لا يشق له غبار، قالت لابنتها:

يا ابنتي كوني لزوجك أرضاً يكن لك سماء، وكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً.

(النساء في عصرنا توصي بناتها: خاصي جوزك وصالحي بيت حماك، قصقصي طيرك ليلف غيرك، كثر الدلال يهرب العاشق، يأمأنا بالرجال يا مأمأنا بالمي بالغريال، لا تأخذي من الأصلع لا رأي ولا نصيحة لو الله ييجبه لخلق رأسه صحيحة).

وصايا ما رواها أبو هريرة ولا رواها ابن عمر، وإنما روتها الشياطين، واسمعوا الوصايا العشر من هذه المرأة فإن وصاياها نابعة من شعب الإيمان: قالت المرأة لابنتها: واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً: أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة: فتفقد مواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فتفقد أوقات طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع مذهبة، وتتغيص المنام مغضضة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس لماله وحسن الإرعاء لخدمه وعياله. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سرّاً ولا تعصي له أمراً، إنك إن أفشيت له سرّاً أو غرت صدره وإن عصيت أمره لم تأمني غدره. ثم قالت لها بعد ذلك: يا ابنتي إياك أن تغتمي وتحزني إذا رأيته مسروراً، وإياك أن تضحكي وتُسري إذا رأيته حزيناً.

كلمات تكتب بماء الذهب، ولذلك رأينا رسول الله ﷺ يقول: « **لو كنت امرأةً أهدأ أن يسجد لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » .. (لعظم حقه عليها) ت (١١٥٩) حب (١٢١٩) وحا ووافقه.

ولا يفوتني أن أذيع عليكم وصايا رسول الله للأزواج فقد قال لنا:
«استوصوا بالنساء خيراً» (م ١٤٦٨).

وقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله.» (ت ٢٦١٢).

﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء: ١٩

أيها الإخوة الكرام:

بالنيابة عنكم وبالأصالة عن نفسي أستأذن أبانا آدم قبل أن يخرج من الجنة،
أستأذنه بالعودة فإنه يعز على نفسي أن أراه خارجاً وتحت إبطه أمنا حواء إلى هذه
الأرض، ولذا أبادر على جناح السرعة إلى هناك حيث رسول الله ﷺ ثم إلى
هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله



**وفاة سيدنا آدم
عليه الصلاة والسلام**

وشيث - وإدريس

- ٢٢ -

الحمد لله منزل القرآن، وخالق الإنسان معلمه البيان الذي استوى على العرش، وزين السماء بالكواكب وجعلها رجوماً لكل شيطان، قضى وقدر وأخرج سيدنا آدم من الجنة فلا قائل لتقديره لم كان، فسبحان من سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألحان، أحمده على نعمه التي عمت الآباء والأبناء والإخوان. وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان والجنان والأركان، وأستعينه وأستهديه، فما خاب من استهداه واستعان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له شهادة من علم أنه خلق الزمان والمكان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأحسن الأديان، المنعوت في التوراة والإنجيل بالصفات الحسان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الإنس والملك والجان، وعلى آله وأصحابه الذين نصره فكانوا نعم الأنصار والأعوان، وسلم تسليمًا.

أما بعد

فيا أيها الإخوة الكرام

تركت معكم في الجمعة الماضية سيدنا آدم وأمنا حواء في جنة المأوى أو جنة النعيم، وهذا من الإكرامات الإلهية العديدة التي أكرم بها مولانا أبانا سيدنا آدم، لكن إكراماً عظيماً آخر كان ينتظره.

١- « إذ أن مولانا مسح على ظهره فاستخرج منه ذريةً ثم قال: هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره ثانية فاستخرج منه ذريةً وقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون » (ض)، ثم أشهدهم على أنفسهم وقال لهم: اعلموا أن لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً،

وإني سأرسل إليكم رسلاً يذكروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتابي، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك.

فأقروا يومئذ بالطاعة، ورفع سيدنا آدم نظره إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لو سويت بين عبادك. فقال: إني أحببت أن أشكر.

ورأى فيهم الأنبياء عليهم النور مثل المصابيح، فأخذ عليهم ميثاقاً آخر من الرسالة والنبوة وهو قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٧﴾ الأحزاب: ٧

٢- « ورأى سيدنا آدم رجلاً منهم فأعجبه النور الذي بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: يا رب وكم جعلت عمره؟ قال ستين سنة. قال: أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة » (ت ٣٠٧٦ حب ٢٠٨٢ حا ٢ / ٣٥٢ هب ١٠ / ١٤٧) (حسن صحيح).

٣- « وفي هذا الإكرام العظيم يقول مولانا عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ الأعراف: ١٧٢ والحديث إسناده حسن.

وكان مولانا عز وجل قد أعطى الأمر لأبيينا آدم وأمنا حواء فقال ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ البقرة: ٣٥

وهنا إبليس حسد سيدنا آدم على هذه المكانة العظيمة، كيف يطرد هو، وسيدنا آدم يدخل الجنة، وسيدنا رسول الله يقول: « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا. ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد » (طب ٨ / ٣٦٩ مجمع ثقات).

الحسد جعل إبليس يسعى في المكر والخديعة والوسوسة لأبويننا ليسلبهما ما هما فيه من النعمة ﴿ فَوَسَّوْا إِلَىٰ آلِهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمْ هَلْ أَذُكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ الْخَلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴾ طه: ١٢٠ قال: نعم.

قال أن تأكل من شجرة القمح، واسمعوا كيف إذا قدر الله تعالى أمراً لا ينفذ إلا قضاؤه وقدره، مولانا في عليائه من قبل أن يخلق سيدنا آدم قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ يعني آدم سيهيظ من الجنة إلى الأرض، و الله تعالى لا يظلم فجعل لذلك سبباً، ما هو السبب؟ جعل سيدنا آدم ينسى العهد الذي أخذه على نفسه بعدم الأكل من الشجرة، وهذا التقرير نكره مولانا في كتبه قل: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْذِرَ لَهُ عَزْمًا ﴾ طه: ١١٥ وراح إبليس ليشغله عن تذكر هذا العهد يحلف له ولأبنا حواء الأيمان الكاذبة ويغريهما بالخلود والبقاء في الجنة ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ فدلَّهْمَا بِمُرُورِ ﴿ الأعراف: ٢١-٢٢ وكن أول من أكل أمنا حواء وراحت تنصح أبانا آدم أن يأكل منها، فتركها وأكل من شجرة أخرى من أشجار القمح، ولهذا يقول ﷺ: «لولا حواء لم تكن أنثى زوجها» خ (٣٣٣٠).

وما أن أكل منها حتى ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف: ٢٢ ، وندم سيدنا آدم (استحياء من الله تعالى)، وراح

يركض مولياً في الجنة، وكان كثير الشعر فعلقت شجرة بشعره، فناداه مولانا: يا آدم أمني تفر. قال: لم أفر يا رب ولكني استحييتك. قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك.

﴿ وَنَادَاهُمَا ﴾ الأعراف: ٢٢ قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً، وقد أمرتني حواء بذلك.

قال: فإني قد أعقبتها ألا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً قال فصرخت السيدة حواء عند ذلك، فقال مولانا: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تتال العيش إلا كذاً.

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة:

٣٦ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ الأعراف: ٢٥

وأهبط سيدنا آدم في الهند، والسيدة حواء في جدة، ثم اجتمعا في عرفات وكان أول طعام أكل آدم من الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من القمح وأمره أن يبذرهما، فبذرهما فنبتت فحصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فأكل بعد جهد عظيم وتعب ونصب.

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جزأه ثم غزلاه ولبساه.

وأُنزل مولانا من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس.

أيها الإخوة:

مكث سيدنا آدم في الجنة مئة عام، وبكى على الجنة سبعين عاماً، وعلى خطيئته سبعين عاماً، فما كان على سيدنا آدم مع هذه المكانة التي هو عليها أن ينسى هذا العهد، ولأجل ذلك راح يستغفر ويتوب ويقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً فاغفر لي إنك خير الراحمين. وقد ذكر مولانا استغفار أبينا آدم فقال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَكَ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿ الأعراف: ٢٣ ﴾ وهنا توجه سيدنا آدم فقال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تسكنني جنتك. قال: بلى. قال: ألم تسبق رحمتك غضبك. قال: بلى. قال: أرايت أن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة. قال: بلى. (حا ووافقه) واسمع إلى قول مولانا عز وجل: ﴿ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتًا فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧ وبدأ سيدنا آدم يغرس الأشجار ويحفر الآبار ويعمر الديار، فولدت له السيدة حواء تسعاً وثلاثين ولداً في عشرين بطناً، في كل بطن ذكر وأنثى غير سيدنا شيث فإنه ولد في بطن وحده، وكان في جبهته نور المصطفى ﷺ وما زالوا يتوالدون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحواً من أربعين ألفاً، وقد أرسله الله إليهم، (فسيدنا آدم نبي ورسول على الراجح).

وكان سيدنا آدم يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، فأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل، وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قرباناً. فقرب هابيل. وكان راعياً. جذعة سمينه، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال:

لَأَهْلِكَ حَتَّى لَا تَتَّحَ أَخِي، فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧

أيها الإخوة الكرام

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد على الموجة الإيمانية من سورة المائدة، فإن الأمر جد خطير، وسوف يحدث ولأول مرة على الأرض حادثة شنيعة، يقول عز وجل:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَتَّقِي اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة: ٢٧ - ٣١

ودفنه في جبل قاسيون شمالي دمشق في مغارة الدم في جبل الأربعين. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير وقال (إنه كان من الصالحين) وأنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء، فأجابه إلى ذلك، وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ وقال: إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس.

الرؤى لا يثبت أيّاً كان الرائي. قال الألباني في فضائل الشام ودمشق: محض افتراء وكذب _ ولا يثبت -.

أيها الإخوة الكرام

وحزن أبونا آدم حزناً شديداً على ابنه هابيل، وقد عوجل قابيل بالعقوبة يوم قَتَلَ أخاه فتعلقت ساقه إلى فخذه، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت، تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وحسده لأخيه، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ : «**ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**» (د . أحمد، هـ ٤٢١١)

أيها الإخوة:

عاش سيدنا آدم ٩٦٠ سنة، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: (زوائد المسند ١٣٦ / ٥ - ابن سعد ١ / ٣٩ ح: ٢ / ٥٤٥ مجمع الهيثمي ٨ / ٢٠٢). إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهب بنوه يطلبون له ذلك.

وعهد سيدنا آدم إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك كما أعلمه أنه مقبوض، وراح يوصيه الوصية الأخيرة. واسمعوا وصايا سيدنا آدم لولده شيث وخليفته من بعده في النبوة قال:

«**أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ ، فإنني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحر الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورقة شجرة طوبا ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذلك فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها**».

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

وبحث بنوه عن بعض ثمار الجنة فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاثل ، فقالوا لهم : يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ قالوا : أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة ، فقالوا: ارجعوا فقد قضى أبوكم ، فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم . فقال : إليك عني فإني إنما أتيت من قبلك فخلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل، ثم التفت إلى الملائكة الكرام فقال:

أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قالوا: أولم تعطها ابنك داود، قال فجدد آدم، فجددت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته. وأتمها له مولانا ألفاً ولولده داود مئة سنة.

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه، وكبروا عليه أربعاً، ثم أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم (صحيح).

والمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس في مكة .

أيها السادة الكرام:

قام بأعباء الأمر بعد أبينا آدم ولده سيدنا شيت، وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حاتم عن أبي ذر مرفوعاً : أنه أنزل عليه خمسون صحيفة. ثم كان أول نبي بعدهما سيدنا إدريس ، وهو أول من خط بالقلم أدرك من حياة جد جده شيت عشرين سنة.

ويسمى أخنوخ ، وإنما قيل له إدريس لكثرة دراسته في الصحف ، بعثه مولانا إلى بني قابيل وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خاط ثياب القطن ولبسها ، وكان من قبله يلبسون الصوف والجلود ، وكان إذا خاط يسبح الله تعالى عند كل غرزة ، فإذا غفل وخاط نقض ما خاطه بغير تسبيح.

وقد أثنى عليه مولانا ووصفه بالنبوة والصديقية وهو أحد أجداد النبي ﷺ وقد مر رسول الله في المعراج به وهو في السماء الرابعة ، وهذا أشار إليه مولانا في كتابه الكريم فقال : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ مريم: ٥٦ ولما صار له من العمر ٣٦٥ سنة رفعه مولانا إلى السماء ، وقيل : إن ملك الموت استأذن ربه في زيارته فأذن له فأتى إليه في صورة رجل ، فقال له إدريس : من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك . فقال له إدريس : أنا لي إليك حاجة . قال وما هي ؟ قال أن تقبض روحي في هذه الساعة ، فقال له ملك الموت . إن ربي لم يأذن لي بذلك . فأوحى الله تعالى إليه أنني علمت ما في نفس عبدي فاقبضها ، فقبضها .

ثم أحياه مولانا في الحال . فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى . فقال وما هي : قال تمضي بي إلى جهنم لأنظر حولها فأذن الله تعالى بذلك ، فحمله وأتى به إلى مالك خازن النار . فأوحى الله إلى مالك بأن أوقف عبدي إدريس على شفير جهنم لينظر ما فيها ، فلما وقف إدريس ونظر غشي عليه من أهوالها ، فجاء إليه ملك الموت واحتمله إلى مكانه الذي أخذه منه ، فصار إدريس منذ ذلك اليوم لا تكتحل عيناه بمنام ، ولا يهناً بشراب ولا طعام ، واعتكف على عبادة الله تعالى ، ثم دخل محرابه وسأل الله تعالى أن يريه الجنة كما أراه النار .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان حارس الجنان أن يدلي إليه غصناً من أغصان الجنة ، فأدلى له غصناً من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد إلى السماء فأدخله رضوان إلى الجنة وأراه ما فيها من النعيم فلما أ طال الجلوس . قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة وما فيها . فقال له إدريس ما أنا بخارج منها . وقد قال الله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ل عمران: ١٨٥ وقد نقه، وقل تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مريم: ٧١ وقد وردتها، وقل تعالى ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ الحجر: ٤٨ فما أنا بخارج منها .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان قل لعبدي إدريس لا يخرج منها أبداً . وهو أول من كتب الصحف ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب ، وأول من عمل الكيمياء ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وقد انتهت إليه الرئاسة في علم النباتات وأسرار الحروف . وكان يسكن صعيد مصر . فمن هو النبي الثالث الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم ، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله



سيدنا نوح

عليه الصلاة والسلام

- ٢٣ -

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خُبْرًا، وجعل لكل شيء قدرًا،
وأَسْبَلَ على الخلائق رعاية وسترًا، أحمده على نعمائه شكرًا، وأسلم لقضائه
صبرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً،
وأستتمدها على الأعداء نصراً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذراً ونذراً، فدعا إلى
الله سراً وجهراً، ونشر رحمته على العالمين نشرًا.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأدم لهم ولنا
يا مولاي أجراً، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فحديثنا اليوم . بإذن الله تعالى . عن أول الرسل إلى الأرض ، عن نبي لقبه
المؤرخون بلقب أبي البشر الثاني، وكثير النواح والبكاء أثناء عبادته وقيامه، وكان
أطول الأنبياء عمراً وأعطاه الله تعالى الفُلكَ، وعلمه صنعته وحفظه بما فيه، وأجراه
فوق الماء، وسماه عبداً شكوراً، وجعل ذريته هم الباقين .

إننا مع الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا
الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع ملف النبوات ، وبالذات مع النبي الثالث
الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم، إنه سيدنا نوح الحفيد الثالث لسيدنا إدريس،
أو الحفيد الثامن لسيدنا آدم، فقد مضت عشرة أجيال أو قرون كانت كلها على
الإسلام، واشتهر على مدى هذه الحقب التاريخية عبّاد وزهاد وصالحون انتشر

ذكرهم في كل مكان، أذكر منهم وداً وسواع ويغوثة ويعوق ونسرا، كانوا محبيين في أقوامهم، وكان ود أكبرهم، كان رجلاً صالحاً فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل (العراق) وراحوا يتبركون به، فلما رأى إبليس فعلهم وجزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال لهم : إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به، قالوا :نعم. فصور لهم مثله فوضعه في مكان اجتماعاتهم، وجعلوا يذكرون أقواله وأفعاله ومعروفه فلما رأى ما بهم من تذكره قال لهم : هل أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله. قالوا:نعم. قال فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، ولكل واحد من أصحابه سواع ويغوثة ويعوق ونسر، فأقبلوا عليهم وجعلوا يذكرونهم كلما اجتمعوا مع أهليهم وأبنائهم.

ورأى أبناؤهم ما فعل الآباء، وتناسلوا ودرس وانقرض أمر ذكرهم إياهم حتى اتخذته كل منهم إلهاً يعبدونه من دون الله، وكان أول ما عُبد من دون الله ود.

وهكذا فعلت كل طائفة من الأقسام لما تطاولت العهود والأزمان، فجعلوا تلك التماثيل والصور مجسدة في حجر وطين، ولهذا ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله أنه قال: **«إِنَّ أَوَّلَكُمْ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً ثُمَّ صَوَرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أَوَّلُكُمْ شَرَّارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

واسمع أيضاً إلى ما قاله سيد الخلق وحبيب الحق، يقول: «من صور صورة في الدنيا (يعني تمثالاً) كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» (م) ٢١١٠.

وكان يقول : كل مصور في النار (كل نحاس في النار) يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم (م).

ويقول مولانا في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخُلقي» (م)، وأشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله. ولذلك ورد: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصرون» (النحاتون) مسلم (٢١١٠).

فإبليس زرع الأصنام في الأرض من زمن سيدنا نوح ، هذا النبي (نوح) الذي شب عابداً تقياً حامداً شاكراً، وكان يحمد الله تعالى على كل حال له، على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله، وهذا يكسب العبد رضى مولانا عز وجل عنه، واسمع معي إلى حبيبك رسول الله وهو يقول: عن أنس بن مالك «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها» (م) مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

ونشأ صائماً ذاكراً ، يقول عنه سيدنا رسول الله ﷺ: صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم عيد الأضحى (ه: ض) وكان لا يرضى ما عليه قومه من الكفر والضلال وانتشار الفساد في الأرض وعبادة الأصنام. أيها الإخوة الكرام :

حين بلغ سيدنا نوح أربعمئة وثمانية عشرة سنة بعثه الله تعالى رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وبينهاهم عن عبادة ما سواه، أمرهم ألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً، وأن يعترفوا بوحداية الله، لا إله غيره ولا رب سواه، وفي هذا يقول مولانا عز وجل على الموجة الإيمانية من سورة نوح :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١ ﴾ قَالَ يَقَوْمِ
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤ إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٥ ﴾ نوح: ١ - ٤

وهكذا بدأ سيدنا نوح دعوته بلطف ولين وبالموعظة الحسنة على عادة جميع الأنبياء والرسل ، فاستجاب له أهل الحق والذين كتب الله لهم الهداية، وكان جلّ أتباعه من الفقراء والمساكين والمستضعفين كما هم أتباع الأنبياء والرسل. استجابوا بمجرد أن دعاهم إلى الله تعالى وذكرهم عذابه وعقابه، لأن أهل الحق لا يحتاجون إلى روية ولا فكر ولا نظر ولا انتظار في الانقياد إلى الحق، ولهذا مدح مرة سيدنا رسول الله سيدنا أبو بكر الصديق فقال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر الصديق فإنه لم يتلغنم » (ابن كثير في البداية النهاية). أي استجاب مباشرة، وأما المتكبرون فإنهم أعرضوا عن الحق واتهموا سيدنا نوحاً بالكذب والضلالة، فاسمعوا معي كيف خاطبهم بلهجة الداعية الهائلة على موجات سورة الأعراف: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣ ﴾ الأعراف: ٦١ - ٦٣

وتمضي الأشهر والسنوات ونوح يدعو قومه إلى الله تعالى بأنواع الدعوة. ﴿ يَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٧٢ ﴾ يونس: ٧١ - ٧٢

هل سمعتم هذه النبذة الوعظية وهذا الأسلوب الناصح كيف أتى بلطف ولين وصبر وأناة، وتمضي مئات السنين، وقوم نوح يزدادون إصراراً واستكباراً، ووصل عدد المؤمنين به إلى ثمانين، لا أقول ثمانين ألفاً بل ثمانين رجلاً وامرأة، وكانت امرأة نوح من وراء ستار تخون زوجها سيدنا نوحاً، كلما دخل بعض الناس في الإسلام أخبرت قومها بذلك، فيردوهم عن الإيمان بالله تعالى، بل إن قومها طلبوا من سيدنا نوح أن يطرد عنه هؤلاء المؤمنين ليدخلوهم في الإسلام، فبماذا أجابهم سيدنا نوح، اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا الموقف

الإيجابي على الموجات الإيمانية من سورة هود: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْفَعُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْفَعُ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ﴾ (بمجرد دعوتهم لتجلبوا لك من غير نظر ولا روية) وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّىَ وَءَاثِنِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴿قُلْ تَفْهَمُوهَا وَلَمْ تَهْتَكُوا إِلَيْهَا﴾ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ هود: ٢٧ - ٣٠

أيها الإخوة :

وتطاولت الأزمنة حتى بلغت ألف سنة إلا خمسين، والمحاورة والمجادلة تشتد بينه وبين قومه ولم يزد العدد على ثمانين، حتى ضاقوا به ذرعاً وقالوا له: ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ

إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ هود: ٣٢ - ٣٤

فلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته حتى أيقن نوح أنه لا ينفعهم نصيحة، وكان الذي يخونه بالسر زوجته فهي بالرغم من أنه أنجب منها أولاداً أربعة سام وحام ويافث وياهم (وقد آمن منهم ثلاثة: سام ومن أولاده العرب وفارس والروم، ويافث ومن أولاده الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. وحام وأولاده القبط والسودان والبربر) أقول رغم ذلك، فقد كانت تخبر قومها بكل من يدخل في الإسلام ليردوه عنه.

وهنا سيدنا نوح دعاه ربه ﴿ فِدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿القصر: ١٠﴾ وراح يعتذر لمولانا قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي مَا ذُنِبُوا وَاسْتَفْسَحُوا يَدَهُمْ وَآصَرُوا ﴿٧﴾ أَسْتَكَبرُوا أَسْتَكَبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أُولَٰئِكَ أَنْهَارًا ﴿١٤﴾ نوح: ٥ - ١٤

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي كَذَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَيَخْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ الشعراء: ١١٧ - ١١٨

وهنا يئس سيدنا نوح من قومه فدعا عليهم دعوةً غضب الله عليها بعدها غضباً شديداً قال نوح : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ ﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧
أيها الإخوة :

دعوة الأنبياء والرسل دعوة مستجابة لذلك يقول سيدنا رسول الله « لكل نبي دعوة مستجابة في قومه، واختبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»، إن مولانا استجاب لسيدنا نوح وأوحى إليه ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ ﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ هود: ٣٦ - ٣٧
أيها الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك، إلى القرون الطويلة الماضية، لنشاهد كيف صنع أبو البشر الثاني أول سفينة، لنرى السفينة تصنع لأول مرة في التاريخ، سفينة عظيمة لم يكن لها نظير من قبلها ولا يكون بعدها مثلاً.

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ ﴾ هود: ٣٨ وتعجب قومه منه كيف يصنع سفينة عظيمة على منطقة ليس فيها بحار أو أنهار عظيمة تسير فيها، ومضى عليه مدة طويلة في صناعة السفينة العجيبة، سفينة طولها ثلاثمئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في ارتفاع ثلاثين ذراعاً، مؤلفة من طبقات ثلاث كل واحدة عشرة أذرع، وباب عريض في وسطها، وجعل لها غطاء من فوقها مطبقاً عليها.

ثم أمره مولانا أن يحمل فيها من كل مخلوق وحي زوجين اثنين وقال له:

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ (الأرض إذا نبتت، نبت كلها شيء حتى لم تكن النيران، التي

يخبز فيها الخبز) فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ

مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿ المؤمنون: ٢٧ وجعل

الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور).

أيها الإخوة الكرام :

وأعطى مولانا إشارة البدء للطوفان الذي عم الأرض كلها، فحمل نوح من أمره

مولانا بحمله، وخاطبه مولانا فقال: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ أَلَمَّذِ

نَجِّنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ المؤمنون: ٢٨ -

٢٩ ولمثل سيدنا نوح لأمر مولانا قل لأهله والمؤمنين ﴾ وَقَالَ أَزْكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

بِحَرْبِهِا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴿ هود: ٤١

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد العظيم من كوةٍ على سفينة التوحيد

التي يقودها سيدنا نوح على الموجة الإيمانية من سورة القمر : ﴿ فَفَنَحْنَا

السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ

الْوَجِّ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴿ القمر: ١١ - ١٤ .

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾

قَالَ سَتَدِينُ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَى مَاءٍ لِي وَتَسْمَاءُ أَقْلَى

وَعِضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ

رَبِّهِ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿هود: ٤٢ - ٤٧﴾

وإذا بإمرأة معها صبي وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل حتى بلغ الماء ثلثه، فلما طغى الماء استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها ثم ضربته موجة الماء فغرقا.
أيها الإخوة :

كان الطوفان معجزة عظيمة لسيدنا نوح، فقد طغى الماء وارتفع إلى أعلى جبل في الأرض، وعم جميع الأرض طولها وعرضها وسهلها وجبلها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير استمر مئة وخمسين يوماً، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿الأنبياء: ٧٧﴾.

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿١١١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾ الشعراء: ١١٩ - ١٢٢
﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿١٢٥﴾ نوح: ٢٥
﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿١٥﴾ القمر: ١٥

وجاء الأمر الإلهي بعد إهلاك الكفرة المجرمين الذين لم يخضعوا لله رب العالمين: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود: ٤٤

ولوحى مولانا عز وجل لسيدنا نوحا ﴿ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هود: ٤٨

أيها الإخوة :

بعث سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه، فبعث الحمامة فأنتت بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين، فعرف سيدنا نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي على أرض العراق في يوم العاشر من المحرم يوم عاشوراء. وفرض على قومه أن يصوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى.

وهناك في العراق بنى قرية بالثمانين الذين نجوا معه وسميت قرية ثمانين، لكنهم وفي يوم من الأيام أصبحوا وقد تبدلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم. وكان يكبر ويزداد سناً حتى أصبح عمره ١٧٨٠ سنة ورغم ذلك لم ينقص له سن ولم تنقص له قوة، وقد سأله أصحابه حيث حضره الموت قال له: كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

واستدعى ولده ساماً وجعله ولي عهده وراح يوصيه :

يا بني آمرك باتنين وأنهاك عن اثنتين :

فأما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله تعالى والكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الشك والكبر.

وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى، قول لا إله إلا الله، وسبحان الله، فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربهما، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة ميزان جمعت بالسموات السبع وما فيهن، وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون(١).

كانت هذه الوصية الأخيرة لأبي البشر الثاني الذي ارتقت روحه الطاهرة إلى بارئها ودفن في مكان بالمسجد الحرام.

فمن هو النبي والرسول الرابع في الترتيب القرآني؟ من هو الحفيد الثالث لسيدنا نوح؟ هل عادت عبادة الأصنام من جديد، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا هود

- ٢٤ -

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور ومكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتباه من عبيده فجعله من المقربين الأبرار.

أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.
وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحببيه أفضل المخلوقين وأكرم السابقين واللاحقين من اتبعه وأحبه كان من الفائزين.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين، الذين رفعوا للإسلام أعلى منار، وسلم تسليمًا.
أما بعد:

فنحن اليوم على موعد مع الرسول الرابع في الترتيب القرآني، مع نبي كان يتكلم العربية وأرسل إلى العرب العاربة، أي العرب الذين تكلموا باللسان العربي من ذرية سام بن نوح، فإن أربعة من الأنبياء كانوا من العرب بعد الطوفان: هود، وصالح، وشعيب ، وسيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .
أيها الإخوة الكرام :

في منطقة الأحقاف من أرض اليمن، وفي بلدة مطلة على البحر، وعلى أرض يقال لها الشحر، سكن قوم من العرب العاربة من قوم عاد الحفيد الثاني لسام بن نوح، سكنوا الخيام العالية، وجعلوا لكل خيمة أعمدة ضخماً، ووصفها

مولانا في كتابه الكريم فقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ
الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾ ﴾ الفجر: ٦ - ٨

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ الفجر: ٦ عاد الحفيد الثاني لسلم بن نوح ،
وله ولدان شديد وشداد، ملكا بعد موته، وقهرا البلاد والعباد، فمات شديد
واستولى على الملك العريض شداد، ودانت له الملوك والبلاد.
والسبب في ذلك ما ذكره المؤرخون أن قبيلة عاد كانت قبيلة عظيمة،
وأقوامها أجسامهم كالعمالقة بل كانوا هم العمالقة، كانوا أشد أهل زمانهم في
الخلقة والشدة والبطش.

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ الفجر: ٧ مدينة بنوها على وصف الجنة تكبرا
وعتوا، بنيت في صحارى عدن وبنوا حولها خصباً خصيباً، وجعلوا لها بابين
عظيمين مرصعين بالياقوت الأحمر، وغرفها مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ
والياقوت، ومفروشة كلها باللؤلؤ والنمارق المسك والزعفران.

وحول الحصن القصور الكثيرة بناها شداد بن عاد وأسكن في كل قصر
وزيراً من وزرائه، وحولها الأزقة المملوئة بالأشجار المثمرة، وتحت الأشجار
أنهار مضطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة هذه هي إرم ذات العماد،
لكنهم أفسدوها بأعظم فساد فقد أقاموا وسطها الأصنام.

كان هذا هو الموجز _ معشر السادة _ وإليكم الأنباء بالتفصيل من هنا، من المدرسة
الإيمانية من جامع الدرويشية في الحلقة الرابعة والعشرين من دروس العقيدة.

واسمحوا لي أن أذيع عليكم البيان الإلهي كما ورد على الموجة الإيمانية
من سورة هود: ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ
إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفَوْرُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ ۖ اجْرَأْ إِن جَرَىٰ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقُولُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَابَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فُكَيْدُوْنِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ هود: ٥٠ - ٥٦

أيها الإخوة الكرام :

تطاولت العهود بين سيدنا نوح وبين سيدنا هود ، أربعة أجيال ، كل جيل يعيش ألف سنة أو أكثر ، حتى أتى الحفيد الثالث له من ولد سام وهو سيدنا هود ، وكان من سنة الله تعالى أن لا يرسل رسولا حتى يحدث تغير وتبدل في العقيدة والعبادة ، فلما اتخذ قوم هود الأصنام (صمداً وصموداً وهداً) أرسل إليهم سيدنا هوداً ينصحهم ويعظهم ويأمرهم بعبادة الواحد الديان ، فماذا أجابوه ، وكيف جابهوه ؟

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِيِّينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقُولُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴿الأعراف: ٦٦-٦٨﴾ أَلَيْسَ هَذَا الأسلوب البليغ ، إنه أولاً يخاطبهم على أنهم من قومه ، ثم هو شفيق عليهم وحريص على هدايتهم ، وثالثاً هو لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم مكافأة ، وكل رسول أرسل إلى قومه نواه يقول لهم هذا الكلام ﴿ يَقُولُوا لَا اسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ هود: ٥١ ﴿ ومع ذلك كله نرى قومه يتهمونهم بالجنون ، وأن الآلهة والأصنام

غضبت عليه فأصابته في عقله قالوا له: ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضُ إِلَهَتِنَا يَسُوءُ هُودًا: ٥٤﴾ وتحوه قتلين: ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿الأعراف: ٧٠﴾ ثم اسمعوا إلى هذه الحجة الواهية التي احتجوا بها قالوا: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ﴿الأعراف: ٧٠﴾ فتعجب منهم سيدنا هود قل لهم عجباً: ﴿أَتَجِدُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ﴿الأعراف: ٧١﴾ يلهمن هي إلا أبحار تتحتونها ثم تعبدونها، لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم شرّاً، إن هذا إلا ازدياء لعقولكم وانتهاك لكرامتكم، إن لكم إلهاً واحداً جدير بكم أن تعبدوه، وهو الذي أحياكم، وهو الذي يميّتكم، ومكّن لكم في الأرض، وبسط لكم في الأجسام، وبارك لكم في الأنعام، فآمنوا به واحذروا أن يصيبكم ما أصاب قوم نوح، وما قوم نوح عنكم ببعيد.

أيها السادة الكرام:

هذه هي عادة الرسل في الدعوة إلى دين الله، إن سيدنا هوداً راح يدعوهم بلطف، ويحذرهم مغبة شركهم وكفرهم بالله ، قائلاً لهم /الشعراء: ١٢٨: ١٣٨/ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴿١٢٩﴾ وَلَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَحَسَنَ وَغِيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٣٨

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

هذا هو الداء الدفين، هذا هو الذي يجعل العبد جباراً في الأرض يظن أنه لن يُردَّ إلى علام الغيوب، وهذه الدعوى الكاذبة دعوى لا دليل عليها ولا برهان، إن هذا الكلام ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ كلام الجهلة من الزنادقة الذين يقولون : (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع).

فلم يجد سيدنا هود نفسه إلا وهو يلتجئ إلى الله تعالى قال : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاءً ﴾ ﴿٣٩﴾ المؤمنون: ٣٩ فأجابه مولانا عز وجل ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ

لَيُصِصْحَنَّ نَدِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ المؤمنون: ٤٠

أيها الإخوة الكرام

فكيف أهلك الله قوم هود ؟ كيف جعلهم كالرميم ؟

إن مولانا منع عنهم المطر ثلاث سنين، حتى كادوا أن يهلكوا من العطش، فبعثوا وفداً منهم ليستقوا في أرض بالفلاة، فأنشأ الله سحباً ثلاث، بيضاء وحمراء وسوداء، ثم قيل لزعيمهم: اختر لقومك من هذا السحاب. فقال: اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً، فناداه المنادي: اخترت رماداً رمداً لا تبقي من عادٍ أحداً، لا والداً ولا ولداً إلا جعلته همداً إلا بني اللوزية الهمداً، (وهم الذين كانوا مقيمين في منطقة مكة اليوم).

أيها الإخوة :

تعالوا بنا نشهد الفصل الأخير للذين أشركوا، إن قوم عاد الآن، متجهين إلى إرم ليفتتحوها، إنهم في أوج فرحهم وسرورهم، جاءهم العذاب وهم في قمة بأسهم، كما يأتي الظلمة والمتجبرين والمتألهين على الأرض، كما فعل بقارون الذي قال عنه مولانا فخرج على قومه في زينته ثم قال: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِإِخْوٰهٖ

الْأَرْضَ ﴿الْقَصص: ٨١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ هود: ١٠٢

إذا بصيحة من السماء (الله أكبر) صيحة عظيمة قوية شديدة، عاتية مبيدة،
(الله أكبر) قولوا الله أكبر، من قلب واحد، بلسان واحد، باعتقاد واحد .

الله أكبر سيف الله قاطعهم وكلما قد علوا في أمرهم هبطوا .

صيحة واحدة لم تبق أحداً فيهم على قيد الحياة، إياك أن تكون جباراً على
الأرض، فإن الجبار هو الله، من الجبار؟ من القهار؟ من الملك؟ من المتكبر؟
من المعز؟ من المنزل؟ من القوي؟ من المتين؟ من هو الفاعل لما يريد؟ من هو
الذي أخذه أليم شديد؟ إنه الله، وحدوا الله، هذه الصيحة جاءتهم مع قدوم الغمامة
السوداء التي خرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فما ان رأوها حتى استبشروا،
وقلوا ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌّ﴾ الأحقاف: ٢٤ قل لهم مولانا: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ

بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿الأحقاف: ٢٤ - ٢٥﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٢١﴾ القصص: ٢١ تتولى على الظلمة المتجبرين، تلعب

معكم تفصيل الأنباء من مشاهد العذاب الإلهي من سورة /الذاريات: ٤٢/:

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾

الذاريات: ٤١ - ٤٢ (كالشيء البالي الفاني) وعلى الموجة الايمانية من سورة

/فصلت: ١٥ - ١٦/:

﴿قُوَّةٌ أُولَئِكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا (ذات صوت شديد) فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ فصلت: ١٥ - ١٦ ثم عودة إلى سورة

/القمر: ١٨ - ٢١/: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِيرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِيرِ ﴿٢١﴾﴾
القمر: ١٨ - ٢١

وعلى موجة سورة الحاقة: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾
الحاقة: ٧ - ٨

فما هي هذه الريح التي أصابتهم؟ إنها الريح التي ذكرها رسول الله ﷺ في الصحيحين قال: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور». الدبور ريح عاتية باردة شديدة الهبوب، وكانت تجيء إلى أحدهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه، فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس، وكانت تتبعهم وتدخل عليهم كهوف الجبال فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة، وراحت تحمل أهل البادية ومواشيهم وتلقيهم على أهل الحاضرة والمدن حتى أهلكتهم جميعاً.

في الصباح كانوا يقولون: من أشد منا قوة؟ وفي المساء صارت حالهم نقول: من أشد منا ضعفاً وعوبية وذلاً وعذاباً، ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ القلم: ٣٣ وسألت نفسي ترى ما هي قوة هذه الريح كم قوتها، ما هي سرعتها في الساعة، وبحثت فوجدت حبيبنا رسول الله قد أخبرنا عن قوتها فقال: «ما فتح الله على عادٍ من الريح إلا مثل موضع الخاتم» أحمد في المسند (٣/ ٤٨٣) وت (٣٢٧٣ - ٣٢٧٤). ه برقم (٢٨١٦) ون باختصار (٨٦٠٧) (٥/ ١٨١) وحسن إسناده. ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٧٨) (٥٧٩).

ونجى الله تعالى قوم هود، وقد اعتزلوا في مكان لهم، كانت الريح حولهم شديدة عاتية، وأما على المؤمنين فكانت كالنسيم اللذيذ، الهادئ الناعم، وتطهرت الأرض من رجس الكافرين وعُباد الأصنام، وعاش هود ومن معه حتى لحق بربه عز وجل. ودفن في حضر موت .
أيها الإخوة الكرام :

وقيل أن أسدل الستار على هذه المشاهد أسأل سؤالاً واحداً، هل لهذه الريح العقيم من عودة لإهلاك أحد من المجرمين، والجواب نعم اسمع إلى حبيبنا رسول الله ﷺ يقول: « **يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب وهو فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير، ويصيبهم خسف وقذف، فيقولون: لقد خسف الليلة ببني فلان، ويرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات (المغنيات) ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام).** »
(أبو نعيم والطيالسي - وهب وهو حسن بشواهده).

فحذار حذار معشر المسلمين، لنبق جميعاً موحدين، ولنبق جميعاً هنا، وإياكم أن تكونوا هناك على موائد الخمر والفجور، لنبق معاً هنا. وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله رب العالمين.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا صالح

- ٢٥ -

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته. والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكوته، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا راد لحُكمه وإرادته .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات الذي أكرمنا الله تعالى بمحبته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته، وسلم تسليماً .
أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٣٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٣٦﴾ إِنَّا مُرْسَلُونَ إِلَيْكُمْ فَآتُونَهُمْ فَآتُونَهُمْ وَأَصْطَرِجُوا فِيهِمُ الْكَذَّابِ ﴿٣٧﴾ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٣٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَخِيطِ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

﴿٣٢﴾ القمر: ٢٣ - ٣٢

كان هذا أيها الإخوة . موجز الأنباء الإلهية، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية.

وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد: لا إله إلا الله.
وقد تقدم معنا خمسة من أنبياء الله ورسله الكرام. ممن ذكرهم مولانا في كتابه ووردت الآثار بهم: سيدنا آدم . شيث . ادريس . نوح . هود .
ونحن اليوم مع النبي السادس في الترتيب الزمني، إنه سيدنا صالح هو الحفيد السابع لسيدنا نوح، وهو من قبيلة ثمود.

وكثيرا ما يتعرض مولانا في كتابه لذكر عاد مشمولة مع ثمود، كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والنجم والفجر وهاتان الأمتان من العرب بنت بيوتها في الجبال، وقد سكن قوم ثمود الحِجْر وهي منطقة بين المدينة المنورة وتبوك، نحتوا الجبال لهم بيوتا وقالوا من أشد منا قوة، وعتوا عن أمر ربهم فعبدوا الأصنام، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم، وقابلوا نعمة الله كفرا، فأرسل الله إليهم رجلاً منهم يدعوهم إلى عبادة الواحد الديان بلطف ولين، واسمعوا معي إلى هذا الأسلوب الناعم اللطيف بلسان سيدنا صالح على الموجة الإيمانية من سورة الشعراء :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الشعراء: ١٤١ - ١٥٢ هل سمعتم

مثل هذه العبارات ولين الجانب لقومه، وحسن دعوته لهم إلى الخير، فهو يقول لهم : ما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه، ماذا يكون عذرکم عند الله، وما يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك

دعاءكم إلى طاعته، وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب علي، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم بيني وبينكم وهو خير الحاكمين.

هذا هو أسلوب الدعوة من نبي الله صالح لقومه العتاة، فماذا فعل قومه به، وبماذا اتهموه، وكيف جابهوا دعوة الحق بباطلهم، لقد اتهموه بأنه من المسحورين قالوا له: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١٥٣) الشعراء: ١٥٣ لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراذ العبادة لله وحده، وخلع ما سواه من الأنداد والأصنام ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٥٤) الشعراء: ١٥٤ ائتنا بمعجزة، بأمر خارق للعادة يدل على صدق ما أتيتنا به، قال لهم: وماذا تريدون ؟ !

وكان بجوارهم صخرة كبيرة، قالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حاملاً، وعلى أن تلد فصيلها (ابنها) بعد خروجها مباشرة.

ناقة!!؟؟ تخرج من صخرة، من صخرة صماء، لا، وليست ناقة عادية، بل ناقة حامل، ومن الذي لقحها حتى حملت، أي فحل في داخل الصخرة الصماء، لا، وليس هذا فقط بل ومضى عليها أشهر الحمل حتى إذا خرجت وضعت فصيلها مباشرة، إن هذا فعلاً أمر خارق للعادة، ولا يقدر عليه إلا واحد، هو الله، و الله وحده.

أيها الإخوة الكرام :

الخطب إذاً جلل، والأمر بلغ عقدة هامة، فقد وضع سيدنا صالح في موقف عظيم ليحضر الدليل على أنه رسول من عند الله تعالى.

فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عهد قديم قبل عهد سيدنا إبراهيم، فإن قوم ثمود ظنوا أنهم قد أحاطوا بنبي الله ورسوله، لكنهم حبسوا أنفاسهم وشدوا أعصابهم حين قال لهم:

. أرايتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئكم به، وتصدقونني فيما أرسلت به، فقالوا جميعاً وهم على يقين أنه لن يستطيع فعل ذلك، قالوا: نعم. وأعطوه العهود والمواثيق أن يسلموا ويتركوا عبادة الأصنام إن هو نفذ طلبهم.

إذاً الأمر جدّي، وليس كلاماً، كيف سيحدث هذا الحدث الهائل، وما هو السبب الموصل إليه؟

ونظر القوم إلى سيدنا صالح: رأوه يقوم إلى مصلاه، ويقبل على الله تعالى بكليته وقد أهمه أمر أمته، وكان على إيمانهم حريصاً، وراح يدعو الإله القادر المقتدر، الإله الواحد الأحد الذي يستطيع بأقل من لمح البصر أن يفعل ذلك ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠

رأوا بأم أعينهم سيدنا صالحاً يدعو، يدعو الله تعالى باسمه الأعظم، وما هو إلا أن نزل الأمين جبريل يطوي بأجنحته السبع الطباق يحمل رسالة من رب العالمين أسمعوا نص الرسالة كما نزلت:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ القمر: ٢٧ الله أكبر .

وفجأة انشقت الصخرة عن ناقة عظيمة حامل على الوجه المطلوب تماماً، بل وما أن انشقت عنها الصخرة حتى وضعت ابنها بإذن الله تعالى، فيا سعد من آمن وأيقن ووحد الله تعالى.

قدرة باهرة، وعظمة قادرة، دليل ساطع، وبرهان قاطع، وراح القوم ينظرون وعيونهم مفتوحة، وعقولهم لا تصدق، وهنا كتب الله الإيمان على الذين آمنوا فآمنوا لساعتهم، وأما الذين حجب الله عنهم الإيمان فقد استمروا على كفرهم وعنادهم وضلالهم، فقال سيدنا صالح :

﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ الأعراف: ٧٣ ألم تكن تزينون آية؟! ألم تعطوا العهود والمواثيق على أن تؤمنوا إن أنا نفذت طلبكم، هذه هي الآية، ودارت رحى المناقشات الحامية، بل راح فريق الإيمان يحاجج فريق الكفر، فقامت معركة كلامية سجل بعضها مولانا في كتابه:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ اتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ الأعراف: ٧٥ - ٧٦

لكن سيدنا صالحاً حسم الموقف وأعطى أوامره الصارمة، فقال:

﴿ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (٦٤) هود: ٦٤ ولمره مولانا قل: ﴿ وَيَنْتَهُمُ أَنْ أَلْمَأَ قِسْمَةً يَنْتَهُمُ كُلُّ شَرِبٍ مُخَضَّرٌ ﴾ (٢٨) القمر: ٢٨ قل لهم: ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ (١٥٥) الشعراء: ١٥٥ وهكذا تم الاتفاق على أن تبقى هذه الناقة وفصيلها بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوماً واحداً كل يومين، وكانت إذا وردت تشرب ماء البئر يومها ذلك.

هذه الحوادث الإيمانية _ أيها السادة _ أنقلها لكم عمن يعلم السر وأخفى، هي حوادث حقيقية واقعية فقولوا: آمنا وصدقنا.

فهل هذا أعداء الإسلام؟ هل سكتوا وقمعوا وانقلبوا هنالك صاغرين؟ إن أعداء الإسلام قعدوا في ليلة ظلماء حالكة يأترون ضد شريعة الله وكانت لهم زعامة في قومهم، فوجدوا أن سيدنا صالحاً سوف يقضي على زعامتهم للقبيلة ويتولى هو الأمر والنهي، فالمسألة مسألة كرسي وزعامة وكله

في سبيل الكرسي يهون، ولو كان فيه قتل الأنبياء والقضاء على الشريعة الإلهية فقررُوا جميعاً قرارين: القرار الأول: قتل الناقة وفصيلها.

القرار الثاني: قتل سيدنا صالح وأهل بيته ثم نكران فعلهم هذا أمام قبيلتهم. ولكن الله من ورائهم محيط، إن الذي يريد أن يقضي على الإسلام الله خاذله، واسمع معي إلى القرار الذي اتخذه مولانا، وليسمع الذين يكيدون للإسلام، ليسمع كل معادٍ للإسلام، إن رب العزة اتخذ قراره النافذ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: ٥٠ ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ آل عمران: ٥٤

انطلق هؤلاء التسعة لينفذوا أطراف مؤامرتهم.

وكان الناس يرفعون حاجتهم من الماء عن يومين، ويشربون لبنها وحليبها يوماً، لكن هذا لم يعجب المجرمين والعقاة، الذين يغدرون في الليالي الحالكة، ويخافون من نور الإيمان والحق أن يذهب بضلالتهم، فبدؤوا بعقد خيوط مؤامرة لقتل الناقة، الناقة التي تَحَدَّتْ ظلام كفرهم وخطيئتهم وشركهم بالله تعالى.

فكيف بدأت شبكة العنكبوت نسج خيوطها الدنيئة ؟!

معشر السادة الموحدين:

دعوني أنقل لكم على الموجات العاملة من سورة النمل، وقائع المؤامرة التي تم نسجها ضد الدعوة إلى الله تعالى، يقول تعالى:

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ النمل: ٤٨ ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ النمل: ٤٨-٥٠ ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: ٥٠

على رأس هؤلاء الرهط ابنُ زانية يدعى قَدَار بن سالف، أزرق أحمر أصهب، انطلقوا يرددون الناقة، فلما صدرت من وردها وشربها كمن لها هؤلاء التسعة وضربوها بالسهم، ثم شدَّ عليها قدار بالسيف فخرت ساقطة على الأرض ترغو وهي تحذر ولدها الذي انطلق فصعد جبلاً وراح ينادي مولانا عز وجل ويستجير به، فإذا بصخرة تنشق خلفه في الجبل فيدخل فيها ويغيب عنهم وينجيه الله منهم.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الأعراف: ٧٧

ونزل الوحي فأخبر سيدنا صالحاً بقتل الناقة، وأخبره أن يعلم قومه بعذاب شديد سوف يحل بهم بعد ثلاثة أيام، فلم يصدقوه، بل هموا بقتله في داره مع أهله سرا:

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٠ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥١ ﴿فَلَمَّا ٥٠-٥١﴾ فَعَقَرُوهَا

فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ ٦٥ هود:

أيها الإخوة الكرام :

كان الانتقام شديداً عظيماً بهؤلاء الرهط التسعة الذين قعدوا في سرهم واتفقوا على قتل سيدنا صالح مع أهله، وما أن اقتربوا من أهله حتى أرسل الله عليهم حجارة أهلكتهم عن آخرهم:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنَا صَدْحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِيذُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ٦٦ هود:

وهنا بعث إنذاراً لقومه بالهلاك الأكيد، وأن علامة إهلاكهم أن يصبحوا في اليوم الأول ووجوههم مصفرة، وفي الثاني محمرة، وفي الثالث وجوههم مسودة.

وحين حل بهم العذاب في اليوم الأول عرفوا صدق سيدنا صالح وقعدوا ينتظرون العذاب الأليم.

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة من أسفل منهم، ففاضت أرواحهم وزهقت ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ طه: ١٠٨ ﴾ وحققت الحقائق وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين إلا رجلاً واحداً منهم كان في حرم الله، وهو أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه، وقد مر سيدنا رسول الله بهذه البقعة حيث خرج إلى الطائف ومعه صحابته الكرام، فقال لهم: أتدرون ما هذا: قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: هذا قبر أبو رغال، رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه، فابتدأ الناس يحفرون فاستخرجوا منه الغصن، فيا سعد من صلى على رسول الله.

أيها الإخوة الكرام:

وفي أثناء غزوة تبوك، آخر غزوة غزاها الحبيب الأعظم، مرّ في طريقه على بيوت ثمود، فاسمعوا ماذا فعل المشرع النبوي الكريم، هذا هو درس العقيدة اليوم، وأريدكم أن تنتبهوا للدرس جميعاً، فإن قوم ثمود قد مضى عليهم ربحاً طويلاً من الزمن، وقروناً متطاولة حتى جاء عهد سيدنا رسول الله، فرأى مساكنهم، فنادى على الجيش الذي كان يقوده قائلاً:

« لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ولا تشربوا من مياههم، ثم تَقَنّعَ وأسرع وسار مع جيشه حتى بلغ بئر الناقة التي كانت تشرب منها فأمرهم بالشرب من هذه البئر.

فإذا بيعض أفراد الجيش يستقي من آبار ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور، فنادى رسول الله (الصلاة جامعة) جمع المسلمين وخطبهم وقال: ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم: فأمرهم أن يهرقوا القدور وأن يطعموا العجيين الابل». عن ابن عمر في الصحيحين.

هذا هو الحدث المخرج في البخاري ومسلم، وانتبهوا :

إن سيدنا رسول الله

١ . نهاهم أن يدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم.

٢ . وأن يدخلوا باكين أو متباكين.

٣ . وأسرع مع صحبه بالسير بجوارها.

٤ . ونهاهم عن الشرب من مياههم لأن الله غضب عليهم.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أماكن المعاصي ومقر غضب الرب جل جلاله يحرم دخولها، ولو تقادمت العهود على هذه الأماكن، كل مكان تقام فيها المعاصي وتراق فيه الخمر وينتهك فيه الأعراض يحرم دخوله، وكل شخص يدعو للدخول إلى هذه الأماكن يجب ألا يطاع، وقد دعاني أحدهم إلى فندق ضخم فخم، فندق فيه صالة أقام فيها حفلة مولد لعقد ولده، صالة فوقها تراق الخمر، وتحتها تنتهك الأعراض وفيها النساء المومسات، وأنا أسأل نفسي، إذا كان رسول الله قد نهانا عن الدخول إلى ديار نزل عليها غضب الرب جل جلاله، لماذا استبدلنا المساجد واتخذنا فنادق حولها أقوام يعصون الله تعالى، قاعات زينت جدرانها بأصناف الحجارة الكريمة يمينة ويسرة، وحينما تنتهي حفلة المولد يقيمون حفلة في الليل للمغنيات والفاسقات. أهذا هو الدين، لا، لا يستبدل بيت الله الذي قال عنه ﷺ: «أعلنوا هذا النكاح» وفي رواية الترمذي (ض) «واجعلوه في المساجد» (حسن)

(حب ١٢٨٥ - طب ٦٤ / ١ - طس ١ / ١٦٧ / ٢)، في المساجد، لا يستبدل بيت الله بقاعات الدنيا ولو فرش أرضها بالأزهار، ويجب على كل إنسان ممن يدعي أنه متدين ألا يدخلها.

وقديماً أحب أبرهة الحبشي أن يبني كعبة في بلاده ليصرف وجوه الناس إليه، ولكن العرب (أقول العرب)، العربي لا المسلم، العرب لم يستبدلوا ببيتهم الحرام كعبة أبرهة، ونحن لا نستبدل بمسجدنا قاعة من قاعات الفنادق الضخمة التي يدار فيها جميع أنواع المعاصي، وكلكم يعلم أن رجلاً بال فيها وقامت حرب الفيل على أثرها ونصر الله دينه و أعز كعبته، إنني أدعو المسلمين جميعاً أن يردوا على السفهاء فيجعلوا قاعات الفسق مكاناً لقضاء الحاجة كما فعل العربي بكعبة أبرهة.

ونحن معشر المسلمين علينا أن ننزه ذكر رسول الله في أماكن المعصية لأن ذكر رسول الله طاهر مطهر، فلا ينبغي أن يعلو ذكره في هذه الأماكن المشبوهة، علينا أن نفعل كما فعلت السيدة أم حبيبة أم المؤمنين حين دخل عليها أبوها أبو سفيان وكان مشركاً فأراد أن يجلس على فراش رسول الله فنزعتة من تحته وقالت: إنك رجل مشرك نجس فليس لك أن تجلس على فراش رسول الله.

هل يعرف هؤلاء الذين يدعون الناس إلى أمثال هذه الفنادق أين يذهب ما يدفعونه لقاء فعلتهم، إنه يذهب في شراء الخمر، في الاستعانة على المعاصي. وكفا بهذا إثماً ومعصية.

أيها الإخوة الكرام:

إن قوم ثمود كفهم قتل الناقة دمارهم وهلاكهم، ناقة واحدة قتلوها انتقم الله منهم أشد الانتقام، فما بالك بالذين يقتلون المسلمين كل يوم، في فلسطين، في

البوسنة والهرسك، والشيشان، فما بالك فيما يحارب الإسلام والمسلمين، إن انتقام مولانا قادم اليوم أو غداً فليحذر أعداء الإسلام ، ليحذروا انتقام مولانا،

﴿فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله



سيدنا إبراهيم الخليل

- ٢٦ -

الحمد لله الذي قرب إلى جنبه من أحب واختار، وصيره من أحبائه السادة الأبرار، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهار.

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره أبدع الخلائق بقدرته، وقدّر أرزاقهم وآجالهم بحكمته وفضل بعضهم على بعض في الشرف والنسب فانتخب منهم الأنبياء والرسل الأخيار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار، وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اصطفاه الله من بين الأنام فهو خيار من خيار من خيار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ورضي الله عن أصحابه الأخيار، من المهاجرين والأنصار ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار، عدد ما ناح طائر وترنم في الأسحار، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فنقف اليوم بإجلال واحترام أمام شخصية عظيمة، مَلِكٌ تصغر ملوك الدنيا أمامه، مَلِكٌ لو لم يكن بشراً لقلت أنه مَلِكٌ، وكريم لا يجاريه الكرماء، إننا أمام نبي ورسول حاز من الفضائل البشرية ما لا يحصى.

هو أول من استاك، وأول من استجى بالماء، وأول من قص شاربه، وأول من قاتل بالسيف، وأول من أقام المناسك، وأول من أحيا الله به الموتى، وأول من اتخذ الضيافة فسمي أبا الضيفان ، (٣٣٥٦/ صحيح البخاري عن أبي هريرة: «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقُدُوم» . وأمّا ما ورد في الموطأ وهو ابن مئة وعشرون فمؤولٌ أو مردودٌ)، وأول من قص أظفاره، وأول من نتف الإبط، وأول من هاجر لله، وأول من رأى الشيب في رأسه فهاله فقال: يا رب ما هذا؟ قال الوقار: فقال: يا رب زدني وقاراً .

وهو أول من اتخذ السراويل فقد أوحى الله إليه: إنك لأكرم أهل الأرض علي، فإذا سجدت فلا تر الأرض عورتك فاتخذ السراويل، وهو أول من ضحى، وأول من بنى البيت العتيق بيقين، وأول من يكتسى يوم القيامة إنه سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الذي شهد فيه مولانا شهادات اختصه الله بها، فقال عنه:

﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٧)

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠)

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا (الحجة في التوحيد) ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (الأنعام: ٨٣)

أيها الإخوة الكرام :

استعدوا اليوم فنحن على موعد لزيارة أبي الأنبياء لنشهد الأيام الأولى من حياته، ومع الحلقة السادسة والعشرين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية استعرض على حضراتكم أحداث حياته الكريمة.

فقد كانت ولادته معجزة، وكانت بعثته معجزة، وكانت حجته على قومه معجزة، وكانت معجزته أمراً خارقاً لم يحدث لغيره من الأنبياء مثلاً.

ولد في زمن الملك الكافر الجبار مدعي الألوهية النمرود الذي كان من سلالة حام بن نوح، ولد في منطقة بابل في العراق على رأس ألفي سنة من وفاة سيدنا آدم. ولد في سنة كان النمرود يقتل فيها كل من يلد، لأنه رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، ففرع من ذلك فرعاً شديداً ودعى السحرة والمعبرين فقالوا له: يولد مولود في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه. فأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل

على كل عشرة رقيباً، فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها، فإذا طهرت عزل الرجل عنها، وأمر بذبح كل غلام يولد تلك السنة، ثم غادر مدينته وأمر عليها صانع الأصنام آزر، وأوصاه وشدد عليه الأوامر الصارمة، فنفذ كل ما أوصاه به إلا شيئاً واحداً، فقد دخل آزر على زوجته فواقعها فحملت بزنة العالمين تلك الليلة، وأخفى عن النمرود ذلك، فلما بان حملها خرج بها إلى مغارة ظاهر المدينة فوضعت هناك وسماه إبراهيم.

ودخلت أمه عليه ذات يوم فوجدته يمص من أصبع له لبناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع سمناً، وكان يشب في اليوم كشهر، وفي الشهر كسنة، حتى أصبح ابن ثلاث سنين، فنجاه الله من الذبح، وعاد به أبوه إلى مدينته. وبدأ سيدنا إبراهيم يسأل عن خالقه وربّه أمّه وأباه، قال لأبيه مرّة:

يا أبتاه من ربي ؟ قال: أمك

قال فمن رب أمي ؟ قال: أنا

قال فمن ربكما: قال: نمرود

قال من رب نمرود: وهنا لطمه أبوه لطمَةً أسكتته.

نشأ سيدنا إبراهيم موحداً راشداً، كان أبوه آزر يعطيه الأصنام التي ينحتها من الحجارة فيبيعها للناس ليعبدوها، فكان سيدنا إبراهيم يشدها بالحبل من رجلها، ويجرها خلفه على الأرض وينادي عليها ويقول: من يشتري من يضره ولا ينفعه، من يشتري هذه الحجارة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً.

لَبَّ كَمَا قَالَ عَنْهُ مُوَلَانَا عَزَّ وَجَلَّ تَمَلُّماً: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ

وَكُنَّا بِهٖ عَلِيمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ الأنبياء: ٥١

هذا هو موقف سيدنا إبراهيم، لما رأى أباه ينحت الأصنام بإزميله، يعمل من الحجر صورة فيتخذها هو وقومه آلهة، حجر تصنعه يد الإنسان ثم تقدسه

وتعبده، إله أخلقه وأطلب منه أن يخلق لي ما أريد، هذا أمر لا يقبله العقل، فأين هو الإله الحق إذن.

وذهب يبحث ويفكر، وأدركه الليل، وطلع عليه النجم براقاً لامعاً عالياً، لم يخرج من الأرض كما الصخرة التي تصنع منها التماثيل، لم يعمله الإنسان بيده ثم يعبده، وظن أنه وجد الإله الذي يبحث عنه، وإذا بالقمر يطلع فيختفي النجم، ويرى القمر أكبر في النظر وأضوأ، فيؤمن بأن القمر هو الإله، ويرقبه الليل كله، فإذا بالشمس تطلع فتطفئ شعلة القمر وتفيض النور على الأرض، فيقول هذا هو الإله، ولكن الشمس تأفل وتذهب لتدع الأرض في الظلام، ما هذا الإله الذي يمضي ويتخلى عن ملكه، كلا ليست الشمس إلهاً خلقتي ولا هذه الموجودات آلهة ولا إنا الإله، أنا ما خلقت نفسي، ولا خلقت من غير شيء، فلم يبق إلا شيء واحد صحيح هو الحق وما عداه باطل: هو أن وراء هذه الجمادات كلها إلهاً قادراً عظيماً هو الذي أوجدها وأوجدني وأوجد كل شيء.

أيها الإخوة الكرام :

وكان إكرام الله تعالى لسيدنا إبراهيم عظيماً فقد اصطفاه مولانا واجتباها لنفسه وابتعثه نبياً ورسولاً، ونزل عليه الملك وبشّره بأنه خليل نبي الله ورسوله فحمد الله تعالى وشكره وطلب من الملك علامة على ذلك. فقال له الملك: علامة ذلك أن يجيب الله دعائك ويحيي الموتى بسؤالك.

فقال سيدنا إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى؟

قال: أو لم تؤمن؟ . قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني نبياً ورسولاً وتجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك.

قال: فخذ أربعة من الطير. فأخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغباباً، ثم قال له: فصرهن إليك (قريهن إليك وقطّعن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً. فذبح تلك الطيور ومنتف ريشها وخلط لحمها ودمها وريشها ببعضه ببعض، وقسم كل طائر فجعل على رأس كل جبل منهن جزءاً، وأمسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله تعالى .

فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يطير إلى العظم الآخر، وكل بضعة طير إلى البضعة الأخرى، وسيدنا إبراهيم ينظر، حتى اجتمعت الأجسام بعضها ببعض في السماء بغير رؤوس، ثم أقبلن سعيّاً إلى رؤوسهن حتى جاء كل طائر إلى رأسه ثم قامت الطيور حية بإذن الله تعالى ونظر الخليل إلى عظمة الله في إحياء الموتى وراح يقول: أعلم أن الله عزيز حكيم .

وهنا انطلق واليقين يملأ قلبه وجوانحه، وأقبل على أهله وقومه يدعوهم إلى الله تعالى على بصيرة، فكانت أول دعوته لأبيه بائع الأصنام، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له، فراح يدعوهم بألطف عبارة وأحسن إشارة، لم يغفل له القول ولم يخفه، بل بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان وأعلمه أن الله أعطاه من الهدى والعلم النافع ما ليس عنده أحد في عصره، وسمعوا هذه المحاورة التي سطرها مولانا في كتابة على الموجات الإيمانية من سورة السيدة مريم رضي الله عنها. ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَتَأَبَّتُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي

مِنْ أَلْعَلِمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّيَّبَتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّيَّبَتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ مريم: ٤١ - ٤٥

أسمعتكم مثل هذا الكلام الذي يفيض حناناً وعطفاً على أبيه، وانظروا إلى
جواب أبيه، كان جوابه عنيفاً، لم يقبل النصيحة ولا أخذها عنه بل تهدده بقسوة
وتوعده وقال له: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِرُهُمْ لِيْن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ
وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ مريم: ٤٦ ﴾ فشقق عليه سيدنا إبراهيم الشفقة العظمى وقال:
﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِيْ حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ مريم: ٤٧ ﴾ فَلَمَّا
بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ التوبة: ١١٤

ولما لم تُجِدِ المحاولات الكثيرة لهداية والده، توجه إلى قومه بالدعوة إلى دين
الله تعالى بكليةته.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم هذه المحاورات بين فريق
الإيمان الذي يرأسه سيدنا إبراهيم الخليل وفريق الكفر الذي يرأسه عبّاد
الأصنام، أنقل لكم هذه الأنباء على الموجه الإيمانية من سورة الشعراء:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا
فَنَنْتَظِلُ لَهَا عَكْفِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ
وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٧٣﴾

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ الشعراء: ٦٩ - ٨٣

أيها الإخوة الكرام:

وجد سيدنا إبراهيم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يجد باللسان
والمقال، فأراد أن يُريَ قومه ضَعْفَ الأوثان التي يعبدونها وعجزها إلزاماً للحجة
عليهم، فجعل ينتهز لذلك الفرص إلى أن حضرهم عيد، فدعوه للخروج فقال
لهم: إني سقيم ، أي سقيم النفس من عبادتكم لغير الله، ثم تولوا عنه، فسمعه

بعضهم يقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ الأنبياء: ٥٧
ثم أخذ فأسه وذهب إلى معبدهم فرأى أمام الأصنام أصناف الأطعمة فقال
لهم: ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطْقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ
﴿٩٣﴾ الصافات: ٩١ - ٩٣ (يكسرون) ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ الأنبياء: ٥٨

وأقبل الناس من عيدهم فشاهدوا هذا المشهد، آلهة مكسرة لا حول لها ولا قوة.
أيها السادة:

أنقل لكم هذه الأنباء على الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١٠١﴾ الأنبياء: ٥٩ - ٦١
وكان هذا مُنْبِئاً وطلب سيدنا إبراهيم أن يفضحهم على الملاء من الناس، فجاءوا
به وسألوه: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿١٠٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٠٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ

الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴿الأنبياء:

٦٢ - ٦٥ وهنا سيدنا إبراهيم رماهم بشهب الإيمان وأقام عليهم الحجة والبرهان قال لهم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴿الأنبياء: ٦٦ وعلى الموجات الإيمانية من سورة العنكبوت: ﴿

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَبَّدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٧﴾

وَلِإِن تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ ﴿٦٨﴾ ﴿العنكبوت:

١٧ - ١٨ وعلى موجة الصافات: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٦٩﴾

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿الصافات: ٩٥ - ٩٦ ثم هاجمهم وهاجم أصنامهم

فقال لهم: ﴿ أَفَبِلَا إِلَهِ سِوَا اللَّهِ تُعْبَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴿الأنبياء:

٦٧

فلما غلبهم بالحجة القاطعة لم تنب لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال قوتهم وسلطانهم كما يفعل الجبارة المتألهون على الأرض لينصروا ما هم عليه من

سفههم وطغيانهم ﴿ فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُؤَنَ ﴿٧٢﴾ ﴿الصافات: ٩٤ (يسرعون). ﴿ قَالُوا

حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهِتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿الأنبياء: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ

فِي الْجَحِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴿الصافات: ٩٧

وراح النمرود يأمر الناس أن تجمع الحطب من جميع الأماكن لحرق الخليل إبراهيم، ومكثوا مدة في جمعة حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحرق إبراهيم. حتى جمعوا حطباً كثيراً في ساحة المدينة

وأحاطوها بالحجارة والتراب وأوقدوا فيها النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر عظيم.

أيها السادة الكرام:

إننا في أوج الحدث الإيماني فقد جاؤوا بالخليل وأوثقوه واتخذوا منجنيقاً ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً، فضجت السموات والأرض والجبال ضجة واحدة، وطلبوا من الله أن ينصروه، فأذن لهم، فجاءه ملك المياه فقال إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء. وكل ذلك وسيدنا إبراهيم ثابت الجنان قوي اليقين واثق بمولاه الرحمن، وما هي إلا لحظات حتى رمي بالمنجنيق. وفي الهواء جاءه سيدنا جبريل فقال له : « يا إبراهيم ألك حاجة. قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل ». (خ ٤٥٦٤). وهنا جاء الأمر الإلهي.

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الأنبياء: ٦٩ فحملت الملائكة الخليل إبراهيم إلى أن أوصلته إلى وسط النار فإذا بروضة على الأرض وعين ماء وفواكه بانتظار خليل الرحمن ضيافة من قبل الواحد الديان.

أيها السادة: إن النار لا تحرق بطبعها، ولا بقوة أودعها الله فيها، إنما تحرق بإذن الله، إن الله يوجد - إن شاء - الحرق عند وجود النار، وإذا شاء منعها

من الحرق والدليل ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ الأنبياء: ٦٩ - ٧٠ وتمضي الأيام والخليل وسط

النار في جنات وروضات حسان، يؤنسه ملكُ الظل، وراح الناس ينظرون إلى الخليل وهو يأكل الفاكهة وهو بآتم صحة وعافية، ونظر إليه أبوه آزر ثم أعلنها عالية مدوية: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

يقول سيدنا إبراهيم: ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها وودت أن أعيش حياتي كلها مثل إذ كنت فيها (صلوا عليه).
 فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا،
 وصدق الله العظيم ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) ﴿الأنبياء: ٧٠﴾،
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴿الصافات: ٩٨﴾ ولئن يغلب الله غالب ﴿وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَصُرُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) ﴿الحج: ٤٠﴾ فلنا كل رد
 فعل الناس على هذا الحدث العظيم؟ كيف جابه النمرود الجبار هذا الحدث
 الإيماني؟ وإلى أين هاجر الخليل إبراهيم؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بمشيئة
 الله تعالى يوم الجمعة القادمة، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا
 مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا إبراهيم
 في بلاد الشام ومصر

- ٢٧ -

الحمد لله مخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي، العليم بما تخفيه الصدور وتبديه من كل شي.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه، وأعوذ به في أداء شكرها من المظل والملي.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي هدانا إلى الرشد على رغم أنف أهل الغي .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أباح له الفيء، وأظل أمته من ظلل هديه بأوسع فيء.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه من كل قبيلة وحي، وسلم تسليمًا.
أما بعد .

فما زلت معكم اليوم في الحديث عن نبي عظيم من أولي العزم من الرسل، رسول اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة، وهو أول من سماه الله حنيفاً مسلماً، وبرأه من دعاوي اليهود والنصارى، وشهد له بالإسلام والإخلاص، وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم القيامة. ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن، وهو أول من استنشق، وأول من هاجر، سماه الله حليماً أوهاً، كان إذا سافر واشتاق إلى أهله كشف الله له الحجاب بينه وبينهم حتى يراهم وهو بعيد عنهم.

إننا باختصار أمام قمة شامخة من قمم التاريخ الإسلامي، قمة لم يرتق إليها نبي ولا رسول إلا سيدنا محمداً، وكنت قد علقت معكم الإجابة عن بعض الأسئلة، ماذا كان موقف النمرود من الحدث الإيماني الذي جرى للخليل إبراهيم، وأنا اليوم أستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عن هذا

السؤال مع الحلقة السابعة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية. وفي بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

أيها الإخوة :

كان أثر هذا الحدث الإيماني قوياً على أصحاب النفوس الصافية ، فدخلوا في الإسلام بمجرد خروج الخليل من بين أطباق النار ، فخاف النمرود أن يفسد عليه الناس ، فبدأ محاورة عقيمة انتهت بفشله الذريع ، فقد نسي النمرود أنه عبد لله ، رفض ان يكون عبداً لله بالاختيار ، فأذقه الله تعالى عبوديته بالاضطرار ، فكيف حدث هذا ؟

معشر الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى مسرح العمليات الإيمانية لأنقل لكم نهاية أحد الجبابرة المتألهين على الأرض ، الزمان عصر الخليل إبراهيم ، المكان العراق ، الشخصيات: سيدنا إبراهيم والجبار النمرود ، وأصغر جرثومة خلقها الله قاذفة مقاتلة من النوع الممتاز .

إننا في ساحة المعركة وها هو الخليل يخرج من بين أطباق النار فيلتقاه النمرود يسأله: ما دليل إلهك يا إبراهيم؟

قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت .

قال النمرود: أنا أحيي وأميت ، فأتى بسجينين حكم عليهما بالإعدام ، فقتل واحداً وعفا عن الآخر . وقال: أرايت كيف أحييت وأمت .

فأعرض الخليل عن هذه المغالطة التي وقع فيها هذه المتأله وصفعه صفة توحيدية أردته قتيلاً على أرض العبودية ، قال له: إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .

الله أكبر، ألسنت ملكاً، ألسنت قادراً، ألسنت ترى أنك فوق العبودية لله، إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر.

ولكن النمرود ما استسلم لهذه الحقيقة وهي أنه عبد، فأراد الله تعالى أن يجعله عبداً بالاضطرار أراد الله أن يذله فأرسل بعوضة طراز ب ع: قاذفة مقاتلة إذا سلطها الله على إنسان تبقى يقطاً طوال الليل، كتب على جناحها (صنع الله القادر المقتدر)، هذه البعوضة بالنسبة للبشر، من كل مليار من البشر واحد تدخل في الأنف أو في الأذن، لأن مولانا وضع لكل واحد منا حماية صبغية في الأذن، مادة مرة تقتل الحشرات، وفي الأنف شعيرات ومخاط تمنع دخولها أيضاً.

أما النمرود المتأله فقد اسقط الله له الأسلحة الدفاعية، وسمح للبعوضة أن تدخل الأنف حتى وصلت إلى مراكز الدماغ، آه يا من أردت أن تكون رباً، إن لم تكن عبداً بالاختيار جعلتك عبداً بالقهر والاضطرار، فكانت هذه البعوضة تريد الخروج فتطنُّ في دماغ النمرود، فيرى أن دماغه تكاد تتمزق فيضرب رأسه بيده، كفاً، فتطن فيضرب باليد الأخرى. حتى كَلَّت يداه وتعبتا من كثرة ما ضرب نفسه، رب يضرب نفسه، فليسمع من يدعي الألوهية من البشر، ولكن عذاباً أشد كان ينتظر النمرود، فقد كان يطلب من عبيده أن يأتوا بجلد النعال ويضربوه على رأسه حتى تهدأ البعوضة ويستطيع النوم بعد أن احمرت صلته وتقيحت من شدة الضرب.

أروني قوتكم أيها المتألهون على الأرض، وكل من لا يريد أن يكون عبداً بالاختيار حاربه مولانا فجعله عبداً بالقهر والاضطرار.

الجمال والكمال في أن العبد بالاختيار يملك الدنيا والآخرة، وأما العبد بالقسر والإجبار فيملك أول الدنيا ويذله الله في آخرها فيخسر الدنيا والآخرة

كما حدث للنمرود تماماً، مات من شدة الضرب إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم.

أيها الإخوة الكرام:

هاجر الخليل إلى الله تعالى وهاجر معه ابن أخيه لوط وابنة عمه سارة التي تزوجها سيدنا إبراهيم، وهاجر هذا الركب الثلاثي وتركوا بلادهم وأقرباءهم وفروا بدينهم إلى أرض مباركة طيبة، قال عنها مولانا في كتابه:

﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ الأنبياء: ٧١ أتثرون أين تقع هذه الأرض المباركة أيها الإخوة . انها هنا أرض الشام، أرضنا هذه، الشام التي قال فيها الحبيب المصطفى: «**إن الله قسم الخير، فجعل تسعة أعشاره في الشام، وبقية في سائر الأرض**» (ض).

الشام التي قال عنها الحبيب الأعظم بأن فيها : «**أربعون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن**» (ض) وهم بالشام.

ومن الشام دمشق التي قال عنها سيد الوجود: «**دمشق أكثر المدن أبدالاً وزهاداً وأكثرها مساجد وهي لأهلها معقل وأكثر المدن أهلاً ومالاً ورجالاً**» الإمام أحمد (ض).

الشام التي قال عنها من تحبون أن تصلوا عليه: «**عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله يسكنها خيرته من عباده**» (حسن) ثم قال : «**إن الله عز وجل تكفل بالشام وأهله، طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**» . (ت حسن غريب- حا: صحيح- أحمد).

الشام التي قال عليه الصلاة والسلام مشيداً بأهلها: «**أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على**

مؤمنهم، وأن يموتوا إلا هما وغيظاً وغماً وحرناً» صحيح: موقوف، (ض مرفوع) طب وأحمد.

وهكذا معشر السادة الكرام :

هاجر الخليل إلى هذه الأرض المباركة الطيبة، واجتازها حتى استقر في القدس الشريف، لكن المنطقة كانت تعاني من قحط وجذب وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر بحثاً عن الميرة والطعام، فإذا بها فرعون من الفراعنة الأول، استعبد شعبها وراح يستولى على كل فتاة أو امرأة جميلة وكانت السيدة سارة من أحسن النساء وأجملهن، فأتى هذا الجبار رجلاً وأخبره أن وهنا رجل ومعه امرأة، ووصف له من حسناتها وجمالها، فأرسل الجبار إلى الخليل إبراهيم فجاءه فسأله: ما هذه المرأة منك. ففطن إبراهيم إلى مأربه وعرف مقصده فقال: هي أختي (أي في الدين). فأمره أن يرسلها إليه ليتزوجها فرجع سيدنا الخليل إلى زوجته وأخبرها الخبر، وقال لها: إنه ليس على هذه الأرض مسلم غيري وغيرك، فقلت له: إنك أختي. فأنا أسلمك إلى الله ليحرسك ويحفظك (خ ٣٣٤٩).

وذهبت السيدة سارة فأدخلت إلى غرفة الجبار، فقامت فتوضأت ثم وقفت تصلي بين يدي مولانا وراحت تقول: اللهم إن كنت لتعلم أنني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر.

وأما سيدنا إبراهيم فقد قام هو الآخر يصلي ويناجي مولانا عز وجل ويتوجه إليه بالدعاء، فإذا بالحجب تتكشف عن السيدة سارة، إننا الآن نرى الخليل وهو قائم يدعو يرى كل ما حدث مع زوجته السيدة سارة، رأى الفرعون الجبار يدخل على زوجته، ورآها ترفع يدها إلى الله وتقول يا رب، فإذا بالجبار يقع على الأرض مغشياً عليه.

فقالت السيدة سارة: اللهم إن يمت يقولوا هي قتلته، فقام من غشيته، ثم تقدم إليها، فوقع مغشياً عليه، وكلما قام وقع مغشياً عليه، ثم قام ينادي خدمه وعبيده: ما أرسلتم لي إلا شيطاناً أرجعوها إلى إبراهيم وهَبُوا لها الجارية هاجر. أيها السادة الكرام :

وعادت السيدة سارة، ومعها جاريتها القبطية هاجر، فدخلت على الخليل وهو قائم يصلي شاكراً لله تعالى وراحت تقول: كفى الله كيدَ الفاجر، وأخدمني هاجر: ثم عَقَبْتُ على قولها فقالت لزوجها: يا إبراهيم لقد مضى على زواجنا عشرون سنة، والرب قد حرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعلَّ الله يرزقك منها ولداً.

وبقي الخليل في مصر آمناً مطمئناً وعمل فيها حتى كثر ماله ونما. لكن الخليل لم تعجبه الإقامة بمصر، وآثر العودة إلى بيت المقدس ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل، وخرج معه لوط الذي أعطاه الخليل قسماً من أمواله وعبيده فسكن أرض الغور من الأردن، بمدينة بجوار البحر الميت اليوم تسمى (مدينة سدوم) وحولها قرى صغيرة، وكان أهلها أشراً كفاراً فجاراً.

وأوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم الخليل وقال له : سأجعل لك بلاد الشام ولأولادك من بعدك، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض.

وبدأت تتحقق البشارة بولادة أول ولد لسيدنا إبراهيم من السيدة هاجر وهو جدي سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ولدته وكان عمر سيدنا إبراهيم ٨٦ سنة وأوحى له مولانا:

. قد استجبت لك في إسماعيل، وباركت عليه وكثرت ونميته جداً كثيراً، ويولد له اثنا عشر عظيماً، وأجعله رئيساً لشعب عظيم.

وهؤلاء الاثنا عشر عظيمًا هم الخلفاء الراشدين الاثنا عشر الذين بشر بهم سيدنا رسول الله حين قال: لا يزال هذا الأمر قائماً أو عزيزاً حتى يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش، فهؤلاء منهم الصديق والفاروق وذو النورين وعلي وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس. (موقوف على ابن عمرو صحيح) (وانظر: خ ٧٢٢٣).

وهذا البشارة التي نالتها هذه الأمة كلها لشرف سيدنا محمد ﷺ الذي سادت به العرب وملك جميع البلاد شرقاً وغرباً، فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعامة المسلمين.

أيها الإخوة :

أقام سيدنا إبراهيم ببلده وكان مشتهراً بالكرم والجود مضيافاً، بل كان عليه الصلاة والسلام لا يأكل طعاماً بمفرده، بل يبحث عن ضيف أو أضياف ليأكل معهم، ويفعل ذلك شكراً لله على ما أكرمه ووسع عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم، حتى شق عليه في يوم من الأيام وهو يبحث عن الضيف، فإذا برجال من بعيد لم ير مثل حسنهم وجمالهم فقال: لا يضيف هؤلاء أحد غيري، فاستضافهم وأسرع فأتى بعجل شواه ثم قربه إليهم فامتنعوا عن الأكل منه، فلما رأى الخليل ذلك ظنهم أعداء له وأوجس منهم خيفة، وهنا قال أحدهم: يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بثمن. فقال الخليل: إن لهذا ثمناً. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره، فالتفت أحدهم إلى الآخر وقال: يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً.

وقال له أحدهما: إنا أرسلنا إلى قوم لوط. هذا هو ميكائيل وأنا جبرائيل وجئنا لنبشرك ببشارة عظيمة، نبشرك أن زوجتك سارة سوف تتجب لك ولداً، وكانت السيدة سارة تقف خلف الباب وكان عمرها تسعين سنة فقال لسيدنا

جبريل: ما آية ذلك، فأخذ سيدنا جبريل بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز العود أخضر بإذن الله تعالى، وما أن اهتز أخضر بإذن الله حتى رأت السيدة سارة حيضتها، وقد جاءت مباشرة كبنتٍ بلغت سن المحيض وسمعوا هذه البشارة على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا هود.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٢﴾ وَأَمَرْنَاهُ فَأَيْمَنَ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٣﴾ قَالَتْ يَوْنَتَنِي ۖ أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٥﴾ هود: ٧٣ - ٧٤ وحملت السيدة سارة بإسحق ثم وضعت بإذن الله تعالى، وراح الخليل يستمتع برؤيته ولديه يشبان أمام عينيه ويلعبان وراح يعلمهما الرماية وركوب الخيل، وهما بعد لم يشبا عن الطوق، حتى تسابقا مرة أمامه فسبق الأكبر منهما وهو سيدنا إسماعيل، فوضعه الخليل في حجره وراح يقبله، فنظرت إليه السيدة سارة وقد وقعت الغيرة في قلبها فغضبت وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك، وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جنبك، حلفت لا تساكنتني هذه الأمة في أرض واحدة.

أيها الإخوة الكرام :

فما هو أثر هذه الغيرة التي وقعت في قلب السيدة سارة؟ ما هو الخير الذي أجراه مولانا على يدي سيدنا إسماعيل؟ إلى أين هاجر مع والدته السيد هاجر؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا إسماعيل الذبيح

- ٢٨ -

الحمد الذي أعظم على عباده المنّة، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه، ورد أمله وخيب ظنه.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره إذ جعل الإيمان حصناً لأوليائه وجنّة، وفتح لهم به أبواب الجنّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عزّ عباده أن وسيلة الشيطان إلى نفوسهم الشهوات المستكنّة، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنّة. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قائد الخلائق وممهد السنة.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار
الثاقبة والعقول والمفوس المطمئنة، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فما زلنا معاً ننزل ضيوفاً على سيد الفتيان وخليل الرحمن، الذي جعله
مولانا إماماً وجعل مقامه مصلًى للناس وأوحى الله إليه فقال: يا إبراهيم إنك
لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى
الرحمن اتخذناك خليلاً وأنزل الله عليه المواعظ: «أيها الملك المبتلى المسطّ
المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لتردّ
عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر».

«على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات:
ساعة يناجي بها ربه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة
يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال
في المطعم والمشرب وغيرهما» .

«على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه
ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه، و الله عن كل
محذور يغنيه» .

معشر السادة الكرام .

هذه الكلمات النورانية انتقيتها لكم من الصحف التي أنزلت على أبي
الأنبياء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد أنزل عليه مولانا عشر
صحائف كلها أمثال إيمانية، وقد شهد منه مولانا شهادات عظيمة في كتابه
الكريم فقال عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ المتحفة: ٤ بل أمر سيدنا
محمداً ﷺ ومن خلفه أمته خير الأمم باتباع ملته فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ
الَّذِي وَفَّى ﴿٢٧﴾ النجم: ٣٧ فَمَاذَا وَفَّى ، اسمعوا تفصيل الأنباء الإيمانية
أذيعها على الموجة الإيمانية من سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُ بِيَمِينِهِ وَقَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ
لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ البقرة: ١٢٤

ابتلاه مولانا وامتحنه واختبره بكلمات وخصال من الإيمان وشعبه، ابتلاه الله
بالطهارة، خمس في الرأس وخمس في الجسد وأما في الرأس فقص الشارب
والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس. وأما في الجسد: فتقليم الأظافر
وحلق العانة والختان ونتف الإبط وبالاستجاء والاستبراء بالماء.
فقام بها حق القيام لا يشغله شيء عنها وقد اختتن الخليل وكان عمره مئة
وعشرين سنة. في صحيح البخاري ثمانين سنة.
أيها السادة:

تركنا الخليل يطوي الأراضي والسحاب على البراق لينقل زوجته السيدة
هاجر مع ولدها سيدنا إسماعيل بأمر الواحد الديان إلى أكمة مرتفعة في وادٍ
غير ذي زرع، وحوله الجبال العالية التي احترقت أحجارها من شدة حر
الصحراء.

وحقيقة القول أن مولانا أراد أن يكافئ السيدة هاجر، وأن يطيب خاطر
سيدنا إبراهيم بامتثاله الأمر الإلهي الصادر عن مولانا عز وجل، فإن الأمر
عصيب: شيخ كبير قد بلغ المئة والعشرين خريفاً يأتي بولده الأول الذي جاءه
على كبر، والذي أنس به ورأى فيه الأمل في ذرية طيبة، يأتي به إلى مكان
قفر لا ماء ولا زرع ولا نبات ولا حيوان.

معشر السادة الكرام:

هذا هو الموقف اليوم فدعوني أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى البيت الحرام لأبحث معكم اليوم قضايا إيمانية عدة مع الحلقة الثامنة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية.

ها هو أبو الأنبياء سلم سقاء فيه ماء وجراباً فيه تمر إلى زوجته السيدة هاجر، ويولى قفاه راجعاً، فتنادي عليه السيدة هاجر: يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فلم يرد عليها شيئاً وهو لا يلتفت إليها: فقالت له:

الله أمرك بهذا ؟ قال: نعم . فقالت: إذن لا يضيعنا.

وانطلق الخليل حتى إذا غاب عن ناظري زوجته استقبل الأكمة العالية التي ترك بجوارها أهله وراح يدعو بالدعوات الإيمانية، اسمعوها على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا إبراهيم: عن ابن عباس البخاري (٣٣٦٤).

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

﴿ إبراهيم: ٣٧ ﴾ وتمضي الليلة الأولى فالثانية وهي تأكل من التمر

وتشرب وتستقي من السقاء، حتى نفدا، ثم عطشت وعطش ولدها، وبدا يرن في أصداء الوادي بكاء الولد، والولد يتلوى، وارتفع التوتر العصبي عند الأم وراحت تستقبل المرتفعات والأرض بعينيها وتتنظر هل من أحد، فلم تر أحداً، وكلها ثقة بالله أنه لن يضيعها، وراحت تسعى بين جبلي الصفا والمروة اليوم، فما أن أشرفت على المروة السابعة حتى رأت ملكاً من ملائكة الرحمن يضرب الأرض بريشة من جناحه عند أسفل قدمي الغلام، فنبع الماء زلالاً بإذن الله

تعالى، وراحت الأم تركض إلى الماء لتجمعه خوفاً من أن ينفد، وتقول له: زم زم، وهنا سقت ولدها وشربت حتى ارتوت هي وولدها.

ثم سمعت الملك يقول لها: لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله بينه هذا الغلام هو وأبوه.

وتمر الأيام والخليل يتعاهد أهل بيته بالرعاية يأتي على البراق من بيت المقدس إلى البيت الحرام فيطمئن عليهم ويعود، وبدأت الأرض الطيبة ينبت فيها الكأ وصدق الله العظيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣٠) الأنبياء: ٣٠

أيها السادة:

وقيض الله لهذه الأسرة الصغيرة قوماً من قبيلة جرهم العربية، فنزلوا بعيداً فرأوا طيوراً في السماء، فقالوا: إن هذه الطيور لتدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي ومافيه ماء، فأرسلوا واردهم الذي أسرع يبشرهم بالماء، فقدم القوم عن آخرهم فشربو واستقوا، وعجبوا من الأم ووليدها فاستأذنوها بالنزول في هذه الدوحة الصغيرة، فأذنت لهم بشرط أن يكون الماء من حقها وحق ولدها.

وهكذا - معشر السادة - استجاب الله دعوة الخليل فجعل أفئدة من هذه القبيلة تميل إلى الأم وولدها لينشأ هذا الغلام بين حنايا هؤلاء العرب ويكون سيدنا اسماعيل أبا للعرب المستعربة، وليكون من نسله النبي الأمي العربي سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وشب جدي سيدنا إسماعيل حتى بلغ سن التمييز أو العاشرة وإذا بالخليل إبراهيم يأتي أهله زائراً، ولكنه وفي هذه المرة وعند العودة أخذ بيد اسماعيل وقال لزوجته: سوف أذهب مع ولدي إسماعيل لنقرب قرباناً إلى الله تعالى وسار الوالد وولده الحبيب حتى إذا بلغ منطقة منى اليوم، أسرع إبليس إلى

السيدة هاجر بهيئة إنسان فسألها عن زوجها إبراهيم فقالت له: ذهب ليقترب إلى الله قرباناً، فقال لها: والله ما ذهب بإسماعيل إلا ليزبحه. قالت: كلا هو أرحم به مني، وأشد حباً له من ذلك، فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك، فقالت له: إن كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه عز وجل، فخرج إبليس من عندها يائساً حتى أدرك إسماعيل وهو يمشي على إثر أبيه فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب أبوك بك؟ قال: نقرب إلى الله قرباناً في هذا الشعب، قال لا والله ما يريد إلا ذبحك، قال: ولم؟ قال: يزعم أن الله أمره بذلك، فقال له: فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر الله تعالى، فلما امتنع منه الغلام أقبل إبليس على الخليل، وعرض له عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فقال له: أين تريد أيها الشيخ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي. فقال: و الله إنني أرى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم فقال له إليك عني يا ملعون إنني ممتثل لأمر ربي، ورماه بسبع حصيات، حتى ذهب ثم عرض له ثانية عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، ثم عرض له عند الجمرة الصغرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب إبليس لعنه الله بغيظه لم يصب من الخليل وأهله شيئاً مما أراد، ومنعهم الله منه وأيدهم بحفظه وكفنه. وصارح الخليل ولده بسرّ عجيب وأمر غريب لم يحدث من قبل ولن يحدث من بعد إلا مرة واحدة، فما هو هذا السر؟

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾

الصفات: ٩٩ - ١٠٢ إن هذا المشهد اليوم ليدل دلالة عظيمة على

بر سيدنا إسماعيل لأبيه هذا البر العجيب، فقد سمعنا كثيراً عن قصص البر بالوالدين، سمعنا عن رجل حمل أمه على رقبته حاجاً بها من اليمن فرآه ابن عمر فقال له: يا ابن عمر هذه أُمي حججت بها من اليمن، أترى أني جزيتها؟ فقال ابن عمر: لا، ولا بطلقة واحدة، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل الكثير.

وسمعنا عن رجل طلق زوجته براً بأبيه وأمه وطاعة لهما، وسمعنا على رجل لم يأكل لَبَّةً بطيخ في حياة والدته، بل كان كلما قسم واحدة قدم لُبَّتَها لوالدته لأنها تحبها، وسمعنا عن رجل كان لا يخرج من بيته حتى يقبل قدمي والديه، ومرة وجد أمه نائمة في غرفتها وقد أقفلت باب غرفتها فقبل عتبة باب أمه حتى لا يوقظها.

أما هذه القضية العجيبة فلم نسمعها إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، فقد أراد الخليل إبراهيم أن يجعل لولده فضيلة وأجراً في استشارته بتنفيذ أمر الرب تبارك وتعالى.

قال له: إني أرى في المنام إني أدبحك، والعقيدة تقول: إن رؤيا الأنبياء حق وصدق من الله تعالى لأن الشيطان لا يتسلط عليهم، ثم قال له: فانظر ماذا ترى؟ ماذا أرى!!؟ وهل لي رأي في تنفيذ أمر الإله قال الغلام مباشرة. ﴿

يَتَأَبَتِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الصافات: ١٠٦

ليسمع الأولاد ، اليوم . هذا الدرس في بر الوالدين، لیسمع العاقون لوالديهم كيف يكون البر بالوالدين، وأن عليهم ألف مرة أن يفكروا قبل أن تطرف أعينهم أو يفكروا لمحة في عقوق الوالدين، أو تسديد النظر إليهم بالغضب.

لما ربط الخليل ولده لينفذ أمر الله بولده قال الغلام لأبيه: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء

فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، وغط رأسي حتى لا تأخذك شفقة الوالد على ولده، واشد شفرتك وأسرع السكين على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فأقرئ عليها مني السلام ومرها فلتصبر ولتحتسب، وأعطاها قميصي كي يكون لها عزاء.

ففعل ذلك الخليل ثم أقبل على ولده يقبله وقد ربطه وهو يبكي وراحت الدموع تسيل على خدي الوالد الشيخ وتقاطرت الدموع على ولده إسماعيل وهو يربطه فبكى الولد على بكاء أبيه، ثم وضع السكين على حلق ولده فلم تذبح السكين، فراح ولده يقول: يا أبت اذبح ولا تعص الله أمراً، فيمر الخليل بالسكين ثانية على رقبة ولده، مرة بعد مرة، والسكين لا تذبح، وعند ذلك قال الابن لأبيه: يا أبت كبني على وجهي فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمتي وأدركتك علي رقعة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل الخليل ذلك، فلما أسلما وتلَّهُ للجبين، ووضع السكين على قفاه فانقلبت وما قطعت، وكأن رقبة الفتى قد أصبحت من نحاس، لا والله بل إن السكين أمرها مولانا أن لا تذبح الفتى والسكين نفذت الأمر الإلهي فلم تذبح، لأنها لا تذبح بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها، أو تعرفون لماذا معشر السادة ؟

لأن كل ذرة في هذا الوجود إنما تأتمر بأمر واحد فقط هو أمر الله رب العالمين. ونودي الخليل من السماء ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَابَرِهِيْمُ ۝١٠٤ ﴾ قَدْ صَدَّقَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُ وَجَزَى الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥﴾ صلفت: ١٠٤-١٠٥ نزل لكش من لجنة وأمسك الخليل السكين ووضعها على عنق الكش وأجراها عليه فذبحت بإذن الله تعالى، وكبر جبريل وكبر الخليل وكبر إسماعيل وكبرت الملائكة ونحن جميعاً ننادي من قلوبنا الله أكبر . الله أجل وأعظم.

وهكذا -معشر السادة- استعرضت على حضراتكم هذه القضية الإيمانية، عليكم أن تحفظوا دروسكم: إن السكين لا تذبح بطبعها، ولا بقوة أودعها الله تعالى فيها، وإنما تذبح بإذن من؟ بإذن الله.

هذه عقيدتنا، وليضرب المعتزلة رؤوسهم بحيطان المسجد فإن الفاعل الحقيقي في الوجود هو الله، أسمعوني من هو الفاعل الحقيقي في الوجود؟ هو الله تعالى.

أيها السادة:

ماذا تتوقعون أن تكون المكافأة من مولانا عز وجل للخليل وولده إسماعيل؟ أدعكم في شوق لمعرفة هذه النعمة العظيمة التي منّا الله عليهما، لاستسلامهما المطلق لمولانا عز وجل، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا إبراهيم وإسماعيل بناء الكعبة المشرفة والوفاء - ٢٩ -

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، وكتب حجه على من استطاع إليه سبيلاً. ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله ولن نحصي ثناء عليه فهو كما حمد نفسه وأثنى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الصفات العلى والأسماء الحسنى. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكمل البرية خلقاً وأجملها حسناً، نبي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لأهل الأرض أمناً، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإني وقبل أن استفتح بالكلام أرفع تحية إكبار وافتخار وتحية تقدير وتبجيل إلى القائد الأعلى للأمة العربية والإسلامية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ثم أدعو نفسي وأدعوكم اليوم لحضور عقد قران سيدنا إسماعيل، وقبل أن أنقل لكم هذا التقرير أذيع على حضراتكم موجز الأنباء.

أيها السادة:

وقفت معكم في الجمعة الماضية وقفة حول المواقف الامتحانية التي وقع فيها جدي سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وكان النجاح الذي حققه هذان الرسولان عظيماً ومتعددًا، لذلك بدأت المنح الإلهية الربانية تتوالى على الخليل وولده إسماعيل، واليكم معشر السادة الكرام بعض العطايا الإلهية التي استحقها سيدنا إبراهيم على تنفيذ أوامر الرب تبارك وتعالى، أذيعها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة النحل ثم من سورة البقرة.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ﴿١٢٠﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢١﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل: ١٢٠ - ١٢٢

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ البقرة: ١٢٠ - ١٢١

وأما المكافأة الثالثة فقد روى ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير قال: كان إبراهيم عليه السلام يضيّف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيّفه فلم يجد أحداً، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً. فقال: يا عبد الله، ما أدخلك داري بغير إذني؟ قال دخلتها بإذن ربها. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً. قال من ه؟ فو الله إن أخبرتني به وكان بأقصى البلاد لأتيتّه ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرّق بيننا الموت. قال: ذلك العبد أنت. قال: أنا. قال: نعم. قال: فيم اتخذني ربي خليلاً. قال: بأنك تعطي الناس ولا تسألهم.

أيها السادة:

يكفي الخليل فخراً أن مولانا ذكره في كتابه الكريم في أكثر من خمسة وثلاثين موضعاً.

كانت هذه - معشر السادة - بعض المكافآت التقديرية التي منّها الله تعالى على خليله، وكانت المكافأة العظمى التي شرفه الله بها مع ولده إسماعيل بناؤهما للكعبة المشرفة.

فقد عانى الخليل من حرب الأصنام وهدم المعابد التي نصبت فيها، فبعثه الله بتكسيورها والقضاء على معالمها، ثم أمره مولانا أن يشيد فوق الأرض شعار التوحيد لعبادة الله وحده، ويبقى أبد الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة، وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام.

فالبشرية قضت ربحاً من الزمن تدين بالعبادة للحجارة والأصنام للطواغيت والمتألهين، وتنشئ لها المعابد، وقد آن لها أن تدرك بطلان كل ذلك ورفضه، وأن لها أن تستعيض عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد هذا الحرم الذي أقيم لعبادة الله وحده، يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا يخضع ولا يذل إلا للخالق خالق الكون كله.

وإذا كان لابد للمؤمنين بوحدانية الله والداخلين في دينه من رابطة يتعارفون بها ومثابة يؤوبون إليها، ووجهة يتوجهون إليها مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم، واختلفت أجناسهم ولغاتهم، إذا كان لابد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذي أقيم رمزاً لتوحيد الله، وتعبيراً عن العبادة له وحده، مهما أقيم من آلهة زائفة، وانتصب من متألهين باطلين على مر الأزمنة والعصور.

كان هذا معشر السادة الكرام هو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

لِلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ البقرة: ١٢٥

وهذا هو المعنى الذي يجب أن يلحظه الطائف بالبيت الحرام بعد أن يملأ قلبه من معنى العبودية لتحقيق أوامره جل جلاله.

ومن هنا: جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى، وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله.

كان هذا هو موجز الأنباء أدعته على حضراتكم مع الحلقة التاسعة والعشرين من النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية. معشر السادة الكرام:

شَبَّ جدي سيدنا إسماعيل بين حنايا قبيلة جرهم، وتعلَّم منهم العربية وبدأ واضحاً ذكاؤه النبوي وأخلاقه المعصومة عن الزلل . كما هي حياة الأنبياء . فأعجبت القبيلة به أيما إعجاب، فلما أدرك مبلغ الرجال زوجه امرأة منهم، وكانت والدته قد توفيت، وكان جدي سيدنا إبراهيم الخليل لا ينقطع عن زيارته، فقدم مرة فلم يجد ولده، فشكت إليه زوجه حالهما وقالت: نحن بِشَرِّ حال، نحن في ضيق وشدة، فقال لها: إذا جاءك زوجك فاقربي عليه مني السلام وقولي له: يغيِّر عتبة بابه.

فلما جاء جدي إسماعيل شم رائحة والده الخليل، فقال هل جاءكم من أحد. فقالت: نعم جاء شيخ كبير، فسألني عنك وعن حالتنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: هل أمرك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك: غير عتبة بابك. فقال جدي إسماعيل: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك.

ولبث سيدنا إسماعيل ملياً ثم تزوج منهم ثانية، ولبث عنهم والده ما شاء الله ثم أتاهم، فلم يجده فسلم على امرأته وسألها عن حالهم، فقالت نحن بخير واسع وأثنت على الله عز وجل فقال: وما طعامكم؟ قالت اللحم. قال: ما

شرايكم ؟ قالت: الماء . فقال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، أخبرني زوجك مني السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه.

وقدم جدي سيدنا إسماعيل فأحس بقدوم والده، فسأل زوجه فحدثته بأن شيخاً حسن المظهر حسن الهمام... وأثنت عليه وقال يقرئك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأمرني أن لا أفارقك أبداً، ثم قدم الخليل إليه ثلاثة فوجد ولده يهبي نفسه للصيد فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك به ربك قال: وتعينني؟ قال وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني له بيتاً هنا وأشار إلى الأكمة المرتفعة. (خ ٣٣٦٤).

معشر السادة:

وبعث الله ريحاً أظهرت للخليل الأساس الصخري للبيت، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ^{٢٦} ولج: ٢٦ وبدأ الخليل مع ولده إسماعيل بينان البيت من الحجارة من الجبال السبعة التي حول البيت، وحين رفع البناء وجاءه إسماعيل بحجر ليقف عليه حتى وصل الخليل إلى ركن البيت، فطلب من ولده أن يأتيه بحجر يضعه على زاوية البيت، فقال: يا أبت قد تعبت. فقال الخليل: أنا أحضره. فجاءه سيدنا جبريل بالحجر الأسود وكان ياقوته بيضاء نزلت مع سيدنا آدم من الجنة وأمره أن يضعه على زاوية البيت، ثم قام جدي إسماعيل ليأتي للخليل بالحجر، فنظر إليه فإذا بالحجر الأسود، فقال: يا أبت من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك.

وكان كلما ارتفع البناء ارتفع الحجر الذي يقف عليه الخليل، حتى أثرت أصابع قدميه في الحجر، وهو الحجر نفسه الذي يسمى اليوم بمقام إبراهيم، يقول سيدنا أنس بن مالك: «رأيت في المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقب أخمص

قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم» . (موطأ ابن وهب) (الفتح) ج ٩ / ٢١
(حا ووافقه) هب في الدلائل - الفتح ٦ / ٤٠٨) صحيح.

وروي أن عبد الله بن عمر قال: «أشهد (ثلاث مرات) أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب». (حسن لغيره: ابن خزيمة).

وكان هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام سيدنا عمر بن الخطاب، فأخره عن البيت قليلاً لئلا يشغل المصلين عند الطواف بالبيت. عبد الرزاق في (المصنف) بسند صحيح واخرج البيهقي بسند قوي، فتح الباري جزء (٩ / ٢١).

معشر السادة:

وكان الخليل وولده إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وهما يرفعان قواعد البيت يرددان الدعوات الإيمانية: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧)
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ البقرة: ١٢٧ - ١٢٩

فجعل الخليل طول بناء الكعبة في السماء سبعة أذرع (٣.٥م) وجعلها خمسة أضلاع وكانت بغير سقف، وجعل لها بابان متقابلان بقيا كذلك حتى قبيل الإسلام.

معشر السادة:

ما أن انتهت عملية بناء الكعبة المشرفة حتى صدر أمر آخر من مولانا عز وجل لخليله ليزداد به شرفاً على شرف وتقديراً على تقدير، وكان هذا الأمر هو أن ينادي بالناس ويؤذن فيهم بالحج، فقال الخليل لمولانا: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال مولانا: عليك الأذان وعليّ البلاغ. وهنا علا الخليل على أكمة مرتفعة وراح ينادي قَبْلَ اليَمَنِ والمَشْرِقِ والمَغْرِبِ والشَّامِ:

. يا عباد الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، إن راكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله.

فسمعه ما بين السماء والأرض، وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجاب كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. (حا ٢ / ٥٥٥ ووافقه هب في الدلائل ٢ / ٥٤ - الفتح ٦ / ٤٠٦).

وسطر ذلك مولانا في كتابه الكريم قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)

وأرسل الله تعالى سيدنا إسماعيل نبياً ورسولاً وأثنى عليه في كتابه ووصفه بالحلم والعبادة وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب فقال عز وجل عن الخليل ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ﴾ (١١١) ﴿الصَّلَاتِ:

١٠١ وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴿مريم: ٥٤ - ٥٥ وقد ذكر علماء النسب أنه أول من ركب الخيل، وكانت الناس قبل ذلك تركب وحوشاً

فأنسها وركبها، فقد روي عن رسول الله ﷺ اتخذوا الخيل وأعقبوها (توارثوها) فإنها ميراث أبيكم إسماعيل (ابن كثير في الأنبياء).

وكان جدي إسماعيل أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وهو ابن أربع عشرة سنة، وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه قانت وقندار فقد ولد له من الذكور اثني عشر ذكراً.

حتى أدركته الوفاة فدفن بالحجر إلى جوار أمه السيدة هاجر وكان عمره مئة وسبعاً وثلاثين سنة .

معشر السادة الكرام .

وأرسل مولانا سيدنا جبريل ليعلم الخليل وولده مناسك الحج كما هي اليوم تماماً. تزوج جدي سيدنا إبراهيم بعد وفاة السيدة سارة والسيدة هاجر اثنتين وبلغ عدد أولاده ثلاثة عشر ، أنزل سيدنا إسماعيل بأرض الحجاز وسيدنا اسحق بأرض الشام، وفرق أولاده في البلاد.

ثم مرض الخليل وتوفي عن عمر مئتي سنة ودفن في مدينة الخليل في فلسطين، وانتقل إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

هذا هو خليل الرحمن وولده إسماعيل وقد جلس بعض صحابة نبينا مرة يذكرون من فضله ومكانته واجتباؤه عند الله تعالى، وراحوا يتكلمون عن صفات الرسل الكرام فقال أحدهم: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً، وقال آخر: فعيسى روح الله وكلمته، وقال آخر آدم اصطفاه الله تعالى.

وأثناء مذكراتهم تلك خرج عليهم الهادي ﷺ فسمعهم فسلم عليهم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك: ألا وإني أول شافع وأول

مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحه الله فأدخلها ومعني فقراء المؤمنين، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة». ت: ض - المشكاة ٥٧٦٦.

معشر السادة الكرام :

هذا هو تاريخ بناء الكعبة المشرفة، وأن أول من بناها بيقين سيدنا إبراهيم الخليل ولم يجيء من طريق صحيح أن الكعبة كانت مبنية قبله، هذا الذي علينا أن نعرفه اليوم وأن يعرفه المسلمون والعرب قاطبة، المسلمون والعرب الذي أصابهم الوهن والتفرق لابتعادهم عن رمز التوحيد والوحدة، العرب الذين استبدلوا قوتهم ببيتهم الحرام فراحوا يستمدون قوتهم من البيت الأبيض والبيت الأحمر الذي احترق، وأسأل الله للبيت الأبيض أن يذوب وما ذلك على الله بعزيز.

إن المسلمين والعرب اليوم مدعوون جميعاً ليقفوا تحت راية البيت العتيق ليكونوا من بعد كما كانوا من قبل خير أمة أخرجت للناس.

فلن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم حتى يعودوا من جديد ليتمسكوا بالدين والإسلام، إنني أدعو الأمة العربية اليوم في مؤتمر القمة القادم، وأدعو جميع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أن يركبوا معنا في سفينة الإيمان وتحت راية القائد الأعلى للأمة.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



تذكر عزيزي الموحد أن:

- ١- الخليل وولده وابن أخيه لوط هاجروا من العراق إلى بلاد الشام وجعل الله الأبدال على قلبه.
- ٢- سيدنا إسماعيل ولد لسيدنا إبراهيم من جاريته هاجر وهو الذبيح الذي أمره الله أن يذبحه وفداه بذبح عظيم.
- ٣- سيدنا إسحق الولد الثاني لإبراهيم من امرأته سارة.
- ٤- أول من بنى الكعبة المشرفة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل.
- ٥- جاء سيدنا إبراهيم بالتوحيد وهدم الأصنام.
- ٦- سيدنا إسماعيل أبو العرب المستعربة بقلم العربية من قبيلة جرهم العربية وتزوج منهم.

سيدنا لوط

- ٣٠ -

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من أغضبه وآسفه، المتوحد في قهره، المنفرد بعز أمره، أحمده حمد شاكر لما أولاه، مستقيل مما جناه.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لاشك فيه وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفترية.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أستاذنه على علم الغيب، وبرأه من كل دنس وعيب.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم على موعد مع الرسول السابع من الرسل المذكورين في القرآن الكريم رسول كابد مع سيدنا إبراهيم الآلام والمواقف الإيمانية وهو ابن أخيه سيدنا لوط.

أرسله مولانا إلى غور الأردن في منطقة البحر الميت، إلى مدن عدة كان على رأسها مدينة سدوم وكانت تلك القرى من أفجرها وأكفرها وأسوأها كفراً، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، وابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم.

كان هذا موجز الأنباء وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الدرس الإيماني الثلاثين في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وخير ما نستهل هذا الدرس تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد، على الموجات العاملة من سورة الشعراء:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٦٠ - ١٦٤

معشر السادة الكرام :

كنا في حديثنا عن الخليل قد ذكرنا أنه قدّم لابن أخيه لوط بعض ماله وأرسله بأمر الله رسولاً إلى قري سدوم، ولكن لم يستطيع سيدنا لوط أن يفرض هيئته على الكفرة فقاموا بسرقة ماله وغنمه واستولوا عليها فاستنجد بعمه الخليل الذي قام بقيادة جيش فاسترد ما استولى عليه هؤلاء وسلمها له ثم عاد إلى بيت المقدس.

وكانت دعوة لوط كما هي دعوة الرسل جميعاً تتلخص في الدعوة إلى دين الله والأخلاق العالية والنهي عن تفاقم الغدر والفواحش. وقد ذكر مولانا عن هذه القرية وما حولها من المخازي والموبقات مما يندى له الجبين فقد كانوا:

١ . قطاعاً للطرق. ٢ . وخونة للرفيق. ٣ . ويأتون بالمنكر من الأقوال والأفعال في مجتمعاتهم.

وهنا قل سيدنا لوط: ﴿ يَفْقَهُمْ هَؤُلَاءِ بُنَايَ هُنَّ أَطْهَرُ ﴾ (تزيهون على ما أمر الله) وهؤلاء نسلوكم فقهون من حيث أمركم الله ﴿ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْغِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ

رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨) هود: ٧٨

ولكن القوم جميعهم كانوا كما قال مولانا لسيدنا محمد ﷺ في سكرة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢) كانوا سفهاء فجرة، ألقباء كهوة، أغبياء فسقة، أتعلمون أيها الإخوة بماذا أجابوا نبيهم وبماذا ردوا عليه: لقد فعلوا كما يفعل الفسقة اللئام، تكون عندهم المرأة الحلال فيبتغون امرأة في الحرام، قالوا له:

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ (هود: ٧٩) ما نريد وماذا نريدون أن نرضون أن تفضحوني في ضيقي آه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠)

ودخل سيدنا لوط وأغلق الباب وراءه في وجوههم، فجعلوا يدفعون الباب ويريدون فتحه ودخوله، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب، وضاق الأمر على هذا الرسول وعسر الحال وبلغ الأمر ذراه، ورأى ضيوفه حرجه وضيقه فقالوا له: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ (هود: ٨١)

وفوجئ سيدنا لوط بهم، وقد سمع سيدنا جبريل يقول له: هذا ملك الموت وهذا إسرافيل وأنا جبريل، وهنا علم لوط أنه كان يأوي إلى ركن شديد، ومن هو أعظم من الله؟ لا أحد.

وإذا بسيدنا جبريل يظهر على هيئته التي خلقه الله عليها فيضرب وجه الكفرة المجرمين فيطمس أعينهم فيرجعوا وكل واحد منهم يصرخ ويستغيث ويتوعد ويقولون: إذا كان الغد كان لنا ولكم شأن.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرُ﴾ (القمر: ٣٧)

معشر السادة الكرام:

وهنا صدر الأمر الإلهي لسيدنا لوط وابنتيه:

﴿ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْآئِلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ هود: ٨١ ﴿ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصِيبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿الحجر: ٦٥-٦٦﴾ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ هود: ٨١
أيها الإخوة :

اسمحوا لي أن أنقل لكم العبرة والعظة عن هؤلاء اللوطيين الكفرة، فإن مولانا عز وجل هدد وتوعد بكل من يعمل عملهم بالعذاب نفسه، ليسمع الذين تسول لهم أنفسهم أن يفعلوا فعل هؤلاء، فما أن طلعت الشمس حتى جاءهم العذاب، فقد اقتلع سيدنا جبريل بطرف جناحه القرى السبع بمن فيهن من الأمم وحيواناتهم ورفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء فسمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم أكفأها أي قلبها لذلك سميت القرى بالمؤتفكات ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ ﴿٥٣﴾ النجم: ٥٣ وسمع إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴾ ﴿٨٢﴾ مَسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴿٨٣﴾ هود: ٨٢-٨٣ والتفت امرأة لوط لتري هذا المشهد الرهيب فأخذها ما أخذهم ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ﴿٨٣﴾ هود: ٨٣

معشر السادة الكرام :

هذا هو الدرس الأخير من هذه النفحات الإيمانية قول مولانا ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ﴿٨٣﴾ كل من يعمل بعمل قوم لوط عقابه أن يرحم بالحجارة حتى الموت، حتى الموت، واسمع معي إلى حبيبك سيدنا رسول الله وهو يقول : « من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (د)

٤٤٦٢ - ت ١٤٥٦ هـ - ٢٥٦٣ - أحمد ١ / - ٣ - حا ٤ / ٣٥٥ - هب ٨ /
٢٣٢ صحيح). وذهب الإمام أبو حنيفة أن اللائط يلقي من شاهق جبل ويتبع
بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط تماماً.

ولهذا يقول ﷺ : «أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في غضب الله تعالى،
قيل من هم يا رسول الله؟ قال: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من
النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الذكر» (مجمع الزوائد -
طس: ض). (يعني اللواط) ثم لعن رسول الله ﷺ من عمل قوم لوط
ثلاثاً.

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح
في قبره خنزيراً.

فلنعد من هناك معاً سريعاً إلى هنا، إلى بيت الله مقر رحمة الله وما أدراك
ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



سيدنا اسحق وولده يعقوب وحكم رواية الإسرائيليات - ٣١ -

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته، ومنه هدايته واجتبايته ومنه سيره وثباته وصيانته، وبه سبب نيله للعلی ومكانته. أحمدہ سبحانہ وتعالیٰ فيجب أن تشكر نعمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جامع من افترق، ورازق من توكل عليه وبه توثق، معين من تكسب بالشرعية وتحقق.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من أنليت هدايته والذي به أبصر من أعمته عمايته، وبه أهدى من أضلته غوايته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير القرون ممن تأخر أو سبق، وسلم تسليماً:

أما بعد :

فقد كنت طوال حديثي معكم عن الأنبياء والرسل الكرام أحاول ما أمكنني أن أبتعد عن الأخذ عن المصادر التاريخية لليهود والنصارى، وهو ما يسمى عند علماء الشريعة (بالإسرائيليات)، ولكنني اليوم معكم أبحث هذه القضية الهامة، ويعود السبب في أهميتها لشيئين:

الأول: أننا بصدد الحديث اليوم عن رسولين ذكرهما الله تعالى في كتابه هما سيدنا يعقوب ووالده سيدنا اسحق.

السبب الثاني: الأخذ عن الإسرائيليات لأنه لا يوجد مصدر تاريخي إسلامي يحدثنا عن هذين الرسولين إلا القليل النادر.

ولذلك سألت نفسي سؤالاً وأحببت معكم أن أجيب عن هذا السؤال قبل الخوض في حياة هذين الرسولين، والسؤال هو:

هل يجوز اعتماد الروايات التاريخية الموجودة عند أهل الكتاب والمسماة بالإسرائيليات؟

أو أقول: متى يجوز أن نستند إلى الإسرائيليات ونركن لها ؟
معشر السادة الكرام:

هذه هي القضية الإيمانية اليوم التي أعرضها على حضراتكم مع الدرس الواحد والثلاثين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية بدمشق المحروسة. والإسرائيليات قصص أو حوادث تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو سيدنا يعقوب بن اسحق بن سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود فيقال: بنو إسرائيل، ونحن نرى الحديث عنهم كثيراً في كتاب مولانا عز وجل مثل قوله تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ المائدة: ٧٨

وفي إجابتنا عن السؤال الذي طرحته عليكم، نجد أن الإسرائيليات ثلاثة أقسام :

- ١- قسم موافق لشريعتنا الغراء.
- ٢- وقسم مخالف لها.
- ٣- وقسم مسكوت عنه ليس في شرعنا ما يؤيده ولا ما يرفضه.

واسمحوا لي لمزيد من التوضيح أن أطرح عليكم الأمثلة البيانية على ذلك، فمثال القسم الموافق لشريعتنا الغراء، ما ذكره ابن كثير الدمشقي في تفسيره، عن عطاء بن يسار قال:

لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل، و الله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: {أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأمين، أنت عدي ورسولي، اسمك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول لا إله إلا الله، ويفتح الله به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً غُمياً}. (خ- أحمد).

قال عطاء : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً. ومثال القسم الثاني المخالف لشريعتنا ما نقل عن الإسرائيليات أن مولانا خلق السموات والأرضين وغيرهما في ستة أيام، ثم فرغ في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله واستراح في اليوم السابع. فهذا مخالف تماماً لعقيدتنا لأن الإله لا يتعب حتى يستريح، ولهذا رد عليهم مولانا في كتبه قائل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ ق: ٣٨

وأما القسم الثالث وهو ما سكت عنه شرعنا المطهر، وليس فيه ما يؤيده أو يفنده، فهو ما سأذكره لكم اليوم عن قصة هذين الرسولين الكريمين.

أيها الإخوة :

بناءً على هذه التقسيمات الثلاثة فقد انقسم العلماء إلى قسمين أمام الإسرائيليات، منهم من منع روايتها ومنهم من سمح بروايتها.

ونحن إذا نظرنا نظرة المتأمل الفاحص المتدبر لكتاب مولانا عز وجل نجد الآيات الكثيرة الدالة على أن اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها، مما أذهب الثقة فيها وفيما يحدثون به منها، ومن البديهي أن ما لا يوثق به لا تجوز روايته، وغالب رواياتهم خرافات وأباطيل لأن أهل الكتاب ومنهم اليهود قوم غر ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: ٨٢

وقوله : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩
هذا هو الحق لا مرية فيه، ولذلك حاولوا على مدى العصور أن يشوهوا تعاليم الإسلام بمكرهم وحيلهم، وكان على أسفلهم عبد الله بن سبأ اليهودي رأس الفتنة والضلال، وجميع أعوانه ينشرون الفساد في العقيدة والمقدسات الإسلامية.

لذلك اسمعوا معي إلى الحبيب الأعظم ﷺ وهو يقول في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان أهل الكتاب يقرؤون في التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**» . عن أبي هريرة البخاري (٧٣٦١).

ومعنى هذا الكلام عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب عن التوراة. وإليكم يا معشر الإخوة هذا الحديث الإيماني الهام الذي قرر فيه سيدنا رسول الله ﷺ منع المسلمين من مطالعة كتب اليهود والنصارى، والكتب الضالة المضلة المضللة لمن يطالعها، فقد روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والبخاري من حديث جابر بن عبد الله أن سيدنا عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من

بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، وهنا غضب رسول الله وقال: «أمتهموكون فيها يا ابن الخطاب (يتحدون شاكون في شريعتنا) والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». (حسن: ابن أبي شيبه).

وإليكم هذه الرسالة الموجهة من حبيبنا سيدنا محمد ﷺ.

(يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه من أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب. وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتب الله وغيروا بأيديهم الكتب (قَالُوا: ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ البقرة: ٧٩) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساغلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم). خ على ابن عباس ٢٦٨٥ - ٧٣٦٣.

أيها الإخوة :

وهكذا تحدث إليكم القائد الأعلى للأمة الإسلامية محذراً وناهياً ومانعاً عن مطالعة كتب أهل الكتاب وغيرها من كتب الضلالات التي تفسد العقيدة، وكل كتاب يصدر فيه أمثال هذه الضلالات يحرم على المسلمين شراؤه أو مطالعته استناداً للقرار الصادر عن القائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ، قراراً وجاهياً لا يستثنى منه إلا العلماء الذين يعرفون الصحيح من الضعيف والحق من الباطل، ولهذا اسمع إلى قول مولانا لنبيه يقول له:

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾

يونس: ٩٤

فالأنبياء مستثنون من هذا القرار، والدليل: كلمة ﴿ فَسَلِّ ﴾ ، والعلماء ورثتهم، وفي موقف آخر مماثل يقول مولانا:

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ آل عمران: ٩٣ وهذا صريح في جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها.

ولهذا كان جمع من الصحابة والتابعين الكرام سادات الأمة يرجعون إليها، أذكر لكم بعضهم على سبيل المثال لا الحصر: سيدنا أبو هريرة، سيدنا عبد الله بن عباس، سيدنا تميم الداري، وعبد الله بن سلام، سيدنا عبد الله ابن عمرو بن العاص.

ومن التابعين الكرام : وهب بن منبه وكعب الأحبار، وكل هؤلاء من الثقات المنزهون عن الكذب، ولكن خلف من بعدهم خلف كذبوا ووضعوا الروايات الإسرائيلية ونسبوها لهؤلاء المتقدمين منهم محمد بن السائب الكلبي ومحمد بن مروان السدي ومقاتل بن سليمان وغيرهم.

ولست هنا في معرض ذكر الأسماء بل لأبين أن بعض العلماء في الأمة الإسلامية يرجعون إلى الإسرائيليات ليبينوا زيفها وكذبها ويميزوا الصحيح منها، نعم منها صحيح لا شك فيه، فقد ثبت أن رسول الله استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة، فيما يرويه الإمام أحمد عن ابن مسعود قال:

«إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة» كان هذا موجز الأنباء وإليكم تفاصيلها على لسان ابن مسعود، قال:

فدخل الكنيسة (من ؟ سيدنا محمد) فإذا يهودي يقرأ على اليهود التوراة، فلما أتوا على صفة نبينا أمسكوا، قال :وفي ناحيتها رجل مريض. فقال النبي ما لكم أمسكتم ؟!.

فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة سيدنا محمد ﷺ فقال هذه صفتك يا أبا القاسم وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. (الإمام أحمد). وهكذا دخل هذا الرجل الجنة.

معشر السادة :

وبناء على هذه المواقف الإيمانية المدعّمة بالآيات القرآنية أذن العلماء للطبقة العليا من الناس بالرد على أهل الكتاب وتبيين التحريف والتبديل في أخبارهم، وعلى هذا نقول :

كل ما جاء موافقاً لما في شرعنا المطهر تجوز روايته عن أهل الكتاب، والدليل عليه قوله في الصحيح « **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » خ (٣٤٠٦) والمعنى حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

وأما ما جاء مخالفاً في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل فلا تجوز روايته لأن إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب وإباحة الرسول للحديث عنهم لا تتناول ما كان كذباً، أو لا يعقل أن يبيح الله ولا رسوله رواية المكذوب أبداً.

وأما ما سكت عنه شرعنا المطهر ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، وعلى هذا يحمل قول نبينا الأعظم ﷺ : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم** » خ (٤٤٨٥). وأما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم.

معشر السادة الكرام :

إذا علمنا ذلك جاز لنا اليوم أن ننزل ضيوفاً على سيدنا إسحاق وولده سيدنا يعقوب (أو إسرائيل الله) وعلى أولاد ذريته من منطلق القسمين الأول والأخير وهما ما جاء موافقاً لشرعنا وما سكت عنه شرعنا المطهر.

إننا في الصفحة الأولى من هذا الدرس، واسمحوا لي أن أقرأ عليكم الآيات ومع الدرس الواحد والثلاثين على الموجات العاملة من سورتي الحديد والأنعام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ الحديد: ٢٦

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٥) الأنعام: ٨٤ - ٨٥

فكل هؤلاء الأنبياء من ذرية سيدنا إبراهيم وهذه خلعه سنية لا تضاهي ومرتبة عليا لا تباهى، ولهذا لقب بأبي الأنبياء قولوا صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا.

وقد مر معنا أنه ولد له لصلبه ذكران عظيمان هما جدي سيدنا إسماعيل الذبيح من السيدة هاجر، وسيدنا اسحق من السيدة سارة. وكان بينهما سنوات، وسيدنا اسحق ولد لأبيه وله مئة سنة، وكان عمر السيدة سارة حين بُشرت به تسعين سنة يقول غزولي: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (١١٣) الصافات: ١١٢ - ١١٣ فلما بلغ الأربعين زوجه والده سيدنا إبراهيم من امرأة فوجدها عاقراً، فدعا الله لها فحملت فولدت له غلامين توأمين: العيص وهو والد الروم، وآخر خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب.

ونما الغلامان وشباً وبدأا يتسابقان على برّ والديهما فحاز قصب السبق في البرّ سيدنا يعقوب.

فدعا له سيدنا إسحق أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك، ثم دعا للعيص أن يجعل ذريته بعدد التراب لا يملكهم أحد غيرهم. وبدأت نار الغيرة والحسد تشتد في نفس العيص فحسد أخاه على حب أبيه وأمه له، فإذا به يجد نفسه مرة يتوعده بالقتل، وهنا قدم يعقوب على والده، وراح يشكو له أخاه وما يتهده به ويتوعده.

معشر السادة:

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى بيت المقدس لنسمع النصيحة الغالية التي نصحها اسحق لابنه يعقوب قال له:

يا بني أترى هذه اللحية البيضاء والجبين المتغضن والظهر المتقوس وقد أصبحت شيخاً متهدماً خذلتني قوتي، ووقفت على ثنية الوداع، ويوشك أن يدانيني الأجل، ولا آمن عليك بعدي أن يعانيك أخوك بالعداوة ويحسر لك اللثام عن بطش وكيد، وهو في منعة من شدة أسرته، وقوةٍ من خلقه، وحرزٍ من أصهاره وذوي قرياه، وما أرى لك إلا أن ترحل إلى فدان آرام من أرض العراق حيث خالك لا بان بن بتويل، فابن على إحدى بناته، فإنك تتال العز والشرف والمجد والمنعة، ثم عد بعدها إلى هذه الأرض وإنني لأرجو لك عيشاً أخفض من عيش أخيك، ونسلاً طاهراً خيراً من نسله وولده، والله يكلؤك بعينه ويحفظك برعايته.

أيها الإخوة الكرام :

نفذ الابن البار نصيحة أبيه من ليلته وودع أمه وأباه وأخذ زاده وراحلته وراح ينتقل ويسري بالليل وينام في حر النهار، ولهذا سماه الإله إسرائيل، وهو أول من سرى بالليل، لكن عندما خرج من مدينته نظر إليها بحنين وشوق

ومحبة وجلس على أطرافها يرتاح من عنت الطريق ومشقة السفر فأخذته سنة من النوم فإذا به يرى فيما يرى النائم أن:

سليماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتخرج فيه وأوحى الله إليه: «إني أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك، وباركت فيك وفيهم وجعلت فيهم الكتاب والحكمة والنبوة، ثم أنا معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان وأجعله بيتاً تعبدني فيه وذريتك فهو بيت المقدس» .

وهنا استيقظ الفتى مسروراً مغتبطاً عازماً على إتمام سفره، لكنه وقبل أن يغادر مكانه وضع علامة على صخرة عظيمة هناك ليبني فيها بيت الله.

لا إله إلا الله



تذكر عزيزي الموحد أن:

سيدنا لوط ابن أخ سيدنا إبراهيم الخليل، وقد أرسل إلى قرى البحر الميت.

- سمي الأقوام الذين فعلوا الفاحشة بالذكور لوطيين.
- الإسرائيليات: قصص تروي عن أهل الكتاب.
- إسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب بن سيدنا اسحق.
- السبب في تحريم رواية الإسرائيليات تحريف كتبهم.
- والعلماء في رواية الإسرائيليات قسمان: المسموح لهم بالإطلاع على كتب أهل الكتاب هم العلماء فقط.
- لقب سيدنا إبراهيم بأبي الأنبياء لأنه ولد له ذرية وأحفاد كلهم أنبياء ومنهم الرسل وعلى رأسهم سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام

وولده سيدنا يوسف

- ٣٢ -

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خيراً، وجعل لكل شيء قدراً،
فأسبل على الخلائق رعاية ستر، أحمدته سبحانه تعالى على نعمائه شكراً،
وأسلم لقضائه وقدره صبراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً،
وأستمدّها على الأعداء نصراً.

وأشهد سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذراً ونذراً، فدعا إلى الله
سراً وجهرًا، ونشر رحمته على العالمين نشرًا، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة وسلاماً تعلو في سماء الخافقين ذكراً
وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

نحن اليوم مع علم من أعلام النبوة، مع رسول ونبي جعله مولانا درساً
للشباب عامة، وللشباب الأغنياء خاصة، إنه شاب آتاه الله تعالى كل شيء،
الجمال والكمال والغنى، ثم امتحنه مولانا بكل شيء، أنته الدنيا بين يديه
لتكون له بالحرام فأبأها أيما إباء وأراها أيما شمم، وامتحنه بإخوته الذين خذلوه
وحاولوا قتله، فلما أقدره الله عليهم كان رحيماً بهم وحليماً، فكانت مكافأة الله
تعالى له أن آتاه ملك مصر وما حولها، وجعله علماً من أعلام الأنبياء،
والرسل الكرام لتكون عبرة للشباب المؤمنين. وسمى سورة من طوال السور
باسمه وذكر حياته الإيمانية بالتفصيل.

إننا باختصار مع رسول قال عنه نبينا ﷺ : « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بنُ يعقوب بنِ اسحق بنِ إبراهيم » خ (٣٣٩٠) قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

كان هذا -معشر السادة الكرام- موجزُ الأنباء، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الدرس الثاني والثلاثين من القضايا الإيمانية في جامع الدرويشية، بعد أن ترفعوا أصواتكم بشعار التوحيد. لا إله إلا الله.

فقد تركنا في الجمعة الماضية سيدنا يعقوب وهو متجه إلى العراق ليلتقي بخاله لابان، الذي رحب به أيما ترحيب وضمه لأسرته واعتنى به وصار يرعى أغنامه. وفي هذا يقول نبينا الأعظم ﷺ: « **ما من نبي إلا رعى الغنم** » خ (٢٢٦٢).

وكان من وصية والده سيدنا اسحق أن يتزوج ابنة خاله لابان، فانتقى فتاة من بناته اسمها راحيل، وهي صغرى بناته، فخطبها من خاله فقبل على أن يكون مهرها أن يرعى له الغنم سبع سنين فوافق عن طيب خاطر فلما أتم سبعاً تدخلت العادات القبلية في هذا الزواج، فقد اقتضت هذه العادات ألا تتزوج البنت الصغرى حتى تتزوج الكبرى، فزوجه خاله من ابنته الكبرى وقال له: إن أردت أن تتزوج معها أختها الصغرى - وكان هذا جائزاً في شريعتهم - فعليك أن تخدمني سبع سنين أخرى.

وهكذا معشر السادة - قام سيدنا يعقوب بخدمة خاله سبع سنين أخرى، حتى تمت فتزوج السيدة راحيل التي أعقب له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمّاه يوسف. كما أعقب من امرأته الأولى ستة أولاد وبناتاً. وكان لكل من الزوجتين جارية، فوهبت كل واحدة منها جاريتها لسيدنا يعقوب فولدتا له أربعة أولاد.

معشر السادة الكرام:

بعد هذه السنين الطويلة أمر مولانا سيدنا يعقوب بالعودة إلى بيت المقدس، فطلب من خاله أن يسرحه للعودة إلى والده، فقال له لابان: يا بني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت. فقال: تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة وذكر ألوانها. فوافق لابان، وحدثت المعجزة العظيمة فولدت الغنم كلها الألوان التي طلبها يعقوب فوهبها له خاله كلّها، فصار له أغنام كثيرة ودواب وعبيد.

فودّع خاله وأقرباءه وساق ماله كله وعبيده باتجاه وطنه، وتفتقت قريحة سيدنا يعقوب النبوية عن عمل عظيم ليتألف به أخاه العيص، إذ أنه جمع عبيده وأعطى كل واحد منهم نوعاً من أنواع الدواب النفيسة وأمره أن يكون بين كل قطيع وقطيع مسافة، ثم تأخر هو وأزواجه وإماؤه وأمواله ليلتين.

وسار هذا الركب، وثار الغبار بمسيره فخرج العيص مع بعض قومه ليرى ما الأمر، وما هذه الدواب، فصار يلقي كل عبد مع دوابه فيسأله لمن هذا القطيع؟ فيقول العبد هذه هدية سيدي يعقوب لأخيه العيص.

وكلما قدم عبد مع نوع من الدواب بهديته زاد السرور في قلب العيص وزال حسده عن أخيه، حتى مضت الليلتان فإذا بالعيص يخرج إلى أخيه يعقوب إلى ظاهر المدينة في أربعمئة راجل ليستقبل أخاه الغائب الذي ما إن رأى أخاه العيص حتى سجد له - وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان - وأمر زوجته وإماؤه وعبيده أن يسجدوا له.

وهنا احتضن العيص أخاه وقبله وراح يبكي، ثم سار به إلى أبيه اسحق الذي فرح فرحاً شديداً بولده. وكان أول عمل قام به سيدنا يعقوب أن وفي بوعدة لمولانا عز وجل، حيث بنى مذبحاً لله تعالى سمّاه إيل، أي إله إسرائيل،

وهو اليوم بيت المقدس، وهو ثاني مسجد وضع لله تعالى على الأرض، « وقد سأل مرة سيدنا أبو ذر سيدنا رسول الله ﷺ فقال: أي مسجد وضع أول . قال: المسجد الحرام . قلت ثم أي . قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما . قال أربعون سنة » خ (٣٣٦٦) عن أبي ذر .

أيها السادة: ما إن مضى وقت يسير على السيدة راحيل وهي في بيت المقدس حتى وضعت ولدها الثاني بنيامين، الأخ الشقيق لسيدنا يوسف، لكنها قضت نحبها عقب الولادة، فخص يعقوب بالحب الولدين وعوض عليهما بالحنان، وخاصة أن سيدنا يوسف أتى إليه ليحدثه عن رؤيا غير عادية تدل على أنه النبي بعد أبيه، وقد سطر مولانا هذه الرؤيا في كتابه الكريم فقال عزوجل: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٤ - ٦

ولنظروا - معشر السادة - إلى قوله ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ ﴾ يوسف: ٦ فإنه أمره بكتمان رؤياه فإذا كتّمها فإن ربه يجتبيه ويخصه بأنواع اللطف والرحمة ويعلمه من تأويل الأحاديث وتفسير المنامات، ثم قال له: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ يوسف: ٦ أي بالوحي إليك والنبوة كما أعطاه أباك يعقوب وجدك اسحق ووالد جدك إبراهيم.

معشر السادة

وراح سيدنا يعقوب يغمر ولده يوسف بالحب والعطف والحنان، ويعتني به ويهيؤه لهذا المنصب الرفيع الذي سيتولاه.

لكن هذا العطف فُسِّرَ إخوته تفسيراً عكسياً، فصاروا يحسدون أخاهم على ذلك، بل إنهم اجتمعوا ليدرسوا هذا الحب الغامر الذي يحظى به أخوهم يوسف وراحوا يحيكون خطوط مكيدة ليوقعوا بأخيهم أو يتخلصوا منه لينالوا حظاً من عطف أبيهم وحبه.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى الاجتماع السري الذي عقده إخوة يوسف بعيداً عن أبيهم وأخيهم بنيامين، وقد حدثنا مولانا عن هذه المكيدة فاستمعوا وأنصتوا لعلمكم ترحمون. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِينَ ۝٧﴾
 إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
 ﴿يوسف: ٧ - ١٠﴾

وهكذا - معشر السادة - أجمعوا على الرأي الأخير فعند ذلك أتوا إلى أبيهم ورادوه عن يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينبسط، وقد أضمرُوا في صدورهم ما الله به عليهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَىٰ يُونُسَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ۝١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾
 ﴿يوسف: ١١ - ١٤﴾ فما زالوا به حتى بعثه معهم، فما أن غابوا

عن عينيه حتى جعلوا يشتمونه ويهينونه، ثم ألقوه في غياهب الجب أي في قعره على صخرة وسط البئر، فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه: لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها، ولتُخبرن إخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيهم عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك وهم لا يشعرون.

وكان يوسف ابن ست سنين وبعث إليه ملكاً يؤنسه وهو في البئر وأتاه بفاكهة من الجنة، فلما أمسى يوسف استأذن الملك بالذهاب. فقال يوسف: إذا أنت ذهبت استوحشت، فقال الملك: بل أعلمك دعاءً لا تستوحش معه، فقل:

«يا صريخ المستصرخين، يا غياث المستغيثين، يا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري»
فصار سيدنا يوسف يرددّها، فأذهب الله عنه الوحشة.

ثم قام الإخوة الأصدقاء بحيلة أخرى لتبرير غياب أخيهم، إذ أنهم ذبحوا نعجة ولطخوا قميص أخيهم بدمها، ورجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون على أخيهم، ولهذا قال بعض السلف: « لا يغرنك بكاء المتظلم فرب ظالم وهو باك » ، واسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الجنائية:

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (جلّوه في ظلمة الليل ليكون أمسى لغرهم لا لغرهم) ﴿١٦﴾
قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿يوسف: ١٦ - ١٨﴾

ونظر المكلوم إلى أولاده فرأى قميص يوسف وهو غير مخرق ولا ممزق فبكى بكاءً شديداً وقال:

تالله ما رأيت كالיום ولا ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا مزق له شقا. وصاح صيحة وخر مغشياً عليه.

وحين أفاق طلب سيدنا يعقوب من أولاده أن يُحضروا إليه الذئب الذي أكل ولده إن كانوا صادقين. فعمده الأولاد إلى حبالهم وعصيهم ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئباً وشدوه وأوثقوه ثم حملوه إلى يعقوب، وأوقفوه بين يديه.

وهنا وجه سيدنا يعقوب الكلام إلى الذئب فقال: أيها الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أورشنتني حزناً طويلاً وألماً عظيماً. وهنا أنطق الله الذئب فإذا به يقول: لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً، وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لمحرمة علينا، وإني لمظلوم مكنوب علي، وإني لذئب غريب في بلاد مصر جئت أزور الذئاب. وعند ذلك قال يعقوب لأولاده:

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾
يوسف: ١٨

معشر السادة الكرام.

مكث سيدنا يوسف في البئر ثلاثة أيام، وكان يدعو بالأدعية المختارة ويلتجئ إلى الله تعالى الذي لا يخيب أحداً، فلما كان اليوم الرابع مرت قافلة نزلت قريباً من الجب، في ذلك يقول مولانا عز وجل:

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴿١٩﴾ فَهَمَّ بِهَا يَوْسُفَ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ يوسف: ١٩

سارت القافلة فمرت في طريقها على قبر راحيل والدة سيدنا يوسف، فلم يتمالك الطفل إلا أن رمى بنفسه عن الناقة إلى القبر وراح ينجبها ويقول: يا أماه حلي عنك عقدة الردى، وارفعي رأسك من الثرى، وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا، يا أماه لو رأيت ضعفي لرحمتيني، يا أماه

لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدونني، وفي الجب ألقوني، وعلى حر وجهي لطموني، وبالحجارة رجموني ولم يرحموني، وكابتياح العبيد باعوني، وكما يحمل الأسير حملوني.

وراح الطفل يبكي بكاءً مرأً، وإذا بصوت يُسمَع يناديه من خلفه يقول «اصبر وما صبرك إلا بالله» .

وفي هذا يقول مولانا عز وجل: ﴿ وَشَرَّوْهُ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِمْ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ٢٠ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴿ يوسف: ٢٠ - ٢١ وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو وزير المالية الذي كانت الخزائن مسلمة إليه، (وكان ملك مصر في زمنه رجل من العماليق) اشتراه بعشرين ديناراً ورياه وأمر زوجته بحسن تربيته، حتى بلغ أشده وهو أربعين سنة، وقيل عشرين سنة، وقيل ثلاث وثلاثون سنة، وظهر جماله وحسنه وعلمه مولانا عز وجل من لدنه علماً، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٢١

أيها الإخوة:

كانت مِنَّةُ الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمناً لمحنته، ومحنته مكمناً للمحنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع القرى من حول مصر. ورحم الله ابن عطاء الله السكندري عندما قال: «ربما كُفِّنَتْ

«المنن في المحن» وكانت من تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب. وصار ذلك يزداد بتكرار رؤيتها له، إلى أن غلبها الحب على حياؤها فأخذت تداعب يوسف، وهو يُعرض عنها لعاملين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد:

الأول: إيمانه بالله تعالى وامتنال أوامره وعصمته من الأرجاس الخُلقية، تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وجده وجد أبيه.

والثاني: أن بعلها (سيده) الذي حذب عليه وأكرم مثواه ومكن له في بيته، فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران.

كان ذلك دأب يوسف معها، إلى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة، فصارحته القول ودعته إلى نفسها دعوة لا هودة فيها. وانصاعت للأمر وأخذت عدتها له.

هذا الموقف هو درس للشباب اليوم يفترطون في النعم التي آتاهم الله إياها.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أذيع على حضراتكم وقائع المحاولة الفاشلة التي قامت بها امرأة العزيز على الموجات العاملة من سورة سيدنا يوسف:

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ بِبَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ غُلَقَتْ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يوسف: ٢٣ - ٢٨

معشر الإخوة: هذا هو الدرس الإيماني اليوم الذي قدمه لنا سيدنا يوسف الصديق في هذا البيان الإلهي البديع، ولينظر الشباب ماذا يجب عليهم أن يفعلوه تجاه عروض الإغراء والفساد المتفشي الذي ينتشر في مجتمعاتنا، لينظروا إلى هذا الجواب البديع الشريف الذي رد به سيدنا يوسف عرض الإغراء لقد قل: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يوسف: ٢٣ وربي هنا أي رب المنزل وصاحبه، أحسن إلي وأكرم مقامي عنده، لكنها مع كونها امرأة وزير غلبتها شهوتها فهتت به، وهنا يجب علينا أن نقف عند قراءتنا لهذه الآية الكريمة، ولقد علمتنا اللغة أن نفهم ما نقرأ، فإن الآية واضحة الدلالة اللغوية، ﴿وَهُمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف: ٢٤ أو نقول نحن: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

لولا المطر لهلك الزرع: لولا وجود المطر لهلك الزرع، فنقول: البرهان وهو لولا أن رأى برهان ربه لهم بها: لولا وجود العصمة لهم بها، أي أنه امتنع الهم لوجود العصمة، فلا يوجد هم منه أبداً. إن مولانا يحلف بعظمته فيقول ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ يوسف: ٢٤ فاللام رابطة لجواب القسم، وأيده بقى التي هي للتحقيق، ولا تقف في قراءتنا للآية عند قوله تعالى ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ يوسف: ٢٤ لأنها مخالفة للعقيدة، لأن الذي يجب أن يعتقد المسلم أن الله تعالى عصمه وبرأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، والدليل

على ذلك تنمة الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤ هذه شهادة عظيمة وقوله أيضاً ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤ وهذه شهادة أعظم من الأولى.

واليكم الآية القرآنية الأخرى على براءة سيدنا يوسف وعصمته، فإن امرأة العزيز لما أراد سيدنا يوسف أن يسرع إلى الباب ليتخلص من هذا الموقف الذي وقع فيه، إذ بها تسرع هي إليه وتشده من قميصه، فإذا بالمفاجأة الكبرى تقع، إذ أن زوجها فتح الباب ودخل فإذا بها تسارع إليه وتقول متهمة سيدنا يوسف: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥ (ضربني وبكى وسبقني واشتكى) اتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها ونزعت ساحتها، فرد سيدنا يوسف على الاتهام بالحقيقة فقال: ﴿قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ يوسف: ٢٦ وهنا حدثت معجزة عظيمة لسيدنا يوسف لم تخطر على بال امرأة العزيز التي كذبت وشهدت زوراً وبهتاناً، فقد - كان طفل في المهد لم يبلغ السنتين من عمره - على ما نقلته كتب السير - هذا الطفل أنطقه الله تعالى ليكون حكماً فصلاً في هذه القضية، قال الطفل بلسان فصيح ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يوسف: ٢٦ لأنه يكون قد راودها فدافعه حتى قتت قميصه من قدام ﴿وَلِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف: ٢٧ لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت به فانشق قميصه من الخلف.

وهنا نظر الوزير فلما رأى قميصه قد قُذِّ من دبر توجه إلى زوجه باللوم والعتاب وقال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

ثم توجه بالرجاء والاعتذار لسيدنا يوسف فقال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ يوسف: ٢٩ ولا تذكره لأحد، لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن، ثم أمرها بالاستغفار والتوبة إلى ربها عز وجل، وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له.

ولهذا يقولون في الأمثال أفرس الناس ثلاثة: «العزیز حين قال لامرأته أكرمي مثواه، والمرأة التي أتت إلى أبيها وقالت عن سيدنا موسى يا أبت استأجره، وسيدنا أبو بكر الصديق حين استخلف سيدنا عمر من بعده»، وما أن مضت هذه السنوات عليه حتى أصبح أثيراً لدى الوزير فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته، بحيث لم يكن لأحد في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته. وقد تولاه مولانا بالهداية والتربية والتوفيق، وعلمه من لدنه علماً، وهذا هو معنى قول مولانا ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٢١

معشر السادة الكرام:

فما هي المكيدة الثانية التي كادتها امرأة العزيز لتوقع بسيدنا يوسف الصديق، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



في قصر العزيز - ٣٣ -

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء. وكتب على غيره الزوال، وجعل الدنيا متقلبة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال، وكم ممن يفجؤه النوال ولم يخطر له على بال. أحمدته سبحانه وتعالى على عطائه وأشكره على جميل بلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن الأشياء والمثال، المتصرف في عباده باختلاف الأحوال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله هادياً من الضلال. وداعياً إلى شرف الخلال، ومرشداً لصالح الأعمال ومحرراً من الجحيم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وسائر النبيين والصحابه والأولياء المتقين نعم الأصحاب وحبذا الآل، وسلم تسليماً.
أما بعد:

فما زلنا ننزل ضيوفاً على الكريم بن الكريم بن الكريم سيدنا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم لناخذ الدروس العملية الإيمانية من خلال سيرة حياته، ومع الدرس الثالث والثلاثين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أنتقل بحضراتكم إلى قصر عزيز مصر ووزير ماليتها، لنسمع معاً ونشاهد هذا اللغظ والكلام المبهم الذي يدور بين خبايا القصر، وبين أفراد طبقة الأمراء والأميرات وزوجات الوزراء، فما هو هذا الخبر المتداول الذي أثار هذه الزوبعة الكلامية في الخفاء؟ اسمعوا وانصتوا لعلكم ترحمون.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرَبْهَا فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ يوسف: ٣٠ وثارت ثائرتها وأرادت أن تنتقم لنفسها لهذه الكلمات التي وصلتها منهن، فأجمعت كيدها وأرسلت إليهن تدعوهن إلى قصرها، وأعدت لكل واحدة منهن ضيافة مما يقطع بالسكاكين، وما أن أخذت كل واحدة منهن مكانها وتناولت سكينها وفاكهتها لتقطعها، حتى أمرت امرأة العزيز سيدنا يوسف وقد ألبسته أحسن الثياب، أن يخرج عليهن وهو أجمل من البدر لا

محالة ﴿ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ ﴾

﴿يوسف: ٣١﴾ ويهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يجرحن أيديهن بتلك السكاكين وهن لا يشعرن بألم من شدة افتتانهن بجماله، وهنا ردت امرأة العزيز الصفعة بمثله، ورأت أنها قد انتصرت على طبقتها فقالت: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴾ ﴿يوسف: ٣٢﴾ في حبه وشغفي به، لقد رأيتُهُ غَوًّا، وشاهدتُهُ لَمْحًا، فما بالكن تلمنني فيه وقد ترعرع في داري، وبلغ أشده واستوى بين سمعي وبصري، فأنا أشاهده في قعوده وقيامه، ويقظته ومنامه، وطعامه وشرابه، وحركته وسكونه، وأخلو به في ليلي ونهاري، وأتراءى له في زينتي، وأعرض على نظره محاسني، فيعرض عني استعصاماً، ولا يرفع إلى طَرْفًا، ولا يميل نحوي عطفًا، فمثلي سيدة مالكة، تأمره أو تشير فتطاع، وتريد إظهار سلطانها عليه فتعجز.

ثم أظهرت امرأة العزيز ما أبدت له من ميل وقالت ﴿ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ﴿يوسف: ٣٢﴾ أي امتنع وأبى، فقالت النسوة ليوسف: أطع مولاتك. فلم يسمع لهن، بل أبى أشد الإباء، ونأى لأنه من سلسلة الأنبياء. لكنه ترك مجلسهن فسمع أواخر كلمات امرأة العزيز وهي تقول لهن: ﴿ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُفَّنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ ﴿يوسف: ٣٢﴾ فقال سيدنا يوسف يخاطب مولانا عز وجل ويناجيه: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴿يوسف: ٣٣ - ٣٤﴾

وهكذا - معشر السادة الكرام - اجتاز سيدنا يوسف المحنة الثانية بلطف الله ورعايته، لكن امرأة العزيز لم تتوقف عن كيدها ومعها سلاح الحكم المطلق، ورغم كل تلك الآيات الدالة على براءة سيدنا يوسف أرادت وقد يئست من محاولاتها أن تحفظ سمعتها، ولو كان بسجن فتى بريء، كل جريمته أنه لم يستجب.

فقد رأى العزيز ومشيره أنه لا يخلصهم من العار ويكف أسنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن، ليخيلوا إلى الناس أنه ما زج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة، وأن زوجة العزيز بريئة مما قُذفت به، قال مولانا عز وجل:

﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُؤْنَهُ حَتَّىٰ جَاءَ يُوسُفَ: ٣٥ ﴾ وكان يمكن للعزيز أن يوقع بزوجه العقاب على ما اجترحته، ويُمكن لسيدنا يوسف ويظهر للناس براعته بمعنى ما نكر مولانا في كتبه: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَىٰ ﴾ النجم: ٣١ ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، بل شكّل محكمة عرفية وحكم على سيدنا يوسف بالسجن وهو قضاء خير منه الاستبداد، لأن الاستبداد يجوز فاعله على أن عمله جور وظلم، ولكن القضاء الذي يجور ويظلم ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء، وهذا ما حدث بالضبط لسيدنا يوسف. وهذا هو جو الحكم المطلق وجو القصور وجو الأوساط الارستقراطية وجو الجاهلية، فسجنوه ظلماً وعدواناً وكان هذا من قدر الله له، ومن جملة ما عصمه به، ليبعده عن معاشرتهم ومخالطتهم.

وهنا معشر السادة - بدأت المحنة الثالثة التي اجتازها سيدنا يوسف أيضاً بنجاح باهر وصبر عليها مدة طويلة ولم يتركها هباءً، بل عمل فيها بالدعوة إلى الله تعالى والإحسان إلى المساجين، فكان أحدهم إذا مرض قام على تمريضه ومداواته حتى

يشفى، وخاصة أنه شاهد قوماً قد انقطع رجائهم، واشتد بلاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول لهم: أبشروا واصبروا توجروا إن في هذا الصبر ثواباً عظيماً.

ففرح أهل السجن به وخاصة فتّيان منهم أحدهما رئيس الطهارة، والثاني رئيس السقاة، اتهما بمحاولة سم الملك في طعامه وشرابه، فأمر بهما إلى السجن، أصبح كل منهما صاحباً لسيدنا يوسف، فابتدأ معهما في هدايتهما

إلى مولانا عز وجل وكنا عابدي وثن، واسمع معي إلى البيان الإلهي: ﴿

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِى أُعَصِّرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِنَاوِيلِهِ إِنَّا نَرْنٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِنَاوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىْ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يوسف: ٣٦ - ٣٧

فقد انتهر يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقائد الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزولون خصائص الألوهية على الأرض.

بدأ بطمئنة زميليه في السجن إلى أنه سيؤول لهما الرؤى، لأن ربه علمه علماً لدنياً خاصاً جزاءً على تجرده لعبادته وحده، وتخلصه من عبادة الشركاء هو وأقرباؤه من قبله.

وبذلك كسب الثقة منهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما، ثم دخل عليهما بلطف وكياسة ورقة على عادة الدعاة إلى الله تعالى فقال لهما:

﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يوسف: ٣٧

ويقصد بهم القوم الذين ربي فيهم، أعني بيت العزيز وحاشية الملك ومن تبعهم، ولكنه لم يصرح بذكر أسمائهم كي لا يجرجهما ولا ينفّرهما، وهي كياسة

وحكمة ولطافة حس وحُسْنُ مدخل، ثم بَيَّنَّ ما هي الملة الحقَّة، إنها التي اتبعها هو وآباؤه، وهي ملة التوحيد الخالص الذي جاء بها الأنبياء والرسل الكرام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨) يوسف: ٣٨ وسار معهما خطوة فخطوة في حذر ولين، ثم أخذ يتوغل في قلوبهما أكثر وأكثر، ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحاً كاملاً، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما في عبادة الأصنام، فقال:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ۖ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) يوسف: ٣٩ - ٤٠

معشر السادة الكرام:

بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة رسم يوسف كل معالم هذا الدين، وكل مقومات العقيدة، كما هَزَّ كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً عنيفاً شديداً، فكيف حدث ذلك؟

بدأ أولاً بمؤانسة رفيقيه بقوله: يا صاحبي السجن. فهو يتخذ منهما صاحبين ويتحجب إليهما ليدخل إلى ما يريد، وهو لا يدعوهما مباشرة، بل يعرضها قضية موضوعية وبسألهما: ﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) يوسف: ٣٩ لأن الفطرة لا تعرف لها إلا إلهاً واحداً، ففيم إذن تعدد الأرباب، إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد، ويطاع أمره، ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار، ولا يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ثم يدينون لغيره

ويخضعون لأمره، فالله الواحد القهار خيرٌ أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب والمتألهين على الأرض، وما شقيت البشرية قط بمثل شقائها بتعدد الأرباب، والأرباب الأرضيون الذين يغتصبون سلطان الله وربوبيته، وخاصة عندما تنشأ طبقة من الناس تمجدهم وتسخر الطبل والزمر والنفخ فيهم.

ثم خطى سيدنا يوسف خطوة أخرى ليثبت أن هذه الأرباب من صنع الجاهليين من البشر، قال: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ يوسف: ٤٠ آه، فحن الذين ألهاهم علينا، نحن البشر، الذين أعطيناهم صفات الخلود والألوهية، عندما مَجَّدْنَاهُمْ وأعطيناهم فوق ما يستحقون تمجيدها ما أنزل الله به من سلطان.

ثم ضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة، فبيَّن لهما لمن يكون السلطان والحكم المطلق، ولمن ينبغي أن تكون الطاعة والعبادة، قال لهما: ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ ﴾ يوسف: ٤٠ الحكم والطاعة والعبادة لا تكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، وهذا الكلام يجب على الملحدين والكفرة أن يسمعه، إن الحاكمية من خصائص الألوهية، ومن ادعى أن الحكم المطلق له فيه الحق فقد نازع الله تعالى في خصائص ألوهيته، سواء ادعى هذا الحق فرد، أو طبقة أو هيئة أو أمة، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية، من ادعى أنه يشرع مع تشريع الله أو ضد تشريع الله فقد كفر بالله كفراً صريحاً.

وليس من الضروري أن يقول العبد: ما علمت لكم من إله غيري، أو يقول أنا ربكم الأعلى، كما فعل فرعون، لا، ولكنه بمجرد أن ينحّي شريعة الله عن

الحكم بها على الأرض، ويستمد القوانين من مصدر آخر، وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحكم المطلق هي جهة أخرى غير مولانا عزوجل فهذا كافر كافر كافر، لماذا؟ اسمعوا جواب سيدنا يوسف: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يوسف: ٤٠

فالله هو الحاكم المطلق، وما الحكام وما الوزراء وما الأمراء إلا أداة تنفيذية لشرع الله سبحانه على الأرض، وهذه النتيجة تماماً هي التي أراد أن يصل إليها سيدنا يوسف، إن الحكم إلا لله، ومادام الله هو الحاكم فالله هو المعبود، ذلك: الدين القيم.

لذلك قلت لكم: لقد رسم يوسف بهذه الكلمات كل معاني الدين، وبلغ أقصى الغاية من الدرس الذي ألقاه على صاحبيه، ثم راح يؤول لهما رؤياهما ليزيدهما ثقة في قوله وتعلقاً به:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الْطَيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف: ٤١ ولنتهى الأمر كما أوله لهما، وهكذا كل رؤيا تعبر تمضي كما عبرها المعبرون، لذلك اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول فيما روي عنه: **إن الرؤيا على جناح طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت، وقال: الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا لأول معبر فلا تقصها إلا على ذي رأي وعقل .** (أو كما قال).
معشر الاخوة الكرام.

وأما القضية الإيمانية التي نستفيدها اليوم فهي جواز السعي في الأسباب، ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب واسمعوا الدرس التالي في البيان القرآني: {وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك، فأنساه الشيطان ذكر

ربه قلبت في السجن بضع سنين} هذا الدرس (اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله) خاصٌ بنا، أما بالنسبة للرسل والأنبياء فهو درس آخر فقد سألني أحد طلبتي الأذكياء فقال: لماذا سيدنا يوسف لبث في السجن بضع سنين، لماذا نسي الساقى أن يذكُر سيدنا يوسف للملك، فقلت هذا موقف خاص بالأنبياء، فقد شاء مولانا عز وجل أن يعلم سيدنا يوسف كيف يقطع الأسباب كلها ويتمسك بسببه هو وحده، لم يرد أن يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بالعبد، وهذا كان من اصطفائه وإكرامه، لأن عباد الله المخلصين يدعون قيادهم لله وحده، وحين يعجزون بضعفهم البشري يتفضل الله سبحانه فيقهرهم عليه حتى يعرفوه ويتذكروه ويلزموه بعد ذلك طاعة ورضى وحباً وشوقاً، ولهذا كان شيخنا الدروبي رحمه الله تعالى خطيب هذا المنبر قبلي يقول: «والحق أن تمكث حيث أنزلك حتى يكون الله منه نقلك»، واسمع معي إلى ابن عطاء الله السكندري يقول «لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك في أخرى فلو أردك لاستعملك من غير إخراج». ولهذا لما استغاث يوسف بالساقى دخل عليه سيدنا جبريل بهيئة إنسان، فلما رآه سيدنا يوسف عرفه وقال: يا أخا المنذرين مالي أراك بين المخطئين، فقال له سيدنا جبريل: يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين، فوعزتي لألبثك في السجن بضع سنين، قال يوسف: يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راضٍ عني، قال نعم. قال إذاً لا أبالي. معشر الإخوة الكرام:

وتمضي السنوات السبع وسيدنا يوسف يعمل بالدعوة إلى الله حتى أحبه السجناء والسجانون، فإذا بيوم من الأيام يرى الملك رؤيا أفزعته، وطلب من المعبرين والكهنة أن يؤلّوها له، وهم يقولون: أضغاث أحلام (أباطيل) لا تعبير لها، فما هي هذه الرؤيا

اسمعوها: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِ بَنِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣) قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿ ٤٤ ﴾ يوسف: ٤٣ - ٤٤ وهذا تذكر السقي سيدنا يوسف فطلب الإذن من الملك ليأتيه بتعبير رؤياه، ويمضي إلى السجن فيلتقي بصلحه القديم ويعتذر له عن نسيانه هذه المدة، ثم يقول: ﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادًا كُنْ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ ﴾ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ يوسف: ٤٦ - ٤٩ هذا كله كن من جملة أسباب خروج سيدنا يوسف من السجن على وجه البر والإكرام، وهذا التعبير للرؤيا عظيم فقد أخبرهم بما يفعلونه من تخزين الحبوب في سني الخصب في السبع الأولى في سنبله، إلا ما يرصد بسبب الأكل، ثم بتقليل البذر في سني الجذب في السبع الثانية، إذ الغالب على الظن أنه لا ينبت من الحقل، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم.

وقدِمَ الساقى على الملك (وهو الريان بن الوليد من سلالة سام بن نوح) فأخبره بتعبيرها فأعجبه كثيراً، وطلب أن يحضروا له الذي عبرها ليقربه إليه، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ﴾ يوسف: ٥٠ لكن سيدنا يوسف رفض أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين الخائنين ليقف أمام الملك، أراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة، فأمر رسول الملك أن يعود إلى الملك فيسأل عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن: ﴿

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ يوسف: ٥٠

وأحضرهن الملك وراح يسألهن: ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَدَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ (بان وظهر) الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (أي عزيز مصر) وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ يوسف: ٥١ - ٥٣

﴿٥٠﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِذِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي ﴿٥١﴾ يوسف: ٥٤ وعاد رسول الملك بخبر براءته وبطلب الملك له ليكون مقرباً عزيزاً لديه، ونظر يوسف إلى رفاقه في السجن وقد تفرق الدمع في عيونهم لمفارقتهم، فطيب خاطرهم ودعا لهم وقال: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تُعَمَّ عنهم الأخبار. ثم توجه إلى باب السجن وكتب عليه: (هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء).

ثم اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جديداً وقصد إلى الملك وما أن دخل باب قصره حتى قال: حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه، عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره.

معشر الإخوة الكرام

فماذا كانت مكافأة سيدنا يوسف على صبره وتحمل بلاء السجن، ماذا جرى بينه وبين الملك، ماهي اقضية الإيمانية التالية؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله وأعود بكم من هناك من قاعة الملك إلى

هنا، إلى قاعة العبودية لله تعالى، وما أدراك ما هنا، هنا من مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله





لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

على عرش مصر

- ٣٤ -

الحمد لله الذي شرح صدور أحبائه بنور اليقين، وأذاقهم لذة القرب منه
فشغلهم عن الخلق أجمعين، أحمده سبحانه وتعالى حمد المطيعين المحسنين،
وأشكره شكر المعتمدين عليه والمنيبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين المبلغ عن ربه ما أمر بتبليغه عن رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فنقف اليوم معاً بإجلال أمام شخصية عظيمة قلّ نظيرها في التاريخ البشري، شخصية نبي من الأنبياء أعطى التاريخ العالمي مثلاً في العفة والفضيلة إنه شاب في ريعان شبابه قد حُفّ بالمغريات وموجبات الصبوة، طلبته سيدته وربة نعمته إلى الحرام، ومع ما هي عليه من جمال، ورفاعة ورغبة فيه وهو شاب ماطر شاربه في إبان فيضه الحيوي وأوان التهاب جذوة الشهوة واحتشاد الدواعي الطبيعية وانتظار الآمال والأمانى الجسام، إذا هو يأبى، فأعطى للشباب المؤمن درساً خرج منه متوجاً بتاج العفة والصبر عن الشهوات، لم يكثرث بذلك كله، واستمسك بعقيدته، ولا قى الصعاب والأهوال في سبيل استمساكه بالفضيلة، فلم يغير مبدأه السجن والإذلال مع أنه لو أجاب لدواعي الشهوة لكان منعماً ومرفهاً ولكان منظوراً إليه بعين الإكبار في الدنيا، ولكنه استمسك بالدين، الدين الذي هو أصل كل فضيلة ومنبع كل جميلة، إنه سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن سيدنا إبراهيم قولوا: عليهم الصلاة والسلام، غذي بدر النبوة، ونشأه أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح، وتعهده بالأخلاق النبوية الكريمة فنشأ أصلح نشأة وأحسن من صغره بمجد آبائه وأجداده قال له والده حين قص عليه رؤياه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ

وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴿يُوسُفَ: ٦﴾

والأصول - كما يقولون - : عليها ينبت الشجر .

وفعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الأعاجم أعجم

عشق دينه فلم يترك فرصة تمر دون أن يدعو فيها إلى دين الله، هذا الدين الذي تغلغل في أعماق نفسه حتى وهو في السجن، وصبر، والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدراً حتى لما جاءه الأمر بالإفراج عنه والخروج من السجن صبر لان عنده خلق الإباء والشمم، شرف نفسه وطهارتها عنده جعله يرفض الخروج من السجن، لم يشأ أن يقال عنه مجرم سرٌّ منه الملك فعفى عن جريمته، فأبى أن يفرّج عنه إلا بعد أن تثبت براءته.

أيها الإخوة الكرام: إن سيدنا يوسف شهد ببراءته كل أطراف القضية شهد له مولانا بالبراءة حينما قال ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿يُوسُفَ: ٢٤﴾

وشهد له الشيطان بالبراءة عندما قال لمولانا ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿ص: ٨٢ - ٨٣﴾، وشهد ببراءته الشاهد من

أهل العزيز إذ قال ﴿ إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَلِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿يُوسُفَ: ٢٦ - ٢٨﴾ وشهد ببراءته

النسوة اللاتي قطعن أيدهن بقولهن ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ﴿يُوسُفَ: ٥١﴾ وشهد ببراءته امرأة العزيز بقولها ﴿ أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿يُوسُفَ: ٥١﴾ فالذي يريد أن يتهم سيدنا يوسف بالهم فعليه أن

يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفرّ بالإقرار بالحق على أية حال، وهو البراءة الناصعة لسيدنا يوسف، وأنتم أيضاً قولوا معي ونحن نشهد أيضاً ببراءته.

معشر الإخوة الكرام: إننا ما زلنا مع ملف النفحات المنبرية من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع الحلقة الرابعة والثلاثين انتقل بكم إلى هناك إلى مصر حيث سيدنا يوسف يدخل الآن على ملك مصر بعد أن سمع منه تأويل الرؤيا سماعاً، فلما رآه قام إليه وأجلسه بجواره وكلمه قال له: ما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال: سيدنا يوسف:

إنني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتبني الأهرام والخزائن، وتجعل الطعام في قصبه وسنبله ليكون أبقي له، ويكون قصبه وسنبله علفاً للدواب، وتأمّر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس، فيكفيك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ثم تأتيك الخلائق من جميع القرى فيمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لأحد من قبلك.

فقال الملك: من لي بهذا ومن يجمعه لي ويكفيني الشغل فيه؟

قال له سيدنا يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ۝٥٥﴾ يوسف: ٥٥ أي إني كاتب حاسب، حفيظ لما استودعنتي عليهم سنين المجاعة، وبلغة من يأتيني.

فقال له الملك ومن أحق به منك. فولاه ذلك كله، ثم قال له: أريد أن تخالطني في كل شيء غير أنني آنف أن تأكل معي.

فقال سيدنا يوسف: أنا أحق أن آنف بذلك منك لأنني أنا ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله فقال الملك: إذن فكل

معي. ثم توجه إلى سيدنا يوسف وتوجه بتاجه وقلده سيفه وحلاه بخاتمته، وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر واليواقيت، [اسمعوا أيها الشباب عندما تتركون لذة في مُحَرَّم كيف يبذلك الله خيراً منها كما فعل بسيدنا يوسف]، وضرب عليه بقبة من إستبرق، وأمره أن يخرج متوجهاً فخرج سيدنا يوسف ولونه كالتلج ووجهه كالقمر، فلما رآته امرأة العزيز قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بمعصيته.

ثم عزل الملك زوجها قطفير وجعل يوسف مكانه وأصبح سيدنا يوسف الجناح الأيمن للملك ففوض إليه أمر مصر كلها، ثم توفى قطفير فتزوج سيدنا يوسف امرأته، فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خير مما كنت تريدين، فلما بنى بها وجدها عذراء، فأصاب منها فولدت له بإذن الله تعالى.

واستوثق له ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه القاصي والداني، وذلك قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ يوسف: ٥٦ وحتى مضت سبع سنوات مخصبة، ثم دخلت السبع المجدبة، فعانى الناس من القحط والجذب ما لم يعهدوه في السنين الماضية، حيث هلك فيها كل شيء، فجعل أهل مصر يبتاعون من سيدنا يوسف الطعام.

١- فباعهم في سنة بالنقود وبالذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهماً ولا ديناراً إلا قبضه.

٢- وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء.

٣- وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع.

٤- وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه.

- ٥- وباعهم في السنة الخامسة بالضياح والعقار والدور.
- ٦- وفي السنة السادسة باعهم بأولادهم، فإن الرجل كان يشتري بولده الحنطة والشعير من شدة القحط فلم يبق لأحد ذكر ولا أنثى إلا ممالك له.
- ٧- وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حرٌّ ولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له.
- وعجبت الناس من أمر سيدنا يوسف فقالوا: تالله ما رأينا ملكاً أجلاً من هذا وأعظم، ثم قدم سيدنا يوسف على ملك مصر وقال له: كيف رأيت صنع ربي فيما ولاني فقال له الملك: الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع.
- فقال سيدنا يوسف: فإني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر جميعاً، ورددت عليهم أموالهم وعقارهم وعبيدهم وأولادهم.
- وقصد الناس - أيها السادة - مصر من كل ناحية يمتارون، يطلبون الميرة والطعام، وجعل سيدنا يوسف لا يَمَكِّن أحداً منهم (ولو كان عظيماً) لا يَمَكِّنه أكثر من حمل بعير، عدلاً بين الناس وتوسيعاً عليهم، فتزاحمت عليه الخلائق ونزل بسيدنا يعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر لطلب الميرة، فأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وبعث إخوة يوسف العشرة من أرض فلسطين إلى مصر، فخلوا عليه قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ يوسف: ٥٨ وكان حين تركوه صغيراً، فلما قدموا عليه وكلمهم بالعبرانية وأنه من أهل الشام واتهمهم جميعاً بأنهم عيونٌ عليه. فأنكروا ذلك وقالوا: إنما نحن إخوة من أبٍ نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب، قال: فكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية وكان أحب إلى أبينا منا فهلك، فقال: وكم أنتم هناك؟ قالوا: عشر. قال: وأين الآخر؟ قالوا: إن أبانا يتسلى به قال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ فقالوا: أيها الملك إنا في بلاد

لا نُعرف فيها. فقال سيدنا يوسف: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ إِلَّا تَرَوْتَنِي أَتَى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ يوسف: ٥٩ قللوا ﴿سَارُوذُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وقال لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿يوسف: ٦١-٦٥﴾ أي إذا ذهب معنا بنيامين يأخذ حصته - كيل بعير - قال سيدنا يعقوب ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يوسف: ٦٦ يعني يهلكوا - يقول ابن عباس رضي الله عنه: أتعرفون ما هذا العهد الذي أخذه عليهم في الموثق؟ قال لهم:

العهد الذي أطلبه منكم أن تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيك، ففعلوا ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾ (سيدنا يعقوب لِبْنِيهِ) اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿يوسف: ٦٦﴾ ثم أوصاهم أمراً لهم منعاً من الحسد ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا (مصر) مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكُمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا - وهي ألا تصيبهم العين - وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ (بالاتفاق معه ليقى بنيامين عنده) ثُمَّ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ (نلدى منلدى) أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ - يعني نالذي نكفل وأعطيه هذا لعل - ﴿٨٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ - أي يسرق من قبل للمسروق منه - كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨٦﴾ ﴿يوسف: ٦٧ - ٧٦﴾

وهذا الذي فعله بأمر من الله لأنه يترتب عليه مصلحة عظيمة بعد ذلك، من قدوم أبيه وقومه عليه، ثم استخرج الصاع من وعاء أخيه بنيامين. ﴿٨٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ (سينا يوسف لما كن صغير عنه قلوا في لعق أخذ الصنم الذهبي الذي غدخله وهسره) مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨٧﴾ ﴿يوسف: ٧٧﴾ ثم راحوا يتلطفون له ويرجون له ﴿٨٨﴾ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنْ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ - يظاها المتهم ولأخنا البريء - ﴿٩٠﴾ فَلَمَّا اسْتَمْتَسُوا مِنْهُ خَالَصُوا خَيْسًا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنَ

قَبْلَ مَا قَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أُنْبِرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعَانَا إِنَّا ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ يوسف: ٧٨ - ٨٢

وهكذا بقي عند يوسف بنيامين وأخوه الأكبر وكان وقع الخبر على الوالد عظيماً وخاصة اتهام ولده بالسرقة لأنه ليس له سمة ولا من خلقه ذلك، لذلك قال: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يوسف: ٨٣ - ٨٦ أعلم أن رؤية يوسف حق وسأسعد له أنا وأنتم بما رأي، لأن رؤيا الأنبياء حق على المعتمد.

أيها السادة: حين شكى حزنه إلى الله نزل إليه ملك الموت زائراً وكان سيدنا يعقوب قد أغلق على نفسه الباب وراح يبكي، فإذا بملك الموت أمامه فسلم عليه قائلاً: السلام عليك أيها الكظيم، فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه، ورد عليه السلام ثم قال: من أنت ومن أين دخلت؟ فقال: أنا ميثم الأولاد وممرمل الأزواج ومفرق الجماعات قال: أنت ملك الموت؟ قال: نعم قال سيدنا يعقوب: أنشدك الله تعالى يا ملك الموت إلا أخبرتني هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. قال: هل جننتي زائراً أم داعياً؟ قال: يا نبي الله ما جننتك إلا مسلماً إن الله تعالى لا يميئك حتى يجمع بينك وبين يوسف وما أدن الله لي بزيارتك إلا لأبشرك وأجيبك عما تسألني وإن شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك.

فقال له: فأعلمني قال: يا إسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا وكذا ثم فرقت بينها وبين أبويها؟ قال: نعم. قال: فلأجل ذلك ابتليت بفقد ولدك، وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر؟ قال: لا قال: أمرت بذبح جذعة يوم كذا وكذا فذبحتها وشويتها في يوم كذا وكذا فمر تميم العابد وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتتم قثار الشواء فلم تطعمه شيئاً. هذا هو السبب إذاً - والله أعلم -.

وهنا أعتق سيدنا يعقوب من كان بحضرته وأمامه من الإماء وأمر بذبح غنمة كل يوم وتفریق لحمها على الفقراء، ثم أمر أولاده أن يذهبوا للبحث عن يوسف وأخيه بنيامين، وهنا عادوا إلى مصر فدخلوا على عزيزها سيدنا يوسف وشكوا إليه حالهم وحال أبيهم، فقال لهم مصارحاً: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿يُوسُفَ: ٨٩﴾ وهنا تعرفوا عليه فقالوا ﴿قَالُوا أَهَـذَا نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيطِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ - لن اعتبكم بعد اليوم - ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿يُوسُفَ: ٩٠-٩٢﴾ وما أن اقتربت العير من ديار فلسطين حتى قال لهم أبوهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ - يعني بالقيص - أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ ﴿يُوسُفَ: ٩٤-٩٦﴾ بإذن الله عندئذ قال لأولاده ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

يوسف: ٩٦ - ٩٨ وأُخِرَ الاستغفار إلى ليلة الجمعة لأن فيها ساعة مستجابة.

وساروا جميعاً إلى سيدنا يوسف فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه وقال:

﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴿١٠٠﴾

يوسف: ٩٩ - ١٠٠ وكانت تلك تحية الناس في ذلك الزمان، وهنا توجه إلى

أبيه قائلاً ﴿يَتَأْتٍ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي

مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ

لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: ١٠٠

وعاشت الأسرة النبوية أربعة وعشرين عاماً بآتم عافية حتى حضرت



لا إله إلا الله

سيدنا أيوب وولده ذو الكفل - ٣٥ -

الحمد لله الذي لم يزل بالنعمة منعماً، وبالمعروف معروفاً وبالإحسان محسناً وبالكرم موصوفاً.

﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ﴿٢١﴾ يكشف كرياً ويغفر ذنباً ويغيث ملهوفاً ويجبر كسيراً ويجير خائفاً ويرسل بالآيات تخويفاً.
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأستغفره وأسأله السلامة من حمل العصيان وإن كان الحمل خفيفاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة للذي فطر السموات والأرض حنيفاً.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وخليله، خلقه الله سيدنا كريماً صادقاً أميناً شريفاً عفيفاً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين. صلاة وسلاماً تزيدهم بها تصديقاً وتشريفاً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة نحن اليوم ننزل ضيوفاً على حفيدين من أحفاد سيدنا إسحاق بن سيدنا إبراهيم الخليل الذي قال عنه مولانا في كتابه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأنعام: ٨٤

حفيدان نص كتاب الله على نبوتها ورسالتها فقال عز من قائل:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى ۚ وَأَيُّوبَ﴾ النساء: ١٦٣

إنهما سيدنا أيوب وولده سيدنا ذو الكفل عليهما الصلاة والسلام

ومع هذه الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، أذكر لكم العقيدة الحقّة في حقيقة ابتلاء الله لنبيه أيوب عليه الصلاة والسلام.

معشر السادة الكرام: إن سيدنا أيوب كان رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه. (غنم، إبل، مواشي، أنعام) وكانت منطقة حوران كلها تحت تصرفه وفي قبضة يده.

ومع هذا الغنى الكبير. نجد أن مولانا أكرمه بالنبوة والرسالة ومنعه من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرّة والتشاغل واللهو عن أمر الله تبارك وتعالى، والقضية الإيمانية تقول:

«إنه لا تسلط للشياطين على الأنبياء والرسل الكرام» .

كان هذا النبي ذاكرًا شاكراً عابداً صائماً رحيماً بالمساكين كافلاً للأيتام مكرماً للضيّافان، معيناً لابن السبيل، حتى تعجبت منه الملائكة من صلاحه وتقواه فراحت تذكره وتصلي عليه، وهنا أدركت إبليس الغيرة والحسد والبغي، ساءه أن يرى عبداً صالحاً قد أشغل وقته بالله عز وجل.

وكانت الشياطين من قبل بعثة نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم يسمعون إلى الملائكة الأعلى من الملائكة، فلما رفع سيدنا عيسى حجب الشياطين عن أربع سموات، فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية.

معشر السادة الكرام:

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى السموات العلى على جناح العقيدة والإيمان، حيث يسمع إبليس نداء الملائكة على سيدنا أيوب، فصعد إلى السماء فوقف موقفاً كان يناجي فيه رب العزة جل وعلا.

قال: إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك. وما يعبدك تطوعاً من نفسه ولا نافلة من عنده، إنما يعبدك ثمناً لما منحته من مال وبنين وما أسبغت عليه من ثروة وعقار، طمعاً في أن تبقى له ماله، وتحفظ له دنياه، فهو يخاف عليها وهو يشكرك خشية أن يمسيها الزوال أو يصيبها الفناء، فعبادته مشوبة بالرحمة والرغبة مشوبة بالخوف والطمع، لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء، وأنا لك زعيم لأن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك، وهناك أراد مولانا عز وجل أن يُري إبليس أنه لا تسلط له على أحد من عباده المخلصين، قال: اذهب فقد سلطتك على ماله، وهنا جمع إبليس جنوده وأعوانه وحزبه على وجه الأرض. قال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب؟

(والمال إن ذهب مصيبته فادحة وفتنته لا تصبر عليها الرجال).

فقال عفريت من الجن: أعطيت من القوة ما إن شئت تحولت إلى إعصار من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه.

فقال إبليس لعنه الله: فأت الإبل فأحرقها ورعاتها.

فانطلق عفريت الجن يسوق الإبل حتى إذا أوت إلى مرابعها. فما شعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تفسخ منه رياح السموم لا يدنو منه أحد إلا احترق، حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس بصفة راعي ثم انطلق يؤم سيدنا أيوب حتى وجده قائماً يصلي ويسبح، قال له: يا أيوب.

قال: لبيك. قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاتك؟.

فقال أيوب: إنها ماله أعارنيها وهو أولى بها، إن شاء تركها وإن شاء أخذها. وقد تحققت وطيبت النفس أني ومالي للفناء والزوال.

فقال إبليس: وإن ربك أنزل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها.

فقال سيدنا أيوب: الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى القبر، وعرياناً أحشر إلى ربي عز وجل.

ليس ينبغي للمرء أن يفرح حين أعاره الله، ويجزع حين يقبض عاريته فله ما أخذ، و له ما أعطى، فله الحمد معطياً وسالماً وساخطاً وراضياً. نافعاً وضاراً، ثم خر أيوب ساجد لله تعالى.

فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خائباً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة. إني لم أَكَلِمَ قلبه؟!.

فقال عفريت من الجن: عندي من القوة ما إن شئت صرخت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه.

فقال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها.

فأتاه حتى إذا توسطهم صاح صوتاً ماتت منه الغنم ورعاتها فجاء إبليس بزي راع آخر إلى سيدنا أيوب.

فقال له مثل ذلك، فرد عليه أيوب مثل ما رد عليه، فأرسل إلى مزارع أيوب عفريتاً ثالثاً تحول ريحاً عاصفة قضت على الزرع والثمر، فلم يؤثر ذلك عند أيوب حتى أتى إبليس على ماله كله ولم يزحزح من قلبه ذرة من إيمان فوقف إبليس موقفه في السماوات وقال:

إلهي: إن أيوب علم أنه مهما فعلت به من ماله فأنت معطيه المال وإنه يطمع أن يشتد ظهره بأولاده فيرد عليه ما ذهب من ماله ويرجع ما فقده من

ثروته، وإنك إن سلطني على أولاده أفعل بهم ما يكره فأنا موقن أن أيوب سيصير أشد ما يكون كفراً وجحوداً فهل أنت مسلطي على ولده؟
إنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال.
فقال له مولانا: قد سلطتك على ولده.

وانقض عدو الله حتى جاء على أولاد سيدنا أيوب وهم في قصرهم فزلزل قواعد القصر ثم رفعه إلى السماء وقلبهم فمات أولاده جميعاً.
وأقبل إبليس متمثلاً بمعلم الصبيان ورأسه يسيل منه الدم وراح يصف لسيدنا أيوب كيف مات أولاده وشقت بطونهم وتناثرت أمعائهم، فلم يزل به حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه.
فاغتم إبليس الفرصة وصعد إلى السماء ليزف تأييد كلامه لمولانا عز وجل إلا أن سيدنا أيوب استغفر وشكر فصعدت الملائكة باستغفاره وتوبته فاستبقوا إبليس إلى موقع المناجاة، فوقف إبليس خاسئاً مدحوراً.

وقدم أصحاب سيدنا أيوب وراحوا يطلبون منه أن يتوب إلى الله وظنوا أن ما نزل به هو من جراء معصية قام بها سيدنا أيوب، فكان كلامهم هذا أشد على نفسه من مصيبتة بفقد ماله وولده، وأعلمهم بأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. (حب ٢٨٨٧ - حا ٢ / ٥٨١ - أبو يعلى ٣٦١٧ - بز ٢٣٥٧ - الفتح ٦ / ٤٢١ - ١٠ / ١٢٤).

معشر السادة الكرام:

هذا هو حقيقة بلاء سيدنا أيوب.

أقعد بعد ذلك في فراشه لم يتحرك فيه. لم يصل إليه دود ولم يصل إليه نتن لأن عقيدتنا التي نحن نعتقدها في القضايا الإيمانية أن الأنبياء لا يصابون بمرض منفّر، إن الأمراض التي تصيب الأنبياء لا تبعد الناس عنهم وكل ما

ذكر في الكتب من أن سيدنا أيوب كان عليه دود، والدود كان يتساقط منه، كله كذب وافتراءات وإسرائيليات.

لم يثبت هذا الأمر في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولأجل ذلك لما رأى إبليس سيدنا أيوب صرخ بأعلى صوته فجمع شياطين الأرض وشكى لهم خيبتة في التسلط على نبي الله. فقال له أمكرهم:

- أين مكرك يا معلم؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى.

قال: بطل ذلك كله في أيوب.

فقال له: أشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيت.

قال: من قبل امرأته.

قال: فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها.

فانطلق عدو الله حتى أتى امرأة أيوب تطلب الصدقة فأتاها بصورة رجل. فسألها عن زوجها وذكرها بفقد مالها وأولادها فصرخت، وهنا قال لها: أنا إله الأرض (قولوا: لعنه الله)، وأنا صنعت بصاحبك ما صنعت، لأنه عبد إله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت إليكما كل شيء، فقدمت المرأة المسكينة على زوجها وهي تخشى عليه.

قالت له:

يا أيوب، إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال، وأين الماشية، وأين الولد، وأين الصديق، وأين عشيرتك؟ ثم طلبت منه أن يسجد لإله الأرض.

فقال لها: أذاك عدو الله إبليس فنفخ فيك؟! والله لأضربنك مئة ضربة إن

شفاني الله عز وجل.

ثم قال لزوجته: كم لنا ونحن في الرخاء؟ قالت: ثمانين سنة.

ثم قال لها: وكم أنا في البلاء قالت: ثماني عشرة سنة.

قال لها: ويلك ما عدلت ولا أنصفت، أما صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة كما كنت في الرخاء، إني لأستحي أن أطلب من الله رفع بلائي وما قضيت فيه مدة رخائي، فاهربي عني لا أراك حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فذهبت امرأته وهو طريح في الفراش، هنا انقلب على وجهه ساجداً لله تعالى ونادى ربه من قلب مكبوم: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣)
 الأنبياء: ٨٣ فإذا بصوت من أعلى يناديه: ارفع رأسك فقد استجبت لك.

معشر الإخوة الكرام:

وإذا بعين ماء عذبة تتبع من أمام أيوب وإذا برب العزة، يقول له ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢)
 ص: ٤٢ قلم أيوب يلين الله فاغتسل من الماء وشرب منه فرد الله عليه قوته وكشف همه وكساه حلة من أجمل الحل، وأنزل عليه مولانا مكافأة جراداً من ذهب فردَّ عليه ماله فجعل يجمعه، فناداه مولانا يا أيوب ألم أغنك فقال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك. (خ)
 ٢٧٦ - ٣٣٩١ - ٧٤٩٣ ن ١ / ٣٠٠ - ٢٠١ - هب في الأسماء والصفات
 ٣٠٢ - حب ٦٢٢٩ أحمد ٣ / ٣٤٣ - ٣٠٤).

وأشفقت عليه زوجته وقد تركته جائعاً ولا شراب عنده، فعادت إليه فلم تجده ولم تعرف زوجها، فراحت تبكي وتسال عن زوجها أين أنت يا أيوب فقال لها سيدنا أيوب: ألا تعرفينه؟.
 فقالت: وكيف لا أعرفه.

قال: انظري إليّ.

قالت: أنت أشبه به خلقاً.

فقال: أنا أيوب وقد شفاني الله عز وجل.

ودعا مولانا وشكره فعوضه مولانا عن أولاده فردّ لهم الحياة وردّ لامرأته شبابها، وأتاها سيدنا أيوب فولدت له على التوالي ٢٦ بإذن الله الواحد الأحد.

وَأَرَادَ أَيُّوبُ أَنْ يَبْرِيْمِيْنَهُ قَوْلَ لَهُ مَوْلَانَا: ﴿ وَخُذْ يَدِيْكَ ضَرْبًا فَاصْرِبْ بِهٖ وَلَا تَحْنَتْ

﴿ ص: ٤٤ فأخذ حزمة من حشيش يابس تشتمل على / ١٠٠ / عود صغير فضربها به ضربة واحدة فبرّ بها بيمينه.

ثم توفي سيدنا أيوب وأوصى من بعده إلى ابنه حومل، وبعده ابنه بشر نبياً وسماه ذو الكفل، وأمره بالدعوة إلى توحيد الله فإذا بذى الكفل يأمر قومه بالجهاد. فكفوا عن ذلك وضعفوا عنه وقالوا: يابشر إنا قوم نحب الحياة ونكره الممات، ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله، فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يمتتنا إلا إن شئنا لنعبده ونجاهد أعدائه.

فقال لهم بشر: لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططاً.

ثم قام وصلى ودعا الله قال: إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها، وأمرتني أن أجاهد أعدائك وأنت تعلم أنني لا أملك إلا نفسي، وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم مني به فلا تأخذني بجريمة غيري، أعوذ برضاك من سخطك وبِعِفْوِكَ من عقوبتك.

فأوحى الله تعالى إليه: يا بشر قد سمعت مقالة قومك، وإني قد أعطيتهم ما سألوا، طوّلت أعمارهم فلا يموتون إلا أن يشاؤوا، فكن كفيلاً لهم مني بذلك.

فبَلَّغهم بشر رسالة مولانا، وأخبرهم بما أوحى الله إليهم وتكفل لهم بذلك فسمي ذو الكفل، فتوالد القوم وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا من كثرتهم، فسألوا بشراً أن يطلب من الله أن يردهم إلى آجالهم.

فأوحى الله إلى بشر: أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم. « الخيرة فيما اختاره الله » .

فرد الأقوام إلى أعمارهم وماتوا بآجالهم، ومات بشر بن أيوب في الشام وعمره ٩٥ سنة (١).

وهكذا معشر السادة نزلنا في هذا اليوم ضيوفاً على نبيين ورسولين من الرسل الكرام سيدنا أيوب وسيدنا بشر.

فمن هو الرسول بعدهما؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

سيدنا شعيب و سيدنا يونس عليهما السلام - ٣٦ -

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من أغضبه وآسفه، المتوحد في قهره،
المنفرد بعزّ أمره. أحمده حمد شاكر لما أولاه مستقيل مما جناه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه وقول
إخلاص عما يقول الكافر ويفترية.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي استأمنه على علم الغيب وبزّاه
من كل دنسٍ وعيب.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في معقد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، في رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم، وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبیین ورسولين من الرسل الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم، أما أولهما فهو سيدنا شعيب، وأما الثاني فهو سيدنا يونس، وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة مباركة من سورتي هود ويونس:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَالْإِنَّمَانِ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْطِطُ ۝٨٤ وَيَنْفُورُ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝٨٦ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِي إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٧ قَالَ يَنْفُورُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾

هود: ٨٤ - ٨٨ أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الحلقة السادسة والثلاثين، ومع الرسول الثالث عشر أدعوكم وأدعو نفسي لنقف على قضية إيمانية من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية (في البيوع الإسلامية الشرعية).

إنه سيدنا يونس بن قيس الذي بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال عليه الأمد ولم يستجيبوا له توعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، فقال بعضهم لبعض:

. إنا لم نجرب عليه كذباً قط، فانظروا فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فإن العذاب مصبحكم.

فلما كان الليل خرج سيدنا يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا أظلمتهم سحابة سوداء فكانت فوق رؤوسهم، قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلى قدر ثلثي ميل إذ أرسل الله عليهم غيماً أسود هائلاً حتى اسودت أسطحهم. فلما رأوا العذاب قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم ولبسوا المسوح وعجوا بالدعاء وتضرعوا بالبكاء، فكشف الله عنهم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عذابه، وكانوا زهاء مئة ألف لا محالة.

أيها السادة:

فكيف كان رد ربك على سيدنا يونس عندما ترك قومه بدون استئذان إن من المعلوم لدينا في العقيدة أن الرسل مأمورون، يأترون بأمر مولانا عز وجل، لا يتصرفون تصرفاً إلا بوحى من الله تعالى.

لكن سيدنا يونس خرج من عندهم مغضباً دون أمر إلهي بخروجه، ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله وهو دعوة قومه إلى الله والصبر عليهم، فكان ذلك في حقه ظلماً، لأن القاعدة التوحيدية تقول (حسنات الأبرار سيئات

المقربين)، ربما في حقنا نحن البشر العاديون الدعاة الى الله تعالى أن نترك مجالس الدعوة لعدم استجابة الناس لنا، أما في حق الرسل والأنبياء فهذا ترك للأفضل مع قدرتهم على تحصيله، لذلك نرى سيدنا يونس يتجه إلى سفينة في البحر فيركبها فإذا بها تضطرب في عرض البحر وتموج بأهلها، فصار كل واحد منهم يقول لصاحبه: إن بيننا رجلاً أبقاً هارباً من مولاه، فتشاوروا بينهم أن من وقعت عليه القرعة أن يلقيه في البحر فاقترعوا مرة بعد مرة وكل ذلك تقع القرعة على النبي يونس، واسمعوا هذه القضية الإيمانية يتلوها علينا القرآن الكريم.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ١٤٠ ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ١٤١ ﴿ الصافات: ١٣٩ - ١٤١ ﴾ (المقترعين) وما أن ألقى سيدنا يونس من على متن السفينة حتى وجد حوتاً عظيماً فاتحاً فمه ينتظر هذا الضيف الذي سوف يستضيفه بأمر رب العالمين، قاله له: خذ عيدي، لا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً. واستقر سيدنا يونس في بطن الحوت. لذلك سمي ذا النون أي صاحب الحوت وكانت مفاجأة مذهلة لسيدنا يونس، حسب أنه قد مات فراح يحرك أعضائه واحداً بعد واحد فوجد نفسه حياً، وخر ساجداً لله تعالى وقال: يارب اتخذت لك مسلماً في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

وراحت السفينة الحوتية تجوب البحار، وتقتحم الأمواج ويونس يسبح تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى، ورب السموات العلى، ورب الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى، فعند ذلك قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال، الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى، الله الذي يسمع الأصوات وإن ضعفت، ويعلم الخفيات وإن دقت، ويجيب الدعوات وإن

عظمت: ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ (ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨) الأنبياء: ٨٧ - ٨٨

وسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة: قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟! قال نعم. وهنا استشفعت الملائكة له وقالوا: يا ربنا ألا ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتتجيه في البلاء؟ قال: بلى. وهنا صدر الأمر الإلهي من مولانا الباري للحوث الساري: أن اقذف عبدي يونس الى اليابسة قال تعالى:

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (١٤٣) لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (١٤٥) الصافات: ١٤٣ - ١٤٥ وهكذا هي سنة الله في خلقه من تعرف الى الله في الرخاء عرفه مولانا عند الشدة. ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ (١٤٦) الصافات: ١٤٦ ليقوى جسمه وأرسل الله إليه وعلة فكان يشرب من حليبها، حتى اشتد لحمه ونبت شعره فأمره مولانا أن يعود إلى قومه لأنهم قد تابوا ورجعوا إلى الله وآمنوا قال تعالى: ﴿ فَاقْمَئُوا فَتَتَغَنَّهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (١٤٨) الصافات: ١٤٨. بز - ابن حجر في (الفتح ٦ / ٤٥٢).

وأما الرسول الرابع عشر فهو سيدنا شعيب الذي بعثه مولانا إلى أهل مدين، وهي قريبة من بحيرة لوط، ومدين هو من ذرية سيدنا إبراهيم الخليل.

وأهل هذه المدينة من العرب، لذلك رأيت الحبيب الأعظم يقول لأبي ذر: أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر (حب). الفتح ٧/ ١١٣.

إن أهل مدين . أيها السادة . لم يرعوا حق مولانا عز وجل ولم يطيعوا أوامره وانتهكوا حدوداً كثيرة، فهم كانوا من الكفرة المردة، يقطعون السبيل . ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة (وهي شجرة من الأيك حولها أشجار ملتفة) وكانوا يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيها، ويأخذون بالزائد، ويدفعون بالنقصان، فبعث الله إليهم سيدنا شعبياً فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن تعاطي الأفعال القبيحة، وعن بخسهم حقوق الناس وأشياءهم، وقال لهم: ﴿بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هود: ٨٦ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. وما أحسن قول مولانا عز وجل ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ المائدة: ١٠٠

إن القليل الحلال خير من الكثير الحرام لأن الله تعالى توعدهم بمحق الحرام وإن كثر، أليس قد قل لنا ﴿يَمْحُؤُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ البقرة: ٢٧٦ أليس قد قال لنا الصادق المصدوق ﷺ «إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى قُلْ» هذا هو شعار التاجر المسلم ﴿بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

فماذا كان جواب قومه؟

معشر السادة: ولكي نعرف معاً جواب هؤلاء المجرمين اسمحوا لي أن انتقل بكم اليوم إلى أطراف الأردن، إلى أرض معان حيث المجادلة الكلامية على أشدها، وانتبهوا إلى هذا الذكاء وتلك الفطنة التي آتاها الله تعالى سيدنا

شعبياً، والذي كان يلقب بخطيب الأنبياء لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان برسالته. علينا أن نشهد هذه القضية الإيمانية لأن صفات الأنبياء أربعة واجبه لهم: الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة، والفتانة تعني سرعة البديهة والذكاء العالي في رد حجج خصوم الدعوة الإسلامية، نشهده هذا اليوم معاً في أهل مدين أصحاب الأيكة:

﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ۝٩١ قَالَ يَنْقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ۝٩٢ ﴾ هود: ٩١ - ٩٢
أتخافون قبيلتي وعشيرتي وتراعوني بسببهم ولا تخافون عذاب الله ولا تراعوني لأنني رسول الله.

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ هود: ٩٠
فقالوا له على سبيل التهكم والاستهزاء والتقصص: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِي إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٧ ﴾ هود: ٨٧ قل نعم، قلوا إن نطق الأصنام بصدق ما تقول تكن قد جئت بالحق.

معشر السادة: إننا هناك في مدين، وأرى سيدنا شعبياً يدعو مولانا عز وجل ويتقدم إلى الأصنام ليسألهم سؤالاً واحداً فقال:
_ من ربكم ومن أنا؟

وهنا حدثت المعجزة إذ أن الأصنام أنطقها الله الذي أنطق كل شي فقالت: ربنا الله ورب كل شيء، وخالقنا وخالق كل شيء، وأنت يا شعيب رسول الله ونبيه (ض).

ثم راح كل يسقط على الأرض ساجداً لله تعالى. وهنا دخل عدد كثير من قومه في الإسلام، لكن الكفرة لم ينفعهم هذا الموقف، ولم يوقنوا أن الله واحد، لا، بل أنكروا واتهموه بالسحر، قالوا على موجات سورة الشعراء

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝١٨٦ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٨٧ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٨٩ ﴾ الشعراء: ١٨٥ - ١٨٩

وعلى موجات سورة الأعراف ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمُ فَكَيْفَ عَادْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝٩٣ ﴾ الأعراف: ٩٣
معشر السادة: وبدأ مسلسل العذاب الإلهي، أولاً تحول الهواء حاراً عليهم سبعة أيام فأصابهم حر شديد، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل، ولا دخولهم في السرايب.

فأرسل ملكهم يهدد شعبياً ومن آمن معه بالقتل، فعند ذلك قال شعيب ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝٨٩ ﴾ الأعراف: ٨٩
وإذا بريح قد هاجت وماجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى بعض الناس أنفسهم في الآبار والسرايب وهم لا يزدادون إلا نفوراً.
وأرسل الله عليهم الذباب الأزرق يلدغهم كلدغ العقارب، وربما قتل أولادهم وأشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به.

وهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان ليجدوا فرجاً ومخرجاً، وشعيب يناديهم أين تهربون ، تبوا إلى الله، ارجعوا إلى الله. فكانوا يجيبونه: . يا شعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا ما نحن فيه.

تكبروا وتجبروا وتحذوا الواحد الأحد، وجاءت الضربة القاصمة، سحابة سوداء أظلمت وأظلمت الأرض عليهم حتى لم يبصر بعضهم بعضاً واشتد عليهم الأمر.

وأوحى الله إلى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم، وانظر كيف يحل عذابي فيهم، فلما خرج شعيب ومن معه أحاطت السحابة بكل المتكبرين (وللكافرين والملحدين أمثالها) فلما تكاملوا تحتها أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءت صيحة من السماء فأزهقت الأرواح وأحرقت الأكباد فأصبحوا في دارهم جاثمين واحترقوا كما يحترق الجراد فصاروا كالرماد. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ

الْخَسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ الأعراف: ٩٢

أيها السادة:

بقي رسول الله شعيب مئتين وأربعاً وخمسين سنة وهو الذي تزوج سيدنا موسى ابنته، وكان ضرير البصر، وقد روى في حديث مرفوع ضعيف الاسناد أنه بكى من حب الله حتى عمى فرد الله عليه بصره وقال:

يا شعيب أتبكي خوفاً من النار أو من شوقك إلى الجنة فقال: بل من محبتك يا رب، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي، فأوحى الله عز وجل إليه : هنئياً لك يا شعيب لقائي لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي (١).

أيها السادة:

فمن هو النبي الخامس عشر؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



الولادة والزواج

- ٣٧ -

الحمد لله الذي أوضح الطريق للطالبيين وسهل منهج السعادة للمتقين،
وبصر بصائر المصدقين بصائر الحكم والأحكام في الدين، منحهم أسرار
الإيمان وأنوار الإحسان واليقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم

بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبي ورسول من رسل الله هو سيدنا موسى بن عمران الحفيد الرابع لسيدنا يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام رسول وصفه مولانا بأولي العزم من الرسل لما لاقى من أهوال وشدائد في قومه بني إسرائيل.

واسمحوا لي أن أذيع عليكم الأنباء مع هذه الحلقة السابعة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية.

مع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لرفع شعار التوحيد:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة معطرة من كتاب الله عز وجل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُلْبِغُ أَبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾
القصص: ١ - ٦

أيها السادة: بعد أن توفي سيدنا يوسف بقوا دهرًا متمسكين بدينهم ثم بدأ الوهن الديني يدب إلى بني إسرائيل فعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم، فلم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم فرعون حكمهم

أربعمئة سنة، وهو يسومهم سوء العذاب فذبح أبناءهم واستحيا نساءهم ،ومدَّ الله له مدا كما قال في كتابه:

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ۖ ﴾ مريم: ٧٥ مدَّ الله في عمره وصحته هذا الزمن الممتد، فرأى فرعون نفسه عاش هذه المدة فجمع شعب مصر وقال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي قالوا: بلى قال: ما علمت لكم من إله غيري. تحدى مقام الربوبية وأسقط مقام العبودية في ذاته، فأراد مولانا أن يريه أنه عبد لله فأراه رؤيا حق.

رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وتركت بني إسرائيل. فدعى فرعون الكهنة والمعبرين والسحرة والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه.

فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكّل على ذلك القوابل وأمر عليهم أتباعه حتى شكى القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فولد هارون في عام المسامحة عن قتل الأبناء ، وولد سيدنا موسى في عام قتلهم فصارت أمه تخاف عليه من أعوان فرعون فكانت تخفيه لئلا يراه أحد، ومات أبوه حين بلغ أربعين يوماً. فألهم الله أمه أن تتخذ له تابوتاً فربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعتة في ذلك التابوت وأرسلته في البحر، وأمسكت بطرف الحبل عندها، فإذا ذهب الجند استرجعته إليها.

فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها، فذهب مع النبل وأمر الله الملائكة بحفظه، ثم طلبته فلم تجده، وعجبت من نفسها كيف ربط الله على قلبها، وراحت تبحث عنه بحذر، وفي هذا يقول عز وجل:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ ۚ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا ۖ وَجَاعَلْنَاهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

النحل: ٦٨ ﴿ القصص: ٧

وهنا علينا أن نفهم أن قضية الوحي بالنسبة لسيدتنا أم موسى (واسمها أيارخا) ليس وحي نبوة، بل هو من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ امْكُتِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَئِذٍ ﴾ النحل: ٦٨ وهو ما يسمى بالوحي الغريزي، فليست أم موسى نبية كما زعمه الظاهريون بل:

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً وشخص ذو فعال

فما أرسل الله إلى الخلق إلا رجالاً، واسمع الى مولانا يذكر هذه القضية الإيمانية وهو يخاطب نبينا محمداً r فيقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ يوسف: ١٠٩ فماذا فعل الله بسيدنا موسى الوليد ؟

قال تعالى ﴿ فَالْقَطْعُ ۖ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ القصص: ٨ النقط الجواري التابوت وكان مغلقاً عليه، فلم يتجاسر أحد على فتحه حتى وضع بين يدي امرأة فرعون السيدة آسية بنت مزاحم، وما أن فتحته حتى وجدت سيدنا موسى يتلأأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فدخل حبه قلبها، فإذا بفرعون يطل بجبروته فيرى الوليد فيأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودافعت عنه وقالت له ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص: ٩

فقال لها فرعون: أما لك فهو قرة عين، وأما لي فلا. (لا حاجة لي به).
لذلك أكرمها الله بالإيمان فقرّت عينها بموسى وهو طفل، فأقر الله عينها في
ربض الجنة وجعلها الله يوم القيامة من أزواج سيدنا محمد هي والسيدة مريم.
وامرأة فرعون هذه - أيها السادة - هي التي طلبت من الله فقالت: {رب ابن
لي عندك بيتاً في الجنة} قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ قُودُ أُمِّ مُوسَى فَدِرْعًا﴾ (من كل
شيء إلا من موسى) **إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا (صَبَّرْنَاهَا)**
لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ** (اتبعني أثره) **فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبِ**

(عن بعد) **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴿١١﴾ القصص: ١٠ - ١١

ورأت أخته كيف عرضوا على موسى المراضع وهو يأباهن، فقالت لآل
فرعون ﴿هَلْ أَذْكَؤُاْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ ﴿١٢﴾
القصص: ١٢ فقالوا ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه. فقالت: رغبة في
سرور الملك ورجاء منفعته. فأطلقوها وأحضرت أمها فأرضعته وأقبل على
ثديها، فعرضت عليها امرأة فرعون أن تبقى عندها في القصر فأبت وقالت:
إن لي أولاداً. فأرسلته معها ورتبت لها الرواتب والنفقات والهبات قال تعالى:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ القصص: ١٣

ولما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون في حجرة فمد موسى يده إلى
لحية فرعون ونتف منها خصلة، فاغتاظ فرعون غيظاً شديداً وقال: هذا عدوي
وهم بقتله. فقالت آسية: ليس للصغار عقل ولا معرفة، وأنا آتيك بدليل، وأمرت
بإحضار طست وجعلت فيه تمر وجمرة وقدمته إلى موسى فمد يده إلى التمرة

فحول جبريل يده إلى الجمرة ورفعها إلى فيه فأحرقت لسانه وأخذ في البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون.

ولما تم لموسى سبع سنين قعد مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير وهو غضبان وضرب برجله قوائم السرير فتكسر منه قائمتان فسقط فرعون وانهشم أنفه وسال الدم على وجهه، فهم بقتله، فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك، فسكن غضبه. ولما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج واغتسل ووقف يصلي ويسبح فقال رجل من خواص الملك: يا موسى لمن تصلي؟ قال: لسيدي ومولاي. فقال: الرجل تعني أباك فرعون. قال موسى: على فرعون لعنة الله. وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون والكفرة، وكان كل من أتى يخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الإخبار، فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار.

وهكذا - معشر السادة - رُبِّي سيدنا موسى في مقر فرعون وكأن القدر يقول لفرعون: أيها الملك الجبار، المغرور بكثرة جنوده وسلطته وبأسه واتساع سلطانه قد قَدَّرَ العظيم الذي لا يغلب ولا يمانع ولا تخالف أقداره، أن هذا المولود الذي تحتريز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك وفي منزلك. وأنت الذي تتبناه وتربيته ووتتقده، ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه، لمخالفتك ما جاء به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى إليه، لتعلم يا فرعون أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الفاعل لما يريد وأنه هو القوي الشديد.

فهل هناك قهر أعظم من هذا، فتحداهم مولانا بذلك وأصبح آل فرعون خدماً له، وفرعون رباه فأصبح خادماً له وامرأة فرعون خادمة له، وكان سيرى في بيت متواضع، فربي في القصور، وصار شاباً وبلغ الحلم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿١٤﴾ القصص: ١٤ وكان ذلك في سن الأربعين إذ بعثه الله نبياً ورسولاً

وأصبح له في مصر صولة ومكانة بسبب تبني فرعون له وتربيته في بيته، وأعز الله به بني إسرائيل وصارت لهم وجاهة لأنهم أخواله والذين أرضعوه واسمحوا لي أن أعرض أمام حضراتكم هذا الموقف الذي كان فيه الخير الكثير لسيدنا موسى وجعله الله سبباً في تركه مصر، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ

الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِهُ (من بني إسرائيل) وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ (قبطي) فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ (ضربه بمجمع كفه) فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴿القصص: ١٥

وكان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكلية وإنما أراد ضربه وردعه بليل أنه قال ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿

القصص: ١٥، ومع ذلك استغفر وأُلب ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ

﴿١٧﴾ القصص: ١٦ - ١٧

أيها الإخوة:

صار سيدنا موسى يسير في المدينة خائفاً يترقب ويتلفت، فبينما هو كذلك إذ ذاك الرجل الإسرائيلي الذي استتصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به

ويستغيثه على آخر قد ضربه، فعنف موسى الإسرائيلي ولامه على كثرة شره ومخاصمته وقال له: إنك لغوي مبين، فأراد أن يبطش بذلك القبطي فظن الإسرائيلي أنه سيبطش به هو فقال: ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ﴾ (١٩) القصص: ١٩ فسمعه القبطي الذي أفلت، فذهب فاستعدى فرعون على موسى، فطلبه فرعون إلى قصره ليحاسبه على قتل القبطي، فإذا برجل ناصح لموسى يأتي إلى موسى قال: ﴿يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) القصص: ٢٠ فخرج منها خائفًا يترقب من فوره لا يهتدي إلى طريق حتى ساقه الله لقاء مدين وهو يدعو: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١) القصص: ٢١، ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢) القصص: ٢٢ حتى ورد إلى بئر مدين وهم أصحاب الأيكة قوم شعيب، فوجد عليها جمعاً من الناس يسقون وسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الإيمانية وتأملوا معي: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) القصص: ٢٣ ونظروا إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تبعدان الغنم عن أن تختلط بغنم الناس وهما أي البنتان بعيدتان لا تختلطان بالرجال، أتدرون لماذا؟

لأن الاختلاط بالشرع المطهر حرام، وهو في حق نساء الأنبياء والرسل وبناتهم أشد حرمة، إن مولانا في هذه القضية يقدم لنا الدليل على حرمة الاختلاط ويبين لنا ما هي شروط المرأة العاملة، متى تعذر المرأة في عملها

والشرط الأول: عدم مزاحمة الرجال لأعمالهم، فمتى وجد الرجل الذي يقوم بوظيفة المرأة حرم على المرأة أن تتقدم إلى العمل، وقد بينت الفتاتان سبب عملهما بعد أن سألهما ماخطبكما قلنا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٣) القصص: ٢٣/.

والشرط الثاني: يحرم اختلاطها بالرجال، واسمع إلى قول مولانا ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ لم تخطط بهن، وحين سألهما ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٣).

الشرط الثالث: إذن وليها فلا يجوز للمرأة أن تخرج حتى يأذن لها أبوها أو زوجها أو ولي أمرها.

الشرط الرابع: أن تخرج بحجابها الكامل وسترتها المعهودة في الدين.

الشرط الخامس: أن تعمل عملاً يناسب طبيعة جسدها كترية الأطفال وسقي الماء وتضميد الجرحى.

هذه هي شروط عمل المرأة المستمدة من هذه الآية الكريمة وإن نسيت لا أنسى حدثاً جرى زمن نبينا الأعظم ﷺ فيما يرويه أبو داود في سننه (٥٢٧٢- هـ) أن جماعة من الرجال والنساء صلوا في المسجد مع سيدنا رسول الله ﷺ فلما انتهت الصلاة وخرجن مع الرجال، مشين في وسط الطريق متسترات بتياب الصلاة والحجاب الشرعي، لكنهن اختلطن مع الرجال، فإذا بالقائد الأعلى للأمة يناديهن وقد رأى هذا المشهد ناداهن: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ لَا تَرْكَبْنَ حَقْقَ الطَّرِيقِ وَعَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»

يقول الراوي يا سادة يا كرام فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. وفي رواية ابن حبان ١٩٦٩: «ليس للنساء

وسط الطريق « عد- هب ٢ / ٤٧٥ / ٢) إسناده حسن. ولهذا مكروه أن يمشي الرجل بين المرأتين.

أيها الإخوة:

فلما رأى سيدنا موسى ضَعَفَ البنيتين وسمع عن كبر أبيهما رحم ضعفهما ونزع حجراً كبيراً كان على فوهة البئر، يقول سيدنا عمر وكان لا يرفعه إلا عشرة فسقى لهما غنمهما، ثم تولى إلى الظل تحت شجرة رآها خضراء ترف، وهناك أعلن ضعفه وقهره وعبوديته قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

﴿٢٤﴾ القصص: ٢٤

وهو صفوة الله من خلقه لم يأكل من أيام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً سقطت نعلا قدميه، وقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وإنه لمحتاج إلى شق ثمرة فنادى بصوت أسمع المولتين ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

﴿٢٤﴾ القصص: ٢٤

فلم تمض إلا ساعات قليلة حتى جاءت إحداهما تمشي على استحياء، لتسمع النساء الحرائر كيف تمشي الحرة، على استحياء، لم تلبس بنطلوناً ضيقاً ولم تكشف عن رأسها وساعديها ورجليها، إن الحرة بنت الحر تمشي مثل ابنة سيدنا شعيب التي قالت بصوت خفيض وقد وضعت نظرها على الأرض: ﴿ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ ﴿٢٥﴾ القصص: ٢٥

واستعان سيدنا موسى بالله العظيم وعرف أن هذا فرج من الله تعالى، فانقاد لأمره وسار مع الفتاة، لم يسر وراءها بل قال لها: كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق، حتى قدم على سيدنا شعيب فأضافه وأكرمه فلما قصَّ عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجا وقال

له ﴿لَا تَخَفْ فُجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ٢٥ ﴿الْقَصص: ٢٥﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ

إِحدى البنتين لأبيها: ﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأْبَتِ (رعي غمك ثم محبته فقالت)

أَسْتَفِجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَفِجِرُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ ٢٦ ﴿الْقَصص: ٢٦﴾

فَقَالَ لَهَا: وكيف عرفت ذلك؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يرفعها إلا عشرة

رجال، وأمرني أن أسير وراءه، وهنا قال سيدنا شعيب: ﴿قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ

أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٧ ﴿الْقَصص: ٢٧﴾

قال سيدنا موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ

وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ٢٨ ﴿الْقَصص: ٢٨﴾

وهكذا معشر السادة الكرام.

آجر سيدنا موسى نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه، فأبي الأجلين قضى سيدنا

موسى؟ من منهما تزوج الصغرى أم الكبرى؟ ما هو أهم حدث في حياة سيدنا

موسى وأخيه سيدنا هارون؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود

بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه

أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

رسالة سيدنا موسى إلى فرعون -٣٨-

الحمد لله الصبور الشكور العليّ الكبير السميع البصير العليم القدير الذي شملت قدرته كل مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور قدر مقادير الخلائق وآجالهم وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله جل عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وأمیرنا وعظیمنا وقائدنا وقرۃ أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفیه وخلیله وخیرته من بریته وصفوته من خلیقته وأمینہ علی وحيہ، أعرف الخلق بدو وأعلامہ عند منزلة وأوسعهم عنده شفاعۃ.

اللهم صل وسلم وبارک علی سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه التابعین لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد فیا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم فی الجمعة الماضية بعض الأسئلة حول المواقف الإيمانية التي وقعت لسيدنا موسى قولوا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وذلك عندما نزل ضيفاً على سيدنا شعيب في مدين على أطراف البحر الميت اليوم.

وأرجو من الله تعالى أن يوفقني لأجيب عنها، وكان أول سؤال علقتہ: «أي الأجلين قضى سيدنا موسى، هل خدم سيدنا شعيباً ثمانى سنوات أم عشر.

من هي التي تزوجها سيدنا موسى الصغرى أم الكبرى»

ماهي القضايا الإيمانية المستتبطة من تلك المواقف؟

أيها الإخوة

إننا مع الحلقة الثامنة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير ما نستهل حلقتنا هذه تلاوة عطرة على الموجات الإيمانية من سورة

القصص (٢٩ - ٣٠):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ القصص: ٢٩ - ٣٠

أيها السادة:

قضى سيدنا موسى الأجل وهو مهر السيدة بنت شعيب، قضاء عشر سنوات، لأن الأنبياء يفعلون الأكل والأفضل، وقد روى أنه سئل نبينا الأعظم ﷺ: أي الأجلين قضى موسى. قال «أوفاهما وأبرهما» ، قال: وإن سئلت أي المرأتين تزوج. فقال ﷺ: «الصغرى منهما». (البزار وابن أبي حاتم بسند ضعيف) أبو يعلى ٢٤٠٨ - ٢٤٠٧ - ٢ / ٢ - ابن جرير ٤٤ / ٢٠ - بز في كشف الأستار ٢٢٤٥ - والحميدي ٥٣٥ - مجمع الهيتمي ٨٧ / ٧. ورواه خ موقوفاً على ابن عباس ٢٦٨٤.

وبارك الله تعالى لسيدنا شعيب بماله وغنمه وإبله حتى كاد أن يلهي بها عن العبادة فدعا الله تعالى، وما أدراك ما دعا، طلب من الله تعالى أن يذهب عنه بعض ماله لكي يتفرغ للعبادة، فأمره مولانا أن يأكل خبزاً يابساً في الطريق، فلما أراد شعيب أن ينفذ الأمر الإلهي رأى أن الخبز اليابس سيتساقط منه ذرات وقطع من الخبز على الأرض فماذا يفعل وهذه نعمة الله لا يجوز أن تهان وتلقى على الأرض؟ فوجد أن يضع مخللة في رقبتة، فكان يأكل الخبز اليابس ويتساقط في المخللة بعض قطع الخبز فلما كان يصل إلى بيته يجمع تلك القطع الصغيرة ويأكلها حفظاً على نعم الله تعالى، فماذا كانت النتيجة؟ إذا بعدد الغنم يزيد أضعافاً مضاعفة فقال سيدنا شعيب يا رب:

طلبت منك أن تنقص لي من عددها فزدت عددها، فأوحى الله إليه: يا شعيب كيف تريدني أن أذهب نعمتي عنم يحفظها ولا يضيعها. (أين الموحدون).

وحين أراد سيدنا موسى أن يغادر إلى بلده مصر قام شعيب بتقديم هدية لصهره وهدية لابنته، أما هدية موسى فهي عصا غير عادية، عصا يبدو أن سيدنا شعيباً أمر بتسليمها لسيدنا موسى، ليهش بها على غنمه، قال له سيدنا شعيب أدخل هذا المخدع وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك، فلما دخل موسى الغرفة ومد يده ليختار إحداها، إذ بعصا تثب إليه فتصير في يده، فخرج بها فنظر إليها سيدنا شعيب وقال: ردها وخذ غيرها، فردها موسى، ثم أراد أخذ غيرها فوثبت إلى يده، فعل ذلك مراراً وشعيب يقول له ردها. فقال له موسى: قد رددتها وكلما فعلت ذلك وثبتت حتى تصير في يدي، فعلم سيدنا شعيب أن ذلك أمر يريده الله فقال له خذها.

أيها السادة

تعالوا معي نر ما هذه العصا وما ميزاتها فإن أكثر العلماء على أنها من أس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى، وكانت ذات شعبتين وبعض أسنان الحديد في أسفلها، وكان موسى إذا دخل مغارة ليلاً تضيء شعبتها بمد البصر، وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فيرتفع الماء ويفور من قعر البئر فيستقي بها، فإذا نزعها عاد الماء إلى قعر البئر، وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق، وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبداله فيه طريق منفرج، وكانت تقاوم أعداءه عنه، وكان إذا تاه عن الطريق انطقها الله تعالى فتقول له العصا: خذ جانب كذا وكذا، وكان إذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومخلاته ومقلاعه وكساءه

وطعامه وشرابه، فعرف سيدنا موسى أن في تلك العصا قدرة، وعرف أن لها شأنًا وأي شأن فهذه مآرب موسى فيها.

ثم قَدَّم شعيب لابنته مقابل السنوات العشر، التي هي المهر، قدم لها كل شاة تلد بقاء (ملونه) في ذلك العام، فلما أوردتها سيدنا موسى الماء جاء الأمر الإلهي أن يضرب الماء الذي تستقي منه الأغنام، فوقف بإزاء الحوض وضرب الماء وسمى الله تعالى عليها. فإذا بجميع الغنم التي كانت تلد مرة تلد مرتين غنماً بقاءً ملونة بإذن الواحد الديان.

ثم ساق سيدنا موسى كل ذلك الغنم وسار بجوار البحر الميت اليوم متوجهاً إلى مصر، وحين وصل إلى طور سيناء في ليلة باردة مظلمة، أضاعوا الطريق، وهناك جعل موسى يريد أن يشعل ناراً ليدفئ أهله ورعيانه فلم يستطع، فبينما هو كذلك إذ أبصر من بعيد ناراً تأجج في جانب الطور. فقال لأهله: ﴿إِذْ رَأَيْنَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ إِنِّي كُنتُ مِنْهَا بَقِيَّةً أَوْ أجد على

النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ طه: ١٠ وهذا كله سبب لينال موسى المكانة والحظوة عند الله بسماع كلامه القديم.

معشر السادة الكرام

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار فلسطين الأسيرة فك الله أسرها، وبالذات أقف بكم على جبل الطور في سيناء بجوار وادٍ اسمه طوى، وأرى شجرة ترف أوراقها الخضراء عن يمين نبي الله موسى، رآها شجرة تضطرم تحتها النار وتأجج وكلما اضطربت زادت خضرة تلك الشجرة ولمعت أنوارها من خلال النار، فوقف موسى متعجباً من هذا المنظر البهيح، وهناك من تلك البقعة المباركة من الشجرة سمع صوتاً أتاه من كل النواحي لم يسمعه

بأذنه فقط ولكنه سمعه بكل جزيئة من جزيئات جسمه، سمع صوتاً ما سمع مثله من قبل صوتاً ناداه:

﴿إِنِّي أَنَارُبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١٣) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) طه: ١٢ - ١٤

افهموا هذه القضية الإيمانية إن الله لما كلم نبيه أزال الحجاب بينه وبين كليمة حتى أدرك كلامه القديم بجميع أعضائه من جميع الجهات ثم رد عليه الحجاب، وليس المعنى أنه كان ساكناً ثم تكلم ولا أنه انقطع كلامه بعد أن رد عليه الحجاب، لأن كلامه تعالى قديم باق لا ينقطع، احفظوا هذه القضية الإيمانية تماماً: كلام الله تعالى قديم باق لا ينقطع، ولا تقولن كيف سمع موسى كلام الله تعالى القديم، اسمع الجواب بهذا الأثر الوارد فإن مولانا قال لسيدنا موسى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعتني، وعشرة آلاف لسان حتى كلمتني وأقرب ما تكون مني وأحب ما تكون إلي إذا صليت على حبيبي محمد (ﷺ).

وخر سيدنا موسى على الأرض من شدة خشية الله تعالى ومرت عليه الدقائق وكأنها ليست من الدنيا، وحين أصابت موسى الجلالة والمهابة خاطبه مولانا مؤنساً له وراحماً ضعفه قال: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ﴾ (١٧) طه: ١٧ لَمَّا هَذِهِ هِيَ عَصَاكَ الَّتِي تُعْرِفُهَا مِنْذُ صَحْبَتِهَا ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (١٨) طه: ١٨ بل هذه عصاي التي أعرفها وأتحققها، وجاء الأمر الإلهي ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ﴾ (١٩) فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ طه: ١٩ - ٢٠ بإذن الله القادر المقتدر.

كانت صغيرة على حجم العصا ثم تورمت وانتفخت حتى صارت ثعباناً عظيماً في سرعة الجان وهي بنت الحية، وصارت شعبتها شديقين لها، وعليها عرف يهتز ويلمع وعيناها تتقدان كالنار.

إنه ليس تخيلاً ولا وهماً ولا سحراً بل حقيقة وأمر خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الله رب العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون.

وهرب موسى من هول مارأى، وماذا رأى اسمعوا البيان الإلهي ﴿ فَلَمَّا رَآهَا

نَهَزَتْ كَأَنَّهُا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ القصص: ٣١ (ولم يلتفت). ونداه مولانا

﴿ يَمْسُخْ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ القصص: ٣١ ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ طه: ٢١ ونقدم موسى إلى الثعبان فما هو إلا

أن وضع يده على ذنبها حتى عادت عصا بإذن الله، وكانت الحكمة في أمر الله تعالى إياه بإلقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون.

ثم أتى البرهان الثاني والمعجزة الثانية: إن الله أمره أن يدخل يده في جيب

صدره الأيسر: ﴿ أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدَاكَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ القصص: ٣٢

فأخرج موسى يده فإذا هي تتلألأ ولا برص ولا أذى فيها فهابها موسى، فقال

له مولانا ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ القصص: ٣٢ ضع يدك على

فؤادك وأعد يدك تسكن رهبتك وتعود كما كانت. ثم زوده مولانا بتسع آيات

إلى فرعون لأنه طغى وجاوز الحد في العصيان والتمرد، قال له: يا موسى

اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتني وإنك بعيني وسمعي وإن معك

يدي وبصري، وإني ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمر بعثتك

إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقي، وأنكر

أمركم شيئاً، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يتحرك إلا بعلمي وبأمرى، أنا معكما بحفظي ونصري وتأبيدي.

معكما بذاتي وصفاتي، معكما أسمع وأرى، سمع وبصر ليس كسمع وبصر المخلوقات لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

سميع بصير: سمع وبصر قديمان ليس كسمعنا وبصرنا المخلوقان، مولانا يسمع ويبصر بدون آله ولا أذن وجارحة ولا حدقة لأنه تعالى ليس مجسماً ولا مركباً، (وحدوا الله).

أيها الإخوة الكرام

وحين رد الله الحجاب بينه وبين كلمه نظر موسى إلى الجبل فإذا هو قد صار ياقوته من عقيق، وألبس موسى حلة نور وشيعته الملائكة.

نزل إلى أسفل الجبل فوجد أهله قد أخذهم الرعيان وعادوا بهم إلى سيدنا شعيب لما تأخر موسى، وكان قد بقي فيه سبعة أيام والله أعلم.

فإلى أين اتجه سيدنا موسى؟ هل اتجه إلى تنفيذ الأوامر الإلهية أم اتجه إلى شعيب ليبشره بالبشارة ببعثه نبياً ورسولاً؟ ما هي الأحداث الهامة التي جرت له ولأخيه سيدنا هارون؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

المناظرة ومعركة السحرة - ٣٩ -

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصابيح، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح،
الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب
المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحان من لا يساويه أحد في
الأرض ولا في السموات. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على أفضاله ونعمه
السابغات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى
الدرجات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً وأوضحها بياناً وأعلاها مقاماً وأحلاها كلاماً وأوفاها ذماماً، فأوضح الطريقة ونصح الخليقة وشهر الإسلام، وكسر الأصنام وأظهر الأحكام وحذر الحرام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام، وسلم تسليمًا.

معشر السادة الكرام:

مازلنا ننزل ضيوفاً على نبيين ورسولين من رسل بني إسرائيل هما سيدنا موسى وسيدنا هارون، سيدنا هارون الذي أتته الرسالة بناء على طلب سيدنا موسى، فقد أوحى الله إلى أخيه هارون ليبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون.

إننا . أيها الأخوة مع الحلقة التاسعة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أستعرض على حضراتكم موجز الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الشعراء:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ ۝ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُؤُا لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۝ (١٣) وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ (١٤) قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا بَيَاتِنَانِ ۖ إِنَّآ مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ۝ (١٥) فَأَتِيََا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ (١٧) ﴾ الشعراء: ١٠ - ١٧

ونزل سيدنا موسى من على جبل الطور فوجد أن أهل بيته قد عادوا مع الرعيان إلى سيدنا شعيب في مدين . فتركهم وتوجه تلقاء مصر فأتاها ليلاً ونزل ضيفاً على أمه وأخيه اللذين لم يعرفاه من شدة النور الذي كان في وجهه، وضمت الأم ولدها إلى صدرها وأسرعت كلثم أخت موسى فضمت

أخاها أيضاً وفرحت به، فدعاهما إلى الإيمان بالله تعالى فآمنا مباشرة، وحين علمت الأم أن ولداها قد أرسلوا إلى فرعون الطاغية صاحت صيحة خوف ووجل على ولديها، لكنهما طمأنأها بأنهما مؤيدان من قبل الواحد الأحد الذي لا يخشى أحداً.

وكان تنفيذ الأمر الإلهي فورياً لم يتأخرا ولم يبطئاً فانطلقا ليلاً والتمسا الدخول عليه وسألها بواب القصر: من أنتما؟ فقالا: قل لفرعون إنا رسولا رب العالمين. ففزع البواب ودخل على مولاه. وقال له: إن ههنا مجنونان يزعمان أنهما رسولا رب العالمين. قال: أدخلهما.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى مصر إلى مقر فرعون الذي أرغى وأزبد وجن جنونه وأيقظ من في القصر جميعاً حتى زوجته السيدة آسية بنت مزاحم، وقامت قائمة القصر عندما وضع موسى رجله على أول درجة منه وما أن صعداها حتى بدأ يلهج بالدعاء وقال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهن ورب العرش العظيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكففه بما شئت. فلما نطق موسى بهذه الكلمات النورانية تحول مافي قلبه من

الخوف أمناً وطمأنينة، وصدق الله العظيم ﴿ أَلَا يَنْكُرُ ٱللَّهُ تَطْمِئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨)

﴿الرعد: ٢٨﴾

معشر السادة

وأقبل الجبار الطاغية وسيما الغضب على وجهه، وراح فرعون يتأمل خصمه حتى عرفه فقال له: ألسنت أنت موسى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْتَى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ الشعراء: ١٨ - ١٩ (الآن تخرج عن ديننا وتكفر بنا) فقال سيدنا موسى مباشرة: ﴿٢١﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (المخطئين) ﴿٢٢﴾ فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٣﴾ الشعراء: ٢٠ - ٢١

ثم نعطف على فرعون يقول له: ﴿٢٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٥﴾ الشعراء: ٢٢ هذه النعمة التي ذكرت من أنك أحسنت لي وأنا رجل واحد مقابل ما اتخذت منهم عبيداً تنتزع أبناءهم من أمهاتهم، تترك من شئت وتقتل من شئت. هذا ما نسميه بالفطنة التي يتصف بالمرسلون: (الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة) وهي إقامة الحجة على خصوم الدعوة ومجادلتهم وقمعهم، وإليك هذه المناظرة التي جرت بين موسى وبين عدو الله فرعون أذيعها على حضراتكم من سورة الشعراء:

﴿٢٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ الشعراء: ٢٣ - ٢٨

وعلى الموجات العاملة من سورة طه جانب آخر من هذه المناظرة التي قطع فيها موسى حجة فرعون الواهية فما هي هذه الحجة التي ذكرها فرعون وكيف كان رد كلیم الله عليهم، اسمعوا بعد أن توحدوا الله تعالى:

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ ﴾ طه: ٤٩ - ٥١ هذه حجة فرعون التي لا أن يظهر

موسى بأنه عاجز عن الإجابة عن هذا السؤال، لأن فرعون قال لموسى: إذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي للخلائق لما قدره، وأنت تقول بأنه لا يستحق العبادة سواه، فلم عبد الأولون غيره وأشركوا به من الكواكب والأنداد ما قد علمت، فهلا اهتدى إلى ربك القرون الأولى، واسمعوا كيف أزال موسى هذه الشبهة التي لاحتج بها فرعون قال له موسى ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ طه: ٥٢ إن الأولين وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك، ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة كفره مثلك، وكل شيء فعلوه في الزبر، وكل صغير وكبير مستطر وسيجزئهم على ذلك رب البشر الذي لا يضيع مثقال ذرة، لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل ولا ينسى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ﴾ طه: ٥٣ - ٥٤ هذه هي الحجة البالغة القاطعة التي آتاها الله رسله الكرام على خصومهم ولهذا علينا أن نشهد لهم بالفطنة كما أنه علينا أن نحفظ أن صفاتهم الواجبة الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة.

معشر السادة الكرام

ورفض فرعون أن يقتنع بالدليل العقلي الذي جاءه به سيدنا موسى فقال له ﴿ أُولَؤُاْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الشعراء: ٣٠ تعرف به صدقي ولأنك من الكاذبين قال فرعون ﴿ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الشعراء: ٣١ وهنا

لَقِيَ سَيِّدَنَا مُوسَى أَوَّلَ مَعْجَزَتِهِ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٢﴾ الشعراء: ٣٢ فتح فمه واضعاً أسفل فمه على الأرض ورأسه تحت أقدام فرعون، فذعر الناس ووثب الإله المزعوم عن عرشه وبال بثوبه لساعته، إله يبول من شدة الذعر وهو لا يصدق ما يرى، وامراته على طرف باب القاعة ترقب ما يجري، لما رأت هذا المنظر صرخت: أشهد أن إلهك حق يا موسى فماذا عن الإله المذعور الذي ملأ البول سرواله؟ هاهو ينادي ويصيح: يا موسى أنشدك بربك وحرمة الرضاع إلا أمسكتها عني، فمد سيدنا موسى يده إلى الثعبان وأمسكه من بين شذقيه فانقلب عصاً بإذنه الله تعالى.

وانهار فرعون على كرسيه، وظن موسى أنه قد استسلم هو وحاشيته ووزيره هامان لكن الإله المزعوم بقي عنده ذرة من شك، فلما رأى موسى الشك عنده نزع يده من صدره فإذا هي بيضاء للناظرين، ولها نور تكل عنه الأبصار وتضيء ما حولها حتى لم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردها إلى جيب صدره، ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول.

وهنا همَّ فرعون بتصديقه غير أنه نظر إلى هامان يستشيريه فقال وزير السوء: يا مولاي قد كان ظني بك خيراً من هذا بينما أنت إله تعبد إذ أنت تصير تابعاً لعبد، فاطلب منه مهلة نفكر بالأمر.

فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغداً فقال سيدنا موسى إن ربي أوحى إليّ أنك إن آمنت به وحده عمّرتك في ملكك ورددتك شاباً طرباً وأبقيتك حاكماً للبلاد. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿٤٧﴾ طه: ٤٧

معشر السادة:

قضى فرعون ليلته وهو يفكر بكلام سيدنا موسى، وكلما بدا له تصديقه نفخ فيه وزير السوء وجعله يعدل عن اقتناعه، فقال فرعون ولكنه وعدني أن يردني

شاباً طرياً فقال هامان: أنا أردك شاباً. فأتى له بصباغ فخضب شعره بالسواد. ثم اتفقت كلمة الكفرة على أن يتهموا موسى بالسحر بما جاءهم به، وهذا الاتفاق سطره مولانا في كتابه على موجات سورة الشعراء ﴿قَالُوا أَزِجُّهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ الشعراء: ٣٦ - ٣٧. وحين دخل سيدنا موسى عليه ابتدأه فرعون بقوله ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٥٧﴾ طه: ٥٧. ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ (الذي تدعوننا إليه) ﴿فِي آبَاءِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ القصص: ٣٦.

وهنا ألبه موسى فقال: ﴿رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِیْهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ القصص: ٣٧. قال فرعون: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ﴿٥٩﴾ طه: ٥٩. معشر السادة الكرام

اختار سيدنا موسى المناظرة مع السحرة في يوم الزينة، وكان عيداً من أعيادهم ومجتمعاً لهم، واختار الوقت وقت اشتداد ضياء الشمس، ليكون الحق أظهر وأجلى، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجمع قد غادروا البيوت، ولا في الظهرية فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية.

وجاء اليوم الموعود، وهنا سترى العجب: من كان الله معه لا يخيب سعيه، من كان الله معه لا يضل سؤله، من كان الله معه لا تنزل قدمه، من كان الله معه قال له الله تعالى أنا سمعك الذي تسمع به وبصرك الذي تبصر به ولئن سألتني لأعطينك ولئن استتصرتني لأنصرك.

معشر السادة:

إن السحرة قبل أن ينزلوا إلى الميدان إذا برئيس السحرة يقول لأتباعه: ليذهب أحدكم إلى هذا الذي معه العصا، ويسرقها منه، فإن استطاع أن يسرقها منه فهو ساحر، وإن لم يستطع أن يسرق العصا فهو نبي مؤيد بالحق من ربه.

إن سيدنا موسى نائم الآن في ليلة سيكون لها ما بعدها، وإذا بأحد السحرة يقترب منه وبجانبه عصاه، إنها ليست عصا من الأبنوس أو كعصا الماريشالية، إنما هي عصا كعصا الرعاة إلا أن الله أودع فيها الإعجاز لأن هذا السارق للعصا لما حاول أن يسرقها انقلبت العصا ثعباناً فجرى أمامها الساحر، ورفع تقريره إلى سيده فقال سيده: أيتها السحرة إن هذا نبي فإذا ما ألقى عصاه غداً فلا بد أن نؤمن بربه مهما كان الثمن.

{وجاءت سحرة فرعون}

إن موسى وهارون يقفان الآن وحدهما أمام آلاف الجماهير وأمام السحرة المهرة الذين احتشدوا في هذا الميدان، هذه الآيات أنقلها لحضراتكم من الموجات العاملة في سورة الأعراف:

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ١١٣ قَالَ نَعَمْ

وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ الأعراف: ١١٣ - ١١٤ وهنا نقم سيدنا موسى

إلى السحرة وراح يجرهم عن تعاطي السحر الباطل ﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ ١١٦ طه: ٦١

فاختلف السحرة فيما بينهم وقال عنهم مولانا: ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا

النَّجْوَى ﴾ ١١٧ قَالُوا إِنَّ هَٰذِهِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا

بَطْرِيقَتِكُمُ الْمَثَلِ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ طه: ٦٢ - ٦٤

وبدأت المباراة الحاسمة فعلى الموجات العاملة في سورة طه:

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿٦٥﴾ طه: ٦٥

أنكرهم. أيها السادة. إنا الآن في وقت الضحى، ﴿فَالْقَوَىٰ جَاهَتُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ

وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ الشعراء: ٤٤ أقسموا بعزة من لا عز

له، أما مولانا فقد وصف حال موسى وشأنه فقال: ﴿فَإِذَا جَاهَتُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ

إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ ﴿٦٦﴾ طه: ٦٦ ووصف الله حل النلس وشأنهم قال ﴿

سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْثَرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١٦﴾ الأعراف: ١١٦

ذلك أن السحرة وعددهم اثنين وسبعين ساحراً لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها الزئبق ليوهموهم بالحركة، فالسحر لا حقيقة له إنما هو تخیلات في الحواس وأوهام في القلب، السحر لا يقلب حقائق الأشياء، لذلك هناك فرق بين المعجزة وبين السحر، أريدكم أن تفهموا اليوم هذه القضية الإيمانية نحن أمام خوارق سبع:

أولها، المعجزة تقلب حقائق الأشياء هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ليبرهن الرسول على صدق دعواه.

وثانيهما الارهاص تظهر قبل النبوة كتظليل الغمام وسلام الشجر والحجر على نبينا الأعظم ﷺ .

وثالثها الكرامة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح وهو الولي الذي يواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي.

ورابعها: المعونة وتظهر على يد العوام المستورين تخليصاً لهم من شدة.

خامسها: الاستدراج تظهر على يد فاسق أو كافر خديعة له ومكراً وإهانة.
سادسها: الإهانة وتظهر على يد العبد تكديباً له كما فعل الله بمسيلمة الكذاب، جيء إليه بأعور وقيل له إن محمداً تفل بعين أعور فأبصر، فتفل مسيلمة الكذاب في عين الأعور لتبرأ فعميت عنه الصحيحة.

سابعها: السحر وهو فعل أشياء أو تخيلها بطلاسم موهمة وهو فسق أو كفر، ومنه الشعوذة وهي خفة اليدين بحيث يظهر الشيء حقيقة وليس كذلك، تبقى العصا عصا والحبال هي الحبال ولكن يخيل إلى من ينظر إليها أنها تسعى ولذلك سمع إلى قول مولانا عز وجل ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ الأعراف: ١١٦ العيون ترى الأشياء وكأنها هي والحقيقة أنها أوهام ولذلك سيدنا موسى قال كلمة عندما رأى ما فعلوا اسمعوها:

﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهَ السِّحْرِ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨١)

﴿ يونس: ٨١

فماذا كان بعد أن امتلأ الميدان بحبال السحرة وعصيتهم، ما هي الحالة النفسية لسيدنا موسى، إن مولانا قال عنه:

﴿ فَأَوَجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ طه: ٦٧ ﴿ قَالَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ الْخَوْفِ

وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ طه: ٦٨

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة: ٤٠ ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا ﴾ غافر: ٥١ الله أكبر لو أن رجال اليوم يتمنعون في هذا الكلام ويفهمونه ويعلمون أن من ينصر الله ينصره. ليسمع هؤلاء إن رب العالمين خاطب موسى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ (٦٨) ﴿ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا

صَنَعُوا كَيْدًا سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ ﴿٦٦﴾ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٧﴾ طه: ٦٨-٦٩ لم يقل له ألق

عصاك، بل قال: ألق ما في يمينك، ولا تعجب إذا كان ما في يمينك عصى فإن العصا إذا نظر الله إليها بعين العناية حركت الجبال وسيرت العوالم.

وإذا استمعنا إلى موجات سورة الأعراف: ﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ الأعراف: ١١٧ تنبئ كل ما وضع لملها من

العصى والجبال، ﴿١١٩﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا

صَغِيرِينَ ﴿١٢١﴾ الأعراف: ١١٨ - ١١٩ وتأملوا كلمة وقع، فإن نتيجته مذهلة،

اسمعوا النتيجة:

﴿١٢٢﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَيْنَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ

﴿١٢٥﴾ الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢

إنها عظمة الله، نور الله يجعل الكافر ولياً، لو اعتمدنا على الله وتوكلنا

على الله وسرنا وراء سيدنا محمد رسول الله ﷺ لهدانا الله ولزالت الغمة عن

هذه الأمة من شرقها إلى مغربها وفتحنا العالم أجمع.

ألقي السحرة ساجدين، لمن؟ لفرعون؟ لا، بل لرب العالمين، رَبِّ مَنْ؟ رَبِّ

موسى وهارون، إن الإيمان أيها الشباب إذا باشرت بشاشته شغاف القلب يفعل

الأعاجيب، كانوا أول النهار كفاراً سحرة فأمسوا آخره شهداء بررة.

﴿١٢٦﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴿١٢٧﴾ فِي سِوَةِ طه والشعراء.

وفي الأعراف: ﴿١٢٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمْ فِي

الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾ الأعراف: ١٢٣

وفي الشعراء: ﴿١٣٠﴾ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿الشعراء: ٤٩﴾

وفي طه: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ
وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ ﴾ طه: ٧١ قل: آمنتم به...
آمنتم له. آمنتم به: أي صدقتم بما جاء به. آمنتم له: استسلمتم له وخضعتم لما رأيتم
منه. آمنتم له قبل أن آمن لكم: وهل الإيمان يحتاج إلى إن؟!!

فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف: يد يميني ورجل يسرى. فماذا قال السحرة؟
كانوا في الصباح يقولون: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، وقبل أن تغيب
الشمس في رحاب الأفق ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ
مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ﴾ ٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ ﴾ طه: ٧٢ - ٧٣
﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ ﴾: قسم.

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ ﴾: لا تقتصر على قطع الأيدي والأرجل، افعل ما تشاء
﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ﴾ (تعيش هذه الحياة الدنيا الحقيرة).
﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۚ ﴾
ولنا قلت: ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ ﴾ طه: ٧١. فحق قولك:
﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ ﴾

كانوا في الصباح سحرة كفرة، وقبل غروب الشمس أمسوا شهداء بررة،
وانتهت المباراة، وانتصر الحق وبطل ما كانوا يعملون.

معاشر السادة:

أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس
فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

برسالة سيدنا موسى

- ٤٠ -

الحمد لله رب العالمين الذي رفع منازل المخلصين. وتجلّى بالرضوان على المطيعين والمحسنين، أحمده حمداً المنيبين إليه وأشكره شكر المعتمدين عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ البينة: ٥

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرسل رحمةً للعالمين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين،

وسلم تسليماً.

أما بعد:

كانت المباراة الإيمانية التي جرت بين فريق الإيمان الموسوي وفريق القبط

الفرعوني لها أكبر الأثر في إيمان بني إسرائيل، وخاصة بعد إيمان السحرة،

ولم يؤمن من القبط إلا ثلاثة السيدة آسية بنت مزاحم زوجة فرعون،

وماشطتها، ورجل من حاشية الملك، آمنوا سرّاً ولم يعلنوا ذلك أمام أحد، وأما بقية القبط فلم يزدهم ذلك الموقف إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق، بل إنهم حينما رأوا غلبة موسى على السحرة عقد فرعون معهم اجتماعاً طارئاً جمع فيه زبانيته ومستشاريه.

معشر السادة:

إننا مع الحلقة الأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مصر التي بدأت المعارك الإيمانية تدور في ساحاتها. ثم انتقل بكم إلى مقر فرعون الذي أرى الاضطراب بادياً على محيا الإله المزعوم، وأرى وزير السوء هامان ينفخ فيه هو وحاشيته، واسمعوا نفخات إبليس من الحاشية سطرها القرآن الكريم على الموجات العملة من سورة الأعراف: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ^٤ (وعبادتك) قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٧

واسمعوا كيف انقلب الطاغية واعظاً ومنكراً: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ^٥ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ غافر: ٢٦

وهنا برز من بين أعضاء الاجتماع الطارئ رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه خوفاً منه على نفسه، فلما همَّ فرعون لعنه الله بقتل موسى وعزم على ذلك وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى، فتلطّف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب على وجه المشورة والرأي، واسمحو لي أن أعرض على حضراتكم هذا الموقف الإيماني الذي يشع من جنباته الإخلاص

في الدعوة إلى دين الله تعالى، اسمعوا كيف يخاطب الداعية الطواغيت والمتجبرين: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨) يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ (أي عالين على الناس حاكمين عليهم) فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢٩) غافر: ٢٨ - ٢٩ يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزهم، لأن الذي ينصر الدين هو الله، وكل حاكم يحاول أن يمس دين الله بسوء سلبه الله تعالى حكمه وملكه كما وقع تماماً لفرعون.

وانتبهوا معي إلى هذه النبرة الجميلة الهادئة لمؤمن آل فرعون:

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٣٨) يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤٠) وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ﴾ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٤) غافر: ٣٨ - ٤٤

هذه النبرة الهادئة لمؤمن آل فرعون جعلت فرعون يلتفت إلى وزيره هامان،
 فلماذا طلب منه فرعون؟ اسمعوا الطلب وتعجبوا منه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكْفُرُ ابْنُ لِي
 صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ (أبوابها) فَأَطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي
 لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧

هكذا انفض الاجتماع الطارئ على أن يبنى الوزير قصرًا منيفاً مرتفعاً من
 الآجر المشوي بالنار، وانتبهوا إلى هذه القضية:

إن فرعون لما ادعى الربوبية واعتقد الجهة لله تعالى قال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَكْفُرُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾
 غافر: ٣٦ - ٣٧ فماذا كان رد ربك على هذا السفیه صاحب الرأي السخيف؟
 رد عليه فقال:

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ ﴾ غافر: ٣٧

وقبل أن ألج معكم سرادقات الزمن الممتد إلى الماضي أريد أن أطرح عليكم
 قضية إيمانية تتعلق بهذا الموقف الذي وضع فرعون نفسه فيه فادّعى أن الله
 جهة وأن جهته في السماء، وهذه القضية قضية حصر الإله في جهة ليست
 جديدة لأن بعض الناس اليوم أسرفوا على أنفسهم فخاضوا في هذا القول، وأتوا
 في حديثهم بما لم يأذن به الله، وأتوا بألفاظ غامضة تحتل الكفر والإيمان
 لأنهم تصوروا الذات الإلهية جسماً له جهة، وراحوا يستدلون على رأيهم الفاسد
 بظواهر آيات من القرآن، بل إنهم أضلوا الناس ونقلوا لهم أن الله في السماء،
 وأنه يشار إليه بالبنان، وأسندوا ذلك إلى سلفنا الصالح وخيلوا إلى الناس أنهم
 سلفيون، وأن لمولانا من الجهات الست جهة فوق بل صرح بعضهم أنه في
 السماء حقيقة، تماماً كما ظن فرعون الطاغية، وأما عقيدتنا فهي أن الله تعالى

لا يحل في مكان، وليس محتاجاً إلى زمان، ولا متحيزاً بجهة، فلو وجب اختصاصه تعالى بالجهة لكانا محتاجاً إليها، وذلك يقدر في كونه تعالى غنياً عن كل شيء يفتقر إليه كل شيء.

إن العلم يحدثنا أن الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحت بالنسبة لجهة الكرة الأرضية تحتنا، ولذلك رد الله على الجهمية فقال ﴿

فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ البقرة: ١١٥

واسمعوا معي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول: من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر، لأن هذا يوهم أن للحق سبحانه مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبهه. أيها السادة:

انتقل بحضراتكم الآن إلى غرفة أخرى في قصر فرعون، إلى موقف إيماني آخر أعرضه عليكم لأهميته إنه مشهد بسيط نراه في بيوتنا مرات ومرات، ولأننا مؤمنون والله الحمد لا نلتفت إلى مغزاه الإيماني، أرى بنت فرعون وماشطتها تمشط لها شعرها، فيقع المشط على الأرض، فتمد الماشطة يدها إليه لترفعه على الأرض وتقول: بسم الله.

إنها كلمة عظيمة ذات مدلول كبير لكننا لا نلتفت إليه كثيراً لأن الإيمان شعشع في جوانب حياتنا . والله الحمد . أما ابنة فرعون فقد انتبهت للمعنى، وما هو هذا المعنى، إن نبينا الأعظم ﷺ دلنا على هذا المعنى فقد روي: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أتر أو أقطع أو أجزم » (الخطيب - الرهاوي بسند ضعيف) والمعنى على كل الألفاظ أنه ناقص وقليل البركة، إن قلناها في نحو الأكل انتفى قلة انتفاع الجسم به، وإن قلناها في نحو القراءة دلت على انتفاع القارئ، وإن قلناها في نحو التأليف انتفى قلة انتفاع

الناس به، وهكذا وروي أنها لما نزلت هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بأذانها، ورجمت الشياطين، وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على مريض إلا شفاه، ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه.

وعدد حروفها تسعة عشر حرفاً، وعدد خزنه جهنم تسعة عشرة خزاناً قال ابن مسعود: فمن أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشرة فليقرأ البسملة، فيجعل الله له بكل حرف منها جُنة من كل واحد منهم فإنهم يقولونها في كل أفعالهم وبها قوتهم.

قال بعضهم: معاني كل الكتب التي أنزلت مجموعة في القرآن، ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة، ولهذا سميت أم الكتاب، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها أتعرفون ما معناها، معناها: بي كان ما كان وبني يكون ما يكون، ثم قالوا: ومعاني الباء في نقطتها ومعنى النقطة: أنا نقطة الوجود المستمِدُّ مني كل موجود (أسمعوني توحيد الله)، لذلك قال سيدنا علي: لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من بسم الله الرحمن الرحيم حَمَلٌ سبعين بعيراً (١).

ويكفي أن الله تعالى ابتداء كتابه بها، وأن رسول الله ﷺ كان يصدر رسائله إلى الملوك بها.

وورد: من أراد أن يحيا سعيداً ويموت شهيداً فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم.

وهكذا -معشر السادة- مَدَّتِ الماشطةُ يدها إلى المشط وقالت: بسم الله لتموت شهيدة في سبيل الله، فكيف حدث ذلك؟

إنني مازلت أنقل لكم الأحداث الإيمانية من قصر فرعون الطاغية، وفي حجرة الزينة بالذات أرى الماشطة وإلى جوارها ابنه فرعون وعلى وجهها سيماء الاستفهام، سألت ماشطتها: تقولين « بسم الله » تعنين به أبي؟ قالت الماشطة: لا، بل ربِّي وربَّك وربَّ أبيك!! (صحيح).

وما هي إلا ساعات قليلة حتى وصل التقرير المفصل ووضع على طاولة فرعون الطاغية، فنظر فيه وغلا الدم في عروقه فاستدعى الماشطة على جناح السرعة، ووجه إليها سؤالاً واحداً، اسمعوه، قال لها: من ربك؟ فقالت الماشطة بثبات وإيمان: الله ربي.

قال لها: أولك ربُّ غيري؟

قالت الماشطة: ربي وربُّك الله.

وتعالى صراخ الطاغية، فأرغى وأزبد، ودعا بتتور من نحاس، فأحمى حتى صار جمرًا ملتهباً يغلي فيه الماء كغلي الحميم، وهدد الماشطة بإهلاك أولادها إن هي لم تعد عن كلمتها، ولكنها ثبتت، فراح يلقي أولادها أمام عينيها، وكلما ألقى واحداً راودها علترك الإيمان، وهي لا ترضى حتى جاء دور طفلها الأخير الرضيع، فلما رفعه ليلقيه في الماء المغلي ترددت الماشطة واضطربت، فإذا بالقادر المقتدر ينطق الطفل الرضيع ويقول: يأمأه! إياك أن تتردد، قعي ولا تقاعسي (ولا تتأخري) فإنك على الحق) الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

وجاء دور المرأة المؤمنة سألتها فرعون: ماهي أمنيته الأخيرة؟ فقالت: أمنيته هي أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفننا معاً حتى نبعث يوم القيامة معاً. ونظر إليها فرعون للمرة الأخيرة، امرأة ثابتة على مبدئها وعقيدتها، هل لهذه مثيلة في النساء، أروني أمثالها، لتسمع الأمهات، لتسمع

اللواتي تَرَكَنَّ العفة والطهارة ومشينَ سافرات في الطرقات، إن الماشطة وأولادها أعطونا درساً نادراً في الثبات على العقيدة والدين.

فماذا فعل فرعون؟ لقد نفَّذَ فرعون رغبتها فدفنها مع أولادها في حفرة واحدة، أتعرفون هذه الحفرة التي دفنت فيها مع أولادها، هذه البقعة مرَّ عليها الحبيب المصطفى في ليلة الاسراء والمعراج فشم رائحة أطيب من ريح المسك (ه: ض)، إنها رائحة الموحدين، إنها رائحة المؤمنين، إنها رائحة كل مسلم في المأ الأعلى إلى يوم الدين، قال يا أخي يا جبريل: ما هذه الرائحة الطيبة المسكية فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. يا سعد من وحد الله، يا سعد من صلى على مصطفىاه.

معشر السادة:

إلى هنا لم تنته المواقف الإيمانية، فمازلنا في قضية التمسك بالعقيدة والدين، مازالت المشاهد تتابع:

أولاً: السحرة وإيمانهم.

وثانياً: ثبات الماشطة:

وأما المشهد الثالث فهو فريد من نوعه لم نره إلا مرة واحدة، لأن صاحبه هي سيدة مصر الأولى السيدة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. إنه مثل ضربه الله لكل إنسان يحمل فكرة خيالية أو عقيدة فاسدة فإذا بأهل بيته وأولهم زوجته ترفض الإيمان بفكرته وترفض الإيمان بعقيدته، لقد ذكر لنا التاريخ بعد فرعون أن جميع الذين دعوا إلى هتك الحجاب ونزعه عن رأس المرأة المؤمنة، جميع الذين دعوا إلى هذه الفكرة الضالة كانت نساؤهم محجبات لم يكشفن عن رؤوسهن منهم سعد زغلول، وقاسم الأمين ، والوطواط. إن امرأة فرعون لما رأت ما حلَّ بماشطتها حين صعدت روحها إلى الله تعالى، لم تحتل هذا

الموقف الإيماني الثابت، فصرخت في زوجها قائلة: ويلك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى.

فنظر إليها الإله المزعوم وهو لم يَنْفُضْ بَعْدُ يديه عن جاريتها، فقال لها: ماذا قلت؟ وهل اتخذت إلهاً غيري. (يا كذاب لو عبدك أهل أرض جميعاً أتكذب على نفسك وتقول هذا، إذا كنت قد كذبت على شعبك أفتكذب علي أنا زوجتك؟ قد جالستك وواكلتك ورأيت شهوتك وحاجتك، إن الإله لا يأكل ولا يشرب، إن الإله ليس بجسم ولا له أعضاء فلا تدّعي أمامي الألوهية لأنني عرفتك حق المعرفة (على هامان يا فرعون، على زوجتك يا فرعون) إذا كذبت على جميع الناس فإنك لا تستطيع أن تكذب عليّ (خَيْرُكَ وعجنتك ورأيت أعلاك وأسفلك)، وأما موسى فإنني أعرفه ربيته في حجري، وضممته إلى صدري، وشاهدت أنوار نبوته في قلبي، ولأجل ذلك اتخذته ولدي، وأنا اليوم أتخذه نبياً ورسولاً من ربي عز وجل.

وكنمت إيماني لخوفي من بطشك إلى أن رأيتُ ما فعلت بالماشطة وكيف عذبتها فصبرت ولم ترجع عن الإيمان حتى جادت بأنفاسها الأخيرة وأما اليوم فلا أخاف بطشك، ولا أرهب قوتك فاصنع ما بدا لك فلقد أحبيته لقاء ربي عز وجل.

هكذا كان لسان حال الزوجة المؤمنة، فاستدعى فرعون أمها لتحاول إقناعها بالردة عن الدين، ولكن بدون فائدة، فبدأ معها سلسلة من طرق العذاب الجسدي عذبها بالحديد المحمى، وضربها بالسياط وهي ثابتة تتادي وتقول: لا إله إلا الله.

فأمر فرعون الطاغية فزُيِّطت يداها ورجلاها إلى أوتادٍ أربعة، ولهذا سمي فرعون بذي الأوتاد، ووضعوا على صدرها صخرة عظيمة تحت حر الشمس

المحرقة، وهي ثابتة على عقيدتها لا يتزحزح إيمانها قيد شعرة، ومر على هذا المشهد الرهيب المؤثر كليم الله موسى فرآها على هذه الحالة فتأثر أشد التأثر، فصبرها ووعداها الجنة. وهنا فتحت المرأة عينيها، ربما لآخر مرة فرأت سيدنا موسى، وبصعوبة شديدة حركت يدها المربوطة وكأنها تطلب من موسى أن يدعو الله لها أن يخلصها مما هي فيه وأن يثبتها على الإيمان، فرفع موسى كفيه إلى الواحد الديان، رفع كفيه وقد بلغ التأثر مبلغه عنده فقال: يا رب خفف عن عبدتك آسية؟.. فما الذي حدث وما الذي جرى؟ إنه لعجيب، وما هو بعجيب لأن فرعون رآه بعينه، ليس بعجيب لأننا تعلمنا من دروس العقيدة أن من كان الله معه أتى بالأعاجيب والكرامات، من كان الله معه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً، من كان الله معه فلا يخاف ظمأً ولا هضماً (أين الموحدون).

إن السيدة آسية وهي تحت العذاب بكت، بكت لا من شدة العذاب ولكن شوقاً إلى لقاء الله تعالى فتوجهت إلى مولانا وبكل ضراعة وخضوع نادته بصوت خفيض ممثلياً صدقاً وإيماناً قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

وَبَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ التحريم: ١١

(يارب ابن لنا بيتاً في الجنة مع حبيبك الأعظم، ونجنا من كل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ونجنا من القوم الظالمين).

وهنا تسمع العجب، وهنا تعرف العجب، إذ بالحجاب يكشف عن عين السيدة آسية فترى هذا البيت الذي أعده الله لها في الجنة فتضحك، ضحكت السيدة آسية، وأنساها الله آلام العذاب، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي قد اعتراها، اقتلوها، فإذا بصخرة عظيمة تلقى على المؤمنة الآمنة المطمئنة فترتفع روحها إلى جناتٍ ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أيها السادة الكرام:

كنت أحب أن أسدل الستار وأكفّ البيان عند هذا الموقف الرهيب لكنني رأيت الأنوار تتلأأ من تاريخ هذه المرأة الصالحة، أما النور الأول والمكافأة الأولى فإن الله تعالى رفع من قدرها ومكانتها فذكرها في كتابه الخالد أبد الدهر فقال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ التحريم: ١١

وكافأها نبينا سيدنا محمد ﷺ فقال في الصحيح: « **كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد** » ﷺ (طب- أبو نعيم- الثعلبي، خ ٣٤١- م ٢٤٣١).

بل كانت مكافأة مولانا لها أعظم مكافأة، بأن جعلها الله يوم القيامة زوجة لسيدنا محمد ﷺ فقد جلس نبينا ﷺ على فراش السيدة خديجة بنت خويلد وهي تجود بأنفاسها الأخيرة يبشرها بالجنة ثم قال لها:

« بالكره مني يا خديجة سلّمي لي على ضرائرك في الجنة، قالت: وهل تزوجت قبلي يا رسول الله، قال: إن الله زوجني في الجنة بأسية زوج فرعون ومريم ابنة عمران وكلّتم موسى عليه السلام » .

ولهذا هي من أمهات المؤمنين في الجنة فقولوا رضي الله عنها.

فما هي الآيات التي توالى على فرعون والقبط في مصر؟ هل دخل القبط في الإسلام على أثر هذه الآيات؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

نهاية فرعون

- ٤١ -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات وجعل أمته
وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات،

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض
درجات، فأعطى آدم الصفوة وإبراهيم الخلة وموسى تسع آيات بينات، وبعث
عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبيباً
وشفيحاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير
والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم الجهالات،
وجعل الصلاة عليه عقد الآمال والأعمال الصالحات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى
أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم عندك في مقعد

صدق يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم
وحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

مازلنا في تمادي فرعون في تكذيب سيدنا موسى وهارون وقد أخذته العزة
بالإثم وعنا عن أمر الله تعالى، ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ

لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ الأعراف: ١٣٢

واسمعوا إلى قول مولانا جل جلاله:

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ ﴿٤٢﴾ القمر: ٤٢

وأوهم فرعون بني إسرائيل أنه سيتخذ الوسيلة للصعود إلى إله موسى
ليصفي الحساب بينه وبينه، ولعله فهم من قول موسى ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ الشعراء: ٢٤ أنه موجود في السماء، لأن العظيم القادر على العلو
لا ينزل إلى أسفل، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمر تتاله قدرته،
فأصدر أمره إلى هامان أن يطبخ له الآجر، ويبني له صرحاً يأخذ في السماء
صعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى، ثم أردف قائلاً: بأنه يظن أن موسى
كاذب في أن له إلهاً سوى فرعون.

وهذا أمر عجيب فإن هذا كمن كَذَّبَ كذبة على الناس ثم صدقها، فمن
الناس من يذكر فكرة ما عالماً بأنها غير صحيحة، ثم لا يزال يخادع نفسه
ونفسه تخادعه حتى يخيل إليه أن الأمر صحيح فيصدقّه. وهذا ما حدث تماماً
لفرعون، إن فرعون كان من الجهل بدرجة أمل فيها أن ينال السماء ببناء يبنيه
صاعداً فيها، أراد أن يخاتل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة في
حطه عن عرش الربوبية، فأراد أن يُدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر

على منازلة كل إله ولو كان في السماء، وأنه على استعداد لمحاربة إله موسى الذي في السماء إذا كان فيها، ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أبواب السموات وعهد ببنائه إلى وزيره هامان، ومع علم هامان والحاضرين بكذب فرعون فإنهم أخذوا يظهرن له إمكانية هذا الأمر، ولم يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده. واسمعوا إلى هذه الدعوى الكاذبة التي أخبر عنها مولانا في

كتابه الكريم: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَضِدٌّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧

إننا مع الحلقة الواحدة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أضعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى، اسمعوني شعار التوحيد الذي يتضمن الشهادتين:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

أيها السادة اسمحوا لي . أن أنتقل بكم إلى مصر فإن الحركة الشعبية نحو الإيمان على أشدها، وبدأت هذه الحركة ببناء الصرح الذي قام به هامان حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء، ثم صعد الإله المزعوم وصوب سهماً إلى السماء ورمى به فعاد إليه النصل مخضباً بالدم، أتدرون ماذا قال الأفاك الأثيم قال: لقد قلت إله موسى، ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ غفر:

٣٧ فلما قال مقالته تلك كان ربك له بالمرصاد، حذره موسى غضب الله ، وأعلن له على ملأ من حاشيته بأن الله سيوقع بهم العذاب جزاءً لهم على تكذيبه، فقالوا له: ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٣٢ فماذا كان رد ربك على الذين قالوا هذا القول، اسمعوا الرد

القاصم ﴿ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ عَائِنَتِ مُفَصَّلَاتِ

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ الأعراف: ١٣٣ هذه الضربات التأديبية

وقعت على رؤوس القبط أمهلهم خلالها مولانا ليؤمنوا به ويتركوا عبادة فرعون، فهل أفلحت هذه الضربات؟، وأريد أن أذكركم أن موسى حذرهم بطش مولانا وشدة عذابه، لكنهم لم يرتدعوا أو يرجعوا عن غيهم، فبدأت سلسلة طرق العذاب بأن منع عنهم مولانا ماء النيل وقصّر عن إرواء أرضهم فأصابهم الجذب ونقصت الثمرات، اسمع الى قول مولانا: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٤﴾ الأعراف: ١٣٠ فجلؤوا

إلى سيدنا موسى يرجونه أن يسأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب، وأعطوه العهود والمواثيق على الإيمان به وأن يرسلوا معه بني إسرائيل، فدعا مولانا عز وجل أن يكشف البلاء عنهم وقد دام عليهم أياماً ممتدة فلما كشف عنهم إذا هم ينكثون، وبعد شهر من نكثهم أتاهاهم عذاب آخر وآية أخرى إنه الطوفان، فاض نهر النيل حتى أغرق الحرث والنسل ونزلت الأمطار بغزاره وفتحت الغمام وكأنها أفواه القرب حتى قيل إن الماء فاض حتى وصل الماء إلى تراقيهم ، بينما بنو إسرائيل لم يدخل بيوتهم من الماء قطرة ماء واحدة وهذا من تمام المعجزة البالغة والحجة القاطعة، وجاؤوا إلى سيدنا موسى يرجونه أن يكشف الله عنهم هذا العذاب ويؤمنون به فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة الكلاً والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك، فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا فأقوا شهراً في عافية، ثم أرسل الله عليهم جيشاً قال عن الحبيب المصطفى: إنه أكثر جنود الله، جيشاً يجوز أكله، إنه الجراد الذي ورد عنه

ﷺ في الصحيحين: «أنه غزا سبع غزوات يأكل مع أصحابه الجراد» (خ) ٥٠٧١ - م ٣٦١٠ - ت ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ن ٤٢٨١ - د ٣٣١٧ - أحمد ١٨٣٣٤٠).

فقد كتب على باب القيادة العليا للجبار جل جلاله، كتب على بابها ﴿ وَمَا يَمْلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المنشر: ٣١ فصدرت الأوامر لأهل الجراد أن تتحرك من قواعدها على جناح السرعة، وتحرك سلاح الطيران الجرادي ليأكل في طريقه كل شيء من نبات الأرض فيزدها قاعاً صفعاً لا ترى عوجاً ولا أمتاً، جعلها الجراد حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كل ذلك ولم يدخل بيوت بني إسرائيل جراداً واحدة، فضجوا وعجوا وعاهدوا على الإيمان فخرج موسى إلى الفضاء وأشار إلى المشرق بعصاه فعادت الجيوش إلى قواعدها سالمة.

والقمل: حشرة خطيرة انتشرت في فراش القبط وآل فرعون فأقلقت مضاجعهم مهما استعملوا من المبيدات فلم تجزئ المبيدات شيئاً أمام خالق الأرض والسموات، فقد أمر سيدنا موسى أن يضرب بعصاه صخرة فإذا بها تتحول إلى قمل ملأت فرشهم، فأمسوا لا ينامون من الليل فإذا ناموا تحركت جيوش القمل بأمر الواحد الديان. فهل آمنوا؟ لا، بل رجعوا إلى غيهم وطغيانهم، فماذا فعل الله بطعامهم وشرابهم؟

إن الذين اتهموا موسى بالسحر ونكثوا العهد وعادوا إلى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر إلا اليوم فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني إسرائيل، فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فأوحى الله إليه أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه، ففعل فتتابعت جيوش الضفادع بالنقيق، من كل جانب وخرجت من النيل قبل الليل الدامس،

ودخلت كل بيت بغتة فكانوا لا يعجبون عجباً إلا أكله الضفادع ولا يطبخون قدراً إلا امتلأت منه . فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا لموسى وعاهدوا ثم غدروا .

فجاء الأمر الإلهي لموسى أن اضرب بعصاك النيل، وإذا بقوة قادر لا شريك له يتحول الماء في بيوتهم إلى دم، كل ذلك وبنو إسرائيل في أتم خير وعافية، فكان القبط يأتون إليهم ليشرّبوا من عندهم الماء، فما أن يضع أحدهم فمه على كوب الماء حتى يحوله الله إلى دم أحمر، كما يتحول الماء في أيامنا إلى عرق سوس أسود، ارجعوا إلى الله فتصبحوا في أتم عافية، ارجعوا إلى الله قبل أن ينفذ فينا عذابه فتندمون ولات ساعة مندم .

فقد أمهلهم العظيم الحليم القدير ولم يعجل عليهم، أخرّ عذابهم وهو يمدّ لهم مدداً، إن رب العزة أقام الحجة عليهم بعدد من المعجزات فلما أعرضوا أخذهم

أخذ عزيز مقدر، اسمع إلى قول مولاك: ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾

الزخرف: ٥٥ ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ (لماذا؟) بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ الأعراف: ١٣٦ التكنيب والغفلة،

لا تسمحوا للتاريخ أن يعيد نفسه إنني لكم منه نذير مبين .

إن الدم كان آية من آيات الله ومعجزة عظيمة، لكن آل فرعون تمادوا بالنذر عصوا رسول ربهم فحول الله طعامهم إلى ضفادع ومياه الشرب إلى دماء، هذا هو مخزن الأسلحة الإلهية: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والأخذ بالسنين والنقص من الثمرات وجور الحاكم وهو فرعون وكفى بجور فرعون طغيانا فماذا بعد ذلك؟

إن مولانا وصف خداعهم، أرادوا أن يخدعوا من؟ الواحد الديان يخادعون

الله وهو خادعهم، اسمع إلى مولانا يقول: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أي

العذاب) قَالُوا يَمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ الأعراف: ١٣٤ فكلن سيدنا موسى يدعو الله لهم ليكشف عنهم الرجز والعذاب فماذا حدث؟ اسمع:

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ الأعراف: ١٣٥ (يرجعون) ولكن الله لا يخادع.

معشر السادة:

لا تظنوا إذا أقمنا على المعاصي أن الله يغفل عنا، لا تظنوا أنا بمنجى عن عذاب الله، من يرتكب المعاصي فقد أعلنها عصياناً على الله كما فعل آل فرعون، إن الله يمهل ولا يهمل والدليل آل فرعون.

معشر السادة

اسمحو لي أضع أمامكم اليوم نهاية هذا الطاغية، فبعد أن قَدَّمَ له موسى البراهين والأدلة على وجود الله تعالى، وأيّد رسالته بالمعجزات الكثيرة رفض فرعون ذلك كله وأعلنها ألوهية في الأرض وربوبية بين عباد الله تعالى، وأكل أرزاق العباد واستعبد شعب مصر واسترقهم لخدمة مآربه ونزواته وشهواته، فأراد الله تعالى أن يذله ويقهره أمام أعين العباد الذين ادعى أمامهم الألوهية، لقد أصبح جرثومة أن انجعافها وثمره خبيثة أن قطافها، ومنهجة ملعونة تحتم إتلافها، فدعا موسى ربه قال:

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٨٩﴾ يونس: ٨٨ - ٨٩

إنها لدعوة عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون غضبا عليه لمكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي، فاستجاب الله له فكيف تمّ ذلك؟ أدعكم أولاً لتوحدوا الله تعالى.

أمر الله كليمه موسى أن يستعير بنو إسرائيل من القبط جواهرهم وخليهم لعيد لهم فأعار وهم شيئا كثيرا، ثم أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا جميعاً من مصر نحو بلاد الشام ومعهم هذه الحلي والجواهر في غفلة عن القبط.

وفي تلك الليلة وبلحظة واحدة حول الله أموال القبط إلى حجارة منقوشة كهيئة ما كانت عليه حتى الحمص والبيض حولها إلى حجارة، فخرج القبط يطلبون خليهم من بني إسرائيل فلم يجدوهم، فأخبروا فرعون الذي أعلن حالة الطوارئ والتعبئة العامة فجمع جنوده وحاشيته، وسمعوا هذا الأنباء سطررتها

آيات سورة الشعراء ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي

الْمَلَأَيْنِ حَاشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ وَلَئِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ٥٥ وَلَئِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ

٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

٥٩ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ٦٠ الشعراء: ٥٢ - ٦٠ وسار موسى ببني إسرائيل

رغم جبروت الطاغية فرعون، وأمرهم أن يجمعوا متاعهم وما خف حمله وغلا ثمنه

ونزل الجبار الطاغية بدروعه وصولته وجبروته، وساق جيشه يتبع موسى ومن معه.

أيها السادة الكرام:

إننا هناك، وأرى مشهداً رهيباً أمام البحر الأحمر ممتداً عبر الأفق إلى سيناء وبني إسرائيل يتجهون إليه، وخلفه على بعد أميال قوم فرعون وجنوده

وحاشيته، وحينما وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر ورأوا ما خلفهم وسمعوا وشاهدوا الغبار يعمّ طبقات السحاب من شدة كثرة جنوده، فوقع الخوف في قلوبهم وراحوا يستنجدون بموسى ويقولون جميعاً: {إنا لمغرقون}، إنها النهاية إنه الدمار والهلاك، أتعرفون ماذا أجاب موسى أجاب بثبات وإيجاز ﴿ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الشعراء: ٦٢ الله أكبر، ما أعظم تلك القوة، وما أشد هذا السند، الله سند من لا سند له.

وقف سيدنا موسى أمام البحر الهائج وقال لمن معه: هنا أمرت. ونظر الناس بعضهم إلى بعض، وضاق الحال واشتد الأمر، واقترب فرعون وجنوده في حدّهم وجدّهم وحديدتهم وغضبهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحاجر، عند ذلك جاء الأمر الإلهي: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۚ ﴾ الشعراء: ٦٣ ورفع موسى عصاه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى.

فإذا بالمياه السائلة تتشق عن أرض يابسة، وترتفع المياه إلى أعلى وأمسكها الله أن تنزل إلى الأسفل بقدرته القادرة، ارتفعت إلى أعلى فرقتين على اثني عشر طريقاً قال تعالى ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الشعراء: ٦٣ وصارت أرض البحر كاليابسة، ونزل موسى ومن معه، سعيّاً وسط البحر وهم لا يصدقون، ساروا وهم يتطلعون إلى هذه الآية العظيمة والدرس الإيماني الذي أخذوه أن الله يخلق في لحظة واحدة من العسر يسرا ومن الضيق الفرج ومن الكرب النجاة.

يا رب قد ثقلت علي كبائر
يا رب مالي غير لطفك ملجأ
بإزاء عيني لم تنزل تتردد
ولعلني عن بابك لا أطرد

يا رب هب لي توبةً أقضي بها ديناً علي به جلالك يشهد
من أي بحر غير بحرك نستقي ولأي باب غير بابك نقصد

فالله لا يريد شيئاً إلا أن نكون معه، إلا أن نلتجئ إليه والله لو عدنا إلى الله، والتجأنا إلى الله حق الالتجاء لجعل لهذه الأمة فرجاً ومخرجاً ولكننا نخاف من العباد أكثر مما نخاف من الله، فيا رب حول قلوبنا إلى الخوف منك، والرجاء لك، يا رب ثبتنا على دينك، ثبت قلوبنا على طاعتك، وثبت أقدامنا على عبادتك.

ونظر فرعون مع جنوده إلى هذه الآية العظيمة، وبدل أن يدخل الإيمان قلبه قال لقومه: انظروا كيف انحسر البحر لي، لأدرك بيدي الآبقين الهاربين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي. لقد بقى مصرّاً على أنه إله إلى آخر لحظة، فإذا بجواده يقتحم البحر وفرعون لا يملك أن يوقفه فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراه مسرعين.

إذا أراد الله أمراً بامرئ وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنه وأعمى قلبه وسلّ منه عقله سلّ الشعز
حتى إذا نفذ فيه حكمه ردّ إليه عقله ليعتبر
إن فرعون لم يفكر بأن هذه آية ومعجزة لقوم موسى وللناس من بعد موسى، بل فكر أنه سحر، ومسح الله عقله وفهمه:

وأراد موسى بعد أن نجى إلى سيناء أن يضرب البحر ليعود كما كان ولكن
 الله أمره ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا ۖ﴾ ﴿٢٤﴾ الخ: ٢٤ تركه كما هو حتى اترك كيف
 انتقم لك ولبنى إسرائيل.

وما أن همّ أول جنود فرعون بالخروج من البحر حتى جاء الأمر الإلهي
 لموسى أن اضرب بعصاك البحر، الله أكبر، وهوت الأمواج المرتفعة العظيمة
 على جنود فرعون، واسمعوا البيان الإلهي على موجات سورة يونس: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
 قَالَ ءَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ
 عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ يونس: ٩٠ - ٩١

الله أكبر، ورأى فرعون الموت بعينه وأحس انه عبد حقيقي فاعترف
 بعبوديته، وشهد بربوبية الواحد الأحد {قال آمنت برب العالمين رب موسى
 وهارون}. ولكن مع الأسف حيث لا ينفعه الإيمان، أمهلناك كثيراً، والآن وقد
 وصلت الروح إلى الحنجرة وعانيت الغرق تؤمن، لا، إن الله يقبل توبة العبد
 ما لم يغرغر.

وألقاه الله جثة هامة على الشاطئ، هذا هو إلهكم المزعوم، فيا من
 لا يعترفون بالله رباً، ولا يخافون عذاباً يا من تريد العبرة لنفسك في هذا الزمن
 اذهبوا إلى مصر وادفعوا قرشاً واحداً لتروا جثة فرعون داخل زجاج مكتوب
 عليه فرعون موسى، وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ۖ﴾ ﴿٩٢﴾ يونس: ٩٢ لأهل القرن
 العشرين، سننجيك ببदनك إلى زمان تقل فيه العبودية لله، إلى زمن يشعر الناس
 فيه أنهم أرباب مخلدون، إله مع الله، إله مع الله، إله مع الله»

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

معشر السادة الكرام:

هذه هي نهاية كل ظالم متكبر لا تقولوا هذه حالة نادرة فريدة في الزمن،
أبدًا، لقد سبق فرعون النمرود في إدعائه الألوهية، وأتى بعد فرعون آخرون
انتظروا نهايتهم اليوم أو غداً ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ يونس: ١٠٢

﴿ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾

القصص: ٤٢

﴿ وَكَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ﴿١٣٧﴾ الأعراف:

١٣٧

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى



لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بنو إسرائيل أمة الغدر والخيانة - ٤٢ -

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة، المنزه عن التخيلات والأوهام
الخاطرة، العالم ما تحت أمواج البحار الزاخرة، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة،
الذي جعل الموت أول منازل الآخرة، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته
القاهرة.

أحمده على آلائه ونعمه المتواترة، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمدا أرفع به
حلول كل فاقرة.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرة عن طوية غير
مرتابة ولا فاترة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة والمفضل
بالمقامات الفاخرة، الذي أَلَّفَ الله به بين القلوب المتنافرة.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهرة وعلى أصحابه الأنجم
الزاهرة، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد اتخذ بنو إسرائيل اليوم الذي نجوا فيه من فرعون وجنوده عيداً، وأمرهم سيدنا موسى بصيامه. هذا اليوم هو يوم عاشوراء الذي روى فيه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حديث (البخاري ٣٣٩٧)

« قدم النبي إلى المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء. قال: ما هذا اليوم الذي تصومونه. فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. قال النبي ﷺ لأصحابه: لأنتم أحق بموسى منهم فصوموا». أيها السادة:

إننا مع الحلقة الثانية والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أدعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة الكرام

أستطيع أن أقول: إننا اليوم قد بدأنا فتح ملف جديد لأمة المكر والخديعة، وأن الحديث سيكون طيلة شهر - والله أعلم - عن شعب اللؤم والخسة، عن شعب الغدر والخيانة، أو بتعبير آخر أدق عن الوجه الثاني للشيطان، فاليهود والشيطان وجهان للشر والفتنة، الشيطان هو الوجه الخفي واليهود هم الوجه الظاهر.

لأن من درس حياة اليهود لا يشك في أنه يرى إبليس رأى العين ممثلاً في صورة آدمية، هي هؤلاء اليهود واحداً واحداً.

كل من يريد أن يفتح ملف اليهود سيجده يمتلئ بالمخزيات والموبقات، ومن السيئ جداً أن نقرأ أمثال تلك الصفات، لأن النفس تشمئز والقلب ينفر من أناس جمعوا ما جمعت اليهود من المخازي والسفالات، لذا اسمحوا لي أن

أترك ملفهم جانباً، وأنتقل إلى كتاب أذن الله لنا أن نفتحه ونديم النظر فيه، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب جعل الله قراءة بعضه فريضة وقراءة بقيته عبادة، إنه كتاب الله الخالد، فقلما نجد سورة من طوال السور تخلو من ذكر اليهود، بل إن مولانا سمى سورة بكاملها (سورة بني إسرائيل) هي سورة الإسراء التي سننطف على ذكرها بإذن الله تعالى، ستجدون . أيها الإخوة . آيات كثيرة تحدثنا عنهم، اقرؤوا القرآن، فبعدما أنقذهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده، وأرجلهم كانت لا تزال مبتلة بالماء، أتدرون ماذا قالوا لموسى؟ اسمعوا البيان الإلهي على الموجات العاملة من سورة الأعراف: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨

إلهاً؟! ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّئَاتٌ مِمَّا فِيهِ وَطِئُوا مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ (١٣٩) قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ (١٤٠) الأعراف: ١٣٩ - ١٤٠

وكان من عظمة الله وقدرته أنه لما حول لهم أرض البحر الأحمر إلى اليابسة ورفع البحر كأنه الجدران الشامخة فكان كل فرق كالطود العظيم، لم يجعل لهم طريقاً واحدة إنما جعل لهم اثنتي عشرة طريقاً لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً كل فريق يسير في طريق واحدة، حتى لا يحدث زحام وهم يعبرون البحر، وعبروا البحر فكان جزاء الإحسان أن طلبوا أن يكون لهم إله غير الله.

ودخلوا سيناء. قالوا: يا موسى اشتدَّ بنا الجوع فادع لنا ربك، فدعا موسى ربه أن ينزل عليه الطعام، فكان الطعام من أعجب وأطيب ما يكون كان مناً وسلوى، أتدرون ما المن والسلوى؟! السلوى حمام والمن كالعسل الأبيض، يضعون الأواني فارغة وفي الصباح تمتلئ الأواني بعضها حمماً مشوياً

وبعضها كالعسل الأبيض، وقال لهم مولانا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ﴿٨١﴾ طه: ٨١ يا موسى عطشنا فأمره مولانا أن يضرب بعصاه حجراً الله أعلم بحجمه، فانفجرت منه اثنتا عشر عينا، فشرب كل سبط فيهم من عين ثرة سلسبيل خلقها لهم الله رب العالمين.

وكان من إكرام الله لهم أن ثيابهم كانت لا تتسخ ولا تبلى، بل قيل أنهم كانوا يجدون ثياباً معلقة في أغصان الشجر، كل واحد من الستين ألفاً له ثياب مفصلة عليه لا واسعة ولا ضيقة، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وكانت شمس سيناء حارة، فسألوا موسى أن يطلب من الله الظل، فأرسل لهم الغمام والسحب تظللهم حيث ساروا وحيث أقاموا.

اسمعوا قصة اليهود من القرآن وليس من التوراة والإنجيل، بعد كل هذه النعم والعطايات العظيمة، لم يقر بنو إسرائيل بشكرها ولا رعوها حق رعايتها، بل لعكم لا تتصورون مدى ما طلبوا بعد هذا النعيم، إنهم تجمعوا وتبرموا وسألوا موسى استبدالها، بماذا؟ اسمعوا البيان الإلهي.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْسُكُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِيتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿٦١﴾ البقرة: ٦١

معشر السادة:

إننا في الخيانة الثانية التي وقع فيها بنو إسرائيل، فإن سيدنا موسى أمرهم بالدخول إلى بلاد بيت المقدس (القدس اليوم) فأبوا ونكلوا عن الجهاد فسلط

الله عليهم الخوف وألقاهم في التيه، يسIRON ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في أماكنهم السنين طويلة العدد، فعلى موجات سورة المائدة.

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢١) المائدة: ٢١ أتدرون بماذا أجابوه؟ ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢) المائدة: ٢٢ بل إنهم تماردوا في غيهم وأصابهم وهن عظيم وتقوهوا بكلام نالوا عليه عقوبة عظيمة: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) المائدة: ٢٤

وهنا توجه سيدنا موسى إلى مولانا عز وجل وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥) المائدة: ٢٥ وجاءت العقوبة جزاء وفاقاً: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦) المائدة: ٢٦

هذا هو ما قالوه وأجابوا به نبيهم، لكن أصحاب سيدنا محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى، بل قال له المقداد: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فسرَّ بذلك رسول الله ﷺ . خ (٣٩٥٢).

أيها الإخوة:

لقد أضاف اليهود إلى صفاتهم الخسيسة صفة أخرى هي:

الحرص على الحياة، وهذا صرح به كتاب مولانا عز وجل، قال عز من قائل: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾ ﴿٩٦﴾ البقرة: ٩٦ صحيح. أيها الإخوة . أن حب الحياة فينا غريزة معشر الآدميين، ولكن أشد الآدميين حرصاً على الحياة هم اليهود، والله تعالى لم يقل ولتجدنهم حريصين على حياة، إنما قال أحرص الناس على حياة، وفرق كبير في لغتنا بين أحرص وحريص، فأحرص اسم تفضيل تفيد اشتراك شيئين في صفة واحدة مع زيادة أحدهما على الآخر. فاليهود أشد الناس حرصاً على الحياة، لا، بل على حياة. وفرق بين الحياة وبين حياة، الحياة: معرفة، وحياة: نكرة، فاليهود ليسوا حريصين على الحياة، إنما هم حريصون على حياة أي حياة مهما كانت دنيئة، ومهما كانت ذليلة، ومهما كانت خائفة.

هذه هي صفات اليهود، اليهودي يحرص على حياة، والحرص على الحياة يعطينا ثلاث رذائل: الأولى: الجبن

والثانية: البخل

والثالثة: الذل.

الرجل الحريص على حياة: جبان، بخيل، ذليل، وهاتيكم الصفات الثلاث مركوزة في طباع اليهود.

هم جبناء ، بخلاء، أذلاء، والله ما جعل منهم رجلاً إلا جبننا، وإلا ما نحن عليه من هوان وتفرقه، لأن المسلمين لما توحّدوا واعتصموا بكتاب الله وكانت العزة شعارهم قال الله لهم: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿١٣﴾ الحشر: ١٣ . إنهم يخافون منكم أشد من خوفهم من الله، لكن لما وليناهم ظهورنا وأعطيناهم الدنية من أنفسنا استأسدوا، وقديماً قالوا: (استأسد الحمل لما استنوق الجمل).

اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ولا وعد لهم، لم يقل هذا كارتز ولا ديغول: إن الذي قال هذا الذي يعلم السر وأخفى، وهو الذي يقول: ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ البقرة: ١٠٠ وهو الذي يقول ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ الأنفال: ٥٦ في كل مرة وهم لا يتقون، هل سمعتم هذا؟

أيها السادة

كان لابد لبني إسرائيل من شريعة يسيرون عليها، فأمره مولانا أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا، وذهب سيدنا موسى إلى جبل طور سيناء وأمرهم أن يجتمعوا حول الجبل.

وأمر الله تعالى سيدنا موسى أن يصوم ثلاثين يوماً في شهر ذي القعدة فلما استكملها، استاك بسواك ليطيب فمه، فأمره أن يمك عشراً أخرى، فصارت أربعين ليلة وهي عشر من ذي الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر، وفي مثله أكمل الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ دينه، وأقام حجه وبراهينه، وهذا هو ما ذكره مولانا في كتابه

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّقَتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ﴿١٤٢﴾ الأعراف: ١٤٢ واستخلف موسى أخاه هارون على قومه

معشر السادة الكرام

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى سيناء إلى جبل الطور إلى اليوم الذي كلم الله فيه موسى تكليماً.

وأنزل عليه مولانا الكلمات العشر اسمعوها على الموجات العاملة من سورة الانعام:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

١. أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

٢. وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

٣. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي تَحْنُ نَزَّزُكُمْ وَإِيَّاهُمْ

٤. وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

٥. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ الأنعام: ١٥١

٦. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ

٧. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

٨. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

٩. وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا

ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ الأنعام: ١٥٢

١٠. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥٣

وهناك في ذلك المقام طلب سيدنا موسى من مولانا أمراً عظيماً، فلم يكتف

موسى بأن الله أسمعته كلامه ونجاهه وقربه وأدناه، بل طلب من مولانا رفع

الحجاب ليراه، واسمعوا هذه المناجاة على موجات سورة الأعراف:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنُتَرِّنِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ﴾ ﴿١٤٣﴾ الأعراف: ١٤٣ إن الجبل أقوى وأكبر ذاتاً وأشدُّ ثباتاً من الإنسان، فإن ثبت عند التجلي فسوف تراني، ومَن الذي يمكن أن يرى الله في الدنيا إلا سيدنا محمداً ﷺ إن مولانا لا تتركه الأبصار ولا تحيط به، إن نبينا الأعظم يقول لنا «حجاب الله النور» وفي رواية (النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إلى بصره من خلقه (ق) اللفظ لمسلم (١٧٩).

إن رؤية مولانا جائزة عقلاً دنيا وأخرى لأن الباري جل جلاله موجود، وكل موجود يصح أن يُرى لكن مولانا يُرى من غير إحاطة.

ولو كانت الرؤية ممتنعة عقلاً لما سأله موسى، ولهذا قال له مولانا: ﴿لَنُتَرِّنِي﴾ ولم يقل له: لن أر، لن تراني عينك الفانية.

وكيف ترى العين الفانية الباقي جل جلاله، إن الجبل لا يستطيع أن يثبت أمام التجلي الإلهي فكيف بالإنسان، ولهذا اسمع إلى بقية الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ ﴿١٤٣﴾ الأعراف: ١٤٣ (مغشياً عليه). وحدوا الله تعالى

بينما سيدنا محمد ﷺ لما علا سدره المنتهى وتجلى له مولانا لم يصعق والسدره على حالها لم تدك، وهذا شرف سيدنا محمد ﷺ على ربه:

ولو قابلت آية لن تراني
فموسى خر مغشياً عليه
بما كذب الفؤاد فهمت معنى
وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنها

وحين أفاق الكليم موسى استغفر وتاب من سؤاله الرؤية وقال ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

يُرْسَلَنِي وَيَكَلِّمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴿الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤﴾ وهناك في ذلك المقام مقام الخطاب سأل سيدنا موسى ربه جل جلاله قال: رب هل أحد أكرم عليك مني، قربتني نجياً وكلمتني تكليماً، قال: نعم محمد أكرم علي منك.

قال موسى: فإن كان محمد أكرم عليك مني، فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل؟ فقلت لهم البحر، وأنجيتهم من فرعون وعمله، وأطعتمهم المن والسلوى. قال: نعم أمة محمد أكرم علي من بني إسرائيل.

قال: ربي أرنيهم قال: لن تراهم، وإن شئت أسمعك صوتهم. قال: بلى يارب: فناداهم (إن رب العزة نادانا ونحن في أصلاب الرجال وفي أرحام النساء)، يا أمة محمد أجيئوا ركم، فأجابوا وهم يلبنون: لبيك اللهم لبيك أنت ربنا حقاً، ونحن عبيدك حقاً، قال: صدقتم أنا ركم وأنتم عبيدي حقاً. وأنزل مولانا على نبيه الكريم ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ ﴿القصص: ٤٦﴾ أي نادينا أمتك كي يسمع موسى كلامهم.

أيها السادة: يعز علي أن أعود بكم من ذلك المقام إلى هنا. فمن أراد أن يكرمه الله في الآخرة بلذة المناجاة، وأن ينال شهادة من مدرسة التوحيد فعليه أن يوحد الله تعالى.

تذكر عزيزي الموحّد:

- إن الله أيد سيدنا موسى بآيات كثيرة منها:

العصا - اليد البيضاء - انشقاق البحر - الطوفان - الجراد - القمل - الضفادع - الدم.

- آمن من قوم فرعون السحرة وثلاثة من أهل بيته منهم زوجته السيدة آسية.

-نجى الله فرعون ببذنه ليكون آية للقرن العشرين.

- خيانات بني إسرائيل كثيرة، وردائلهم: الجبن، والبخل، والذل، ولا يؤمنون إلا لمن يقهرهم.

- الوصايا العشر من القرآن الكريم.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بنو إسرائيل وعبادة العجل

- ٤٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحدىته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناه وتصوير.

أحمده سبحانه وتعالى فله الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه، فسبحان من لا حدّ يجمعه، ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدر، ولا وهم يصوره، تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين هو؟

هو الله لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وناهياً عن الفحشاء والمنكر والبغي، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع البصير.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فما زلت في حديثي معكم عن اليهود الذين فاحت منهم في عصرنا المخازي والموبقات وتعطيل مداولات السلام، ورائحة اليهود النجسة ليست جديدة، بل قديمة منذ زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

أقول لكم هذا الكلام من فوق هذا المنبر لأنني أرى أن اليهود لن يكلوا ولن يملوا حتى ينفذوا ما كتبوه على باب الكنيسة: (اعملوا على قيام دولة اسرائيل من الفرات إلى النيل)، وهم الآن يوجهون كل قواهم إلى تدمير الإسلام والمسلمين، تارة بالقوة العسكرية وتارة بالحرب النفسية وتارة بالإباحية والشهوات الحيوانية، وأخرى بالتشكيك بتعاليم الإسلام، فهم لا يكتفون بحرب من نوع واحد، ولكنهم يحاربوننا على شتى الأصعدة، ومن كل أنواع المصايد التي يتصيدون بها ضعاف الإيمان الذين انتشروا في عصرنا وصاروا ينادون بشعارات زائفة تخالف الدين، كل ذلك حرب على الإسلام ليتحول الناس على أيديهم إلى قطيع من البهائم تساق بالعصا، عصا السياسة، عصا الشهوات والموبقات، وعلى ذلك فقس،، ولو أننا بحثنا اليوم عن أصحاب بيوت الزنا في العالم الظاهرة والخفية لعلمنا أنهم اليهود علينا . أيها السادة . أن نحذر المكاييد التي تكاد للإسلام، وعلينا أن ننبه أولادنا الشباب من أولئك الذين يطعنون الإسلام من الخلف، ولو لبسوا لنا جلود الضأن، وتقربوا إلينا اقتربا الثعلب لينقض على فريسته.

لو بحثنا عن معبودهم الأوحد لوجدنا أنه الذهب، يقدسونه ويعبدونه لذلك لما أراد موسى السامري اليهودي أن يحولهم عن عبادة الله تعالى وحده، وكان سيدنا موسى قد ذهب إلى طور سيناء للمناجاة، انظروا كيف يكيد اليهود بعضهم لبعض، ان السامري لكي يربطهم بعبادة إلههم المزعوم أخذ الحلي

والذهب وصنع لهم منه العجل المشهور، اسمعوا هذا الحدث من كتاب الله تعالى، ودائماً قدوتنا كتاب الله تعالى، فهو الصدق والحق لامية فيه، فعلى الموجات العاملة من سورة الأعراف يقول مولانا:

﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا ۖ جَسَدًا ۚ لَّهُ خُورٌ ۖ ﴾ الأعراف:

١٤٨ كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون، ثم ادعى هذا السامري دعوى كاذبة شنيعة، أتدرون ماذا قال لهم؟ قال: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ ۖ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ طه: ٨٨ قولوا لغيره الله، والدعوى الأشنع أنه ادعى أن سيدنا موسى نسي إلهه عنده وذهب يتطلبه وهو هنا، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدسست أسماؤه وصفاته. معشر السادة الكرام.

أعرض على حضراتكم هذه الأحداث الإيمانية مع الحلقة الثالثة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وقضيتنا اليوم هي لماذا اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهاً؟!!

إن بني إسرائيل قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم في وثنتيتهم، شأن المغلوب في تقليد الغالب، فغلبت عليهم بلادة الطبع وما ركز في طبيعتهم من السخف فدفعتهم إلى أن يتخذوا إلهاً له جسد أو جسم، إننا اليوم مع قضية إيمانية هامة هي أن الإله المعبود ليس بجسم، لأن الأجسام إما متحركة أو ساكنة والإله منزّه عن الحركة والسكون المخلوقتان، الإله ليس له أجزاء، وليس جرمًا أي لا يأخذ حيزاً من الفراغ كما هو عجل بني إسرائيل، فالله تعالى . أيها الإخوة . لا يشبه أحداً من المخلوقات، الأجسام تموت ويلحقها العدم والله عز وجل باقي حي لا يموت، واحفظوا هذه القاعدة التوحيدية: « إن الله لا يدرك بالحواس

ولا يقاس بالقياس ولا يشبه الناس فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » .
وعليه نقول:

إن مولانا ليس مماثلاً لشيء من مخلوقاته فليس جسماً ولا صفةً ولا كلاً ولا جزءاً ولا محتاجاً إلى حركة أو سكون أو قيام أو قعود، ولا جهة ولا فوقية ولا سفلى، ولا يكون فوق العالم ولا تحته، ولا يقال كيف هو ولا أين هو ولا ما هو، احفظوا القواعد التوحيدية (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك).

ولهذا فإن بني إسرائيل قد ضلوا الضلال البعيد حين عبدوا العجل، فهل رأيتم أتفه من عقولهم، لكن يبدو أن سيدنا موسى قد استعجل بتركهم دون أن يمكن عقيدة التوحيد فيهم، وعجلته هذه صرح بها مولانا في كتابه الكريم على الموجات العاملة في سورة طه: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿ ٨٤ ﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿ ٨٥ ﴾ طه: ٨٣ - ٨٥ وهنا حمل موسى الألواح التي كتبت عليها شريعته ونزل من على الجبل، وقد بدا الغضب على محياه.

معشر السادة الكرام:

اسمحو لي أن انتقل بحضراتكم إلى هناك لأعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية:

﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾ (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿ ٨٧ ﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿ ٨٨ ﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (٨٩) طه: ٨٦ - ٨٩

فماذا فعل سيدنا موسى؟ لقد ثار ثورة عظيمة حين رأهم مفتتون فصرخ فيهم قائلاً: بئسما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ريكم (أعجلتم سخط ريكم بعبادة العجل) وألقى الألواح التي فيها التوراة من شدة الغضب، وتقدم إلى أخيه هارون فأخذ بلحيته وراح يجره إليه وصرخ في وجهه:

﴿ قَالَ يَهْدُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَذَلَّتْ بَعْرَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِى ۚ ﴾ ٩٢ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ طه: ٩٢ - ٩٤

وعلى موجات سورة الأعراف قال: ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ١٥٠ ﴿ الأعراف: ١٥٠

وبهذا أعذر سيدنا هارون نفسه، بل إن مولانا شهد بعذره هذا فقال على موجات سورة طه: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴾ ٩٠ طه: ٩٠

وهنا انعطف سيدنا موسى على الكافر صانع العجل وقال له: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ ۚ ﴾ طه: ٩٥ ما الذي حملك على ما صنعت؟،

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ ٩٦ طه: ٩٦ رأيت ما لم يروا، ومذا أبصرت؟، قال: رأيت جبريل يركب فرساً وكلما وطئت فرسه بحوافرها على موضع اخضر واعشوشب فأخذت قبضة من أثرها فألقيتها في العجل ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ ٩٦ طه: ٩٦

وكانت العقوبة شديدة على قدر الذنب الذي ارتكبه هذا الكافر الأفاك، لقد دعا عليه سيدنا موسى، ألا يستطيع أن يمسه أحد، وكلما مسه أحد أصابه الجرب، فكان كلما اقترب منه أحد يقول له: لا مساس (أي لاتمسنني) وأما في الآخرة فإن له موعداً لن يخلفه.

أيها السادة الكرام.

إننا في أوج الحدث الإيماني وفي قمته، أرى الكليم وقد أمسك بالعجل فحرقه حتى أصبح رماداً، وذره في البحر، وأمر بني إسرائيل فشرّبوا منه، فكل من عبده منهم اصفر لونه، وأنزل مولانا عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ الأعراف: ١٥٢ فهل قبل الله توبتهم؟ إن مولانا لم يقبل توبتهم إلا بالقتل، أن

يَقُولُوا بَلْ أُمِرَ كَلِيمُهُ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا النَّبَأَ لَهُمْ ﴿وَاذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ ﴿٥٤﴾ البقرة: ٥٤ - ففعلاً بوشر بالنقتيل بهم، فقتل منهم في يوم واحد

ثلاثة آلاف نسمة، وراح سيدنا موسى يستشفع للكفرة الذين عبدوا العجل، ويطلب من الله أن يغفر لهم، فغفر الله لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة.

أيها الإخوة:

لما جاء الأمر الإلهي بالمغفرة أمر سيدنا موسى سبعين من خيار بني إسرائيل أن يتجهزوا ليذهبوا إلى جبل الطور، ليستغفروا جميعاً مولانا عز وجل، ويعتذروا لبني إسرائيل في عبادتهم للعجل، فماذا فعل هؤلاء الخيار؟

إنهم ما إن وصلوا إلى الجبل ووقع على موسى الغمام وتغشى الجبل كله وذلك أمام القوم، وسمعوا موسى وهو يكلم مولانا فوقعوا سجداً مستغفرين إنهم ما إن انتهت هذه العملية ورجع إليهم موسى، حتى قالوا له :

يا موسى هل كنت تخاطب ربك؟ قال : نعم، قالوا : لن نؤمن بذلك حتى نرى الله جهرة!! هؤلاء هم خيار بني إسرائيل يتحدثون الأنبياء والرسل، الخيار رفضوا الإيمان حتى يروا الله تعالى، وما أن أتموا هذا الكلام حتى رجفت الأرض من تحتهم ونزلت صاعقة من السماء فماتوا عن آخرهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ

يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ۖ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ البقرة: ٥٥ هذه عقوبة من يتحدثى الأنبياء، نظر موسى إلى وفد المستغفرين وهم من حوله موتى، ومرت اللحظات رهيبة صامتة، وانفجرت عاطفة سيدنا

موسى قال : يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل ، أقول إنك قد أهلكت خيارهم،

﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي ﴿١٥٥﴾﴾ الأعراف: ١٥٥ قبل خروجنا

إليك، وعندها يرون أنك أهلكت خيارهم ، إنهم سفهاء ، ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ

مِنَّا ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴿١٥٥﴾﴾ الأعراف: ١٥٥ اختبارك وابتلاك وإمتحانك ، من

الذي فتنهم؟... الله ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ الزمر: ٣٦ قولوا

آمنّا. إن هي إلا فتنتك. ألسنت أنت الذي قدرت هذا؟ ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ

وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ إِنَّتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ

الذِّنِّ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ؕ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَاكُنْهُمَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا

يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ الأعراف: ١٥٥ - ١٥٦

فماذا أجاب رب العزة على هذا المعروض الذي قدمه سيدنا موسى بين يديه يعتذر لقومه؟ قال مولانا :

﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦١) الأعراف: ١٥٦
فمن هؤلاء؟ اسمعوا وافرحوا واسعدوا، إن هؤلاء هم:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ (سينا محمداً) الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧) الأعراف: ١٥٧
اللهم اجعلنا منهم .

واستجاب الله لشفاعته كليمة، ورد الأرواح إلى السبعين فقاموا ينفضون غبار الموت عنهم، اسمعوا ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥٦) البقرة: ٥٦ ونظر موسى إلى هذا الإكرام الإلهي الذي أكرم الله به أمة سيدنا محمد، فراح يطلب من مولانا شرفاً لأمته فقال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم اجعلهم أمتي، قال رب العزة: تلك أمة أحمد ﷺ .

قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال تلك أمة أحمد ﷺ .

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها
كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ربّ اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة
أحمد ﷺ.

قال رب : إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم
أمتي قال: تلك أمة أحمد ﷺ.
صلوا على الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

وهنا قال موسى : يا رب فعلمي شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال : يا
موسى قل لا إله إلا الله، قال : يا رب كل عبادك يقول هذا قال: قل لا إله إلا
الله، قال إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى .. لو أن أهل السموات
السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري اجتمعوا في كفة ولا إله إلا الله في كفة
مالت بهم لا إله إلا الله. هذه هي مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد
الله تعالى.



لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

كذب اليهود وغدرهم

- ٤٤ -

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم من خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين، فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد.

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة دائمة وسلاماً لا تزال على كر الجديدين في تجديد، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

حديثي إليكم اليوم ، حول قضايا ثلاث تصب في محور واحد، هو كشف الغطاء عن مخازي أمة اليهود وحقيقتهم ضمن زمان محدد هو عصر سيدنا موسى، فقد كنت مهتد لكم منذ جمعيتين مضتاً بعض ما يتصف به هؤلاء من الجبن والذل والخضوع، وزيادةً في الإيضاح أرى لزماً علي أن أستعرض هذه القضايا الثلاث لأريكم كيف لاقى سيدنا موسى من قومه العجب العجائب. كان هذا هو الموجز ، معشر السادة ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة ادعوكم لنرفع معاً شعار التوحيد عالياً .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

القضية الأولى التي أعرضها على حضراتكم والتي يجب أن يتنبه إليها أعضاء مداولات السلام هي أن اليهود إذا لم تكن هناك قوة تقهرهم على قبول الحق فلن يرضخوا أبداً، هم سيستمرون في غيهم وبغضهم لنا وبناء المستوطنات في فلسطين حتى تأتيهم ضربة قاهرة قاسية عاتية توقفهم عن غيهم وحتى يعطوا الحق لأصحاب الحق، وما هذه المؤتمرات التي تعقد لتتفض وتتنفض لتتعدد إلا تسويق وتضييع للوقت، حتى إذا أتموا بناء ما يريدون رأيانهم يمثلون أنهم قد قبلوا شروطنا ورضخوا لنا، اسألوا التاريخ: الكذب نبع من اليهود، ولن ننتصر عليهم إلا إذا توحدت الأمة العربية تحت راية قائد البلد، وتحت راية الإسلام وضربت ضربتها القاهرة، لم آت بهذا الكلام من جعبي بل من كتاب الله الخالد. فرغم العقوبة التي نالها السامري وكل من عبد العجل، رغم أن القتل وقع في رقابهم وقتل منهم من قتل كفارة لهم، رغم كل ذلك لم يتعظ بنو إسرائيل، اسمعوا وانتبهوا وصلوا على نبينا الأعظم ﷺ ، وتعالوا بنا لنر ما فعل هؤلاء، وماذا فعل الله عز وجل بهم،

هيا بنا ننقل إلى سيناء، إلى نبي الله وكرليمه سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أراه وقد هدأ غضبه منهم وأخذ الألواح التي ألقاها في ساعة غضب، وقال لهم: هذه هي التوراة شريعة ربكم فخذوا بها بقوة وعزم ونفذوا ما فيها بأمر الرب جل جلاله.

ونظر بنو إسرائيل بعضهم إلى بعض، وصاروا يقولون: شريعة، توراة، تكاليف، أوامر ونواهي، وراحوا يراجعونه فيها ويقولون: إن كانت سهلة قبلناها وإن كانت صعبة وقاسية لم ننفذها، قال: بل اقبلوها بما فيها، فرفضوا وعصوا، واسمعوا البيان الإلهي لما قال لهم موسى :

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾ ﴿٩٣﴾ البقرة: ٩٣ أتثرون بم أجابوا نبي الله قالوا: قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَاجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ البقرة: ٩٣ فلما انقلبوا على أعقابكم وقعت معجزة عظيمة لسيدنا موسى، إذا بالرب جل جلاله يأمر ملائكته فتحمل قمة جبل الطور وترفعها فوق بني إسرائيل كأنها قطعة عظيمة من السحاب، وقال لهم موسى: إن لم تقبلوا ما في التوراة دعوت الله أن يسقط عليكم هذا الجبل فوق رؤوسكم. (الله أكبر).

وانبطح بنو إسرائيل على بطونهم، خروا سجداً وجعلوا ينظرون وهم ساجدون بطرف أعينهم، وهم ينادون: سمعنا، سمعنا وأطعنا.

هكذا هم بنو إسرائيل لا يقبلون الحق إلا قهراً، ليسمع هذا الكلام من يجلسون معهم على طاولات مداولات السلام مع اليهود وأمريكا، وأمريكا حكامها يهود، وزرأوها يهود وأصحاب الاقتصاد فيها يهود، ليسمعوا إلى الرب جل جلاله في كتابه، يقول على موجات سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ البقرة: ٦٣

وعلى الموجات العلملة من سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ نَنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ

وَضُنُودًا أَنَّهُ واقعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ الأعراف: ١٧١

أضيفوا هذه الصفة إلى الصفات الخسيسة التي يتصف بها هؤلاء، واذكروا
معهم هم جبناء، أذلاء، لا يرضخون إلا بالقهر، ويحبون الدنيا، آه الدنيا، بل
يقتلون لأجلها أعزَّ أقرائهم (حتى ولو كان أبوهم يقتلونه لأجل الدنيا)، فقد
كان رجل في بني إسرائيل كثير المال (ابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن
حميد صحيح الفتح حديث ٣٤٠٦)، وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا
يتمنون موته ليرثوه، فدفعت أحدهم حب الدنيا لأن يقتل عمه في الليل ليرثه،
وطرحه في سبط آخر، (حي آخر)، فلما أصبحوا وفقدوه أصدر موسى بطاقة
بحث عنه، فوجدوه مقتولاً، وجاء ابن أخيه القاتل فجعل يصرخ ويمثل حبه
لعمه، وحين لم يجدوا القاتل عادوا إلى سيدنا موسى ليسأل مولانا من القاتل،
فأمره مولانا أن يذبحوا بقرة، فقالوا: نسألك عن أمر هذا القاتل وأنت تقول لنا
هذا. قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما
أوحى إلي).

قال ابن عباس وغيره: فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل
المقصود منها، ولكن شددوا فشدد عليهم، فراحوا يسألونه عن صفتها ولونها
وسنّها، فأمرهم مولانا أن يذبحوا بقرة عوان: (وهي وسط بين الكبيرة والصغيرة).
وأن تكون صفراء فاقع لونها مُشَرَّبٌ بحمرة تسر الناظرين، وهذا اللون عزيز
وجوده، واسمعوا هذه الأنباء على موجات سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدُهَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (الماء) مُسَلَّمَةٌ (من كل عيب) لَا شَيْءَ فِيهَا (ليس فيها لون يخالف لونها الأصفر) قَالُوا أَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ البقرة: ٦٧ - ٧١

وهكذا حُصرت الأوصاف وضُبِطت، أتعرفون لماذا؟ لأن هذه البقرة بالذات كانت عند رجل كان باراً بأبيه وأمه، فطلبوها منه فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها ذهباً فباعها لهم ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ البقرة ٧١ ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٣ فضربوه بجزء منها قيل هو لسانها، فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى فقام من رقده وقال قتلني ابن أخي فلان ثم عاد ميتاً كما كان، ﴿ كَذَلِكَ يُعَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٣ كما شاهدتم إحياء هذا القاتل عن أمر الله له كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءهم في ساعة واحدة كما قال ﴿ مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَفَنٍ وَاحِدَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ لقمان: ٢٨

هكذا - أيها السادة - يصنع اليهود، يقتلون أقرباءهم، ولذلك هم أدنى درجة من الوحوش المفترسين الذين يحمون أولادهم من بقية الوحوش، إن هؤلاء الوحوش يقتلون اليوم إخوة لنا في فلسطين يذبحونهم ببنادقهم الفاجرة، إن تاريخ

اليهود يمتلئ بالمخزيات وسوف يأتي نبأها بعد حين، فمع ما وصل إليهم من نعم وأموال وأصبحوا من الأثرياء، وبدل أن يشكروا مولانا عز وجل ويحمدوه عليها ادَّعوا أن هذه الأموال التي أكرمهم الله بها جمعوها بعضلاتهم وكسبهم وتعبهم وراحوا ينكرون فضل مولانا عليهم، وهذه مصيبة الأغنياء الذين يتكبرون على نعم الله تعالى، وقد حدثنا القرآن عن ثلاثة أحدهم قال: (أنا)، والثاني قال: (لي)، والثالث قال: (عندي)، فانظروا كيف كان عاقبة أمرهم خسرا.

الأول: إبليس أمره رب العزة أن يسجد لآدم فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. رغم أن رب العزة هو الذي أمره لكنه أصرَّ على معصيته وقال أنا خير منه، (أنا) هذه جعلته يُطرد من رحمة الله قال له مولانا فوراً {فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين}.

الثاني: الذي خسر الدنيا والآخرة هو فرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ الزخرف: ٥١ / الزخرف: ٥١. (لي) وسيدنا موسى خيَّره أن يؤمن ويبقيه على ملك مصر وله الجنة في الآخرة، وحين استشار وزير السوء هامان قال له: أبعد أن تكون إلهاً معبوداً تصبح عبداً عابداً؟! هذا مثلاً عن بطانة السوء، تُهْلِكُ الملوكَ والحكام، أما أمة سيدنا محمد ﷺ فكان لخلفائها وزيراً خاصاً، سيدنا عمر بن عبد العزيز كان له وزير خاص اسمه عمر بن مهاجر، كانت له وظيفة هامة جداً، قال له سيدنا عمر بن عبد العزيز: عينتك وزيراً لشيء واحد، ما هو؟ قال له: إذا رأيتني نسيت حكم الله فخذ بتلابيب ثوبي وهزني وقل لي اتق الله يا عمر فإنك ستموت.

هل سمعتم بمثل هذا الوزير، وزير الإرشاد؟!

إن فرعون رفض أن يعترف بعبوديته وأعلنها ألوهية على الأرض وتركه رب العزة مدةً من السنين، فلما بدأ يذبح الناس في مصر لم يمهله رب العزة، لأن الخلق عباده، الخلق عيال الله: يعولهم ويرعاهم، الله لا يرضى للحكام أن يظلموا الناس وينتقم من الظالم مباشرة، فكأن رب العزة يقول: ادعيت الألوهية فتركناك، أما أن تقتل عبادي وأنا الذي خلقتهم فلا، فأخذه إلى البحر الأحمر هو وجنوده وغرق الأرض من فوقه، وحين عاين فرعون الغرق استغاث بموسى: أغثني يا موسى، وموسى لا يسمع له، فأوحى الله إلى موسى فقال: « يا موسى استغاث بك مرات فلم تغثه، وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لوجدني سميعاً بصيراً » . إنما هو كان غيباً، عمره لم يقل: يا رب. معشر السادة: نحن ما زلنا في صفات اليهود وحبهم للعنصرية فنحن مع الثالث.

الثالث: لم يقل أنا، ولم يقل لي، بل قال عندي: إنه قارون موسى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه: كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري، وكان سبب إهلاكه كثرة ماله وتكبره على أهل عصره حتى قيل: إنه زاد في ثيابه شبراً طويلاً ترفعاً على قومه. ومولانا لا يرضى لأحد من العباد أن يتكبر على أحد من خلقه، أليس هو القائل: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي ». عن أبي هريرة رضي الله عنه عند م (٢٦٢٠).

ولذلك - أيها السادة - لا يغتر الإنسان بماله ولا بحسبه ولا بنسبه ولا بعبادته وأذكر أنني قرأت أن رجلاً جاء إلى سيدنا موسى يسأله فقال له موسى: من أنت؟ قال الرجل: أما عرفتني أنا فلان بن فلان فذكر له تسعة آباء فأوحى إليه رب العزة: يا موسى قل لهذا الرجل إنه قد ذكر تسعة آباء

كلهم في النار وهو عاشرهم. أخرجه أحمد في المسند (١٣٨ / ٥) والبيهقي في شعب الإيمان جزء من حديث وإسناده صحيح رجاله ثقات.

قارون قال (عندي)، فكيف حدث ذلك؟ اسمحوا لي أن أعرض على حضراتكم موجز الأنباء في قصة قارون:

﴿ إِن قَرُونٌ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِيَهُ لَسَنُوءٌ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ۚ ﴾

﴿ القصص: ٧٦ - ٧٨ ﴾ إن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أنني أستحقه، ولولا أنني حبيب عليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني. فرد عليه مولانا رداً قوياً قال له ولأمثاله: ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿ القصص: ٧٦ - ٧٨ ﴾، قد أهلكنا من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن هو كان أكثر مالاً، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له وامتناننا به، كما قال عز وجل: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ فانظروا - معشر السادة - كيف كان عاقبة أمره خسراً، لماذا؟ لأن قارون تمادى في غيه وطغيانه لم يكتف بتكبره وترفعه على عباد الله بماله وغناه، بل إنه أغرى امرأة زانية بالمال، على ماذا؟ على أن تقول أن موسى فعل بها كذا وكذا.

وحين حان موعد تنفيذ المؤامرة الدنيئة خرج قارون على قومه في زينته قال تعالى: {فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا (مساحين الجوخ والمنافقين الذي يحبون المظاهر رغم أن الظهور يقصم الظهور، ماذا قالوا؟) قالوا: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) القصص: ٧٩ ولما أهل الحكمة والعلم قالوا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْفَكِرُونَ﴾ (٨٠) القصص: ٨٠ هل سمعتم أجمل من هذا الكلام؟! لذلك كانوا يقولون: طوبى لمن عاشر أهل العلم والحكمة، وجالس أهل الذل والمسكنة.

معشر السادة الكرام:

إننا هناك في سيناء، أنقل لكم هذا البث الحي على موجات القضايا الإيمانية، وأرى سيدنا موسى أمام ملاء كثير من قومه يسيرون، وإذا بالمرأة الزانية تدخل بين الناس وتعلن أمام الملاء أن موسى قد زنى بها. ونظر إليها موسى وصعد الدم إلى رأسه وغلا في عروقه، والناس ينظرون إليه ماذا سيفعل، سكت سيدنا موسى وقام يصلي أمام الناس، ثم انتهى من صلاته ودعائه وأقبل على المرأة البغي وإذا برب العزة يحول قلبها ولسانها فتعترف بأن قارون هو الذي أغراها على ذلك ودفع لها المال. واسودَّ وجه قارون، ولكنه أخذته العزة بالإثم، أراد أن يستمر في لعبته القذرة فقال لسيدنا موسى بكل وقاحة: لئن كنت فضّلت علي بالنبوة فقد فضّلتُ عليك بالمال، ولئن شئت فلتدعوني علي.

وهنا لما شاهد موسى تعنت قارون وتجروءه ووقاحته على مقام الرسالة والنبوة، خر ساجداً لله وراح يمرغ رأسه ولحيته في الأرض ويقول: يا رب

انتصر لي، يا رب انتصر لي، فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه.

ولم يتأخر سيدنا موسى وراح ينادي لما جاءه الأمر: يا أرض خذيه، ويصرخ ويقول: يا أرض خذيه. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِمُ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨١) القصص: ٨١ قال ابن

عباس: إن الله خسف بهم إلى الأرض السابعة.

ونظر الذين تمنوا مكانه بالأمس إلى هذا المشهد الرهيب فراحوا يحمدون الله تعالى: ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢) القصص: ٨٢ واسمعوا إلى هذا القرار الإلهي قرار أبدي سرمدي:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) القصص: ٨٣ هذا هو الحق والصدق، فقولوا آمنا بالله تعالى. أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

صاحب سيدنا موسى

- ٤٥ -

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا سيدنا محمداً ﷺ في الدنيا وفي الأخرى، وأسرى به ليلاً فأعظم به فخراً، وقَدَّمه سيدنا جبريل فصلى بالأنبياء والمرسلين لنعلم أنه الإمام الأعظم وأنه بذاك المقام أخرى، ثم ترقى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فظهر بمستوى سمع فيه صرير الأقلام ورأى من آيات ربه الكبرى، وتجلى له ربه جل جلاله وخاطبه وثبَّت فؤاده وأعطاه سؤله وأعظم له بذلك أجراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا عقائدها تترى.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وكَنَزاً لهم وذخراً، دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يأرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

فقبل أن أبدأ معكم حلقة العقيدة اليوم أريد أن ارفع التحية بأسمى آيات التبريك وأعظم الصلوات وأزكاها للقائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ بمناسبة

ذكرى الإسراء والمعراج التي يحتفل بها كل مسلم في العالم الإسلامي، وبهذه المناسبة أرفع باسمكم وباسم أهالي دمشق واسم سورية وباسم العالم الإسلامي قاطبة التحية للحبيب الأعظم.. فقولوا: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا خاتم رسل الله، عليك وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين وسائر الأنبياء والمرسلين وأستمح حبيبي وقرّة عيني سيدنا رسول الله أن أتحدث عن إخوته من الأنبياء أعني بهم سيدنا موسى.. وفتاه سيدنا يوشع بن نون ورفيق دربه وصديقه سيدنا الخضر. قولوا عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

أيها السادة الكرام: أقف اليوم معكم بإجلال وإكبار أمام بحرين عظيمين من البحار العلمية النبوية، إنه نبي بحر الشريعة سيدنا موسى ونبي بحر الحقيقة سيدنا الخضر عليهما الصلاة والسلام، لنشهد معاً نبوة هذين العلمين من أعلام الأمة الإسلامية النبوية، فقد ضرب الله بهما لنا مثلاً لكل من يريد أن يتأدب ويتعلم، ولا يكتفي بما وصل إليه من علوم ومعارف، بل يستزيد علماً ولو كان العالم أدنى حالاً من المتعلم، إننا اليوم نرفع شعار قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ طه: ١١٤ وقول أحد الحكماء (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).

كان هذا معشر السادة الموجز واليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الخامسة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم أولاً لترفعوا شعار التوحيد عالياً.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأستمح سيدنا موسى قليلاً لأتحدث عن صديق دربه وعظيم عصره وأستاذ علم الحقيقة سيدنا الخضر، الذي نشأ تقياً عابداً تقياً، وترك أهله وتعبد مولانا

في جزيرة في البحر ثم بعثه الله نبياً وعَلَّمه من لدنه علماً، يروي الإمام البخاري عن أبي هريرة عنه رضي الله عنه قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة (حشيش) بيضاء « يابس » فإذا هي تهتز من تحت خضراء بإذن الله تعالى، وقد اختلف العلماء هل هو حي أم لا، قال جماهير العلماء والصالحين: إنه حي، لأنه شرب من عين الحياة، وذهب آخرون إلى أنه ميت والله أعلم به، وعلى كلا القولين أرجو من الله أن يجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد ﷺ.

أيها الأخوة: هذا النبي الكريم كان لا يرد أحداً سألته، وكان كريماً إلى درجة تبلغ فوق التصور، وإليك هذا الحدث الإيماني الذي ذكرته كتب السير عنه (طب بإسناد ضعيف)، تقول: كان يوماً في سوق بني إسرائيل فأبصره رجل مكاتب فقير، فقال: تصدق علي بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيته.

فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي، فإني نظرت إلى السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك.

فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي شيء أعطيته إلا أن تأخذني فتبيعني فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك: لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك مادمت سألتني بوجه ربي عز وجل، بعني وخذ ثمني. قال: فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم، فمكث عند المشتري لا يستعمله في شيء. فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف. قال ليس تشق علي قال: فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم. فخرج الرجل لبعض

حاجاته ثم رجع فوجد الخضر وقد نقل الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت وألطف ما لم أرك تطيقه.

ثم عرض للرجل سفر فقال: إني أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال ليس تشق علي، قال: فاضرب من اللبن حول بيتي حتى أقدم عليك. فمضى الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد الخضر سوراً وحائطاً حول البيت.

وراح الرجل يدور حول داره فلم يعرف بيته لوجود السور الذي بني بسرعة، فاستقبله سيدنا الخضر وعلى وجهه آثار الدهشة والاستغراب فقال لسيدنا الخضر: أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذي سمعت به، سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه، فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتني فباعني، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائلاً وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم يتقعقع.

فقال الرجل: آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. فقال: لا بأس عليك فقال له الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله أحكم في أهلي ومالي بما أراك الله. أو أخبرك فأخلى سبيلك، فقال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي، فخلي سبيله.

معشر السادة:

هذا هو الخضر عليه الصلاة والسلام الذي كتب الله له أن يلتقي بسيد أهل زمانه كليم الله موسى. فكيف تم ذلك؟

ولكي أجيب عن هذا السؤال اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى عصر سيدنا موسى لألتقي مع حضراتكم بهذين البحرين، بهاتين القمتين الشامختين لأتناول معكم القضية الإيمانية الأولى، التي تقول إن العلم قسمان: الأول: علم الشريعة.

والثاني: وعلم الحقيقة الذي يعرفه الناس باسم العلم اللدني، أو العلم الذي يهبه الله تعالى لِحُلُصِّ عباده ولا تعارض بين هذين العلمين إلا بحسب الظاهر، العلم الشرعي يجب أن يعلمه الناس جميعاً، أما العلم اللدني فهو خاص بأولياء الله وكبار الصالحين من عباده، يقول سيدنا أبو هريرة: (خ) « علمني حبيبي رسول الله جرابين من علم، أحدهما لو أخبرتكم به لقطعتم عنقي هذا » .

فالعلم اللدني هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، ولأبدأ معكم القضية الإيمانية التالية من خلال هذا الموقف الذي وقع لسيدنا موسى، فقد قام خطيباً في بني إسرائيل فذكرهم الله تعالى ووعظهم حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولَّى عنهم فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فتأمل سيدنا موسى هنيهة ثم قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى إليه فقال: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يا رب فكيف لي به، فقال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل (سلة) فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ (ق).

فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وسارا نحو المشرق نحو بحر العرب وبحر الروم، وصار يأكلان من هذه السمكة الكبيرة أثناء الطريق، حتى أصابهما التعب، فتوقفا عند صخرة نام سيدنا موسى عندها، فإذا بالحوت يضطرب ويرد الله إليه الحياة ويخرج من

المكتل ويسقط في البحر، وأمسك الله عن الحوت جري الماء فصار كالطريق في البحر، واسمحوا لي أن استعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الكهف:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (ثمانينات من السنين لأن الحقب ثمانون سنة). ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴿ الكهف: ٦٠ - ٦٥ ﴾

وإذا هو مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام يانبي بني إسرائيل فقال موسى: ومن عرفك؟ قال الذي أرسلك إلي، قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً. هذا هو الأدب العالي الرفيع سيدنا موسى الرسول من أولي العزم يقول: ﴿ هَلْ أَتَبَعُكَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ الكهف: ٦٦ ﴾ هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعاً لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع واسمعوا بقية الآداب:

﴿ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ الكهف: ٦٦ ﴾ وهذا إقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أستاذة بالعلم بل قال له ﴿ مِمَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ الكهف: ٦٦ ﴾ علمني بعض ما علمك الله، وهذا تواضع، كأنه يقول: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً لك في العلم، بل أطلب أن تعطيني جزءاً من أجزاء ما علمت.

وبهذا أتى كلیم الله في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بكل الغايات، فقال سيدنا الخضر: كفى بالتوراة علماً وببني اسرائيل شغلاً فقال موسى: الله أمرني بهذا قال الخضر: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧ ﴾ الكهف: ٦٧ يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه ربي لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

فقال موسى ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٨ ﴾ الكهف: ٦٨ فقال له الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٦٩ ﴾ الكهف: ٦٩ فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم من العالم.

معشر السادة:

وهكذا انطلق الركب الثلاثي: سيدنا موسى وسيدنا الخضر وسيدنا يوشع بن نون يقوم على خدمتهما، وكان أول امتحان صادف سيدنا موسى السفينة التي ركبوها ليعبروا بها البحر، فقد عرف أصحاب السفينة سيدنا الخضر فحملوهم بغير أجر، فلما ركبوا في السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر يمسك لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ويخلعه، فصرخ موسى عليه: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتهما، ﴿ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧١ ﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٢ ﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ٧٣ ﴾ الكهف: ٧١ - ٧٣ ولا تكلفني مشقة ولا تعسر علي متابعتك.

وإذا بعصفور يقع على حرف السفينة فينقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ياموسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر. (الله أكبر).

هذا هو الدرس الذي أراد مولانا أن يأخذه سيدنا موسى، وإن كان ذلك مما يعلمه سيدنا موسى حق العلم، ولذلك راحت الأدلة والمواقف تترى عليه ولنكون نحن على يقين من ذلك، لأن سيدنا موسى وصاحبيه خرجوا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله، وهنا صرخ نبي ورسول الشريعة (وهذا الواجب على كل إنسان أن يفعله) صرخ ﴿

﴿٧٤﴾ الكهف: ٧٤ ما هو ذنب هذا الغلام الذي لم يبلغ الحلم بعد، ماذا فعل حتى أقمت عليه حد القتل؟ ونظر نبي الحقيقة إلى نبي الشريعة وذكره العهد قائلاً: ﴿

﴿٧٥﴾ الكهف: ٧٥ قال له موسى: ﴿

﴿٧٦﴾ الكهف: ٧٦

وانطلق الركب النبوي حتى دخلوا قرية وطلبوا من أهلها طعاماً فأبوا أن يعطوهم طعاماً (بخلاء) بثمن أو بغير ثمن، حتى أطعمتهم امرأة، وإذ هما أثناء سيرهما يجدون جداراً مائلاً قابلاً للسقوط، فمد الخضر يده وأقامه، فقال موسى: قوم ألتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿

﴿٧٧﴾ الكهف: ٧٧ ليكون لنا قوتاً بلغة على سفرنا.

وهنا نظر سيدنا الخضر إليه وقال ﴿

﴿٧٨﴾ الكهف: ٧٨

أتدرون ماذا قال الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ قال: يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يُقَصَّ علينا من أخبارهما (ق).

فقال نبي الحقيقة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ (أي أَلْمَهُمْ) مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (٧٩) الكهف: ٧٩ فلما مرت أمام أعوانه ورأوها فيها عيب تركوها وبهذا ارتكب سيدنا الخضر أخف الضررين وهو تعييبها خوفاً أن يستولى عليها كلها فيخسرهما أصحابها. وهذا منتهى عين الحكمة.

﴿ وَأَمَّا الْفُلُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِيَنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا (يكلفهما) طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠) الكهف: ٨٠ خشي الخضر أن يحملهما حبُّ الغلام على أن يتبعاه على دينه، وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغلغل عنه آبواؤه فيدخلان النار. ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ ﴾ (أي يبرزهما مكانه غلاماً صالحاً تقياً) وَأَقْرَبَ رُحْمًا عطفاً ورحمة بأبويه ﴾ (٨١) الكهف: ٨١ قيل: فأبلاهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم. فلو بقي هذا الغلام كان فيه هلاكهما، فرضى المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره وخير له من رضاه فيما يحبه.

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ (٨٢) الكهف: ٨٢ ذهباً وفضة كما أخرجه الترمذي. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (٨٢) الكهف: ٨٢ كان جدهما تقياً وهو الجد السابع.

يقول محمد بن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم. وعن سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي في صلاتي لعلي أن أحفظ فيهم.

وروي عن يحيى بن إسماعيل بن مسلمة أنه كان له أخت أكبر منه فاختلف عقلها فتوحشت وسكنت غرفة في أقصى سفح الدار بضع عشرة سنة، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطهارة والصلاة، يقول يحيى بن إسماعيل بن مسلمة: فطرقت بابي ليلاً فممت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة، فسألها عن حالها وكيف شفيتم؟ فقالت: «نمت الليلة فأتاني آتٍ في المنام فقال إن الله حفظ أباك إسماعيل بن مسلمة بمسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت فلك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله لحب أبيك وجدك لسيدنا أبي بكر وعمر فقالت إن الله لواسع الفضل لخلقه، لا يتعاضم شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي، قال فقيل لها: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما لأبي بكر وعمر، فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك» .

وهكذا - معشر السادة - تعلمنا اليوم آداباً وفضائل كثيرة، لأن الخضر علم موسى فقال ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ (الكهف: ٨٢) ﴿لَكَيْفَ: ٨٢﴾ وحينما نكر السفينة قال: ﴿فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: ٧٩) أضاف العيب لنفسه أدباً مع الله، وهناك أضافه الله تعالى، لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله عز وجل، وهذا يدل على أن الله عبداً يتصرفون في خلق الله بأمره، ولهذا اسمعوا ماذا قال الخضر قال: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الكهف: ٨٢) بل فعلته عن أمر الله وإلهامه ووحيه، وهذه العبارة تدل على أن الخضر كان نبياً، ولا يعلم نبياً إلا نبي، واسمعوا إلى هذا الحوار الختامي بين هذين البحرين، قال سيدنا الخضر

لسيدنا موسى: «أتلومني يا موسى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين أَلَقْتُكَ أُمَّكَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ فِي الْيَمِّ فَحَفَظَكَ اللَّهُ تَعَالَى، وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلْتُ القبطي بغير أمر، وتلومني على ترك أخذ الأجرة في إقامة الدار ونسيت نفسك حين سَقَيْتَ غَنَمَ شَعِيبٍ مُحْتَسِباً لِّلَّهِ تَعَالَى» .

وهكذا معشر السادة تناولت معكم اليوم عدة قضايا إيمانية من خلال الآداب التي تعلمناها من مواقف هذين النبيين، فما هي القضايا الأخرى في قصة هذا النبي الرسول؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فتنة بلعام بن باعوراء

وآخر أيام سيدنا موسى

- ٤٦ -

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم من خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين، فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل «مررت ليلة أُسري بي بموسى في السماء السادسة، فقال جبريل: هذا موسى فسلم عليه. قال فسلمت عليه فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي» (م: ١٦٥).

وفي رواية الإمام أحمد: رفع لي سواد عظيم فقلت: ما هذا الشيء فقيل هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم ثم قيل: انظر إلى هذا الجانب، فإذا سواد عظيم فقيل: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب (خ).

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

درسنا اليوم هام للغاية، إنه درس لجميع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بالدنيا، فإن من الأمة فئة إنما تتعلم وتدرس لتبلغ المراكز والمناصب في الدنيا، أو لتطعن الإسلام من خلف شأن المستشرقين الغربيين. إن علماء السوء يلقون الناس بوجه الدين، وحين يخلون إلى شياطينهم ترى وجوههم الحقيقية، يطعنون الإسلام من الخلف يخادعون الله ورسوله وما يخدعون إلا أنفسهم، هذه النوعية الرديئة من الناس موجودة منذ القديم، بدأ اليهود سلسلتها، اليهود من بني إسرائيل.

كان هذا -أيها السادة- هو الموجز واليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة الأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وخير ما تستهل به هذه الحلقة تلاوة عطرة مباركة من سورة الأعراف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

ٱلْفَٰرُوقِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

كَمَثَلِ ٱلْكَلبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦

هذا هو المثل الذي ضربه مولانا لرجل من أتباع سيدنا موسى يدعى بلعام بن باعوراء، ضربه مثلاً للعالم الذي يتبع هواه ويترك آخرته. وبلعام هذا كان من خواص سيدنا موسى ففتته بنو إسرائيل ، فكيف حدث ذلك؟

أيها الإخوة:

رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة -كما قدمنا- خوفاً منهم أن يُقْتَلُوا، وراحوا يكيدون لسيدنا موسى، فقدموا إلى بلعام بن باعوراء وكان يعرف

اسم الله الأعظم، فقالوا: إنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا حيلة مع موسى فادع الله لنا أن يردّ عنا موسى ومن معه.

فقال لهم بلعام: ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي.

فلما رفض ذلك جاؤوه من قبل امرأته التي قدموا لها الهدايا والذهب والفضة، فراحت تراوده وتزين له حتى قبل، فركب حمارته، حمارته التي أبت أن تسير به فراح يضربها، فإذا بها تنطق بإذن الله تعالى وتقول له:

. ويحك يا بلعام أين تذهب، ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي، أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم.

فلما سمع ذلك بلعام خر على الأرض ساجداً باكياً متضرعاً، حتى غابت عنه الملائكة، وحضر شياطين الإنس يوسوسون له أن ينطلق إلى جبل حُسبان فيصعد عليه ليدعو على موسى وجيشه، فركب أتاناه الملعون حتى أشرف على جبل حُسبان فقلب الله لسانه فجعل يدعو على قومه بدل أن يدعو على موسى وجيشه، وسلب الله منه اسمه الأعظم عقوبة له، فقال له قومه: ماذا تصنع أنت تدعو علينا فقال: لا أملك من هذا الأمر شيئاً قد غلبني الله عليه.

وهنا علم بلعام أنه قد طرد من رحمة الله كما طرد إبليس من قبل فقال لقومه: قد ذهب مني الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأحتال لكم، فجمّلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعن ويشترين معهم، وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، ثم قال لهم: فإنه لو زنى رجل منهم كفيتموهم.

أيها الإخوة

هذه هي الورقة الأخير الرابعة التي قامر بها بلعام بن باعوراء، وكان كما توقع، فإن الشهوة غلبت على أمة اليهود فقد رأوا النساء بأبهى زينة لهن يتغلغلن ضمن أفراد العسكر والجند، وإذا بأحد قواد العسكر يأخذ بيد إحدى الزانيات، وقد أعجبه حسنهما، فوقف على موسى وراح ينادي بوقاحة وقحة ويقول: أظنك ستقول إن هذه حرام علينا.

فقال: أجل هي حرام عليكم. قال: لا أطيعك في هذا، ثم خلى بها الملعون فواقعها.

فكيف كان انتقام ربك عز وجل؟

إذا بالأوامر تصدر إلى جرثومة الطاعون لتأتي على الجيش من بني إسرائيل فجاست خلال الديار فحصدت منهم سبعين ألفاً في ساعة واحدة. فقام عظيم من عظماء بني إسرائيل وقد فطن أن السبب هو مخالفة أوامر كريم الله موسى والمعصية التي ارتكبها قومه، فإذا به يأخذ حربته بذراعه ويأتي على هذا المجاهر بالمعصية فيدخل عليهما الخيمة أو الخيبة فيغرس فيهما حربته وهما يتضاجعان، ثم يخرج بهما ويقف على سيدنا موسى ومن معه ويقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك

وما أن أتم كلامه حتى رفع الله الطاعون عنهم مباشرة.

وأنزل مولانا في بلعام بن باعوراء هذه الآية التي صدرت بها حديثي إليكم، وضرب به مثلاً للكب ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ

تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦ والله حالة طبيعية في الكلب إن

حملته أو تركته، فذلك الحريص على الدنيا إن وعظته أو لم تعظه فهو

حريص على الدنيا، والحريص على الدنيا كلب، والكلب مثله مثلُ القوم الذين كذبوا بآيات الله إذ جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا، وإن تركوهم لم يهتدوا،

قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ (على قومك) لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) / الأعراف: ١٧٦.

وهكذا معشر السادة الكرام: خاب أمل بلعام في رد جيش موسى عن دخول الأرض المقدسة.

وسار الجيش بعده وعدته وبلغ بهم الجهد مبلغه فطلبوا الوقوف عند بقعة فيها ماء ليغتسلوا، وامتنع سيدنا موسى أن يغتسل معهم وكانت هذه عادته لا يكشف جسمه أمام بني إسرائيل، [فقالوا: لا بد أن به عيباً بجلده (إما آفة أو برص)]. فأراد الله تعالى أن يبرّئه مما قالوا، فقام يوماً وحده على شط بقعة من البحيرة فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإذا بالحجر يأتيه الأمر أن يحمل ثياب الكليم وينطلق بها، وراح الحجر يعدو بالثياب، وأخذ موسى عصاه وراح ينادي الحجر: ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر. حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوا جسده أحسن ما خلق الله وبرأه الله مما يقولون. ووقف الحجر بعد أن ثبتت براءة الكليم فإذا بالكليم، يأخذ ثيابه ويلبسها، وطفق ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أكثر، (خ ٢٧٨ - ٣٤٠٤ - ٤٧٩٩)، واسمع معي إلى قول مولانا جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا﴾ (١١) / الأحزاب: ٦٩

ومات من مات منهم أثناء اتجاههم إلى الأرض المقدسة، ومنهم رجل عاص ما عبد الله تعالى في عمره قط، واشتهر بين بني إسرائيل أمره حتى أبغضه كل واحد منهم، فلما مات ألقى بنو إسرائيل جثته إلى المزابل. فأوحى الله إلى سيدنا موسى يا موسى: خذ هذا العبد وغسله وكفنه وادفنه، فإن بني إسرائيل ألقوه على المزابل.

وسأل سيدنا موسى قومه عن هذا الرجل حتى دلوه عليه، فأخذه وغسله وكفنه ودفنه معزراً مكرماً ، فتعجب بنو إسرائيل من فعل الكليم وراحوا يذكرون له ماضيه السيئ، وأنه لم يسجد لله سجدة، قط ولم يترك معصية إلا فعلها فقال لهم: أمرني ربي عز وجل أن أفعل به ذلك. فقالوا: سل لنا ربك عن سبب تكريم هذا العاصي؟

فتوجه سيدنا موسى لرب العزة يدعوه ويسأله تفسيراً عن ذلك. أتعرفون ماذا أوحى الله إليه؟ قال: يا موسى وقع في يده يوم من الأيام ألواح من التوراة فرأى فيها اسم حبيبي محمد فقبله محبةً به، ولأجل ذلك غفرت له ذنوبه وأدخلته الجنة. (صلوا على الحبيب).

معشر السادة الكرام

ما إن وصل سيدنا موسى إلى أطراف بلاد الشام حتى اختار من قومه وفداً مؤلفاً من اثني عشر نقيباً، وأرسلهم طليعة إلى مدينة أريحا ليستطلعوا له خبر قومها، ولكنهم لما رأوا قوة الجبارين نكلوا عن حربهم ومقاتلتهم فأوحى الله إليه: - إلى متى يعصيني هذا الشعب، وإلى متى لا يصدقون بهذه الآيات، لأهلكنهم جميعاً ولأجلبن لك شعباً أقوى وأكثر منهم، فقال موسى: إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لقاتل الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة، وأنت الرب الصبور غفار

الذنوب فاغفر لهم ولا توبقهم، فقال الله لكليمه:- أني قد غفرت لهم بكلمتك، ولكن بعدما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم وحلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة وليأتينهم حتقهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة.

وقد قام بفتح هذه المدينة سيدنا يوشع بن نون على مقدمة الجيش. وكان فتحها معجزة وكرامة عظيمة إذ أن أسوار المدينة سقطت بصيحة واحدة . الله أكبر . فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم، فكانت الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على الرجل الواحد فيضربونه ضربة واحدة، وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت، فخشي يوشع أن يدخل السبت عليهم فدعا مولانا فقال: اللهم اردد الشمس عليّ وقال للشمس أنا في طاعة الله كما إنك في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروبها، فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين. ثم أمر جنوده أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خافضين رؤوسهم، وفي هذا يقول عز وجل:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ (أي حط عنا خطايانا) نَنْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
البقرة: ٥٨
أيها السادة:

إننا مع المحطات الأخيرة من حياة هذا النبي، فقد بلغ منه العمر مئة وعشرين سنة وملَّ كذب وخداع قومه، فأرسل مولانا إليه ملك الموت على هيئة إنسان فقال له: أجب ربك. فقال: إلى ماذا؟ فقال له: لتموت. فرفع سيدنا موسى يده فلطم عين ملك الموت البشرية ففقاها، وظنه رجل يكذب وأنه ليس

ملكاً. فرجع الملك إلى مولانا وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعره سنة. قال، موسى: أي رب ثم ماذا؟ قال ثم الموت. قال فالآن، ولكن يا رب قربني من الأرض المقدسة رميةً بحجر، يقول سيدنا رسول الله ﷺ لصحابته الكرام: **فلو كنت هناك لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . (ق).**

أيها الإخوة:

وهكذا انطوت صفحة أخرى مشرقة من تاريخ نبي من الأنبياء، فمن هو النبي الثامن عشر المذكور في الترتيب القرآني ما هي القضايا الإيمانية المستتبطة من حياته، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.



لا إله إلا الله

سيدنا الياس واليسع وداود

عليهم الصلاة والسلام

- ٤٧ -

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد ورسوله أرسله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين وحرزاً للأُميين وإماماً للمتقين، بأوضح دليل وأفصح تنزيل، وأنسح سبيل وأنفس تبيان وأبدع برهان.
اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً.
أما بعد:

فنحن ننزل اليوم ضيوفاً على عدد من الأنبياء والرسل الكرام من أنبياء بني إسرائيل، وكلهم هنا في بلاد الشام، هذه البلاد الطيبة المباركة مهبط الوحي ومبعث الأنبياء والرسل الكرام، الشام التي بارك الله فيها وبزروعها وثمارها وأهلها وخصها بخيرة خلقه ورسوله، وهؤلاء الأنبياء مقدمة بين يدي الحديث عن سيدنا داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

إننا باختصار مع الحلقة السابعة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة نرفع عالياً شعار التوحيد.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من سورة الصافات:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُم مُّخْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ الصافات: ١٢٣ - ١٣١

إلياس أيها الإخوة هو الحفيد الثاني لسيدنا هارون أخي نبي الله موسى. أرسله مولانا إلى أهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنماً (اسمه بعل) فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وهموا بقتله فهرب منهم واختفى عنهم في مغارة، حتى أهلك الله هذا الملك وتولى غيره، فعرض عليه سيدنا إلياس الإسلام فأسلم، وأسلم من قومه خلق عظيم.

« وقد اختلف في هذا النبي فقليل أيضاً: إنه حي إلى يوم القيامة وقيل إنه يجتمع مع سيدنا الخضر في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان كل سنة ويشريان من زمزم شربة تكفيهما كل العام، وأنهما يجتمعان في عرفات وأنه يحلق كل منها للآخر عند نهاية الحج (قط في الأفراد - ابن عساكر: ض)، والله أعلم بصحة ذلك » .

لكن الذي صرح به كتاب الله تعالى أن مولانا أثنى عليه وأبقى ذكره حسناً في العالمين ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴾ (١٤٠) / الصافات: ١٣٠.

وكان بعد إلياس اليسع من أولاد سيدنا يوسف بن يعقوب مكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، قال تعالى ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَهُودًا وَكَانَ قُلُوبُنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٦) الأنعام: ٨٦

معشر السادة:

وبذكر لنا التاريخ أن أمر بني إسرائيل قد مَرَج وعظمت فيهم الخطوب والخطايا، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، فسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يسفكون دماءهم، فكان بنو إسرائيل إذا أرادوا النصر على الأعداء حملوا معهم تابوتاً فيه بعض الآثار من زمن سيدنا موسى وهارون . فكانوا ينصرون ببركته، فلما رأى أعداءهم ذلك قهروهم ونزعوه من أيديهم وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع، حتى بعث الله فيهم نبياً يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه عدوهم في غزة وعسقلان.

وشمويل هذا هو المشار إليه في كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة

البقرة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧ وطالوت هذا هو من ذرية بنيامين بن يعقوب كان سقاً فاحتقروه لفقره وقالوا: ﴿ أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٤٧

فطلبوا منه آية على ملكه عليهم فقال لهم:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ

مِّن رَّبِّكُمْ وَيَقِينَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ ﴾ (٢٤٨)

البقرة: ٢٤٨ فإذا بهذا التابوت تأتي به الملائكة من أعدائهم حتى وضع أمام أعين بني إسرائيل، فكانت هذه الآية من بركة ولاية هذا الرجل الصالح.

وفعلا تولى قيادة جيش بني إسرائيل وسار بهم نحو الأردن، وأراد الله أن يمتحنهم ليرى المخلصين منهم فعلاً، فقال لهم:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ

بِيَّيَّ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ ﴾ (٢٤٩) البقرة: ٢٤٩ قال

المفسرون: كان الجيش عدة آلاف فشرب منه أكثرهم فبقي معه ٣١٣ مقاتل فقط (على عدة أهل بدر)، ولذلك لما جاوزوا نهر الأردن استقلوا أنفسهم

واستضعفوا عن مقاتلة عدوهم، لكن الشجعان منهم والفرسان أهل الإيمان

واليقين قالوا لهم: ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴾ (٢٥٠) البقرة: ٢٤٩ فتوجهوا جميعاً إلى الله تعالى حين برزوا

لجالوت الكافر وجنوده وقالوا: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٥٠) البقرة: ٢٥٠ وبرز مقلل صناديد من

بين المقاتلين أبدى شجاعة في القتال، وهو الذي تولى قتل جالوت، فمن هو

وكيف حدث ذلك؟

أيها السادة: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى ساحة المعركة لأشهد معكم

مقاتلاً صنديداً هذا المقاتل الصنديد هو سيدنا داود عليه الصلاة والسلام، إن

سيدنا داود سمع طالوت ملك بني إسرائيل أثناء تحريضهم على قتل جالوت

وجنوده يقول: من قتل جالوت رُؤِجته بابنتي وأشركته في ملكي، وكان داود

يرمي بالمقلع رمياً عظيماً، فبينما هو مع بني إسرائيل إذ ناداه ثلاثة أحجار أن يأخذها، وقالت: بنا تقتل جالوت، فأخذ الثلاثة في مخلاته، وما أن تواجه الصفان حتى برز إلى الطاغية جالوت واستقبله بمقلعه الذي جمع فيه أحجاره الثلاثة، ثم رمى بها ففلق رأس جالوت، وفرّ الجيش مهزوما وهذه النتيجة الإيمانية سطرتها الموجات القرآنية اسمعوها: ﴿فَهَزَمُوهُمْ يٰٓأَنۡزِلِ ٱللَّهُ

وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلۡكَ وَٱلْحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مَعَٰيۡشَآءً ۚ ﴿٢٥١﴾ البقرة: ٢٥١

وهنا كافأ طالوت سيدنا داود وزوجه من ابنته، وأجرى حكمه في ملكه، وعظم داود عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه، فترك طالوت الملك له لما رأى من عدله وحُبّ رعيته له.

وهكذا -معشر السادة: تبدأ صفحة جديدة من حياة هذا النبي الذي أوتي من الفضائل والمكارم ما لم يؤت غيره من الأنبياء، فقد ألان له مولانا الحديد، وأعاناه على عمل الدروع ليتحصن المقاتلة من الأعداء، واسمعوا إلى قول مولانا عز وجل في سورة سبأ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوۡبَىٰ مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرُ ۖ وَٱلنَّآءُ لَهُ ٱلْحَدِيدُ ۚ ﴿١٠﴾ ۖ أَنِ ٱعۡمَلْ سَبۡعَ نَجۡتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرِّ ۖ وَٱعۡمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ ﴿١١﴾﴾ سبأ: ١٠ - ١١
وعلى موجات سورة الأنبياء: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يَسۡخَنَ وَٱلطَّيۡرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۚ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمَنَاهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمۡ لِنُحۡصِنَكُمۡ مِّنۡ بِآسِكُمۡ ۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَاكِرُونَ ۚ ﴿٨٠﴾﴾ الأنبياء: ٧٩ - ٨٠ قال المفسرون: ألان الله له الحديد حتى كان يفتله

بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، وكان أول من عمل الدروع من الزرد، وإنما كان قبل ذلك من صفائح، وكان يبيعهما لقومه، ولهذا يقول نبينا الأعظم

ﷺ : «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب

يده» (خ- ن) وقد بلغ في العبادة والطاعة وقيام الليل والصوم مبلغه ولذا كانت الجبال تسبح معه حيث تسمع صوته الجميل، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الأذان بمثله، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكراً وعشياً، وخفف الله عليه تلاوة الزبور فكان يقرؤه بوقت قصير، واسمعوا إلى الحبيب يقول لنا في رواية البخاري: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يديه» (خ ٣٤١٧). والمراد بالقرآن هنا الزبور

المنزل عليه في شهر رمضان وهو مواعظ وحكم وعلى موجات سور ص: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٩) ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (٢٠) ص: ١٧ - ٢٠

أعطيناه ملكاً عظيماً، وحكماً نافذاً، وقضائاً، مبرماً وطاعة نافذة في قومه، وانظروا قوله جل جلاله: {وآتيناها الحكمة}، أي النبوة وفصل الخطاب أي كيفية الحكم والقضاء، وهو الشهود وحلف الأيمان ضمن القاعدة الشرعية (البينة) على المدعي واليمين على من أنكر) فعن ابن عباس: ان رجلين تداعيا الى داود في بقرة وادعى أحدهما على الآخر أنه قبضها منه، فأنكر المدعى عليه، فأرجأهما إلى الليل ليحكم بينهما، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعى، فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيتك على هذا، قال: والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيتك عليه، لكني كنت قتلت أباه قبل هذا، فأمر به سيدنا داود فقتل.

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٦﴾ ص: ٢٦

هذا هو الوعيد لولاة الأمور وحكام الناس يأمرهم مولانا بالعدل، واتباع الحق المنزل من الله تعالى، لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك، وحكم بغير ذلك، ولهذا اسمعوا إلى حبيب القلوب ﷺ يقول:

«المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم وما ولّوا» (م ٦ / ٧).

وقال: «إن أحب الناس إلي يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً: إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً: إمام جائر(ظالم)» (ض: الروض ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧).

ولهذا جعل سيدنا رسول الله تثنى القضاة من أهل النار فقال: «قاضي في الجنة وقاضيان في النار» (الأربعة د ٣٥٧٣ - هـ ٢٣١٥ - هب ١٠ / ١١٦ - حا ٩٠ / ٤).

فيا ويلهم قضاة السوء - الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى. قال وهب بن منبه: لما كثر الشرّ والشهادات الزور في بني إسرائيل أعطي داود سلسلة لفصل القضاء، فكانت ممدودة من السماء لا يصل إليها أحد إلا صاحب حق، فلم تزل كذلك حتى استودع رجلٌ لؤلؤة عند رجل، فلما طلبها منه جدها، فاحتكما إلى سيدنا داود، فأمرهما المثل أمام السلسلة، فإذا بهذا المحتال أودع اللؤلؤة ضمن عصي خبأها فيها، فلما حضرا عند السلسلة قال للمدعي (صاحب اللؤلؤة) أمسك لي هذه العصا قليلاً ثم أمسك السلسلة وقال:

اللهم إنك تعلم أنني دفعتها إليه، فإذا بالسلسلة يرفعها رب العزة إلى السماء من غير رجعة.

وقد عرضت قضية على سيدنا داود من قبل خصمين تسورا عليه المحراب أثناء عبادته، واسمعوا إلى هذه القضية يعرضها علينا كتاب الله على موجات سورة ص فقال عز من قائل:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾ ص: ٢١ - ٢٢ فما هي هذه القضية اسمعوها بإمعان وإنصات: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجَائِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾﴾ ص: ٢٣ - ٢٤

قضى سيدنا داود مباشرة بهذه القضية دون أن يسمع من الخصم الآخر، وعرف داود أن هذا الأمر الذي فعله كان امتحاناً من الله له فتأب وأتاب، واسمعوا تتمة الحدث:

﴿وَلَمَّا دَاوُدُ أُنْمَا فَنَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ ص: ٢٣ - ٢٤

وهكذا معشر السادة

قضى سيدنا داود عمره الذي بلغ المئة سنة في العدل والعبادة، وكان فيه غيرة شديدة على أهل بيته، كان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، وكان قد تزوج مئة امرأة، منهن أم سيدنا سليمان، فخرج ذات يوم وغلق الدار فأقبلت امرأته فاطلعت على صحن الدار فإذا برجل قائم وسط الدار، وخاف النسوة من الفضيحة، فلما جاء سيدنا داود داره فقال: من أنت؟.

فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمتنع من الحجاب فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله.

وفي رواية: أتاه ملك الموت وهو نازل من محرابه. فقال له: دعني أنزل أو أصعد. فقال: يا نبي الله! قد نفذت السنون والشهور والآثار والأرزاق. قال: فخر ساجداً على درجة من تلك الدرجات فقبضه وهو ساجد.

هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند (٤١٩ / ٢) وفيه المطلب بن عبد الله بن حنسطب وثقه أبو زرعة وبقية رجال الصحيح.

أيها السادة: خرج بجنابة نبي الله داود يومئذ أربعون ألف راهب، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود، قال: فأذاهم الحر، فنادى سليمان أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر، فنادى سليمان الطيور وأمرها أن تظلل الموكب، فأظلتهم الطير، فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان.

أيها السادة: وهكذا يموت الأخيار ويتبعهم على الدرب العبيد والأحرار، ولن يستطيع أحد أن يدعي الخلود على الأرض فمن ادعى ذلك فهو كذاب. لو خُلد أحد على الأرض لخلد الله الأنبياء والمرسلين اذكروا هذه القضية تماماً.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ فصلت: ٤٦ / فصلت: ٤٦.

وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

أيها الإخوة :

وسارت الجمال مُحَمَّلَةً بالهدايا والتحف من اليمن مسيرة شهرين أو أكثر في موكب عظيم ذكره المفسرون، فكيف كان ردُّ الملك على هذه الرشوة؟
 إن سيدنا سليمان انتفض وغضب وقال لوزير الملكة بلقيس وسفيرها حينما دخلوا عليه بالهدايا: ﴿ قَالَ أَتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾ (أتقدمون لي هذا العرض التافه الرخيص)،
 فَمَا ءَاتَيْنِ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ (أتاتي العلم والنبوة وتسخير الجن والطير، فما عاد شيء من عرض الدنيا يفرحني) بَلْ أَنتُمْ بِهِدَايَتِكُمْ نَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ .أيها السفير .فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِثْرَةٍ لِّمَا هُمْ بِهَا وَالنَّخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (مهزومون) .﴿٣٧﴾ النمل: ٣٦ - ٣٧
 هذا هو القرار الحربي الذي أعلنه سيدنا سليمان على هذه المملكة، وردَّ الهدايا والوفد الملكي المرافق لها إلى ديارهم، فأخبروا ملكتهم بما شاهدوه من أمر هذا الملك العظيم، وعظم مملكته وكثرة جنوده وأنهم لا طاقة لهم به، فبادروا جميعاً إلى السمع والطاعة وأجابوه مباشرة في تلك الساعة، وأقبلوا بصحبة ملكتهم بلقيس سامعين مطيعين.

أيها السادة

وبلغ سيدنا سليمان قدومهم عليه ووفودهم إليه فجمع حاشيته وقال لمن بين يديه، ممن هو مسخر له من الإنس والجان ما ذكرته الموجات الإيمانية القرآنية: ﴿ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ^ط (قبل أن ينتهي مجلس حكمك) وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ (وزير سليمان وابن خالته كان يحفظ اسم الله الأعظم قل له بكل يقين وإيمان) أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾ النمل: ٣٨ - ٤٠

(هذا مخلوق فكيف بك بالخالق جل جلاله) ولم يتم كلامه حتى نبع العرش من الأرض بجوار عرش سليمان هذه هي الكرامة العظيمة التي دلت على حاشية الملك سليمان، حاشيته أولياء لهم كرامات، إذ أن الله استجاب له مباشرة.

هذه هي قدرة الله ظهرت على يد هذا العالم الرباني تقديراً وكرامة له، أو قل هي معجزة لسيدنا سليمان لذلك استوجبت هذه النعمة شكر سيدنا سليمان الذي قال مباشرة: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكُفِّرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤٠

﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ (غيروا صفات العرش جملوه بغير زينته لنتحير عقل الملكة) نَنْظُرُ أَنَهْنِدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ النمل: ٤١

قالوا: إن هذه الملكة أمها جنية تزوجها أبوها فصارت تعرف كل شيء عن الجن، فخاف جن سليمان أن يتزوج من هذه الملكة فتكشف له أمر الجن، فراحوا يسيئون الكلام فيها، فقالوا: إن رجلها كرجل الحمار، وعلى ساقها يوجد شعر كشعر الرجال. فماذا فعل سيدنا سليمان؟

أقام لها بجوار عرشها صرحاً من زجاج صافٍ جداً وسيّر ضمنه الماء. أيها الإخوة

تعالوا بنا نشهد خاتمة هذه الملكة التي خرجت من اليمن نحو فلسطين السليبية (ردها الله سالمة)، ودخلت ضمن موكب عظيم يليق بالملوك، حتى إذا استأذنت بالدخول وأذن لها فوجئت بعرش آخر يشبه عرشها بجوار عرش سيدنا سليمان قال لها: ﴿ أَمْ كَذَابُ عَرَشِكِ ﴾ النمل: ٤٢

فكانت ذكية فطنة وهي التي تركت عرشها في اليمن، لكن قد يكون عند الملك سليمان قدرة للإتيان به فقالت ﴿كَأَنَّهُ هُوَ ۚ﴾ ﴿٤٢﴾ النمل: ٤٢ هذا جواب سياسي ذكي محنك، يدل على أن الملكة كانت في غاية الذكاء والحزم. وأمرها سيدنا سليمان أن تجلس على العرش، فرأت الصرح فظنته ماءً فكشفت عن ساقها، فرد سيدنا سليمان نظره عنها وقال:

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ﴾ ﴿٤٤﴾ النمل: ٤٤ لا تخافي فإن عليه زجاجاً، وهنا عرف سيدنا سليمان كذب الجن، وعرض عليها الإسلام ووجوب الاعتقاد بالله ووحدانيته، وربّ الكون والشمس والقمر، فإذا بها تسلم على يديه وانظروا إلى النهاية السعيدة قالت تائبة منيية؟ إلى الله تعالى:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ النمل: ٤٤ وهكذا . معشر السادة . تزوج سيدنا سليمان من السيدة بلقيس وأقرها على مملكتها في اليمن، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقم عندها ثلاثة أيام على بساط الريح ذهاباً وإياباً، وبنى لها قصوراً ثلاثة في اليمن مشهورة مباركة.

فما هي النعم العظيمة التي آتاها الله نبيه سيدنا سليمان، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا سليمان بن داود

- ٤٨ -

الحمد لله الذي قَرَّبَ إلى جنانه من أحبِّ واختار، فصَيَّرَه من أحبابه السادة الأبرار، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهار

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم تشخص فيه الأبصار، وتحيط به الأوزار، ويغضب الملك الجبار

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنتخب من جميع الأنبياء والرسل الكرام، فهو خيار من خيار من خيار

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته الطيبين الأطهار. وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فأعود بكم اليوم قرونًا طويلة من الزمن، رحلةً بعيدة في الزمان، ولكني لن أبعد بكم في المكان، بل سأقف بكم أمام قبة الصخرة في القدس الشريف، هذه البقعة المباركة كانت يوماً من الأيام عاصمة الأرض كلها، فيها الغنى والسلطان، فيها الجمال والجلال، وكانت الكلمة تخرج منها فلا يردّها شيء حتى تصل إلى أقصى المشرق وأبعد المغرب، يوم أن كان هناك قصر الملك، وأي ملك كان يسكن تلك البقعة، إنه أحد الأقوياء الأربعة الذين حكموا الأرض كلها قاصيها ودانيها. كان له بساط مركب من أخشاب يسع جميع ما يحتاج من البيوت المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان، فإذا أراد سفرًا أو متنزهاً أو قتال ملك من أي البلاد شاء، حمل

هذه الأمور المذكورة على البساط، وأمر الريح فدخلت تحته فرفعته، فإذا استقل بين السماء والأرض أمره فطار به، فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعت في أي مكان شاء، كان يرحل أول النهار من بيت المقدس فتغوى به الريح في ساعات ما تسير به الجمال مسيرة شهر، ثم يرجع آخر النهار إلى القدس الشريف.

إنه النبي ابن النبي، والرسول ابن الرسول، والملك ابن الملك سيدنا سليمان بن داود أحد ذرية سيدنا يعقوب، قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. إننا باختصار مع النبي والرسول الواحد والعشرين في سلسلة النبوات والأنبياء ومع الحلقة الثامنة والأربعين من ملف القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة نرفع معاً شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا
 هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ النمل: ١٥ - ١٦

معشر السادة الكرام:

هذا هو خطاب العرش الذي ألقاه سيدنا سليمان عندما تولى سدة النبوة والملك والخلافة في الأرض عن أبيه سيدنا داود، ولأول مرة في التاريخ نسمع عن ملك له جيش من جميع طبقات الخلق: الإنس والجن، والطير والوحوش، فقد كان الجن والإنس يمشون بركابه. والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وأمام

هذه الجيوش وفي مؤخرتها وزعة أي نقباء وعرفاء يردون أول الجيش على آخره فلا يتقدم أحد من موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر.

معشر السادة الكرام:

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بثاً حياً على الهواء مباشرة للعرض العسكري الذي أقامه القائد الأعلى للجيوش السليمانية سيدنا سليمان داود: ﴿ وَحِشْرَ لُسُلَيْمَنْ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (يدفعون) ﴿ ١٧ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي (اجمعني كلي: جوارحي ومشاعري وخواطري، اجمع طاقاتي كلها) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ ١٩ ﴾ النمل: ١٧ - ١٩

إذا كان معرفة سليمان للغات الجن والطير والحيوان معجزة فالمعجزة الأعظم أن تعرف النملة أن هؤلاء سليمان وجنوده (وحدوا من لا يغفل ولا ينام). فلماذا يا ترى خرج بجنوده هؤلاء جميعاً، وفي هذا اليوم بالذات، خرج هو وأصحابه يستسقون، أتعرفون ماذا رأى سيدنا سليمان؟! لقد رأى عجباً، رأى نملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول: . اللهم أنا خلق من خلقك، ولا غنى بنا عن فضلك.

فقال سيدنا سليمان: ارجعوا فقد سقيتم من أجل نملة، وما أن أتم كلامه حتى صب الله عليهم المطر.

أيها الإخوة الكرام:

وفي عرض آخر لجنوده قام القائد الأعلى للأمة السليمانية باستعراض جيشه على عادته من جميع طبقات جنوده ففقد أحد قادة طيوره، لم يحضر الاجتماع الصباحي على ما يبدو، فماذا حدث؟

اسمعوا هذا التفقد الذي ذكره مولانا على موجات سورة النمل:

﴿ وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

النمل: ٢٠ (يعني بغير إذن، وحينئذ يتعين الحزم كي لا تكون فوضى، وسيدنا سليمان ليس ملكاً جباراً إنما هو نبي، وانظروا إلى سمة النبي العادل قال): ﴿ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ النمل: ٢١ (حجة قوية بين فيها عذره).

أرأيتم مثل هذه اليقظة والدقة والحزم، لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير، وإذا بالهدهد يأتي ويطلع سيدنا سليمان عن وجود مملكة عظيمة في اليمن على رأسها امرأة تدعى بلقيس، رغم أن نبينا الأعظم ﷺ يقول: « لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ امْرَأَةٌ » (خ ٧٠٩٩)، واسمعوا البيان القرآني يحدثنا عن الهدهد: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَرٍ يَقِينٍ (ما هو؟): ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل: ٢٢ - ٢٤

هذا هو التقرير المفصل الذي قدمه الهدهد لسيدنا سليمان، وكما يفعل كل حر شريف، كل قائد لأية مجموعة يقدم له تقرير، أراد أن يتأكد، قال له: ﴿ قَالَ

سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ
فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ النمل: ٢٧ - ٢٨

وهكذا معشر السادة

صدر القرار الملكي إلى الهدهد، فنفذه بحذافيره وسار من فلسطين إلى
اليمن، فوجد الملكة بلقيس في مجلس حكمها، فألقى عليها رسالة الملك،
فنظرت فيها وراحت تقرأ الرسالة على أعضاء مجلس الملك:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ كَارِهِمُ ﴾ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ
﴿٣٣﴾ النمل: ٢٩ - ٣٣

وراحت تفكر في نفسها: إن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا
يخالف ولا يخادع فارتأت رأياً أرشد من رأيهم: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ النمل: ٣٤

هذا هو الرأي الذي تمخض عنها، أن ترسل الهدايا والتحف، والهدية تنفع
مع ملوك الدنيا، فإن لم يقبلها فهو أمر يتعلق بالاعتقاد، وإذا تعلق الأمر
بالعقيدة فمعناه عدم المبالاة بالدنيا، لأنها لم تعلم أن هذا الملك غير الملوك،
ملك لا تزن الدنيا عنده جناح بعوضه، ملك مؤيد من ربه لا يقبل صرفاً ولا
عدلاً لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون.

أيها الإخوة :

وسارت الجمال مُحَمَّلَةً بالهدايا والتحف من اليمن مسيرة شهرين أو أكثر في
موكب عظيم ذكره المفسرون، فكيف كان ردُّ الملك على هذه الرشوة؟

إن سيدنا سليمان انتفض وغضب وقال لوزير الملكة بلقيس وسفيرها حينما دخلوا عليه بالهدايا: ﴿ قَالَ أَتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾ (أتقدمون لي هذا العرض التافه الرخيص)، فَمَا ءَاتَيْنَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ (آتاني العلم والنبوة وتسخير الجن والطير، فما عاد شيء من عرض الدنيا يفرحني) بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ .أَيُّهَا السِّفِيرُ .فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (مهزومون) .﴿٣٧﴾ النمل: ٣٦ - ٣٧ هذا هو القرار الحربي الذي أعلنه سيدنا سليمان على هذه المملكة، وردَّ الهدايا والوفد الملكي المرافق لها إلى ديارهم، فأخبروا ملكتهم بما شاهدوه من أمر هذا الملك العظيم، وعظم مملكته وكثرة جنوده وأنهم لا طاقة لهم به، فبادروا جميعاً إلى السمع والطاعة وأجابوه مباشرة في تلك الساعة، وأقبلوا بصحبة ملكتهم بلقيس سامعين مطيعين.

أَيُّهَا السَّادَةُ

وبلغ سيدنا سليمان قدومهم عليه ووفودهم إليه فجمع حاشيته وقال لمن بين يديه، ممن هو مسخر له من الإنس والجان ما ذكرته الموجات الإيمانية القرآنية: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَايَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ^ط (قبل أن ينتهي مجلس حكمك) وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ (وزير سليمان وابن خالته كان يحفظ اسم الله الأعظم قال له بكل يقين وإيمان) أَنَا ءَايَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ^ع ﴿٤٠﴾ النمل: ٣٨ - ٤٠

(هذا مخلوق فكيف بك بالخالق جل جلاله) ولم يتم كلامه حتى نبع العرش من الأرض بجوار عرش سليمان هذه هي الكرامة العظيمة التي دلت على حاشية الملك سليمان، حاشيته أولياء لهم كرامات، إذ أن الله استجاب له مباشرة.

هذه هي قدرة الله ظهرت على يد هذا العالم الرباني تقديراً وكرامة له، أو قل هي معجزة لسيدنا سليمان لذلك استوجبت هذه النعمة شكر سيدنا سليمان الذي قال مباشرة: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ ۖ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤٠

﴿ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ (غيروا صفات العرش جملوه بغير زينته لتختبر عقل الملكة) نَظَرُ أَنْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ النمل: ٤١

قالوا: إن هذه الملكة أمها جنية تزوجها أبوها فصارت تعرف كل شيء عن الجن، فخاف جن سليمان أن يتزوج من هذه الملكة فتكشف له أمر الجن، فراحوا يسيئون الكلام فيها، فقالوا: إن رجلها كرجل الحمار، وعلى ساقها يوجد شعر كشعر الرجال. فماذا فعل سيدنا سليمان؟

أقام لها بجوار عرشها صرحاً من زجاج صافٍ جداً وسيّر ضمنه الماء. أيها الإخوة

تعالوا بنا نشهد خاتمة هذه الملكة التي خرجت من اليمن نحو فلسطين السليبية (ردها الله سالمة)، ودخلت ضمن موكب عظيم يليق بالملوك، حتى إذا استأذنت بالدخول وأذن لها فوجئت بعرش آخر يشبه عرشها بجوار عرش سيدنا سليمان قال لها: ﴿ أَمْ كَذَابُ عَرَشِكِ ۖ ﴾ النمل: ٤٢

فكانت ذكية فطنة وهي التي تركت عرشها في اليمن، لكن قد يكون عند الملك سليمان قدرة للإتيان به فقالت ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ النمل: ٤٢ هذا جواب سياسي ذكي محنك، يدل على أن الملكة كانت في غاية الذكاء والحزم. وأمرها سيدنا سليمان أن تجلس على العرش، فرأت الصرح فظنته ماءً فكشفت عن ساقها، فرد سيدنا سليمان نظره عنها وقال:

﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ ﴾ النمل: ٤٤ لا تخافي فإن عليه زجاجاً،
وهنا عرف سيدنا سليمان كذب الجن، وعرض عليها الإسلام ووجوب الاعتقاد
بالله ووحدانيته، وربّ الكون والشمس والقمر، فإذا بها تسلم على يديه وانظروا
إلى النهاية السعيدة قالت تائبة منيية؟ إلى الله تعالى:

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل: ٤٤
وهكذا . معشر السادة . تزوج سيدنا سليمان من السيدة بلقيس وأقرها على مملكتها
في اليمن، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام على بساط الريح
ذهاباً وإياباً، وبنى لها قصوراً ثلاثة في اليمن مشهورة مباركة.
فما هي النعم العظيمة التي آتاها الله نبيه سيدنا سليمان، أعلق هذا السؤال
لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما
أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وفاة

سيدنا سليمان

- ٤٩ -

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على جميل بلائه
وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدّها ليوم لقائه.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد رسله وخاتم أنبيائه
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأصفيائه، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة
كنت قد علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول النعم التي آتاها الله
نبيه سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنا اليوم بعون الملك
المعبود أجيب عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة التاسعة والأربعين
من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أرفع
معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

أيها الإخوة الكرام

إن أعظم نعمة منّا الله تعالى على سيدنا سليمان نعمة النبوة والرسالة ثم
نعمة الملك، هذا الملك الذي اتسعت رقعته حتى شمل أكثر الأرض، وكثر
جنوده وتنوعوا حتى لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه لأحد بعده مثل ما أوتيته، وقد
صرحت الآيات القرآنية بذلك على لسان نبي الله سليمان، فعلى الموجات
الإيمانية من سورة النمل ثم سورة ص: ١٦ ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ

الْفَضْلُ الْمُمِينُ ﴿١٦﴾ النمل: ١٦ ، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣٥﴾ ص: ٣٥

وآتاه الله تعالى معرفة لغة الطيور والحيوانات، وسخر له الريح تجري بأمره حيث أراد من أي البلاد على بساط الريح، وسخر له الجن والشياطين يعملون بين يديه بإذن الله الواحد القهار، لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن أمره عذّبه ونكّل به الله عز وجل وسخر له النحاس ليصنع فيه ما يشاء، واسمعوا إلى النعم هذه ذكرها رب العزة والجلال ممتناً بها على نبيه سيدنا سليمان، قال تعالى:

﴿ وَاسْلَيْمَنْ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ الأنبياء: ٨١ - ٨٢
وعلى موجات سورة ص:

﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ص: ٣٦ - ٣٨
وعلى موجات سورة سبأ:

﴿ وَاسْلَيْمَنْ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ ﴾ ﴿١٢﴾ سبأ: ١٢
أيها الإخوة الكرام

ومن أعظم النعم التي آتاها الله سيدنا سليمان بناؤه لمسجد بيت المقدس حيث بناه ورفعته بناءً محكماً، وكان أول من أوقفه مسجداً سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، وساعده على ذلك الإنس والجن معاً ولأول مرة نسمع أن الجن مع الإنس يبنون، حتى أتم بناء المسجد بناءً جميلاً، أقاموا فيه المحاريب،

ورسموا اللوحات والحيوانات على الجدران (وكان ذلك جائزاً في شريعتهم) وصنعوا الأحواض المائية والقصور الثابتة، وكان من كرم الله تبارك وتعالى أن سخر له النحاس ألانه كالماء يجري بين يديه وسمع معي الى الموجات العاملة في سورة سبأ تصرح بذلك:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ سبأ: ١٢ - ١٣

أيها الإخوة الكرام:

فمن المعلوم أن بين سيدنا إبراهيم باني المسجد الحرام وبين سليمان داود أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة، وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد بناء البيت المقدس.

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك لأشهد مكان الاحتفال المهيّب بافتتاح بيت المقدس، هذا المعبد الذي أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى وحده، وأرى نبي الله سليمان ساجداً شاكراً لمولانا أن أكرمه الله ببناء بيته، وهنا توجه إلى مولانا يدعوه ويسأله ثلاث دعوات:

فعن صلى الله عليه وسلم أنه:

قال: إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة: سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه.

وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، يقول الحبيب الأعظم: « **فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها** » (ن ٢ / ١٣٣٤ برقم ٦٩٣ - أحمد ٢ / ١٧٦ - حب ١٦٣٣ خزيمة ١٣٣٤ - هـ ١٤٠٨ - صحيح).

فهل حقق الله له هاتين الدعوتين . تعالوا . معشر الإخوة . ندخل قصر سيدنا سليمان إلى قاعة حكمه وقضائه فإني أرى على بابه قضيتين، إننا هناك في قاعة الحكم وهي تموج بقوم رفعوا أمرهم إلى الملك سليمان واسمحوا لي أن استعرض لكم موجبات القضية:

فقد هوجمت غنم لقوم من بني إسرائيل على أرض زراعية فيها كروم الغنم الممتدة فراحت تأكله الليل طوله، فاختصم الجيران أصحاب الغنم مع أصحاب الأرض ورفعوا أمرهم إلى نبي الله داود فحكم سيدنا داود لأصحاب الكروم بقيمة الغنم. فلما خرجوا التقوا سيدنا سليمان فسألهم بما حكم بينكم نبي الله، فقالوا: بقيمة الكروم. فقال لهم أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكروم فيستغلونها نتاجاً ودرأً (حلياً) حتى يصلح أصحاب الغنم كروم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ ذلك والده. فقال نعم القضاء والرأي، ثم حكم لهم به.

وهذه النتيجة القضائية سطرتها الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء فقال رب العزة:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ (رَعَتْهُ بِاللَّيْلِ) وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأنبياء: ٧٨ - ٧٩

وأما القضية الثانية فكانت بين امرأتين إحداهما أكبر من الأخرى، وقد ولدت كل واحدة منهما ولداً حديثاً وقد عُرِضَتْ هذه القضية وتحدث بها من تحبون من أن تصلوا عليه، فقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة أن نبينا الأعظم ﷺ قال:

بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ أحدهما، فتنازعتا في الآخر، فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك. فقالت الصغرى: بل ذهب بابنك. فتحاكما إلى سيدنا داود، فحكم به للكبرى، فخرجتا على سيدنا سليمان، فقال: آتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها. فقضى به لها أي للصغرى، لأنها خافت على ولدها.

ومما مَنَّ الله به على نبي الله سليمان: أنه تزوج ألف امرأة، سبعمائة منهن حرائر وثلاثمئة جوارٍ، وكان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً، واسمعوا معي إلى حبيبنا وقرّة أعيننا سيدنا محمد ﷺ يقول (ق):

«قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأ طوفن الليلة بمئة امرأة - أو تسع وتسعين - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله. قال الحبيب الأعظم: ونسي أن يقول إن شاء الله. قال فأطاف بهن (في ليلة واحدة)، فما هي النتيجة اسمع إلى نبينا ﷺ يقول: فلم تلد منهم امرأة إلا واحدة (ولدت) نصف إنسان. ثم قال: ولو قال إن شاء الله لم يحنت وكان دركاً لحاجته. وفي رواية (ضعيفة): والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل. وهذه الحادثة سمّاها رب العزة فتنة. فقال عز من قائل:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ص: ٣٤

معشر السادة الكرام

مازلنا في تعداد النعم التي أنعمها الله تعالى على نبيه سليمان، فمع كل ماآتاه الله تعالى من الملك والجاه والسلطان، مع كل هذه النعم قال له رب العزة: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٣٩﴾ ص: ٣٩ هذا عطوانا فأعط من شئت وارفع من شئت فلا حساب عليك.

هذه هي المكانة العظمى التي بلغها نبي الله سليمان، وإن له مكانة أعظم مما أوتي في الدنيا، ولسمعوا ماذا يقول مولانا: ﴿ وَإِنَّ لَهُمُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَامٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ ص: ٤٠

هذا هو شأن الرسل والملوك يتصرفون كيفما شاءوا، وأما العبد الرسول فلا يتصرف أي تصرف حتى يستأذن سيده ومولاه الله رب العالمين، وقد خُيِّرَ نبينا ﷺ بين هذين المقامين في المعراج، سأله رب العزة: أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً، فالتفت إلى سيدنا جبريل فأشار إليه: أن تواضع. فاختار نبينا أن يكون عبداً رسولاً.

هذا النبي المصطفى، هذا الحبيب المجتبي، أتدرون ماذا كافأه الله على تواضعه، إن رب العزة جعل الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة، كرامة لسيدهم سيدنا محمد ﷺ .

أيها السادة الكرام

بقي سيدنا سليمان ملكاً أربعين سنة، كان ملك الموت يزوره خلالها فقال له سيدنا سليمان: يا ملك الموت. قال لبيك. قال: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني. فقال ملك الموت: ما أنا أعلم بذلك منك، إنما هي كتب يلقي إليّ فيها تسمية من يموت.

ومرة دخل ملك الموت (بهية إنسان) على سيدنا سليمان وعنده رجل من حاشيته، فنظر إليه ملك الموت وتأمله بدهشة واستغراب، فلما خرج من عند سليمان قال الرجل لسيدنا سليمان: من هذا يا نبي الله؟ فقال سيدنا سليمان: هذا ملك الموت. فقال الرجل: والله يا نبي الله ارتعدت فرائصي منه ومن نظراته تلك، فَمُرَّ الرياح تبعني عن هذا المكان فإني أخاف أن تقبض روعي فيه، فأمر سليمان الريح فحملته إلى بلاد الهند في لحظة واحدة، فإذا بملك الموت يدخل ثانية على الملك فيسأله سيدنا سليمان: لماذا كنت تنظر إلى جليسي فلان بدهشة واستغراب. فقال ملك الموت: استغرب أن أجده عندك في بيت المقدس وقد أمرني مولاي أن أقبض روحه في الهند بعد لحظات (صحيح).

﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ النساء: ٧٨

وكان نبي الله سليمان يمكث الشهر والشهرين والسنة والسنتين في بيت المقدس، يدخل فيعتكف هناك، ولا يجرو أحد أن يدخل عليه محرابه. فإذا دخل عليه شيطان ما أو جني احترق واندثر، حتى دخل مرة ومعه عصاه، فقام بين يدي مولانا في محرابه يتعبد قائماً، حتى تعب فتوكأ على عصاه، فجاءه ملك الموت فقبضه وهو قائم يصلي. وكان موته آية من آيات الله تعالى، إذ أن الجن كانوا يدعون أنهم يعلمون الغيب فراحوا يعملون وهم ينظرون إليه من الشبايبك والكوى وهو قائم ولم يعلموا بموته، فيقومون بعملهم بدون توان ولا تقصير خوفاً من العقاب فبقي سيدنا سليمان على تلك الحالة سنة كاملة، قائماً متكئاً على عصاه، فأرسل الله دودة الأرض تأكل من أسفل عصاه وداخلها، حتى ضعفت العصا وثقل عليها فخر سيدنا سليمان على

الأرض، فلما رأت الجن ذلك انفضُّوا وتفرقوا شذر مذر، واسمع إلى البيان القرآني:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤)

وهكذا معشر السادة الكرام

تطوى صفحة مشرقة من صفحات الأنبياء، فمن هو النبي الواحد والعشرين؟

أعلق هذا السؤال إلى ما بعد شهر رمضان المبارك، فإن رمضان معيار لا يسع غيره.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى

- ٥٠ -

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال، المتصرف في عباده وأنبيائه باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال، المتعالي عن الأشياء والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، أحمدُه حمداً يحفظ النعم عن الزوال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله هادياً من الضلال، وداعياً إلى أشرف الخلال، ومرشداً إلى صالح الأعمال، ومحرراً من الحميم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، وسلم تسليماً..

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

كنت قد علقت معكم سؤالاً قبل شهر رمضان المبارك عن القضايا الإيمانية في حياة النبي الثاني والعشرين من سلسلة الأنبياء والنبوات، وها نحن اليوم نستفتح بحمد الله تعالى الأيام الأولى من شهر شوال المبارك لنقف معاً على أعتاب هذا النبي، بل النبيين الشهيد اللذين قتلتهما أعداء الإنسانية اليهود، ومنذ أن بدؤوا يقتلون أنبياءهم لم يتوقفوا عن القتل حتى هذه اللحظة.

إننا باختصار مع حفيدين من أحفاد سليمان وداود مع سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى الحضور في الحلقة الخمسين من سلسلة النفحات المنبرية في

القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعِمُ جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من سورة آل عمران:
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ آل عمران: ٣٣ - ٣٥
معشر السادة الكرام:

آل عمران هم أسرة السيدة مريم، وعمران هذا أبوها، كان قبل وفاته صاحب صلاة بني إسرائيل وإمامهم في زمانه، وكان في عهد نبي الله ورسوله سيدنا زكريا زوج أخت السيدة مريم.

وقبل أن أُلجَّ معكم إلى حياة هذا النبي الكريم أرى لزماً علي أن أتصفح معكم صفحاً رقيقاً الصفحة الأولى من ملف حياته، فإن مولانا صدر الحديث عن حياته بالحديث عن مشاهد إيمانية جعلها مقدمة للحديث عن القضايا الإيمانية الخاصة به، هذه المشاهد الإيمانية خاصة بحياة السيدة حنة والدة السيدة مريم إحدى عابدات بني إسرائيل، وكانت امرأة عاقراً، فرأت يوماً طائراً يطعم فرخاً له فاشتتهت الولد، فنذرت وهي قائمة تتعبد، نذرت لله إن هي حملت لتجعلن ولدها محرراً (حبيساً) في بيت المقدس، وما أن أتمت دعاءها حتى استجاب الله لها فحاضت من فورها، فلما طهرت واقعها زوجها فحملت شاكراً لله تعالى هذا الإكرام العظيم، لكنها فوجئت حينما وضعت أنها وضعتها

أنثى، والناس في ذلك الزمان يندرون لبيت المقدس الذكور من أولادهم، لكنها وَقَّتْ بنذرهما الذي نذرتة، واستودعتها رب العزة وعوذتها من شر الشيطان الرجيم، وإليكم البيان القرآني حول ذلك:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٦ ﴾ آل عمران: ٣٦

هكذا يجب على الأمهات أن يفعلن، أتعرفون إذا فعلن ذلك ماذا تكون المكافأة من مولانا؟، اسمعوا المكافأة التشجيعية على لسان سيدنا محمد ﷺ يقول لنا (ق): « ما من مولود إلا الشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها » وفي رواية: « كل إنسان تلده أمه يلكره الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ. قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذلك حين يلكره الشيطان بحضنيه ».

أيها السادة

وشبّت السيدة مريم وسلمتها أمها إلى عبّاد بيت المقدس القائمين على خدمته، لكنهم تنازعوا في كفالتها، كُلُّ يريد أن يربّيها، فرفعوا أمرهم إلى نبي الله زكريا، فطلب أن يكون هو المشرف على تربيتها باعتبار أنه زوج خالتها، فطلبوا أن يقتلعوا قرعه، فإلقوا أقلامهم ويأتي غلام فيلنقط قلاماً فمن ظهر قلمه فهي له، ففعلوا فخرج قلم سيدنا زكريا، فضجوا، وقالوا: بل نعيد الاقتراع فنرمى أقلامنا في النهر فأبهم جرى قلمه على عكس الأقلام فهو الكافل لها، ففعلوا فكان قلم زكريا، فكفلها هو إذ كان أحق بها شرعاً وقدرّاً لوجوه عديدة، وعلى الموجات الإيمانية من سورة آل عمران يقول عز من قائل:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمْ نَكُنْ لَهُمْ يَكْفُلُ

مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ آل عمران: ٤٤

وهكذا معشر السادة الكرام:

فَقَبِّلْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبِئْهَا نَبَأًا حَسَنًا وَكَفِّلْهَا زَكِيًّا ﴿٣٧﴾ ﴿٣٧﴾ آل عمران:

٣٧ اسمعوا العجب العجاب:

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَئِذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران: ٣٧

هذه هي المتعبدة الناسكة الولية صاحبة الأحوال المرضية والصفات الشريفة، قال المفسرون: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، أليس هو من عند الله؟!!

وهنا هاجت نفس نبي الله وكان قد أَسْن وكبر، وهناك في المحراب وأمام
هذه الآية العظيمة رفع سينا زكريا خفيه ونادى قَتْلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٨﴾ آل عمران: ٣٨.

يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه،
واليكم هذه الحالة النفسية مع المناجاة الإيمانية: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْوَرِثِیْنَ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٩﴾ الْأَنْبِیَاءُ: ٨٩

وعلى الموجات العاملة من سورة مريم: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ، وَكَرِيًّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا

﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا

﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتْ أَمْرًا نِيًّا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

بِرُفْقِي وَبِرِثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴿مريم: ١ - ٦﴾

التجأ سيدنا زكريا للقادر المقتدر بهذه المناجاة الإيمانية الصادرة من قلب هذا النبي الرسول، وفي محراب العبودية لله، بالتجاء صادق للذي يقول للشيء كن فيكون، فإذا بالنداء يأتيه من قبل الملائكة:

﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ ﴿مريم:

٧﴾ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿آل عمران: ٣٩﴾

النبي يحيى (أي يعيش ويحيا) وما دام يعيش ويحيا فسوف يموت شهيداً ليبقى يحيا. ولكن كيف وما السبيل؟

رجل بلغ من العمر سبعاً وسبعين سنة، وامراته عاقر، كيف يتم ذلك!!؟

هذه هي القضية الإيمانية التي تربط قصة سيدنا يحيى وسيدنا عيسى ومن قبلهما السيدة مريم، لذلك تعجب سيدنا زكريا من وجود ولد له وهو شيخ كبير وامراته على حالتها تلك، اسمعوا الاستفهام:

قال {رب أئى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً} فقالت الملائكة له توحى إليه بأمر مولانا: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ

عَلَىٰ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ ﴿مريم: ٩﴾

واستجاب الله له ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَةً﴾

(لماذا؟) إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿الأنبياء: ٩٠﴾

هذا هو السر لكل رجل لا ينجب أولاداً، ليسمع الناس هذه النصيحة الغالية إذا أرادوا أولاداً الحل في ثلاثة أمور:

١- المسارعة في الخيرات. ٢- والدعاء في السر والعلانية.

٣- والخضوع لله تعالى والخشوع له جل جلاله.

فكيف قضى الله أمره؟

إن سيدنا زكريا سأل مولانا علامة وآية على استجابة دعائه، فقيل له: إن علامته أن يعتريك سكوت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿١١﴾ مريم: ١١

وأكرم الله سيدنا زكريا بولده يحيى، وشبَّ وعلمه مولانا الكتاب والحكمة وهو بعد ما زال في حال صباه، قال له مرة أحد الصبيان: تعال بنا نلعب، فقال له: ما للعب خلقتنا.

ونشأ طاهراً مطهراً معصوماً زكياً براً بوالديه تقياً نقياً، وسماه الله سيداً وحصوراً (أي لا يأتي النساء) و نبياً من الصالحين. يلبس الشعر ويأكل الشجر مخافة الذنب، ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان، وكان مع ذلك يقول: من أنعم منك يا يحيى؟

ومرة فقدّه أبوه فجعلوا يطلبونه ثلاثة أيام حتى وجدوه، أتدرون أين؟ وجدوه قد حفر قبراً وجلس فيه وهو يبكي ودموعه قد بللت ثيابه. قالوا له: نحن نطلبك منذ ثلاث وأنت هنا قائم تبكي. فقال لهم: يا أبت ألسنت أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين، فجلسوا جميعاً وقد أبكاهما كلام ولدهما.

وهذا هو معنى دعوته ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ﴿٣٨﴾ آل عمران:

لكن سيدنا زكريا كان أشد في النصيحة من ولده على بني إسرائيل، وكان لا يسكت عن خطأ رآه منهم، فانتصروا عليه يوماً ولحقوه ليقتلوه فهرب منهم فدخل في شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليها، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه راح يأنّ فأوحى إليه ربه: لئن لم يسكن أُنينك لأُقلبن الأرض ومن عليها، فسكت أُنينه حتى قطعوه قطعتين. فقولوا لعن الله من قتله.

أيها السادة:

وورث يحيى والده سيدنا زكريا في النبوة والرسالة فعند الإمام أحمد رضي الله عنه عن نبينا صلى الله عليه وسلم: أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بهن بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فجمع سيدنا يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم الله أن تعملوا بهن، وأولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك مثّل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأبيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه جرة من مسك في عصابة كل يوم يجد ريح المسك، وإن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال اجعل لكم أن افندي نفسي منكم فجعل يفندي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن به وأتى العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل. (ت: ٢٨٦٣، ابن رعد في الطبقات ٤ / ٢ / ٧٦) (أبو يعلى ١٥٧١ - الطيالسي ٢ / ٥٣ - خ في التاريخ ٢ / ٢٦٠ - طب ٣٤٢٨ - ٣٤٣٠ - حب ٦٢٣٣ - أحمد ٤ / ١٥٣٠ حسن صحيح).

معشر السادة:

ومرت الأيام والسنون حتى ملك بدمشق ملك من الملوك أراد أن يتزوج بامرأة جميلة من بعض محارمه لا يحل له تزوجها واستفتى سيدنا يحيى فنهاه عن ذلك ومنعه منه، فإذا بالمرأة تجتمع بالملك وتغريه وتستوهب منه دم نبي الله سيدنا يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله فجيء برأسه ودمه في طست إليها فما أن وقعت عينها عليه حتى صرخت ووقعت ميتة من فورها وساعتها، وخسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه.

وأخذ رأس سيدنا يحيى فدفن في الجامع الأموي بدمشق كما دفن سيدنا زكريا في حلب، والله أعلم بصدق ذلك لكن المؤرخ الحافظ ابن عساكر يروي عن زيد بن واقد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير. وكأنما قتل الساعة.

أيها السادة

ترك رب العزة لهذا النبي والرسول الكريم سلاماً يتلى أبد الدهر {سلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً} /مريم: ١٥/.

هذان هما الرسولان الثاني والعشرين والثالث والعشرين فمن هو النبي الرابع والعشرين؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك الى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

سيدنا عيسى عليه السلام
ولادته ونشأته

- ٥١ -

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين الذي أظهر الإنسان من سلالةٍ من طين، ثم جعله نطفةً في قرار مكين. ثم خلق النطفة علقة سوداء للناظرين.

ثم خلق العلقة مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضغين، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب للابسين، ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين، فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة:

علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول حياة النبي الرابع والعشرين من سلسلة الأنبياء الذين ذكرهم رب العزة في كتابه، وها نحن اليوم نستعرض

معاً حياة نبي ورسول من الأنبياء الخمسة أولي العزم من الرسل. مع الحلقة الواحدة والخمسين من النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من آيات الله أتلوها عليكم على الموجات الإيمانية العاملة من سورة آل عمران:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءٍ

الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ آل عمران: ٤٢

أيها السادة: كنا قد تركنا السيدة مريم رضي الله عنها وقد تسلمها زوج خالتها سيدنا زكريا من والدتها، فنشأها رضي الله عنها نشأة طهر وعفاف وبُعدٍ عن الآثام والمحرمات، مكلوءةً بعناية الله، محروسة بحراسته ورعايته، وكانت الملائكة تأتي إليها فتخبرها بمقامها السامي الرفيع عند الله، تبشرها باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عصرها، ولهذا اسمع إلى حبيبنا رسول الله ﷺ يقول: (ق) (خ ٣٤١٨): «كَمَلْ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَرَانَ.....».

فكل من هاتين السيدتين الصديقتين الكريمتين قد كفلت نبياً في حال صغره، فآسية كفلت سيدنا موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله سيدنا عيسى، فذلك كانتا خير نساء زمانهما بشهادة سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ الذي قال لنا (ت وصححه) (وانظر: ق): «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ مَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَرَانَ وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ». ﷺ

وهكذا نالت هذه السيدة المكانة العليا والوسام الأعظم لكثرة عبادتها وقنوتها وسجودها وركوعها ولتصبح أهلاً لهذه الكرامة، بل قيل: إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفتطرت قدمها وتشققت من كثرة العبادة رضي الله عنها، وها هي الآن قد بلغت مبلغ النساء وأصبحت في سن الثالثة عشرة من العمر.

أيها السادة الكرام: اسمحوا لي أنتقل بكم إلى بيت المقدس إلى فلسطين الأسيرة فكأن الله أسرها لأنقل لكم هذا الحدث الإيماني فإن كرامة عظيمة ستحصل لهذه السيدة، كرامة لم تحصل من قبل لأحد من خلق الله، فتعالوا معاً نضع رجالنا بطرف المسجد الأقصى اليوم، أرى بعين الإيمان واليقين السيدة مريم تخرج من محرابها وتسير جهة شرقي بيت المقدس طلباً للراحة وترويحاً عن النفس، في وقت كان قد ذاع صيتها في بني إسرائيل بطهرها وعفافها، وقد نقل أهل الكتاب أن رجلاً يدعى يوسف النجار خطبها لنفسه لما عرف صلاحها وتقواها.

لكن يبدو أنها قد ابتعدت عن قومها وأهلها قليلاً، فإذا بشاب وضيء الوجه، بهي الطلعة، مستوي الخلق يعترضها فجأة وهي مستغرقة بالذكر والدعاء، ففزعت، واضطربت وخافت على نفسها منه، وارتابت في أمره لأنه ظهر لها فجأة، فجعلت تبتعد عنه وهي تخشى أن يهيم بها بسوء في مكان ليس فيه منفذ أو نصير. فاستجارت منه بالله تعالى، وإليك هذه الأنباء على الموجات العاملة من سورة السيدة مريم:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ

وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٤٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَكَ
آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٤١﴾ ﴿مريم: ١٦ - ٢١﴾

وعلى موجات سورة آل عمران:

﴿٤٢﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٣﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٤٤﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٥﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٦﴾ ﴿آل
عمران: ٤٥ - ٤٨﴾

وقد ذكر المفسرون أن سيدنا جبريل نفخ في جيب درعها (صدرها) فنزلت
النفخة إلى الرحم فحملت من فورها بقدرة الواحد الديان.

ولم لا ؟ أليس هو على كل شيء قدير؟ أليس هو الذي نجا موسى في
التابوت، أليس هو الذي نجا يونس في بطن الحوت، أليس هو الذي نجا
سيدنا محمداً بالعنكبوت؟ وحدوا مالك الملكوت.

أيها الإخوة

وحملت به تسعة أشهر كما تحمل أغلب النساء، إذ لو كان خلاف ذلك
لنكوه مولانا في كتابه، فهو الذي يقول لنا: ﴿٤٧﴾ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا
﴿٤٨﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا
﴿٤٩﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا (جبريل) أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٥٠﴾ (نهرًا أو ساقية) ﴿٥١﴾
وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٥٢﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ
مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴿مريم: ٢٢ - ٢٦﴾

أرأيتم - أيها الإخوة - ترتيب الآيات فحملته، فانتبذت به.. فأجاءها المخاض: فقد عطف مولانا بالفاء وهي تدل على التعقيب فإن الصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) المؤمنون: ١٤

عطف بالفاء بين كل مرحلة ومرحلة، ومعلوم أن بين كل مرحلتين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه.
وعلى كل حال:

فقد ظهرت علامات الحمل على السيدة مريم، وأول من فطن لذلك خطيبها وكان من الصالحين (قلت لكم يدعى يوسف النجار وكان ابن خالها) جعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج، فعرضَ لها ذات يوم في الكلام، واسمعوا هذه المحاورة اللطيفة المؤدبة الرقيقة قال لها:

. يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟

قالت : نعم، فمن خلق الزرع الأول.

قال: فهل يكون شجر من غير ماء؟

قالت : نعم فمن خلق الشجر الأول

قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر وأنثى.

قال لها: فأخبريني خبرك. فقالت: إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

فعرف أنها بريئة وأن الحمل الذي بها إنما هو بمشيئة الله وإرادته الحكيمة.
أيها السادة الكرام:

وأتمت السيدة مريم أيام حملها في بيت المقدس في بيت لحم، وما هي إلا
أن ولدت وطهرت حتى خرجت بولدها وهي تحمله.
إنني أنقل لكم هذه الأنباء الإيمانية من قرون عدة وكأنها أمامنا.

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ (٢٧) يَأْتِخَتْ هَرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْعِدِ
صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ مريم: ٢٧ - ٣٦

هذه هي الكلمات الأولى التي أنطق الله بها نبيه ورسوله، إنها الدليل
الساطع على أنه عبد الله ورسوله، ولكن بني إسرائيل اختلفوا اختلافاً شديداً في
شأنه وشأن أمه. بل إن بعضهم اتهم السيدة مريم بالزنا وحاولوا أن ينالوها
وابنها بالأذى فتركت بيت المقدس وتوجهت إلى هنا، إلى دمشق الشام، دمشق
الإيمان مهد الأنبياء والرسل الكرام، واسمع معي إلى قول مولانا ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ
مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ دُبُورِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٥٠) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ: ٥٠ ﴾ قل
جدي ابن عباس: هي في دمشق.
أيها السادة:

وشب النبي الفتى ووضعته والدته في الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة، وبدأت تظهر على الفتى علامات النبوة، ونرى أمه تعود به إلى فلسطين بعد ثلاث عشرة سنة، وبدأت علامات النبوة تظهر على يديه بإبراء الأكمه والأبرص والعلم بالغيب مما يدخره الناس في بيوتهم، وصار يأتي بالعجائب.

وجدته أمه مرة يجادل علماء بني إسرائيل في بيت لحم ويحاججهم ويصح أخطاءهم، فخافت عليه منهم، وعادت به إلى البيت.

وزار مرة مع والدته رجلاً يعتني بالفقراء والمساكين والعاجزين والعميان والمقعدين، وإذا به يسمع أن هذا الرجل قد افتقد مالا في داره فلم يدر من أخذه. فلما رأى نبي الله عيسى ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد فقال للأعمى: احمل هذا المقعد وانهض به. فقال لا أستطيع ذلك. فقال بلى قد فعلت أنت والمقعد وأنتما اللذان أخذتما المال من تلك النافذة، فإذا بالرجلين يعترفان بذلك ويتوبان على يديه.

وعَظَّم سيدنا عيسى في أعين الناس وهو بعد ما زال فتى، وبدأ ينطقه رب العزة بالحكمة والبيان حتى بعثه الله نبياً ورسولاً ﷺ، وأنزل عليه الإنجيل في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وإليكم أوائل هذه الكلمات التي أوحى الله بها إلى رسوله سيدنا عيسى، قال له:

يا عيسى جدّ في أمري ولاتهن، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فعل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلي فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل السريانية، بلغ من بين يديك أني أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج . العمامة . والمدرة والنعلين والهاوّة (القضيّب) الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح

الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الأفتني الأنف، المفلج الثنايا (مقدمة أسنانه)، البادي العنفقة، الذي كان عنقه إبريق فضة، وكان الذهب يجري في تراقيه، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، ولم ير قبله ولا بعده مثله. وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه. أرفعك إلي يا عيسى ثم أهبطك في آخر الزمان لتري من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال.

قال: يا رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة.

قال رب العزة: أمة أحمد، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء، يرضون مني بالقليل من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ (قُوَّتِكَ بِجَبْرِيلَ) تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِثَّتْهُمْ بَابِلَيْنَتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَمِتٌ ﴾

﴿ المائدة: ١١٠ ﴾

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من مراحل النبي الرسول، مرحلة تعامل مع قوم المكر والخديعة، كيف جابهوه، بماذا اتهموه؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

سيدنا عيسى والحواريون

- ٥٢ -

الحمد لله الذي فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات وبعث سيدنا عيسى بإبراء الأكمه والأبرص و إحياء الأموات.

واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنوره ظلم الجهالات وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم عندك في مقعد صدق يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد بدأت حياة الرسالة والنبوة للسيد المسيح منذ أن نزل عليه الوحي في سن الأربعين وقيل: قبل ذلك بسبع سنين. أرسله الله إلى أخبث أهل الأرض وأشدهم شرّاً على خلق الله. أرسله إلى اليهود الذين انحرفوا وتمردوا وطغوا على شريعة سيدنا موسى، فتلاعبوا بالتوراة وحرفوها وبدلوها، فأرسل الله إليهم سيدنا عيسى ليبدلهم إلى الجادة ويصح لهم الشريعة ويحل بعض ما حرم الله عليهم في شريعة موسى بسبب بغيتهم وعدوانهم، وقد بين مولانا المهمة التي أرسل من أجلها سيدنا عيسى فقال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۖ

وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠﴾ آل عمران: ٥٠

كان هذا هو موجز الأنباء واليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثانية والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

وكما هي عادة الله في رسله فقد أيدهم بمعجزات كثيرة تدل على صدقهم لأن كل معجزة جاء بها نبي مرسل مُنْزَلَةٌ مُنْزَلَةٌ قول الله تعالى: (صدق عبي في كل ما يبلغ عني).

وجاءهم بمعجزات كثيرة تحدث عن بعضها القرآن الكريم، جاءهم بمثل ما اشتبهوا به وهو الطب وشفاء المرضى وإبراء الأعْمى والأَكْمه والأَبْرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى، ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى.

وقد جاءت الآيات تبين هذه المعجزات التي لا تدل على ألوهيته بل تدل على صدق نبوته ودعوته، واسمحوا لي أن انقلها لكم على الموجات الإيمانية من سورة المائدة:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ (سيدنا جبريل) تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ المائدة:

١١٠

وعلى الموجات العاملة من سورة آل عمران يقول:

﴿ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

﴿٤٩﴾ آل عمران: ٤٩ هذه هي المعجزات التي أيد فيها سيدنا عيسى تصديقاً له، فقد بعث في زمن الحكماء والأطباء وجاءهم بما يعجزون عنه، فأنى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص والمجنوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره؟ فكلها معجزات دالة على صدق من جاء بها وعلى قدرة من أرسله.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بعض الأحداث الإيمانية التي أجراها مولانا على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام. فقد روي عن وهب قال: خرج سيدنا عيسى يسبح في الأرض فصاحبه يهودي، وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع سيدنا عيسى رغيف واحد، فقال له سيدنا عيسى: تشاركني في طعامك، فقال اليهودي نعم. فإذا باليهودي يرى أنه ليس مع سيدنا عيسى إلا رغيف واحد فندم على أن وافق على مشاركة سيدنا عيسى. فماذا فعل؟

قام سيدنا عيسى إلى الصلاة، فإذا باليهودي يأكل رغيفاً خلسة عن سيدنا عيسى، فلما قضى صلاته قدما طعامهما. فقال لصاحبه: أين الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفاً واحداً، فأكل كل واحد منهما رغيفه، ثم انطلقا فلقياً أعمى، فقال له: أرايت إن عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم، فمس عيسى بصره فَرَدَّهُ اللهُ له، (فإذا بالأعمى يبصر بإذن الله تعالى). ثم التفت سيدنا عيسى إلى اليهودي وقال: بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من الخبز. فقال: والله ما كان إلا رغيف واحد. فسكت سيدنا عيسى.

ومرا على مقعد فقال سيدنا عيسى أرأيت إن عالجتك فعافاك الله فهل تشكره؟ قال: نعم. قال: فدعا الله تعالى له فإذا هو قائم على رجله بإذن الله تعالى. فقال اليهودي: ما رأيت مثل هذا قط. فقال له سيدنا عيسى: أسألك الذي أراك الأعمى مبصراً والمقعد صحيحاً كم رغباً كان معك؟ فقال اليهودي: ما هو إلا رغب واحد.

وانطلق الراكب فأتيا على نهر عجاج. فقال عيسى: خذ بزناري من ورائي وضع قدمك على موضع قدمي، ففعل فمشيا على الماء حتى الشط الثاني، فقال سيدنا عيسى أسألك بالذي أراك هذه الآية أن تخبرني أين الرغب الثالث؟ فقال: والله ما كان إلا رغب واحد. فسكت سيدنا عيسى عنه. ثم انطلق فإذا هما بظباء ترعى، فدعى سيدنا عيسى بظبي فقدم الظبي إلى نبي الله، فذبحه وشوى منه بعضه وأكله، ثم وضع سيدنا عيسى بقية الظبي وعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له: قم بإذن الله، فإذا بالحياة ترد إلى الظبي ويعدو بإذن الله تعالى. فقال لليهودي: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغب الآخر؟ فقال اليهودي: ما كان إلا رغب واحد.

ثم دخلا قرية نزل سيدنا عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها، فأخذ اليهودي عصا سيدنا عيسى وقال في نفسه: أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى. وكان رئيس القرية مريضاً، وقد خرج أعوانه يبتغون طبيباً، فرأوا اليهودي ينادي: من يريد طبيباً ماهراً؟ فقليل له إن رئيس القرية قد أعيا الأطباء فقال: أدخلوني عليه. فأخذوه، وما إن دخل اليهودي على رئيس القرية وهو في الفراش حتى رفع عصاه وضربه بها وقال: قم بإذن الله فمات بإذن الله.

وقامت قائمة أعوان رئيس القرية وأخذوه ليصلبوه على خشبات، وهم يقولون اقتلوه قتل رئيس القرية، فإذا بسيدنا عيسى يمر فيراه، فيناديه اليهودي: أنقذني يا عيسى. فقال لهم سيدنا عيسى: رأيتم إن أحييته لكم هل تتركون لي صاحبي؟ قالوا: نعم، فدعا سيدنا عيسى الله تعالى ثم ضرب رئيس القرية بعصاه فقام حياً بإذن الله تعالى.

وأنزلوا اليهودي من على الخشبة، فأقبل على سيدنا عيسى يُقَبِّلُ يديه ويقول له: والله لا أفارقك أبداً. فقال له سيدنا عيسى: أنشدك بالذي أحيا الرجل بعد ما مات، وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم رغيفاً كان معك. فقال اليهودي: والله ما كان معي إلا رغيف واحد.

فانطلقا حتى أتيا على منطقة بجوار الجبل فإذا السيل قد انشق عن ثلاث لبنات من ذهب. فقال اليهودي: لمن هذه اللبنات؟ فقال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة لمن أكل الرغيف الثالث. فقال: أنا الذي أكل الرغيف الثالث، وهنا تركه سيدنا عيسى وهو يقول لليهودي هي لك كلها.

وهكذا معشر السادة: تتوالى الآيات والمعجزات والبراهين والحجج الواضحات على بني إسرائيل، فمنهم من آمن وأكثرهم استمروا على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، وفي ساعة من ساعات أنصاره وحواريه وأعوانه جرت محاورة ظهر نتيجتها على يدي نبي الله عيسى معجزة، من المعجزات العظيمة التي لم نسمع مثلاً من قبل، أعرضها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة المائدة ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَأَيَّةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ
فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

ونظر الحواريون إلى السماء فإذا بمائدة تنزل من السماء بين غمامتين
وجعلت تدنو قليلاً قليلاً حتى استقرت بين يدي نبي الله عيسى، وهي مغطاة
بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين. فإذا عليها
سبعة من الأسماك وسبعة أرغفة ولها رائحة عظيمة جداً صنع الله الذي أتقن
كل شيء، الذي يقول للشيء كن فيكون.

وأمرهم بالتقدم ليأكلوا، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. قال: بل يأكل من سألها،
فخافوا أن يتقدموا منها، وقالوا: أمن طعام الدنيا هي، أم من طعام الجنة فقال
نبي الله عيسى: ليس شيء مما ترون طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه
شيء خلقه الله بقدرته العالية. ثم دعا الفقراء والمرضى والزمنى وكانوا قريباً
من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها، وكل واحد أكل منها برىء وشفى من كل
مرض كان فيه. وبقيت تنزل يومياً وأمر الله سيدنا عيسى ألا يقربها إلا الفقراء،
فشق ذلك على الأغنياء والمنافقين منهم وصاروا يشكون الناس فيها رغم أنهم
أمرؤا ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا منها لغد، فخانوا وادخروا فمسخهم مولانا
قردة وخنازير، صاروا ينطلقون إلى أهليهم وهم يطردونهم، وصار سيدنا عيسى
يناديهم بأسمائهم فيهبزون رؤوسهم وهم لا يقدرّون على الكلام، فعاشوا ثلاثة
أيام ثم أهلكهم الله تعالى.

معشر السادة:

واستمر سيدنا عيسى بنى إسرائيل يدعوهم إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يزهدهم في الدنيا لأنهم يعبدون الذهب والفضة ويموتون في سبيلها، خرج عليهم يوماً فقال لهم:

السلام عليكم يا بني إسرائيل أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي قالوا أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتي المساجد، وطيبى الماء وإدامى الجوع، وسراجى القمر بالليل، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس، وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري خوف رب العزة، وجلوسي في الزمنى والمساكين، أصبح وليس لي شيء، وأمسي وليس لي شيء، وأنا طيب النفس غير مكترث، فمن أغنى مني وأريح. قال له مرة سيدنا يحيى: يا ابن الخالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت؟ فقال سيدنا عيسى: مالي أراك عابساً كأنك قد يئست. فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إلى أبشكما بصاحبه.

وتوجه إلى الحواريين فقال لهم: كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين، بحق ما أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وإن عباد الله ليسوا بالمتعممين اعبروا الدنيا ولا تعمروها، حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنظر يزرع في القلب الشهوة ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً، طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله، اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم.

من تعلم وعلم وعمل دعي عظيماً في ملكوت السموات، ولا خير في علم لا يعبر معك الوادي، لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، والأمور ثلاثة:

أمر تبين رُشدَه فاتبعوه، وأمر تبين غيُّه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل، ثم توجه بالسؤال إلى الحواريين قائلاً أتعلمون من أشد الناس فتنة، أشدهم زلة العالم، فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير، يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم، والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاء وعملكم داء، مثلكم مَثَلُ شجرة الدقلي (نباتها مر) تعجب من رآها وتقتل من أكلها، إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه.

أيها الأخوة:

كان هذا هو فحوى قوله تعالى لنبي الله عيسى  وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ **الْكِتَابَ** **وَالْحِكْمَةَ** **وَالتَّوْرَةَ** **وَالْإِنْجِيلَ**  المائدة: ١١٠ فماذا كان جواب قومه على هذه المعجزات وهذه الحكم وتلك المواعظ، كيف أشرك أصحابه وادَّعوا أنه ابن الإله، ولماذا؟ هل صلب سيدنا عيسى كما ادَّعوا؟ ما هي العقيدة الصحيحة في ذلك؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

العقيدة الصحيحة في سيدنا عيسى - ٥٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجماله جبروته، وتعزز بعلو
أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتتزه
في صفاته عن كل تناهٍ وتصوير.

فسبحانه من عزيز لا حُدَّ يناله، ولا حد يحتاله، ولا أمدَّ يحصره، ولا أحد
ينصره ولا ولد يشفعه، ولا عدو يجمعه، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا
فهم يقدره، ولا وهم يصوره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب

وحده

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى، قال لنا: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا عبد الله ورسوله » (خ ٦٨٢٩ - م ١٦٩١) (ت ١٤٣٢ - د ٤٤١٨ - أحمد ١ / ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ - ٥٥).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الدجى وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليمًا.

أما بعد: فإلى أين أذهب بكم اليوم، فرحلتنا اليوم لها مذاق خاص، لأننا سنطرح القضية الكبرى في التوحيد وهي قضية الوجدانية رداً على من عدد الآلهة فجعلها آلهة ثلاثة ثم ادعى أنها إله واحد.

سوف أعرض على حضراتكم هذه القضية من خلال زيارتنا الأخيرة لسيدنا عيسى بن مريم، بعد أن بقينا نستعرض قضايا التوحيد الكلية من خلال استعراض حياة الأنبياء والرسل الكرام الأربع والعشرين نبياً، وقد صرحت الآيات الكريمة بهذه القضايا في أكثر من سورة، بل قلما خلت سورة من كتاب مولانا من قضية توحيدية.

إننا باختصار مع الحلقة الأخيرة من حياة السيد المسيح في الحلقة الثالثة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّ

يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ المائدة: ٧٥

أيها السادة الكرام:

رغم كل المعجزات التي أجراها الله على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى تأييداً
لرسالته وتصديقاً لنبوته، فإن السيد المسيح لاقى من اليهود تعنتاً واستكباراً وأهوالاً
وشدائد، وخاصة من كُتَّاب الشريعة اليهود، وكهنتهم الذين يخدمون المعبد
والهيكل، لأنه جادلهم وأظهر كذبهم، وأثبت أنهم حرفوا شريعة موسى وتوراته،
حتى ضاقوا به ذرعاً وأجمعوا على التخلص منه، بل سعوا به لدى الحاكم
الروماني وأوغروا صدره وزينوا له أنه يسعى لتقويض الحكم الروماني، فأصدر
أمره الظالم بقتله، فاخفى سيدنا عيسى عن أعين الرقباء وأوحى مولانا إليه: ﴿

وَمَكْرُوهًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
اُصْلِ الصَّخْرَةَ لَمَقْطُوعِهَا وَرَأَفُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

﴿٥٥﴾ آل عمران: ٥٤ - ٥٥

ودخل السيد المسيح إلى القدس على حمار فلتقاه أصحابه فحدثهم بمحبته
(وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين)، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي
عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يُلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني فيكون
معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: أنا، فقال له: اجلس، ثم
أعاد عليهم ذلك فقام الشاب فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه
سيدنا عيسى، وحضرت الشرط من اليهود فأخذوا الفتى ثم صلبوه فكفر به

بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله سيدنا محمداً ﷺ .

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: إن المصلوب أنزل بعد سبعة أيام، وأن السيدة مريم ظنت أنه ابنها فطلبت من أم سيدنا يحيى أن تذهب معها لزيارة قبر المسيح، فذهبتا فلما دنتا من القبر، قالت السيدة مريم لأم يحيى: ألا تستترين. قالت: ممن أستتر؟ فقالت: من هذا الرجل الذي هو عند القبر، فقالت أم يحيى: إني لا أرى أحداً.

فرجت السيدة مريم أن يكون الواقف سيدنا جبريل، وكان قد بعد عهدها به فاستوقفت أم سيدنا يحيى وذهبت نحو القبر، فلما دنت من القبر قال لها سيدنا جبريل، وقد عرفته: يا مريم.. أين تريدين ؟ فقالت أزور قبر المسيح فأُسْلِمَ عليه وأُحْدِثَ به عهداً. فقال: يا مريم إن هذا ليس المسيح، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا، ولكن هذا الفتى الذي ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فُعلَ به فهم سيكون عليه، فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة (حديقة) كذا وكذا فإنك تلقين المسيح.

أيها السادة:

فرحت السيدة مريم فرحاً شديداً، فلما كان ذلك اليوم ذهبت إلى الغيضة، فرأت ولدها السيد المسيح فاسرع وأكبَّ عليها فقبَّلَ رأسها، وجعل يدعو لها كما

كان يفعل، وقال: يا أُمِّي.. إن القوم لم يقتلوني، ولكنَّ الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك، ثم قال لها: والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً، ثم رفع سيدنا عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت بعد خمس سنين ولها ثلاث وخمسون سنة فقولوا رضي الله عنها وأرضاها.

وبكفيها فخراً أنها زوجة سيدنا محمد (ﷺ) في الآخرة.

أيها السادة الكرام:

أريدكم أن تنتبهوا إلى قضيتين إيمانيتين تتعلقان بحياة السيد المسيح ورفعه إلى السموات.

القضية الأولى: مسألة صلب السيد المسيح التي تزعمها النصارى.

القضية الثانية: ألوهيته المزعومة. فلماذا هاتان القضيتان؟

لأن النصارى يقولون: إن السيد المسيح صُلب ليخلص بني آدم من ذنوبهم وخطاياهم، فما قصة هذا الفداء الذي يزعمون، وهل هذا صحيح؟ وهل يتفق مع العدالة الإلهية والمنطق السليم؟ ما هو ذنب سيدنا عيسى حتى يصلب ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق؟ وهل من العدل أن نؤاخذ الإنسان بجريئة غيره؟ إذا ارتكب إنسان ما جريمة قتل، فما ذنب أخيه حتى نؤاخذ ونعاقبه على جريمة ارتكبها غيره؟

إن الحكم الرباني صريح كل الصراحة: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَيَزَرُ أُتْرَى﴾ ﴿٢٨﴾ النجم:

٣٨، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ ﴿٣٨﴾ الم نشر: ٣٨ فإذا علمنا أن النصارى

يقولون: « بأن من لم يؤمن بمسألة الصلب هذه لا ينفعه إيمانه ولا ينفعه عمل صالح » ، إذا علمنا هذا أدركنا إلى أي مدى ذهبوا في ترك المنطق السليم.

بل إنهم وجدوا لعقيدتهم هذه أصلاً، فقالوا: إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاه مولانا عن الأكل منها، فصار

خاطئاً، وصار جميع ذريته مخطئين مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي، وأبناء آدم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم. ثم يتابع النصارى أقوالهم البعيدة عن العقل السليم فيقولون: (ولما كان من صفات الإله: العدل والرحمة، فمن عدله ألا يترك الجريمة دون عقاب وإلا لم يكن عادلاً، ولهذا شاء الله أن يحل ابنه الذي هو بنفسه (الله) في رحم امرأة من ذرية آدم، ويتجسد جنيناً في رحمها ويولد منها، فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث أنه ابن لتلك المرأة، وإلهاً من حيث إنه ابن الله، ويكون معصوماً من جميع المعاصي، ثم وبعد أن يعيش كما يعيش الناس، ويأكل كما يأكلون ويشرب مما يشربون يأتي أعداء الله وأعداء شريعته فيقتلونه شر قتلة، وهي أن يصلبوه ويسمّروا يديه ورجليه في الخشب، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه، ويضفروا له إكليلاً من الشوك ويبصقوا في وجهه، كل ذلك ليفدي البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا بنو البشر...

أيها السادة الكرام

اسمعوا الغريب واسمعوا العجيب

الغريب جداً أن قولهم هذا يخالف ما في كتابهم المقدس عندهم حين يقول: (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل).

هذا كتابهم ينطق عليهم بالحق ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣)

الأنعام: ٣٣ ولقد شك الحواريون كما شك اليهود في أمر السيد المسيح، واختلفوا فيه اختلافاً كبيراً، فمن هو المصلوب يا ترى؟

أهو عيسى المسيح أم ذلك الشاب؟ بل ذهب فرقاً أخرى أنه يهوذا الإسخريوطي، وهو الذي دلّهم على مكانه، فلما ألقى الله شبهه على الشاب

ورفع سيدنا عيسى إلى السماء دخل اليهود فلم يجدوا غير إنسان واحد فقالوا: إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإذا كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فأخذوه وصلبوه، وانتقم الله من الواشي واختنق وقتل نفسه.

وقد ردَّ القرآن الكريم على اليهود والنصارى، وذكر العقيدة الحقَّة التي يدين بها المسلمون، فعلى الموجات الإيمانية من سورة النساء:

﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنًا عَظِيمًا﴾ (١٥٦) وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨)

النساء: ١٥٦ - ١٥٨ والأغرب والأعجب في أمر النصارى أنهم مع اعتقادهم بصلب السيد المسيح فهم يعتقدون بألوهيته أو بأنه ابن إله.

بالله عليكم معشر الاخوة . إذا صلب الإله كيف يكون شأن الخلق؟ ولمن يا ترى ترك تدبير العالم بعد أن صلب ؟

ثم إن اليهود أنفسهم اضطربوا فيه وادعوا أنه ابن زنى، قالوا: لا بد للولد أن يكون له أب، والمسيح ليس له أب، فلا بد أن يكون ابن زنى.

والنصارى ادعوا أنه ابن الله لأنه خلق من رُوح الله، وروح الله جزء من الإله فلا بد أن يكون ابن الله.

والفريقان نسب إلى الله عملاً حيوانياً ينتمي إلى أخط وظائف الحيوان وهو الجنس، وهذا لا يمكن أن ننسبه إلى الله على نحو ما يردده النصارى.

تعالوا معي - معشر السادة - نتأمل في كتاب الله تعالى: القرآن الكريم، «وهو الحَكَم الفصل ليس بالهزل من قال به عدل، ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم».

إن مولانا ذكر عقائد النصارى مفصلة، وردّها بقوة وحكم على أصحابها بالكفر، فكيف ذلك؟ إن القرآن بيّن أن فرقهم ثلاثة:

منهم: من يعتقد بأن المسيح هو ابن الله لأنه خلق من روحه.

ومنهم: من يعتقد بأن المسيح نفسه هو الله، تجسم وتجسد في صورة يسوع، نزل إلى الأرض ليخلص الناس من آثامهم.

ومنهم: من يعتقد بعقيدة التثليث (الأقانيم الثلاثة): الأب والابن وروح القدس، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة.

وبتسائل المرء: كيف يكون عيسى إلهاً مع أنه خرج من رحم امرأة، وولد كبقية الناس؟ كيف يكون إلهاً مع أنه كان يأكل ويشرب وينام ويتألم ويتعب ويحتاج إلى بيت الخلاء.

ولذلك ردّ القرآن الكريم عليهم الباطل والضلال، وبيّن الكفر والشرك فقال جل ثناؤه:

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ النساء: ١٧١

وعلى موجات سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴿١٧﴾﴾ المائدة:

١٧

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۚ ﴿٧٣﴾﴾ المائدة: ٧٣

معشر السادة

إذا كان اليهود والنصارى يعجبون من أمر سيدنا عيسى لأنه ولد بدون أب فأمر سيدنا آدم أعجب، لأنه بدون أب وبدون أم، فالذي خلق سيدنا آدم من تراب وقال له: كن فيكون هو الذي خلق عيسى بدون أب وهو الله جل جلاله القادر على كل شيء. ومن أجل ذلك ضرب القرآن الكريم المثل بسيدنا آدم فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩)

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ آل عمران: ٥٩ - ٦٠

تلك هي عقيدتنا نحن المسلمين في موضوع السيد المسيح عقيدة صحيحة خالية من الانحراف ومن الزيغ والباطل.

أيها الإخوة

لم تنته مهمة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بعد، وسينزل إلى الأرض ليتم رسالته ويبلغ دعوته، اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أحمد: متواتر):

«ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»

وسيحكم بشريعة القرآن، فلا يقبل إلا الإسلام. وهذا بالضبط هو المراد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٥٩) أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

فهنيئاً لكم - معشر المسلمين - ويا أمة سيدنا محمد (ﷺ) بهذه العقيدة، هنيئاً لكم يا من جنتم لتجددوا العهد مع الله، وتقولوا لا إله إلا الله كلكم ما أتى وما دفعه أن يأتي إلا أن يوحد الله، ما الذي جاء بكم؟ أسمعوني بربكم، ارفعوا أصواتكم بالتوحيد، جددوا إيمانكم وقولوا لا إله إلا الله ، قال (ﷺ) يوماً

لأصحابه: جددوا إيمانكم، فقالوا: كيف يا رسول الله نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص).

ويقول ﷺ :

« من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء) » (خ ٣٤٣٥ - والزيادة: م).

وعن علي بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب. قلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب. وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق والنار حق، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم» (الترغيب والترهيب بإسناد حسن).

وأنا أنقل لكم هذه البشرى قوموا فقد غفر الله لكم

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لا إله إلا الله

عاقبة إفساد بني إسرائيل في الأرض - ٥٤ -

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرفِ الأمور بأمره ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على إظهاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد:

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله داحض الشرك ورافض الإفك.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك

يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة
لنساء العالمين وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأكشف حقيقة هامة حقيقةً يحاول قتل الأنبياء في هذه
الأيام أن يخفوها عن العالم تحت شعار أنهم شعب الله المختار، إنهم اليهود
الذين يحاولون اليوم بكل ما أوتوا من قوة وتحت هدير الجرافات التي تجرف
تراب الأرض المقدسة لتقيم المستوطنات على أرضنا الحبيبة، تحت شعار
تأسيس مملكة يهودية، فهل يستطيع اليهود ذلك؟ سأحاول اليوم بإذن الله تعالى
أن أجيب عن هذا السؤال، بعد أن بقينا طيلة حلقات متسلسلة بلغ عددها
الكثير منذ الحديث عن أبي بني إسرائيل وهو سيدنا يعقوب وإلى خاتمهم سيدنا
عيسى قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

أظهر لكم اليوم مدى الهاوية التي وصلت إليها هذه الشرذمة الوسخة حتى
تحولت إلى ما هو أخط من الحيوانات، أرى لزماً عليّ أن اكشفهم وأعريهم
على حقيقتهم لتحذرهم أشد الحذر، أقول هذا الكلام في وقت تدافع فيه أمريكا
وأوروبا عن اليهود، ويتركونهم يعيشون في الأرض فساداً بل ويمدونهم بالعتاد
والسلاح ليقموا دولتهم المزعومة تحت شعار السلام، وأي سلام؟! بالمؤتمرات
التي تتعقد لتتفض، وتتفض لتتعد، تمهل هؤلاء حتى ينتهوا من عملهم ولا يبق
على الساحة من يدافع عن السلام إلا دولة السلام سورية الحبيبة.

أيها الإخوة:

منذ قرون طويلة واليهود يعدّون للحظة سرية غايتها الاستيلاء على العالم
أجمع، ليحكم ملكٌ من نسل داود يعيد الملك إلى بني إسرائيل ويخضع
الشعوب كلها لليهود، ويكون مقر الحكومة اليهودية في القدس، التي يسمونها

(أورشليم)، إنني اليوم أفتح لكم ملف اليهود مع الحلقة ٥٤/ من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية حلقتنا هذه ادعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من سورة بني إسرائيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَفَضَّلْنَا إِيَّاكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلَوًا كَبِيرًا ۖ ﴾
 ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
 وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
 الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا
 عَلَوُا تَتَبِّرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَعَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾
 الإسراء: ٤ - ٨

أيها السادة الكرام: كل نعمة يُنعمها رب العزة على العبد فلا ينتلقاها بالشكر والعرفان وتسخيرها بالطاعة وفعل الخير سوف تكون نقمة عليه واستدراجاً له، بل وسبباً في العذاب الأليم فكم نذكر من دول وحكام وملوك أصبحوا أسياداً وقواداً للعالم ثم تحولوا إلى سباع ضارية آكلة للحوم البشر وهاتكة لأعراض النساء وربما ادعت هذه الملوك والحكام مع طول الفترة أنهم آلهة يُعبدون مع الله، أو أنهم آلهة من دون الله كما فعل فرعون والنمرود من قبل، وقد أتى الله بني إسرائيل القوة والبنين والأموال، فاسمعوا معي إلى عنصرية اليهود اسمعوا إلى دعواهم الفاسدة:

إنهم يقولون إن الناس كلهم خلقوا - باستثناء اليهود - من نطفة حصان وخلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود، اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم لأنهم شعب الله المختار.

هذه هي هرطقتهم!! هذه دعواهم!! فماذا يقولون عن بني الإنسان وكيف ينظرون إليهم؟

إن اليهود ينظرون إلى الناس نظرة احتقار وازدراء ويصفونهم بالكلاب، وأن بيوتهم زرائب حيوانات، إذن لا تستغربوا قتل إخواننا الفلسطينيين في الماضي واليوم والمستقبل، لأن اليهود نصّوا في كتبهم أن الذي يقتل أجنبياً يكافأ بالخلود في الفردوس - قولوا لعنهم الله.

على أن العالم كله يعرف حقيقة هؤلاء القتلة السفّاكين المتحلّلين من كل فضيلة، لأن كلمة الأخلاق غير موجودة في حياتهم، غير معروفة لديهم فالزنى بغير اليهود مثلاً سواء أكانوا ذكوراً يعني لواطاً أم إناثاً مباح عندهم، المرأة اليهودية المتزوجة لا يحق لها أن تشكو زوجها إذا زنى على فراشها، واللواط عندهم مباح مع الزوجة، إنهم شياطين الأمم وخنازيرها بل وكلابها، المرأة عندهم كقطعة لحم اشتروها من الجزار ولليهودي الحق في أكلها مطبوخة أو مشوية أو مقطعة، لا أخلاق، لا فضيلة، بل وحشية وقسوة على غير بني اليهود، والدليل عندي وتحت يدي أنقله لكم بعد أن توحّدوا الله تعالى.

أيها السادة: يعُز عليّ أن أنقلكم إلى أحد أعياد اليهود، فاسمحوا لي أن أسلط عليهم الأشعة الكاشفة من بعيد على هذا العيد، فليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير، وأي فطير؟! إنه ليس فطيراً عادياً كما

نأكله مع السبانخ أو الجبن، إنه فطير ممزوج بشيء خاص مميز هذا الشيء هو الدماء البشرية؟!.

كان هذا هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل.

أيها السادة: سنّ لنا الإسلام في عيد الأضحى ذبح الحيوانات من الأنعام الإبل والبقر والغنم، وما دام بني الإنسان من غير اليهود هم حيوانات في نظر اليهود فإنهم في شهرين من كل سنة، وبالتحديد في مثل شهركم هذا أي في آذار ونيسان، يقوم اليهود بما يسمى بالعيد، في آذار عيد البوريم، وما أدراك ما عيد البوريم؟! تنتقى ذبائح هذا العيد من شبان غير اليهود يذبحون الشاب ويأخذون دمه ويجففونه على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر، أمّا في نيسان في (عيد الفصح) فتكون الذبائح عادة من الأولاد الصغار، الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم على ٥ - ٨ سنوات هل أدركتم المأساة التي فيها إخواننا في فلسطين؟ هل رأيتم أعداء الإسلام والسلام إليكم الطامة الكبرى في تفصيل هذه المأساة:

يؤخذ الدم بإحدى طريقتين الأولى بواسطة البرميل الإبري، وهو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية، يثبت على جميع جوانبه إبرٌ حادة، تغرز في جسم الضحية عند وضعها في البرميل، وعندما توضع الضحية في البرميل يسيل دمها ببطء من كل جزء من أجزاء الجسم مقرونة بالعذاب الشديد الذي يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينفذ من ضحيتهم ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معد لجمعه!!؟ قولوا لعنهم الله.

وهل هناك أبشع من هذه الجريمة النكراء بحق البشرية؟! إنني لن أتحدث عن بيوت الدعارة التي يديرها هؤلاء اليهود، ولا عن سعيهم في الأرض فساداً، لكنني أستغرب حين أرى إنساناً يخلقه الله ويرزقه ويجعل له قوة في الأرض ثم

يتهم خالقه وربّه بالتقصير في حقه وعدم إرادة الخير له، نعم إن اليهود لم يكفوا بل أخذوا شريكاً لله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿التوبة: ٣٠﴾ بل راحوا يكتنون على مولانا، اسمعوا البيان الإلهي القطعي ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ - اللَّهُ بَخِيلٌ - غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿المائدة: ٦٤﴾ ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿المائدة: ٤٤﴾ أي الدنيا ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿البقرة: ٧٤﴾، فهل سينجح هؤلاء القساة البغاة في تأسيس مملكتهم اليهودية؟!.

أيها السادة:

لو كنا في القرن الأول الهجري وقمت فيكم خطيباً لأجبت وقتها وقلت لكم فوراً: لا، لن يستطيع اليهود إقامة مملكة لسبيين: الأول: لأن الله قضى منذ القديم عليهم بالذلة والمهانة في هذه الحياة فلا تقوم لهم دولة.

والثاني: قضى الله عليهم بالتمزق في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿الأعراف: ١٦٨﴾ /الأعراف: ١٦٨ / «متفرقين» أما اليوم وبعد /١٤/ قرناً وقد تحققت أمارات الساعة الصغرى والوسطى، وربما أوشكت الأمارات الكبرى على الظهور، فإنني أقول لكم إنه سوف تؤسس دولة لليهود في فلسطين، وربما تقولون هذا موجود فعلاً اليوم. لكنني أقول لكم إن هذه الدولة حدث عنها سيد الوجود سيدنا محمد ﷺ، أنقل لكم هذا الكلام عن الصادق المصدوق الذي نفديه بأرواحنا ونصلي عليه بألسنتنا، قال لنا:

«كيف أنتم إذا قاتلتكم اليهود أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه» وسيقتل زعيمهم ورئيسهم الدجال عند باب اللد شرقي بيت المقدس، وقد صدرت لكم

حديثي بآيات بني إسرائيل التي تشير إلى بناء هذه الدولة، فربُّ العزة يقول:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عُلوًّا كَبِيرًا ٤ ﴾

﴿ الإسراء: ٤ ﴾ قدَّرنا وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب: أي في اللوح المحفوظ أو القرآن.

لُتْفِسِدُنَّ: واللام لام الاستقبال، تعني أن الفساد سيحصل في المستقبل،

﴿لُتْفِسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عُلوًّا كَبِيرًا ٤﴾ ﴿الإسراء: ٤﴾ فهولانا تحدث عن الفساد مرتين وتحدث عن العلو مرة واحدة، أو كأنما أراد مرة واحدة، فماذا سيفعل الله بهم عندما يفسدون في الأرض المرة الأولى؟

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا (موعد الفساد الأول) عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ٥ ﴾

﴿ الإسراء: ٥ ﴾ ولاحظوا الكلمة ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ انظروا هذا تشريف، ولكنني حينما رجعت إلى كتب التفسير وجدت أن المفسرين يقولون في ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ الرومان والكلدانيين لكن هذا بعيد، لأنهم كانوا من الوثنيين ومحال أن يضيف الله إليه هؤلاء، لأن المتتبع لآيات القرآن يجد أن كلمة العبودية إذا أضيفت إلى الله فهي في موضع التشريف:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ٦٣ ﴾ ﴿الفرقان: ٦٣﴾ تشريف أم لا؟ هذا تشريف ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ٦٥﴾ ﴿الإسراء: ٦٥﴾ تشريف وأعظم وصف كان لسينا محمد ﷺ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ١﴾ ﴿الإسراء: ١﴾ نقول مولانا ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ٥﴾ ﴿الإسراء: ٥﴾ هم أصحاب سينا رسول الله ﷺ، الذين جاسوا في بني قينقاع وبني النضير في المدينة، ثم في خيبر، وقضوا على نفوذ اليهود السياسي والاقتصادي، قال تعالى ﴿وَكَانَ

وَعَدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ الإسراء: ٥ وانتهى هذا النفوذ والقرآن ما زال ينزل، انتهى سلطان اليهود في الجزيرة زمن من تحبون أن تصلوا عليه وزمن أصحابه الكرام.

قل تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٦﴾ الإسراء: ٦ رددنا لكة على أحفاد الذين جاسوا خلال الديار، علينا نحن المسلمين، هذا القرآن يتلى لا شك فيه ولا ريب، مولانا يخاطب المسلمين أن اليهود سيكون لهم صولة وسلطة ودولة. (اعرف عدوك)

والسياسيون يعرفون أن الدولة تحتاج إلى ثلاثة أركان لأجل أن تكون دولة: ١_ أرض ٢_ شعب ٣_ اقتصاد.

وقد استولى اليهود بوعده بلفور على الأرض المقدسة أول هذا القرن ونفذه في منتصفه، فأين الشعب والمال؟ اسمعوا إلى رب العزة يقول: ﴿وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾ الإسراء: ٦ لكثير شعبا ومحاربة لعدوكم)، دولة اليهود اليوم تقوم على التبرعات أو الأموال، وتأتيهم من أمريكا وألمانيا وأذنا بهما، ولم يمدَّ اليهود بالتبرعات خلال القرون الماضية، لم يمد اليهود بالتبرعات خلال التاريخ القديم أبداً، الله يقول ﴿وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿٧﴾ من كل أنحاء العالم، اسمعوا الآيات على موجات سورة الإسراء نفسها ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ - من بعد موسى - لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ ﴿١٠٤﴾ الإسراء: ١٠٤ ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ ﴿١٦٨﴾ الأعراف: ١٦٨ ﴿فَإِذْ لَجَأَ وَعَدَا لِأَخْرَجِنَا بِكُمْ﴾ ﴿١٦٩﴾ جئنا بكم ملتفين جماعات جماعات إلى فلسطين. (قولوا الله أكبر)

اليهود اليوم يأتون إلى فلسطين من كل دول الدنيا، العام الماضي /٢٠٠/ ألف يهودي من روسيا، ومن أرض الحبشة جاء، ومن أمريكا جاء

والمستوطنات تبني وتسكن، وما يدرون أن الله ينفذ حكمه فيهم، هو الذي يأتي بهم إلى القدس ليقتلوا بيد المسلمين، فاستبشروا بالنصر الأكيد، كل من يأتي إلى فلسطين من اليهود سيذبح، ولو أصبحت له قوة مالية وعسكرية، الله يقول لليهود ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ ﴿الإسراء: ٦﴾ أكثر قوة عسكرية، لأن النفير هو نفير الحرب: طائرات حاملات طائرات صواريخ بواخر أساطيل، قوة أمريكا وألمانيا و ٢٨ دولة من وراءهما وهذا وصف دقيق موجود بالقرآن منذ / ١٤ / قرناً، وصف وصفه الذي يعلم السر وأخفى والسؤال هو: لم هذه القوة العسكرية؟ لم هذا المدد العظيم؟ لقد أنت الآيات متتابعة: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ (بهذه القوة واتخنتموها في الخير) أَحْسَنَتْ لِنَفْسِكُمْ وَلِنْ أَسَاطِمِ بِلَاغِهَا فِي الشَّرِّ) فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئِلُوا نُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عَلَوُا تَتَبَرَّأَ ٧﴾ ﴿الإسراء: ٧﴾ واليهود لم يحسنوا: قتلوا الأطفال والنساء وقتلوا الرجال، وحرقوا الأقصى، والأقصى عند الله عظيم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ (ليمر المسلمون دولة اليهود وعلوهم وقوتهم) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئِلُوا نُجُوهَكُمْ (لتصبح وجوههم سيئة نلية) وَلِيَدْخُلُوا (يعني المسلمين) الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فهل يدخل المسلمون المسجد الأقصى؟

هذا سؤال أَدع جوابه اليوم لأيام قليلة قادمة لتصدقوا ويزداد الذين آمنوا إيماناً أن قوة أمريكا وآلاف مؤلفة من وراء أمريكا من المشرق والمغرب ليس فقط إسرائيل بل الآلاف من دول الإلحاد والكفر لن تصمد ولا لحظة واحدة أمام قوة الله رب العالمين، اسمعوا البشارة من رب العزة يقول: ﴿وَلِيَدْخُلُوا

الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ المعركة معركة مسجد وبين غوريون كان يقول: « لا معنى لدولة إسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل، والهيكل موجود تحت المسجد » لذلك اليهود اليوم يعملون لتقويض المسجد، وأشهد الله تعالى أنهم لن يفلحوا إذن أبداً، لأن الله يقول ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ نفس المسجد سندخله نحن بإذن الله و لن يفلح اليهود اليوم بتقويض المسجد الأقصى، لأنه إذا هم فلا مسجد والله يقول ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ وهذه بشارة وإشارة والله عز وجل كفيل بتحقيقها، فقل من قلبك الله أكبر.

والآن المسلمون في حالة يأس من حكام الدنيا، يئسوا من الحكام ومن الملوك ومن مجلس الأمن، ومن كل قوة على وجه الأرض، ويئسوا منهم أن يردوا القدس وفلسطين، أغلقت جميع الأبواب الآن، مادمننا كذلك فأبشركم أنها علامة الفرج، نعم علامة على الفرج، عجيب أمن اليأس يأتي الفرج؟ نعم، اسمعوا إلى مولانا يقول: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾ يوسف: ١١٠ وهو الذي قال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْثُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ الصافات: ١٧١ - ١٧٣ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٣﴾ والربانيون بدؤوا على الأرض الآن، الربانية تعني أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وإذا كنت قائداً أن تقترب إلى الله أبداً، فلا بد للرباني أن يكون مع الله لأن الأمور كلها بيد الله، لم يبق لنا إلا الله أن نلجأ إليه، لن نلجأ إلى أمريكا ولا إلى روسيا ولا إلى الوسائل المادية ولا العسكرية بل إلى الله تعالى.

فاللهم إليك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، نعوذ بنور وجهك الذي أنارت عليه الدنيا والآخرة

من أن تنزل علينا غضبك، أو يحل علينا سخطك، لك العتبي حتى ترضى ولا
حول ولا قوة إلا بالله.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

سيدنا ومولانا محمد ﷺ 1

آبائُه - أجداده - ولادته

- ٥٥ -

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدها بالعناية الربانية فقصّر آمالها. أحمده حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لها. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله والجاهلية تشرّع ضلالها، فلم يزل تراجع جدالها ويضيق مجالها، ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها، وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت الجنوب في المبوب شمالها، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة:

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على من؟

على أي نبي كريم وسيد عظيم؟

إننا ننزل ضيوفاً على أول خلق الله نوراً، وإمام النبيين طراً، الطاهر المطهر الذي قال لنا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» (م: ٢٢٧٨).

نبي قال لنا: «أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» (م: ٥٣٣).

نحن اليوم في حضرة نبي قال عنه أصحابه: ما شئنا عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من رسول الله ﷺ، إننا نقف اليوم إجلالاً واحتراماً وتقيراً وتعظيماً لنبي خصه الله بثلاثين اسماً من أسمائه:

فهو الأكرم والأمين والأول والآخر، والبشير والنذير والجبار والخير والحق وذو القوة،
والرؤوف والرحيم، والشهيد والكريم، والشكور والمبين، والصادق والعظيم، العفو والمولى والولي
والعالم والعزیز والفتاح والهادي والمؤمن والمهيمن والمقدس والنور، وطه ويسن.

إنه سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ. الذي قال عنه ذاته إن لي أسماء: «أنا مُحَمَّد، وأنا أحمد، وأنا
الحاشر (الذي يحشر الناس على قدميه) وأنا الماحي (الذي يمحو الله به الكفر) وأنا العاقب
لأنبي بعدي» (م: ٢٣٥٤)، «وهو نبي الرحمة ونبي التوبة» (م: ٢٣٥٥).

حُصَّ نَبِيُّنا بِعَشْرَةِ خِصَالٍ	لَمْ يَحْتَلَمْ قَطُّ وَلَا لَهُ ظِلَالٌ
الأَرْضُ ما يَخْرُجُ مِنْهُ تَبَتَّلَعُ	كَذَلِكَ الدُّبَابُ عَنْهُ مَمْتَنَعٌ
تَنَامُ عَيْنَاهُ وَقَلْبُهُ لَا يَنَامُ	يَرى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرى أَمَامُ
تَعْرِفُهُ الدَّوَابُّ حِينَ يَرْكَبُ	تَأْتِي إِلَيْهِ سُرْعَةً لَا تَهْرُبُ
عَلَا جُلُوسُهُ جُلُوسُ الْجُلُوسَا	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ صَبْحاً وَمَسَا
أَيُّهَا السَّادَةُ:	

إننا باختصار مع النبي الخامس والعشرين من سلسلة الأنبياء والنبوات، وبالضبط مع الحلقة
الخامسة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع
معكم شعار التوحيد عالياً.

لا إله الا الله سيدنا ومولانا مُحَمَّد رسول الله
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

وقبل أن أفتح معكم ملف حياة نبينا الأعظم أقف معكم وقفة التأمل المتفحص عن الفترة
الواقعة بين سيدنا عيسى وبين سيدنا مُحَمَّد ﷺ، هذه الفترة التي يصرح فيها نبينا أنه لم يكن فيها
نبي. فهو القائل: (أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد عَالَت (ضرائر)، ليس بيني - وبينه
نبي) (م: ٢٣٦٥) وسيكون هذا الحديث مقدّمة بين يدي الحديث عن آبائه ﷺ وحكمهم في
الشريعة وأصول الدين.
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

هذه الفترة تقدر بـ /٥٧٠/ سنة تسمى فترة الرسل، وفيها يتطرق تغير وتحريف إلى الشرائع لتتقدم العهد واختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب، وأهل الفترة هم الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل.

لم يُرسل اليهم رسولٌ ولا أدركوا حياة رسول، لكننا إذا تكلمنا في الفترة فإنما نعني بها بالتي بين رسولنا سيدنا مُحَمَّد I وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام. واسمع الى مولانا عز وجل يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون} /السجدة: ٣/.

فالمراد بالقوم هنا - قريش والعرب - وهو قول قتادة وابن عباس ومقاتل.

ولا يعرف التاريخ رسولاً بين اسماعيل جدّ العرب الأول وبين سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وكانوا بعد سيدنا إسماعيل ملزمين بملة إبراهيم، فَشَتَّ فيهم عبادة الأصنام، فبعث الله لهم نبيناً مُحَمَّداً I وقال لنا (صلوا عليه):

«والذي نفس مُحَمَّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (م: ١٥٣) فاللهم اشهد بأننا نؤمن بنبيك سيدنا مُحَمَّداً وبما أرسل الله ﷻ فهل أنتم مؤمنون؟. قولوا: نعم.

فالحديث يدل على أن الذي يكون من أصحاب النار هو من يجتمع فيه ثلاثة أمور:

١. أن يسمع بالرسول I وذلك بأن تبلغه دعوته وما جاء معه من دلائل صدقه.

٢. لا يؤمن بما أرسل به ﷻ.

٣. ويموت على ذلك.

والذي نفهمه من الحديث أنه يكفي للنجاة: أن لا يسمع بالرسول بآلا تبلغه دعوته كمن عاش منقطعاً عن العالم في جزيرة أو جبل أو برية منقطعة، أو أن يسمع ويؤمن ويموت على غير ذلك. ولذلك يقول عز وجل: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً} /الإسراء: ١٥/، {وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولاً يتلو عليهم آياتنا} /القصص: ٥٩/.

وأهل الفترة لم تقم عليهم حجة الله بالرسول فلا يعذبهم ، فهم ناجون وإن بدلوا وغيروا أو عبدوا الأصنام في زمن الفترة، يقول مجدد القرن العاشر الهجري و شيخ علمائه مولانا الإمام السيوطي في فتاويه:

(لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم (أي أهل الفترة) غير معذبين).

لكن لنا وقفة هنا، وقفها بعض المالكية والإمام النووي والفخر الرازي فإنهم اشتروا لنجاة أهل الفترة: ألا يكونوا مشركين كأمريء القيس وحاتم الطائي، بخلاف من لم يشرك منهم ومن لم يوحد ويبقى عمره في غفلة عن هذا كله، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، فلا خلاف في نجاتهم، لأن قسّاً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله يقول: (البكرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، وسما ذات أبرج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير).

وأما زيد فكان يسجد ويقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم» (ن: أبو نعيم والفاكهي). ويقول: إني لأنتظر نبياً من ولد اسماعيل من بني عبد المطلب ولا أراي أدركه، وأنا أوّمن به وأصدقّه، وأشهد أنه نبي، ومن طالبت به مدة ورآه فليقرئه مني السلام».

وقد أكرمه الله تعالى أنه عاصر النبي واجتمع به، وآمن به قبل بعثته بخمس سنين ولم يدركها، حيث مات وقريش تبني الكعبة، تقول السيدة أسماء رضي الله عنها:

«لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: - يامعشر قريش، والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري (خ: ٣٨٢٨)، وكان يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلم ثم يسجد وكان ينكر على قريش الذبح لغير الله تعالى، وصحّ أنه لم يأكل من ذبائح المشركين التي أُهلّ بها لغير الله، وقد سأل ابنه سعيد بن زيد (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) مرة نبينا ﷺ فقال: إن أبي كان كما رأيت وكما بلغكم أفأستغفر له؟ قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده.

فأهل الفترة ثلاثة: الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة الإسلام كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو، ومنهم من دخل في شريعة حق كتبع.

الثاني: من بدل وغير وأشرك وشرع لنفسه، فحلل وحرّم ، وهم الأكثر كعمرو بن لحي، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام، وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة، وهم الذين قيل بتعذيبهم.

الثالث: لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة ولا ابتكر شريعة فهو لاء غير معذبين.
أيها السادة..

إذا علمنا أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمنا أن آباءه وأمّهاته وأجداده I ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم عيب ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يذكي آباء نينا I فيقول: ﴿وَقَلْبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٩) واسمعوا إلى حسينا سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (م: ٢٢٧٦) فهو ﷺ خيار من خيار من خيار» (يا سعد من صلى عليه). ويقول المؤرخ الكلبي صاحب كتاب الأنساب: «كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم فما وجدت فيهم سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه أمور الجاهلية».

حفظ الإله كرامة لمحمد آباءه الأجداد صوناً لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم وإلى أبيه وأمه

فالحق الذي نقلى الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان ، وللسيوطي في هذه المسألة عشرة مؤلفات كلها تصب في وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ، وقد أورد حديث إحياء والديه ﷺ حتى آمنّا به، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ.

وقد سئل ابن العربي المالكي الفقيه المحدث عن رجل قال: إن آباء النبي في النار. فقال

عنه: إنه ملعون لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧) ولا أنى أعظم من أن يقال عن أبيه

ﷺ إنه في النار، وما أحسن قول حافظ الشام ابن ناصر الدين:

حبا الله النبي مزيد فضلٍ على فضلٍ وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً منيفاً

قَلَّمَ فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا
إننا معشر السادة الكرام

على أبواب الصفحة الثانية من حياة النبي الخامس والعشرين من الأنبياء والمرسلين فهو:
سيدنا مُحَمَّد بن عبد اللَّهِ بن عبد المطلب شبيه الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وإلى هذا الجد انتهى النسب الشريف الذي انعقد عليه الإجماع، وليس فيما بعده إلى آدم
طريق صحيح فلا تجب معرفة ما بعد هذا الجد بلا خلاف لأن نبينا ﷺ كان إذا انتهى في
النسب إلى عدنان أمسك ثم يقول: كذب النسّابون (ض) .

أيها الإخوة:

هناك أمور يجب معرفتها عن سيدنا مُحَمَّد ﷺ ويجب اعتقادها، من هذه الأمور أنه ولد
بمكة المشرفة قبيل فجر الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وهذه الليلة أفضل من ليلة القدر
ويستجاب الدعاء في الساعة التي ولد فيها ﷺ في كل ليلة.

ومن أجل ما سُنَّ بل من أدلّ القربات والطاعات ما جرت به العادة من العناية بالمولد
الشريف والفرح بسيد السادات وإطعام الطعام وقراءة قصة المولد الشريف.

قال ابن الجوزي: مما جرب أن من عمل المولد كان أماناً له في ذلك العام وبشرى عاجلة
بنيل المرام، وقد صح أنه لما ولد ﷺ ذهبت ثوية فبشرت مولاهم أبا لهب بولادته فأعتقها وأمرها
برضاعتها، فجوزي بأن يخفف عنه في النار كل ليلة إثنين، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن
بذمه فما ظنك بالمسلم الذي يفرح بولادته ﷺ ويبدل ما تصل إليه قدرته في محبته، إن اللَّه لا
يضيع أجره.

ومن أجل ما سُنَّ أيضاً ما جرت به العادة من قيام الناس حين ذكر مولده ﷺ فيستجيب
ذلك لما فيه من تعظيمه وإظهار الفرح به والسرور، بل أفق بعض الحنفية بكفر من يتركه حين
يقوم الناس، ولعمري إذا لم يُقم لقدمه ﷺ ولو عند ذكره مولده فلمن يقام.

وقد ذكر صاحب فتح العلام الشيخ عبد الله الجرداني رحمه الله أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يولد من الفرج، بل من محل فتح فوقه وتحت السرة والتأم من ساعته، ومثله في ذلك جميع الأنبياء والمرسلين، لكن ما رأيت دليلاً عليه، إلا أن المالكية أفتوا بقتل من قال إن نبينا ﷺ ولد من مجرى البول.

تقول السيدة آمنة لما حملت به: ما شعرت أي حملت به، ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أنني أنكرت حيضتي وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول: لا أدري.

فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، قالت: فكأن ذلك مما أيقن عندي الحمل. ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال:

.قولي إذا ولدتيه: أعينه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سمّيه مُحَمَّدًا ﷺ.

وفي رواية الإمام أحمد (ض: وقواه بعضهم): سمعت وجبة عظيمة، وأمرأً عظيماً هالني، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين، ثم التفت فإذا أنا بشرية بيضاء لبنا، وكنت عطشى فتناولتها فأضاء مني نور عال.

وحضرت قابله وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ومسحت بيدها على بطني وقالت: بسم الله أُخرج بإذن الله.

فأخذني المخاض فوضعت ولدي مُحَمَّدًا، فوقع على كفيه وركبتيه على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء وسمعته يقول: جلال ربي الرفيع، الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وأهوى ساجداً لله تعالى:

فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

صلى الإله على ابن آمنة الذي جاء به سبط البنان كريماً

قل لمن يرجو شفاعة أحمدٍ صلوا عليه وسلموا تسليماً

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ 2

- ٥٦ -

الحمد لله الذي أكرم أمة حبيبه المصطفى بجزيل النعم، وفضلهم وشرفهم باتباعهم لسيد العرب والعجم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال لأشرف أحبابه وقسماً بآية من كتابه:

﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى (٥) ﴾ الضحى: ١ - ٥

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله قال لمولانا عز وجل عندما نزلت هذه السورة: يارب لا أرضى وواحد من أمتي في النار. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا مُحمّد وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد بدأت معكم قبل مغادرتي لحج بيت الله الحرام وزيارة نبينا عليه الصلاة والسلام باتمام سلسلة النبوات والأنبياء من ملف التوحيد الذي فتحناه منذ شهر ربيع من عام ١٤١٦، وكان ختام المسك حديثنا عن أشرف خلق الله طراً، أعني به سيدنا مُحمّداً ﷺ:

مُحمّد سيد الكونين الثقليين والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلقه وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم.
فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم.

وقد وقفت معكم عند الولادة المباركة، والحقيقة أننا لن نستعرض السيرة النبوية الشريفة، ولكنني سأقتطف منها الأزهار والرياحين من رياضها النضرة، لأتناول من حياة نبينا الكريم القضايا الإيمانية الخاصة بملف العقيدة، وسيكون حديثنا اليوم عما يسمى بالعقيدة: بالارهاصات، أو بالمبشرات بين يدي النبوة والرسالة.

إننا باختصار . أيها السادة . مع الحلقة السادسة والخمسين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أرفع وإياكم شعار التوحيد:

لا إله الا الله سيدنا ومولانا مُحَمَّد رسول الله

والإرهاص أو التأسيس: ما يحدث لنبي من الأنبياء قبل أن يبعث رسولاً وتسمى بالمبشرات أو مقدمات النبوة، لتعلن للناس مدى اصطفاء الله لهذا النبي ومكانته عند الله تعالى.

وقبل أن الج معكم إلى أمير الأنبياء علينا أن نعرف ما يسمى بالخوارق السبع للعادة، والتي على رأسها المعجزات التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله الكرام، وهي مقرونة بالتحدي للأقوام، وتعني تصديق الله لنبيه فيما يبلغ عنه.

ومنها: الكرامة التي تقع للأولياء والصالحين.

ومنها: المعونة وتقع للعوام المستورين تخليصاً لهم من شدة، كما وقع لامرأة في الهند حين حاول أحد الكفار أن يهتك عرضها فنادت: اللهم أنجدي بالجيلاني، قال: وكان سيدنا عبد القادر الجيلاني في درسه ببغداد فتناول فردة قبقابه فرماها نحو الهند فأصابته الكافر فقتلته بإذن الله.!

ومنها: الاستدراج تظهر على يد كافر أو فاسق خديعة له ومكراً.

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ وَأَمْلِي

لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ القلم: ٤٤ - ٤٥

ومنها: الإهانة وتظهر على يد العبد تكديماً له، كفعل مسيلمة الكذاب تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

ومنها: السحر وهو فعل أشياء أو تخيلها بطلاسم موهمة، ومنه الشعوذة وهي خفة اليدين. وآخرها: هوما يكون حديثنا عنه اليوم أعني به الإرهاصات.

أيها الإخوة:

نحن اليوم إذاً على موعد مع زيارة أمير الأنبياء في بيت السيدة آمنة قريباً من البيت الحرام، فإن أصوات الفرحة والسرور والبهجة والحبور تعم أرجاء هذا البيت المبارك، الذي ضم بين حناياه الأم الرؤوم، ذلك لأن والد نبينا كان قد سبقه إلى الفردوس أثناء حملها به، فكان الذي كفله

وقام على تربيته سيد قريش والبطحاء أعني به جدّه شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم، أرسلت إليه السيدة آمنه تبشره بمولد حفيده زينة الدنيا ونور الكون، فنهض ومعه بنوه حتى أتاه، وأكرم من الولد ولد الولد، وأقرب من الوليد الابن الحفيد، ثم نظر إليه ثم أخذه إلى صدره وحنا عليه وسمّاه مُحَمَّدًا ﷺ.

أيها الإخوة:

١- ولد سيدنا النبي ﷺ مسروراً مختوناً، أي مقطوع السرة طاهراً مطهراً، زكي الرائحة يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة التمام.

٢- وظل أياماً لا يذوق من أمه قطرة لبن سوى ما يمصه من إبهامه، وكان أول من رضع منهن أمه السيدة آمنه، ثم رضع من أربع نسوة ولم ترضعه امرأة إلا رزقت الإسلام ببركته عليه الصلاة والسلام، وكانت السيدة حليلة السعدية أكثرهن ملازمة له وأشدّهن خصوصية به ﷺ.

٣- ولما بلغ رسول ﷺ شهرين أخذ يمشي على يديه ورجليه على الأرض، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم حيث يسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان، وكان يشب شباباً لا يشبه الصبيان فما أن بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً. فلم يزل عندها حتى تم له سنتان، ففطمته وردته إلى امه كما هي عادة المرضعات، ولم تزل تتلطف بها وتطلب منها بقاء عندها سنة أخرى، حتى أخذته منها، ورجعت به وهي مسرورة فقد رأت الخير من هذا الطفل.

٤- فقد اخضرت من حولها الأرض ونبت الزرع ودرّ الضرع ببركته ﷺ فرأت وشاهدت ذلك بأم عينها.

٥- ورأت أكثر من ذلك رأت الغمام وهو يظللها أينما حل وارتحل، فقد حدّثت السيدة حليلة فقالت: فقدت ابني مُحَمَّدًا مرة، فإذا هو عند اخته الشيماء تدور به في وسط النهار وهي تقول:

يا رب أبق لنا محمداً	حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيّداً مسوداً	واكبت أعادييه معاً والحسداً
	وأعطه عزّاً يدوم أبداً

فقلت لها: يا ابنتي ما كان لك أن تخرجي أخاك في هذا الحر. فقالت: ما على أخي بأس يا أماه، ما أصاب أخي حرٌّ يا أماه، إنّ له غمامة تظله حيث سار وحيث أقام.

٦- ومن الإرهاصات التي كانت قبل النبوة شق صدره عليه الصلاة والسلام وهو في مرابع بني سعد، إذ جاءه سيدنا جبريل وميكائيل في صفة رجلين عليهما ثياب بيض فاضجعا وشقا صدره بالطف كيفية ثم أخرجا قلبه الشريف فشقا وأخرجا منه علقه سوداء، وغسلاه بثلج في طست من ذهب ثم ملأه حكمة وإيماناً وأعاداه كما كان (ق).

يقول أحد شيوخ الإسلام: من أراد ان ينال هذه المكانة بشق صدره وإخراج حظ الشيطان من قلبه فليكثر من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

وعاد سيد الكائنات لينعم بعد سنوات من الرضاع والحضانة إلى مكة أم القرى، عاد إلى الأرض التي نبت فيها أصوله وتعمقت فيها جذوره، عاد ليعيش بين أهله وذويه وفصيلته التي تؤويه، عاد ليجد الأم الصابرة الكريمة التي حبست نفسها عليه بعد أن فقدت زوجها الشاب، عاد إلى أمه التي لم تتجاوز سن العشرين من عمرها فأقبلت عليه تملأ قلبه عطفاً وحباً وحناناً.

لكن يد القدرة الالهية كانت تلاحق السيدة آمنة، فمرضت أياماً ثم لحقت بزوجها إلى الرفيق الأعلى، وعرف الطفل الذي لم يبلغ بعد السابعة من عمره أنه أصبح يتيماً لا أب ولا أم، وزاد من لوعته أن هذا اليتيم كان في الغربة وفي السفر، إذ أن والدته توفيت بالأبواء بجوار المدينة المنورة، لكنه وجد في ظل جده شبيه الحمد عوضاً عن فقد والديه، وخصه بمقام ليس لأحد من أعمامه ولا لواحد من قريش، وكان إذا أتى بطعامه أجلس الطفل اليتيم إلى جانبه، وربما أقعده على فخذه ثم أثره بأطيب طعامه وألذ شرابه، وكان رفيقاً به وبآدابه يقول لأعمامه: دعوا ابني هذا فإن له لشأنا.

لكن سيد قريش لم يمهل الزمن حتى لحق بربه عز وجل، وأوصى لابنه أبي طالب برعاية الطفل اليتيم الذي كان قد بلغ الثمانية، انتقل ليعيش مع أولاد أبي طالب وزوجه السيدة فاطمة بنت أسد التي رعته واعتنت به كأنه أحد أولادها.

٧- تقول كتب السيرة: ان أولادها كانوا يصبحون شعثاً (شعورهم متفرقة) رمصاً (على أعينهم أثر النوم) ويصبح رسول الله ﷺ كحياً كأنه القمر (ﷺ).

٨- وشبَّ محفوظاً من الله تعالى، بعيداً عن أقدار الجاهلية وعاداتها، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأشدّهم حياءً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والبذاءة، وأعظمهم أمانة، حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين، وفي الحديث عن سيدنا علي عن نبينا صلّى الله عليه وآله قال: «ما عبدت صنماً وما شربت خمرًا قط، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر». أيها الإخوة.

فما هو إلا أن شب سيدنا محمد I وقوي ساعده وبلغ اثنتي عشرة سنة حتى اتجه إلى العمل فرعى الغنم، وفيه كسب شريف، وتربية نفسية، وتعويد على العطف على الضعفاء، وسياسة للأوباد، واستنشاق للهواء الصافي النقي وتقوية للجسم، وفوق ذلك كله فهو اتباع لسنة الأنبياء ففي الصحيح «ما من نبي الا وقد رعى الغنم» ثم شارك عمه أبا طالب في تجارته إلى الشام حتى بلغا بصرى. أيها السادة:

إننا مع الارهاصات التي حدثت في بصرى، لذا اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، ولن أبعد بكم فسنذهب إلى درعا، إلى بصرى التي وطئت عليها قدما حبيب القلوب سيدنا محمد I، فما أسعد أهل بصرى بالحبيب الأعظم، بل ما أسعد أهل الشام لأن بصرى بقعة منها، فأرسلوا رسالة تحية ومحبة للحبيب الأعظم، وقولوا: صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ٩- هناك نظر الراهب بحيرا إلى هذا الركب القادم، وأقبل متجهاً إلى حبيبي ورقة عيني جدي رسول الله وأخذ بيده مخاطباً عمه قائلاً (ت: حسن غريب): هذا سيد المرسلين، هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

وفوجيء القوم بالراهب الذي لم يكن يخرج من صومعته كثيراً، يسرع إلى أمين مكة ليقول هذه الكلمات، بل قالها بحب غامر وإيمان صادق. سألوه: من أين علمت هذا؟ اسمعوا إلى الإرهاصات، إلى الاجابات قال لهم: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لني.

١٠- وإنا لنجد صفته في كتبنا. ثم قام الراهب باطلاعهم على الدليل الجسدي، على الإرهاص الذي هو في جسد نبينا، إذ به يكشف عن كتفي سيدنا رسول الله فإذا بخاتم النبوة

يتلألاً بين كتفيه ﷺ. ثم أقسم على عمه أن يرده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود، لأنهم علموا أنه خارج في هذا الشهر.

أيها الإخوة..

١١- ولما بلغ ﷺ عشرين سنة عاد إلى الشام مع الصديق أبي بكر في تجارة، ولما بلغ خمساً وعشرين سنة رجع إلى الشام في تجارة لخديجة رضي ﷺ عنها، ومعه عبدها ميسرة يخدمه، وهناك أرى الحبيب الأعظم ينزل تحت شجرة، وأرى راهباً ينظر من صومعته يدعى نسطورا (ابن اسحق ٥٩- ابن سعد ١ / ١٥٥ - ١٥٧)، وها هو يرى أغصان الشجرة كيف تدلت بأوراقها على الحبيب الأعظم لتقيه حر الهجير، فصرخ قائلاً: والله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. وأسرع الراهب نسطورا يستدعي ميسرة، ويسأله عن هذا الفتى الذي يرافقه في بيع تجارة مكة، فقال الراهب: هو هو ، وهو آخر الانبياء، وركض نحو الحبيب الأعظم يقبل رأسه وقدميه ويقول:

. آمنت بك وأنا أشهد أنك رسول الله النبي الأمي، الذي بشر بك عيسى فإنه قال: لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي العربي الهاشمي المكي. ثم التفت إلى ميسرة فقال له: لا تفارقه أبداً وكن معه بعزم صادق ونية حسنة. أيها السادة..

وعاد السيد الأعظم وقد ضاعف الله له ربح تجارته، وحدثها ميسرة بما جرى معه فعرضت نفسها عليه فتزوجها رسول الله بعد رجوعه بنحو ثلاثة أشهر، وكان عمرها آنذاك أربعين سنة.

١٢- وأول ما بدىء قبل النبوة الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلا وقعت كما رآها تماماً.

١٣- وحبب الله إليه الخلوة والعزلة فكان يعتزل الناس في غار حراء مدة من الزمن كل حين ، يسير من مكة إلى الجبال العالية البعيدة عنها فيصعد رأس جبل النور ليعتكف بغار هناك، يتأمل في الكون باحثاً عن الإله الحق كما فعل من قبله جده أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل، وفي أثناء الطريق وهو ذاهب، وهو راجع، كان يمر بالأحجار والأشجار فيسمع صوتاً منها يقول: السلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى أحداً.

واسمع معي إلى حبيبك سيدنا مُحَمَّد يقول: « إني لأعرف حجراً بمكة كنت كلما مررت عليه يقول لي: السلام عليك يا رسول الله » (م: ٢٢٧٧).

هذا الحجر يعرف قدر رسول الله ويسلم عليه كلما رآه، ونحن بنو الانسان من لحم ودم وإحساس ألا نصلي عليه، ألا نسلم عليه؟! يقول عليه الصلاة والسلام: « رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل علي » (صحيح بشواهد م- ت- ح)، ويقول: « من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة » (طب).

ويقول: « ما من أحد يسلم علي إلا ردَّ الله عليَّ رuchi حتى أورد عليه السلام » (د: حسن).

سيدي أبا القاسم يا رسول الله الصلاة و السلام عليك يا خير خلق الله صلاة بعدد حبات المطر وقطرات السحاب وذرات الماء في البحار.
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد (ﷺ) (٣)

- ٥٧ -

الحمد لله الموحى إلى نبيه ومصطفاه من الكتاب ما به على سائر أنبيائه اصطفاه، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره حمداً يستنزل الرحمة ويكشف الغمة.
وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، بعث نبيه المصطفى وجعله مبيناً لمجمل الآيات القرآنية بياناً كالعسل المصقى.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي العربي والسيد المصطفى.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً
أما بعد: ف

يقول راجي الغفر للذنوب	عبد المجيد الأزهرى الشرنوبى
الحمد لله الذي تَوَحَّدَا	في ذاته وبالبقا قَرَّدَا
وبَعْدِ حَمْدِ الله والصَّلَاةِ	على النبي صاحبِ الصَّلَاتِ
فهذه عقائد التوحيد	ننحو بها من ربة التقليد
فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفة	تكن بها في عُرفٍ مزخرفة
له الوجود والبقاء والقدم	مخالف لما يناله العدم
وقائم بنفسه وواحد	فهذه ست صفات تسرد
منها الوجود صفة نفسية	والخمس بعدها هي السلبية
وواجب لربنا المنان	سبع صفات سميت معاني
علم وإرادة وقدرة بصر	سمع كلام وحياء تعتبر
وسبعة قد لازمها تدعى	بمعنوية فألقى السمعاً

ككونه حيا مريداً قادرا	وفي ثبوتها خلاف قد جرى
والحق لا استغناء بالمعاني	عنها كما حُقق بالبرهان
وضدّها عليه يستحيل	فإنه المنزّه الجليل
بكلّ أوصاف الكمال قد وصف	طوبى لمن له بهذا يَعْتَرِفْ
وجائز عليه فعل الممكن	وتركه إن لم يشأ لم يكن
وواجب لرسله الأمانه	والصدق والتبليغ والفظانه
ومستحيل ضدّها فلتعلم	وجائز كالأكل في حقّهم
واجزم بأن المصطفى التهامي	أفضل مبعوث إلى الأنام
قد حُصّ بالإسراء والمعراج	والملة الواضحة المنهاج
من ربه كقاب قوسين دنا	ونال من عطاءه غاية المنى
أيها السادة..	

هذه هي المنظومة الشرنوبية في العقيدة التي نقوم بشرحها منذ سنتين ووصلنا فيها الآن إلى الحديث عن أفضل مبعوثٍ إلى الأنام، فقد تعلمنا في العقيدة أنه:

وأفضلُ الخلق على الإطلاق	نبينا فمّل عن الشِّقاق
والأنبيا يلونه بالفضل	وبعدهم ملائكةُ ذي الفضل
بالمعجزات أيدوا تكروما	وعصمة الباري لكلّ حَتْمَا
وحُصّ خير الخلق أن قد تَمَّما	به الجميع ربنا وعمّما
ومعجزاته كثيرةٌ غرر	منها كلام الله مُعْجِزُ البَشَر

هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نزلت أولى آياته يوم كان الحبيب الأعظم قد خلا بغار حراء يتحنث الليالي ذوات العدد ، نزلت عليه أولى الآيات

الكريمات ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝۱ ﴾ العلق: ١ فكان جواب الحبيب: ما أنا بقارىء.

وانتبهوا أيها الإخوة إلى هذا القضية الإيمانية فالأمر هام جداً، فقد كان من حكمة الله تعالى وتربيته أن نشأ رسول الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلماذا قدّر الله له ذلك؟. إن الذي

أجاب عن هذا السؤال رب العزة ﷻ اسمعه يقول لحبيه: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨
أيها السادة الكرام

إننا مع الحلقة السابعة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا ومولانا محمد رسول الله

إننا مع أولى القضايا الإيمانية اليوم: وهي قضية الوحي.

والوحي في لسان أهل الشرع ينصرف إلى التعليم السري الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو نوعان:
الأول: تعليم بوساطة ملك.

والثاني: تعليم مباشر بدون وساطة ملك.

وكلاهما يصح أن يكون في اليقظة أو في المنام وهو ما يعبر عنه بالرؤيا الصادقة.

والتعليم بدون وساطة الملك له طريقتان:

إما بالإلهام وهو إلقاء المعنى في النفس نحو قوله ﷺ:

«ان روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (حسن).

وإما بالكلام من وراء حجاب أي بدون رؤية. كتكليم الله لسيدنا موسى.

وسنجد من خلال تنمة بحثنا للنبوات أن التعليم بواسطة الملك يقع على وجهين:

١- إما أنه يشاهد الملك عند الوحي على صورته الحقيقية وهذا نادر، أو أن يسمع عند

قدومه دويًا وصلصلة شديدة يعلم الله حقيقة ما ومصدرها فيعترية حالة روحية غير عادية لا يدرك الحاضرون منها إلا أمارتها الظاهرية كثقل بدن وتصيب جبينه عرقاً، وربما سمعوا عند وجهه الكريم دويًا كدوي النحل مدة الوحي ثم يرجع النبي إلى حالته العادية.

٢- والوجه الثاني: يتمثل الملك عند الوحي على صورة ما فيكلمه فيعني عنه ما يقول، كما

نحن بصدد اليوم، فإن الحبيب الأعظم حينما نزل عليه الملك أول منازل قال (خ):

«فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا مُجِدُّ أَنْتَ رسولُ اللَّهِ وأنا جبريل... يقول عليه الصلاة والسلام فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء، فجعلت أصرف نظري في آفاق السماء فلا أنظر ناحية إلا رأيته كذلك، ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي (خ: ٦٢١٤).

فرجع الحبيب الأعظم وفؤاده يرجف من الفرع فتلقته السيدة خديجة أم المؤمنين بكلماتها الطيبة، وهي تقول: أبشر يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجه بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

أيها السادة..

إننا مع القضية الثانية وهي قوله ﷺ لجبريل آنفاً (ما أنا بقارىء)

هذه لكلمة رَدِّ اللَّهِ ﷻ بها على من قال عن نبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ۖ لَوْلَا ۖ ١٠٣ ﴾ فهذا غير صحيح، لم يكن النبي الكريم قبل البعثة تلميذاً لأحد ولا طالباً للعلم عند أحد، إنما كان نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لذلك لم يأت بالشرعة من عنده، وإلا فسيقول الكفرة والمرجفون الذين يعادون الإسلام بأن النبي أخذ علمه عن الرهبان والقساوسة وهذا باطل لا شك فيه. وقد ردَّ اللَّهُ ﷻ عليهم إفكهم وكذبهم فقال لنبيه الكريم على موجات سورة العنكبوت: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۖ ٤٨ ﴾ العنكبوت: ٤٨

هذه القضية علينا معرفتها جيداً، لم يأت بالشرعة من عند أحد، بل أرسله ﷺ بها هادياً وبشيراً منذ أنزل عليه مولانا أوائل سورة العلق:

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق: ١ - ٥ هذه الآيات أول ما نزل، وأما باقي السورة فنزل بعد ذلك بسنين، وأول سورة نزلت بعدها هي سورة الفاتحة، كان ذلك في رمضان في الليلة المباركة ذات القدر العظيم، ونحن أمام هذه الكلمة بين احتمالات ثلاثة: نحن في كلمة (اقرأ) بين احتمالات ثلاثة:

الأول: قول الملك لنبينا اقرأ كأنه يقول له كن قارئاً: أمر تكويني إلهي على لسان جبريل.

الثاني: قول الملك لنبينا اقرأ أمر دعائي من جبريل أي ليعلمك الله القراءة

الثالث: قول الملك لنبينا (اقرأ) أي اقرأ ما سيلقى عليك.

وعلى كل الاحتمالات الثلاثة فإن نبينا أجاب ما أنا بقارئ أي لست من القارئين، بل أنا من الأميين. وفي رواية أنه عرض عليه صحيفة، فلما تعجب النبي من هذا الطلب العجيب إذ به يفهم أنها قراءة عن ظهر الغيب لشيء لم يسبق له حفظه بل يتعلمه الآن بإذن الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

لذلك اسمع إلى الحبيب الأعظم بعد أن اخذ الدرس الأول في القراءة على يد الأميين جبريل قال بعد انتهاء الدرس: . فكأنما كتبت هذه الكلمات في قلبي كتاباً.

إذاً . أيها السادة . كانت أمية النبي من دعائم الإعجاز الذي وقع لنبينا I، إنه انتقال العهد جديد من العلم اللدني.

أيها السادة..

الذي أكد خبر بعثته I نبياً ورسولاً عالم مكة ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد بن اسد. وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء ان يكتب وكذا إلى العربية، ومعلوم أن الانجيل أنزل بالسريانية والتوراة بالعبرانية، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، حين سمع من نبينا خبر ما رأى قال له ورقة: هذا الناموس (صاحب السر) الذي أنزل الله على موسى، ثم أردف قائلاً:

. يا ليتي أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله: أو مخرجي هم؟ قال ورقة:

. نعم سيعاديك قومك لأنه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك (يوم إعلان نبوتك ودعوتك لقومك) انصرك نصراً مؤزراً (خ). لكن ورقة لم يلبث إلا أن توفي مؤمناً به رسولاً، فهو مؤمن حكماً.

أيها الإخوة

فما هي القضية الأخيرة في حلقتنا اليوم؟ ما الذي حدث بعد أن رأى النبي سيدنا جبريل وعاد إلى زوجته وتحيات نفسه لتلقي الوحي؟

القضية الأخيرة هي ما حدث لبنينا بعد ذلك ؟ إذ أن الوحي فتر وتوقف فترة طويلة أوصلها العلماء إلى سنتين ونصف حتى حزن نبينا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، لم يكن يتوقع أن يفتر عنه الوحي، هذه الفترة الممتدة جعلته يتردد على غار حراء يعاود فيه الاعتكاف لسمع ولو همسة من سيدنا جبريل، ولكن جبريل لم يظهر ولم يخاطبه بشيء، حتى خيل إلى رسول الله أنها شياطين الكهان، كان يقول للزوجة الأولى في الإسلام: والله يا خديجة ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيئاً قط، ولا الكهان، وإني لأخشى أن أكون كاهناً.

فكانت السيدة الأولى تطمئننه وتزيل عنه مخاوفه وتقول:

«كلا، والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتقري الضعيف، وتحمل الكل (تنهض بالأمر المهم والعبء العظيم) وتكسب المعدوم (الفقير المحتاج) وتعين على نوائب الحق (الخير) وإن فيك من صفات الخير ما لا يجعل للشيطان سبيلاً إلى نفسك.

لكن الأمر طال واسترسل حتى ظن أن ربه قد تركه وقلاه، واشتد بنينا الحزن، ومرت الأوقات بطيئة ثقيلة مرهقة ولا خبر، شهراً بعد شهر وحين أوشك اليأس أن يحطم قلبه أدركه الله برحمته وأعاد إلى قلبه الثقة والطمأنينة وأحيا في نفسه الأمل والحياة، ﷺ أكبر، هذا جبريل قد ظهر في أفق السماء: «يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل.

نظر رسول الله إلى السماء فإذا جبريل قاعداً على كرسي بين السماء والأرض، فجنى رسول الله على ركبتيه فرقاً، ثم تولى عنه جبريل، فعاد إلى أهله وهو يقول: زملوني زملوني فأنزل عليه ربه (خ).

يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ ١ قُرْآنُكَ ٢ وَرَبِّكَ فَكِّرْ ٣ وَيَا أَيُّهَا فَطَهْرُ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ المدثر: ١ - ٧

أيها السادة..

علينا أن نعتقد أن فترة الوحي وعدم نزوله كانت نعمة من أنعم الله على رسوله، لأن وطأة الوحي شيء فوق طاقة البشر العادي أن يتحملة، فقد كان يعاني من شدة التنزيل، وكان إذا نزل عليه الوحي تغير لونه وتحدر منه العرق في اليوم الشديد البرد، كانت الهزة الأولى من

هزات الوحي عنيفة قاسية، وكانت رؤية الملك لأول مرة قد تركت في كيانه أثراً شديداً، فكان من رحمة الله برسوله أن فتر عنه الوحي فترة، حتى يستجمع شتات نفسه الثائرة، ويستعد لما وراء

ذلك من أثقال الوحي وتبعاته الجسم، وكفى بنا قول مولانا: { وَالْضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ } وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرُ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ } الضحى: ١ - ١١

سيدي يا رسول الله أفراك الله باسمه وأنعم عليك بفضلته وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

المعجزات دليل صدقه ﷺ

- ٥٨ -

الحمد لله الذي شرح صدور أحبائه بنور اليقين وأذاقهم لذة قربهِ وأنسه فشغلهم عن الخلق أجمعين، أحمده سبحانه تعالى وأشكر شكر عبد الله رب العالمين. وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرضين وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمد عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فيأحياة الإسلام وحراس العقيدة :

كانت العناية الإلهية تتابع في تربية سيد الأنبياء والرسل الكرام، ولد والعناية ترعاه، وشب وعين الله تكلؤه، وبدأت إشارات اصطفائه على الخلق أجمع حتى نزل عليه الوحي حين بلغ رسول الله أربعين من عمره، والدنيا واقفة على شفا حفرة من النار، والإنسانية تخطو بخطى سريعة نحو الانتحار. فجاءه جبريل وهو يتعبد في غار حراء سنة ٦١٠م، وبذلك بعث رسولاً من قبل مولانا عز وجل، وتذكرون بأننا عرفنا الرسول بأنه: إنسان ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه للناس، فيشترط في الأنبياء والرسل أن يكونوا ذكوراً أحراراً:

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً وشخصاً ذو فعّال

وتعلمون أن من صفات الرسل الواجبة الفطانة، وهي التيقظ والذكاء والرأي السديد والحكمة العالية في طريقة الحوار مع خصومه ورد حججهم، إن الفطانة تعني قوة الحجة التي يؤتيها الله لرسوله الكرام في مهمتهم العلمية التربوية، وفي مهمتهم القيادية والسياسية، ليسوسوا الأمة ويوجهونها إلى الطريق الأقوم. فماذا فعل سيدنا رسول الله ﷺ؟

فكيف يدعو رسول الله ﷺ قريشاً إلى الحق، وهو يعلم أنهم أحرص ما يكونون على باطلهم؟، وأي طريق يسلك لاقتناعهم بأن ما هم فيه هو الباطل، وأن ما جاءهم به هو الحق، وكيف هذا والحق يبطل عقائدهم ويهدم تقاليدهم، ويهدد كل ما يتناولون به على الناس من جاه وسلطان، فهل يمكن أن تقتنع قريش بأن آلهتها من الأصنام لا تنفع ولا تضر؟

أيها الاخوة: إننا مع الحلقة الثامنة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة: جعل سيدنا محمد ﷺ يفكر ويقلب وجوه الرأي ليجد المدخل السهل إلى قلوب هؤلاء السادرين في ضلالهم، فأخذ يتلمس أصحاب القلوب اللينة والنفوس المستعدة للهداية وقبول الحق، وبدأ من هؤلاء بخلطائه وصحبه ممن يثق بهم ويطمئن اليهم، فجعل يدعوهم إلى الإسلام سرّاً مخافة أن تعلم قريش فيهبوا للقضاء على دعوته وهي لا تزال في المهّد.

فما هي المبادئ التي دعا إليها نبي الرحمة؟

كانت المبادئ. أيها الاخوة. التي تضمنتها دعوة الإسلام الأولى هي:

١ - الإيمان بالله واحد.

٢ - الإيمان بالبعث بعد الموت، وبالدار الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء.

٣ - أن الناس جميعاً إخوة متساوون، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

٤ - أن للفقير حقاً معلوماً في مال الغني...

هذه المبادئ الشريفة التي دعا إليها وجدت صدئاً في قلوب من كتب الله لهم الهداية، فأمنت السيدة خديجة وزيد بن حارثة والصدّيق أبي بكر وعلي بن أبي طالب، وأسلم بدعوة الصدّيق أشرف قريش.

سيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا عبد الرحمن بن عوف. وسيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا طلحة بن عبيد الله، جاء بهم سيدنا الصدّيق جميعاً إلى سيدنا رسول الله ﷺ فأعلنوا إسلامهم وتلاهم رجال من قريش، فكان هؤلاء نفر أول السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله، فكانوا هم اللبنة الأولى في بناء الإسلام، والأساس الشامخ الذي قام عليه صرحه.

واستمر الحبيب الأعظم يدعو إلى الإسلام سراً وأصحابه يزدادون يوماً بعد يوم، وتسربت أنباء الدعوة إلى قريش فأخذوا يرقبون أمين مكة ليعلموا حقيقة الأمر، وقد حرص رسول الله ﷺ أن يتجنب موقف الاصطدام بينه وبين قومه، فاختر له ولأصحابه مكاناً منعزلاً عن الناس هو دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهو سيد من سادات قريش الذين سبقوا إلى الإسلام، وكانت داره على مقربة من الصفا، يعلمهم فيها القرآن ويطبّقون مبادئه، فكانت الدار لهم مسجداً للعبادة ومدرسة للتهديب والتعليم، ومضى على ذلك سنوات ثلاث، ثم أمر مولانا بالجهر بالدعوة،

وأنزل عليه ﷺ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ الشعراء: ٢١٤ فوقف على الصفا يناديهم ويدعوهم إلى الله تعالى فبدأ بأهل بيته وعشيرته فوقفوا إلى جانبه إلا أبا لهب (تبت يداه) أظهر عداوته مباشرة، ولكن رسول الله تابع دعوته لقريش فصعد بأمر ربه وأعرض عن المشركين ولم يبال بهم، فدعاهم على الصفا إلى الإيمان بالله وحده، وحذرهم من مغبة إعراضهم عن الإيمان به. أيها الإخوة..

كانت لهذه الصيحة والدعوة التي دعا الناس إليها أكبر الأثر، فراح الذين كتب الله لهم السعادة يتسللون ليلاً إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن الأمر فيشرحه لهم فيسلمون على يديه، وأعرض عن شرع الله من كتب الله عليهم الشقاوة وعميت أبصارهم، وبدأت الحرب الأهلية تتصاعد شيئاً فشيئاً ضد الداعين إلى دين الله ، فكان ممن وفقه الله تعالى في ردها بطلين عظيمين وصنديدين شاحخين هما أسد الله حمزة بن عبد المطلب، والفاروق عمر بن الخطاب وقفا مع الصحب الكرام في وجه هذه الحرب التي أثارها قريش حرباً لا هوادة فيها.

وكان أشدهم عداوة وأعنفهم حرباً لرسول الله ودعوته أبو جهل عمرو ابن هشام وعقبة بن أبي معيط وعمه أبو لهب، واسمعوا إلى أم المؤمنين السيدة عائشة تروي عن الحبيب الأعظم قوله: «كنت بين شرّ جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا ليأتيان بالفروث (الكرشة) فيطرحانها على بابي، حتى إنهم ليأتون ببعض الأذى فيطرحونه على بابي فيخرج ﷺ فيقول: يا بني عبد مناف أي جوارٍ هذا، ثم يأخذه فيلقيه بالطريق.

ثم أحسّت قريش بخطر الدعوى حين بدأ رسول الله ﷺ يعيب عليهم الكفر، ويذكر آهاتهم بالسوء ويتوعددهم حتى قال أبو طالب لسيدنا رسول الله:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

وأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ للسد: ١ - ٥ توعدهم بما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة. فقدم إليه وفد من شيوخ قريش ليردوه عما هو فيه فأبى ولم يقبل منهم، وعلمه مولانا ان يقول لهم:

﴿ قُلْ يَتَائِبَ الْكٰفِرُوْنَ ۝١ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ ۝٢ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُوْنَ مَا اَعْبُدُ ۝٣ وَلَا اَنَا عٰبِدٌ مَّا عٰبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُوْنَ مَا اَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ۝٦ ﴾ الكافرون: ١ - ٦

والذي غاظهم أكثر حماية عمه أبي طالب له وتعصب بني هاشم لرسول الله ﷺ ووقوفهم صفاً واحداً وراءه وان لم يكونوا على دينه، فتشكلت جبهتان، وكانت للخصومة القديمة بين بني

هاشم وبني أمية أثرها في اشتداد هذه العداوة وقسوتها، وصمد بنو هاشم صمود الأبطال، مما دفع قريشاً إلى إنزال الاضطهاد والتعذيب بالضعفاء الذين أسلموا ممن لا سند لهم يمنعهم، فانقضت كل قبيلة على من فيها من العبيد والمساكين والفقراء يتفنون بالعذاب وضروب الشر، فدل ذلك على ما كانت تغلي به صدورهم من الثورة والغيط، ومن الحقد الشنيع على دعوة الإسلام، كان من هؤلاء سيدنا بلال، وخباب، وصهيب، وآل ياسر وغيرهم، واشتدت أوار الحرب أشد ما يكون وكانت على ثلاثة محاورٍ أو اتجاهات:

الاتجاه الأول: محاولة استمالة رسول الله ﷺ ليمنعوه من الجهر بدعوته.

الاتجاه الثاني: الشكوى منه لعمه أبي طالب

الاتجاه الثالث: محاولة إعجازه أو إظهار أنه ضعيف فيما يدعو إليه.

حاولت قريش بكل ما أوتيت من قوة أن تردّ عما يريد من نشر الدعوة، قدموا إليه مرة يطلبون منه آية على صدق دعواه، فأعطاه ﷺ آية كونية عظيمة لم تسبق لأحد من الأنبياء، شيء لا قدرة للبشر عليه، شيء يدل دلالة قاطعة على أنه نبي ورسول صادق فيما يبلغ عن ﷺ تعالى، فما هي هذه الآية؟

أيها السادة الكرام

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك، إلى مكة المكرمة، وقد تجمعت جماهير أنزال كفارها حول الحبيب الأعظم:

سألهم سؤالاً واحداً: ماذا تريدون أن تكون الآية؟ ونظر الكفار حولهم فرأوا القمر بازغاً مشرقاً، قالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين.

وراح كل منهم يستهزئ بطلبه هذا، فأرادوا أن يظهروا إعجازه، وأنه ضعيف فيما يدعو إليه، لكن الحبيب الأعظم رفع كفيه إلى من لا يخيب أحداً، وأمام الجمع الغفير أشار بيده إلى القمر فإذا به ينشق بإذن الواحد الأحد نصفين، نصف بقي فوق الجبل ونصف نزل قريباً من الجبل، وكبر الصحابة، وظهرت بوادر الإعجاب والتعنت على وجوه الكفرة، وخاصة حين قال لهم الحبيب الأعظم: اشهدوا.

أندرون بم أجابوه قالوا: سحركم محمد (ﷺ). فقال بعضهم: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع ان يسحر الناس فاسألوا السقار، فقدم المسافرون من كل جهة وهم يثبتون أنهم رأوا القمر قد انشق فرقتين ثم التثم بعدها، ورغم هذه الآية العظيمة التي ثبتت للقوم فإنهم قالوا: هذا سحر مستمر (خ: ٣٨٦٨)، واسمعوا إلى مولانا يقرر هذا الموقف العظيم فيقول: ﴿ أَقْتَرَبَ السَّاعَةُ

وَأَشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② ﴾ القمر: ١ - ٢
أيها الإخوة..

إن هذه المعجزة وأمثالها لتدل كل الدلالة على صدق الرسول فيما يدعو إليه، إنها مظهر تكريم للرسول، وشدة من أزرهم، وهي أيضاً هزة عنيفة توقظ الكافر من سباته ليفتح عينيه ويعي ما حوله، ولكن الكافرين في ضلال مبين، إن أحد الكافرين وهو أبو جهل بن هشام حصلت معه معجزة من معجزات سيدنا رسول الله ﷺ ولو شاء أن يدخل في الإيمان لدخل، ولكن الله كتب عليه أن يكون من أصحاب النار .

فقد قدم إلى مكة رجل يدعى الأراشي وراح ينادي من يرد لي حقي من أبي الحكم بن هشام، فدلّه أنذال الكفار على سيدنا محمد I ليستعيد له حقه وذلك استهزاء به ﷺ فقال له: رسول الله أنا لها.

فرافقه الى دار أبي جهل فضرب عليه بابه فقال: من هذا ، فقال، محمد فاخرج إلي. قال الراوي يا سادة يا كرام: فخرج إليه وما في وجهه رائحة، قد انتقع لونه، فقال له: أعط هذا الرجل حقه، قال أبوجهل: نعم، لاتبرح حتى أعطيه الذي له، فدخل ثم خرج فأدى إليه حقه، فذهب الأراشي ليشكر أهل مكة وهو يثني على سيدنا محمد I، فإذا بأبي جهل يقدم عليهم فاستقبلوه بالتصفيق ورفع الصوت فقال: ويحكم، والله إن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط. والله لو أبيت لأكلني.

أيها السادة...

يجب علينا أن نؤمن ان الله أيد انبياءه بالمعجزات، وكل شخص لا يؤمن بالمعجزات التي ذكرها الله في كتابه عن الأنبياء فهو كافر، وأما المعجزات التي وردت في السنة وثبتت بالأحاديث النبوية فمنكرها فاسق ويعزر منكرها إن كانت الأحاديث صحيحة.

جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال (ض): لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال النبي T: أرني قبرها، فأراه إياه فنادى رسول الله ﷺ صاحبة القبر وقال: يا فلانة.

فسمع صوتاً من القبر يقول: لبيك وسعديك. فقال ﷺ: أتحيين أن ترجعي إلى الدنيا وإلى أبويك؟ فقالت: لا والله يا رسول الله! إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا.

أيها السادة..

إن نبينا حاول بكل جهده أن يدعوهم إلى الإيمان، وأتى لهم بالمعجزات الدالة على صدقه، فمنهم من هدى الله ومنهم من ضل عن سبيله، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ (ت ٥ / ٥٩٣) يريد آية على أنه رسول الله فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك. قال: فدعاها الأعرابي فمالَت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تَحْدُ الأرض تجر عروقها حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت بلسان عربي فصيح: السلام عليك يا رسول الله

(هذا جماد سلم على رسول الله ﷺ فسلموا أنتم على رسول الله)

قال الأعرابي حين رأى هذه الآية: مُرَّها فلترجع إلى منبتها، فرجعت فدلَّت عروقها فاستوت في مكانها، وهنا أعلن الأعرابي إسلامه ثم قال: إذن لي لأسجد لك، فقال له T: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. فقال الأعرابي: فأذن لي أقبل يديك ورجليك، فأذن له T.

وأما ذلك الأعرابي (ت: صحيح) الذي جاء إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال: يا مُحمَّد بم أعرف أنك نبي قال رسول الله ﷺ: إن دعوت هذا العذق شهد أني رسول الله، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ثم شهد لسيدنا مُحمَّد ﷺ ثم أمره رسول الله أن يرجع إلى مكانه وهنا قال الأعرابي: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، ودخل في دين الله.

أيها السادة...

فهل هدأت قريش ، لا لم تهدأ، بل استمرت معاقل الكفر والوثنية بمناهضتها للدعوة، فمنعت الطعام والشراب عن النبي وصحابته بل وبني هاشم أجمع، ومنعت معهم البيع والشراء، وأعلنت عليهم حرباً أهلية لا ترحم، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة عُليقت في جوف الكعبة، أتدرون ماذا فعل ﷺ بكاتب الصحيفة هذه، إن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة، دعا عليه رسول الله ﷺ فَشُلَّتْ يده.

وأمعنت قريش في حربها فأبعدت السيد الأعظم وصحبه الكرام وبني هاشم إلى أرض لأبي طالب كانت تسمى شعب أبي طالب في منطقة منى اليوم، ليتم الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

وبعد سنوات ثلاث فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ «وانتصرت القلة المؤمنة العزلاء أمام جيروت الوثنية وجمع القرشيين ذوي العدد والعدة.

وأذن رسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل ﷻ لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه (ابن اسحق ١٩٤ - فتح الباري ٧ / ١٨٩ - ابن هشام ١ / ٣٣٤ بإسناد حسن).

لكنَّ الحصار وأهواله أهلك حبيبين إلى رسول ﷻ ونال منهما الإعياء، واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقى لهما من قوة: إنهما السيدة خديجة رضي ﷻ عنها وأبو طالب فصعدت روحهما إلى ﷻ تعالى. ولعلها حكمة ربانية لتظهر حقيقة واحدة هي أن الحماية والتأييد والنصر لم يكن من أبي طالب ولا من السيدة خديجة بل الحماية والتأييد والنصر من ﷻ هُوَ الَّذِي

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﷻ الصف: ٩

أيها السادة أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد ﷻ تعالى.

تذكر عزيزي الموحّد:

- أن ما حصل لنبينا من الخوارق قبل البعث يسمى بالإرهاصات.
- الخوارق في الدنيا السبع.
- من معجزاته ﷺ أنه نشأ أمياً لا يقرأ ولا يكتب.
- صور الوحي التي كان يأتي نبينا:
- ١- مشاهدة الملك على صورته الحقيقية.
- ٢- يتمثل له على صورة إنسان.
- ٣- القاء المعنى في قلبه ﷺ.
- ٤- يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه.
- فترة الوحي عند ﷺ ليستجمع شتات نفسه ويستعد للمهمة الملقاة على عاتقه من الدعوة إلى دين الله.
- كل الرسل هم من الذكور وما كانت نبياً قط أنثى.
- المعجزات دليل صدق الأنبياء والرسل الكرام.
- كان أشد الناس عداوة لنبينا أبو لهب وعقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام.

 **سيدنا محمد**

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على عباده نعماً جماً، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم وأشرفهم عرباً وعجماً، وأرجحهم عقلاً وحلماً، وأوفرهم علماً وفهماً، وأقواهم يقيناً وعزماً، وأزكاهم روحاً وجسماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتيقن وإخلاص لا تخيلاً ووهماً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي رضى الله عليه عقله فقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى ٤﴾ النجم: ٤ ورضي عليه بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧﴾ النجم: ١٧،

ورضى عليه لسانه فقال: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٢﴾ النجم: ٣ ورضي عليه رأيه فقال: ﴿إِنَّا

أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ١٠٥﴾ النساء: ١٠٥ وزكاه كله

فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ القلم: ٤ سيدي أبا القاسم يارسول الله:

سعدت بك الأكوان ياخير الورى ولدائها قد جئت نِعَمَ طيبُ

هي عنك فرغ من شداك طيبت وكذا الفروع بأصلهن تطيب

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل محمد، وعلى أصحاب

سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي

رحمتك يأرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين

وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

بذل رسول الله ﷺ كل ما أوتيته من حكمة في الدعوة إلى دين الله، وفي إنقاذ قومه مما

هم فيه من ظلام الوثنية وأوضار الجاهلية، وكان بقي لديه شعاع ضئيل من أمل في أهل الطائف،

فذهب مع مولاه زيد بن حارثة يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجد منهم إلا الغلظة والقسوة وإلا

الصد والإعراض، بل إنهم أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويقذفونه مع أتباعه بالحجارة حتى

أدموا قدميه الشريفتين، فأوى رسول الله ﷺ مع صاحبه إلى بستان ابني ربيعة وقد بدا عليه الحزن

والتأثر، وأخذ يدعو الله تعالى ويستنصره بكلماته البليغة قال (ابن اسحق):

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يَا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يك بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

كانت هذه الدعوات الإيمانية تصدر من قلب الحبيب الأعظم، فإذا بِمَلِكِ الجبال مع سيدنا جبريل يصدر له الأمر الإلهي. اهبطا على حبيبي مُحَمَّد فكونا تحت أمره، فهبطا على جناح السرعة، قال جبريل: هذا مَلِكِ الجبال يارسول الله مره فليطبق عليهم جبال الطائف. فماذا كان جواب الحبيب؟ الأعظم قال: لا، ولكن أرجو أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً (ق). هذا الحبيب المصطفى هذا النبي المجتبي:

رحمةٌ كله وحزم وعزمٌ ووقار وعصمة وحياء
كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء
وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

نحن اليوم على موعد مع عدد من القضايا الإيمانية فيما يتعلق بالنبي والرسول الخامس والعشرين في ترتيب المبعث الشريف، إننا مع الحلقة التاسعة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

(لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله)

وأولى القضايا الإيمانية اليوم حول إيمان الجن، فالجن خلق مكلفون كالإنس تماماً، إلا أن الجن يكلفون بالإيمان منذ ولادتهم مباشرة، لأن سيدنا رسول الله ﷺ أرسل إلى الخلق كافة، إلى عالم الجن والإنس والملك وانظروا إلى فضل الله على نبيه، لما أعرض الإنس عن دعوته ﷺ أكرمه الله بنفر من الجن أخذوا يستمعون القرآن من رسول الله وهو قائم يصلي في منطقة قريبة من مكة تسمى (بطن نخلة)، بقي فيها رسول الله ثلاثاً يقلب النظر في كيفية دخول مكة بعد أن خرج

منها. قام يصلي من الليل فمر عليه نفر من الجن استمعوا الذكر ودخلوا في الإسلام وعادوا إلى قومهم منذرين (خ)، وقد صرحت الآيات القرآنية بهذه الحادثة في سورة الجن:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُثْثِرَكَ بِرَبِّنَا ۝٢ أَحَدًا ۝٣﴾ الجن: ١ - ٢ بهذه الآيات - أيها الإخوة - أيقن الحبيب الأعظم أن طلائع الفرج قد آذنت، وأن بشائر النصر قد واثت، فكيف يدخل مكة وفي أي جوارٍ من زعماء مكة يحتمي؟.

قال له سيدنا زيد: كيف تدخل عليهم يارسول الله وهم أخرجوك. قال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه.

وأرسل رسول الله إلى ثلاثة رجال من قريش ليحتمي بهم ويدخل في جوارهم، فأرسل إلى الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو والمطعم بن عدي فاعتذر الأولان وأجابه الثالث فبات رسول الله عنده تلك الليلة، وخرج معه المطعم هو وبنوه الستة مدججين بالسلاح فمكّنوا رسول الله من الطواف بالبيت، فرآه القرشيون فقالوا للمطعم: أمجيز أم تابع. قال: لا، بل مجير. قال أبو سفيان: اذن لا تخفر. (أي أجرتنا من أجرت).

أيها الإخوة الكرام: وتوالت عناية الله بنبيه ومصطفاه جبراً لحاظه وتعويضاً عما لقيه من الذلة والهوان بطبيعته البشرية، فأكرمه مولانا بأن أسرى به وعرج به إلى حضرته، لتتم بركة أهل السماء من الملك بالحبيب الأعظم، فعالم الملك أرسل إليهم رسول الله إرسال تشريف لا إرسال تكليف.

وهذه قضية إيمانية ينبغي التنبه لها، إن رسول الله أرسل إلى الإنس والجن إرسال تشريف، وأرسل إلى الملائكة إرسال تشريف.

فأسرى به مولانا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق باحتفال مهيب قام به النبيون والمرسلون والملائكة المقربون كلهم قاموا على أرض المسجد الأقصى صفوفاً صفوفاً يستقبلون القادم العظيم، فكأن مولانا يقول لحبيبه ونبيه: تعال إلينا لنريك ما لم نره أحداً من العالمين، تعال إلينا نمنحك ما لم يحصل عليه غيرك من المقربين، يا حبيبنا لا تحزن مما نالك من

الجاهلين، إذا كان هؤلاء لا يعرفون قدرك ويجدون عظمتك، فإن أهل السماء هم أعرف بك من أهل الأرض، فما هو معنى الإسراء، وما هو المعراج؟.

أيها السادة الكرام:

علينا أن نعتقد أن الله تعالى ليس في السماء، ولا في الأرض، ولا في مكان، ولا تحويه جهة، ولا يحتاج إلى محل، لا ورب الضحى والليل إذا سجدى، بل هو خالق الأكوان، كان الله ولا شيء غيره#، وهو الآن لم يزل على ما عليه كان، ولكن أراد تشريف الملكوت وعالم السموات بنظرهم إلى حبيبه العظيم الشأن، أراد أن يسري به إلى حضرته ويخصه بجمال وجهه وجلال رؤيته.

إن الإسراء - أيها السادة - وهو السير ليلاً - قد حصل لنبينا من مسجد مكة إلى المسجد الأقصى، وقد سمي بيت المقدس بالمسجد الأقصى حينما وطئت قدما سيدنا رسول الله على أرضه، أصبح تحت إشراف المسلمين بشهادة رب العالمين: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى

بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِّنْ

ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ الإسراء: ١ وما كان الإسراء من المعجزات والخوارق

للعادات افتتح الله سبحانه هذه السورة بكلمة (سُبْحَنَ): التي هي للتنزيه والتعجب، لأنه أمر عظيم أن يسري مع جبريل وقد نامت العيون، وأن يشق صدره، ويملاً إيماناً وحكمة، ما يثبت به قواه البشرية ويهيؤه لمناجاة إله البرية ورؤية ذاته العلية.

والمعجزة الثانية ركوبه للبراق، السفينة الفضائية الإلهية العجيبة التي ركب عليها الخليل إبراهيم من قبل حتى وصل إلى بيت المقدس وصلى فيه بالرسول إماماً ثم اخترق السبع الطباق إلى العالم العلوي.

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكته	والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم	كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر	ومن يفز بحبيب الله يأتهم

وانظروا إلى قول مولانا (كِتْلًا) بعد قوله (أَسْرَى)، رغم أن الإسراء لا يكون إلا بالليل، أتعرفون ما معناه؟ إن معناه: أن الإسراء كان في جزء من الليل قليل، انه يعني أن هذه الرحلة الأرضية السماوية لم تستغرق الليل بطوله، بل كانت بجسده وروحه ﷺ ضمن جزء يسير من الليل.

إن الرحلة التي كانت قريش تألفها شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ركوباً على الإبل، قام بها الحبيب الأعظم وعرج بعدها به إلى السماء ثم عاد وفراشه بعد لم يزل دافئاً لم يبرد، هذا كله لتتم المعجزة، معجزة النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في المعجزة.

أيها السادة:

ومن الأمور التي يجب أن نعتقدها أن الرحلة كانت يقظة لا مناماً، وأنهما كانتا بالروح والجسد معاً، وكل النصوص القطعية من الآيات القرآنية وصحيح الأخبار وقوة الاعتبارات اللغوية والعقلية تؤيد ذلك، وإليك الدليل:

في آية الإسراء أدلة كثيرة:

أولاً: كلمة (سبحان) المشعرة باستعظام ما كان من الأمر والتعجب منه لجلالته، وهو لا يصح موقعه ولا يتناسب مع بلاغة القرآن، إلا إذا كان ذلك أمراً غير معهود، ولا مقدور لأحد من البشر عليه، ولو كان الإسراء بالروح أو مناماً لما اقتضى هذا التعجب.

ثانياً: كلمة أسرى فهي لا تقال في النوم، بل للسير الحسي كما هو معهود.

ثالثاً: كلمة (بعده)، وهذا نص قاطع في الموضوع، (بعده) فهو لا يطلق فيم تعرفه العرب

إلا على الشخص بجملة المكون من الروح والجسد كما في قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى

عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾ العلق: ٩ - ١٠

رابعاً: قوله تعالى ﴿لِنُرِيَهُ﴾ مِنْ ءَايَاتِنَا ﴿١١﴾﴾ الإسراء: ١ وفي سورة نجم ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾

عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ

يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾﴾ النجم: ١٢ - ١٧ /

وفي هذا إشارة قوية إلى حادثة المعراج، والمعراج: صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السموات العلى ثم إلى سدة المنتهى، ووصل إلى مقام سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، وهناك فرضت عليه الصلاة، لذلك جاحد الصلاة كافر.

أيها الإخوة: ومن الأمور الاعتبارية تكذيب قريش له، قالوا مستبعدين: إنا نضرب أكباد الإبل شهراً مصعداً وشهراً منحدراً ثم تزعم أنك أتيت في ليلة واحدة ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! وهل في الرؤيا المنامية مجادلة أو تكذيب؟!.

وهناك - معشر السادة - في المعراج رأى رسول الله ربه ﷺ، رؤية البصر كما وردت عليه رواية البخاري، وفي هذه الرحلة صوّر الله لنبيه من أنواع الأعمال والأفعال التي يترتب عليها ألوان من الثواب والعذاب ليحدث أمتة بما رأى، ويرشدهم ويحذرهم فيتأهلوا لما فيه المثوبة ويتجنبوا ما فيه العقوبة.

ومن هنا أدخل علماء العقيدة موضوع الإسراء والمعراج في جملة العقائد فقالوا: من أنكر الاسراء فقد كفر، ومن أنكر المعراج فقد فسق ويخشى عليه، ولهذا قال الامام الشرنوبى صاحب النظم الذي نحفظه في خطب العقيدة:

واجزم بأن المصطفى التهامي أفضل مبعوث إلى الأنام
قد خص بالإسراء والمعراج والملة الواضحة المنهاج
من ربه كقاب قوسين دنا ونال من عطاه غاية المنى

إن الإسراء والمعراج - أيها السادة - ليعنيان أن سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، ورسول الإنس والجن والملك.

فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس. والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى الأنبياء خلفه فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته، وإنسانية تعاليمه وصلاحياتها لاختلاف المكان والزمان.

أيها السادة:

جاء الإسراء ليعلن أن سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ ليس من طراز القادة الزعماء الذين لا تتجاوز مواهبهم وجهودهم ودوائر كفاحهم حدود الشعوب والبلدان، ولا تسعد بهم إلا الشعوب التي

يولدون فيها، إنما سيدنا مُحَمَّد ﷺ هو من جماعة الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ويحملون رسالات الخالق إلى الخلق.

علينا أن نعتقد أن سيدنا مُحَمَّدٌ أفضل من كل نبي ورسول، ومن كل حاكم أو محكوم، ومن كل رئيس أو ملك، وجميع المخلوقات إلا الأنبياء والرسل الكرام لا يصلون إلى مستوى تراب نعلي سيدنا مُحَمَّد ﷺ، هذه هي عظمة نبينا صلوا عليه.

هذا النبي الذي راح يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج فعرض له جماعة من قبائل الأوس والخزرج، وكانوا جيران اليهود، وكانوا يسمعونهم يخبرون بني قد أظل زمانه فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدهم به اليهود فلا يسبقنكم إليه، فأجابوا وصدقوا وكفر اليهود، قالوا لنبينا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أحبيناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

وهكذا - معشر السادة:

انتقلت الرسالة الأولى إلى أهل يثرب ومن الله عليهم عن طريق هؤلاء نفر من الأنصار فدخلوا في الإسلام ونشأ فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لسيدنا رسول الله .r

فكانت بيعة العقبة الأولى في العام التالي، وبيعة العقبة الثانية في العام الثالث حتى بلغ المؤمنون من أهل يثرب فوق المئتين، وكان يعلمهم القرآن والاسلام سيدنا مصعب بن عمير، وتتابع إسلام كبار رجالات القبائل من الأوس والخزرج واسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من الأوس، وأسلم بنو عبد الأشهل عن آخرهم، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات (فقولوا الحمد لله).

وانطلق المهاجرون بإشارة من القائد الأعلى للأمة بالهجرة إلى يثرب بعد الهجرة إلى الحبشة، ثم بدأت هجرة الحبيب الأعظم إلى يثرب مع صديق الأمة أبي بكر، وبهذه الهجرة تنازل فيها الحبيبان عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس في مكة، من أجل العقيدة والدين، تنازل عن مكة المولد والمنشأ والذكريات ومهوى الأفئدة، إن التراب والوطن لا يساويان شيئاً إذا ما هددت

العقيدة وحورب الدين، إذا كانت الدعوة والعقيدة في شدة وضيق، وكان الفرج لهما في مفارقة الأهل والسكن فمرحباً بها في سبيل الله:

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإْتِنِي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) العنكبوت: ٥٦

وخرج الحبيب الأعظم وهو ينظر إلى مكة الحبيبة فتجلت في قلبه عاطفة الحنين الإنساني وعاطفة الحب الإيماني، فخطب مكة قائلاً: « ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك » (ت ٥ / ٧٢٢ - حسن صحيح، هـ ٢ / ١٠٣٧ (٣١٠٨) دارمي ٢ / ٢٣٩).

أيها السادة:

ومشى هذا الموكب النبوي وملائكة الله تحفه، ورحمة الله تعمه من كل جانب، موكب قال

الله فيه: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠) التوبة: ٤٠

ولم تستطع جبروت الوثنية وقوى الشر أن تمنع هذا الموكب من أن يصل إلى يثرب، موكب مؤلف من ثلاثة: نبينا رسول الله والصدیق وعامر بن فهيرة يدهم على الطريق، ورغم ذلك لم يستطع سراقه بن مالك بن جعشم بسلاحه وعتاده أن يصل إليه لأن القادر المقتدر منعهم منه فكانا في حماية الله ورعاية الله ومن كان كذلك فلا يخاف ظملاً ولا هضمًا.

من هذا الموكب الضعيف برزت قوة الإسلام، وبرزت المنعة والعزة لأن الله وعد نبيه بالنصر

﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ أَنَا﴾ (٤٠) التوبة: ٤٠

وسمع الأنصار بخروج رسول الله من مكة فكانوا يخرجون كل يوم إذا صلوا الصبح إلى ظاهر المدينة ينتظرون القادم العظيم حتى تغلبهم الشمس على الظلال، فيدخلون بيوتهم، فما أن لاح القادم العظيم على البعد حتى ناداه أحد اليهود: هذا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وتنادى الناس، وخرجوا (وما أكثرهم) وازدحموا على القادمين العظمين وخرجت العواتق فوق البيوت يتراءينه: أيهم هو، لا يعرفون من رسول الله ومن أبو بكر. يقول أنس: فما رأينا منظرًا شبيهاً به (صحيح).

وراحت الفرحة تجوب أطراف يثرب التي سميت المدينة المنورة حينما نورها الحبيب الأعظم بقدمه، وراح الناس ينادون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.

قال البراء: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله (صحيح).

وكانت المدينة ترفل بأسرها في سرور وفرح غامرين، وراح الناس يهتفون وينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

قد لبثنا ثوب عز بعد تمزيق الرقاع

اللهم صل وسلم وبارك أعظم الصلاة وأزكاها على سيدنا ومولانا محمد

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

* * *

تذكر عزيزي الموحّد:

- أن أول زوجة تزوجها رسول الله هي السيدة خديجة بنت خويلد.
- أن أبا طالب مات كافراً.
- كانت الإسراء والمعراج معجزة كبرى لنبيّا عليه الصلاة والسلام وتعويضاً عما لاقاه من عنت القرشيين وأهل الطائف.
- كان الإسراء والمعراج في بعض ليلة واحدة.
- كانت الهجرة فتحاً للمسلمين وبناء لأول دولة في الإسلام.
- كانت الهجرة من أجل العقيدة والدين.
- كان فرح أهل يثرب بهجرة النبي الكريم لاتعدّها فرحة.

 **سيدنا محمد**

- ٦٠ -

الحمد لله موفقٍ من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعوت بصفات الكمال والتنزيه.
وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله
أرسله رحمة للعالمين، وخاتماً للنبيين وإماماً للمتقين بأوضح دليل وأفصح تنزيل، وأنفس تبيان
وأبدع برهان.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا
مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في
مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر، وفي رحمتك يأرحم الرحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من
جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسليم تسليما.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

الله أكبر الله أكبر

هذا النداء الخالد ومعناه: الله أعظم ثم الله أعظم وأجلّ وعمله أوجب فاشتغلوا بعمله واتركوا
الاشتغال بالدنيا.

أشهد أن لا إله إلا الله ومعناها: أشهد أنه واحد لا شريك له، أمركم بأمر فاتبعوا أمره فإنه
لا ينفعكم أحد إلا الله ولا ينجيكم من عذابه أحد إن لم تؤدوا إليه أمره.

أشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله ومعناها أرسله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه وقد أمركم بإقامة الجماعة
فاتبعوا ما أمركم به.

حي على الصلاة: أي أسرعوا إلى أداء الصلاة فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها وصلوها مع
الجماعة.

حي على الفلاح: أي أسرعوا إلى النجاة والسعادة فالله قد جعل الصلاة سبباً لنجاتكم
وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه.

الله أكبر الله أكبر: الله أعظم وأجل ثم الله أعظم وأجل فأخلصوا صلاتكم لوجهه سبحانه
وتعالى.

أيها السادة:

بهذه الكلمات الخالدات ارتفعت على سماء المدينة المنورة يوماً خمس مرات تنادي للصلاة في السنة الأولى للهجرة فكيف حدث ذلك؟

إننا مع الحلقة الستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد.

(لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله)

كانت الهجرة إلى المدينة فرجاً للمسلمين مما يلقونه في مكة من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، ولكنها كانت أيضاً امتحاناً صعباً اجتازه المسلمون بنجاح حيث تركوا وطنهم الأم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم في سبيل الله تعالى.

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، من دار يعصى الله عز وجل فيها إلى دار يطاع فيها رب العزة، من دار لا يستطيع المسلم فيها أن يقيم الشعائر الإسلامية إلى دار يقوم فيها بالطاعات والعبادات بكل حرية ويقوم فيها حكم الله في الأرض.

ولذا ما أن استقر النبي الأعظم في بيت أبي أيوب الأنصاري حتى سارع إلى أمور ثلاثة لبناء دولة الإسلام الأولى، ثلاثة أمور هي هامة لبناء الدولة أولها وأهمها بناء المسجد.

وثانيها: دستور ينظم العملية الحياتية بين المسلمين وغيرهم.

وثالثها: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وقد ضرب الأنصار في هذه العملية المثل الأعلى فيه.

أيها السادة: علم رسول الله أن أواصر المحبة بين المسلمين لا تكون إلا بتلاقيهم مرات يومياً لتتساقط فيما بينهم فوارق الجاه والمال ولتشيع بينهم روح المساواة والعدل في أحوالهم وشؤونهم، ويقفوا مصطفىين في محراب العبودية راكعين وساجدين، ولا يكون ذلك إلا في المسجد حيث تقام شريعة الله، ويجتمع فيه المسلمون لتعلم أحكام الله ويتمسكون بنظام الإسلام وعقائده وآدابه. فبنى رسول الله المسجد خلال فترة ثمانية أشهر مكثها عند أبي أيوب الأنصاري، فأصبح هذا المسجد متعبداً لهم ومكان عظمتهم ومدرستهم ودار تعليمهم يقيمون فيها الشعائر الدينية

كما صار مبعث جيوشهم وندوة مؤتمراتهم، يرشدون الناس فيه إلى دين الله، أي أن المسجد بعُرف عصرنا كان مقر القيادة العامة الإسلامية.

واتخذ رسول الله شعاراً يرفع كل يوم خمس مرات هو الأذان والإعلام اشعاراً بالوقت ودعوة الله عباده إلى الصلاة، الأذان جعله مولانا كلاماً جامعاً لعقيدة الإيمان وهو بألفاظه الجزلة ومعانيه القوية المعبرة ليحتل من القلوب المؤمنة المكانة المرموقة، لأن فيه إثباتاً للذات الإلهية وما يستحقه في الكمال والتنزيه، وفيه إثبات للوحدانية ونفي ضدها، وفيه إثبات للنبوة والشهادة بالرسالة، وفيه دعاء إلى الصلاة والفوز والفلاح.

ما تركته من قرية إلا قوتلت على تركه، وما أنكره أحد إلا كفر لأنه أصبح مما يعلم من الدين بالضرورة.

ثم قام رسول الله بوضع الوثيقة أو الدستور التي تحدد الطبيعة التي بين المسلمون واليهود الذين هم في المدينة. جعل فيها المسلمين أمةً واحدة مهما كانت أجناسهم وبلادهم لا يحل لأحد أن يخفر ذمة واحد منهم رجالاً ونساءً؛ وجعل للمسلمين دينهم ولليهود دينهم إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه، وإن جرى خلاف بين الأمتين يرجع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحكم العدل، لا يحل لأحد أن يتركهما بحثاً عن حل آخر فإن فعل حل عليه عذاب الله.

وبهذه الوثيقة السياسية التي وضعها الحبيب الأعظم منذ /١٤١٨/ عاماً قرر حرية العقيدة، وحرية الرأي وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة.

إلا أن قريشاً لما رأت هذه الدولة الفتية قد استقرت وبدأت ترفع رايتها في سماء الجزيرة العربية أرسلت رسالة إلى عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه فمن يعبد الأوثان من الأوس والخزرج قالت فيها:

- إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنَّه أو لتُخرِجنَّه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلكم ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك ابن أبي جمع أصحابه وأخبرهم خبر الرسالة فاجتمعوا لقتال النبي وأصحابه المؤمنين، فلقاهم رسول الله وقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما

تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم، (د) (صحيح) فلما سمعوا ذلك من نبينا تفرقوا شذر مذر .

أيها السادة:

وهنا بدأت الحراسة تتابع على باب سيد المرسلين يحرسونه من أذى مشركي المدينة ومكائدهم، كان لا يبيت إلا ساهراً أو في حرس، وكان أصحابه لا يفارقون السلاح، حتى أنزل مولانا عليه ^ع **وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ ۖ** ^{٦٧} **﴿٦٧﴾** المائدة: ٦٧ فأخرج رسول الله رأسه من القبة وقال: «أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله» (حسن الفتح ٢٨٨٧).

وبدأت الحياة الإسلامية تستعيد عافيتها ويكون لها تميزها الخاص وخاصة بعد أن تحولت القبلة من جهة بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، بعد أن بقي المسلمون يُصَلُّون إلى بيت المقدس مدة ١٦ شهراً.

وهنا بدأت فتن اليهود وأهل الكتاب فشهدت المدينة المنورة أول مؤتمر روعي عقد بين الإسلام وبين النصرانية واليهود، كان هدفه إظهار الإسلام بمظهر العاجز للقضاء عليه. أيها السادة: اسمحوا لي أن أنقل بكم إلى هناك إلى مدينة الحبيب الأعظم القائد الأعلى للأمة الإسلامية، وأرى بعين الإيمان واليقين صحابة نبينا حوله ملتفين وأمامه ستون ركباً من نصارى نجران اليمن. وبعض أحرار اليهود. أيها الإخوة:

تذكرون عقيدة النصارى القائلة بالتثليث وألوهية عيسى، وتذكرون أن اليهود يزعمون بأنه عزيزاً ابن الله، فكيف دعاهم رسول الله؟

إن نبينا لم يقل لهم كما قال بعض الدعاة الجهلة: بأن ديننا مكمل لدينهم، وأن شرعنا لم ينسخ الشرائع المتقدمة، لم يقل لهم لا فرق بين ديننا ودينكم، ولم يقل لهم إنني أعذركم بعقيدة التثليث، هذه الدعاوي العاطلة التي ينطق بها اليوم من يحاول تأليف القلوب على المعاني الإنسانية، ويترك أبسط الدعائم الإيمانية وهي التوحيد.

قام مرة رجل من أبناء جلدتنا وديننا يريد أن يدعو وفداً من أهل الكتاب دخل مسجده أتعرفون ماذا قال لهم؟ قال:

لا يوجد فرق بين النصارى والمسلمين أبداً، فنحن نقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهم يقولون باسم الأب والابن وروح القدس، أسمعتم كفراً أعظم من هذا؟، وللأسف هذا الشخص يدّعي اليوم مشيخة الإسلام في العالم العربي.

إن شرع الإسلام نسخ الشرائع السابقة كلها، وهذا الأمر غاب عن هذا الداعية غيبة المهدي في سرداب سرّ من رأى، علينا أن نعتقد عقيدة مؤكدة جازمة لا رجعة عنها أن الإسلام نسخ كل ما قبله من الشرائع واحفظوا:

وَنَسَخْنَاهُ لِمَنْ عِندَهُ وَفَعَّحْنَا اللَّهُ مَنِ لَّهُ مَنْعٌ حَتْمًا أَدْلَّ اللَّهُ مَنْ لَّهُ مَنْعٌ

واسمعوا إلى جواب الحبيب الأعظم قال لأعضاء المؤتمر: أما نحن فنقول: ﴿عَامَّتَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦) البقرة: ١٣٦ ثم دعاهم إلى التوحيد الخالص فقال لهم:

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) آل عمران: ٦٤

هل ترون أيها الإخوة هذه الدعوة، إنها دعوة خالصة لوجه الله، ليس وراءها مطمع سياسي ولا مطمع اقتصادي ولا جمع المريدين وشراء الأراضي، وانظروا إلى هذه الآية الكريمة ففيهما دعوة إلى أمرين:

١- ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً.

٢- ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

فماذا كان جواب أهل الكتاب؟.

إنهم أبوا الأذعان لهذه الدعوة، ورفضوا دعوة نبينا، واتهموه بأنه غير صادق، وهنا نزل جبريل الأمين يجوب الآفاق ويخترق السبع الطباق حتى وصل إلى الحبيب الأعظم بآية كريمة

جليلة، فدعاهم رسول الله إلى المباهلة، أي إلى أن يتهلوا جميعاً ويدعوا الله عز وجل أن يجعل لعنته على الكاذبين.

اسمعوها على الموجهات الإيمانية القرآنية:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

﴿آل عمران: ٦١﴾

وهنا نظر أعضاء الوفد الروحي بعضهم إلى بعض، وتشاوروا في ذلك ثم أعلنوا أنهم رأوا ألا يلاعنه وأن يتركوه على دينه ويبقوا هم على دينهم.

أيها السادة:

كانت نتائج هذه المحاولات في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام أن دخل بعض أخبار اليهود في الإسلام، وسمحوا لي أن أنقل على حضراتكم هذا الحدث الهام على صعيد قضية إيمان اليهود في المدينة، وسمعوا إلى حديث ابن سلام حبر اليهود وعالمهم يحدثنا عن نفسه فيقول:

« لما سمعت رسول الله وعرفت صفته واسمه وهيبته وزمانه الذي كنا نتوَكَّف له.. فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي من اليهود، وقلت يا رسول الله: إن اليهود قوم بُهت (زور وبهتان) وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتكم فتغيبي عنهم ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم.

قال: فأدخلني رسول الله في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلّموه وسألوه، ثم قال لهم: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وحَبْرنا وعالمنا... وراحوا يذكرون مكانته، فلما فرغوا من قولهم خرج عليهم ابن سلام فقال لهم: يامعشر يهود اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به. فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته فإني أشهد أنه رسول الله، وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه فقالوا: كذبت، ثم راحوا يعيبونه ويسفهونه فالتفت إلى رسول الله I وقال: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت # أهل غدر وكذب وفجور؟ » (خ).

أيها السادة: وظهرت وللمرة الأولى بادرة النفاق، فما هي هذه البادرة؟ إن المنافقين قوم قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، يصلون كما يصلي المسلمون، ويصومون كما يصوم

المسلمون، ويشاركون المسلمين في كثير من شعائر دينهم فهم في ظاهر أمرهم مسلمون ولكن قلوبهم تضرر العداوة والبغضاء للإسلام وأهله، فما هو سبب هذه العداوة؟

إن المتأمل بتلك الفئة يجد أن سبب عداوتهم مختلفة:

١- فمنهم قوم أبغض الإسلام لما فوت عليهم من المنفعة العاجلة والمصلحة الخاصة، ومنهم عبد الله بن أبي ابن سلول الذي كاد عند مجيء رسول الله إلى المدينة أن يكون ملك يشرب.

٢- وفريق آخر كان يرى في الإسلام خطراً على دينه.

٣- وفريق كان يستمع لتشكيك اليهود في رسول الله وفي دعوته.

٤- وفريق كان يرى رسول الله وجمعه من المهاجرين دخلاء على المدينة وعنصراً غريباً ينبغي ألا يمكن له فيها.

وعلى كل فقد كان هؤلاء وهؤلاء يشكون في انتصار الإسلام على اليهودية والوثنية، فلما رأوا قوة المسلمين تزداد وسلطانهم يتمكن وخصوصاً بعد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، دخلوا في الإسلام ظاهراً وأضمرؤا له العداوة والبغضاء في أنفسهم وجعلوا يترصدون به الدوائر.

ولكن الفاروق وأصحابه كانوا لهم بالمرصاد، فكانوا يخافونهم أكثر من خوفهم من الله عز

وجل، وهذا بشهادة الله رب العالمين، الذي أنزل على نبيه قوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي

صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر: ١٣) روي أنه اختصم

يهودي ومنافق (يُظهر الإسلام) إلى سيدنا رسول الله فحكم رسول الله لليهودي. فقال المنافق:

تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب (وكان المنافق يعرف أن سيدنا عمر يكره اليهود) فقدموا على

سيدنا عمر، فتكلم اليهودي فقال: احتكمنا أنا وهذا إلى محمد بن عبد الله فحكم لي، فقال:

تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب. فقال سيدنا عمر للمنافق: أحق ما قال؟ قال المنافق: نعم.

فقال سيدنا عمر: انتظرا لأحضر لكما الحكم الفصل، فدخل سيدنا عمر وأخرج سيفه وضرب

رأس المنافق وقال: هذا حكم من لم يرض بحكم رسول الله (ض).

لذلك حين وصل الأمر بالمنافقين إلى هذا الحد، واحتاج الإسلام إلى أن يدافع عنه أهله، وأن يحموه من أذى أعدائه، من أجل هذا أذن الله للمؤمنين في القتال، لأنه الوسيلة الوحيدة لحماية العقيدة وتأمين المؤمنين بها حين لا تجدي وسائل السلم.

أريدكم - أيها السادة - أن تفهموا هذه القضية تماماً:

إن الله سبحانه حين أذن للمؤمنين في القتال لم يأذن لهم فيه إلا دفاعاً عن عقيدتهم وحماية لها ممن يعتدي عليها، وسمحوا لي أن استعرض على حضراتكم بعض الآيات القرآنية التي نزلت في الحث على الدفاع عن العقيدة وحمايتها: فالذين يقاتلون المؤمنين يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ (١١٠) البقرة: ١٩٠

والذين يخرجون المؤمنين من ديارهم يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم ﴿ وَأَقَاتِلُوهُمْ ﴾ حَيْثُ

تَقِفُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ ۚ ﴾ (١١١) البقرة: ١٩١ والذين يحاولون الوقوف في سبيل

الدعوة إلى الاسلام يجب قتالهم: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (١١٣)

البقرة: ١٩٣

والذين يخونون عهود المؤمنين يجب على المؤمنين قتالهم ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ

فَأَنذِرْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ ﴾ (٥٨) الأنفال: ٥٨ وللبدا العام في ذلك قوله تعالى: فَمَنْ أَعْتَدى

عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدى عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ (١٩٤) البقرة: ١٩٤ إنها الحرب إذن، ولكنها

ليست لإكراه الناس على الإسلام، وليست للغنائم والسلب والمنافع، وليست للقهر والغلب والاستغلال، وليست للاستعباد والتجبر والإذلال، إنما هي للدفاع عن حرية العقيدة وعن كرامة المعتقدين، وقد بين الله هذه الحقيقة في كتابه بوضوح وجلاء فقال:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٢٥٦) البقرة: ٢٥٦ ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

وَمَنْ شَاءَ ۚ ﴾ (٢٩) الكهف: ٢٩ ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ ۚ ﴾ (٤٨) الشورى: ٤٨ ﴿ إِنَّ أَنْتَ

إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٣﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ تَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

﴿الغاشية: ٢١ - ٢٢﴾

أيها السادة:

وهكذا نجد قوى الشر في العالم الإسلامي قد أجمعت القضاء على الدعوة الإسلامية والدولة الفتية، كفار مكة من جهة، واليهود من جهة والمنافقون من جهة، فهل استطاعت قوى الشر أن تتغلب على قوى الخير؟

هل استطاعت الكثرة الكافرة أن تتغلب على القلة المؤمنة.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

- ٦١ -

الحمد لله الذي نصر نبيه الكريم في المواقع والمواطن الجهادية، وأيده بالمعجزات والآيات الربانية، وأنزل عليه مدداً من ملائكته النورانية.
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه المتكررة الإلهية.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع عنا كل بلية.
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليفه الذي أزال ظلم الجهالات والوثنية ونشر دين الله في الجزيرة العربية.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠)

لم تبق ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية إلا بدأت تحس سلطان الإسلام، ومما زاد من هذا السلطان أن مولانا عز وجل شرع لنبيه القتال دفاعاً عن العقيدة، وتشبيهاً لدولة الإسلام الأولى، فغزى رسول الله ﷺ سبعاً وعشرين غزوة وأرسل ستين سرية كان النصر في جميعها للمسلمين بشهادة رب العالمين في الآية التي صدرت بها حديثي إليكم، وهذه الآية وإن كانت

تسمى بآية الهجرة فإنه قد تأخر نزولها إلى السنة التاسعة للهجرة، فلماذا تأخر نزولها إلى ما بعد تسع سنوات من حادث الهجرة؟.

وللجواب عن هذا السؤال الهام أقول: لو نزلت هذه الآية بعد حادث الهجرة لقلنا إن الله قد نصر نبيه فقط في الهجرة من مكة إلى المدينة، أما وقد نزلت بعد جميع الغزوات والسرايا فلكي تفهم - يا أخي المسلم - أن مولانا قد نصر نبيه الكريم في كل معركة خاضها مع أصحابه ولم يهزم في معركة واحدة.

كان هذا هو الموجز، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الواحدة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد: لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

أيها السادة:

لن أستعرض معكم الغزوات والسرايا الإسلامية لأن هذا محله السيرة النبوية، ولكني سأقف معكم حولها وقفات العقيدة الإسلامية، فقد تجلت عبقرية سيدنا رسول الله ﷺ في القيادة العسكرية بجوار رسالته العظمى التي هي الأساس ومصدر الإلهام والهداية في قيادته للجيوش وتعبئته الحكيمة وسده لمنافذ الخطر والهجوم، وتقديره الصحيح لقوة العدو الحربية وعدده ومواضع نزوله، جاءت تفاصيلها في كتب السيرة.

وقضيتنا الإيمانية اليوم تقول إن ذلك كله كان من أسباب النصر، وأما الناصر الحقيقي فهو الله ﷻ، وليس الوسائل المادية ولا العسكرية لذلك كنت ترى نبينا ﷺ في كل غزوة وبعد أن يتخذ أسباب نجاح المعركة ويوزع الجيش يتوجه إلى مولانا بالدعاء والاستغاثة به لينصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

نرى في بدر رسول الله يدعو مولانا ويستجير به ويناجيه ويناديه حتى سقط رداؤه عن كتفيه وأشفق عليه سيدنا الصديق والتزمه من خلفه وهو يقول له: كفى مناشدتك ربك يا رسول الله فإن الله منجز لك ما وعدك (م).

وفي غزوة الأحزاب راح رسول الله يدعو: « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم » ، « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد »

، ياصريخ المكروبين يا محيى المضطرين اكشف همى وكرهى فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي (خ ٣٩٩٥ - ٤١١٥).

فكان مولانا ينجده بالنصر والمنعة، وينزل عليه الآيات القرآنية مؤكداً ومعلنًا بأن النصر من عنده ﷺ وأن مولانا سينصره نصراً مؤزراً، فنسمع مثلاً يقول عز من قائل في بدر:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣) آل عمران: ١٢٣ وفي أحد يقول مولانا: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٢٥) الأحزاب: ٢٥

وفي المعارك والمواطن الجهادية: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (١٧) الأنفال: ١٧ - ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١) الفتح: ١

رغم أن عدد المسلمين كان قليلاً وُعِدَّ تَهْ ضعیفة، ولكن الله كان ينصر نبيه وصحبه الأكرمين، هذه القضية يجب أن يعلمها الناس في كل زمان ومكان، في جميع الغزوات خلا غزوة حنين، فقد كان العدد أضعافاً مضاعفة عن عدد المسلمين، وكان النصر حليف المسلمين بعد امتحان شديد، لذلك علينا أن نعتقد أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة، ولكن النصر من عند الله، هو الذي قال لنا:

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (١٦٠) آل عمران: ١٦٠ قولوا (لا أحد). أيها المسلمون:

إننا لا نقاتل بكثرة ولا عدد ولا قوة، بل نقاتل بهذا الدين، إننا أقوياء بالقدر الذي نتمسك فيه بديننا وعقيدتنا، إننا أقوياء بالصلاة والصيام والحج والزكاة، أقوياء بالأخلاق الإسلامية، بالبر بآبائنا، علينا أن نأخذ العبرة من سبقنا، من الذين أعلنوها حرباً على الإسلام، إنني ومن مقامي هذا أحاطب العالم الاسلامي أجمع من شرقه لغربه خذوا العبرة من كان قبلكم

لقد فتحنا الدنيا في ثلث قرن، فتحنا ثلثي العالم في ثلث قرن، وبدون دبابات وبدون طائرات، فتحناه باعتمادنا على الله وبالتوكل عليه وبالتمسك بشرعه ودينه، فتحناه بالعقيدة والإيمان، كان نبينا I يقول في خلال المعارك كلمات إيمانية يقول مثلاً لصحابته (م): «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، والله لا يقاتلهم اليوم أحد مقبلاً غير مدبر لا يريد إلا الله تعالى إلا أدخله الله الجنة» فكان الصحابة يتسابقون لنيل الشهادة، كانوا حريصين على الموت حرص الناس اليوم على الحياة، كان القادة يقودون الجيوش وكلهم ثقة بالله، أرسل سيدنا خالد بن الوليد لقائد كسرى رسالة يقول له فيها:

«أسلم تسلم والا فقد جئتك بأقوام يحبون الموت كما تحبون الحياة»، وحين تحصن أهل قنسرين قال لهم سيدنا خالد:

«لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا».

هذا هو الإيمان الراسخ الذي اكتسبوه من عقيدة الإيمان، كفانا تحبطاً في الحروب مع

اليهود وهلم بنا نعد إلى الله تعالى ﴿وَمَا أَلْتَصِرْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ١٢٦ آل عمران: ١٢٦ إن الكثرة لا تغني شيئاً أمام الإيمان الراسخ، إنني أذكر أن المسلمين في حنين كان عددهم قد بلغ اثني عشر ألف مقاتل، حتى صار الناس يرددون لن نغلب اليوم من قلة، واعتمدوا على قوتهم، فما الذي حدث؟

إن جيش المسلمين سار وسط الليل، وما أن انحط في الوادي حتى رأوا كتائب عظيمة قد شدت عليهم من جنبات الوادي وقمم حنين، ففاجأت المقاتلين وراحوا يغيرون عليهم بالنبال، فاضطرب أمر الجيش الاسلامي، وخاصة الذين اسلموا حديثاً، وأخذ الخوف والفرع من قلوبهم، فأدبروا وأدبر أكثر الجيش عن المعركة وتفرق شمله، حتى قال قائلهم: لن تنته هزيمتهم دون البحر. ولكن القائد الأعلى وقف ثابتاً لم يتزعزع عن مكانه، ووقف معه حزبه الخاص من الصحب الكرام كأطواد الجبال، صمدوا لما رأوا القيادة ثابتة الأركان راسخة العزائم، ونبينا يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأيد الله نبيه بملائكته ونزل جبريل فقال رسول الله: الآن حمي الوطيس، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وألقى الله عليهم الرعب فولوا مدبرين بإذن من؟ بإذن الله الواحد القهار (خ ٤٣٣٣).

إذن الدرس الذي يجب على العالم الإسلامي أن يحفظه: أن الكثرة لا تغني شيئاً، وإنما المدار على الإسلام، على الإيمان وتمسكنا بهما أن وعقيدتنا هي: أن النصر من عند الله. أيها السادة:

ليست هذه هي المعركة الوحيدة التي شاركت بها الملائكة، فقد شاركت بقيادة الأمين جبريل في عدة غزوات مع المسلمين ففي بدر وبعد الابتهالات النبوية والتضرعات لرب البرية أنزل عليهم مولانا:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ الأنفال: ٩ فقال لأبي بكر: أبشر يا أبا بكر أذاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على النقع (خ ٣٩٩٥ - الفتح ٧ / ٣١٢ - البداية والنهاية ٣ / ٢٨٤). وعلم الله الملائكة الحرب وضرب الرقاب: فقال عز وجل:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ الأنفال: ١٢

فكان الصحابي يرفع سيفه ليقطع رأس الكافر فإذا هو يهوي عن جسده تسبقه إليه الملائكة، وفي الأحزاب: وصف الله حال الصحابة الكرام فقال:

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ وَنَظُّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ الأحزاب: ١٠

ثم ماذا؟ قال مولانا: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴿٩﴾ الأحزاب: ٩

وفي حين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾
التوبة: ٢٥ - ٢٦

أيها السادة:

وأما القضية الرابعة والأخيرة فهي قضية الأسرى، فقد كانت الغنائم حرام على الأمم التي قبلنا، وأحلها الله لهذه الأمة كرامة لنبيناً صلوا عليه، فاسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول (خ):
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي:

- ١- كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.
 - ٢- وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي.
 - ٣- وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان.
 - ٤- ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر.
 - ٥- وأعطيت الشفاعة (اللهم أكرمنا بها على أحسن حال وأكمل مال).
- ومع قضية الأسرى لنا وقفة لأن بعض العلماء وقفوا منها موقفاً خاطئاً فاتهموا رسول الله بأنه أخطأ في أخذه الفداء، وبنوا على ذلك أنه يخطئ في اجتهاده ولكن الله لا يقره على خطئه فينزل الوحي مصححاً له، وهذه القضية رد عليها علماء أهل الشام وبينوا خطأ من قال هذا القول.

فعلماء العقيدة قرروا أن النبي معصوم عن الخطأ بعصمة الله تعالى واستدلوا على ذلك بأدلة مرت معنا في باب النبوات، والذي أريد أن أقرره أنه لا يوجد أي قول لصحابي أو تابعي يصرح بأن نبينا أخطأ في ذلك، بل الصواب كل الصواب فيما فعله رسول الله ﷺ وفيما أمر به قطعاً، وإليكم الأدلة:

الدليل الأول: أن النبي الكريم عمل بذلك بمقتضى المشورة، قال له مولانا ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ١٥٩ آل عمران: وهو شاورهم، استشار الصحابة، وكل واحد أشار برأي؛ منهم من أشار بأخذ الفداء وهو قول الصديق عليه السلام، ومنهم من أشار بضرب رقابهم وهو قول الفاروق عليه السلام.

الدليل الثاني: أن نبينا جنح للفداء لما في هذا الرأي من الرحمة والعطف بمقتضى المقام الذي أقامه الله فيه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٧ الأنياء: ١٠٧ بل إنه لما أصيب في أحد قال له صحابته: أَدْعِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّمَا لَا يَعْلَمُونَ» (حب: صحيح).

الدليل الثالث: أن ما فعله كان موافقاً للقضاء الإلهي الأزلي القديم من أن الغنائم سوف تحل لهذه الأمة خاصة، الفداء مثل الغنائم، ولو كان أخذ الفداء من أسرى بدر خطأ لما كان رسول الله قال: «وَأَحْلَلْتُ الْغَنَائِمَ لِي وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي» (خ) فهذا مما أكرمه الله به.

الدليل الرابع: أن التشريع نزل بإحلال الغنائم لقوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ٦٩ الأنفال: وهو إقرار لما فعله رسول الله وتصويب لما رآه، إذ لو كان خطأ كيف يقره عليه، بل ويجعله باقياً إلى يوم القيامة، لو كان خطأ لأمره الله برده الفداء، لكن الله قال له ولأصحابه ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ٦٩ الأنفال: ٦٩

الدليل الخامس: انظروا لو أن رسول الله ضرب أعناق الأسرى، ثم جاء الشرع بقبول الفداء من الأسرى، ماذا سيكون موقف النبي بعد ذلك؟! لكن الحبيب تريث في القتل، فكان تريثه هو عين الحكمة وهو الصواب، لذا أقره الله سبحانه وشرع هذا التشريع.

الدليل السادس: لو كان أخذ الفداء خطأ لما أقره عليه مولانا في الغزوة التي كانت قبلها (في رجب) لما قتل عمرو بن الحضرمي، فإنه فادى أسيرين لقريش كل واحد بأربعين أوقية.

الدليل السابع: قوله تعالى ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَفَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ ٦٧ الأنفال: فيها عتب لمن أشار على النبي بالفداء

أو بأخذ الأسرى بتعبير آخر، بغية عرض الحياة الدنيا (وهو المال)، أما سيدنا رسول الله فما شاء أن ييغي عرض الحياة الدنيا، فإن الدنيا كلها ما لها قيمة عنده، وقد عرضت عليه جبال تهامة أن تكون له ذهباً فأبى.

فما هو تأويل الآية ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ / الأنفال: ٦٧ / ولكنه كان لك يا رسول الله كرامة خصصت بها من بقية الأمم، ما كان لنبي غيرك، لولا كتاب من الله سبق بهذه الخصوصية لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

ثم لها معنى آخر (هذه الآية) ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض يدل

على أن الأسر كان مشروعاً ولكن بشرط الإثخان في الأرض، ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا

أَخْذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ۝٤ مُحَمَّد: ٤ هذه الآية التي جاءت في سورة سيدنا محمد التي نزلت قبل

الأنفال، نعم كانت نزلت قبل الأنفال فاسمعوها: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا

أَخْذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۝٤ مُحَمَّد: ٤ فحكم

الأسرى كان نازلاً ومعروفاً، ولكن لم يكن ينبغي له أن يأخذ الأسرى حتى يثخن، والمراد بالإثخان القتل والتخويف الشديد وليس من شرط الإثخان قتل جميع الناس، رغم أن المسلمين في بدر قتلوا سبعين من صناديد الكفر.

إذاً الأسر يجوز بعد الإثخان، وليس في الآية أن رسول الله قد اجتهد في حكم الأسرى حين أسر وجاءت الآية تصحح اجتهاده، ولا أن الأسر الذي نعلم في بدر كان تشريعاً فجاءت الآية تبين خطأه، وكذلك لا تدل على أن الأسر كان ذنباً مخالفاً للحكم الذي نزل، وكل ما هناك أنه كان الأولى أن يشد أكثر في القتل والقتال حتى يكون الإثخان أبرز وبالتالي يتم أخذ الأسرى.

فالآية - أخيراً نزلت موضحة أن الإثخان قد مرَّ على وجهه هو خلاف الأولى إن جاز لنا التعبير.

أيها السادة:

علينا أن نعتقد أن رسول الله لا يخطئ، لو أخطأ رسول الله لأمره مولانا برد الفداء وقتل الأسرى، وأن العتاب موجه لمن أراد بأخذ الفداء عرض الحياة الدنيا، وأما رسول الله فلا يخطئ ولم يخطئ في أي اجتهاد اجتهد لأن مولانا وصفه بقوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ﴾ ﴿٢﴾ النجم: ٣ فكلمة ما ينطق من صيغ العموم يشمل الكتاب والسنة فجميع ما ينطق به ﷺ من التشريع هو من الله تعالى.

إن من يقول بأن نبينا أخطأ في بعض الأحكام أو في بعض اجتهاداته ثم صحح الله له هذا الخطأ يعني أنه 1 قد بلغ الناس شريعته من اجتهاده الشخصي لا من وحي الله إليه، وهذا كله باطل عقلاً ونقلاً. فكيف ذلك؟

الدليل العقلي: أنه عليه الصلاة والسلام كان ينتظر الوحي في كثير من الأحكام مع الحاجة العاجلة لبيان الله في حينه، فلو جاز عليه الاجتهاد لما أصر الحكم حتى نزول الوحي، فدل ذلك على أنه لم يجتهد بل دل على أنه لا يجوز له الاجتهاد لأن الاجتهاد معناه احتمال وقوع الخطأ، ولأنه ﷺ واجب الاتباع فيعني أنه لو اجتهد وأخطأ لوجب علينا اتباع الخطأ وهذا أمر باطل لأنه معصوم عن الخطأ في التبليغ.

والدليل النقلي: آيات كثيرة كقوله تعالى يأمر نبيه الكريم أن يقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ ﴿٤٥﴾ الأنبياء: ٤٥ وآية أخرى في الأحقاف ﴿ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ﴿٥٠﴾ الأنعام: ٥٠ كما لا يقال إن الله لا يقره على الخطأ وأنه يبينه له سريعاً، فهذا قول باطل ولا يجوز في حق الرسول أن يبلغ حكماً ثم يقول للناس إن ذلك الحكم خطأ لأنه من عندي والصواب هو ما جاءني من عند الله، ثم يأمرهم بترك الحكم الأول واتباع الثاني، ماهذا الكلام؟!.

فماذا نفسر بعض الآيات التي توهم أن رسول الله اجتهد فيها كموقفنا هذا في أسرى بدر، وقوله تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ ﴾ ﴿٤٣﴾ التوبة: ٤٣ وقوله ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿١﴾ أن جاءه الأعشى ﴿٢﴾ عبس: ١ - ٢ ماذا يمكن أن نقول بهذه الآيات؟

إن هذه الآيات وأمثالها إنما أتت من قبيل تحديد الأولويات، أي تحديد ما هو الأولى بالرسول أن يقوم به أي أن نبينا كان الأولى أن يفعل كذا، وليس أنه أخطأ بدليل أن الله أقره على ذلك هو من باب القاعدة التوحيدية «حسنات الأبرار سيئات المقربين» كما تقدم في باب صفات الأنبياء.

أيها السادة:

تعالوا لنناقش (آية الإذن) التي أنزلها مولانا على نبيه بعد غزوة تبوك في سورة التوبة، في السنة التاسعة للهجرة والتي أذن فيها رسول الله لبعض المنافقين في التخلف عن المعركة، وهي قوله تعالى:

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤٣) التوبة: ٤٣ هل تدل هذه الآية على أن نبينا أخطأ في إعطائهم الإذن أم لا؟ إن الدارس لتاريخ التشريع الإسلامي يحكم مباشرة على أن النبي فعل ما هو خلاف الأولى على نفس القاعدة السابقة، لأن آيةً نزلت قبل هذه الآية في سورة النور أذنت لنبينا أن يأذن لمن يشاء، وسورة النور نزلت قبل التوبة، والآية هي:

﴿ فَأَذْنِ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ (٦٢) النور: ٦٢ فحكم الإذن كان معروفاً قبل غزوة تبوك، فلما

أذن لهم في هذه الغزوة عاتبه مولانا عتاب الحبيب لحبيه قائلاً:

﴿ لَهُمْ ﴾ ولا يفهم من كلمة عفا الله عنك أن نبينا قد أذنب والعياذ بالله، بل هي عبارة كانت العرب تتداولها في أثناء حديثها مع العظماء، فهذه الآية ليست تصحيحاً لاجتهاد ولا تشريعاً لحكم يخالف حكماً كان الرسول قد اجتهد فيه في الحادثة نفسها.

وهكذا - أيها السادة - ثبت لدينا شرعاً وعقلاً بأن من كمال العقيدة الإسلامية الإيمان الجازم بأن رسول الله لا يجوز في حقه مطلقاً أن يكون مجتهداً لأن المجتهد يعتره الخطأ والصواب، وبذلك تسقط استدلالات الكتاب الذين يرون أن رسول الله مجتهد في السنة النبوية، وهذه من أخبث الفكر المدمرة للعقيدة الإسلامية وللتشريع الإسلامي لأننا اليوم إذا قلنا: إن رسول الله أخطأ، فسيأتي علينا يوم ما نقول فيه إن تشريع سيدنا محمد من اجتهاد محمد وأنه خاطئ، وما دام

خاطئاً فليس مطلوباً علينا اتباعه، هذه هي النتيجة الطبيعية التي يريد أعداء الاسلام أن نصل

إليها، فالله الله - معشر السادة - واذكروا قول مولانا ﷺ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ النجم: ٣ - ٤

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

خصائص

سيدنا محمد ﷺ

-٦٢-

الحمد لله الذي يجتبي من يشاء من عباده، ويصطفي من خلقه من شاء من أهل
وداده، رفعهم فوق الناس درجات وجعلهم من أكرم أهل بلاده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجعلنا من خير أحبابه.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله سيد
أنبيائه وأكرم رسله وأوليائه خير نبي اجتباه ورحمة للعالمين أرسله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحمّداً
وعلى آل سيدنا مُحمّداً وعلى أصحاب سيدنا مُحمّداً وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد
صدق عندك ياملِكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته
رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فما زلنا نقف باجلال أمام الشخصية العظيمة التي فاقت شخصيات الدنيا منذ أن خلق
الله البسيطة وإلى أن تقوم الساعة، مازلنا بصدد الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان
يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر) (ت ٥ / ٥٨٧ - أحمد
١ / ٥ صحيح)، وكان يقول بتواضع: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) (ض). نبي كريم لخص بعثته
إلى الناس في كلمتين بليغتين فقال I : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (حسن لغیره: مالك).

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى منها وما يتعشق الكباء

زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

إننا ما زلنا نشرح بيتاً من أبيات الشرنوبية في العقيدة:

واجزم بأن المصطفى التهامي أفضل مبعوث إلى الأنام

إننا مع الحلقة الثانية والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية

هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

أيها السادة:

نال رسول الله من العطاء الإلهي نصيباً وافراً فخصه الله من بين سائر أنبيائه ورسله

بخصوصيات لم يعطها لأحد قبله وأولى هذه الخصوصيات أنه أول النبيين، فعند الامام أحمد

وغيره عن ميسرة قال قلت يارسول الله: متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. فهو أول

النبيين حقيقةً وآخرهم صورةً وجسداً. وهو خاتم النبيين نص على هذا الكتاب المبين قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ٤٠ ﴾

الأحزاب: ٤٠. ولهذا كان السيد الأعظم يقول (أحمد): «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين

وإن آدم لمنجدل في طينته» وكان خاتم النبوة بين كتفيه «مثل بيضة الحمام» (م ٢٣٤٤).

ولهذا أخذ الله العهد على جميع الأنبياء والرسل إذا بُعث سيدنا محمد «أن يؤمنوا به

وينصروه، فالأنبياء نوابه وخلفاؤه في عالم الأجسام يقول رب العزة والجلال:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ (وهو سيدنا محمد ﷺ) لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ

عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨١ ﴾ آل عمران:

٨١ ولذلك كان الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله يقول:

كل النبيين والرسل الكرام أتوا نيابةً عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى كل الخلائق في كل الدهور وناثب عنه أفواه

ولأجل ذلك نرى مولانا عز وجل لم يكتب إلى جنب اسمه على العرش إلا اسم سيدنا مُحَمَّد (ياسعد من صلى عليه). فعن عمر بن الخطاب (حا- هب- طب وأبو نعيم- وابن عساكر (ض)) قال ﷺ:

«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب بحق مُحَمَّد لما غفرت لي، قال: وكيف عرفت مُحَمَّدًا؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك. قال: صدقت يا آدم وإذ سألتني به غفرت لك ولولا مُحَمَّد ما خلقتك»

صلوا على الحبيب الأعظم، صلوا على من قال (ض) «من صلى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة»

ومن كرامته على مولانا أنه ذكره في الأذان والإقامة مقروناً بذكره تعالى وهذا هو معنى قوله

تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ﴿الشرح: ٤ قال تعالى: لا أذكر إلا وذكّرت معي﴾ (مرسل صحيح)، بل لا يُقبل إيمان عبد ما له يشهد بالرسالة له ﷺ: وأشهد أن مُحَمَّد رسول الله. أيها السادة:

واسمحو لي أن أنقل لكم على موجات الأثير جزءاً من الرحلة المباركة التي اختص الله بها نبيه الكريم بالإسراء والمعراج (البرزار): فإنني أرى الأمين جبريل ومعه البراق وهاهو رسول الله يريد أن يركبها فشمست. فقال لها جبريل: اسكني فو الله ما ركبك عبد أكرم على الله من مُحَمَّد.

(صلّ على النبي من قلبك)، صلوا على من قال «من صلّى علي لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلّ عبْدٌ من ذلك أو ليكثر» (هـ- أحمد- هـ- حسن).

قال فارضت عرقاً، ثم ركبها رسول الله حتى انتهى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر، فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر.

ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي لا إله إلا أنا.

فقال الملك: أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أرسلت

مُحَمَّدًا.

قال الملك: حي على الصلاة حي عى الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر. فقل من وراء حجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله. فقل: صدق عبدي لا إله إلا أنا.

ثم أخذ الملك بيد سيدنا محمد I فقدّمه فأّم أهل السموات فيهم آدم ونوح، فيومئذ أكمل الله لسيدنا محمد I الشرف على أهل السموات والأرض.

هذه هي الإكرامات العظيمة الإلهية لأشرف الخلق في الأرض والسماء، وإليكم هذه الآية التي أوتيتها من تحبون أن تصلوا عليه، قال لصحابته يوماً (ق): «هل ترون قبلي ههنا، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري»

مُحَمَّدٌ بَشَرٌ وَلَيْسَ كَالْبَشَرِ بَلْ هُوَ يَاقُوتَةُ وَالنَّاسِ كَالْحِجَرِ

ما تئاءب قط، وليس له ظل في شمس ولا قمر، وكان لا يقترب منه الذباب ولا القمل، وفضلاته جميعها طاهرة (صلوا عليه) تنام عيناه وقلبه لا ينام (ق) وكانت السيدة عائشة تقول: يارسول الله تأتي الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى، فكان يقول لها: أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ولا يرى منه شيء. ورحم الله شيخنا على مذهب مالك كان يعلمنا:

خص نبينا بعشرة خصال	لم يحتلم قط ولا له ظلال
الأرض ما يخرج منه تبتلع	كذلك الذباب عنه ممتنع
تنام عيناه وقلبه لا ينام	يرى من خلفه كما يرى أمام
تعرفه الدواب حين يركب	تأتي إليه سرعة لا تهرب
على جلوس جلوس الجلوس	صلى عليه الله صباحاً ومساء

إنه لفضل عظيم ومقام كريم تلك الآية التي نزلت في جاهه ومكانته عند الله ﷻ إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

الأحزاب: ٥٦ واليكم هذه البشارة لأنكم صليتم على النبي من قلوبكم:

(د) عن سيدنا أبي بكر الصديق عنه I أنه قال في حجة الوداع: «إن الله عز وجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر بنية صادقة غفر له ومن قال: لا إله إلا الله رجع ميزانه، ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة» فما هو الذي يشفع له رسول الله؟

اسمعه يقول لك (طب): «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»

ومما اختص الله به نبينا قوة صوته ﷺ كان الرجل يسمعه وهو بعيد عنه جداً، اسمع إلى السيدة أم هانئ تقول: (هـ- هب): «كنا نسمع قراءة النبي في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي»

ومنها قوة وطئه I فعن أنس (خ) قال: (كان النبي يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. فقليل لأنس: أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين).

أيها الإخوة:

بشر برسالة نبينا الإنس والجن والملك والحيوان كلهم بشروا ببعثته I ، فعن سيدنا عمر (خ) بينما كان أحد الكهان قبل الإسلام يذبح عاجلاً إذ صارخ منه يصرخ قائلاً: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله، يقول سيدنا عمر فسمعته يكررها ثلاثاً، فما هو إلا أن قيل: بعث محمد نبياً.

وعند الترمذي بسند حسن صحيح: أن ذئباً غار على نعاج فاخطف نعجة فأسرع الراعي وأخذ منه النعجة: فأنطق الله الذئب وقال: عجباً تأخذ مني رزقاً ساقه الله إلي؟! فقال الراعي: ذئب يتكلم هذا عجيب. فقال الذئب أدلك على أعجب من ذلك؟ رسول الله بين أظهركم ولا تؤمنون به؟! قال الراعي: لو أن هناك من يحرس الغنم لذهبت فأمنت به. فقال الذئب: اتركهم فأنا أحرسهم لك. فذهب الأعرابي حتى بلغ سيدنا رسول الله ﷺ ودل عليه فما أن دخل عليه الأعرابي حتى قال: أين تركت غنمك، إنه راع أمين (لا تخف ما زالت غنمك بخير) فأسلم الأعرابي لساعته وعاد فأعطى الذئب نعجة مكافأة له على أمانته.

وأعجب من هذا أن الله أنطق شاة مذبوحة مسمومة فقالت للنبي لا تأكلني فإني مسمومة، واستدعى اليهودية التي أهدته إياها، وسألها فقالت: إن كنت نبياً لم يضرك وإن كنت كذاباً أراحنا الله منك، فتركها رسول الله ﷺ فلما مات أحد الصحابة الذين أكلوا معه جيء باليهودية فقتلت به (حا ٣ / ٢٢٠).

ومما منَّ الله به على نبيه: نبع الماء من بين أصابعه I فعند البخاري أن بعض الصحابة كانوا معه في سفر فقلَّ الماء معهم فدعا رسول الله بماء قليل فأدخل يده فيه ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك من الله تعالى يقول الصحابة: فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ (خ).

صلوا على الهادي البشير المنذر صلوا على أهل الكمال المسفر

قال لنا: «من صلى عليَّ صلاة من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشرًا وحط عنه عشر سيئات وكتب له عشر حسنات ورفع له عشر درجات» (بز - طب - هـ ٦٠٨).

إن صلاتنا على النبي دليل محبتنا له، ثقوا تماماً أن كل ذرة في الوجود تحب سيدنا مُحَمَّدًا، يحدثنا (خ) سيدنا عمر عن هذا الحب فيقول: كان مسجده ﷺ مسقوفاً من جذوع من نخل، فكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر علا عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً وصياحاً بالبكاء كبكاء وصياح الصبي، فنزل رسول الله ﷺ فضمه إلى صدره فسكن أنينه وصياحه. يا رسول الله:

ياحبيب القلوب أنت الحبيب أنت أنسي وأنت مني قريب
ياطبيباً بذكره يتداوى كل ذي سقم فنعم الطبيب
أيها السادة:

وقد حدَّث رسول الله عن هذا الشرف العالي الذي آتاه الله تعالى، فكان يقول: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» (م ٥٣٣). وفي رواية: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي:

(كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى كل أحر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة).

لذلك كان ﷺ يقول (م. د) «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» فمن هم أول من يشفع لهم رسول الله ﷺ، اسمعوا وأنتم تصلون عليه يقول (طب حط - ض):

«أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم، ومن أشفع له أولاً أفضل»

ولهذا كان يقول ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» (ق).

يامن له عز الشفاعة وحده وهو المنزّه ماله شفعاؤه
أعطيت فضلاً لا يباح لمسلٍ والله يعطي الفضل كيف يشاء
أيها السادة الكرام:

ومن الأمور التي نالها الحبيب الأعظم من بين سائر الأنبياء نهر الكوثر الذي ذكره مولانا في كتابه: إنا أعطيناك الكوثر وهو غير الحوض المورود الذي أعطاه الله لنبينا في الجنة، وقد سأله الصحابة عن الكوثر فقال (صلوا عليه):

- «نهر ما بين صنعاء إلى بصرى عليه آنية بعدد نجوم السماء وَعَدْنِيهِ رَبِّي» وفي رواية:

- «من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً» (متواترة).

اللهم ارزقنا شربة منه لا نظمأ بعدها أبداً، فمن هو الذي يشرب من نهر الكوثر: اسمعوا الحديث وصلوا على الحبيب: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

* * *

سيدنا محمد

- ٦٣ -

الحمد لله الذي يمهّل ولا يهمل، ولا معقّب لحكمه وهو السميع العليم
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحَكَمَ العَدْلَ لا يُعْزَبُ يعز عن علمه مثقال
ذرة في الأرض و في السموات وهو الرحمن الرحيم.
وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله نبي أنقذنا الله به من نار الجحيم.
استيقظ يوماً من نومه محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب
فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج بمثل هذه... قيل: أهلك وفيها الصالحون؟. قال: نعم إذا كَثُرَ
الخبث (الأربعة) (خ ٣٣٤٦).

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد
وعلى آله وصحبه الهداه المهتدين، وسلم تسليمًا.
أما بعد:

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة.
«ستكون فتن: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها
خير من الساعي» (الأربعة) (خ ٧٠٨١).

نطق بهذا فم سيدنا رسول الله ﷺ فقد كشف الله لنبينا الغطاء عن حوادث الدين والآخرة فرأى
أمته وما سيحل بها فنبه ووعظ، وحذّر وجنب الوقوع في هذه الفتن، يقول عنه صحابته رضي
الله عنهم (م): «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فَخَطَبَنَا حتى حضرت الظهر فنزل
فصلي، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلي، ثم صعد المنبر فخطب حتى
غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»

وفي رواية سيدنا حذيفة: «ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث
به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه» (ق).

أيها السادة:

إننا مع الحلقة الثالثة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وعنوان هذه الحلقة دلائل النبوة أو علائم نبوة سيدنا مُحَمَّد I ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

معشر الإخوة الكرام:

أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان من أخبار الأمم السالفة وأنبيائهم ورسلمهم، ثم أخبرنا بأحوالنا في بيوتاتنا وبين أهلينا وماذا سيحدث لنا مع أعدائنا، ثم أخبرنا عن أمتنا الإسلامية وماذا سيحدث لها في آخر الزمان فتحقق ما أخبرنا به أولاً وثانياً وسوف يتحقق ما أخبرنا به ثالثاً لأنه الصادق المصدوق (صلوا عليه) فكان هذا من دلائل نبوته I وكل ما ترونه من خلافتات المسلمين والدول الإسلامية، ثم خلافتها مع الدول الأجنبية كله ذكره رسول الله I فعن سيدنا ثوبان عن النبي I قال: إن الله زوى لي الأرض (قبضها وجمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض (الذهب والفضة) وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامةٍ وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا مُحَمَّد إني قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عاميةٍ وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلكُ بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً. (م ت د)، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة (إن لم يكن في بلد يكون في آخر وهكذا..)، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين (لاني بعدي) (خ)، (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) (خ).

أيها السادة:

وأخبر نبينا أنه سيكون في هذه الأمة أربع فتن عظيمة: الأولى يُسْتَحْلُ فيها الدم، والثانية يستحل فيها الدم والمال، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج، والرابعة الدجال. وقد سمّاها في حديث صحيح عند أبي دواد فذكر أسماء الفتن:

الأولى: فتنة الأحلاس ثم فتنة السراء ثم فتنة الدهيماء: هذه الفتنة لاتدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه فإذا قيل انقضت تماذت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده.

وكان سيدنا حذيفة بن اليمان أمين سر سيدنا رسول الله ﷺ يحلف ويقول: «والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمئة فصاعداً إلا قد سَمَّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته». يقول سيدنا حذيفة رضي الله عنه (ق د):

«كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يارسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيها دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر. قلت فهل بعد ذلك الخير من شر. قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يارسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»

أيها السادة:

كانت أول وأعظم مصيبة حلت بالمسلمين موت سيدنا رسول الله ﷺ، وكانت المصيبة الثانية ارتداد العرب عن الإسلام، فقد أخبر عن ذلك رسول الله قبل موته فقال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين» (م- أحمد) (وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان). ثم بدأت المصائب تتوالى بمقتل الفاروق ثم سيدنا عثمان فسيدنا علي، قولوا رضي الله عنهم.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك أيضاً حين وقف على جبل أحد يوماً وقد قال فيه الحبيب الأعظم: (أحد جبل يحبنا ونحبه) (خ). وقف عليه الحبيب الأعظم وكان معه سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان فاهتز الجبل طرباً فرحاً بهؤلاء جميعاً فقال له سيدنا رسول الله: «أثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً وشهيدين» (خ).

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن توليهم الخلافة بهذا الترتيب وتحدث عن دولة بني أمية ودولة بني العباس. وهذا الحديث وإن كان قاله سيدنا عبد الله بن عمرو لكن له حكم المرفوع، اسمعه يقول لنا: (أبو نعيم عن عبد الله بن عمرو) (كتاب السنة لابن أبي عاصم ١١٥٣): يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة أبو بكر أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، عثمان بن عفان ذو النورين قتل مظلوماً أو في كفلين من الرحمة، ملك الأرض المقدسة معاوية وابنه ثم يكون السفاح ومنصور وجابر (الرشيد) والأمين وسلام وأمير العصب لا يرى مثله ولا يدري مثله كلهم من بني كعب بن لؤي.

أسمعت أيها السادة: مثل هذه الدلائل العظيمة على نبوته ﷺ سمى الخلفاء بأسمائهم وهم لم يولدوا بعد من بني العباس، كما أنه أخبرنا عما سيجري بين سيدنا علي والسيدة عائشة رضي الله عنهما بعد مقتل سيدنا عثمان في معركة الجمل، فقد جلس يوماً مع زوجاته رضي الله عنهن فقال لهن: «أتيكن صاحبة الجمل الأديب تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة. وتنجو بعدما كادت أي تهلك» وقد حدثت تماماً هذه الدلائل التي أخبرنا عنها بل حدثنا أكثر:

نظر يوماً إلى الزبير بن العوام وسيدنا علي وكل واحد منهما يتسم للآخر، فقال للزبير: «أحب علياً؟ قال: نعم يارسول الله. قال له: «أما إنك ستقاتله وأنت ظالم له».

وفعلاً شارك الزبير في مقاتلة سيدنا علي في موقعة جمل السيدة عائشة التي قادت المعركة للأخذ بثأر سيدنا عثمان وقتل حولها كثيرون مدافعين عنها ثم كسرت رجل الجمل وكادت أم المؤمنين تسقط على الأرض فأدركها سيدنا علي وقال: «حافظوا على أمكم وأكرموها، وأمر بإرجاعها إلى وطنها».

وحدث نبينا عما سيحدث بين سيدنا علي وسيدنا معاوية من المقتلة العظيمة، وكيف أن سيدنا الحسن يصلح بين الفريقين فقال: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وقد حدث ما أخبرنا عنه ﷺ فقال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وكلاهما يدعوان إلى الحق» وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج (وهو القتل) وحتى يكثر المال فيفيض، وحتى يتناول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتني مكانه (ق د ت).

حدثنا عن استئثار الملوك والحكام بالحكم وأن الحكم سيصبح وراثياً بين أبناء الملوك، منها حديث «الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصبح ملكاً عضوضاً» ومنها حديث: «سيكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أدخلوكم النار، وإن عصيتموهم قتلوكم فقال رجل: يا رسول الله ستمهم لنا لعلنا نخشو في وجوههم التراب. فقال: عليهم يحثون في وجهك ويفقون عينك»

ومن علائم نبوته ﷺ إخباره عن الذين سيدعون النبوة فقال:

«لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ﷺ (ق د ت)، وقد خرج منهم كثيرون منهم العنسي اليميني ومسيلمة وابن صياد وهؤلاء ظهوروا في زمن النبي وهلكوا، وخرج بعدهم المختار الثقفي وأما المسيح الدجال فتقوا أنه سيخرج مصداقاً لقوله ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول: إن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فهو المختار الثقفي، وأما المبير فهو الحجاج الذي قتل أناساً كثيرين من أهل العراق بلغوا أكثر من مئة وعشرين ألفاً لذلك سمي مبيراً.

وبمناسبة الحديث عن العراق فإن نبينا أخبر عن الحصار الاقتصادي الذي سيحصل لعراق والذي نشاهد آثاره في التلفزيون يقول ﷺ (م): يوشك أهل العراق ألا يجي إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: العجم يمنعون ذلك، وماخفي كان أعظم. أيها السادة:

وحدّث نبينا عن فتوحات ستحدث للأمة، حدّث عن فتح الشام وفتح فارس وعن قتال الترك وغزو الهند وخراسان والسند والصين، وعن التفسخ الأخلاقي الذي سيحدث لهذه الأمة، وأن نتيجته ستكون غضب الله على عباده منها: إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم غضب الله وإليكم هذا الحديث الشريف وتصوروا معي هذا الوصف الدقيق للأمة الإسلامية بعد أن تصلوا على الحبيب الأعظم الذي يقول:

«لا تقوم الساعة حتى تركب أمتي المياثر (الوسائد المثيرة: المريحة وهي السيارات اليوم) يأتون المساجد نساؤهم كاسيات عاريات إلعنوهن فإنهن ملعونات» وإليكم هذا الحديث الذي حدث في أوروبا ولا أدري إن كان حدث في بلادنا يقول ﷺ:

«تمشي المرأة في الطريق فيرفع ذيلها فتتكح فيقول قائل: هلا داريتها خلف الجدار، فيومئذ ذلك القائل كأبي بكر وعمر فيكم» أو كما قال ﷺ (الفتح عند حديث ٧١٢٠ - ٧١٢١ طب):

حقيقة علينا أن نخاف أن نكون إحدى أمارات الساعة، فتعالوا نفتح كتب الحديث الشريف لنسمع الدرر والحقائق التي لا حقائق بعدها من فم الصادق المصدوق ياسعد من صلى عليه.

سيدنا أنس يحدثنا أنه سمعه يقول (خ): «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويُشرب الخمر ويكثر النساء ويقل الرجال» هذا وصف دقيق لحالة الأمة اليوم، وانظروا إلى العاقبة إلى جزاء المعصية.

يقول « (ت ٨ - ٢٣٠ - ٦ / ٤٥٦): في هذه الأمة خسف ومسح وقذف فقال رجل من المسلمين يارسول الله ومتى ذلك قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر» يعني لا تستغربوا يوماً ما أن تستيقظوا وتسمعون ان الله قد مسح المطربة فلانة أو المطرب فلان أو العازف الشرقي فلان إذا مسخهم الله قردة أو خنازير فهذا حدث عنه نبينا.

وعن سيدنا علي عنه ﷺ قال: إذا فعلت أمتي خمس عشر خصلة حل بها البلاء. ففيل: وما هن يارسول الله قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنماً والزكاة مغماً وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمر، ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك رجاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً (ت ٣٠٨ ض).

أيها السادة:

أذيع على حضراتكم هذا البيان النبوي المؤلف من اثنتين وسعين فقرة كلها دلائل واضحة وجلية على نبوته ﷺ هو حديث ضعيف لكنه ارتفع إلى مرتبة الصحة لأن الحوادث التي ذكرها فيه وقعت كلها كما أخبر عنها يقول:

«إن من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة:

إذا رأيتم الناس أमतوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحلم ضعفاً والكذب صدقاً، والحريز لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق وموت الفجأة، واثمن الخائن وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأمراء والوزراء خونة، والعرفاء ظلمة، والقرءاء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أنتن من الحيفة وأمر من الصبر، يغشيه الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء، وتطلب البيضاء، وتكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت المصاحف، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العرا صاروا ملوكاً، وشاركت امرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم للمعرفة وثقه لغير الله، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، وأخذ المغنم دولا، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرمًا، وكان زعيم القوم أرضهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القيان والمعازف، وشربت الخمر في الطرق، واتخذ الظلم فخراً، وبيع الحكم وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاً (تجعل على المقاعد والسروج) ولعن آخر هذه الأمة أولها فليز تقبوا عند ذلك رجلاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات».

كل هذه الحوادث قد وقعت واحدة واحدة، بل إن ابن عساكر يروي عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: دمشق معقل المسلمين من الروم إذا وقعت الملاحم (الحروب المذابح) وعلامة ملاحم الروم إذا بنيت مدينة من دمشق على أربعة أميال قبل الغرب (وقد بنيت اليوم في المزة).

أيها الإخوة الكرام: فما هي نصيحة سيدنا رسول الله لنا؟ هذه النصيحة نصحبها سيدنا عمر لأهل الشام حين قدم الجابية، فقال: أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال:

«أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم يفتشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» (ت ٢ / ٢٥ - حا ١ / ١١٤ - أحمد ١ / ١٨ صحيح).

فكيف كانت حياة نبينا الزوجية كيف كان مع أمهات المؤمنين؟ ما فضائلهن؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد.

* * *

سيدنا محمد ﷺ

- ٦٤ -

الحمد لله الذي جعل من بدائع أطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً، وعظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمر فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ النور: ٣٢

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح أنبياءه ورسله الكرام فقال مخاطباً نبينا محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ الرعد: ٣٨
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قال له مولانا: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ الأحزاب: ٥٠

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد فياحمادة الإسلام وحراس العقيدة:

يتخذ أعداء الإسلام من جمع سيدنا رسول الله ﷺ بين تسع نسوة في وقت واحد منفذاً للطعن ووسيلة للاتهام، وحين يبحثون عن الأسباب فلا يجدون إلا الشهوة الجنسية والثورة

الغريزية، دون أن يحيطوا بالظروف التي صحبت هذا الزواج، ودون البحث عن أسباب الجمع لحقدهم على الإسلام ورسول الإنسانية الأعظم، ولعداوتهم المترسخة في سويداء القلوب.

إن تعدد الزوجات ليس أمراً مستحدثاً في الشرع المطهر بل هو أمر قديم قدم الزمان. فقد تحدثنا في ملف الأنبياء أن نبي الله داود كان له مئة زوجة، وكان لنبي الله سليمان كما في التوراة سبعمئة زوجة من الحرائر وثلاثمئة جارية فكيف ينكر أعداء الإسلام تزوج نبينا باحدى عشرة امرأة، إن هذا الشيء عجاب.

أيها الإخوة الكرام: إننا ليوم نقوم بالرد على أعداء الإسلام في الحلقة الرابعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

أيها السادة:

خاض العابثون الحاقدون على هذا الدين بتمويه الحقائق لتشويه الإسلام بالطعن على سيدنا رسول الله بسبب تعدد زوجاته، وهذه عادة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم الذين يفترون الكذب والبهتان، فقالوا: إن هذا التعدد ليس إلا لقوته الجنسية وحبه للشهوة واللذة والمتعة النفسية.

إن هذا الكلام يقلب الحقائق إلى أباطيل مع أبناء الإسلام.

إن تعدد الزوجات بحق نبينا ﷺ ليس كما يقول أعداء الإسلام، إنما هذا التعدد هو رحمة من الله تعالى، ولو كان كلامهم صحيحاً لكان نبينا قد تزوج جميع النساء في مرحلة الشباب مرحلة الشهوة العارمة التي تكون عند الشباب ولكن رسول الله لم يفعل ذلك، تعالوا بنا -معشر الإخوة- نستعرض حياة النبي الكريم بشكل إجمالي.

المتأمل في سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام يرى أنه قضى شطراً من عمره في العزوبة مدة خمسة عشر عاماً، وهي فترة الشباب التي استوفت أفضل شروطه وصفاته، وكان مثلاً للفتوة الإنسانية العربية السليمة، والصحة التي كان له فيها نصيب للنشأة في البادية، والبعد عن أدواء المدينة، وكان متحلياً بأفضل صفات الفروسية والرجولة التي تفاخر بها العرب وتشيد بها النفوس

والأخلاق، ولم يجد أشد أعدائه له مغمزاً في هذه الفترة الحاسمة الدقيقة من حياته قبل النبوة وبعد النبوة إلى هذا اليوم، فكان مثلاً للطهر والعفاف والنزاهة والبراءة والعزوف عن كل ما لا يليق به ﷺ.

وتبدأ المرحلة الجديدة أو الثانية من حياته عندما بلغ خمساً وعشرين سنة، حينما تزوج السيدة خديجة بنت خويلد، وهي أيم (أي سبق لها أن تزوجت) قد بلغت من عمرها أربعين سنة وقد تزوجت قبله برجلين ولها أولاد، وبينه وبينها من التفاوت في السن / ١٥ / سنة على القول المشهور، وقد بقي معها سعيداً لم يفكر في غيرها مدة ثمان وعشرين سنة حتى وفاتها (صلوا عليه).

وحينما بلغ سن الخمسين تنتقل حياته ﷺ إلى مرحلة جديدة أو ثالثة، من سن الخمسين إلى الستين. انتبهوا إلى هذه المسألة إن الجمع لأكثر من واحدة إنما كان لنبينا في سن الكهولة، فهل هذا شهنائي؟! لعن الله من نسب ذلك إلى نبينا، تزوج في هذه المرحلة السيدة سودة بنت زمعة القرشية، ثم السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق، ثم السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم السيدة زينب بنت خزيمة وتوفيت عنده بعد شهرين، ثم السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية وهي آخر نسائه موتاً، ثم السيدة زينب بنت جحش وهي ابنة عمته أميمة، ثم السيدة جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، ثم السيدة صفية بنت حيي ثم السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ثم السيدة ميمونة بنت الحارث وهي آخر من تزوج بهن، والله أعلم.

هؤلاء هن اللواتي يلقبن بأسمى لقب : لقب (أمهات المؤمنين) وهن إحدى عشرة امرأة كما سمعتم، ست منهن من قريش، وأربع عربيات، وواحدة من بني إسرائيل، هذه هي المراحل الثلاث لحياة نبينا، وإن شئتم أن تضيفوا مرحلة رابعة، نعم مرحلة رابعة، وهي أنه منذ السنة الثامنة للهجرة وهي السنة التي نزل فيها عدم تعدد الزوجات لأكثر من أربع لم يتزوج رسول الله أي امرأة أخرى كرامة للمسلمين.

نعم أيها السادة: كان قبل السنة الثامنة من الهجرة يستطيع كل مسلم أن يتزوج ما شاء من النساء، ليس فقط سيدنا محمد ﷺ بل كل مسلم.

فلما نزل التحديد بأربع أي لما نزلت الآية القرآنية: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۚ﴾ النساء: ٣ صار المسلمون الذين عندهم أكثر من أربع يطلقون زوجاتهم الزائدات على العدد تنفيذاً للأمر الإلهي، فهاهو غيلان بن سلمة الثقفي حين أسلم كان تحته عشر نسوة، وهاهو الحارث بن قيس كان تحته ثماني نسوة، فأمرهما رسول الله أن يختارا منهن أربعاً ويفارقا سائرهن.

وأما سيدنا محمد ﷺ فكان الجمع بين تسع نسوة في وقت واحد عند نزول الآية خصوصية من خصوصياته لا تجوز لأحد بالإجماع. إلى جانب عدد من خصوصياته التي ذكرناها قبل جمعيتين، بل إن مولانا أمره بعد نزول الآية الأولى، اسمعوا الأمر الإلهي قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ۚ﴾ الأحزاب: ٥٢ وفي هذا رد على من قال: إن رسول الله أباح لنفسه ما حرم على غيره، لسمع الأفاكون الذين يروجون الأكاذيب لقد كان بوسع كل مسلم أن يتزوج أكثر من أربع خلال السنوات اللواتي تزوج فيهن رسول الله نساءه.

وكان رسول الله ﷺ قد طلق امرأتين قبل الدخول بهما وهما أسماء بنت النعمان الكندية لبياض فيها، ردها بعد أن متعهما بالكسوة، والثانية عمرة بنت يزيد الكلاية كانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت استعادت منه فردها إلى أهلها.

وكان عنده ﷺ إماء (أو جوارى) أو ملك يمين أربعة:

السيدة مارية بنت شمعون القبطية أهداها له المقوقس عظيم القبط، وهي أم ولده سيدنا إبراهيم عليه السلام، وربحانة بنت زيد من بني النضير أسلمت فأعتقها ثم تزوجها، وأخرى وهبتها له السيدة زينب بنت جحش، وأخرى أصابها في السبي.

أيها السادة:

كل هؤلاء النسوة تزوجهن رسول الله ﷺ لأسباب اجتماعية وسياسية وإنسانية ودينية، فقد تحولت بيوتات أمهات المؤمنين إلى مدارس شرعية للمؤمنين والمؤمنات من علم وتهذيب، وأنا أسأل هذا السؤال: هل تكفي امرأة واحدة فقط أو اثنتين أو أربع لجميع نساء المسلمين

لتعليمهم الأحكام الشرعية الخاصة بهم مثلاً: كأحكام الزواج والحيض والنفاس وقضايا الجنازة والطهارة، وإليكم هذا الحديث الشريف الذي يوضح هذا الموقف الذي نحن فيه، إنه حديث رواه الشيخان عن السيدة عائشة رضي الله عنها: أن امرأة من الأنصار سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل، ثم قال: خذي فرصة من مسك (قطعة قطن أو خرقة) فتطهري بها. قالت: وكيف أتطهر بها، (وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها) (م) فاستحيا أن يجيبها وقال: تطهري بها. قالت الصحابية ثانية: كيف. قال: سبحان الله تطهري؟! تقول السيدة عائشة: فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم»

فاستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصرح لها بموضع القطن المطيبة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم، فأفهمتها السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك.

أيها السادة:

كانت نساء النبي خير مبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وخير مرجع بعد وفاته، وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها، يقول عنها إمام علم الرجال والطبقات الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي من القرن الثامن الهجري في كتابه المشهور «تذكرة الحفاظ» يقول عن السيدة عائشة: «كانت أكبر فقهاء الصحابة، كان فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها» ويروى عن قبيصة بنت ذؤيب قالت: كانت السيدة عائشة أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة. وقال أبو موسى: ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

وقال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بالنسب من عائشة رضي الله عنها.

لقد ساهمت أمهات المؤمنين برواية السنة المطهرة، أمهات المؤمنين الراويات الثقة المقطوع لهن بصلتهن بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصدقهن في الرواية عنه، إن علماء الإسناد والرواية ذكروا أن عدد الأحاديث التي رويها نساء النبي صلى الله عليه وسلم قد تجاوزت ثلاثة آلاف حديث، أكثرهن روته السيدة عائشة حيث روت أكثر من ألفين حديث.

إن أمهات المؤمنين كن أعواناً لبنينا على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وتعليم المسلمين دينهم ذكوراً وإناثاً. لقد كن يرافقه في الحروب والغزوات فيداوين الجرحى ويمرّضن المرضى، ويشرن بالخير، ويواسين في الشدة، وهن قام نحو ثلث الدين، مما يتعلق بحياته المنزلية والعشرة وملاحظة الأهل وكيفية معاملة الأطفال والنساء، وكثير من الأحكام تعلمها المسلمون منهن وحفظوه ونشروه. وهو القائل ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (صحيح) (صلوا عليه) هذا من الناحية الدينية، فما هي الناحية السياسية؟

أيها السادة:

كان معروفاً عند العرب المصاهرة بين القبائل لكسب تأييدها، وهكذا فعل رسول الله ﷺ مع القبائل كان يصاهرها ليجد منهم التأييد المطلق وليدخلوا جميعاً في الإسلام، إني وأنا على هذا المنبر أعلنها عالية، لقد كان الحبيب الأعظم أعظم رسول سياسي محنك ويكفيه عظمة أنه كان ينظر بعين الوحي أو النبوة.

لم يخلق الرحمن مثل محمد بين الورى بشرأعلى الاطلاق
كلا ولا عرف الخلائق قدره ما فوقه حقاً سوى الخلاق
ماذا أقول بوصفه ومديحه وسناه دوماً باهر الإشراف

وأكبر مثال على هذا الكلام ما حدث لقوم السيدة جويرية بنت الحارث، التي كانت عند ثابت بن قيس وجاءت النبي الكريم تستعين على كتابتها فقال: أدلك على خير من ذلك؟ أقضي عنك وأتزوجك، ففرحت. وأقبل الناس فأطلقوا قومها من الأسر والرق وكانوا أكثر من مئة بيت، لأنهم أصبحوا أصهار رسول الله فدخلوا جميعاً في الإسلام وهم راضون، وجاء أبوها يفديها فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نبي الله (ق).

ويذكر ابن هشام أن أباهما صاح: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم.

وكذلك نقول: بزواجه من السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان التي خطبها النبي من النجاشي ملك الحبشة بعد أن تنصر زوجها، وحينما بلغ أبو سفيان خبر زواجها من سيدنا محمد، أتدرون ماذا قال: قال: هو الفحل لا يقدر أنفه، أي هو الكفء الذي لا يماثله أحد، وكانت

هذه المصاهرة من العوامل التي دفعته للدخول في الإسلام (أحمد ٦ / ٤٢٧ - د ٢ / ٥٣٨ - ن ٦ / ١٩٦ - حا ووافقه).

(خ) وأما زواجه عليه الصلاة والسلام من صفية بنت حيي بن أخطب سيّد قومه بعد أن أسرها المسلمون بعد قتل زوجها في خير سنة سبع هجرية، فإن رسول الله تزوجها رغبةً في تحريض اليهود على اعتناق الإسلام أو تخفيف عداوتهم، وقد خيرها بعد عتقها أن يتزوجها أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، وانتبهوا معشر السادة هذه المصاهرات كلها لكسب تأييد القبائل أضيفوا إلى ذلك:

وزواجه من حفصة بنت عمر من بني عدي.

وزواجه من زينب بنت جحش من بني أسد.

وزواجه من أم سلمة من بني مخزوم.

وزواجه من ميمونة بنت الحارث من بني هلال.

وزواجه من سودة بنت الحارث من بني عامر بن لؤي.

كله يدل على أنه كان يستهدف مصاهرة القبائل ليكتسب تأييدها من أجل الإسلام، بل كان زواجه أحياناً بأكثر من واحدة أو أربع لاكتمال التشريع كزواجه من السيدة زينب بنت جحش فقد كان تزوجه بها لا يبطال عادة التبني التي كانت متبعة في الجاهلية.

ومنهن من تزوجها رسول الله للرحمة بهن حيث كن لا يجدن من يرعاهن ويقوم على شؤونهن كسودة بنت زمعة وأم سلمة المخزومية، أم سلمة المخزومية تزوجها رسول الله رغم أنها أكبر منه سنّاً لأنها كانت ذات أيتام لحرض النبي ﷺ على رعاية الأيتام وكفالة الأرامل وتعزية

المصابين وقد أنزل الله عليه ﷺ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧

وأما الصديق والفاروق فقد تزوج رسول الله من ابنتيهما ليكافئهما على شدة صحبتهما ودفاعهما عن الإسلام، فنال كل واحد منهما الوسام الأعظم: عم رسول الله (صلوا عليه).

أيها الإخوة الكرام:

إن المستعرض لحياة نبينا ﷺ يرى أن حياته مع أمهات المؤمنين لم تكن حياة ترف ورفاهية وتوسع في المطاعم والمشارب وخفض العيش، وتلك غاية تعدد الزوجات في نظر كثير من الناس،

بل كانت حياته حياة زهد وتقشف وإيثار وقناعة، لا يطيقها أعظم الرجال وكبار الزهاد في القديم والحديث، وحسبكم أيها الإخوة - أن تقرؤوا قول مولانا عز وجل:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ﴾ (٢٨) وَلَئِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ (٢٩) [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩] اللهم هذه لتربية الإلهية والنبوية لأمهات المؤمنين، أتدرون ماذا اخترن كلهن (قولوا ﷺ) لقد اخترن جميعاً وبدون تلكؤ الله ورسول والدار الآخرة، وإليكم هذا الجواب الذي أجابت به السيدة عائشة حين استدعاها رسول الله وسألها بعد أن تلا عليها هذه الآية، قال لها: لا عليك ألا تستعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت له: أفني هذا استأمر أبوي؟ أشهد يارسول الله أنني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (خ ٤٧٨٦).

هذا الجواب كان من فضائل أمهات المؤمنين، فما هي بقية الفضائل؟
أعلق هذا الجواب لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى.
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

-٦٥-

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً، وعظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأ فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿٣٢﴾ وأنشأ من عباده لا شريك له مدح أنبياءه ورسله الكرام فقال مخاطباً نبينا محمدًا ﷺ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ﴿٣٨﴾ الرعد: ٣٨

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله قال له مولانا: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ النَّبِيَّاتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَلِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلْنِكَ النَّبِيِّاتِ هَاجِرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الأحزاب: ٥٠

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً.

أيها السادة:

قبل أن أدخل في موضوع حلقتنا اليوم أريد أن أرفع التحية للقائد الأعلى للأمة، لفخر الكائنات وعظيم السادات سيدنا ومولانا محمد بمناسبة ذكرى مولده الشريف الذي عطر الأكوان وشرف بمولده كل مخلوق من الإنس والملك والجان سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

فاتحت بعاطر ذكرك الأيام وتفاخرت بجهادك الأعلام

أثنى عليك الله في قرآنه
 فاهناً فأنت السيد المقدم
 كنت قد علقت معكم في الجمعة الماضية سؤالاً حول فضائل أمهات المؤمنين زوجات نبينا ﷺ
 ونحن اليوم نجيب بعون الملك المعبود عن هذا السؤال مع الحلقة الخامسة والستين من سلسلة
 القضايا الايمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد.
 لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة
 الأحزاب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَنْسَاءَ اللَّيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ أَتَقَيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
 فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٤﴾ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي
 بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٥﴾ الأحزاب: ٣٢

- ٣٤ -

أيها السادة الكرام:

المراد بأهل البيت في هذه الآيات الكريمات: أزواج وأولاد وأحفاد وذرية سيدنا محمد ﷺ وقد
 نص بعض العلماء أن أولاد نبينا السبعة هم أفضل من جميع الصحابة رضي الله عنهم جميعاً فقد سئل إمام
 دار الهجرة الامام مالك: من هو أفضل، الصحابة أم أولاد سيدنا محمد ﷺ ومنهم السيدة فاطمة؟
 فقال: «لا أفضل على بضعة رسول الله أحداً»

وقد وقفت فيكم اليوم لأسعد معكم بالحديث عن أهل البيت وفضائلهم، آل البيت الذين
 أمرنا بمودتهم ومحبتهم وإيكم هذا التوجيه الالهي: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
 الْقُرْبَىٰ ۝٢٣﴾ الشورى: ٢٣ قل لا أسألكم على تبليغي الشرع المطهر إلا أن تودوا قرابتي
 وتصلوهم وتحترموهم لأني أبوهم وجدهم (ياسعد من صلى عليه).

إننا اليوم في صدد الحديث عن نذكرهم في كل صلاة بعد صيغة التشهد فنقول: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد» والآل هم بنوه من الصلب ومنهم أزواج وأولاد النبي ﷺ:

أما أزواجه فهن أمهات المؤمنين اللواتي لا يجوز نكاحهن بعد نبينا ﷺ لأن لهن فضلاً خاصاً على نساء زمانهن، وبهذا جاء التصريح بالدستور الأعظم لأمة سيدنا محمد ﷺ:

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ ﴾

﴿ الأحزاب: ٥٣ ﴾ / بل لهن جاةٌ عظيم عند الله في الآخرة، اسمع إلى حبيبك سيدنا رسول الله وأنت تصلي عليه يقول: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم

بنت عمران وآسية بنت مزاحم» قولوا ﷺ: ولهذا يقول عز من قائل: ﴿ أَلَيْسَ أَوَّلَى

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ﴿ الأحزاب: ٦ ﴾ فهن أمهات الرجال دون

النساء على الراجح، لأن فائدة الأمومة في حق الرجال وهي النكاح مفقودة في حق النساء، قالت امرأة للسيدة عائشة رضي الله عنها مرة: يَا أُمَّه. فقالت لها: «أنا أم رجالكم ولست أم نساءكم»

فإن كانت الأمومة للاحترام والتعظيم فهي موجودة أيضاً في النساء في هذا المعنى تقول السيدة أم سلمة: «أنا أم الرجال منكم والنساء»

وحين تلوت هذه الآية مرة على بعض التلامذة سألت سؤالاً، قال: وهل يقال له ﷺ أبو المؤمنين؟ وقد أصاب علماء المذهب الشافعي أنه لا يقال ذلك في الأصح. لكن طائفة من الصحب الكرام منهم أبي بن كعب وجدي سيدنا عبد الله بن عباس كان يقرؤون هذه الآية على الشكل التالي:

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم} /الأحزاب: ٦ (قراءة شاذة/)، واستأنسوا عليه بحديث صحيح رواه الإمام أبو داود (حسن) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم: فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها... الحديث» لكن الصحيح المقطوع به في المذهب الشافعي أنه لا يقال ذلك لقوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﴾^{٤٠}

الأحزاب: ٤٠

أيها السادة:

ومع كون أزواج نبينا أمهاتٍ للمؤمنين فلا تجوز الخلوة بهن ولا رؤيتهن أو سؤالهن إلا من وراء حجاب، هذه القواعد قررها رب العزة حفاظاً على أهل بيت نبينا وتربية لهن ورعاية لشأنهن ومقامهن العالي، ولهذا اسمعوا إلى القرار الإلهي: ﴿

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ^{٤١}﴾^{٥٣} الأحزاب: ٥٣ فلا يجوز لهن كشف وجوههن وأيديهن حتى للشهادة وغيرها،

ولا اظهاراً شخوصهن وإن كن مستترات إلا لضرورة خروجهن لقضاء الحاجة، فكثيراً ما إذا قعدن للناس جلسن من وراء حجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن، ولما توفيت السيدة زينب جعلوا لها قبة فوق نعشها لستر شخصها.

وإليكم هذا المشهد الذي حدث لما نزلت آية الحجاب على أمهات المؤمنين، فقد خرجت السيدة سودة وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها سيدنا عمر، (الله درك يافاروق)، ناداها قائلاً:

- ياسودة أما والله لا تخفين علينا فانظري كيف تخرجين (خ).

فانكفأت أم المؤمنين الثانية في دخولها بيت النبوة راجعة إلى رسول الله ﷺ وأنه ليتعشى فقالت:

- يارسول الله خرجت لبعض حاجتي فقال عمر: كذا وكذا، فأوحى الله تعالى إليه وإن اللحم في يده ما وضعه فقال ﷺ:

- قد أُذِنَ لَكَ أَنْ تَخْرُجِي لِحَاجَتِكَ.

ولأجل هذا لما حج سيدنا عثمان وابن عوف بأزواج النبي الكريم في السنة التي توفي فيها سيدنا عمر، فكان سيدنا عثمان وعبد الرحمن يحجبهن، يسير عثمان أمامهن فلا يترك أحداً يدنو منهن ولا يراهن إلا من مد البصر، وسيدنا عبد الرحمن خلفهن يفعل مثل ذلك، وفي رواية: «فإذا دنا منهن أحد يصيح عثمان على راحلته: إليك إليك، وهن في الهوداج، وكان ينزل بهن في الشباب ولا يتركان أحداً يمر عليهن»

كان كل ذلك -أيها الإخوة- تنفيذاً للأمر الإلهي القديم القائل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٣٣) ولها رأينا الحبيب الأعظم يجمعهن طارئاً ويلقي عليهن بياناً هاماً، قال لمن: «أيتكن اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت ظهر حصيرها (بيتها) فهي زوجته في الآخرة»
أيها السادة:

الأمر إذاً جدٌ خطير، والخطب جَلَلٌ فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، فنحن اليوم ننزل زائرين على سيد الأنبياء والرسل الكرام (فأرسلوا تحيتكم للحبيب الأعظم)، وهاهن أمهات المؤمنين مجتمعات جميعاً يناقشن أمراً هاماً مع سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود، وفي خضم هذا الاجتماع طُرق الباب، من هذا؟ قال: أبو بكر يستأذن بالدخول، قال: فلم يؤذن له. ثم طرق الباب ثانية: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب. قال: فلم يؤذن له. قال الراوي بإسادة ياكرام: والناس جلوس بباب المصطفى (صلوا عليه)، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا.

أيها السادة: أرى الآن سيد الكائنات جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، ونظر الصديق والفاروق إلى الجالسين وساد الموقف وجوم لدقائق. قال سيدنا عمر في نفسه: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال: - يارسول الله! لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتني النفقة أنفأ فوجأت عنقها. وهنا ضحك نبينا حتى بدت نواجذه وقال: هن حولي يسألني النفقة. فقام سيدنا أبو بكر ﷺ إلى عائشة ليضربها وقام سيدنا عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده (خ).
أيها السادة:

فمن هو الذي حسم الموقف، إن الذي حسمه الله رب العالمين، إذا بسفير الأنبياء أمين وحي السماء يطوي السبع الطباق وينزل على حبيب الله ومصطفاه بأية عظيمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمِثْلُ خَبْتٍ أَمْتِعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ^{الأحزاب: ٢٨-٢٩} قل فبأمر الله بالسيدة عائشة فقال: إني ذاك لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك؟ قالت: وما هو؟ قال فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نساءك ما اخترت. فقال I: إن الله تعالى لم يعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني امرأةً منهن عما اخترت إلا خبرتها# هذه رواية الامام مسلم، وفي رواية الامام البخاري قال: «ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة ^{عليها السلام}» (خ ٥٢٦٢).
أيها السادة:

فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وعظهن مولانا واطر ذلك في كتابه، إن رب العزة خاطب نساء نبينا وعُدَّ هذا من فضائلهن اسمعوا الخطاب المكرم:

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْلَعُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُورَتْهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ^{الأحزاب: ٣٠ - ٣١}

المراد بالفاحشة المبينة (النشوز وسوء الخلق) فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلاً صيانةً لجنابهن الرفيع، وانظروا إلى قول مولانا { وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا } /الأحزاب: ٣١/ أي في الجنة فإنهن في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش كما قال ابن كثير الدمشقي.
أتعلمون معنى هذا -أيها السادة- معناه كما قاله بعض العلماء أن أمهات المؤمنين مقطوع لهن بدخول الجنة، ويكفيهن فخراً أن القرآن الكريم كان ينزل في بيوتهن، ولهذا امتن الله به عليهن في كتابه فقال عز وجل:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ ^{الأحزاب: ٣٤} أذكرن هذه النعمة التي خصصن بها من بين النساء أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وكانت أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه النعمة

وأخصهن من هذه الرحمة السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق، فإنه لم ينزل على رسول الله الوحي في فراش امرأة سواها كما حدّث به سيدنا مُجَدِّد (صلوا عليه).

ومن فضائلهن أن بعضهن زوّجهن مولانا عز وجل من عليائه فدخل عليهن بغير عقد مما تعارف عليه الناس، وإليكم هذه الآية التي تزوج رسول الله على أثرها من السيدة زينب بنت عمته ﷺ قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] فكانت السيدة زينب تفخر على أزواج رسول الله فتقول زوّجكن أهاليكن وزوجني الله من سبع سموات (خ).

فكان لأمهات المؤمنين المقام العالي، بل أيضاً لأهاليهن أيضاً لهم منزلة عند مولانا، ولا يدخلون النار لأن صهرهم سيدنا رسول الله ﷺ، اسمع إلى الحبيب الأعظم يقول: «لا يدخل النار من تزوج إلي أو تزوجت إليه» وفي رواية (حا): سألت ربي عز وجل ألا أزوّج أحداً من أمتي ولا أتزوّج إلى أحد من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني» (ابن عساكر).

ولذلك سارع سيدنا عمر رضي الله عنه فخطب إلى علي ابنته السيدة أم كلثوم فتزوجها عمر، ثم راح إلى المهاجرين وقال لهم: ألا تهنئوني بأمر كلثوم ابنة فاطمة، سمعت رسول الله يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سبي ونسبي فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله سبب ونسب»

أيها السادة الكرام:

ومن أعظم فضائلهن وجوب محبتهم ﷺ وقد وردت الأحاديث المستفيضة في وجوب حب آل البيت النبوي فقد روي: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته، وتكون أهلي أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»

بل ورد في الحديث: «لا يبغيضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»

وفي الحديث: «والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم الله ولقرايتهم مني» (ت- أحمد صحيح).

اللهم اشهد بأننا نحب أهل بيت نبيك الأعظم ﷺ فهل تشهدون أيها الاخوة قولوا نعم الله فاشهد.

إليكم كل مكرمةٍ تؤوّلُ	وكلُّ مهمةٍ بكمُ تزوّلُ
كفاكمُ يابني الزهراءِ فخرًا	إذا ما قيل جدُّكم الرسولُ
أبوكمُ فارس الهيجا عليّ	وأمكمُ المطهرةُ البتُولُ
وأنتم ملجأ اللاجين دُخْرًا	وفي التنزيل مَدْحُكُمْ جليلُ
إذا افتخر الأنام بمدح قوم	بمدحكم تشرف جبرائيل
أيها السادة:	

فكيف كان رسول الله بين نسائه؟ هل كان في بيته بصفة وبين أصحابه بصفة أخرى؟ ما هي أحكام تزوجه ﷺ؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

مع أزواجه أمهات المؤمنين

-٦٦-

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال، وبكرمه وجوده تدرك الآمال، وعلى وفق مشيئة تتصرف الأفعال، وبإرادته تتغير الأحوال، وإليه المصير والمرجع والمآل، سبحانه هو الباقي بلا زوال، المنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش والمعارج والطول والإكرام والجلال.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله ونبیه، وخیرته من خلقه وصفیه، وخلیله وولیه وحبیه المفضل.

اللهم صل وسلم وبارک على سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيأحياه الإسلام وحراس العقيدة.

نشأت مشكلة تعدد الزوجات في حياة نبينا سيدنا مُحَمَّد ﷺ في الغرب الأعمى، وشغلت عقول كثير من الباحثين الغربيين وأقلام الكتاب المستشرقين، وكثر التساؤل عنها بسبب إخضاعهم الحياة الزوجية في بلاد العرب وبين المسلمين في عصر النبوة للقيم والتصورات والأعراف الغربية، بل إنهم سلطوا الموازين والمقاييس الغربية الفاسدة على المقاييس الصحيحة التي كانت سائدة في البيئة العربية والإسلامية، وتلك نقطة ضعف في التفكير الغربي وفي الكتابات الغربية فيجعلون الغرب هو الميزان، ثم يطلقون أحكاماً قاسية على كل ما جانب أحوال الغرب أو اختلف عنه، فإذا بهم يخلقون مشكلة ثم يعاجونها على ضوء رأيهم الفاسد، وما هي إلا نتيجة كبريائهم وتقديسهم الزائد للقيم والمثل الغربية، ولذلك نجد واحداً من أبناء جلدتهم ويتكلم بلغتهم يحكم عليهم بأنهم قد غلطوا في ذلك وذهبوا به مذهباً بعيداً، إنه الناقد الغربي الانكليزي بوب دلي، الذي قال في كتابه «مُحَمَّد الرسول» (ﷺ):

«إنه لا داعي إلى قياس حياة مُحَمَّد (ﷺ) الزوجية بالمقاييس الغربية ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد والقوانين التي سنتها المسيحية في الغرب، فلم يكن أولئك الرجال - العرب - غربيين ولا مسيحيين، إنما نشؤوا في بلاد وفي عصر كان يسود عليه نظامهم الخلقي الخاص، ثم قال:

ورغم كل ذلك لا مبرر لتفضيل النظام الخلقي الأمريكي أو الأوروبي على النظام الخلقي العربي، إن الغربيين لا يزالون في حاجة إلى بحث دقيق وتمحيص كبير لتفضيل نظامهم الخلقي وطريقة حياتهم على غيرهم، فعليهم أن يتجنبوا الطعن في ديانات أخرى ومدنيات أخرى».

هذا كلام رجل منهم يشهد عليهم ورحم الله من قال: «والفضل ما شهدت به الأعداء».

أيها السادة:

إننا مع الحلقة السادسة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وعنوان هذه الحلقة «الْعَيَرَةُ بَيْنَ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ» ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ.

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لَمْ تَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ نُنَبِّئُكَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَذَكَّرْنَ



وَأَبْكَارًا

تَيَبَّتْ

سَيِّحَتِ

عَنِيْدَاتِ

التحريم: ١ - ٥

أيها الإخوة الكرام:

أحلَّ الله لنبيه الكريم صنوفاً من النساء:

- ١ - صنفاً يدفع لهن المهور، وهن: المهورات.
- ٢ - وصنفاً يتمتع به بملك اليمين، وهن: المملوكات.
- ٣ - وصنفاً من أقربائه من نساء قريش ونساء بني زهرة، وهن: المهاجرات.
- ٤ - وصنفاً رابعاً ينكحه بدون مهر، وهن: الواهبات أنفسهن.

وهذا كله خصوصية له ﷺ لم يشاركه فيها أحد، وذلك توسعة على خير البرية وتيسيراً له في نشر الرسالة وتبليغ الدعوة، فتزوجه ﷺ بأكثر من أربع، واختصاصه بنكاح الواهبات أنفسهن بدون مهر وعدم وجوب القسم عليه بين الأزواج كل ذلك خاص به صلوات الله عليه وتشريفاً له وتكريماً وإظهاراً لمقامه السامي عند الله تعالى، لذلك اسمع إلى السيدة عائشة ؓ وعن أبيها تقول (م): كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ (كأم شريك وخولة بنت حكيم وليلى بنت الخطيم ولكن لم يكن عند رسول الله منهن أحد (ابن عباس ومجاهد)) وأقول: أما تستحي امرأة أن تهب نفسها لرجل؟! حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ الأحزاب: ٥١ .

هذا هو الأمر الإلهي الذي أذن الله فيه لنبيه ليتخير أن يفعل مع زوجاته ما شاء، ولا إثم عليه في هذا التخيير. أتعرفون ماذا قالت السيدة عائشة ؓ (خ ٤٧٨٨). قالت: «لما نزلت هذه الآية قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك» أي في رضاك، صلوا على هذا النبي ﷺ ، صلوا على من آتاه الله خلقاً رفيعاً ومجداً وفخراً. فكيف كان رسول الله بين نسائه ؓ؟ هل كان يدخل عابساً ويخرج غاضباً، إن أحد الأدباء قال في المرأة الصالحة: «إنها التي يخرج زوجها من عندها كارهاً (كارهاً للخروج) ويعود إليها والهاً» وهكذا كانت نساء نبينا ﷺ فهذه السيدة خديجة التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها، وكان دائم الذكر لها والاعتراف بفضلها، وربما إذا ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها إلى صديقاتها.

ورغم أن الراجح أنه ﷺ لم يكن القسم واجباً عليه بين نسائه، فلا يفترض عليه أن يبيت ليلة عند كل واحدة منهن، رغم ذلك كان يعدل بينهن في البيتوتة والنفقة. وكان إذا بات عند واحدة في غير ليلتها يدور على نسائه جميعاً (صلوا عليه).

وكان في منزله بشراً من البشر بل هو سيد البشر.

مُحَمَّدٌ بَشَرٌ وَلَيْسَ كَالْبَشَرِ بل هو ياقوتة والناس كالحجر

تقول عنه السيدة عائشة: كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ومرة قالت: «كان يرقع الثوب ويخصف النعل» وقالت حينما سئلت ما كان رسول الله يصنع في أهله؟ أجابتهم: «كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة». ثم وصفته فقالت:

كان ألين، الناس، وأكرم الناس، وكان ضحاكاً بساماً» (ض) «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه (م ٢٣٢٧).

ما ضرب بيده خادماً قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله. وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

ووصفه أصحابه فقالوا: (أنس): ما رأينا أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ .

(أبو هريرة رضي الله عنه): وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه.

وهكذا ترون -معشر السادة- كيف أتم الله خلق نبينا وخلقاه وإليه المنتهى في اعتدال الفطرة وسلامة الذوق ورقة الشعور، يقول عنه سيدنا أنس: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي شيء فعلته لم فعلته ولا شيء تركته لم تركته، فإن قيل له لم فعلت يقول لهم ﷺ: دعوه لو قدر كان (م).

وهذا ما دعا البوصيري رحمه الله لأن يقول:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

فَإِنْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيَعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

يَاسْعِدُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ﷺ.

أيها السادة:

كان هذا فعل سيدنا رسول الله مع زوجاته، فكيف كُنَّ معه، هل كانت تقع بينهن ما يقع بين الضرائر؟ إن من يتأمل حياتهن معه يجد أنهن كن حزينين: حزن السيدة عائشة وسودة وحفصة وصفية، وحزن السيدة أم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وميمونة وجويرية.

وسبب تشكل هذين الحزين بينه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة إلا في تسع (من الليالي والأيام) إلا يوم وليلة تجيء نوبتها. يعني يشق ذلك عليهن إذا لم يجتمعن بالنبي ﷺ ولم تره كل واحدة منهن إلا في تسع ليال، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها (أي صاحبة النوبة).

أيها السادة الكرام اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية إلى صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر، إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ونحن اليوم نزل زائرين على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فإن دورها في مبيت رسول الله عندها هذه الليلة، وهاهن أمهات المؤمنين يزرنها في ليلتها، وكان في بيوته ﷺ لا يوجد إنارة إلا على ضوء الليل نجومه والقمر، فإذا بسيد الخلق يمد يده إلى السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، فقالت السيدة عائشة:

- هذه (أي التي مددت يدك إليها) زينب وليست النوبة لها.

قال: فكف النبي ﷺ يده، فتناولتا: أي صار بين السيدة عائشة الصديقة والسيدة زينب رضي الله عنهما مقالة، فكانت كل واحدة منهما ترد القول على صاحبتها وتنتصر لنفسها، ورسول الله موجود، حتى أصبحنا أي ارتفع صوتهما بالخصام. وهذا كله بجوار المسجد لأن حجراتهن كانت ملاصقة للمسجد. وحجرة السيدة عائشة هي المكان الموجود اليوم والمدفون فيه من تحبون أن تصلوا عليه. يقول أنس: وأقيمت الصلاة فمر الصديق أبو بكر رضي الله عنه على ذلك فسمع أصواتهما، فجعل النبي يردّ بعضهن عن بعض لئلا يسكرتهن عن الصخب والضجة. فقال أبو بكر لسيدنا النبي: احث يارسول الله في أفواههن التراب واخرج إلى الصلاة.

قال الراوي ياسادة ياكرام:

فخرج النبي ﷺ وقالت السيدة عائشة: الآن يقضي النبي صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل ويفعل، تعني أنه يهددها لأجل ما تكلمت به في حضرة النبي ﷺ. فلما قضى صلاته أتى الصديق إلى ابنته السيدة عائشة فقال لها قولاً شديداً وقال: أتصنعين هذا في حضرة النبي ﷺ.

وطبعاً إنما فعل الصديق أبو بكر هذا غيرةً واحتراماً للنبي ولمنصبه الشريف وحماية ورعاية لعلو درجة النبوة، وفخامة شأنها، وأنه لا يحسن ولا يجمل بنسائه أن يصخب وترتفع أصواتهن في حضرته الشريفة I، وقد قال رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۚ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) الحجرات: ١ - ٣

أيها السادة الكرام:

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد لأن السيدة عائشة اتفقت مع السيدة حفصة بنت سيدنا عمر أن تكيدا للسيدة زينب فما هو خبر هذه المكيدة؟

كان النبي يشرب عسلاً عند السيدة زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت السيدتان على أنه متى أتى النبي عند واحدة منهما أن تقول له: أكلت لحم مغافير، إني أجد منك ريح مغافير. (وكان ﷺ يشد عليه أن يوجد منه الريح الخبيث أو الكريه).

وكان ﷺ إذا انصرف من صلاة العصر دخل على إحدى نساءه، فكان أن دخل على إحداها فقالت ذلك. فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً (خ). وهنا أنزل رب العزة عليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۚ تَبْغِي مَرَصَاتٍ ۚ أَزَوَّجَكَ (١)﴾ التحريم: ١ ثم أمر السيدتان عائشة وحفصة بالتوبة ﴿إِنْ نُؤْيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ التحريم: ٤

أيها السادة الكرام:

فماذا كانت النتيجة لمثل هذا الذي كن يفعله ﷺ، كانت النتيجة أن هجرهن جميعاً قريباً من شهر.

فعن عمر (أحمد) قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم. قال: فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني. فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

إذاً بسيدنا عمر يذهب إلى ابنته السيدة حفصة ويعنفها ويقول: قد خاب من فعل منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت. ثم قال لها: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم (أجمل) وأحب إلى رسول الله منك.

لكن الأمر ازداد سوءاً فإذا بالخبر ينتشر بين الصحابة أن رسول الله طلق نساءه. فقال سيدنا عمر: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً. ونزل إلى ابنته فدخل عليها وهي تبكي فسألها: أطلقك رسول الله فقالت: لا أدري. فقال سيدنا عمر: عسى ربه إن طلقك أن يبدل أزواجاً خيراً منك... (خ). هو هذا معتزل في المشربة. فأسرع الفاروق يستأذن بالدخول على رسول الله فلم يأذن له فلما كرر الاستئذان أذن له.

أيها السادة:

إننا هناك فأصغوا إلي بأسماع أفهامكم وصلوا على سيدنا رسول الله يقول عمر: فدخلت على رسول الله فإذا هو متكئ على رملٍ حصير قد أثر في جنبه. فقلت: أطلقت يارسول الله نساءك؟ فرفع الحبيب رأسه إليه وقال: لا. وهنا كبر سيدنا عمر ﷺ فقال: الله أكبر. وراح يحاول أن يسري عنه ويجعله يبتسم، حتى ابتسم ﷺ واستأنس بحديث سيدنا عمر. وكان أقسم ألا يدخل على نساءه شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل. فقال سيدنا عمر ﷺ:

- يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. فإذا برز العزة ينزل قرآناً يؤيد سيدنا عمر ويصدق كلامه قال تعالى:

﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۖ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَقْتُمْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ فَنَنْكِحَنَّ عِبْدَاتِ سَخَّحَتْ ثِيَابُكُمْ وَأَبْكَرًا ۚ﴾ التحريم: ٤ - ٥

وهكذا معشر السادة الكرام:

يدافع مولانا عن نبيه ويؤيده بملائكته الكرام، فمن هي أم المؤمنين الأولى، من هي أم أولاده ﷺ وما الذي أجرى الله على يديها من الخير.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

السيدة خديجة

-٦٧-

الحمد لله الذي أثار الوجود بطلعة خير البرية، سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، قمر الهداية، وكوكب العناية الربانية، مصباح الرحمة المرسله وشمس دين الإسلام، من تولاه مولاه بالحفظ والحماية والرعاية السرمدية، وأعلا مقامه فوق كل مقام. وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين ذوي المراتب العلية فكان للأولين مبدأً وللآخرين ختام.

وأشهد أن الله فرد يعبد وأن خير خلقه مُحَمَّد رسوله المتمم المجدد وكل من صدقه مخلد بغير شك في جنان الخلد.

نبيّ أتاناً بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فحذرنا ناراً وبشر جنّة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

تعاليت رب العرش عن قول جاحد فيايك نستهدي وإياك نعبد

وشد له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا مُحَمَّد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا.

أما بعد فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة:

يتحامل كثير من الحاقدين والمغرضين والشعوبيين على العرب، ويتهمونهم ظلماً وعدواناً بصفات لا تمت إلى الإنسانية بصلة، وليت هؤلاء المتحاملين والحاقدين اقتصروا بنسبة هذه

الصفات الذميمة على بعض أفراد من العرب إذاً لفعلوا شيئاً من الإنصاف والحق، وكان العرب كغيرهم من كل أمة من أمم الدنيا لا يخلون من أفراد يتنكبون الجادة، يبتعدون عن كريم الخلق وسبيل المجد، ولا يعيب ذلك الأمة العربية ولا ينقص من مجدها وكرامتها ومكانتها، لأن الحكم على الأمة بالعظمة والمجد والخلود، أو بعكس ذلك، إنما يكون بالنظر لمجموعها ولنظمها وتقاليدها العامة، وإننا لدى البحث الدقيق والنظر المنصف نجد أن العرب قد انطوا في مجموعهم على كثير من خصال الخير والبر والكرم والنجدة وحتى الرحمة والعطف والحنان والرفاة باليؤساء.

إننا اليوم بصدد عرض نموذج من أفراد هذه الأمة العربية الخالدة يعبر عما يكمن في نفوسها من خير وبر وهدى وتقى وإيمان، هذا النموذج الذي سأقدمه لكم ستجدونه في شخص امرأة عاشت في فترتين من الزمن، وأدركت عهدين مختلفين: عهد جاهلية قائمة مظلمة. وعهد إسلام مشرق وضاء.

هذه المرأة هي السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ.

إنها السيدة التي نالت لقبين عظيمين، نالتهما عن استحقاق وجدارة:

اللقب الأول: هو ما كان يصفها به العرب معاصروها:

سيدة قريش الطاهرة

واللقب الثاني: هو ما وصفها به مؤرخو الرومان:

إمبراطورة الصحراء (١)

أيها السادة: إننا مع الحلقة السابعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة: نحن اليوم نزل زائرين على هذه السيدة الطاهرة أعني:

السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة من قريش، تلتقي في نسبها مع رسول الله في جده الرابع قصي بن كلاب. وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم واسمه جندب بن هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي من قريش أيضاً.

ولدت بمكة عام ٥٥٦م الموافق عام ٦٨ قبل الهجرة.

وكان أبوها من أشرف مكة وموسريها، وزاد شرفاً عندما حالف بني عبد الدار، ثم مات في حرب الفجار وعندما بلغت السيدة خديجة سن الزواج تزوجها أبو هالة النباش من زرارة من تميم وأنجبت منه ولداً هو هالة، ثم مات أبو هالة فتزوجها عتيق بن عابد من مخزوم وولدت له بنتاً هي هند ثم لم يلبث عتيق أن مات عنها، فعاشت الأرملة الشريفة الغنية الجميلة متفرغة لتربية أولادها، متاجرة في مالها، وكانت معروفة بالحزم وجودة الرأي ورجاحة العقل والعفة والطهارة والشرف والعطف والمواساة.

يضاف إلى هذا أنها كانت تتمتع بشهرة واسعة في الشام والعراق وفارس والروم لعراقة بيتها في الشرف من ناحية، ولاستيلائها على تجارة العطور والديباغ والحريز في الهند واليمن وبلاد الفرس من ناحية أخرى.

وكانت قوافلها التي تعدُّ عشرة آلاف من الجمال تنقل التجارة إلى أسواق البلاد الهندية فيقبل تجار هذه الأسواق على شرائها واقتنائها، بل لقد كان للسيدة خديجة عمال من الروم والغساسنة والفرس في دمشق والحيرة والقسطنطينية وفي عاصمة كسرى.

وكانت تسكن بيتاً فخماً في مكة مؤلفاً من طابقين، وقد كثرت فيه النوافذ والشرفات المصنوعة من المرمر وأحدقت به أبراج من القرميد الأحمر تماثل أبراج القصور في الهند وفارس، وقد خصص في هذا البيت أمكنة للضيوف ورجال القوافل الذين كانت تستأجرهم ليصبحوا تجارها إلى الشام وإلى العراق ولم يكن في مكة بيت يماثل بيت السيدة خديجة في العظمة والأناقة إلا بيت عبد الله بن جدعان شيخ القرشيين إذ ذاك وزعيمهم.

أيها السادة:

بعد كل هذا الجاه العريض والثروة الضخمة أسأل هذا السؤال: هل كان هذا الجاه العريض حاملاً لخديجة على الكبرياء والعظمة والترفع والأنانية؟

إنني وأنا أطلع الصفحات المشرقة من تاريخ هذه السيدة الطاهرة لأراها في حياتها قبل الإسلام محسنة إلى البائسين، تعطف على الفقراء والأيتام والمعوزين، تراهم يغشون دارها حاملين أبناءهم الجياع، فلا تتردد تلك المرأة الشريفة في قبولهم ورعايتهم والإحسان إليهم.

إنني أستطيع أن أقول من خلال قراءتي لتاريخ هذه السيدة أنها كانت أمّاً لكل طفل بائس في مكة، وراعية لكل أسرة فقيرة فيها، ونراها الآن ترعى طفلها وتقدم لهما العطف كله والحب كله والشفقة كلها، لأنهما فقدوا والديهما وهما في سن الصغر، ومن أجل هذين الطفلين أحبت السيدة خديجة الطفولة في الفقراء والبائسين، فكانت تزور بنفسها بيوت المعوزين في مكة فتحول بؤسهم إلى سرور، وضيقهم إلى سعة، وشقاوتهم إلى سعادة، تكرر هذا العمل الانساني كل حين حتى لقبت بسيدة قريش الطاهرة.

أيها السادة:

كان من أبرز الرجال الذين كانت تستأجرهم السيدة خديجة والذين يسيرون مع تجارتها، غلامها ميسرة، وكانت السيدة خديجة تعتمد عليه في شؤون تجارتها وتطمئن إليه في إدارتها، وكان أميناً حازماً صادقاً فجعلته موضع ثقته ومديراً عاماً لتجارتها التي تجوب أنحاء الأرض في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام.

ولكن بدأ يطرق سمعها اسم جديد يتحدث الجميع عنه في كل نادٍ، وفي كل حفل، وفي كل مكان، يتحدثون عن صدقه وزمانته وكرم أخلاقه وعراقته في النبل والشرف والمجد ذلك الاسم الجديد هو سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ورغبت السيدة الطاهرة في أن يكون أمين مكة مع أولئك الرجال الذين يسيرون في تجارتها على أجر معلوم.

واسمحو لي -معشر السادة- أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد معكم عقد المضاربة الذي عقده سيدة قريش الطاهرة مع سيدنا محمد ص هاهو يدخل إلى قصرها ويجلس أمامها فتقول له:

إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

وهنا قبل سيدنا مُحَمَّد ﷺ هذا العرض من السيدة الطاهرة، وسار مع خادمها الخاص ميسرة يقودان هذه القافلة العريضة إلى بصرى الشام، وراح ميسرة يرقبه كيف يبيع ويشترى، لأن التاجر -أيها الاخوة- عليه أن يتصف أولاً بصفات منها: حرف التاء من (كلمة تاجر) ويعني تقي، وحرف الألف من كلمة تاجر يعني أمين، وحرف الجيم ويعني جريء وحرف الراء ويعني رحيم.

كان ميسرة ينظر إلى أمين مكة فيجده يتصف بهذه الصفات، وجده صادقاً في بيعه أميناً في شرائه وسيدنا مُحَمَّد ﷺ يقول: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين» (ت- هـ- ح: ض).

رأى ميسرة سيدنا مُحَمَّد ﷺ لا يحلف في بيعه ولا ينفق سلعته في الحلف الكاذب لأن سيدنا النبي كان يقول (م ١٠٦) « ثلاثة لا ينظر اله إليهم يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب عظيم (كررها ثلاثاً) فقال الصحابة: خابوا وخسروا من هم يارسول الله؟ فقال: المسبل (إزاره) والمتان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

وفي حديث آخر أنه قال: التجار هم الفجار. قالوا: يارسول الله! أليس الله قد أحلَّ البيع؟ قال: بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون# و « إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبرَّ وصدق » .

وبقي ميسرة يرقب أمين مكة، راح يسمعه ينصح كل مشتر، ويبين له البضاعة التي بين يديه، لأن شعاره «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار » و « من باع بيعاً لم يبينه لم يزل في مقت الله، ولم تزل الملائكة تلعنه » .

ذهل ميسرة من هذا التصرف الراقي، فلم ير على ممر خدمته لتجارة السيدة خديجة مثل هذه الأمانة والصدق في المعاملات التجارية، فتعلم ميسرة ولأول مرة أسلوب التجارة من سيدنا مُحَمَّد ﷺ تعلم أربعة أمور وشعاراً، أما الأمور الأربعة فهي:

فالأول: ألا يثني على السلعة ولا يمدحها بما ليس فيها.

والثاني: ألا يكتّم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً.

والثالث: ألا يكتّم من وزنها ومقدارها شيئاً.

والرابع: ألا يكتّم من سعرها ما لو عرفه المشتري لامتنع عن شرائها.

وأما شعاره في التجارة فهو: « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى » خ.

أيها السادة:

شهد ميسرة هذا كله بأمر عينه ودونه في ذاكرته، وجهاز القافلة لتعود أدراجها إلى أم القرى ثم سبقها ليزف إلى سيده خبر أرباح التجارة أضعافاً مضاعفة، بل حدثها عن الغرائب التي شهدتها من ابن عبد الله وعن المستقبل المشرق الذي ينتظره، وقال لها: لقد اشتد علينا وهج الشمس في الصحراء المحرقة مما جعلنا نضيق بالحياة ذرعاً رغم أننا أبناء هذه الصحراء فقد رأيت سحابة تظلل من الشمس حيث سار وحيث أقام.

وكان من جملة حديثه أنه قال لها: لقد نزل مُحمَّد في ظل شجرة عن كعب من منسك لراهب نصراني يدعى نسطورا، فخرج الراهب إلي فقال: من يكون هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة فقلت له: هذا رجل من قريش أهل الحرم. فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ثم قال لي: أفي عينيه حمرة فقلت نعم لا تفارقه، فقال الراهب: هو نبي، وهو آخر الأنبياء (ﷺ).

ثم حدّثها عن رجل اشترى سلعة منهما فوقع بينه وبين الأمين مُحمَّد تلاح (ملاومة ومجادلة) فقال له الرجل: احلف باللات والعزى فقال أمين مكة: ما حلفتُ بهما قط وإني لأمرُّ فأعرض عنهما. فقال الرجل له: القول قولك. ثم التفت إلي (يقول ميسرة) وقال: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم.

أيها السادة الكرام: إن ميسرة حدّث السيدة الطاهرة بكل شيء جرى في هذه الرحلة المباركة، وكان في كل لحظة يحدثها فيها يزداد تقديرها لهذا الفتى القرشي، فأبي مكافأة خبأت

امبراطورة الصحراء وسيدة قريش الطاهرة لفتى مكة، أي هديه أهداها مولانا للنبي الأُمي أعلق
هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك الى هنا،
وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله

سيدنا محمد ﷺ

-٦٨-

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً، ثم عظم الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرًا. فقال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسْعٌ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ النور: ٣٢

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله أنزل عليه مولانا قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ۚ ﴾ الرعد: ٣٨

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد فياحمادة الإسلام وحراس العقيدة:

كان فرح ميسرة بنجاح تجارة السيدة خديجة كبيراً حيث سبق القافلة قبل وصولها ليزف البشرية إلى سيدته ويحدثها عن هذه الرحلة الموفقة وبثني عليها اختيارها للأمين سيدنا محمد ﷺ ليرأس قوافلها فانقلب فرحها بربح تجارتها حباً وتقديراً وإعجاباً بهذا الفتى العربي الهاشمي، فامتألت علماً وبقيناً بأن أمين مكة يمتاز عن شباب مكة بما لا يحصى من الخلق والفضيلة والأمانة وبعد النظر وأن له مستقبلاً عظيماً وزعامة عالمية عالية.

فما هو إلا أن استأذن عليها سيدنا مُحَمَّد ﷺ ليدخل عليها فيسلمها ما ربحته القافلة من هذه الرحلة المباركة.

أيها السادة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مكة المكرمة لأشهد معكم الحلقة الثامنة والستين من سلسلة القضايا اليمانية من جامع الدرويشية، ولأننا ننزل ضيوفاً على بلدة التوحيد مكة نرفع جميعاً معكم شعار التوحيد: لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

وأتاه أن الغمامة والسر ح أظلمته منهما أفياء

وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث قد حان منه الوفاء

فدعته إلى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكىء

أيها الإخوة الكرام:

جلس الصادق الأمين أمام السيدة خديجة يحدثها عن تجارتها وهو مطرق الرأس مما مكن السيدة خديجة أن تتفرد في هذه الشخصية الفذة.

شاب يافع ممتلئ رجولةً وجمالاً، في سن الخامسة والعشرين ليس بالطويل الممتد ولا بالقصير وسطاً بين القوم، مسرح الشعر ليس بالعظيم الجسم ولا المستدير الوجه في صغر، أبيض البشرة والوجه مشربّ بحمرة، أسود العينين، طويل أهدابها، جليل عظام رؤوس المفاصل، عريض ما بين الكتفين، دقيق شعر الصدر الممتد إلى السرة، غليظ الكفين والقدمين، إذا مشى لم يثبت قدميه، كأنما يمشي فيما انحدر من الأرض إذا أراد أن يلتفت التفت بكل جسمه، أجود الناس كفاً وأجراً الناس صدرًا، حسن العشرة، من رآه الأولى هابه، ومن خالطه أحبه، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر بين كتفيه خاتم النبوة:

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء

كرمت نفسه فما يخطر الـ سوء على قلبه ولا الفحشاء
وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

راحت السيدة خديجة تتأمل وتتفرس في أمين مكة وحديثه الصادق الفصيح البليغ، وتراه مطرق الرأس يستحيي أن ينظر إليها، أشد حياءً من العذراء في خدرها، يحب الحلواء والعسل، ويعجبه اليقطين، يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ويشرب ثلاثاً، يحب الطيب، ويكره الريح الكريهة، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يحب التيامن في شأنه كله، يتفقد أصحابه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، يأسد من صلى عليه.

أيها الإخوة الكرام:

كل تلك الصفات الخيرة رأتها السيدة خديجة في سيدنا مُحَمَّد ﷺ فجعلت وهي في الأربعين من عمرها، وهي التي ردت من قبل أعظم شخصيات قريش نسباً وشرفاً، جعلت تود أن تتزوج من هذا الشاب الذي نفذت نظراته وكلماته إلى أعماق قلبها، فما هو إلا أن ولى مودعاً بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم، حتى أرسلت إلى أعز صديقاتها وهي السيدة نفيسة بنت مُنْبه وتحدثت إليها عن رغبتها بالزواج من الأمين مُحَمَّد ﷺ.

أيها السادة:

ما زلنا معكم في مكة المكرمة، وأرى بعين الإيمان واليقين السيدة نفيسة تذهب وسيطاً لتمهد لهذا العقد المبارك دون أن ترقيق ماء وجه السيدة خديجة، فد خلت على سيد الخلق وحبیب الحق وسألته، وسمعوا هذه المحاورة اللطيفة المختصرة الموجزة، قالت له:

- ما يمنعك أن تتزوج؟

قال: ما بيدي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟

قال: فمن هي؟ قالت: خديجة. قال: كيف لي بذلك؟ قالت: علي ذلك (ض).

أيها السادة:

وعادت السيدة نفيسة تحمل الخبر السار إلى صديقتها الحميمة فلم تبطئ سيدة قريش الطاهرة، إذ حددت اليوم والساعة التي يحضر فيها سيدنا مُحَمَّد مع أعمامه لعقد الزواج، ثم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر مجلس العقد سادات قريش في هيبة وجلال، ثم جاء السيد الأعظم برجولته ونوره يشع وجهه كأنه القمر، ومعه عمه حمزة وأبو طالب ورؤساء مضر.

أيها السادة:

هيا بنا نشهد هذا المجلس المبارك، نشهد زواج أشرف العالمين وسيد المرسلين بحضور سادات قريش وأشرافها هاهو أبو طالب يقف ليتكلم فأصغوا إلي بأسماع أفهامكم واسمعوا خطبة النكاح، قال سيد قريش:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا حصنة بيته وشوكة حرمه، وجعل لنا بيتاً محفوظاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا مُحَمَّد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح (قولوا نشهد) وإن كان في المال قِلٌّ، فالمال ظل زائل وأمر حائل، و مُحَمَّد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق أربعمئة درهم وإني يامعشر قريش أشهدكم على ذلك.

ولما أتم أبو طالب خطبته قام ورقة بن نوفل فقال:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عدّدت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمئة درهم. لكن الراجح أن الذي زوجها هو أبوها خويلد بن أسد (١).

وهنا بدأت صفحة مشرقة جديدة من حياة هذه المرأة الفاضلة النبيلة التي جمعت إلى جمال الخلق أدب النفس وإشراق الذهن وشرف العمل، وتكشّف لها عن أشرف الأزواج شعوراً وأصدقهم قولاً وأجملهم خلقاً وأشدّهم لصوقاً بالفضيلة، مجلسه مجلس أنس وحلم وحياء وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه النساء، مجلس تواضع وتوقير للكبير ورحمة للصغير، رآته وهو يتألف أصحابه ويتفقدهم ويكرم كريم كل قوم، يعفو ويصفح لا يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط. قالت عنه، بل قال عنه كل من عرفه: عن أنس بن مالك. مسلم (٢٣٣٠) « ما مسسنا ديباجاً قط ولا حريراً ألين من كف سيدنا محمد ﷺ ولا شتمنا رائحة قط أطيب من رائحة سيدنا محمد ﷺ » ، لقد وجدت السيدة خديجة في هذا الرؤوف الرحيم أباً شقيقاً وصديقاً رفيقاً وزوجاً مواسياً.

أيها الإخوة:

وتتوالى الأشهر والسنون على هذا الزواج الموفق، فإذا حصاده أطفال كاللؤلؤ المنشور، وراح هذان الزوجان يتعهدان هذه الرياحين النضرة بالحب والعطف والرعاية وهم ستة أولاد:

١- سيدنا القاسم: وبه كان يكنى ﷺ ولد بمكة وعاش قريباً من السنة، وتوفي قبل البعثة.

٢- السيدة زينب: ولدت بمكة قبل البعثة بعشر سنوات وهي أكبر أخواتها، أدركت الإسلام، وتزوجت ابن خالتها أبا العاص بن الربيع، وبقيت في مكة، ولم تهجر إلى المدينة حتى كانت السنة الثانية للهجرة، وبعد غزوة بدر أسر أبو العاص وفداه أخوه، وبعثت السيدة زينب معه بقلادة لها كانت للسيدة خديجة، فرآها رسول الله فعرفها وذكر السيدة خديجة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا على زينب قلادتها. ففعلوا ﷺ.

وأخذ النبي عهداً عليه أن يرد إليه ابنته، ففعل، وقدمت السيدة زينب إلى المدينة ثم جاء أبو العاص مسلماً مهاجراً في السنة السابعة من الهجرة، فزوجها رسول الله منه ثانية، لكن السيدة زينب ما لبثت أن توفيت بعد أن تركت ولدين: علي، وأمامة، هذه أمامة تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة. ودفنت السيدة زينب في البقيع بعد أن عاشت ٣٥ سنة.

٣- السيدة رقية: تزوجت لأول مرة من عتبة بن أبي لهب، ثم طلقته منه وتزوجها سيدنا عثمان بن عفان فكانت النور الأول الذي دخل عليه حياته وأنشد نسوة من الأنصار:

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلمها عثمان

وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة، فكانت تلقب بذات الهجرتين، وحين تجهز المسلمون لمعركة بدر تمنى عثمان أن يكون مع المجاهدين إلا أن زوجته السيدة رقية كانت تحتضر بعد مرض شديد قيل إنه الحصبة، فأذن رسول الله لعثمان بالتخلف ليكون إلى جوارها، ولكنها ما لبثت أن لبت نداء مولانا في رمضان أثناء غزوة بدر ولها من العمر ٢٧ سنة، وكانت أولى بنات النبي لحوقاً برمها عز وجل.

وعاد رسول الله من المعركة ليجد ابنته قد دفنت تحت التراب فدعا لها وحزن من أجلها وكانت قد ولدت لعثمان ولداً ولكنه مات صغيراً، ومن شدة حب رسول الله لعثمان زوجته ابنته:

٤- السيدة أم كلثوم (كوكب الإسلام): وقد ولدت قبل البعثة وتزوجها الابن الثاني لأبي لهب ثم تركها بكرةً لأنه أبا أن يدخل في الإسلام وبقيت بلا زواج عشر سنين حتى تزوجها عثمان فكانت النور الثاني الذي دخل حياته ولقب بعدها بذي النورين، فعاشت معه ولكنها لم تنجب.

وشهدت قبل زواجها به حصار قريش لرسول الله في مكة فكانت تتألم كثيراً، ومع ذلك كانت تبتسم لوالدها الحبيب الأعظم وتخفي عنه ألمها وتبشره بالنصر من الله تعالى، وهاجرت إلى المدينة المنورة وتوفيت سنة تسع من الهجرة، وألقى رسول الله بإزاره إلى أسماء بنت عميس التي غسلتها لتجعله أحد أكفائها تبركاً بأثره الشريف. وطيب رسول الله قلب عثمان وقال له:

- لو كان عندي عشر بنات لزوجتهن لك يا عثمان (يعني واحدة بعد واحدة).

٥- جدتي ورقة عيني سيدتنا فاطمة الزهراء، ولدت قبل البعث بخمس سنوات وهي من خير نساء العالمين ومن سيدات أهل الجنة، وحين بلغت الثامنة عشر بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة أشهر خطبها سيدنا علي ثم زف إليها بعد رجوع المسلمين من بدر، وكانت من قلة

الطعام وشطف العيش مع سيدنا علي فانطلقت إلى رسول الله تشكوه حالها معه، فصبرها وأمرها بطاعة زوجها واحتمال شطف العيش معه.

أيها الإخوة: أعقبت السيدة فاطمة ثلاثة ذكور الحسن والحسين ومحسن وبتان توفيت إحداها بعد ولادتها بثلاث سنين وتزوج الثانية سيدنا عمر بن الخطاب. (ومحسن توفي صغيراً).

وأكرم الله الحسن والحسين فخرج منهما آل البيت النبوي كان منهم سادة وقادة وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة.

٦- سيدنا عبد الله الملقب بالطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام بعد البعثة ولكنه توفي صغيراً، وبوفاته قال العاصي بن وائل: إن سيدنا مُحَمَّدًا أبتر وسينقطع نسله فأنزل مولانا دفاعاً عن نبيه الكريم:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ ﴾ الكوثر: ١ - ٣ وكل أولاده ﷺ توفوا قبله إلا السيدة فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر.

أيها الإخوة:

هؤلاء هم أولاد نبينا الأعظم من السيدة خديجة، وكل من ينكر أحد هؤلاء الستة أنه ليس من أولاده I فهو منافق بيّن لنا النفاق، كل من يقول إن أولاد النبي فقط هي السيدة فاطمة فهو منافق بل زعيم المنافقين وحقيهم يريد أن يفرّق كلمة المسلمين، وهذه الدعوى النفاقية ظاهرة البطلان لأنها تكذب صريح القرآن، لأن مولانا خاطب نبيه الكريم فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ۖ ﴾ الأحزاب: ٥٩

إن رب العزة يشهد أن لبنينا بنات وليس بنتاً واحدة ولو أصّر هذا المنافق على دعواه تلك فإنه يكفر لتكذيبه صريح القرآن.

وأما نحن أمة الاسلام فنشهد الله بأننا نحب أولاد نبينا بعد حب نبينا ﷺ هذه هي عقيدة أهل السنة « حب القرابة واحترام الصحابة » .

احفظوا هذه العقيدة الإيمانية وتمسكوا بها يقول ﷺ:

« الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا » .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

سيدنا محمد ﷺ

-٦٩-

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال، وبكرمه وجوده تدرك الآمال، وعلى وفق مشيئة تتصرف الأفعال، وبإرادته تتغير الأحوال، وإليه المصير والمرجع والمآل، سبحانه هو الباقي بلا زوال، المنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش والمعارج والطول والإكرام والجلال.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله ونبيه، وخيرته من خلقه وصفیه، وخليله ووليه وحبیه المفضل.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال، وسلم تسليماً.

أما بعد: فياحمداً الإسلام وحراس العقيدة.

ما زلت معكم حول شخصية راقية من شخصيات الإسلام، شخصية تفوقت على نساء العالمين قال عنها سيد العالمين ﷺ: خير نساء السماء والأرض مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، (ق). وقال أيضاً: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ (ق).

إنها المرأة الحجة على جميع النساء في الوفاء لزوجها.

أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة، المرأة التي جمعت من الخيرات ما لم تجمع لغيرها: فهي أول امرأة تزوج بها رسول الله؛ ولم يتزوج عليها غيرها، وإن كل أولاده ﷺ منها إلا إبراهيم، وهي المرأة التي لم تسؤ قط، ولم تغاضبه ولم ينلها عتب ولا هجر منه ﷺ، إنها المرأة التي دفعت بكل مالها وتجارها في سبيل تثبيت الدعوة الإسلامية.

إننا باختصار مع الحلقة التاسعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

أيها السادة:

إننا اليوم في سبيل الرد على أولئك الذين يأكل الحقد أفنتهم على الإسلام وقوة سلطانه، فقد ظن هؤلاء الأفاقين أنهم واجدون في موضوع زواج النبي من نسائه مقتلاً يصاب منه الإسلام ويمكن أن يشوّه سمعة نبي الإسلام وتخلوا أن بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرجل الشهوان الغارق في لذة الجسد، العازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح.

اليوم نرد على هؤلاء ونلجم أفواههم ونخرسهم إلى الأبد، إن زواج نبينا من السيدة خديجة ظل قائماً حتى توفيت وقد ناهز النبي الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج من أي امرأة أو فتاة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية فما الذي حدث؟ لسمع الأفاكون والمجرمون إن نبينا تجاوز كل تلك الفترة من (٢٠ إلى ٥٠) من العمر دون أن يفكر كما قلنا بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث زوجةً أو أمةً، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء دون أن يخرج بذلك عرفاً أو يخرج على مألوف بين الناس، هذا على الرغم من أنه تزوج السيدة الطاهرة وهي أيم وكانت تكبره بما يقارب عمره. لو كان رسول الله كما يقولون لكان أخرى به أن يستجيب للوطر والرغبة الجنسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة، خصوصاً وقد كان إذ ذاك خالي الفكر ليس له من هموم الدعوة ومشاغلهما ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية. لكنه لم يفعل، بل بقي على امرأة واحدة طيلة فترة ٢٥ / سنة. لكنهم خصوم الإسلام لذلك لن ألقى لهم بالاً فهم أحقر من أن نهتم بهم أكثر من ذلك.

أيها السادة: اسمحوا لي أن أنتقل إلى البيت المبارك الذي ضم أم المؤمنين الأولى، لتتابع الحلقة الأخيرة من حياة هذه المرأة التقية النقية.

فقد كان زواج سيدنا رسول الله ﷺ من السيدة خديجة مفاجأة لقريش، وذلك لفارق السن بينهما، فلم يكن مستساغاً في ذلك الوقت أن يتزوج الرجل امرأة تكبره خمس عشرة سنة، وخاصة أنها انصرفت عن أشرف قريش وزهدت فيهم جميعاً وأثرت عليهم سيدنا مُحَمَّدٌ بن عبد الله الأمين الصادق.

وتوقع الناس ألا يستمر هذا الزواج، لكن الزمن كذب جميع توقعاتهم فقد عاش الزوجان أسعد ما يكون في حياة يظلها الحب والسكن والمودة، وكانت أول ثمرته:

السيدة زينب، وتلتها السيدة رقية فاعتبرها والدها بشارة خير وبركة، ثم جاءت بعدها السيدة أم كلثوم وزاد البيت سروراً وفرحة ولم يضق الأبوان بمولد الأنثى الثالثة، كعادة القوم في ذلك الزمان وفي كل زمان، ثم ولد القاسم على المشهور، وسيدنا عبد الله ولكنهما ما لبثا أن توفيا ثم جاءت السيدة فاطمة رضي الله عنها وهي آخر من أنجبته السيدة خديجة وقد ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة في العام نفسه الذي تم فيه تحديد بناء الكعبة. وكان بين كل ولدين من أولاده ﷺ سنة على ما رواه ابن سعد في الطبقات، ومعنى ذلك أن السيدة خديجة انتهت من فترة انجابها في سن الخمسين.

وتمضي الأيام ويشاء الله للهدى أن يعم البشرية، وللرحمة أن تهدى إلى العالمين، وللنور أن يبدد الظلام، ظلام الجاهلية والكفر، فيختار نبيه سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، فجاء الشهر المبارك شهر الهدى والفرقان فنزل الملك عليه في غار حراء وهو يتعبد نزل بأول الآيات القرآنية من سورة العلق.

وارتاع رسول الله ﷺ مما سمع ودهش مما رأى، وجعل يحديق الأفق ليستوثق من هذا الطيف الذي رآه وإذا به يلوح له واضحاً جلياً في صورة لم تقع العيون على أجمل منها، ويقول له بصوت رخيم فيه كثير من الأنس واللفظ: يا مُحَمَّدُ أنت رسول الله وأنا جبريل (خ).

وما أن انصرفت صورة الملك حتى رجع رسول الله ﷺ ممتلئاً بما أوحى إليه وفؤاده يحفّ وقلبه يضطرب خوفاً وهلعاً، ودخل على السيدة الأولى الطاهرة وهو يقول: زملوني زملوني.

وكانت السيدة خديجة مثال المرأة الفاضلة في برها بزوجها، وحَدِّبها عليه، ومشاطرتها له مفارحه وأحواله، وقد حبتها السماء احساساً رقيقاً وشعوراً عالياً، وحديثاً عذباً تسكن إليه النفوس المتألّمة، فكان موقفها منه من أشرف المواقف التي تحمد لامرأة في الأولين والآخرين، تحافت على السيد العظيم فطمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، ودكرته بما فيه من فضائل مؤكدة أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبداً، فاطمأن إلى كلامها، وسكن إلى حديثها، وكانت تنظر إليه نظرة ملؤها اليقين والاكبار والإعجاب، وراحت وهي تغطيه وتسكن من روعه تستعرض في نفسها بسرعة خاطفة ما انطوت عليه نفسه الكريمة من خير وبر وأمانة وصدق، وما حدّثها به ميسرة عن شمائله العظيمة، فأيقنت أن الله قد أراد به الخير، واندفعت مصرحة بذلك قائلة له بحب غامر:

أبشر يا ابن العم، والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

أيها السادة:

واطمأن سيدنا رسول الله ﷺ وألقى على السيدة خديجة نظرة شكر ومودة، ثم أحس جسمه متعباً فراح في نوم عميق. وانطلقت السيدة الطاهرة فلجأت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل عالم مكة، وراحت تخبره بما جرى لزوجها الحبيب وتخبره بما رأى وما سمع فقال ورقة:

قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقول لي له فليثبت.

« وهنا عادت السيدة خديجة الطاهرة إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقد عزمته على أن تستوثق بنفسها من أن الذي يأتيه من الوحي ليس من الشيطان، فقالت: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. قال: نعم، قالت: إذا جاءك فاخبرني به، قال: فلما جاء جبريل عليه السلام أخبرها. قالت: فاجلس على فخذي، ثم سألته هل تراه. فقال: نعم فإذا بالسيدة خديجة تحسّر عن رأسها وتلقي خمارها فسألته هل تراه. قال: لا. وهنا قالت:

يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان، لو كان شيطاناً ما استحيا » (ض)
(سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٨ - ٢٣٩).

أيها السادة:

وتتابع الوحي بعد فتوره مدة، وعلمه الوحي كيف يصلي لربه صلاة الإسلام فعلم النبي السيدة خديجة الوضوء والصلاة، فكانت أول من آمن به وبما جاءه من عند الله، ثم دخل في الاسلام سيدنا زيد بن حارثة ثم سيدنا علي ثم الصديق أبو بكر وكبار صحابة نبينا وأولاده عليه السلام. وكان طبيعياً أن تسارع السيدة خديجة إلى الإيمان به وقد جربت عليه طوال حياته الأمانة والصدق وعلو النفس وحب البر والرحمة، وأهل البيت - كما يقولون - أدري بمن فيه. فوفقت الزوجة المحبة المؤمنة إلى جانب زوجها تنصره وتشد من أزره، وتعينه على احتمال أقسى ضروب الأذى والاضطهاد سنين عدداً.

يقول ابن اسحق: « كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من الردّ عليه وتكذيبه فيحزنه ذلك فيرجع إلى السيدة خديجة إلا تثبته وتهوّن عليه أمر الناس ». .

فلما قضى على بني هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لائذين بشعب أبي طالب، بعد أن أعلنت قريش عليهم حرباً مدنية لا ترحم، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علّقت في جوف الكعبة، حينها لم تتردد السيدة الطاهرة في الخروج مع زوجها ودعمها له بكل ما أوتيت من مال وخدم، وتحلت عن دارها الحبيبة مغنى صباها ومجمع هواها ومثابة ذكرياتها، وقامت بكل شجاعة وإقدام تتبع رجلها ونبينا، وقد كبرت في السن وناءت بأثقال الشيخوخة والاضطهاد، وبقيت على ذلك ثلاثة سنوات تذوقت مع سيدنا رسول الله والصحابة أهوال الحصار المنهك، وتكافح الوهن الذي أخذ يدبُّ إلى جسدها منذ جاوزت الستين، متشبثة بالحياة في نضال رائع كي تظل إلى جانب رجلها في معركته الإيمانية الفذة التي يلقي فيها بقلة مؤمنة عزلاء جبروت الوثنية والشرك وجموع القرشيين ذوي العدد والعدة، وخاصة بعض الأقربين وعلى رأسهم أبو لهب وزوجته حمالة الخطب تبت يداها.

ونزل سيدنا جبريل يحمل لها سلاماً خاصاً من مولانا رب العالمين ويشرها بيت في الجنة من قصب (لؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب، تحية من الله رب العالمين (م: ٢٤٣٤).

ثم فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ وآن لرسول الله أن يعود إلى مكة إلى بيته وبيتها، فتحاملت السيدة الطاهرة حتى فراشها، وقد نال منها الإعياء واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقى لها الزمن من قوة في عامها الخامس والستين، فمات أولاً أبو طالب وما أن انقضى ثلاثة أيام حتى اشتد المرض على السيدة الطاهرة وزوجها إلى جانبها لا يفارقها لحظة من ليل أو نهار. أيها السادة:

علم رسول الله ﷺ أن قضاء الله عز وجل لابد نازل، فجلس إلى جوار سرير زوجته يؤانسها ويحادثها بمكانتها عند الله تعالى وأنها زوجته في الجنة، وأن ضرائرها ينتظرها في الجنة: قال لها: يا خديجة بالكركه مني، سلمي على ضرائرك في الجنة، فقالت: أتزوجت قبلي يا رسول الله. فقال: لا، ولكن الله زوجني في الجنة بأسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران وكلثم أخت موسى.

لكن السيدة خديجة ما لبثت أن انتقلت إلى جنات ونهر، وأسلمت الروح بين يدي الرجل الذي أحبته وآمنت به وصدقته وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات أعني في السنة العاشرة للبعثة في رمضان. وخرج رسول الله يحمل جثمانها مع صحابته الكرام إلى مقبرة مكة في الحجون، ونزل في حفرتها فدفنها بيديه ودعا لها واستودعها مولانا عز وجل.

أيها السادة الكرام:

بقي رسول الله يذكر السيدة الوفية طيلة حياته ويقدرها حق قدرها، وبقي شديد الوفاء لها والحفاظ على عهدا وذكراها بعد موتها، بل يحرص أشد الحرص على صلة أصدقائها من بعدها.

لقد كانت السيدة الطاهرة ملء حياة رسول الله حية وميتة، وما جاوزت السيدة عائشة الحق حين قالت مرة للحبيب الأعظم (خ): (كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة). حتى صارت السيدة عائشة وهي حب رسول الله (تقول: ما غرت امرأة ما حسدت خديجة وما

تزوجني رسول الله إلا بعدما مات. وكان ربما يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في أصدقاء خديجة، تقول السيدة عائشة فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟! فقال: إني رزقت حبها (م).

(تقول السيدة عائشة: إن سيدنا رسول الله كان لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا حمراء الشدق عجزواً) قد أبدلك الله خيراً منها. تقول السيدة عائشة: فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها) - (م- أحمد- طب):

١- آمنت بي إذ كفر الناس.

٢- وصدقتني إذ كذبني الناس.

٣- وواستني في مالها إذ حرمني الناس.

٤- ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء (أحمد).

تقول السيدة عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبداً.

أيها السادة: هذه هي السيدة خديجة، ساعد الرسول الأيمن في بث دعوة الإسلام وتنشيت دعائمه، كانت مثلاً رائعاً للمرأة الوفية التي تساهم في إعلاء الحق ورفع مناره، إنها نقطة تحول وتفوق للمرأة في ظل الاسلام وتلك في الحق بداية للطريق الجديدة التي سوف تسير فيها المرأة الجديدة في ظل الاسلام الحنيف.

فرضي الله عنها وأرضاها ورضي عن أولادها وذرياتها.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

أمهات المؤمنين – السيدة سودة بنت زمعة

-٧٠-

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع، والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووقفه فهو الرشيد كل الرشيد. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره، قسم الخلق قسمين وجعلهم فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير إن ربك فعال لما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا مُحمّداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلّت البيد.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحمّد وعلى آل سيدنا مُحمّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين.

أما بعد: فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة.

نتناول اليوم طرفاً من حياة رسولنا العربي الأمي الذي قال مولانا فيه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧٧) ﴿الأنبياء: ١٠٧﴾ وقال لنا يصف أخلاقه العالية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿التوبة: ١٢٨﴾

وسنرى اليوم هذه الرأفة والرحمة متمثلة بجانب من حياته ﷺ مع زوجه الثانية، أعني بها:

السيدة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من قريش.

وأما الشموس بنت قيس بن زيد من بني عدي من بني النجار من الخزرج.

تزوجت أولاً من السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو، فأسلمت هي وزوجها وأخوها مالك، وأمرهم رسول الله بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا مع من هاجر فراراً إلى الله بدينهم.

وبعد إسلام سيدنا عمر وسيدنا حمزة رضي الله عنهما سمع من كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة أسلموا كلهم، فرجعوا إلى مكة، وكانت سودة وزوجها مع العائدين قبيل نقض الصحيفة.

وبعد عودتها رأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها فأخبرت زوجها بذلك، فقال:

- وأبيك لمن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك رسول الله. فقالت: حَجراً وسِتراً (أي تدعو بأن يمنعها الله ويستترها مما تعنيه الرؤيا من أن زوجها سيموت).

وفي مرة أخرى رأت أن قمراً انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها فقال: وأبيك لمن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت وتزوجين بعدي.

واشتكى الصحابي السكران من يومه، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات، وكانت وفاته مواكبة لوفاة السيدة خديجة، وظهرت على الحبيب الأعظم بسبب موت زوجته الوفية آثار الحزن والتأثر، كما ترك موت السكران فراغاً في حياة السيدة سودة وخاصة أنها لم تنجب.

أيها السادة:

إننا مع الحلقة السبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد:

لا إله إلا اله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

أيها الإخوة: بقيت السيدة سودة مهیضة الجناح معرضة للنكال من كفار قريش، بل ربما من أبيها الذي كان على الشرك، فلا سند لها ولا معيل.

وهكذا نرى هذه السيدة تعاني من محنة الاغتراب إلى الحبشة، ومن محنة الترميل ومحنة التعذيب من أهلها، فكان واجب المسلمين المستضعفين أن يضم رجل مسلم مثل هذه الأرملة المهدة في دينها، المطعونة في طمأنينتها المستوحشة بفقدان عشيرتها.

والتعدد - أيها الاخوة - ليس سنة مستحدثة في العرب، بل ذلك حالهم منذ القديم، وأولى الناس بضم مثلها من لا زوجة له مثل رسول الله ﷺ. ولكن الصحابة لم يتقدموا إلى رسول الله ﷺ إبّان حداده على زوجه الوفية وأم أولاده، لم يتقدموا للتحدث في موضوع الزواج، فلما انتهت أيام الحداد كانت الصحابية الجليلة خولة بنت حكيم السلمية زوجة سيدنا عثمان بن مظعون هي التي سعت إليه ذات مساء متلطفة مترفة فقالت له:

- يا رسول الله! كأني أراك قد دخلتكَ حُلَّةَ (حاجة) لفقد خديجة؟

فأجابها الحبيب الأعظم ﷺ: أجل، كانت أمّ العيال وربة البيت.

وهنا فاتحته في الزواج ليجد الرعاية والراحة، ولتجد طفلته التيمية فاطمة وأم كلثوم الرعاية والخدمة، فوافق رسول الله ﷺ فافتاحت عليه الزواج بتلك الأرملة العجوز الكسيرة الفؤاد المعرصة للفتنة عن دينها. وينقل لنا الطبري في تاريخه أن السيدة خولة بنت حكيم ذهبت إلى سودة فقالت:

- ألا تعرفين ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ فسألت سودة وهي لا تدري مرادها: وماذا يا خولة؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه. وجاهدت سودة لتملك نفسها من فرط العجب والدهشة، ثم قالت في صوت مرتجف: وددت، أُدخلني على أبي فاذكري له ذلك.

أيها السادة: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مكة المكرمة لأنقل لكم هذا الحدث ضمن عام الحزن الذي اجتاحت مكة كلها.

هاهي السيدة خولة تدخل على شيخ كبير تخلف عن الحج فحيته بتحية الجاهلية، ثم قالت:

- إن مُحمَّدًا بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة. فقال الشيخ: كفاء كريم، فماذا تقول صاحبته. أجابت خولة: تحب ذلك. فسألها أن تدعوها إليه. فلما جاءت تلقاها بقوله:

- أي سودة، زعمت هذه أن مُحمَّدًا بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفاء كريم، أفتحبين أن أزوجه؟. فلم تقل السيدة سودة إلا كلمة واحدة: نعم.

أيها الاخوة: يقول ابن سعد: إن الزواج المبارك كان في رمضان من السنة العاشرة من النبوة، وقد زوجها حاطب بن عبد شمس وكان صداقها أربعمئة درهم.

أيها السادة: أريد أن أوجِّه انتباهكم إلى أمر هام: لقد تزوجها رسول الله لتكون مدبرة لبيته ومربية لابنتيه لا لتكون متعة حسٍ ولذة مضجع، تزوجها لتكون في كنفه وتنعم بظله وعطفه، ولتجد في الزواج من سيدنا رسول الله شرفاً وعزاً، وعاصماً من النكال والردة، ولتحل بين أبناء دينها الجديد أرفع مكانة تصبو إليها المرأة المسلمة « مكانة أم المؤمنين » .

وتذكر كتب السيرة أن سيدنا رسول الله وصاحبه هاجرا إلى المدينة في ربيع الأول، وأسس أول مسجد في الإسلام في قباء، ثم انتقل إلى حيث أراد له الله تعالى، وأقام في بيت أبي أيوب حتى بني مسجده وبيوته حول المسجد النبوي، وعندما استقر برسول الله المقام بالمدينة بعث إلى ابنتيه وزوجه سودة فجاء بهن إلى المدينة زيد بن حارثة ومولاه أبو رافع.

ويحدِّث ابن سعد بسنده إلى السيدة سودة أنها قالت لسيدنا رسول الله ﷺ:

« صليت خلفك الليلة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم، فضحك سيدنا رسول الله ﷺ » وكانت تضحكه بالمشي أحياناً.

وكانت طيبة القلب، يروي ابن اسحق صاحب السيرة قال:

قدم بأسرى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب على أمهات المؤمنين الحجاب. تقول سودة:

والله إني لعندهم إذ قيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعتُ إلى بيتي ورسول الله فيه وإذا بسهيل بن عمرو أخو زوجها في ناحية الحجرة يداه إلى عنقه مجبل، فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيته كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً. فوالله ما أبهتني إلا قول رسول الله من البيت: ياسودة أعلى الله ورسوله تحرضين. قلت: يارسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلتُ (ابن هشام ٢/ ٣٣٥).

أيها السادة: وتمر الأيام على أم المؤمنين الثانية، وتحس هذه العجوز الطيبة القلب بعد سنوات أنها أصبحت عبئاً على كرم رسول الله ﷺ وقد تجاوزت السبعين من العمر، فاستأذنته أن تظل في بيته وتعفيه من حقوق الزوجية، ثم قالت له:

- أمسكني (اتركني عندك) والله ما بي على الأزواج من حرص ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك.

وحين جاءت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد سنوات إلى الدار فسَحَتْ لها سودة المكان الأول وسهرت على راحتها وظلت السيدة عائشة تذكر هذا الجميل فتقول: « ما من امرأة أحبُّ إلي من أن أكون في مسلاخها (خيرها وبركتها) من سودة بنت زمعة » .

واسمعوا معي إلى السيدة عائشة تروي لنا فتقول:

كانت سودة بنت زمعة قد أسنت، وفي رواية أنها ثبطة ثقيلة، وكان رسول الله لا يستكثر منها، وقد علمت مكاني من رسول الله ﷺ وأنه يستكثر مني، فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده فقالت: يارسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة، وأنت منه في حل، فقبله نبينا ﷺ (ت- حسن- الفتح ٩/ ١٤٤) وفي ذلك أنزل مولانا قوله: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ

إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ النساء: ١٢٨

أيها السادة: وهكذا بقيت السيدة سودة في بيت رسول الله متنازلة عن ليلتها لغيرها، راضية بالعبادة والطاعة، وناقلة لكل ما تقع عليه عينها من شؤون هذا البيت العظيم، وراوية لأحاديثه ﷺ وحجت معه حجة الوداع، ففي الصحيح عن السيدة عائشة (م ١٢٩٠):

« استأذنت سودة رسول الله ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة (أي ثقيلة) فأذن لها. حتى قالت السيدة عائشة: وددت أني كنت استأذنت رسول الله كما استأذنته سودة فأصلي الصبح في منى قبل أن يجيء الناس ». .

أيها الإخوة الكرام:

وهكذا نرى السيدة سودة تعيش في البيت النبوي في كنف أعظم زوج أماً للمؤمنين، ولم تصب منه ولداً إلى أن مات ﷺ، فلزمت بيتها كما أمرها مولانا عز وجل، وامتد بها العمر إلى أواخر حياة سيدنا عمر، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح عن محمد بن سيرين أن سيدنا عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت في غرارة مثل التمر؟! قال: ففرقتها ﷺ.

أيها السادة بقيت السيدة سودة حتى بلغت مئة عام وتوفيت آخر خلافة عمر ودفنت في البقيع في المدينة (فقولوا ﷺ).

أيها الإخوة: إن السيدة سودة بنت زمعة أول زوجة بعد السيدة خديجة، وهي زوجة شرف في الدنيا لا أكثر، فهل في زواج نبينا ﷺ من سودة أية شبهة أو شهوة كما يزعمه أعداء الإسلام!!

فمن هي أم المؤمنين الثالثة في دخول بيت النبوة؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

أمهات المؤمنين – السيدة عائشة

-٧١-

الحمد لله البر الجواد، الذي جَلَّتْ نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المانّ باللفظ والإرشاد،
الهادي إلى سبيل الرشاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المصطفى
المختار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبينا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا مُحَمَّد ﷺ وعلى آل
سيدنا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق
عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يأرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة
للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فحديثنا اليوم عن سيدة نساء عصرها تقوى وورعاً، عن امرأة حملت شطر علم رسول الله
ﷺ، وكانت ضمن نفر الذين أسلموا في أول الدعوة وهي يومئذ صغيرة، إذ أنها ولدت بعد
المبعث بأربع سنين، امرأة أسلم أبوها وجدها وأمها وأخواتها بل أهل بيتها كلهم أعني بها أم
المؤمنين الثالثة في دخولها بيت النبوة: الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة بنت أبي بكر واسمه
عبد الله بن عثمان القرشي التيمي، وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية من أوائل المسلمات
المهاجرات قال عنها نبينا ﷺ:

« من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان » (ابن سعد: مرسل)

(٢٧٧ / ٨).

فحديثنا سيكون عن هذه السيدة القرشية التي تبوأ مكانة أم المؤمنين وهي بعد ما زالت في سن التاسعة من العمر.

أيها السادة:

إننا مع الحلقة الواحدة والسبعين من سلسلة القضايا اليمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

أيها الإخوة المسلمون:

لغط المستشرقون أعداء الإسلام بأمر زواج رسول الله من هذه السيدة القرشية فقالوا: كيف يتزوج رسول الإسلام الذي شارف على الخامسة والخمسين من بكر حول سن العاشرة؟

وللاجابة عن هذا الإشكال الذي أوقع به المستشرقون أنفسهم علينا أن نعلم:

أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل لجير بن مطعم بن عدي، وتركها لإسلامها وإسلام أبيها، إذن الفتاة - أولاً - كانت مقدمة على الزواج.

وثانياً: كانت خطبة هذه السيدة من قبل السيدة خولة بنت حكيم بعد أن رأت حزن رسول الله واستيحاشه لوفاة السيدة خديجة، فبادأته هي أن يتزوج منها.

وثالثاً: كان الناس في الماضي لا يتزوجون بناء على شهادات الميلاد، بل كانوا يتزوجون بأنوثة المرأة ورجولة الرجل، بل كانت المرأة تعرف بأطوار نموها البدني، كما يعرف الزارع نضوج الثمرة في حقله، ثم هل من المعقول أن يوافق الصديق على زواجها لو لم تكن أهلاً لذلك الزواج، فحين خطبها رسول الله من أبيها قال الصديق: يارسول الله أوتحل لك؟! قال: نعم. قال: ألسن أخاك؟ قال: بلى في الإسلام وهي لي حلال.

بل لو كان هذا الزواج يخالف سنة العرب لاتخذ الكفار والمشركون والمنافقون منه طعناً برسول الله، ونحن في العصر الحديث شهدنا زيجاتٍ عديدةً مثل هذه، ومن الخلط في التفكير أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته جميعاً.

وأما ما يقال عن كبر سن نبينا وصغر سن السيدة عائشة، فهذا كان عند العرب مألوفاً وسائداً فقد تزوج عمر بن الخطاب من بنت سيدنا علي بن أبي طالب وهو يفوق والدها بالعمر.

أيها الاخوة:

لن نخوض في هذه المسألة كثيراً، لأن الذي تولى مهمة التمهيد لهذا الزواج هو الله رب العالمين، فقد دلت الروايات أن مولانا أرسل الأمين جبريل مناماً إلى حبيبه ومصطفاه ليخبره بخبرها ويهئ قلبه ومشاعره للزواج منها بعد وفاة زوجها السيدة خديجة، واسمعوا إلى نبينا الأعظم ﷺ يقول للسيدة عائشة:

« أريتك في المنام مرتين أو ثلاثة، أتيت بك (بصورتك) في سَرَقَةٍ حرير (قطعة) فأكشفها فإذا هي صورتك. فيقال: هذه امرأتك. فأقول: إن كان هذا من عند الله يمضه » (ق).

أيها السادة:

وتم ما أراده مولانا عز وجل، إذ أن نبينا ﷺ عقد عليها وهي بنت ست، وبني بها وهي بنت تسع وكان دخوله بها في شوال في السنة الثانية للهجرة، ففي الصحيح عن السيدة عائشة قالت: « تزوجني رسول الله وأنا بنت ست سنين وبني بي وأنا بنت تسع فقبض وأنا بنت ثماني عشر سنة » .

ولم يتزوج بكرراً غيرها وكانت تكنى أم عبد الله، كناها رسول الله بـابن اختها عبد الله بن الزبير، اسمعوا إليها تحكي قصة زواجها من الحبيب الأعظم ﷺ تقول:

تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين (عقد عليها) فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، ومكثنا أياماً في منزل أبي بكر، ثم قال أبو بكر: يارسول الله ما يمنعك من أن تبني

بأهلك. قال رسول الله: الصداق. فأعطاه أبو بكر الصداق اثنتي عشرة أوقية ونشا. فبعث بها رسول الله إلينا.

تقول السيدة عائشة: فأتني أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يؤمئذ بنت تسع سنين (خ ٣٨٩٤).

أيها السادة:

كان سيدنا حارثة بن النعمان من الأنصار (شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ) كان يسكن إلى جوار حجراته ﷺ وكان كلما أتت أم للمؤمنين ترك لها غرفة من بيته وانتقل ليبي غيرها حتى استحيا منه رسول الله، وإليكم هذا الحوار الذي دار بين رسول الله وحارثة قال ﷺ: لقد استحييت من حارثة. فقال حارثة: إنما أنا ومالي لله ورسوله، والله يارسول الله للذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع. فقال له ﷺ: صدقت بارك الله عليك.

أيها السادة:

وتذكر كتب السيرة أن زفاف السيدة عائشة إلى رسول الله كان في يوم أربعاء من شهر شوال من السنة الأولى للهجرة بعد سبعة أشهر من قدومه المدينة.

وكان عليه الصلاة والسلام يدللها تدليل الكبير للصغيرة، وكان يأتيها في السنوات الأولى من زواجها بأترابها وصديقاتها ليلعبن معها بالدمى والعرائس كبقية الصبايا اللواتي في مثل سنها. تقول السيدة عائشة (م ٢٤٤٠):

« كنت أَلْعَبُ بالبنات (اللُّعْب) عند رسول الله ﷺ وكانت تأتيني صواحي وكن ينقمعن (يستترن) من رسول الله ﷺ وكان يَسْرِيْن (يُرْسِلُهُنَّ) إلي فيلعبن معي. وفي رواية (ق): أن نبينا قدم من غزوة تبوك أو خير وفي سهوتها ستر (في مخدعها غطاء) فهبت الريح فكشفتها عن بنات لعائشة لعب، فقال ﷺ:

- ما هذا ياعائشة؟ قالت: بناي. ورأى بينهن فرساً له جناحان. فقال ﷺ: وما هذا الذي وسطهن؟ قالت: فرس. قال: فرس له جناحان. قالت: أما سمعت أن لسليمان عليه السلام خيلاً لها أجنحة؟ قال: فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه (خ).

أيها الإخوة:

ولكن مدة لعب السيدة عائشة في بيت رسول الله لم تمتد طويلاً، فسرعان ما أحست بالتبعة بعد أن صارت أمّاً للمؤمنين، وعرفت أن لهذه الأمومة ضربيتها، فاقتربت من رسول الله تسمع منه وتحفظ عنه، تعي وتستفسر عما غمض وتشرح للنساء ما يستحيي منه رسول الله من توضيحه وبيانه، حتى صارت أكثر أمهات المؤمنين رواية للحديث، فقد ذكر صاحب شذرات الذهب عن الحافظ الذهبي: أنها روت ألفين ومئتي حديث وعشرة أحاديث، فتأتي بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر في الإكثار من الرواية.

يقول عنها الإمام الزهري: لو جُمع علم السيدة عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

ويذكر ابن سعد: أن السيدة عائشة كانت تفتي في عهد عمر وعثمان، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان يرسلان إليها بعد وفاته ﷺ فيسألونها عن السنن.

وقال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عطاء بن رباح: كانت السيدة عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة.

أما ابن أختها عروة فيقول: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، وما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

وكانت كريمة سخية كأبيها، يقول عنها عروة: رأيتها تتصدق بسبعين ألفاً.

وقالت جاريتها أم ذرة: بعث إليها ابن الزبير بمال يقدر بمئة ألف فدعت بطبق وهي يومئذٍ صائمة، فجعلت تقسمه في الناس، فلما أمست دعت بإفطارها فقالت لها جاريتها: يأم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً. فقالت: لو ذكرتني لفعلت.

وفي أواخر حياتها فكّر معاوية في شراء بيتها ليُضم إلى مسجد رسول الله بعد وفاتها، وقال لها أنت أولى بالشفعة، ثم أرسل إليها بمئة وثمانين ألف درهم. قال: فما رامت من مجلسها حتى قسمت كل المال.

أيها الإخوة:

كانت السيدة عائشة في مقدّمة الزوجات في بيت النبوة فهي أصغرهن سناً وأقرهن إلى قلب رسول الله سألهم عمرو بن العاص: يارسول الله من أحبُّ الناس إليك. قال ﷺ: عائشة. قال عمرو: إنما أقول من الرجال. قال: أبوها (م ٢٢٨٤).

لهذا كله كنا نراها أحبَّ نساء رسول الله إليه، وكانت متميزة بعطر الحب الذي يغمرها في بيته ﷺ حتى إنها ما كانت تحدّث عنه إلا بذلك التعبير الشفاف: حبّي رسول الله قال كذا.

ولقد قال فيها سيدنا أنس بن مالك: أول حبّ كان في الإسلام حب النبي لعائشة ﷺ.

وكانت واثقةً من مكانتها في قلب النبي وأنها هي الأثيرة عنده، ولكنها في كل الأحوال أنثى، كانت تملكها الغيرة من أن ينبض هذا القلب الكبير بحب آخر، وكانت بين الفينة والفينة تسأل رسول الله عن هذا الحب، قال له مرة: يارسول الله كيف حبك لي؟. فقال: كعقدة الحبل. (أي أنه حب وثيق مبرم لا تنحل عروته ولا تنفك عقده). فكانت تقرّ عينها بما تسمع. ولكن كلما لمح رسول الله بلمحة وفاء لذكرى الزوج الراحلة خديجة نراها تداعبه وتسأل عن عاطفته نحوها فتقول:

- كيف العقدة يارسول الله؟ فيقول لها: هي على حالها.

بل كان رسول الله يصرح بحبه لهذه الزوجة الحبيبة حتى في موقف الجد أو في سياق العتاب، ومن ذلك ما ذكرته السيدة عائشة قالت: ذهبت فاطمة تذكرها (تشكوها) عند رسول الله فقال: يا بنية حبيبة أبيك.

إنها جملة تغني عن أي كلام في هذا المقام، لم يجد رسول الله حلاً للشكوى إلا في هذه الكلمة الموجزة التي تشبه أن تكون رجاءً منه لابنته أن تتجاوز عن شكايتها لأنها تذكر حبيبة أبيها، وحق عليها أن تكرم أباه بالصفح عن حبيبته مهما تكن الأسباب، فلغة الحب وحدها هي التي تذهب كل عتاب أو مشكلة.

أيها السادة:

ارفعوا رؤسكم عالياً بسيدنا محمد ﷺ فأنتم تنتسبون لأفضل نبي، ترون ذلك حين تتابعون أخبار هذا الحب المتناثرة في كثير من الكتب، اسمعوا الأجل:

إننا نرى رسول الله يسقي السيدة عائشة من كأس فترشف منه رشفة، ثم يأخذه ليشرب منه فيضع فمه موضع فمها حيث شربت. (صلوا عليه).

ونجد رسول الله يسابقها في بعض غزواته فتسبقه حين كانت خفيفة الحركة، حتى إذا كانا في غزوة أخرى وامتلاً جسمها باللحم سابقتها فسبقها فقال لها: هذه بتلك.

أسمعتم أحلى من هذه المداعبة بين زوجين، إنها بحق حبيبة رسول الله، ولهذا كان بعض الرواة حين يروي عنها يقول: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة.

وهكذا - أيها السادة - نزلنا اليوم زائرين على هذه السيدة التقية النقية، فما هو الدرس الإيمانى التالي الذي تلقاه أصحاب رسول الله بركة هذه الصديقة؟

ادع هذا السؤال لأجيب عنه بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

السيدة عائشة (٢)

وحديث الإفك

-٧٢-

الحمد لله البر الجواد، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المانّ باللفظ والإرشاد، الهادي إلى سبيل الرشاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً.

أما بعد:

ما زلنا أمام قمة شامخة من قمم العلم والمجد، مازلنا ننزل زائرین على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى زوجه الصديقة بنت الصديق حبيبة سيدنا رسول الله ﷺ أعني بها السيدة الطاهرة عائشة بنت سيدنا أبي بكر قولوا رضي الله عنهما.

فإن آل أبي بكر كلهم بركة وكل ما يجري معهم تجري بركته على الأمة الإسلامية تقول السيدة عائشة (عند البخاري ٣٣٤):

« خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي - وفي رواية أنها استعارته من أختها أسماء - فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام. فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء

وليس معهم ماء. قالت فعاتبني أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله على فخذي، فنام رسول الله حتى أصبح على غير ماء - وأرادوا أن يصلوا الفجر - فأنزل الله آية التيمم وفيها: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ النساء: ٤٣ وهنا قال أسيد بن حضير، وهو أحد النقباء من الأنصار يوم العقبة - ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، وفي رواية: (خ ٣٣٦) [جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً]. [تقول السيدة عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحت].

أيها السادة اسمحو لي أن أنتقل بكم عبر الزمن الممتد إلى الماضي، إلى السنة السادسة للهجرة، وها أنا أرى بعين الإيمان واليقين الحبيب الأعظم ﷺ يعود أدراجه من غزوة بني المصطلق منصوراً مؤزراً، ومعه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فينزل مع الجيش في ليلة قريباً من المدينة المنورة ليرتاح معه قليلاً من عناء ومشقة السفر. فما الذي حدث؟.

أجيب عن هذا السؤال مع الدرس الثاني والسبعين من دروس القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد: لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة النور:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكُتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿النور: ١١ - ١٤﴾

أيها الإخوة الكرام:

هذه الآيات الكريمات تضمنت الدفاع عن أم المؤمنين السيدة عائشة فيما نسب إليها من حديث الإفك والزور والبهتان، فأنزل الله تعالى براءتها في عشر آيات من القرآن الكريم تتلى عبر الأجيال على تعاقب الزمان، وفضح الله المنافقين وأحبط أعمالهم.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها (فيما يرويه الامام أحمد خ ٤١٤١ - م وغيره):

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله معه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، وخرجت مع رسول الله في غزوته تلك، فلما قفل (انتهى) من الغزوة ونصره الله تعالى ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقممت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني (حاجتها) أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشيهن اللحم إنما يأكلن العلف من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم ليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي.

فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى (وكان ﷺ يتأخر عن الناس في الغزوات فيقوم فيصلّي ثم يتبعهم فيجمع ما يسقط منهم على الطريق فيأخذه فيأتي به أصحابه)، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان قد رأي قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلباي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي على الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزل

موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمناها شهراً (مرضت شهراً) والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، والذي يريني فيوجعي أني لا أرى من رسول الله اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟. فذلك الذي يريني، ولا أشعر بالشر. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

حتى خرجت بعدما نفهت، وخرجت معي أم مسطح قبل قضاء الحاجة (وهو متبرزنا) ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم ابن المطلب بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب، قالت: فأقبلت أنا وهي قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها. فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئسما قلت تسبين رجلاً شهد بداراً؟

فقالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟. فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟. قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ.

فجئت أبوي فقلت لأمي: يأمته ما يحدث الناس به. فقالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت السيدة عائشة: سبحان الله أوقد تحدث الناس بها، تقول: فبكيئ تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي. قالت: فدعا رسول الله علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم في نفسه لهم من الود. فقال:

- يارسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً.

وأما علي بن أبي طالب فقال: يارسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدّقك الخبر.

قالت: فدعا رسول الله بريرة فقال: أي بريرة! هل رأيت من شيء يريبك عن عائشة. فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأكله.

كما استشار رسول الله الفاروق عمر فأجابه بما عهد فيه من حزم ووضوح في الرأي قائلاً:
- من زوجها لك يارسول الله؟

قال: الله تعالى. قال: أفتظن أن الله دلس عليك؟ سبحانه هذا بهتان عظيم.
أيها السادة الكرام:

وهكذا استيقن رسول الله ﷺ براءة السيدة عائشة فقام من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر:

يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال: أنا أعذرک منه يارسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد بن معاذ: - كذبت، لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقام أسيد بن حضير (وهو ابن عم سعد بن معاذ) فقال لسعد بن عباد:

- كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تجادل عن منافقين.

فتأاور الحيان من الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله على المنبر، فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا، وسكت رسول الله ﷺ.

أيها المسلمين:

وبقيت السيدة عائشة تبكي يومها عند أهلها بعد شهر من الإشاعات لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم وهي تقول:

- وأبواي يظنان أن البكاء فالحق كبدي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد رسول الله حين جلس. ثم قال: أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله. فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. فقلت لأمي أجيبي رسول الله فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أي بريئة - لا تصدقوني، ولئن اعترفت بأمره والله يعلم أي منه بريئة - لتصدقني، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف:

{فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} /يوسف: ١٨/.

قالت: ثم تحولت إلى مضجعي على فراشي، وأنا والله أعلم حينئذ أي بريئة، وأن الله تعالى مبرئي براءتي، ولكني والله ما كنت أظن أن يُنزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في

نفسى من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

أيها الأخوة: تقول السيدة عائشة:

فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرءاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت: فسري عن رسول الله وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال:

- أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برك.

قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ ﴾ النور: ١١

أيها الإخوة الكرام:

فما كانت نتيجة هذا الامتحان الرهيب الذي وقعت فيه السيدة عائشة، ما هو الخير الذي نزل ببركتها، كيف انتهى هذا الحدث في حياتها.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

نهاية حديث الإفك

السيدة عائشة

الحمد لله البر الجواد، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المانّ باللفظ والإرشاد، الهادي إلى سبيل الرشاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المصطفى المختار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً.

أما بعد :

فقد كنت قد علقّت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول نتيجة الامتحان الرهيب الذي وقعت فيه السيدة الطاهرة، أعني بما أم المؤمنين الثالثة السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ونحن اليوم بإذن الله تعالى ومعونته نتناول هذه القضية الإيمانية، فقد تعلمنا من منظومة العقيدة:

واجزم بمعراج النبي كما رووا وبرئن لعائشة مما رموا

وقد بدا لدينا بكل وضوح المؤامرة الدنيئة التي استهدفت بيت النبوة، والتي شبك خيوطها حقير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وظهر لنا خطر المنافقين على دولة الإسلام، حين

استهدفوا عرض صاحب الرسالة العصماء وسيد الرسل والأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ إذ أرادوا أن يلوثوا سمعته الطاهرة بالطعن في عفاف زوجه الصديقة، ولكن الله جل في علاه كشف خبيثهم وتآمرهم، وبراً أم المؤمنين من ذلك البهتان العظيم، وأعطى درساً للأجيال ودليل مجد وفخار لبیت النبوة ولجميع أمهات المؤمنين.

أيها الإخوة الكرام:

أضع اليوم أمامكم نهاية هذه القضية الایمانية

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل، حيث ينصح مولانا أهل الغفلة من المؤمنين على موجات سورة النور:

قال تعالى: أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأُجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ النور: ٤ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ النور: ١٥ - ١٧

أيها الإخوة الكرام:

هذه الآيات القرآنية أنزلها رب العزة والجلال في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول وغيره من المنافقين، لتعرف الأمة خطرهم وضررهم وتأخذ الحيطه والحذر من كل منافق عليم اللسان يدعو إلى شق الصف الإسلامي ونشر الفاحشة في صفوف أفراد الأمة.

لقد كشف لنا القرآن عن شناعة الجرم وبشاعته، فقد تناولت هذه التهمة أولاً أكرم إنسان على الله تعالى ثم أكرم إنسان على رسول الله ﷺ وهو صديقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تناولت عرض زوجته وأحب نسائه إليه، ثم تناولت عرض رجل من خيرة الصحابة وهو سيدنا صفوان بن معطل الذي شهد له رسول الله بأنه لم يعرف عنه إلا كل خير.

فهذا الحادث حادث الإفك، قد كلف أظهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، فقد زرع في بعض النفوس الشك والريبة في قلوب هؤلاء جميعاً شهراً كاملاً حتى نزلت البراءة ناصعة للزوجة العفيفة وبراءة المؤمن المجاهد صفوان وإدانة أهل النفاق وحزب الضلال.

لكن من المؤسف أن يغتر بهذه التهمة النكراء بعض المسلمين، وأن يتناقلها الشذج البسطاء منهم وهم في غفلة عن مكائد المنافقين ومؤامراتهم ومخططاتهم التي يستهدفون بها الإسلام، فقد وقع في حبال ابن أبي بن سلول ثلة من المؤمنين المشهورين بالتقى والصلاح أمثال:

مسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمزة بنت جحش أخت السيدة زينب أم المؤمنين رغم أن السيدة زينب نبهتها على هذه الفرية المكذوبة من أن تروجها ضد بيت النبوة ولكن حمزة لم تسمع، فقد سأل رسول الله السيدة زينب فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ (خ (٤١٤١) (٢٥٩٣).

فقالت: يا رسول الله: أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.

لكن حمزة (أختها) راحت تحارب لأجل هذه الفكرة وتروج لها حتى أظهر الله الحق وزهق الباطل، وأمر مولانا أن يجلدوا ثمانين جلدة، أن يجلد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثمانين جلدة حتى لا يقع المسلمون بهذا الأمر ثانية ولا يروجون الإشاعات دون التمحيص والتحقيق في أصلها وصدقها.

وأدب مولانا الباقيين من المسلمين بآداب شرعية منها:

١- أن لا يظن المؤمنون ظن السوء، وأن يحسنوا ظنهم بجميع المؤمنين وهذا الأدب مستمد من قوله تعالى: {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين} /النور: ١٢/.

٢- الثاني: عدم الكلام بهذا الإفك والبهتان على أم المؤمنين زوجة نبينا، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله تعالى يغار لهذا، وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على

زوجة نبي من الأنبياء ذلك الزنى والفاحشة، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوج سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وأما الأدب الثالث: فهو لمن سمع هذا الكلام السيء فقام بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا (وهو الحد) وَالْآخِرَةِ (بالعذاب الأليم)﴾ النور: ١٩

ولهذا كله أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبة على أن من سبَّ السيدة عائشة ورمأها بما رمأها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن، واختلفوا في سواها من أمهات المؤمنين:

فذهب بعض العلماء إلى كفر من قذف إحدى أمهات المؤمنين، وهذا ما رجحه ابن كثير رحمه الله، وذلك لما ورد من الوعيد الشديد في حق قاذفهن كما قال تعالى ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ٢٣ حتى ذهب ابن عباس إلى عدم قبول توبته، وحجة هؤلاء: أن قذف أمهات المؤمنين طعن في رسول الله ﷺ وجرح لكرامته، ومن استباح الطعن في عرض رسول الله فهو كافر مرتد عن الإسلام.

واسمعوا إلى ما يقوله العلامة الألوسي في تفسير آيات الإفك، قال:

وظاهر هذه الآية كفر قاذف أمهات المؤمنين، لأن الله عز وجل رتب على رميهن عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين، والذي ينبغي أن يعول الحكم عليه بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين بعد نزول الآيات وخاصة أن مولانا قال: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات.

فكأن مولانا يقول ما كان الله ليجعل السيدة عائشة زوجة رسول الله إلا طيبة، لأنه أطيّب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً.

أيها الإخوة:

والظاهر أن يحكم بكفر ابن أبي لعنه الله لأنه كان مستبيحاً وقاصداً الطعن على رسول الله، لكنه لا يحكم بكفر من لم يستبح كحسان ومسطح وحمنة، فإن الظاهر أنهم لم يكونوا قاصدين الطعن على سيد المرسلين وإنما قالوا ما قالوا تقليداً فوجخوا على ذلك تويحاً شديداً.

أيها السادة: كل من يشك في براءة السيدة عائشة بعد تبرئة الله لها فهو مكذب لله عز وجل وطاعن في رسول الله فيكون كافراً بلا تردد، واسمعوا إلى الحكم الإلهي في ذلك:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧ ﴾

الأحزاب: ٥٧

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

السيدة عائشة

معركة الجمل

-٧٣-

الحمد لله البر الجواد، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المانّ باللطف والإرشاد،
الهادي إلى سبيل الرشاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المصطفى
المختار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى آله وأصحابه
وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً.

أما بعد:

لقد كانت الآيات التي نزلت مبرئة السيدة عائشة مما نسب إليها من حديث الإفك ضربة
قاصمة للمنافقين وعلى أسفلهم حقيرهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي بدأ حديث الإفك،
وللأسف أن بعض المؤمنين السذج أمثال مسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش
قد روجوا لهذه الإشاعة فجاء بهم رسول الله فجلد كل واحدٍ منهم حد القذف وهو ثمانون
جلدة.

وأدب الله المؤمنين الباقيين بآداب ذكرها في سورة النور، فكانت هذه السورة نوراً على نور،
وجاءت الأحكام تبين أن كل من يتهم السيدة عائشة بذلك بعد تبرئة الله لها فهو كافر مرتد عن
الإسلام، ولهذا جعل العلماء موضوع براءتها من أصول العقائد فقال صاحب منظومة الجوهرة:

واجزم بمعراج النبي كما رووا وبرئن لعائشة مما رموا

أيها الإخوة:

إننا مع الحلقة الثالثة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

أيها السادة:

بقيت السيدة عائشة رضي الله عنها في مقدمة الزوجات في بيت النبوة، وقد أحسست هي بهذه الخطوة، فكانت تقول: خلال فيّ تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران، ووالله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحي. فسئلت: ما هن؟ فقالت:

نزل جبريل بصورتي في حريّة، وتزوجني رسول الله لسبع سنين، وأهديت إليّ تسع سنين، وتزوجني بكرة ولم يشركه فيّ أحد من الناس، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد، وكنت أحبّ الناس إليه، ونزل فيّ آية القرآن، بعد أن كادت الأمة أن تهلك، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري (رأته في صورة الصحابي دحيه الكلبي فأقرأها السلام)، وقبض في بيتي بين سحري ونحري ودفن في بيتي (صلوا عليه).

وعاشت السيدة عائشة في كنف زوجها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم تسع سنوات وبضعة أشهر، شهدت خلالها مولد الأمة، وإقامة الدولة، وتنزل الوحي، وكمال الدين، وتمام النعمة، وشهدت أحداث الغزوات والسرايا: عاشت انتصار بدر، ودرس أحد، وأزمة الخندق وعظمة الفتح المبين، كما عاشت أحداثاً تتصل بالدعوة كما تمس شخصها، وعاشت ما أنزل الله من قرآن يتلى وأحكام وحدود وآداب.

وفي ذي الحجة من العام العاشر للهجرة حج رسول الله وزوجاته ومئة ألف مسلم حجة الوداع (أو ثمانين ألفاً) وعاد إلى المدينة وقد بين للناس مناسكهم في خامس دعامة من دعائم الاسلام: وهي الحج.

وجاء صفر من السنة الحادية عشرة، وفي ليلة من لياليه خرج رسول الله ﷺ في جنازة بالبيع ورجع فوجد عائشة تشكو صداعاً وتقول: وأرأساه.. فقال لها: بل أنا وأرأساه، وأراد أن يداعب زوجه ليخفف عنها ما ألمَّ بها فقال لها: ما ضرك لو مت قبلي وغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك قالت عائشة: لكأني بك قد فعلت ذلك ورجعت إلى بيتك فأعرست ببعض نسائك، فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ بوجعه الذي توفي فيه ﷺ (ق).

وخرج من عند السيدة عائشة، وكعاداته كل يوم يطوف بزوجاته حتى كان يوم ميمونة فاشتد وجعه وغلبه على نفسه فدعا نساءه واستأذنه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له. وبقي الصديق يصلي بالناس حتى انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو على صدر عائشة ودفن في حجرتها (خ).

أيها السادة:

وعاشت السيدة عائشة بعد رسول الله ﷺ سبعة وأربعين سنة كلها تعليم وتثقيف وتفقيه للمسلمين والمسلمات في أمور دينهم كما علمها رسول الله ﷺ تماماً.

وشهدت السيدة عائشة حروب الردة، وعاصرت سياسة عصرها، ولكن والدها الصديق وخلفته عمر، ثم عثمان تولوا سياسة البلاد ولم يسمحوا لها بمشاركتها بقضايا السياسة وأمور الحرب والسلام، فقد كان كبار الصحابة يتولون دفة الحكم حتى جرت الفتنة؟. فتنة قتل الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان وهروب قتلته إلى العراق ودخولهم في جيش سيدنا علي، وكانت السيدة عائشة في طريق عودتها من الحج إلى المدينة، فسار إليها الصحابييان الجليلان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وطلبا منها أن تتوسط لدى الخليفة الجديد في تسليم قتلة عثمان للقصاص منهم. فعادت إلى مكة وقامت خطيبة من وراء حجاب في أهلها وحثت على طلب دم عثمان فاستحباب لها بنو أمية وجمع من الناس كثير، واتفقت كلمتهم على التوجه للبصرة لشحن العزائم للأخذ بثأر عثمان وإقامة الحد على قتلته.

إلا أن جمعاً من الصحابة مكثوا في بيوتهم وعدوا ذلك من إثارة الفتنة فلم يلتحقوا بسيدنا علي ولا بالسيدة عائشة ﷺ.

أيها الإخوة:

وتناهى الخبر إلى سيدنا علي في المدينة توجّه السيدة عائشة إلى البصرة فتوجه إلى الربرة ليحول بينهم وبين البصرة بجيش من المدينة، ولكن موكب السيدة عائشة كان قد مر من الربرة متوجّهاً إلى قَدْرِهِ في البصرة.

وما أن وصل موكب السيدة عائشة إلى البصرة حتى انضم إليها بعض أهلها، فأبى واليها عثمان بن حنيفاً أن يقاتل كل من وقف إلى جوار أم المؤمنين، وكانت مقتلة عظيمة حتى ناداهم منادي السيدة عائشة يناشدهم الكف للصلح ووقف القتال، وقرروا مراسلة سيدنا علي الذي خرج بجيش من الكوفة مع جيش المدينة، والتقى الأطراف في ذي قار. وقد تنادوا بالصلح ودرء الفتنة.

لم تعجب رؤوس الفتنة كلمة الصلح فباتوا بِشَرِّ ليلة وهم يتشارون في كيفية إنشابه الحرب في السر، فقام جماعة منهم لكل طرف في الظلام فقتلوا جماعة من كل حي من أحياء العرب، فأصبح الناس يومها ورأوا القتلى فثاروا ثورة واحدة، يظنون أن كل طرف قد نقض الصلح وأبى إلا القتال.

وعادت السيدة عائشة من جديد تستعد للخروج لعل الله يصلح بها كما أصلح من قبل، فركبت هودجها على جملها (عسكر)، وألبست هودجها الأذراع ثم بعث الجند الجمل.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بثاً حياً لما فعله السبئيون أعداء الإسلام من المنافقين، فقد أشعلوا الحرب في صباح يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة حتى صلاة العصر من سنة ٣٥ هـ.

وأرى السيدة عائشة تبرز من البيوت نحو ساحة المعركة فرأت الناس منهزمين، فلما رأوا الجمل وهو مقبل إلى أرض المعركة وقد حَقَّتْ به مُضَر، عاد الناس المنهزمون قلباً واحداً كما كانوا، وعادوا إلى القتال من جديد فما كان من أم المؤمنين إلا أن دفعت المصحف لأحدهم

ليقبل به على القوم للصلح فرشقوا حامل المصحف بالسهم فقتلوه، ورموا السيدة عائشة في هودجها وهي تنادي: الله الله، فيأبون إلا إقداماً، فقالت:

أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وضج أهل البصرة بالدعاء، وسمع سيدنا علي فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل علي يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم.

وراح القوم في القتال حتى عقر الجمل الذي عليه السيدة عائشة وحمل هودج أم المؤمنين بأمر الخليفة سيدنا علي إلى داخل البصرة، وراح يطمئنون على أم المؤمنين بعد أن هدأت الحرب، وكان أولهم سيدنا علي جاء إليها وقال لها: غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردتُ إلا الإصلاح.

وإذا برجل يدعى أعين بن ضبيعة المجاشعي يطلع في الهودج ويهتك ستر أم المؤمنين فقالت له:

- إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حميراً، فقالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك، قال فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عرياناً في خربة من خرابات الأزد.

أيها السادة: نزلت السيدة عائشة في البصرة بأعظم دار، فلما فرغ علي من أمر معركة الجمل أتاها وجوه الناس يسلمون عليه ويبايعونه فسمع سيدنا علي رجلان ينالان من السيدة عائشة فأمر أن يجلدوا مئة جلدة.

فلما أرادت أم المؤمنين الخروج إلى البصرة بعث إليها سيدنا بكل ما ينبغي من متاع ومركب، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كانت على أطراف البصرة وودعت الناس ودعت لهم قالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، وإنه والله ما كان بيني وبين علي في القَدَم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار. فقال علي: والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة.

أيها السادة:

عادت السيدة عائشة إلى مكة المكرمة إلى أن حجت عامها سنة ٣٦ ثم رجعت إلى المدينة، وبقيت تذكر هذه الحادثة وتؤرقها طيلة حياتها، وكانت تتمنى أن تموت قبل يوم الجمل حتى قالت ساعة الاحتضار:

- والله لوددت لو أتي كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي.

وكانت إذا ذكرت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الأحزاب: ٣٣ تبكي حتى تبل خمارها.

وحين حضرتها الوفاة جاءها عبد الله بن عباس ليعودها يقول ذكوان مولاها: فأدخلته، فلما جلس قال: أبشري. قالت: بم؟ قال ما بينك وبين أن تلقي مُحمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد. كنت أحب نساء رسول الله، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك يوم الأبواء فأصبح رسول الله ليطلبها حين يصبح في المنزل فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله أن ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ النساء: ٤٣، فكان ذلك من سببك وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه إلا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار.

فقالت: دعني منك يا ابن عباس، فوالله الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً.

أيها الإخوة:

هاهي السيدة عائشة قد تجاوزت السبعين من عمرها تصعد روحها الطاهرة إلى جنات ونهر في رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة، واجتمع الناس للصلاة عليها وتشيعها حتى لم تر ليلة أكثر ناساً منها، وصلى عليها أبو هريرة أمير المدينة وحملت لتدفن مع أمهات المؤمنين في البقيع بعد الوتر كما أوصت.

فاللهم ارض عنها وعن أبيها وأهل بيتها وسائر صحابة رسول الله أجمعين.

فمن هي أفضل السيدة عائشة أم السيدة خديجة أم السيدة فاطمة؟.

اعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بإذن الله في الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا هنا، مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

تذكر عزيز الموحّد :

- عقد رسول الله ﷺ على السيدة عائشة وهي بنت سبع.
- وتزوجها وهي بنت تسع بعد سبعة أشهر من قدومه المدينة.
- كانت السيدة عائشة أعلم نساء عصرها وأتقاهن.
- روت / ٢٢١٠ / أحاديث.
- كانت سخية كريمة.
- كانت غيورة على مكانتها عند رسول الله.
- نزل بفضلها آية التيمم.
- أدّب الله ببركتها المؤمنين ونزل لأجلها حدّ القذف.
- قالت في المحنة (فصبر جميل والله المستعان على ما تصنعون).
- نزلت براءتها من لدن مولانا عز وجل في القرآن الكريم.
- من رماها بعد نزول براءتها فهو كافر لمخالفته صريح القرآن.

سيدنا محمد ﷺ

-٧٤-

أمهات المؤمنين

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت، بيده مقاليد الأرض والسموات ومصاير جميع المخلوقات، ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله اتقى الله فوفاه، وتوكل عليه فكفاه واعتمد عليه فأيده بنصره وآواه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة:

قبل أن أنتقل بكم إلى زيارة أم المؤمنين الرابعه فإنني أجيب اليوم بعون الله تعالى عن سؤال كنت قد علقتة معكم في الجمعة الماضية:

حول أي نساء نبينا أفضل؟، بعد أن اتفق العلماء أن أفضل زوجاته ﷺ السيدة خديجة والسيدة عائشة، والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم أي هاتين السيدتين الصديقتين أفضل؟

فقد عرفنا مكانة السيدة خديجة وتأثيرها الكبير في أول الإسلام، وكيف تسلي سيدنا رسول الله ﷺ وتثبته وتبذل دونه ماله، وكيف أدركت عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكانت نصرتها لسيدنا رسول الله ﷺ في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس

لغيرها، وهذه ميزة لم تشركها السيدة عائشة ولا غيرها، ثم هي أم أولاده ﷺ الستة، وبعث لها رب العزة والجلال سلاماً عطراً مع الأمين جبريل كما في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ فقال: هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام (طعام أو شراب) فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب.

وأما السيدة عائشة رضي الله عنها فكان تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع بنبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها، وأرسل إليها الأمين جبريل سلاماً مع نبينا ﷺ وقال فيها عليه الصلاة والسلام: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (ق).

وسبب الخلاف في تفضيل كل منهما ما ثبت من قوله ﷺ لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها.

فغضب ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال:

« لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء » أحمد في المسند.

كان هذا الجواب من سيدنا رسول الله سبباً في تفضيل السيدة خديجة على عائشة رضي الله عنهما.

لكن العلماء وهم يتحدثون عن أفضليتهما نراهم يفضلون عليهما السيدة فاطمة، حتى قال الإمام مالك: بأفضليتهما على سائر الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا نرى شيخ الإسلام مولانا الشيخ زكريا الأنصاري حين سئل عن أفضلية السيدة خديجة أم السيدة فاطمة يقول: إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: « بضعة مني » ولا أعدل ببضعة رسول الله أحد، وكذلك اختار الامام السيوطي أن فاطمة أفضل النساء، وعليه فهي أفضل من أمها السيدة خديجة رضي الله عنها، وإنما فضلت سيدتنا خديجة على سيدتنا فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة.

أيها السادة:

فما الذي يجب علينا اعتقاده في هذه القضية الإيمانية من أقوال العلماء قاطبة؟

أضع أمامكم اليوم موجزاً هاماً عليكم حفظه جيداً واعتقاده والتمسك به وهو أن: أفضل الأمة من جهة البضعية سيدة نساء الدنيا والآخرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن جهة السابقة والمؤازرة والمعاونة والمناصرة على الدين السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام، ومن جهة العلم والتعليم وانتفاع الأمة ونشر الشريعة مع حب رسول الله السيدة عائشة الصديقة عليها السلام.

أيها السادة:

إننا مع الحلقة الرابعة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفّعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

فنحن اليوم ننزل زائرين على السيدة الرابعة في ترتيب دخولها إلى بيت النبوة ألا وهي السيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي القرشية العدوية. وأمها زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الرجل الصالح.

ولدت السيدة حفصة في العام نفسه الذي ولدت فيه جدتي سيدتنا فاطمة بنت سيدنا رسول الله ﷺ في السنة الخامسة أو السابعة قبل البعثة.

وشبت في عز أبيها سيدنا عمر فقد كان من رجالات قريش وساداتها البارزين وشجعائها المعروفين فلما كانت السنة السادسة للبعثة أكرم الله بالهداية سيدنا عمر فأسلم وأسلم معه أهل بيته ومنهم حفصة.

وتسارع المهاجرون إلى الحبشة بأن مكة قد أسلمت وبأن الله قد أعز الإسلام بحمزة بن عبد المطلب وبعمر بن الخطاب، فرأى أغلبهم العودة إلى مكة بلدهم الحبيب لينضموا إلى مواكب الإيمان تحت قيادة سيدنا رسول الله ﷺ فكان من بين العائدين خنيس بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي فخطب السيدة حفصة من أبيها وتزوجها.

وقد تزوجت السيدة حفصة من سيدنا خنيس بن حذافة السهمي أحد السابقين إلى الإسلام، وشهد بداراً وأحدأ، وأصابه بها جراحة فمات منها في المدينة المنورة، وترك السيدة حفصة أرملة شابة لا تتجاوز الثامنة عشرة، وسيدنا عمر - أيها السادة - رجل جاد، يأخذ العدل في حياته مأخذ الجد الذي لا هوادة فيه، فلم يجد من العدل أن تظل ابنته الشابة من غير زواج يصونها ويذهب عنها لوعة الترميل وذُلّه، والمسلمون في دار الهجرة قلة بين العرب، ومن واجب المسلمين بإزار زوجات شهدائهم المترملات أن يحسنوا إليهن بالزواج.

وإلى جانب ذلك بدأت الغزوات وتساقط المسلمون شهداء بالغزوات وكثرت المترملات، فكان لا بد من كل مسلم أن يحمل أعباء تركه أخيه في الدين، فيصون زوجة أخيه عن الترميل والوحشة ويعصمها من الفتنة أو المذلة، ويدفع عنها الحاجة لا بصدقة تأبأها أو تهدر قدرها بل بزواج يقيم ظهرها ويرفع رأسها.

بهذا تدرك كل مسلمة أن الجهاد في سبيل الدين لن تكون عاقبته الخذلان والخسران وزوال الستر عن كل ذات حذر.

أيها السادة:

هكذا تفكر عمر تماماً، وعلى هذا الإحساس ذهب والد الأرملة الشابة في حده الصارم ينشد لها زوجاً، فحدث سيدنا أبا بكر الصديق فرفض الزواج منها، وحدث سيدنا عثمان الذي كان متزوجاً من السيدة رقية بنت سيدنا رسول الله ﷺ ثم ماتت عنده وبقي محزوناً عليها لا يتزوج، لكن عثمان رفض هو الآخر التزوج من السيدة حفصة. فماذا يفعل سيدنا عمر رضي الله عنه؟! أتدرون ماذا فعل؟ لقد توجه إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ وقص عليه ما حدث، فواساه رسول الله وطيب خاطره ثم قال له: « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » (أبو يعلى - الفتحة).

ويتعجب الفاروق، لكن عجب زال عندما زوج رسول الله سيدنا عثمان من أم كلثوم، وتزوج النبي من حفصة. وهكذا يسوي رسول الله في المصاهرة بين صاحبيه ووزيره أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وإليكم هذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر وهو يعرض لهذه القضية فيقول: « إن عمر حين تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة وكان شهد بداراً وتوفي بالمدينة، لقي عثمان فقال: إن شئت أنكحتك حفصة قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي. فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج قال عمر: فقلت لأبي بكر: إن شئت أنكحتك حفصة. فصمت، فكنت عليه أوجد مني على عثمان. فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال:

- لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً؟. قلت: نعم. قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أنني علمت أن النبي ذكرها، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لقبلتها.

أيها الإخوة: هذا لعمر الحق هي الشبهة الحقة، بل هي الرجولة الصادقة تظهر في فعل الفاروق عمر، فهو يريد أن يصون عرضه، فلا يرى في نفسه غضاظة أن يعرض ابنته على الكفاء الصالح لأن الزوج خير وسيلة للمجتمع الفاضل، فأين نحن اليوم من جهل المسلمين بأحكام الاسلام وجماله الناصع يتركون بناهم عوانس حتى يأتي الخاطب ذو المال الكثير والثراء الوفير.

أيها السادة:

تم هذا الزواج الميمون سنة ثلاث من الهجرة عند أكثر العلماء، وقدمت السيدة حفصة، وكان عند النبي السيدة عائشة والسيدة سودة، فأصبحت صديقتهما وشكلن حزياً واحداً كما ذكرت لكم فيما مضى، مقابل حزب السيدة زينب بنت جحش. وأمر رسول الله ﷺ الشفاء بنت عبد الله أن تعلم السيدة حفصة الكتابة (أحمد)، ويبلغ سيدنا عمر أن حفصة تراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان فيحذرهما من فوره عقوبة الله وغضب رسوله ويقول لها: لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنهما وحب رسول الله إياهما، والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك.

هل سمعتم - أيها السادة - الهدف من زواجه ﷺ من السيدة حفصة، لقد أنطق الله سيدنا الفاروق الملهم عن سبب هذا الزواج إنه: الاحترام والمحبة لسيدنا عمر وتعليق وسام المصاهرة على صدره أبد الدهر.

وتمضي الأيام على السيدة حفصة والسنوات في بيت النبوة وهي تتابع حفظ كتاب الله تعالى جيداً حتى حفظته كله وفهمته وعملت به.

أيها السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة إلى المسجد النبوي الشريف وهاهو رسول الله ﷺ يجلس مع أصحابه يبشرهم ببشارة عظيمة فإن ابن سعد يروي لنا في حديث الحديبية وبيعة الرضوان أن رسول الله ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة في الحديبية فقال: « لا يدخل النار إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها ». فإذا بالسيدة حفصة تقول: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت: ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ﴾ (٧١) مريم: ٧٢ (أحمد - م ٢٤٩٦).

وتذكر كتب التفسير أن حفصة رأت النبي في حجرتها مع مارية القبطية، فلما خلت معه قالت: لقد رأيت من كان عندك، والله لقد سببت وما كنت لتصنعها لولا هواني عليك.

وأكب النبي يطيب خاطرها، ولكي يرضاها أسرَّ إليها أن مارية حرام عليه، ثم أوصاها ألا تحدث أحداً بهذا، فإذا بالسيدة حفصة تُسرُّ بالحديث لعائشة. فأنزل مولانا عز وجل على نبيه قوله:

﴿ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ۖ ﴾ التحريم: ٣

وفي الصحيحين أن القصة في شرب العسل التي ذكرناها سابقاً.

ويروي ابن حجر من طرق شتى أن رسول الله طلق حفصة تطليقة واحدة ثم ارتجعها، وقيل: إنه ارتجعها لأجل عمر، وأن جبريل نزل على نبينا فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر. وفي رواية أنه قال له: « أرجع حفصة فإنها صَوَّامة قَوَّامة وإنها زوجتك في الجنة » .

وقد شعرت هي بالندم لإذاعة السر، فما كان لها وهي في تلك المنزلة من العبادة والتقوى والدين أن تذيع سراً أئتمنها عليه رسول الله ﷺ، لذلك عندما طلقها رسول الله قال عمر لابنته: - لعل رسول الله قد طلقك؟! إن كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً.

أيها السادة:

بقيت أم المؤمنين الرابعة تعيش في كنف أعظم زوج وخير معاشر حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى فلم تر باكية أشد منها يومذاك، وشهدت حفصة خلافة الصديق ثم خلافة أبيها عمر وشهدت فتوحات الشام والعراق ومصر في عهده، وفي سنة ٢٣ هـ دوت الصرخات في المدينة المنورة عندما نودي بمقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتعاين هذه السيدة التقية من هذه المأساة الإسلامية الشنيعة الكثيرة، وينتقل المصحف الشريف الذي كتبه الخليفة أبو بكر وانتقل بعده إلى عمر، ينتقل إلى حفصة ويبقى عندها حتى طلبه عثمان فنسخه عدة نسخ ثم أرسله إلى الأمصار وأعادها إليها ثانية، ولكن القدر وبعد سنوات من خلافة عثمان تفجع الأمة العربية بمحاولة قتل واغتيال أمير المؤمنين عثمان فتسارع السيدة حفصة إلى عائشة لترافقها إلى البصرة فيعزم عليها أخوها عبد الله ألا تذهب خشية تلك الفتنة التي بدأت باستشهاد الخليفة الثالث بالشكل المروع المعروف (١).

وتبقى السيدة حفصة بالمدينة تتابع طريق الدعوة إلى دين الله إلى أن توفيت في عهد معاوية سنة ٤٧ هـ ويشيعها أهل المدينة إلى مثواها الأخير في البقيع مع أمهات المؤمنين.

أيها السادة:

هذا هو الراجح الذي نقله علماء التاريخ فالسيدة حفصة دفنت بالبقيع وليس في باب الصغير بدمشق فتنبهوا لهذا معشر الإخوة الكرام.

فمن هي السيدة الخامسة في الترتيب في دخولها بيت النبوة؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

(١) انظر كتابنا: نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية - الجزء الثاني.

سيدنا محمد ﷺ

-٧٥-

أمهات المؤمنين - زينب بنت خزيمة /١٢/

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيء ووسعت، وتمت نعمته على العباد وعظمت، ملك ذلت لعزته الرقاب وخضعت. وهابت لسطوته الصعاب وخشعت. وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت. كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت، بصير بعباده يعلم ماكنت الصدور وأودعت، نحمده على نعم توالى علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صل وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت الوفود بالمشاعر العظام وتمت، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

نحن اليوم ننزل زائرين على من؟

على أية امرأة من اللواتي أكرمهن الله بأسمى لقب: لقب أم المؤمنين؟

ما هي الخصوصية التي اختصت بها بهذه السيدة الكريمة؟

ما هو سبب زواج سيدنا رسول الله ﷺ منها؟

ما هو رقمها في دخول بيت النبوة؟ بل ما هي القضية الإيمانية التي نستفيد منها من ذكر هذه السيدة؟

أيها السادة:

أجيب عن هذه التساؤلات مع الحلقة الخامسة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

أنزل معكم اليوم ضيوفاً على سيدة كريمة سخية اشتهرت بالإحسان إلى الفقراء وكثرة التصديق عليهم، وكانت رغم فقرها تقدم لهم الطعام والشراب حتى لقبت لقب « أم المساكين » من كثرة إحسانها إليهم، إنها السيدة الخامسة في ترتيب دخولها بيت النبوة:

السيدة زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف الهاشمية وأمها السيدة هند بنت عوف بن الحارث (قولوا ﷺ).

هذه السيدة الجليلة ولدت قبل البعثة في مكة، وعندما بلغت سن الزواج تزوجت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف اثم طلقها، فتزوجها بعده أخوه البطل المقدام، شهيد الإسلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ وأرضاه.

عبيدة هذا كان من المسلمين الأوائل قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، أسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن الأرقم المخزومي وعثمان بن مظعون في وقت واحد.

وهاجر عبيدة إلى المدينة مع أخويه طفيل والحسين ابني الحارث، ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وكان لعبيدة قدر ومنزلة كبيرة عند رسول الله ﷺ، فقد ذكر صاحب السيرة ابن اسحق فقال:

§ أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد عودته من غزوة وُدَّان بقية صفر وصدرًا من ربيع الأول من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد. فكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لعبيدة، فالتقى عبيدة والمشركون بثنية المرة، وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب، وكان هذا أول قتال في الإسلام (١). فنال هذا الصحابي الشرف العظيم بأنه كان صاحب أول لواء عقد في قتال كفار مكة، ثم شهد عبيدة بدرًا.

واسمحو لي معشر السادة الكرام أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مكان بين المدينة المنورة ومكة حيث وقعت معركة بدر، فهاهو الجيشان قد التقيا وجهًا لوجه، ولكن جرت العادة أن تبدأ المعارك بالمبارزة بين أبطال الطرفين ليهيج الناس بعضهم بعضاً على القتال، وعندما اصطفت القوم للقتال خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة فدعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة، فقالوا: ممن أنتم. قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا إليكم حاجة، ثم نادى مناديهـم:

- يا مُجَدِّ أخرج لنا أكفاءنا من قومنا.

وهنا أصدر القائد الأعلى للأمة أوامره فقال: قم يا حمزة. قم يا علي، قم يا عبيدة.

وراح الثلاثة من أهل الإيمان واليقين يبارزون ثلاثة من صناديد الكفر والشرك. فبارز عبيدة عتبة فاختلفا ضربتين أثنى كل منهما صاحبه وأثبتته، وبارز حمزة شيبة فقتله مكانه، وبارز جدي علي الوليد فقتله مكانه، ثم كرا على عتبة الذي كان يقاتل عبيدة ابن الحارث الجريح فدفعوا عليه واحتملا عبيدة فحازوه إلى الرحل وراء الجيش المسلم.

قيل: إن عبيدة كان أسنَّ المسلمين يوم بدر فـقطعت رجله، فوضع رسول الله ﷺ رأسه على ركبته فقال: يا رسول الله! لو رأي أبو طالب لعلم أني أحق بقوله منه حيث يقول:

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

ثم ارتفعت روح عبيدة إلى الرفيق الأعلى على إثر جراحه (د: ٤ / ٤٩ - ابن حجر في الفتح ٧ / ٢٩٨).

كل هذا - أيها الإخوة - وزوجته زينب بنت خزيمة تقوم بواجبها في إسعاف المرضى والجرحى وتضميد جراحهم، ولم يشغلها استشهاد زوجها عند عودته مع رسول الله ﷺ من بدر، لم يشغلها عن القيام بواجبها حتى كتب الله النصر للمؤمنين في معركة خاضوها ضد الشرك والمشركين سطرها لهم التاريخ إذ غلبت القلة المؤمنة العزلاء الكثرة الكافرة رغم العدد والعدة.

أيها الإخوة:

ودفن سيدنا عبدة بن الحارث وبقيت هذه البقعة يُشْمُ منها ريح المسك، وتمضي الأيام حتى إننا نرى سيدنا رسول الله ينزل مرة مع أصحابه عند قبره، فقال الصحب الكرام: إنا نجد ريح مسك. فقال ﷺ: وما يمنعكم وههنا قبر أبي معاوية عبدة بن الحارث، كان قتل وعمره ثلاث وستون سنة فقولوا ﷻ.

وصبرت السيدة زينب بنت خزيمة على استشهاد زوجها، فلما علم رسول الله بصبرها وثباتها وجهادها وأنه لم يعد هناك من يعولها خطبها لنفسه وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها، ومنهم من قال: إنها كانت في الستين، تزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم.

وهكذا ترون - أيها السادة - أنه لم يمض وقت طويل على مجيء السيدة حفصة إلى بيت النبوة حتى وفدت زوجة خامسة كانت هي الأخرى أرملة شهيد عزيز من شهداء بدر.

أيها السادة:

ومهما اختلف في سن أم المؤمنين الخامسة السيدة زينب بنت خزيمة فإن الذي يهمنا السبب الذي من أجله تزوجها رسول الله، فقد كان لزوجها السابق مكانة عند الله وعند رسوله أما عند الله فقد مات الصحابي الجليل عبدة شهيداً في سبيل الله مدافعاً عن دينه ويكفيه هذا فخراً، وليس بعد مرتبة الشهيد إلا الصديق والنبي، فأراد رسول الله أن يكرم عبدة أولاً، ويكرم زوجته التي استسلمت لقضاء الله وجاهدت بعد زوجها وسلمت أمرها للنبي يفعل ما يشاء، وقد انقطع الناصر والمعين في الدنيا، فما كان من رسول الله إلا أن جبر خاطرهما وهي الأم الكريمة التي طبعت على حب الخير وإطعام المساكين، كانت تعمل بيدها فتبيعه وتطعم بثمنه الفقراء، فإذا

اختلف المؤرخون وكتاب السيرة في أمر السيدة زينب وعمرها فقد اتفقوا جميعاً على شيء واحد لم يختلف فيه اثنان، ذلك هو وصفها بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء، ولا يكاد يعرض اسمها في أي كتاب إلا مقروناً بلقبها العظيم: أم المساكين.

لذلك كانت المكافأة عظيمة على قدر عملها الصالح وهي أن تكون أمّاً للمؤمنين وزوجاً لخاتم الأنبياء والمرسلين.

أيها السادة:

لم تعمّر السيدة زينب عند نبيا ﷺ كثيراً سوى أشهر قليلة منهم من أتمها إلى الستين، ثم توفاه الله تعالى في ربيع الآخر سنة أربع هجرية على الراجح انتقلت إلى جوار مولانا راضية مرضية، فكانت هي ثاني زوجة توفيت في حياة رسول الله، حيث صلى عليها ودفنها في البقيع. فما رأي الخراصين بهذا الزواج الشريف وغايته النبيلة؟

هل يجدون فيه شيئاً مما يأفك الآفكون؟، أيجدون فيه أثراً للهوى والشهوة؟

أم هو النبل والعفاف والرحمة والفضل والإحسان من رسول الانسانية الأكبر يأسد من صلى عليه.

فليتق الله المستشرقون المغرضون وليؤدوا أمانة العلم ولا يخونوها في سبيل غايات خبيثة درسوا لأجلها الاسلام للدس والكيد والنيل من سيد الانسانية سيدنا ومولانا محمد I.

فمن هي أم المؤمنين السادسة في ترتيب دخول بيت النبوة، ما هو سبب زواج رسول الله منها، هل هو إنساني بحت أم اجتماعي أم اقتصادي؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

تذكر عزيزي الموحد:

أن زوجات نبينا ﷺ إحدى عشر زوجة من الحرائر، وأربع جوار:

- ١- السيدة خديجة ﷺ .
- ٢- السيدة سودة بنت زمعة ﷺ .
- ٣- السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .
- ٤- السيدة حفصة بنت سيدنا عمر رضي الله عنهما .
- ٥- السيدة زينب بنت خزيمة ﷺ .
- ٦- السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة ﷺ .
- ٧- السيدة زينب بنت جحش ﷺ .
- ٨- السيدة حورية بنت الحارث ﷺ .
- ٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ﷺ .
- ١٠- السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما .
- ١١- ميمونة بنت الحارث ﷺ .

سيدنا محمد ﷺ

-٧٦-

أمهات المؤمنين /١٣/

الحمد لله الذي بين أحكام الملة السنية، وزين أعلام الجلالة السنية، وبصرهم بما آتاهم من الآثار النبوية، ونصرهم على ماناوأهم من الأشرار الخشوية. أشكره على أيادي جارية وحفية، واستغفره لمساوي بادية وخفية.

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، المتوحد بالبقاء في الأزلية، المنفرد بالكبرياء والجلية.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي دعانا إلى الملة الزهراء الحنيفية، وتركنا على محجة بيضاء نقية.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدًا وعلى آله وأصحابه ذوي المقادر العلية، والمآثر الجليلة، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وعجل في فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: ما زلت معكم ننزل زائرین على أمهات المؤمنين نتعرف على أخبارهن وعن سبب تزوج نبينا بهن فقد تحدثنا حتى اليوم عن أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة ثم عن السيدة سودة بنت زمعة ثم عن السيدة عائشة ثم عن السيدة حفصة ثم عن السيدة زينب بنت خزيمة، ونحن اليوم بعونه تعالى ننزل على السيدة السادسة في ترتيب دخولها بيت النبوة أعني بها:

السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم هذه السيدة القرشية التي ربيت ونشأت في كنف أبيها أحد الأجواد من العرب الذي لقب بمزاد الركب لجوده وكرمه كان إذا سافر وبرفته أحد يأمره ألا يأخذ معه زاداً لأنه سيكفيه مؤنة سفره طوال الرحلة.

وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانية.

وأبو سلمة هو الزوج الأول في حياة أم سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد ابن عمه رسول الله وأخوه من الرضاعة، وكان هو وزوجته من أوائل من استجاب لدعوة الإسلام، فأصابهما من البلاء والعنت ما أصاب المسلمين الأولين، ورأى رسول الله ما فيه أصحابه فقال لهم: لو خرجتم

إلى أرض الحبشة فإنّ بها مَلِكاً لا يظلم عنده أحد، فخرج المسلمون مخافة الفتنة وفراراً بدين الله، فكان أبو سلمة وزوجه من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، وبقي أبو سلمة وزوجه المؤمنان في الحبشة حتى نمت إليهما الأخبار بقوة الإسلام وخاصة بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب بل بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا جميعاً، فعادا إلى مكة ليجدا أن عذاب قريش قد اشتد على رسول الله وصحابته، وأن ما بلغهم عن إسلام أهل مكة لم يكن صحيحاً، فالتمسوا جوار خاله أبي طالب بن عبد المطلب، لكن أبا طالب ما لبث أن توفي فعادت قريش لاضطهادها للمسلمين، فأمر رسول الله أصحابه بالهجرة إلى يثرب وكان أول مهاجر إليها أبو سلمة مع زوجته ومعهما رضيعهما هاجروا قبل بيعة العقبة بسنة وكانت ملحمة:

أيها السادة:

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بثاً إيمانياً حياً ومثالاً لما لاقى المسلمون في سبيل الهجرة إلى الله تعالى، فإني أرى بعين الايمان واليقين الصحابي أبا سلمة مزعماً الخروج إلى المدينة، حتى إذ ارحل بعيره وحمل عليه وزوجه وابنه سلمة يقودهم إذ ببني المغيرة يرونه فقاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد. فانتزعوا منه أم سلمة وابنها، فغضب رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنها سلمة بينهم فصار كل طرف يشده حتى خلعوا يده، وفرّ أبو سلمة بدينه إلى المدينة، واحتجزا أم سلمة بعيدة عن وليدها فكانت تخرج إلى الأبطح كل صباح فما تزال تبكي حتى تمسي.

وبقيت على حالها تلك سنة أو قريباً منها، حتى مر بها رجل من بني المغيرة فرأى ما بها فقال: ألا تُخْرِجُون من هذه المسكينة فَرَّقْتُم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا لها: الحقي بزوجك. وردوا لها ابنها فكان أول طعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة، وسمعوا إلى قصة هجرة هذه السيدة الجليلة على لسانها تقول: فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله، فقلْتُ أَتَبْلَغُ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة من بني عبد الدار فقال: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت

فقلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أوما معك أحد. فقلت: لا والله إلا الله وُئِيَّ هذا. فقال: والله ما لك من مترك. فأخذ خطام البعير فانطلق يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية، فدخلتها على بركة الله تعالى، وانصرف عثمان بن طلحة إلى مكة راجعاً، واجتمع الشمل عندئذ، شمل زوجين وثق الحب بين قلوبهما، ووحد الإسلام كيانهما، وما كانت الهجرتان إلا بوتقة صهرت هذا الكيان.

أيها الإخوة:

وتمر الأيام ويصبح للمسلمين دولة في المدينة، ويشهد أبو سلمة بدرًا الكبرى، ثم يشهد أحداً، وفي أحد رماه أحد المشركين بسهم فمكث شهراً يداوى من جرحه ثم برأ بإذن الله تعالى، فبعثه رسول الله على رأس سرية فراه يغيب تسعاً وعشرين ليلة ليرجع بعدها وجرحه منتقض، ويمرض أبو سلمة في بيته ويذكر لنا ابن سعد في طبقاته حواراً بين أبي سلمة وأم سلمة أثناء مرضه، قالت أم سلمة لزوجها: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها فتعال أعاهدك على ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. وسكت أبو سلمة وهو على فراش الموت ثم قال: أتطيعيني. فقالت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. قال: فإن مت فتزوجي بعدي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها.

هل رأيتم - أيها الاخوة - رجلاً بهذا القدر من سماحة النفس، لاشك أنه محب عظيم لقد رفض ما عرضته زوجته الحبيبة عليه لأنه رأى أن أولاده بحاجة إلى الرعاية، ويرى زوجه بعده أحوج إلى من يكنفها ويرعاها، فضرب بذلك أبو سلمة المثل الأعلى لكل المحبين في زمانه وفيما بعد زمانه فقولوا ﷺ.

ثم أعطاهما الدرس الأخير قبل استشهاده، قال لها: سمعت رسول الله يقول: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسب مصيبي فأجربي فيها وأبدلني ما هو خير منها.

تقول أم سلمة: لما احتضر أبو سلمة قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير، فلما قبض (سنة أربع هـ) قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبي، وأرادت أن تقول: وأبدلي بها خيراً منها، فقالت: ومن خير من أبي سلمة.

أيها السادة:

وترملت أم سلمة ولها من أبي سلمة أربعة أولاد، وحين انقضت عدتها تقدم لها الصديق خاتماً فرفضته ثم خطبها عمر فردته، وهي في كل ذلك حزينة متأثرة على فراق زوجها، وهي تردد اللهم أجري في مصيبي وعوضني خيراً منها، ثم أرسل لها سيدنا محمد ﷺ من يخطبها لنفسه وهو حاطب بن أبي بلتعة فقالت: أخبر رسول الله أبي في خلال وهي: أني امرأة مُصِيبَةٍ (ذات صبيان)، وأني غيري، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً. فبعث إليها رسول الله أما قولك: إني مصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيري فسأدعوا الله أن يذهب عنك غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني (صلوا عليه).

أيها السادة: فتزوجها رسول الله سنة أربع، وكانت في الثلاثين من عمرها زوجها إياها سيدنا عمر بن الخطاب لأنها تشاركه بالنسب، وورد أن الذي زوجها ابنها عمر وهو يومئذ غلام صغير. ومهما يكن من أمر فقد دخلت أم سلمة بيت النبوة فنزلت في بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، دخلت هذا البيت الذي أناره الله بسيدنا محمد ﷺ فراحت تتفحص حجرتها لتعرف ما بها فإذا جرة فاطلت فيها فإذا فيها شيء من شعير، وإذا برحى وبُرمة وقدّ فنظرت فإذا بها كعب من سمن أو دهن، فأخذت ذلك الشعير وطحنته ثم عصدته في البرمة، وأخذت السمن فخلطته بالشعير وطبخته فكان ذلك طعام رسول الله وطعام أهله ليلة عرسه.

وعاشت أم سلمة في بيت رسول الله أما للمؤمنين تتعلم وتنهل من معين النبوة، وكانت تروي أحاديثه وأخباره حتى روت ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، وكانت ممن تقرأ ولا تكتب. وذات شخصية متميزة ورأي صائب جريء ودور قيادي وسط أمهات المؤمنين، نرى ذلك حين ردت على عمر فيما عرف بالمراجعة فبعد أن دخل عمر على ابنته وعنفها ولامها لمراجعته رسول الله نراه يدخل على بقية أمهات المؤمنين حتى دخل على أم سلمة وقال: يأم سلمة

تكلمن رسول الله وتراجعنه في شيء، فقالت أي والله إنا نكلمه، فإن حمل ذلك كان أولى به، وإن نمأنا كان أطوع عندنا منك وفي رواية قالت: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين الرسول وأزواجه، يقول عمر: فأخذتني والله أخذاً وكسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها.

وكانت نساء النبي يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة.

وكان ﷺ يراعي أولادها وخاصة صغيرتها زينب، فكان إذا دخل بيته ينادي: أين زنا، « ورأى مرة ربيبه سلمة ويده تطيش في وعاء الطعام فعلمه ﷺ آداب الطعام فقال: يا بني سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » (ق).

أيها السادة:

وإليكم هذا الحدث الهام الذي جرى يوم الحديبية والذي يدل على رجاحة عقلها وصواب رأيها وإنقاذها المسلمين من شر مستطير كاد المسلمون أن يقعوا فيه. فبعد أن توجه رسول الله إلى مكة معتمراً وبشر أصحابه بأن الله سيفتح عليهم مكة، وعقد مع قريش صلح الحديبية على أن يرجعوا عنهم إلى المدينة، عندها دهش الصحابة كيف سيرجعون دون الفتح، ودخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا، فأمرهم النبي أن ينحروا ويحلقوا رؤوسهم. قال فما قام أحد، فأمرهم ثلاثاً فما قام أحد. فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقال: ما أم سلمة ما شأن الناس؟! قالت يارسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن إنساناً منهم واعمد إلى هديك حيث كان فانحرو واحلق فلو قد فعلت ذلك. فخرج رسول الله حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال: فقام الناس ينحرون ويحلقون.

وهكذا - أيها السادة - ترون كيف أنقذت أم سلمة المسلمين من شر مستطير كاد المسلمون أن يقعوا فيه بمخالفتهم لأمر النبي ﷺ.

وحجت مع رسول الله حجة الوداع، ولكنها شكت مرضاً موجعاً فلم تستطع الطواف وسألت رسول الله، فأذن لها بالطواف على بعيرها من وراء الناس فكان ذلك باباً من التوسعة رخص به رسول الله ببركة أم سلمة.

أيها السادة عُصْرَتْ أم سلمت حتى بلغت الرابعة والثمانين، وعاشت الأحداث السياسية وكانت بمنأى عن خلافتها، وقدمت ولدها عمر لعلي بن أبي طالب فكان معه في جيشه وتحت أمرته، وبقيت في بيتها تروي أحاديث رسول الله، ويروى عنها كبار الصحابة والتابعين حتى لحقت برها عز وجل فصلى عليها أبو هريرة ودفنت في البقيع مع بقية أمهات المؤمنين ﷺ.

فمن هي أم المؤمنين السابعة؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى. وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدرك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

- ٧٧ -

أمهات المؤمنين / ١٤

الحمد لله الذي شرح صدور أحبابه بنور اليقين، وأذاقهم لذة قربهِ وأنسه فشغلهم عن الخلق أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرضين.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الصادق الأمين المبلغ كل ما أمر بتبليغه من رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فقضيتنا الإيمانية اليوم لها نور خاص وتوجه معين وأحكام تشريعية سارت على هديها الأمة الإسلامية، هذه القضية تبناها ودافع عنها رب العزة والجلال، فهي ليست مسائل شخصية بحجة خاصة بسيدنا رسول الله، بل هو زواج جعله مولانا تنظيمًا للجماعة الإسلامية على أساس إسلامي رباني، واستبدل بأوضاع جاهلية رديئة أوضاعاً أخرى إسلامية مطهرة.

إننا مع الحلقة السابعة والسبعين من ملف القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

تعرفون - معشر السادة - أن الطبقة التي كانت في العصر الجاهلي تقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات:

الأولى: طبقة الأشراف والسادة.

الثانية: طبقة العبيد والإماء.

وطبقة ثالثة بينهما: أهلها هم الموالي: أي: الرقيق المحرر أو العتقاء.

ومن هذه الطبقة الثالثة كان سيدنا زيد بن حارثة، الذي كان من قبل رقيقاً للسيدة خديجة رضي الله عنهما فوهبته لسيدنا رسول الله ﷺ عند زواجها منه، فأعتقه وتبناه، وأقام عنده مدة حتى عرف أبوه مكانه فجاء راغباً في فدائه، فقال له رسول الله - قبل البعثة -: خير. فإن اختاركم فهو لكم، فاختار سيدنا زيد البقاء مع سيدنا مُحَمَّد ﷺ عندئذ قام سيدنا مُحَمَّد ﷺ إلى دار الندوة وأشهد قريشاً فقال أن زيداً ابني أرثه ويرثني، فرضي أبوه بذلك وانصرف (خ ٤٧٨٢ - الفتح في فضائل الصحابة).

ومن تلك اللحظة أصبح يطلق عليه زيد بن مُحَمَّد، ومضى على ذلك قريباً من ثلاثين سنة لا يعرفه الناس إلا بهذا الانتماء، وكان سيدنا زيد ثالث من أسلم ودعي بحب رسول الله، وصاحب رسول الله في شدائده وحلّه وترحاله، وحين جرت عملية التأخي بين الصحابة كان سيدنا حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وعم رسول الله وزيد بن مُحَمَّد أخوين.

ولشدة حب رسول الله له زوجه من حاضنته أم أيمن، وقد قال في شأنها ﷺ: « من أراد أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن » (ابن سعد في الطبقات - كنز العمال مرسلاً ٣٤٤١٦)، وأنجبت له أسامة فكان بمثابة حفيد لرسول الله ﷺ حتى نزل القرار الإلهي الخالد، اسمعوه على موجات سورة الأحزاب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۖ ﴾ (٤) أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴿ الأحزاب: ٤ - ٥

وبموجب هذا القرار الذي يقرر إلغاء التبني بلفظه ومعناه عاد زيد ليدعى ابن حارثة وليس ابن سيدنا محمد ﷺ.

لكن قراراً آخر كان بانتظار المنافقين الذين قابلوا القرار الإلهي بكثير من عدم الرضا، قرار آخر كان بانتظارهم، نرى هذا حينما أراد رسول الله أن يسقط الفوارق الطبقيّة بنفسه وفي أسرته لأن جذور هذه الفوارق كانت ضاربة في أعماق المجتمع يستحيل اقتلاعها إلا بفعل حاسم من رسول الله تتخذ منه البشرية الأسوة وتسير على هدايته، ألا وهو تزوج زينب ابنة عمته أميمة ابنة الحسب والنسب والشرف من زيد بن حارثة مولاه.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فهامو يدخل على السيدة زينب بنت جحش الأسدية القرشية ذات الجمال والمال والشرف وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات، دخل عليها فخطبها لزيد (طب صحيح - ابن جرير)، فقالت: لست بناكحته. فقال سيدنا رسول الله: بل فانكحيه. قالت: يارسول الله أوامر في نفسي. وراحت تحادثه وتحاوره فمن الذي حسم المناقشة إن الذي حسم الموقف وقطع

الجدل: الله رب العالمين، إذا بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء وأمين وحي السماء أن ينزل على الحبيب سيدنا محمد بآية قرآنية:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٣٦) الأحزاب: ٣٦

وهنا قالت السيدة زينب: قد رضيته لي يارسل الله منكحاً؟ قال: نعم. قالت: «إذن لا أعصي رسول الله وقد أنكحته نفسي».

أيها السادة:

ب هذه الخطوة التشريعية نفس رسول الله كل الموارث الطبقية والأعراف الجاهلية، واستوى السادة والموالي في ميزان المجتمع الجديد ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ الحجرات: ١٣

فما الذي حدث؟!

ودخل زيد على السيدة زينب، فوجدها امرأة مصروفة الفؤاد عنه، تحرمه العطف والتقدير فثارت رجولته، وراح يشكو غلظة قولها وعصيان أمره وأذى لسانها وتعظمها عليه ونفرتة هو منها، وتدخل النبي لإصلاح الخلاف مرة بعد مرة، ولكن دون جدوى.

وأوحى الله لنبينا أن زيدا سيطلق زوجته زينب وأنه سيتزوجها هو بعد انتهائها منه، ويأتي زيد ثانية ورابعة يشكو زوجه ويخبر رسول الله أنه يرغب في طلاقها، فيرد عليه رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله».

ولعل رسول الله ﷺ قد استشعر نوعاً من الحرج في هذا الموقف الجديد فتريث في إمضائه وأسره في نفسه حتى نزل عتاب مولانا عز وجل له: ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ الأحزاب: ٣٧ أي أخبرتك أن زيدا سيطلقها وأنت ستزوجها وتخفي هذا في نفسك والله مبدية ومظهره للناس.

تقول السيدة عائشة تعليقاً على هذا الموقف (خ- م- ت): « لو كان النبي كاتماً شيئاً من الوحي لكنتم هذه الآية » ، لكن رسول الله بلغها كما نزلت لأن الواجب في حق الأنبياء تبليغ كل ما أمروا تبليغه، ويستحيل عليهم كتمان ذلك عليهم الصلاة والسلام.

أيها السادة:

استمر الشقاق بين الزوجين قريباً من السنة حتى طلق زيد زوجته، وسمعوا النتيجة الإيمانية إن مولانا يقول:

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْتَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ الأحزاب: ٣٧

هذه هي الحكمة التي قصد إليها المشرع من هذا الزواج، وتزوج النبي من السيدة زينب وقطع ألسنة المنافقين، فجاء رسول الله ودخل عليها بغير إذن باعتبارها زوجاً له بأمر الله دون إجراء عقد أو تقرير صداق وهذا من خصوصياته ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد.

تقول السيدة زينب: لما انقضت عدتي من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنه أمر من السماء، فقلت: يارسول الله بلا خطبة ولا إشهاد. فقال ﷺ: الله زَوْجٌ وجبريل شاهد. (حلية الأولياء).

أيها السادة:

وأثار هذا الموقف الجديد دويماً هائلاً لدى بعض المنافقين، كما قبول النهي عن التبي من قبل وإن كانت المفاجأة هنا أشد حتى قالوا: تزوج حليمة ابنه، ولكن الله قطع ألسنتهم فأنزل على نبيه الكريم: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٠

وبذلك وضع الوحي حداً لتقولات المبطلين ولأعيب المتصيدين.

أيها السادة:

هذه الزيجة كثر فيها لغط أعداء الإسلام من المستشرقين والمغرضين، ومع أن القرآن الكريم سجل هذه الحادثة وسجل هذا الزواج فلا يزال أعداء الإسلام يكذبون القرآن ووقائعهم ويتهمون رسول الله بأنه رأى زينب بعد غياب زوجها فشغف بها حباً وأعجبه منظرها فهام بها.

ومن الغريب والعجيب أن بعض المفسرين قد وقع بهذا الخطأ الفاحش الذي ينافي عصمة النبي ﷺ هذه العصمة التي تعني أن النبي لا يمكن أن يجري على خاطره لحظة أي معصية أو أي خلاف الأولى.

كثير كثير أن يقال: إن رجلاً رأى زوجة ابنه فسأل لعبابه لها ناسياً أنها حليته ولده، وغافلاً عما يقوم بينه وبينها من أستار وأسوار تقتل في نفسه وتذيب كل شهوة. فكيف ونحن أمام شخصية سيدنا محمد، وهو رسول الله، وهو أداة المشرع الأعظم وحامل وحيه إلى العباد وهو في نفس الوقت يعيش في حياته الشخصية مع كوكبة من الزوجات لا ييقين له رغبة دون تلبية، إن الذي تكلم بهذا الكلام تكلم في مقام يتصل بالنبوة، بالرسالة.

ويكفي لهدم هذه القصة من أساسها أن تعلم أن زينب هذه هي ابنة عمه رسول الله أميمة بنت عبد المطلب، وأنه كان يعرفها، ويعرف أمي ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيداً، وأنه شهدا في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا والشباب، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه، وأنه كان قد بلغ من العمر ٥٨/ سنة، وأن زوجاته الخمس أمامه، إذا عرفت - يا أخي - ذلك تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات من أنه مر ببيت زيد فرأى زينب فبهره حسنهما، وقال سبحانه مقلب القلوب. وكأنه أحد المستشرقين يرى أمامه مدام بريجيب باردو فانقلب قلبه فجأة ونسي جميع زوجاته؟.

ما هذا الهراء، ولكي أعرف أنها شهوة البشر المكشوف، إنها الخصومة القديمة للإسلام تأصلت منذ الحروب الصليبية.

علينا أن نعلم - أيها السادة - في ختام هذه القضية الإيمانية أن القضية لا علاقة لها ببشرية رسول الله، وأن الذي تولاه رب العزة في عليائه وأنزل بها شرعه القويم ليقيم بها عوج الجاهلية الأولى، وما كان رسول الله إلا مبلغاً لأمر ربه ﷻ.

أيها السادة:

تزوج رسول الله من السيدة زينب في السنة الخامسة للهجرة وكان عمرها خمساً وثلاثين سنة وبركتها نزلت آية الحجاب على أمهات المؤمنين، فقد أولم رسول الله لصحابته فلما انتهوا بقي بعض منهم جالساً فصار رسول الله يقوم ويخرج لعلهم يخرجون وهو لا يريد أمرهم بالخروج لشدة حيائه حتى فطن القوم وخرجوا وأنزل مولانا عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الأحزاب: ٥٣ وكانت تفخر على نساء النبي بأنها بنت عمته، وبأن الله زوجها له وهن زوجهن أولياؤهن. وكانت رضي الله عنها صَوَّامة قَوَّامة تعمل بيدها وتتصدق بذلك كله على المساكين، ولما حجت مع النبي ﷺ قال لهن: « هذه الحجة ثم تلزمن ظهور الحصر » أي لا تخرجن فكن يحججن إلا سودة وزينب بنت جحش فإنه لما كانتا تقولان: والله لا تحركننا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله (أي أن يلزمن دورهن).

وفي مجتمع ضم السيد الأعظم وزوجاته رضي الله عنهن قال رسول الله ﷺ لهن (ق): أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً، قال فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، تقول السيدة عائشة: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

تقول عنها السيدة عائشة: « ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة... » .

وقد روت عن النبي ﷺ أحد عشر حديثاً حتى لحقت برها عز وجل سنة عشرين للهجرة عن عمر خمسين سنة، فكانت أول نساء النبي لحوقاً به فبعث إليها عمر بخمسة أثواب بخرها ثوباً ثوباً فكفنت فيها، وحين سمعت عائشة بوفاتها قالت: ذهبت حميدة فقيدة مفرع اليتامى والأرامل.

أيها السادة:

توفيت السيدة زينب في يوم شديد الحرارة، فضرِب عمر رضي الله عنه فسطاطاً (خيمة) على قبرها، وجعلت أسماء بنت عميس لها نعشاً ضرب على سريرها (١)، وصلى عليها أمير المؤمنين سيدنا عمر، وسار في جنازتها صحابة نبينا والتابعين في المدينة حتى وسدت في قبرها بجوار السيدة زينب بنت خزيمة في البقيع.

فرضي الله عنها وأرضاها.

فمن هي أم المؤمنين الثامنة؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

-٧٨-

أمهات المؤمنين /١٥/

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعناية الربانية فقصر آمالها. أحمده حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت الأقدام عليه السلام إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ وَاللَّهُ: ١-٣ وأشهد أن سيدنا محمداً

عبده ورسوله، أرسله والجاهلية تشرع ضلالها، فلم يزل عليه الصلاة والسلام يكثر جدالها، ويضيق مجالها، ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها، اللهم فصل وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ماخالفت الجنوب في الهبوب شمالها، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وعجل فرجنا بحققهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

لعلنا بعد أن وصلنا إلى الحديث عن أم المؤمنين الثامنة بعد دخولها بيت النبوة، سنطرح سؤالاً نراه يطرح نفسه على هذا العدد من النسوة اللواتي دخلن بيت النبوة، كيف كان رسول الله يسوس هذا العدد من أمهات المؤمنين ويدبر أمرهن ويقوم على حقوقهن مع كثرة أعبائه من تبليغ للرسالة وإدارة للدولة الفتية وجهاد للمشركين، وتعليم للمسلمين. هذا السؤال الذي طرحه بعض الإخوة على بساط البحث، لكنهم نسوا شيئاً هاماً، نسوا أن هذا الشخص الذي جمع هؤلاء النسوة هو سيدنا مُحَمَّد رسول الله.

إنها النبوة في جلالها، والرسالة في شموها، وشخصية رسول الله التي تمثلت كل جوانب الحياة.

نعم أيها السادة: إن نبينا كما بحق أباً، وكان زوجاً، وكان رئيساً لدولة ناشئة، وقائداً لجيش هذه الدولة ومخططاً لغزواته، ومحارباً فذاً وسط الميدان، ومعلماً لأصحابه في شؤون الدين والدنيا، وقاضياً بين المتخاصمين، وإماماً للمسلمين أجمعين.

إننا نتحدث عن القدوة في كل شيء، ولكل مؤمن، القدوة العليا الكاملة المنزهة عن كل نقص، والمعصومة من كل خطأ أو عيب، وهذه آية الله في رسوله الكريم الذي جعله رحمة للعالمين.

فقولوا جميعاً: الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله يا ذا الجاه العظيم.

إننا نرفع رأسنا عالياً بسيدنا مُحَمَّد ﷺ المثل الأعلى للكمال، لقد بنى صرح الدعوة الإسلامية وأبلغنا رسالة السماء، ولم تشغله هموم نساءه عن أداء الرسالة، بل كن عوناً له على تبليغ الشرائع والأحكام.

إن حياته باختصار وبشربته المثالية وأبوته الرحيمة وزوجيته الودودة مرآة لنا نسير على هداها إذا رغبنا في بيوت مستقرة، وحياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

وقد وجدنا من خلال حلقات سابقة أن لكل زوج من أمهات المؤمنين هدفاً، ولكل منهن دور قامت به في حياة رسول الله ﷺ، فما هو الدور الذي قامت به أم المؤمنين الثامنة؟.

أيها الإخوة:

أجيب عن هذا السؤال مع الحلقة الثامنة والسبعين في سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لنرفع شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة:

زيارتنا اليوم لأم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن خزاعة وأبوها الحارث كان زعيماً لبني المصطلق.

وأما زوجها فهو من قومها واسمه مسافع بن صفوان.

واسمحو لي - معشر السادة - أن أنتقل بكم عبر القرون إلى السنة السادسة للهجرة إلى المدينة المنورة، وأرى فيها الصحب الكرام يستعدون للغزو والجهاد في سبيل الله فقد بلغ النبي أن بني المصطلق بزعماء شيخهم الحارث قد تجمعوا مع بعض العرب لمحاربة سيدنا رسول الله ﷺ، وذلك إثر غزوة الخندق وغزوة بني قريظة.

هاهو سيدنا رسول الله ﷺ يخرج إليهم في أول شعبان سنة ست للهجرة حتى لقيهم على ماء لهم يقال له (المريسيع)، وكان معه في هذه الغزوة من أمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة أم سلمة.

وتزاحف فريق الإيمان ضدَّ فريق الكفر واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل المسلمون منهم عشرة وأسر سائر الرجال، وسبوا الذرية والنساء وجمعوا الشاء والنعم حتى كان عدد السبي -

كما ذكره ابن سعد - مئتي أهل بيت من بني المصطلق، وأمر رسول الله ﷺ فأحصيت الغنائم وقسمت وفرت وصارت في أيدي الرجال.

وكانت برة بنت الحارث من بين الفياء الذين أفاء الله على المسلمين نراها مستسلمة لما حلّ بها وبقومها، لأنها رأت قبل المعركة بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرها، فلما سببت رجوت أن يكون هذا القمر، قمر يثرب العظيم سيدنا محمد ﷺ. وقد قتل زوجها في المعركة ثم وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عمل له، فكاتبها على تسع أواق من الذهب.

أيها السادة:

تعلمون أن مثل هذه السيدة العربية لا تصلح أمةً تعامل معاملة الرقيق والإماء، ففكرت أن تذهب إلى سيد القوم الذين انتصروا عليهم وتستعين به في كتابتها، فأنت إلى قمر يثرب سيدنا محمد ﷺ:

بَلَّغِ الْعُلَى بِكَمَالِهِ كَشَفِ الدُّجَى بِجَمَالِهِ

عَظُمَتْ جَمِيعُ خِصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ

أيها السادة:

ما زلنا هناك، وأرى الحبيب الأعظم مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة والسيدة أم سلمة، وكان أول شخص شاهدها على باب النبي سيدتنا عائشة رضي الله عنها التي تقول: فوالله ما رأيتهما على باب حجرتي إلا كرهتها وعرفت ان أمراً ما سيجري معها. ودخلت السيدة برة بنت الحارث على القائد الأعلى للأمة، وطرحت عليه قضيتها اسمعوها وهي تقول: يا رسول الله! أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه وقد أصابني من البلاء ما تعلم، فوقعت في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي فجئت أستعينك على أمري (د ٢ / ٣٤٧ - ابن هشام ٢ / ٢٩٤ - ٦٤٥).

فالسيدة برة جاءت تلوذ برسول الله، المرسل رحمة للعالمين، تستعين به ليقل عثرتها وهو الذي أذل أهلها، مع أنهم هم البادئون بالغزو، ورسول الله هُتِه تفتح القلوب لدعوته وليس هُتِه العُتْم والسبي، رأى امرأة عربية كريمة تلوى في الذل والمهانة، سيدة حرّة تلوذ به لتنجو من مهانة الرق وعاره، ونظر القائد الأعلى للأمة وتأمل أكثر من ذلك، لقد أَمِلَ بأكثر من ذلك، وهو الذي رَقَّ قلبه وهي ببابه قلقة، ولا من ينقذها سواه، انتبهوا إلى عين النبوة كيف ترى البعيد قريباً، قال لها:

- فهل لك خير من ذلك؟. فسألته متعجبة: وما هو يارسول الله؟ فأجابها بترفق: - أقضي عنك كتابتك وأتزوجك. وشعشع الفرح في عيني الفتاة وقالت في فرح غامر: - نعم يارسول الله. فقال السيد الأعظم: قد فعلت.

كل هذه المحاورة والسيدة عائشة تسمع وتنظر إليها، وإليكم التصريح الهام الذي صرحته السيدة عائشة قالت: كانت برة امرأة حلوة ملاحّة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه.

أيها السادة:

إن سيدنا رسول الله ﷺ لم يرفع عن السيدة برة ذل الرق فقط، بل ردّها إليها عزّها وغسل العار والثأر عن المهزومين، إن نبينا حول بهذا الزواج الهزيمة والعداء إلى ألفة وولاء، وإليكم الدليل الناصع:

فقد وصل خبر زواج برة من سيدنا محمد ﷺ وكان الصحابة من أشد الناس تعظيماً لسيدنا محمد ﷺ فقال: أصهار رسول الله وقوم زوجته أسرى عندنا؟!، فإذا بهم يعتقونهم جميعاً أحراراً لوجه الله تعالى.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فلقد أعتق بها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركةً منها على قومها.

ووصل المسلمون إلى المدينة، وتزوج رسول الله من بَرّه بعد أن أصدقها أعظم صداق، وضرب عليها الحجاب وغيّر اسمها من بَرّه إلى جويرية، وصارت أمّاً للمؤمنين وهي في العشرين من عمرها، وكانت أول سِرِّيّة لرسول الله ﷺ أعتقها وأسلمت ثم تزوجها.

أيها السادة:

لم تكتفِ عينُ النبوة بالنظر إلى عتق قوم جويرية، ولكن نظراً أبعد نظر إليه المرسل رحمةً للعالمين، انظروا إلى الهدف الأسمى من هذا الزواج المبارك:

فقد جاء والدها إلى المدينة مع وفد قومه ليقدم فداءً لابنته، فقال له رسول الله: أرايت أن أخيرها، أليس قد أحسنْتُ. قال: فخيرها والدها فقالت: اخترْتُ الله ورسولَهُ وأخبرت والدها عن الإسلام وسماحة المسلمين وكرم رسول الله فإذا بوالدها يصرخ عالياً:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحمّداً رسول الله

هذه الشهادة التي نطق بها من قلبه سيد بني المصطلق، جعلت جميع قومه يدخلون في الإسلام عن بكرة أبيهم فنادوا جميعاً:

ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمّداً رسول الله.

أيها السادة:

كانت السيدة جويرية نقية السريرة، شفافه الروح، مقبلة على العبادة والتقرب، منذ دخلت في الإسلام، وعاشت في بيت النبوة تصوم النهار وتقوم الليل وتسبح الله كل وقتها، وتجتهد فيما تأتي من صنوف العبادة دخل عليها رسول الله ﷺ يوم جمعة فرآها صائمة فسألها: أصمت أمس، قالت: لا، قال: أتتوين الصيام غداً؟ قالت: لا، قال: فأفطري إذن (خ).

وعند الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ عليها وهي في مسجدها (مصلاها)، ثم مرَّ عليها قريباً من نصف النهار. فقال: ما زلت على حالك التي فارقتك عليها (يعني وأنت تسبحين) قالت: نعم. قال: ألا أعلمك كلمات تقولينها. وفي رواية: لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتُهنَّ.

اسمعوا الكلمات وتمسكوا بها:

سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته (ثلاثاً) (صحيح).

أيها السادة:

بقيت السيدة جويرية تروي أحاديث النبي ﷺ ويروي عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وغيرهم. وكانت وفاتها في المدينة المنورة سنة ٥٠/هـ وقيل سنة ٥٦/هـ وكان عمرها خمساً وستين سنة. ودفنت في البقيع بجوار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

أيها الإخوة: لقد فعل هذا الزواج ما لم يفعله السيف في سلسلة المعارك الجهادية، وقد كان باستطاعة رسول الله أن يجعلها ملك يمينه بشرائها، ولكنه كان يهتم بانتشار الإسلام بالألفة والمحبة، فدعاه نظره البعيد إلى أن يعتقها ويتزوجها مسلمة حرة لتكون هذه النتيجة الإيمانية التي عشناها معاً طوال هذه القضية الإيمانية. فمن هي أم المؤمنين التاسعة. هل هي عريية، ما هي الحكمة من زواج النبي بها، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود بكم من هناك، إلى هنا، ومأدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

سيدنا محمد ﷺ

-٧٩-

أمهات المؤمنين /١٦/

الحمد لله الذي غرس في قلوب الصالحين معرفة، وأقام على الفطرة السليمة دينه وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ربى صحابته على البطولة والفداء والرجولة فهم كما وصف الحق ﷺ ﴿رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظَرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) الأحزاب: ٢٣

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: نحن اليوم على موعد مع سيدة ذات الحظ السعيد التي بلغت من النبالة والأرستقراطية مبلغاً عظيماً، سيدة كان أبوها حبي بن أخطب ملك، وعمها أبو ياسر قائداً من قواد قومها، وزوجها كنانة بن الربيع أحد ملوك خيبر، وجدُّها الأعلى سيدنا هارون أخي نبي الله موسى، ثم تربعت على قمة المجد فكانت زوجة لسيدنا محمد رسول الله وأماً للمؤمنين.

فأي سيدة في التاريخ كان أهل بيتها مثل هؤلاء؟.

نحن أمام أم المؤمنين التاسعة في ترتيب دخول بيت النبوة، وهي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير فقولوا ﷺ.

أيها السادة:

إننا مع الحلقة التاسعة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لرفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

أيها الإخوة:

ولدت هذه السيدة بعد البعثة بثلاث سنوات، ونشأت وتربت في مرابع اليهود من بني النضير، فهي بنت زعيم القوم ورئيسهم، وعندما هاجر رسول الله إلى المدينة ونزل بقباء، وتسامع اليهود بنزوله إلى جوارهم تسابقوا لمعرفة حقيقته وصفته ليتأكدوا من شخصيته ويقارنوا بينه وبين ما سجلته كتبهم عن النبي الموعود في ذلك الزمان.

فاسمحو لي - معشر السادة - أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم هذا المشهد الذي التقى فيه حُيي بن أخطب مع أخيه أبي ياسر، وهما يأتيان تعبان كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء يقول أحدهما للآخر: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال أعرفته وتبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه. قال حيي: - عداوته والله ما بقيت.

وبدأت عداوة حيي هذا وأخوه أشد ما يكون حسداً للعرب على أن خرج منهم النبي الأمي.

فحاولوا الغدر برسول الله ومحاولة قتله، فأمر بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم فحاصروهم ستَّ ليالٍ وأمر بقطع النخيل وحرقها، وقذف الله في قلوب اليهود الرُّعب، وسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم فأمرهم بالخروج ومعهم متاعهم وأموالهم إلا السلاح فمنعوا منه. وتفرق اليهود من بني النضير فمنهم من سار إلى الشام، ومنهم من مضى إلى خيبر، وكان ممن سار إلى خيبر زعيم بني النضير حيي بن أخطب وكنانة بن الربيع.

لكن حياً بن أخطب ومن معه من بني النضير في خيبر راحوا يكيّدون للإسلام ويحاولون الإيقاع بالمسلمين والانقضاض على الإسلام، فحرَّبوا الأحزاب في الخندق، بنو النضير - قريش

- بنو غطفان - بنو قريظة، أتوا جميعاً ومعهم المنافقون فحاصروا المسلمين في الخندق قرابة الشهر في السنة الخامسة حتى جاءت الرياح وجنود الله من الملائكة، وإليكم هذا الوصف الدقيق الذي وصفه مولانا للمؤمنين على موجات سورة الأحزاب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ الأحزاب: ٩ - ١١

وَرَجَعَ رسول الله صباحاً إلى المدينة، فجاءه جبريل ظهراً يأمره بالمسير إلى بني قريظة للقضاء عليهم لأنهم غدروا بالنبي والصحابة فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب والفرع فأرسلوا للنبي وأخبروه بنزولهم على حكمه وشاور رسول الله أصحابه ثم حَكَمَ فيهم سعداً بن معاذ فحكم: بأن تقتل الرجال وتسبي الذراري والنساء (ق).

وَتَقَدَّ الحكم العادل فيهم وقتل حوالي سبعمئة رجل حتى جاء دور عدو الله حيي بن أخطب المحرك الأساسي لهذا الغدر، فضربت عنقه.

وكانت ابنته صفية في حصون يهود خيبر عندما قتل أبوها حيي، ولما بلغت سن الزواج زفت إلى سلام بن مشكم القرظي إلا أنه فارقها فتزوجها زعيم من قومها هو كنانة بن الربيع.

وذات ليلة رأت في المنام أن الشمس أو القمر قد أقبل من يثرب ثم وقع في حجرها، وفي الصباح حدثت زوجها بما رأت بكل براءة فإذا به يضربها على وجهها ضربةً تركت أثراً بجانب عينها وقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من يثرب؟ وقد كان، وتحقق الحلم، فكيف ذلك؟.

أيها السادة:

تحقق هذا الحلم في السنة السابعة من الهجرة حين خرج رسول الله بجهش نحو خير للقضاء على اليهود نهائياً، والتخلص من أقوى أعداء المدينة في المنطقة الشمالية، فوصلت قوات المسلمين خير ليلاً، وفي الصباح بدأ القتال واشتد الهجوم واحمرت حديق الحرب وبدأت الحصون تتساقط حصناً حصناً، حتى استسلم اليهود وغنم المسلمون منه خيراً كثيراً، وكان لرسول الله نصيب منه السيدة صفية بنت سيد قومها والتي قتل زوجها كنانة بن الربيع ضمن قتلى الحصن.

أيها السادة:

إننا هناك بجوار المدينة المنورة وأمام الحبيب الأعظم (صلوا عليه)، إليكم هذا العرض الذي عرضه على السيدة صفية قال لها: اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهود فعسى أن اعتقك فتلحقني بأهلك. فقالت: يارسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، ومالي في اليهودية أرب، ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي.

وهنا اعتقها رسول الله وأسلمت وانتهت عدتها من زوجها، وتزوجها رسول الله ﷺ، وبذلك أزال كفرها وحقدتها وألمها بسبب أبيها وزوجها وأخيها الذين سقطوا في الميدان، وهي التي كانت السيدة الأولى في تلك الدولة المنهارة، فجبر رسول الله خاطرها الكسير، وربط النبي بهذا الزواج بين الديانتين بين اليهودية والإسلام وأظهر أنه لا يريد إراقة الدماء، بل يريد هداية البشرية وجمعها على المحبة والأخوة، فما الأديان والأنبياء إلا إخوان عالات، أي أولاد الرجل من نسوة شتى، دينهم واحد وشرائعهم مختلفة.

أيها السادة:

وهكذا انضمت سيدة جديدة إلى البيت النبوي على مضض من أمهات المؤمنين وعدم رضا منهن، فما أن دخلت حتى أتت السيدة عائشة منتقبة متخفية لترأها، فعرفها رسول الله، فأدركها وأخذ بثوبها وقال: كيف رأيت ياشقيراء. قالت: رأيت يهودية. قال: لا تقولي هذا ياعائشة فإنها أسلمت وحسن إسلامها، لكن الغيرة بقيت تشتد في قلب السيدة عائشة حتى حدثتنا عن ضررها صفية فقالت:

ما رأيت صانعة طعام مثل صفية صنعت لرسول الله طعاماً وهي في بيتي، فارتعدت من شدة الغيرة فكسرت الإناء، ثم ندمت. فقلت يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟ قال: إناء مثل الإناء وطعام مثل الطعام.

أسمعتهم إلى هذه اللفتة الطيبة من رسول الله ﷺ والتوجيه السديد من الزوج العظيم إنه يذيب سخور الغيرة النسوية.

ومرة أخرى اجتمع بعض زوجات النبي عائشة وحفصة وأخذتا تفاخران صفية وتدلان عليها بأخما من أزواجه وبنات عمومته، ويعيرانها بغربتها فبكت وشكت أمرها لطبيب القلوب ﷺ فطيب خاطرهما وقال لها: ألا قلت لهن: كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ (ت: ض) (١).

عندئذ قرت عين صفية وأحست بحماية رسول الله لها.. حتى مرض رسول الله ﷺ المرض الأخير، حيث اجتمعت عنده نساءه في بيت عائشة فقالت صفية: أما والله يا بني الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزت أزواج النبي ببصرهن، وأبصرهن رسول الله فقال: مضمضن فقلن: من أي شيء يا رسول الله؟ قال: من تغامزن بصاحبكن، والله إنها لصادقة.

هذه هي شهادة سيدنا رسول الله في هذه السيدة الكريمة التي ودعت حبیبها رسول الله الوداع الأخير، وبقيت تروي أحاديث النبي الكريم وتتعبد في محرابها حتى وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عمر عن طريق جارية لها أن صفية تحب السبت وتصل اليهود. فبعث إليها عمر يسألها، فقالت:

أما السبت فإنني لا أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، ثم سألت جارتها: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة.

ثم نراها في فتنه الشهيد عثمان تنقل له الزاد والماء له ولأهله المحصورين حتى نفذ قضاء الله فيه.

أيها السادة:

عاشت السيدة صفية حتى جاوزت الستين عاماً بعامين، وعندما أحست بدنو أجلها تصدقت بدار كانت لها، وأوصت لابن أختها على اليهودية بثلاث ما تملك، يقول أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف:

فأبوا أن يعطوه حتكلمت عائشة، فأرسلت إليهم وقالت: اتقوا الله وأعطوه وصيته فأخذ ثلثها وهو ثلاثة وثلاثون ألف درهم ونيف، وهكذا نرى السيدة صفية تنقذ ولا آخر لحظة الآية الكريمة: ﴿لَا يَتَهَنَّأُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) المتحنة: ٨.

فلا حرج عليها في أن تَبَرَّ ابن أختها إعمالاً للنص الكريم، وقد أخذت صورة البر شكل الوصية لأنه لا يستطيع أن يرثها من حيث كان اختلاف الدين من موانع الإرث. أيها السادة:

توفيت السيدة صفية سنة ٥٢ هـ ودفنت بالبقيع.

وهكذا ترون - أيها السادة - كيف قَرَّب رسول الله كثيراً من اليهود إلى الإسلام، فدخلوا في دين الله مختارين، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين. فمن هي أم المؤمنين العاشرة؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

-٨٠-

أمهات المؤمنين /١٧/

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت، بيده مقاليد الأرض والسموات ومصائر جميع المخلوقات، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله اتقى الله فوفاه، وتوكل عليه فكفاه واعتمد عليه فأيده بنصره وآواه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فياحمدا الإسلام وحراس العقيدة:

حديثنا اليوم يمس أوتار العقيدة في القلوب المؤمنة، فنحن اليوم أمام شخصية فريدة، مع ابنة زعيم من زعماء العرب وعظيمة من عظيمات الأمة التي اشتهرت في سماء الإسلام بتمسكهن بدينهن رغم مغريات الحياة.

درسنا اليوم حول عظمة الصحابة الذين درسوا في مدرسة سيدنا محمد ﷺ وأثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة النسب قولاً وفعلًا، وخاصة بعد أن نزل قوله

تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢

فالأمة الإسلامية ترفع رأسها عالياً بتربية سيدنا محمد ﷺ، لقد أحسن رسول الله تربية أصحابه، حوّل حياتهم من عباد للأصنام إلى عبادة الواحد الديان، من آكلي الربا والحرام والخمر إلى أمة لا تبتغي عن الحلال بديلاً، حوّل حياتهم من اعتزازهم بالعصبية القبلية إلى اعتزازهم بالله تعالى ودينه.

نعم - أيها السادة - إن وقفنا اليوم مع أم المؤمنين العاشرة، إلا أن لزواج النبي منها سر عظيم ونباً جليل وصفه مؤرخو السيرة بأنه زواج سياسي كان من نتيجته دخول أبيها زعيم مكة وقومها في الإسلام في فتح مكة المكرمة.

إننا مع الحلقة الثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

أنزل معكم اليوم ضيوفاً على سيدة عربية قرشية من بني أمية هي:

السيدة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية.

وأما صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عمة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأخوها ملك الإسلام سيدنا معاوية بن أبي سفيان من جهة أبيها.

ولدت هذه السيدة قبل البعثة النبوية بسبعة عشر عاماً، ولما بلغت سن الزواج تزوجت

حليف بني أمية عبید الله بن جحش بن رثاب من بني أسد، وهو أخ شقيق لعبد الله بن جحش (شهير أحد).

وحينما دعاها رسول الله إلى الإسلام أعلننا إسلامهما وتحملا من العذاب معاً ما تحمله المسلمون في أول الدعوة حتى فرّت بدينها مع زوجها إلى الحبشة مع من هاجر وهي حبلى متوجعة، وما أن عاشا في كنف النجاشي فترة من الزمن حتى أنجبا ابنتهما حبيبة التي اكنّت أمها بها حتى نسي اسمها الأصلي وعرفها المسلمون بعد ذلك بأُم حبيبة فقولوا رضي الله عنهما .

أيها الإخوة:

وفي الحبشة تسامع المهاجرون إسلام أسد الله حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب عملاق الإسلام فظنوا أن مكة كلها أسلمت، فرجع أكثرهم إلى بلدهم الحبيب، ولكن أم حبيبة وزوجها وابنتهما بقوا مع من بقي هناك. فقد كانت أم حبيبة تعلم أن أباهما أبا سفيان مازال على الشرك، فأثرت أن تبقى في دار الهجرة بعيداً حتى يأذن الله تعالى.

وفي السنة السادسة للهجرة - كما يروي ابن سعد بسنده عن أم حبيبة - أنها رأت رؤيا أفرعتها، رأت أن زوجها عبيد الله في المنام بأشوه صورته وأسوأ حال وأبشع منظر، فقامت من نومها فرعة تستعيز بالله من الشيطان ومن شر ما رأت، لكنها تبينت حقيقة تأويل رؤياها الصادقة حين ابتدرها زوجها صباحاً قائلاً:

- يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دُنتُ بها (آمنت بالنصرانية) ثم دخلت في دين مُجَدِّ ثم رجعت اليوم إلى النصرانية (أي ارتد عن الإسلام) (ابن اسحق كتاب السير ٢٥٩ - طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٨).

فقالت له: والله ما خير لك، إني رأيت في منامي كذا وكذا، فحدّثته ووعظته، لكنه لم يحفل بها ولا برؤياها، وأكب على الخمر حتى مات.

لكن السيدة أم حبيبة بقت على دينها متمسكة بشريعة ربها، ترفع رأسها عالياً بها، فإذا بها ترى في منامها منادياً يناديها قائلاً: يا أم المؤمنين.

أيها الإخوة الكرام:

وتناقل خبر ردة عبيد الله بن جحش جميع من في المدينة، وعلم رسول الله بهذا الخبر، وأن السيدة أم حبيبة ماتزال على دينها لا تحيد عنه قيد شعرة، ولا تبغي عنه بديلاً، فأراد أن يكافئها أعظم مكافأة ويجازيها أعظم جزاء على ثباتها وصبرها. وكانت الإرادة الإلهية أن تكون السيدة أم حبيبة زوجاً لسيد الكائنات وبطل الأنبياء، فنالت الوسام الأعظم الذي تتمناه كل امرأة، « وسام أم المؤمنين » فكيف تم ذلك؟

معشر السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بمحضراتكم إلى هناك، إلى أرض الحبشة لأشهد معكم هذا الزواج المبارك العظيم الذي عقده ملك الحبشة (النجاشي)، فقد أرسل إليه سيدنا رسول الله بعد أن انقضت عدتها ليخطب له أم حبيبة التقية النقية. تقول السيدة أم حبيبة عليها السلام:

\$لما انقضت عدتي استأذن علي بابي جارية للنجاشي، فدخلت علي فقالت:

- إن الملك يقول لك: إن رسول الله كتب إلي أن أزوجه فقلت: بشرك الله بالخير (ثم ألفت إليها سوارين من فضة مكافأة لبشارتها).

ثم قالت الجارية: يقول لك الملك وكلي من يزوجه.

فأرسلت السيدة أم حبيبة إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فقام سيدنا النجاشي خطيباً فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه بشرَّ به عيسى ابن مريم #.

أما بعد:

فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وقد أصدقته أربعمئة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فقولوا ﷺ.

ثم قام وليها سيدنا خالد بن سعيد فقال:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبنا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله.

ثم دفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أراد القوم أن يقوموا فقال:

- اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.

وهكذا -معشر السادة- تم الزواج بكل أركانه وشروطه وسننه: إيجاب وقبول، ومهر وشهود، وولي ووليمة، ولم يبق إلا رحيل العروس إلى الزوج العظيم يا سعد من صلى عليه.

أيها الإخوة:

وانتشر الخبر بين العرب، وانقلبت السخرية على أبي سفيان لأنه كان يومها زعيم معسكر الشرك، سبحان مقلب القلوب: كان نوح نبياً رسولاً وكان ابنه كافراً، وكان إبراهيم نبياً رسولاً وكان أبوه كافراً، وكان خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل صحابيين جليلين وكان أبواهما من ألد أعداء سيدنا محمد ﷺ، وكان الحبيب الأعظم إذا رأى خالداً وعكرمة قال: سبحان الله يخرج الحي من الميت.

لكن أبا سفيان قطع السنة الساخرين، وأعلن أنه يرفع رأسه عالياً بهذا الزواج، وأطلق كلمته المشهورة: « هو الفحل لا يقدر أنفه » -صلوا على النبي- هو الكف الكريم الذي لا يرد.

أيها السادة:

وما أن أتت السنة السابعة للهجرة حتى تهيأ رسول الله ﷺ لتأديب اليهود بعد أن ازداد خطرهم فتوجه لقتالهم في خيبر، بعد أن أرسل إلى النجاشي رسولاً يعلمه أن يرسل المسلمين المتبقين في

الحبشة فقد ثبتت أركان الإسلام وقامت الدولة الجديدة، ولم يبق إلا عودة الذين أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً، فإذا بهم يعودون والنبي في خير، فشددوا الرحال إلى خير ليلقوا رسول الله هناك وقد فتح الله عليه ونصره والتأم الشمل، فقد كانت أم المؤمنين السيدة أم حبيبة مع القادمين بعد حوالي خمسة عشر عاماً قضتها مهاجرة في سبيل الله، عادت ومعها ابنتها حبيبة محملة بالهدايا والعطور من سيدنا النجاشي (واسمه أصحمة)، وكان على رأس الوفد الإسلامي القادم من الحبشة سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي، وما أن رآه رسول الله ﷺ حتى قال:

- ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خير أم بقدم جعفر (فتح ٦٢٦٢).

أيها السادة:

تكاد الروايات تجمع على أن سن السيدة أم حبيبة كانت في الثلاثين عند قدومها المدينة، فأقامت في حجرة من حجرات النبي مع أمهات المؤمنين تتعلم وتعلّم وتحفظ الحديث والقرآن، ولها في كتب الحديث خمسة وستون حديثاً روتها عن زوجها حبيب الله تعلمتها في خلال ثلاث سنوات من مكوثها عنده قبل وفاته ﷺ.

في السنة الثامنة من الهجرة وبعد نقض معاهدة الحديبية وفي رمضان، هذا الشهر المبارك الذي لم يكن عند الصحابة شهر ترفيه بل كان شهر توجيه، ولم يكن شهر تسلية بل كان شهر توعية، وجهز رسول الله جيشه لفتح مكة، وعلم (زعيم المشركين) أبو سفيان بذلك فأسرع من مكة إلى المدينة ليمدد فترة الصلح ويرمم ما انتقض من صلح الحديبية، فكان أن توجه إلى أم حبيبة رضي الله عنها، ففوجئت رملة به في بيتها ولم تكن قد رآته منذ هاجرت إلى الحبشة.

أيها الإخوة: إننا في بيت رسول الله ﷺ تعالوا لتلتقط العدسة الإيمانية هذا المشهد، وأبو سفيان واقف على الباب، الرجل الذي حارب معسكر التوحيد إحدى وعشرين عاماً، قرابة ربع قرن من الزمان كان ألد أعداء المصطفى ﷺ، قالت له مباشرة:

- ماذا تريد يا أبا سفيان؟

لم تقل له يا أبت لأن الإسلام رفع الأبوة بينها وبينه، هو مشرك.

دخل أبو سفيان وتوجه إلى الفراش الوحيد في الغرفة فوثبت أم حبيبة فاخبطت الفراش وطوته. فقال أبو سفيان:

- أرغبة بي عن الفراش طويته، أم رغبة بالفراش عني؟

أي أن هذا الفراش لا يليق بي وبمقامي ومكانتي، أم أنني لست أهلاً كي أجلس عليه؟.

فقالت أم حبيبة الطاهرة الصادقة، التي قارب الإيمان بينها وبين رسول الله والمسلمين، وبعاد الشرك بينها وبين أبيها قالت بثقة وجراً:

- والله لا يجلس عدو الله على فراش حبيب الله.

يا أبا سفيان هذا فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه، إنها العقيدة، العقيدة إذا تمكنت من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكناً، العقيدة إذا مزجت بماء البحر الأجاج تجعله فراتاً عذباً سلسبيلًا.

قم عن هذا الفراش فهذا فراش حبيب الله أطهر خلق الله وأنت مشرك نجس، وهل هناك أطهر من سيدنا محمد في هذا الوجود؟.

فقام أبو سفيان وبه رعدة، وانتفض كمن صب عليه سطل ماء في ليلة شاتية، ثم قال لها وهو يخرج: يا بنية لقد أصابك بعدي شر. فقالت له وهي تلحقه إلى باب الحجرة:

لا يا أبا سفيان، بل هداني الله تعالى للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر، واعجباً منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها.

أيها السادة:

زلزلت هذه الكلمات موقف الشرك في أعماق أبي سفيان ومهدت الطريق بعد ذلك لإيمانه بعد أيام قليلة من هذا الموقف.

فمساكين أولئك الذين تفوقهم روعة عمل نبينا الكريم فينسبونهم إلى تلبث الشهوة، لأن هذا الزواج - أيها الإخوة - زواج سياسي من الدرجة الأولى، فلم تمض أيام على وجود أم المؤمنين في بيت النبوة حتى دخل أبو سفيان في الإسلام قبل دخول جيوش القيادة العامة للجيش المسلم مكة المكرمة، وكان سبباً لتأليف قلوب قومه وعشيرته فدخلوا جميعاً في الإسلام، كما أنه إعلان من القائد الأعلى للأمة أنه اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارّةً بدينها، وبقيت عليه رغم ردة زوجها فكانت المكافأة على قدر التضحية.

أيها السادة:

حجت السيدة أم حبيبة مع رسول الله في حجة الوداع وأذن لها رسول الله أن تنفر قبل الفجر من مزدلفة إلى منى قبل نزول الحجيج، ثم عاشت حتى استقر الأمر لأخيها معاوية، وحين أحست بدنو أجلها في عام ٤٤ هـ راحت تتحلل من ضرائرها وتستغفر لهن وتطلب منهن التجاوز عما كان بين الضرائر، وودّعت الأمة أم حبيبة إلى مرقدها الأخير في البقيع فقولوا رضي الله عنها.

فمن هي أم المؤمنين الحادية عشرة، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحه الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

-٨١-

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصل الخطاب، وفتاح أبواب الصواب، ومأنح أسباب الثواب.
أحمده سبحانه وتعالى وهباته ونعمه تنزل بغير حساب، وأعبدته فإليه المرجع والمآب، وأرجوه
وأخافه فبيده الثواب والعقاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مقدماتٌ دلالتها مبيّنة الأسباب،
ونتيجةً اعتقادها جنةً مفتحة الأبواب.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله أرسله
وقد طال زمن الفترة ونُسيت الآداب، وبعد عهد النبوة فزال الحق وانجاب فمنازل الهدى خراب،
ومعاهده لا تُعتاد ولا تُنتاب، وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب، حتى افرد النظر بالدنيا
وآدعي تعدد الأرباب. فاختار الله سيدنا مُحمّداً من أشرف الأنساب وخيرة الأحساب.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحمّد وعلى آل سيدنا مُحمّد وعلى أصحاب سيدنا مُحمّد
وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم
الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً
كثيراً.

أما بعد: فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة

كنت أريد أن أختم معكم اليوم ملف أمهات المؤمنين بالحديث عن أم المؤمنين الأخيرة في
دخولها بيت النبوة لكنني نظرت فوجدت أن امرأة أخرى كانت قد سبقتها في دخول بيت النبوة،
نعم هذه المرأة ليست من أمهات المؤمنين لأنها (أمة) أو بتعبير أدق سِرِّيَّة، فنحن أمام ألفاظ

ثلاثة أرى أنه من الواجب علينا أن نفهمها لنقف على حقيقة الأمر في هذه السيدة الجديدة، ذلك أن علماء السير والمؤرخين يدققون في الألقاب لتكون مطابقة للحال.

فلقب أم المؤمنين يعني أو المقصود منه: نساء النبي الحرائر، أي اللواتي قَسَمَ لكل منهن رسول الله ليلة يبيت عندها وأسكنها بيتاً أو حجرة من حجراته حول المسجد النبوي.

واللقب الثاني: هو لقب الأمة أو الجارية التي تكون عند السيد تخدمه دون أن يبنى بها أو يطأها وله الحق في بيعها وهبتها وغير ذلك.

واللقب الثالث: هو لقب السرية: والمقصود منه الأمة التي تكون عند سيدها فيتسرى بها أي يبنى بها ويطأها بملك يمينه ولا يحل له أن يجمع بينها وبين أختها في الوطء، فإن ولدت له ولداً سميت أم ولده فيحرم عليه بيعها أو هبتها أو التصرف فيها، وتكون حرة بعد موته، أي أن ولدها أعتقها من الرق.

وهذا ما سيكون الحديث عنه اليوم، فنحن أمام سريتان لسيدنا رسول الله ﷺ فمن هما؟ وما هي أخبارهما؟ من هو الابن الأخير لسيدنا رسول الله ﷺ؟

أجيب عن هذه الأسئلة بإذن الله تعالى مع الحلقة الواحدة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة نرفع عالياً شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

أيها السادة الكرام:

كان عند جدي سيدنا رسول الله ﷺ سريتان:

الأولى: السيدة ریحانة بنت زيد من بني النضير، سبيت مع غنائم بني قريظة بعد أن قتل زوجها الحَكَم، وكانت بعد تقسيم الغنائم من نصيب سيدنا رسول الله ﷺ، فأرسلها إلى أم المنذر بنت قيس من بني النجار لتبقى عندها حتى تعتد بحیضة واحدة، وعندما طهرت في المحرم سنة ٦هـ عرض عليها رسول الله أن تسلم فيعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا

رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها. لكنه لم يقرها لأنها تعصبت لليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها.

وبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: إن هذا لثعلبة ابن سعيد (وهو أحد من أسلم من يهود بني قريظة) يبشرني بإسلام ربحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله أسلمت ربحانة.

فَسَرَّه ذلك منها، وقام إليها ووطأها بملك اليمين، ولذا لم يُقسم لها ولم يسكنها في بيوت أمهات المؤمنين، إنما بقيت عند أم المنذر في بني النجار حتى توفيت في السنة العاشرة للهجرة عند عودته ﷺ من حجة الوداع، فدفنها في البقيع بجوار السيدة زينب بنت خزيمة فقولوا رضي الله عنهما.

لكن ابن سعد في الطبقات (١٣٠/٨) يذكر أنها أسلمت يوم غنمها رسول الله فاعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس في بيت أم المنذر، وأنه كان يقسم لها كما كان يقسم لنسائه وأنه ضرب عليها الحجاب، والله أعلم بذلك.

أيها الأخوة:

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على السيرة الثانية ألا وهي أم سيدنا إبراهيم السيدة مارية بنت شمعون القبطية التي دخلت فجأة بيت النبوة، فقد فوجئ بها رسول الله ﷺ بعد عودته من صلح الحديبية.

فكلنا يعلم أنه راسل الملوك والرؤساء والأمراء من النصارى والمجوس برسائل وصل عددها إلى عشر رسائل، بل ذكر صاحب الطبقات أربعين رسالة له ﷺ لجميع ملوك الأرض (٢٦٤/١)، أرسلها مع أصحابه الذين بعثهم في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها، فكان نصيب حاطب بن أبي بلتعة الذي كان يعرف اللغة المصرية القديمة أن يرسل إلى المقوقس جريج بن مينا عظيم القبط في مصر.

ولما نظر المقوقس في الرسالة قرأ فيها:

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد:

من مُحمَّد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط.

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط...

قرأ المقوقس الكتاب بإمعان وتأمل في مضمونه، ولعله أدرك أن سيدنا مُحمَّدًا هو النبي الذي بشر به السيد المسيح في الإنجيل، فمال إلى الإسلام، لكنه خشي من قومه وخاف من الروم على ملكه أن يسلب منه عندما يسلم، ولذا كان رده على رسول الله سياسياً حذراً، ليس فيه قبول أو رفض، إنما ظاهره سياسة ومداهنة وتلطف، قال لحاطب بن أبي بلتعة:

- لقد أمرت لك بمئة دينار وخمسة أثواب، فارحل عني ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً.

ثم سلَّم له رسالة إلى رسول الله وبعث معه جاريتين وعبدًا وبطبيب وثياب ومطية وبعض خيرات مصر كالعسل.

أيها السادة:

وجد رسول الله ﷺ كل ذلك أمامه عند عودته من صلح الحديبية فاخذ الرسالة وأمر بقراءتها بين يديه، فإذا فيها:

من المقوقس عظيم القبط إلى مُحمَّد بن عبد الله

سلام عليك

أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وثياب، وأهديت لك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

بهذه الرسالة ظهرت حكمة المقوقس وسياسته المخنكة، حين أرسل الهدايا، فبدا في نظر النبي غير معارض لدعوته، أو رافض لرسالته، وزاد من جمال الموقف أن الجاريتين دخلتا في الإسلام،

وهما السيدة مارية القبطية وأختها سيرين، فاتخذ رسول الله لنفسه السيدة مارية ووهب شاعره حسان بن ثابت أختها سيرين، وأنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان بجوار بيوت أزواجه.

واشتعلت نار الغيرة في قلوب أمهات المؤمنين لما وَجَدْنَ أن سيدنا النبي يكثر من زيارة السيدة مارية، وإليكم هذا التصريح الهام الذي صرحته أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ التي قالت:

- ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنه كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله، وكان أنزلها أزل ما قدم بها في بيت الحارث بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان عامة ليله أو نهاره عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحولها إلى العالية (على بعد ٥ كم من المدينة) فكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشدَّ علينا.

وقد ذكر المؤرخون وكتب السيِّر أن السبب في نقلها إلى خارج المدينة همسة مريبة تتهم السيدة مارية بمثل ما اتهمت به قبلها أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ؓ.

أيها الإخوة: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار المسجد النبوي الشريف لنشهد هذه الحنة التي وقعت فيها السيدة مارية كما ذكرها صاحب الاستيعاب عن مُجَّد بن عبد الله الأزهري عن أنس بن مالك قال:

((كانت أم إبراهيم سرية النبي ﷺ في مشربتها وكان قبطي (الذي أهده المقوقس له (١) وكان هذا القبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والخطب، فقال الناس في ذلك (علج يدخل على علجة) (٢) فبلغ ذلك رسول الله فأرسل سيدنا علي بن أبي طالب ؓ فوجد القبطي على نخلة هناك، فلما أخذ سيدنا علي سيفه وقع في نفس القبطي ما يريد وألقى الرداء الذي كان يستره فتعرى فإذا هو محبوب، أي لا يستطيع الاقتراب من النساء، فعاد سيدنا علي للنبي وأخبره. فخاف عليها فنقلها إلى العالية بضواحي المدينة توفيراً لراحتها وسلامتها وعناية بصحتها.

إلا أن حدثاً سعيداً وأملاً بارقاً وفرحة غامرة ملأت هذا البيت الجديد، إذ أن السيدة مارية أعلنت أنها حامل، فقد أحست ببوارد الحمل حين دخلت عامها الثاني مع سيدنا رسول الله الذي كان قد شارف على الستين وما أن دخلت السنة الثامنة للهجرة في شهر ذي الحجة حتى دخلت أم رافع القابلة لتبشر سيدنا مُجَّداً بمولد ولده فأكرمها ثم أسرع إلى بيت جاريته فرحاً

مسروراً حامداً شاكراً ليحمل الغلام بين يديه ويسميه إبراهيم مما زاد في غيرة أمهات المؤمنين وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها.

وحلق رسول الله شعر سيدنا إبراهيم في اليوم السابع وتصدق بوزن شعره فضة على مساكين المدينة، وتنافست الأنصار فيمن يرضعه، فاختار رسول الله مرضع ولده، وجعل في حيازتها سبعا من الماعز كي ترضعه بلبنها إذا شح ثديها.

وكان الوحي إذا نزل عليه يؤنسه ويسلم عليه قائلاً: السلام عليك يا أبا إبراهيم. وبدأ الطفل الحبيب يحبو على يديه ورجليه على الأرض، وتزداد سعادة والديه به حتى قارب على العامين، لكنه فجأة مرض فبدأ القلق يتسرب إلى أهل البيت، وأما سيدنا رسول الله فضرب المثل الأعلى في الثبات أمام المصائب، وفي الصبر عند الملمات، يقول سيدنا جابر يصف الحزن الذي اعتري سيدنا رسول الله وهو يأخذ ولده من حجر أمه، وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره وتتحدّر دموع النبوة على خديه كحبات اللؤلؤ ثم قال: ((يا إبراهيم، لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، وتبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب)).

ثم نظر إلى أمه السيدة مارية التي اعتراها ما يعتري الأمهات عند فقد أولادهن وقال موسياً لها: ((إن له لمرضعاً في الجنة)). وأقبل الفضل بن عباس فغسل الصغير وأبوه رسول الله جالس يرنو إليه في حزن بالغ وقطرات النبوة تفيض من عينيه.

وحمل جثمان الطفل إبراهيم من منزل أمه المفجوعة، وسار وراءه سيد الأمة وعظيمها وخلفه الصحابة الأجلاء بصمت رهيب إلى البقيع، وصلى عليه القائد الأعلى للأمة، وأضجعه بيده في قبره، دفنه إلى جوار عثمان بن مظعون وقال له: « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » ، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء.

وما هي إلا لحظات إذا بالشمس تنكسف ويذهب ضوءها، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وصاروا يقولون: إنها انكسفت لموت إبراهيم. وبلغت الكلمة مسمع نبينا (صلوا عليه) فالتفت

إلى أصحابه وقال لهم: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تحسبان لموت أحد ولا لحياته ». »

أيها السادة:

لم تطل حياة السيدة مارية كثيراً، فبعد وفاة نبينا بخمس سنوات أعني سنة ست عشرة من الهجرة، وفي زمن سيدنا عمر بن الخطاب توفيت السيدة مارية، وراح عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها ودفنت بالبقيع.

فمن هي أم المؤمنين الأخيرة، ما سبب زواجها من سيدنا رسول الله ﷺ؟

أترك هذا السؤال - أيها السادة - لأجيب عنه في الخطبة القادمة باذن الله تعالى. وأنتقل بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

- ٨٢ -

أمهات المؤمنين / ١٨

الحمد لله العليُّ ذاته، المجيدة صفاته، القديمة أسماؤه وآياته، الظاهرة أفعاله، الباهرة أنواره، المتصرفة أقداره، فسبحان من لا أرض تحوطه ولا سماء تكتنفه وتحويه.

أحمده حمداً منه بدأ، وإلى صفة الشكر يعود، وأثني عليه ثناء لا يحصى متعلقاً بصفة الشكر غير معدود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ما لها حدود، متعلقة بذاته العلية مشتملة على ذرات الوجود.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله أشرف من في الوجود.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحمّداً، وعلى آل سيدنا مُحمّداً، وعلى أصحاب سيدنا مُحمّداً وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً صلاة وسلاماً ما لهما حدود.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

قبل أن أنتقل بكم إلى زيارة أم المؤمنين الأخيرة أرى لزماً علي أن أذكر أن بعض علماء السيرة ذكروا بعض الزوجات اللواتي لم يدخل بهن رسول الله ﷺ وطلقهن، أو اللواتي وهبن أنفسهن لرسول الله فقبِلَهُنَّ ثم ردَّهن، لنكون بذلك قد أتينا على جميع حياة نبينا الشخصية.

فمنهن: السيدة فاطمة بنت الضحاك التي تزوجها رسول الله ﷺ فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك. فقال لها: لقد عدت بعظيم، الحقي بأهلك. أي طلقها وعادت إلى أهلها، وكانت تقول بعد ذلك: أنا الشقية. ماتت سنة ستين للهجرة.

ومنهن: أسماء بنت النعمان الكندية.

التي كاد بها السيدتان عائشة وحفصة قالتا وهما يمشطانها ويخضبانهما: إذا دخل عليك رسول الله ﷺ فاستعيذي بالله منه فإنك تحظين عنده ويرغب فيك (خ: فتح الباري ٩ / ٣٥٦).

يقول ابن سعد: وإنما خدعاها لما رأيا من جماها وهيئتها، وحين طلقها رسول الله (بعد أن قالت له ذلك) ذكر له أن السبب في ذلك عائشة وحفصة فقال رسول الله ﷺ: إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم.

ومنهن: ليلي بنت الخطيم: وهبت نفسها للنبي وكانت غيورة متسلطة على أزواجها السابقين فاستقالته فأقالها وردّها.

ومنهن: أم هانئ فاختة بنت أبي طالب ابنة عمه ﷺ خطبها في الجاهلية قبل زواجه بخديجة فتزوجت غيره، فلما أسلمت فرّق الإسلام بينها وبين زوجها، فخطبها رسول الله فقالت: والله إني كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصيبة وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله:

« خير نساء ركن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده » (خ: ٥٠٨٢ - م: ٢٥٢٧).

ومنهن: السيدة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب:
عرضت عليه ليتزوجها فقال: « إنها ابنة أخي حمزة من الرضاعة وإنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » (خ: ٤٢٥١).

وهناك نساء أخريات ذكرت الأخبار أنهن قد تزوجهن رسول الله ولم يدخل بهن، أو خطبهن ولم يتم نكاحه معهن، والأخبار بشأنهن قليلة.

أيها السادة الكرام:

اسمحو لي أن أزور معكم اليوم السيدة الأخيرة ذات الحظ السعيد التي دخلت بيت النبوة في الحلقة الثانية والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة:

أם المؤمنين الأخيرة هي السيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن من بني هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية.

وأما هند بنت عوف التي ذكر أنها أكرم عجوز في الأرض أصهاراً.

فقد زفت ابنتها السيدة زينب بنت خزيمة إلى رسول الله ﷺ وماتت في حياته.

ثم زفت ابنتها الثانية: أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث إلى العباس بن عبد المطلب.

ثم زفت ابنتها لبابة الصغرى إلى الوليد بن المغيرة.

ثم زفت ابنتها أسماء بنت عميس إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب فلما مات عنها زفت إلى سيدنا أبي بكر الصديق، فلما مات عنها تزوجها علي بن أبي طالب.

ثم زفت ابنتها سلمى بنت عميس إلى سيدنا حمزة بن عبد المطلب.

وها هي اليوم تزف ابنتها الأخيرة ميمونة بنت الحارث إلى سيدنا رسول الله.

فمن هو أكرم من هذه العجوز؟ قولوا ﷺ.

أيها السادة:

كانت السيدة ميمونة متزوجة في الجاهلية من مسعود بن عمرو الثقفي ثم فارقها، فتزوجت أبا رهم بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي فتوفي عنها.

وكانت ﷺ قد أسلمت وبايعت سيدنا رسول الله ﷺ قبل هجرته، إلا أنها لم تهجر، وظلت في مكة حتى كان عام القصاص أو عمرة القضاء بعد عام الحديبية.

وها هو سيدنا رسول الله يدخل مكة المكرمة في السنة السابعة من الهجرة لأداء العمرة مع ألفين ممن شهد الصلح العام السابق ومن انضم إليهم، ها هم يدخلون مكة محرمين بالعمرة ترتفع أصواتهم ملين:

لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك.

فتجاوبت مكة بالهتاف المؤمن، ومادت الأرض تحت أقدام المشركين الذين ضربوا خيامهم خارج البلد الحرام، وتسامعت قريش هذا النداء الخالد حين بلغ الصحابة الحرم المكي،

فخرجوا من الحرم وصعدوا إلى التلال ورؤوس الجبال المجاورة للحرم، وراحوا ينظرون بأعينهم إلى المؤمنين الصادقين وهم يسرون خلف سيد المرسلين يحيط به كبار الصحابة الكرام، يتجهون نحو الكعبة لا يصدهم أحد عنها، وهم ينشدون نشيد التلبية:

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

وانظروا - معشر السادة - إلى هذا الطرب الذي أصاب صحابة النبي ﷺ، وهم يسرون فرحين آمنين ينفذون مشيئة مولانا عز وجل:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧) ﴿الفتح:

٢٧

إنك - يا أخي المسلم - لتقدر هذا المشهد العظيم حين تسمع وأرجاء الحرم المكي المباركة تهتز بهذا النداء، وارفِع رأسك عالياً لترى على التلال أشد الكافرين صلابة وعناداً وعبدة الأصنام، انظروا إليهم -أيها الإخوة- كيف انجذبوا إلى الإسلام وسكتوا وخشعوا وخشعت قلوبهم إلى الإسلام إلى نداء التوحيد وهو يدوي ينبعث من القلوب المؤمنة:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، لا شريك لك .

كان هذا النداء يخترق الآذان ويصل إلى شغاف قلوبهم فيهبها هزاً، وأمام هذا المنظر الأخاذ ارتعش قلب سيدة من أكرم سيدات مكة، وهي برة بنت الحارث، وكانت أرملة فتقدمت برة إلى أختها أم الفضل لبابة الكبرى زوج جدي العباس رضي الله عنهما، وحدثتها بما يهفو إليه قلبها، قالت لأختها: هل تحدّثين زوجك العباس ليحدّث رسول الله أني أرغب بالزواج به، وأنني وكلت العباس لعقد العقد.

وحدّث العباس سيد الكائنات عن رغبة السيدة برة بزواجها منه، فقبل رسول الله ﷺ، وعقد عليها وغيّر اسمها إلى ميمونة، لكن المهلة التي أعطتها قريش للعمرة كانت ثلاثة أيام، فأرسلت قريش من قال للنبي ﷺ إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا. فقال ﷺ: وما عليكم لو

تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه. فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا.

أيها الإخوة: وخرج رسول الله ﷺ، ووكل أبا رافع مولاه لإحضار السيدة ميمونة إلى منطقة سَرْف خارج مكة، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، وفي ذلك يروي الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال ». أي بعد تحلله من العمرة، وكان عمرها ستاً وعشرين سنة، وأصدقها أربعمئة درهم.

وهكذا -معشر السادة- تخلف أختها السيدة زينب بنت خزيمة، وكانت من السيدات المتعبدات الزاهدات، شهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان فقال: « الأخوات مؤمنات: ميمونة وأم الفضل وأسماء ». أي بنت عميس.

أيها الإخوة:

وتروي لنا كتب السيرة الصفات التي تميزت بها شخصية هذه السيدة عن أمهات المؤمنين، وأهم هذه الصفات القرار الذي اتخذته في نفسها بأن:

١- تتزوج سيدنا رسول الله ﷺ أو تهب نفسها له حتى إذا انتقل إلى الرفيق الأعلى اتخذت قراراً آخر.

٢- ألا تتمتع بلحظة من لحظات الرضا بجمالها، فقد لجأت إلى أن تحلق رأسها في مسلك فريد لم يُعرف إلا عن قلائل من كريمات العرب، وكأنها فرَضَتْ على نفسها الحداد على رسول الله ﷺ مدى حياتها، وهو لا شك قرار قاس. يقول ابن أختها يزيد بن الأصم:

(رأيت أم المؤمنين ميمونة تحلق رأسها بعد رسول الله ﷺ وظلت كذلك حتى ماتت وهي مخلوقة الرأس).

٣- ولو أننا تتبعنا سمات هذه السيدة الكريمة لأعجبنا فعلها حينما أبصرت حبة رمان على الأرض فأخذتها وقالت: إن الله لا يحب الفساد.

٤- بل نراها شديدة التمسك بسنة رسول الله في استعمال السواك وجعله منقوعاً في الماء إن شغلها عمل أو صلاة، وإلا أخذته واستاكت به.

٥- ومما يدلنا على شخصيتها الصارمة القويمة وحزم رأيها السديد ما روي أن: أحد أقربائها دخل عليها فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك، أو قالت: يطهروك - لا تدخل عليّ بيتي أبداً).

أيها الإخوة الكرام:

عاشت هذه السيدة الكريمة حتى بلغت الثمانين من عمرها تروي أحاديث زوجها سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد ذكر لها ستاً وسبعين حديثاً رواها عنها ابن أختها جدي عبد الله بن العباس، وابن أختها يزيد بن الأصم وجماعة التابعين.

وفي سنة غادرت أم المؤمنين ميمونة المدينة لحج بيت الله الحرام رغم سنها الكبير، وهناك في مكة أحسّت بدنو أجلها، فأوصت ابن أختها عبد الله بن العباس أن يدفنها في أعز مكان عندها، في المكان الذي شهد لقاءها برسول الله في سرف (ابن سعد- ابن حجر في الفتح: كتاب النكاح).

وكانت فراستها صادقة إذ توفيت، فشيعها المسلمون إلى حيث أوصت، وحين بلغ نبأ وفاتها السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنها كانت -والله- من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

أيها الإخوة الكرام:

هذه هي آخر الأنباء عن أمهات المؤمنين، فلم يتزوج رسول الله ﷺ بعدهن أحد، لأن مولانا عز وجل أنزل عليه قوله:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الأحزاب: ٥٢. ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك، ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج لأن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: (أحمد - ت - ن) (ما مات رسول الله حتى أحل الله له النساء).

ولكن لم يقع منه بعد ذلك أن تزوج لتكون المنة لسيدنا رسول الله عليهن وخاصة أن الله أنزل في أواخر السنة الثامنة تحديد عدد الزوجات بأربع للمسلمين فرمما ترك رسول الله التزوج جبراً لخاطر المسلمين، (ت - ن - أحمد - ابن حجر في التفسير ٤٧٨٩).

وبعد أيها الإخوة:

هذه لمحات عن أمهات المؤمنين زوجات سيدنا رسول الله الطاهرات اللواتي أكرمهن الله بصحبة رسوله في الدنيا والآخرة، وظهر لنا في تزوجه عليه الصلاة والسلام بكل واحدة منهن الدليل الساطع على نبل رسول الله وشهامته وسمو غرضه وجميل إحسانه، خلافاً لما يقول الأفاكون الدساسون، فلو كان للهوى سلطان على قلب النبي لتزوج في حال الشباب ولتزوج بالأبكار، ولكنه الحقد الأسود الذي ملأ قلوب أولئك المستشرقين الغربيين فأعمأها عن رؤية ضياء الحق الساطع، وصدق الله العظيم:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨)

فكيف كانت أخلاقه ﷺ مع صحابته ومع أهله، وعشيرته، ومع جيرانه، أَدْعُوكم لنشهد معاً الإنسان الكامل ونتعرف على صفاته على هذا المنبر الشريف في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى. وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

- ٨٣ -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمته وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات.

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فأعطى آدم الصفة، وإبراهيم الخلة، وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا مُحَمَّدٌ حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى مافوق سبع سموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدٌ عبده ورسوله الذي أزاح وجوده ظُلمَ الجهالات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم لومة لائم في سائر الأوقات، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا رب أعني ولا تعن علي، وانصربي ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر لي الهدى وانصربي علي من بغى علي، رب اجعلني لك ذكراً، لك شكراً، لك رهاباً، مطوعاً لك، مخبئاً إليك، أوهاً منيباً.

أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه.

أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده.

اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً يأرحم الراحمين.

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

أيها السادة:

قبل أن أبدأ حلقة اليوم أريد أن أرفع التحية، تحية إكبار وتوقير وتعظيم للقائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج فقولوا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله.

سريت من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم

وبتت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وقدّمتك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتم

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك لي إذا الكريم تجلى باسم منتقم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ماضى يا واسع الكرم

أيها الإخوة :

مازلت في حديثي معكم مع أشرف خلق الله وأفضلهم على الإطلاق، الذي جمع من الفضائل والمكارم ما لم يجمعه نبي مرسل، وهو النبي الخاتم لجميع الأنبياء، ولهذا أوجب الله على المؤمنين تجاه هذا النبي واجبين: الواجب الأول: اتباعه ﷺ. والواجب الثاني: محبته ﷺ

كان هذا هو الموجز، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثالثة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى على موجات الذكر الحكيم:

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) التوبة: ٢٤

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) آل عمران: ٣١

أيها السادة:

لا ريب أن محبة النبي من أفضل القربات إلى الله بعد الإيمان به، ولا ريب أن أسباب المحبة ترجع إلى أنواع الكمالات التي أفرغها الله على نبيه الكريم، فإذا كنا -معشر الخلق- نحب الرجل لكرمه أو لشجاعته أو لحلمه أو لعلمه أو لتواضعه أو لتعبده وتقواه، أو لزهده وورعه، أو لكمال عقله أو وفور فهمه، أو جمال أدبه أو حسن خلقه أو فصاحة لسانه أو حسن معاشرته، أو كثرة بره وخيره، أو لشفقته ورحمته. وهكذا لبقية صفات الكمال الإنساني، إذا كنا نحب الرجل لإحدى هذه الصفات فكيف بنا إذا اجتمعت هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والجمال في رجل واحد هو: سيدنا مُحَمَّد ﷺ الذي طوى الله فيه جميع المحاسن، حتى إن من يراه يقول: لم يُر قبله ولا بعده مثله:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى منها وما يتعشق الكبراء

زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

المصلحون أصابع جمعت يداً هي أنت بل أنت اليد البيضاء

فإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا خطبت فللمنابر هزة تعرو الندي وللقلوب بكاء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لم تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً لا يستهين بعفوك الجهلاء
الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة للحق لا ضغن ولا شحناء
يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ما له شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه والحوض أنت حياله السقاء
لو أن إنساناً تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء
ولذلك كان من الواجب علينا في آخر حلقة نتحدث فيها عن نبينا أن نتعرف إلى جماله
وكماله ومحاسنه الخلقية وكمالاته النفسية والروحية والقلبية والعلمية.
فعلينا ونحن نتناول طرفاً من هذه المعرفة أن ندرك أن ذلك مما يزيدنا محبة لسيدنا مُحَمَّد ﷺ،
ولكي نزداد اتباعاً له واقتداء به يجب علينا البحث عن أعماله وأقواله وأحواله، والتعرف إلى
سجاياه الكريمة، وأخلاقه العظيمة ليكون اتباعنا له كاملاً شاملاً، لأن عادات السادات - كما
يقولون - سادات العادات فيكيف بعادات سيد السادات قولوا عليه أفضل الصلوات.
أيها الإخوة: وقبل أن أُلج معكم السراقات إلى حبيب الله أدعوكم جميعاً لتسمعوا معي درر
كلماته ولآلئ ألفاظه.
أيها السادة: رسول الله يتحدث إليكم فأصغوا إلي بأسماع أفهامكم، أعيروني آذاناً صاغية
وقلوباً واعية وارفعوا تحيتكم إلى سيدنا مُحَمَّد وقولوا:
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

رسول الله يقول ناصحاً لنا: « كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل » خ- (ت).
« تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا » . (أحمد- حسن).
« بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغيماً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » .
ت (حسن).

« صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر » . طب (حسن).

« اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » (ت حسن).

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » (ق) (خ: ١٥).

« دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، والذي نفس محمد بيده: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم » (ت حسن).

وهكذا -أيها السادة-:

رأينا كيف أعطى الله نبينا الفصاحة والبلاغة، وكيف بلغ من أرجحية العقل وكماله الغاية القصوى، وكيف لا يكون عقله فوق كل العقول وقد أنعم الله عليه وأكرمه فخصه بالنبوة الجامعة والخاتمة والرسالة العامة، ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها فإن هذه النعم لا يتحملها إلا من خصه الله تعالى بأكمل العقول وأرجحها وكفى بقول مولانا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤ يقول وهب بن منبه التابعي الثقة: (قرأت في أحد وسبعين كتاباً،) (أي من الكتب

السابقة فوجدت في جميعها: أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل مُجَدِّدٍ إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا، وأن مُجَدِّدًا أَرَجَحَ الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً)).

والعقل الراجح -أيها السادة- هو الأصل الذي تنشأ عنه الخصال الحميدة والمواهب الرشيدة، وبه تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل.

إننا معشر السادة مع سيدنا رسول الله الذي كان يقول عن نفسه (م: ٢٣٥٥): « أنا مُجَدِّدٌ وأحمد والمقفي (آخر الأنبياء وخاتمهم) والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة » .

تعالوا أيها الأخوة لنشاهد بعين اليقين والحب سيدنا مُجَدِّدًا ﷺ، ها هو مطلق الوجد بيتسم، واسمعوا معي إلى هذا التصريح الذي صرح به الناطق الإيمانى على لسان أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ تقول:

(كان رسول الله ألين الناس، بساماً ضحاكاً، لم ير قط ماداً رجله بين أصحابه) (ض).

وإليكم الوصية الأولى التي أوصانا بها هذا النبي الكريم يقول لنا (م):

« إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد » (صحيح).

وقال: « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر » (ق).

وقال: « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » . (هـ- ض).

إننا مع هذا النبي الذي وصفه مولانا بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧ فظهرت رحمته ﷺ بكل من حوله من إنس وجن وحيوان وجماد، وهو الذي قال عن ذاته ﷺ « أنا رحمة مهداة » (ابن عساکر وهو صحيح).

قَبْلَ مرَّةٍ الحسن والحسين ابني علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع:

أَتَقْبِلُون صبيانكم، إن لي عشرة ما قَبِلْتُ منهم أحداً قط. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: « أوأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك من لا يرحم لا يُرحم » (ق).. أو كما قال.

يقول أبو مسعود البدري (م - د - ت): إني لأضرب غلاماً لي (عبداً له بسبب ذنب أذنبه) إذ سمعت صوتاً من خلفي يقول: اعلم أبا مسعود. قال: فجعلت لا ألتفت إليه من الغضب حتى غشيني، فإذا هو رسول الله. قال أبو مسعود: فلما رأيته ﷺ وقع السوط من يدي من هيئته فقال لي: والله، لله أقدر عليك منك على هذا. فقلت: يا رسول الله لا أضرب غلاماً لي بعدها أبداً. ثم قال: هو حر لوجه الله. فقال ﷺ أما لو لم تفعل للفحتك النار.

ولقد بلغ من شدة رحمته وحلمه وصبره ما روي أن أعرابياً قدم إليه فحبذه بردائه جبذة شديدة فحَمَّرَ رقبته وقال: احملي علي بعيري هذين (حملهما طعاماً) من مال الله الذي عندك فإنك لا تحملي من مالك ولا من مال أبيك. فقال: لا وأستغفر الله (أي لا أحمك من مالي ولا من مال أبي) (د). وفي رواية: (هب): لا أحمك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني. فقال الأعرابي: والله لا أقيدكها. فقال النبي ﷺ ولم. فقال الأعرابي: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة.

فسامحه رسول الله فكان هذا من شدة رحمته به حلمه وعفوه، وكلنا يعلم أنه يوم أحد كسرت رباعيته (أحد أسنانه) وجرح في شفته السفلى وشج في جبهته الشريفة حتى سال منه الدم، فجعل ينشفه لثلاً ينزل على الأرض ويقول: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء. فشق ذلك على الصحابة وحزنوا حزناً شديداً فقالوا: لو دعوت عليهم. فقال ﷺ إنما لم أبعث لعناً، ولكن بعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قام بين يديه رجل فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له النبي ﷺ هون عليك فأنا لست بملك ولا جبار، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (هـ ٢ / ١١٠١ - ٣٣١٢).

لهذه الرحمة -أيها السادة- أحب الصحابة نبينا ﷺ حباً عظيماً ففضلوه على الآباء والأمهات والأولاد والزوجات. سئل سيدنا علي كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فقال:

(كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ).

مرَّ أمامه سيدنا ثوبان وقد نخل جسمه واصفر وجهه، قال ياثوبان مالي أراك مصفراً قد أصابك ما أصابك؟

قال له: يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي، وأني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك، فيطمئن قلبي وتقر عيني، وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لأراك لأنك في مقام لا يصل إليه أحد (هذا الذي أنحل جسم ثوبان حب رسول الله).

فمن الذي أجاب عن هذه القضية الإيمانية، إن الذي أجاب عنها الله رب العالمين أرسل أمين وحي السماء وسفير الأنبياء فنزل على حبيبه سيدنا محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩ فالمرء مع من أحب (خ: ٦١٦٩).

فقرت عين ثوبان وأرجو الله أن يقر أعيننا.

فما هي النصيحة الأخيرة؟ أدعكم أولاً لتصلوا على الحبيب الأعظم.

قال أبو هريرة: يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن أمر إذا عملته دخلت الجنة.

فقال ﷺ: أفشِ السلام ، وأطعم الطعام، وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام (خ: الأدب المفرد).

هنا مدرسة التوحيد من مدرسة سيدنا مُحَمَّد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا محمد ﷺ

- ٨٤ -

الحمد لله المنفرد بالبقاء الذي حكم على جميع خلقه بالانتقال عن دار الشقاء. أحمدده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء.

أحمدك يا من ذلت بالموت رقاب الجبابرة، ويا من أنهيت بالموت آمال القياصرة، فنقلتهم بعظمة الموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوان والديدان.

سبحانك سبحانك كل شيء هالك إلا وجهك، كل باك فسيبكي، وكل ناع فسئنعى، وكل مذكور سيُنسى، وكل مَذْخُور سيفنى، ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نوم ولا فناء.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى لبي داعيه وأنزل عليه مولانا: ﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) الزمر: ٣٠ فإننا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر، وفي رحمتك يأرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وقفت معكم طيلة حلقاتٍ ممتدة من الحلقة الخامسة والخمسين إلى الحلقة الثالثة والثمانين في روضة الحبيب الأعظم، أقطف معكم الأزهار والرياحين التوحيدية، ننسم عبيرها ممتزجاً بعبير الحبيب الأعظم، بقينا مع رسول الله نحاوره ويحاورنا، ويجدثنا عن ذاته الشريفة، كنا معه نحيا بذكره ونتخلق بأخلاقه ونزداد محبة له واتباعاً.

أقف اليوم معكم وقفة العقيدة والدين مع الحلقة الرابعة والثمانين في سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

قضية اليوم تقول: إن لكل بداية نهاية، ولو كانت بدايتك نزولك إلى هذه الحياة الدنيا فلا بد أن تعلم علم اليقين أن نهايتك عند الله عز وجل. ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧) ﴿لَعَنَكُمُوت: ٥٧﴾ ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) ﴿السجدة: ١١﴾

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢) ﴿الزمر: ٤٢﴾

أيها السادة: عاش رسول الله حياته في مكة يدعو إلى الله تعالى مدة ثلاث عشرة سنة، فلما انتقل إلى المدينة المنورة بنى في السنة الأولى مسجد قباء ومسجد المدينة المنورة مقر القيادة العامة الإسلامية، ومن المسجد انطلقت الغزوات والسرايا.

ففي السنة الثانية غزا سبعة غزوات وبعث السرايا، فكانت غزوة بدر الكبرى وفرضت الزكاة والصيام، وصلاة العيد، وحولت القبلة، وتزوج رسول الله بالسيدة عائشة رضي الله عنها.

وفي السنة الثالثة غزا سبعة غزوات منها غزوة أحد، وبني النضير، وبني قينقاع، وتزوج السيدة حفصة وزينب بنت خزيمة.

وفي السنة الرابعة غزا ستة غزوات، وتزوج بأم سلمة.

وفي السنة الخامسة غزا ثلاث غزوات، وتزوج بزینب بنت جحش ومجويرية بنت الحارث.

وفي السنة السادسة غزا غزوتين وبعث السرايا، وكانت فيها بيعة الرضوان، وكاتبَ ملوك الأرض.

وفي السنة السابعة: كانت فيها عمرة القضاء وغزوة خيبر وتزوج بصفية بنت حيي وميمونة بنت الحارث.

وفي السنة الثامنة غزا ستة غزوات، وولد سيدنا إبراهيم، وتوفيت زينب أكبر بناته، وعُمل المنبر لرسول الله، وحن الجذع إليه، وفيها تحدد عدد الزوجات بأربع.

وفي السنة التاسعة: بعث أربع سرية وغزا تبوك، ووفدت إليه وفود العرب من أنحاء الجزيرة العربية.

وفي السنة العاشرة: بعث أصحابه إلى اليمن قضاء وأمراء، وتوفي من أولاده إبراهيم وأم كلثوم، وتوفي النجاشي أيضاً، وحج رسول الله حجة الوداع.

وها هو في بداية السنة الحادية عشرة قد بلغ الثالثة والستين، وقد عاد من حجة الوداع مصحوباً بالعافية مع ألوف الصحابة، وقد طابت نفسه لرسوخ الإسلام في الجزيرة العربية، لكنه عاد ليجد أن بعض الذين فتنهم الله ادعوا النبوة منهم: طليحة حقيير بني أسد، ومسيلمة الكذاب، والأسود العنسي من اليمن، وأراد كل منهم أن يقتسم أراضي الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية مع سيدنا رسول الله، فقد بعث مسيلمة رسوله ليقول لنبينا العظيم: إنه نبي مثله وإن له نصف الأرض ولقریش نصف الأرض، فلما قرأ النبي هذا الكتاب التفت إلى رسولي مسيلمة الكذاب وقال: «لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بقتلكما»، وأعطاهما جواباً لمسيلمة الكذاب كتب فيه:

«من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين والسلام على من اتبع الهدى».

أيها السادة: لم يهتم النبي لأمر الكذابين كثيراً لأن اهتمامه الأكبر كان تثبيت دعائم الدولة في الشمال ضد الروم، ولأجل ذلك جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد، وجعله قائداً على المهاجرين والأنصار، فعسكر بمنطقة الجرف بجوار المدينة حين وصل إليه نبأ أقلقهم وهو مرض سيدنا رسول الله، فتوقف حتى تطمئن نفوس الصحابة إلى ما يكون من أمر الله في نبيه ورسوله ﷺ، وخاصة أن رسول الله لمح في أكثر من مكان بانتهاء أجله، فقد وقف في عرفة في حجة الوداع يودع الناس ويلمح بالرحيل، فقال: «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً» (م).

وقال عند جرة العقبة: «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (م).

وفي غدير خم أثناء عودته إلى المدينة قال: «أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله وعترتي» (صحيح).

وفي صحيح مسلم: «والذي نفس محمد في يده لياتين على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم» .

وعند الإمام أحمد ٣ / ١٠٤: «أتزعمون أنني من آخركم وفاة، ألا وإني من أولكم وفاة» (حب ٨ / ٢٢٣).

وأنزل الله عليه أخيراً مع جبريل قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ (النصر: ١ - ٢) فقال: «يا جبريل، لقد نعت إلي نفسي» . فقال جبريل: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝﴾ (الضحى: ٤) (خ ٤٩٧٠ - ٤٩٦٩ - ٤٩٦٨).

وراح رسول الله يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار فكان يعد عليه الاستغفار في المجلس الواحد سبعين أو مئة مرة.

وبقي بعد حجة الوداع واحداً وثمانين يوماً فإذا بليلة يقول لمولاه أبي مويهبة: « إني أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي » ، فلما وقف على المقابر خاطب أهلها فقال: « السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئ لكم ما أنتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى » ، واستغفر لأهل البقيع ثم عاد مع مولاه فقال له: « يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل » . قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة.

فقال رسول الله: « لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة » (فتح الباري عند حديث ٤٤٣٧).

أيها السادة: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد معكم الحبيب الأعظم وسيد الكائنات وقائد السادات وخير من مشى على وجه الأرض والسموات، أنتقل بكم إلى قدوتنا من الأزل إلى الأبد، لأشهد معكم وداع رسول الله لأصحابه الكرام، فقد نادى بلال المسلمين للاجتماع في المسجد: الصلاة جامعة. فاجتمع المهاجرون والأنصار فصلى بهم رسول الله ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب، وبكت منها العيون ثم قال:

« يا أيها الناس: أي نبي كنت لكم؟ » .

قالوا: جزاك الله من نبي خيراً فلقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق، أدت رسالات الله، وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

فقال لهم: « ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد (ليقتص) ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد، ولا يقولن قائل أخاف الشحناء (العداوة) من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولا

من خلقي وإن أحبكم إلي من أخذ حقاً إن كان له علي، أو حلّلي فلقيت الله عز وجل وليس لأحد علي عندي مظلمة » .

ألا فلتشهد الدنيا وحكام العالم إلى أي حد وصل عدل الحاكم مع المحكوم وإلى أي حد بلغت المساواة.

ثم مرض رسول الله من يومه ثمانية عشر يوماً يعودده الناس، وكان في مرضه يحمل في ثوب فيطاف به على نسائه، يقسم بينهن، [ودخل مرة على عائشة فوجدها تشكو صداعاً في رأسها وهي تقول: وأرأساه. فقال لها: « بل أنا والله يا عائشة وأرأساه »] (خ: ٧٢١٧). وكان الألم في أول الأمر يتردد عليه ويعاوده مرة بعد مرة، حتى رأى في نفسه أنه بحاجة إلى التمريض، فكان يقول: « أين أنا غداً، أين أنا غداً » حرصاً على بيت عائشة (م: ٢٤٤٣)، ففهم أزواجه مراده فأذنَّ له أن يكون حيث شاء وقلن: يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة. فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما العباس والآخر علي، عاصباً رأسه تخط رجلاه في الأرض، حتى دخل بيت عائشة فمكث الأسبوع الأخير من حياته عندها، فكانت تقرأ بالمعوذات وتنفت على رسول الله بهن وتمسح بيده رجاء بركتها (خ).

(خ) وكان وهو يصلي بأصحابه يسمع همساً عن أسامة وإمارته للجيش، وأنه أمّر شاباً عمره عشرون سنة، فشعر بضرورة التحدث إلى الناس فأمر أزواجه بإحضار سبع قرب من آبار شتى لكي يغتسل بها، فأقعده في مخضب وصبوا عليه الماء من شدة الحمى التي كانت تعتريه وكان يقول: « إنا كذلك معشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر » (خ). فلما غسلوه بالقرب السبعة قال: « حسبكم حسبكم » ، ولبس ثيابه وعصب رأسه، وخرج فخطب الناس بعد حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (« أيها الناس انفذوا بعث أسامة فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها.. ») (م: ٢٤٢٦) ثم قال:

ق (م: ٢٢٩٦) « إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإنني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني لا أخشى عليكم أن

تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسوا فيها (أي من قبلكم) فتهلككم كما أهلكتهم »)، وأوصاهم أن يخرجوا المشركين من الجزيرة ثم قال:

« إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده فاختار ما عند الله » ، وسكت الناس إلا الصديق لم يستطع لركة قلبه وعظيم حبه وصادقته للنبي أن يمسه عن البكاء، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فعجب الصحابة، وقالوا: « ما يبكي أبا بكر؟ » يقول أبو سعيد الخدري: فكان رسول الله هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا. وهنا أسكت النبي والصديق وقال: « على رسلك يا أبا بكر (لا تبك) إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته حتى يجمع الله بيننا عنده، لا يَنْقِصُ في المسجد باب إلا سدّتموه إلا باب أبي بكر » . ثم أوصى رسول الله بالمهاجرين والأنصار خيراً وعاد إلى بيته (ق).

(خ) وبدأت وطأة الحمى تشتد على رسول الله، حتى كانوا يجدون حرارتها من فوق ثيابه، فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس » . وحاولت السيدة عائشة أن تجعل الفاروق يصلي، لكن رسول الله أصر قائلاً: « مروا أبا بكر يصلي بالناس » ، فصلى الصديق سبع عشرة صلاة. وكانت ابنته السيدة فاطمة تعود يومياً، فكانت إذا دخلت عليه أسرع إليه فقبلته، وكان يجلسها بجواره ويُسِرُّ إليها بالحديث، وأنها أول أهله لحوقاً به، فلما اشتدت به الحمى ورأته يعاني شدة المرض قالت: واكرب أبتاه. فقال لها: لا كرب على أهلك بعد اليوم. وفي رواية قال لها: « يا فاطمة أخبرني جبريل أنه ليست امرأة من نساء المسلمين أعظم مصاباً منك بي بعدي، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً، فاصبري يا ابنتي واحتسبي عند الله أجرك، تكوني أول الناس لحوقاً بي » . فقالت السيدة فاطمة: احتسبتك عند الله يا رسول الله، احتسبتك عند الله، وصار الناس يزورون الحبيب الأعظم، وهو يوصيهم ويدعو لهم، ويقول لهم: « أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلو على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ » .
 القصص: ٨٣ وكان يوصيهم بالصلاة ويقول: « الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم » .

وفي صباح يوم من أيام مرضه وأثناء صلاة المسلمين للفجر وجد رسول الله خفّة فدخل معتمداً على علي والفضل، وكان يصلي بالناس الصديق، فلما رآه المسلمون فرحوا فرحاً شديداً فصاروا يحمدون الله تعالى بصوت مرتفع، وأحسن الصديق بأن هذا الحمد لخروج رسول الله، فتراجع إلى الخلف ليفتح الطريق لرسول الله ليتابع الصلاة بالناس، فدفعه رسول الله في ظهره قائلاً: « صلّ بالناس » ، ثم جلس إلى جنبه قاعداً مقتدياً بالصديق، فلما فرغ من الصلاة خطب الناس: « أيها الناس سَعَرَت النار، وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تَمَسُّكُونَ عَلَيَّ بشيء، وإني والله لم أُحِلَّ إلا ما أحلَّ القرآن، ولم أُحَرِّمْ إلا ما حرم القرآن، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خُلِّدَ نبي قبلي فيما بعث إليه فأخلد فيكم، إلا وإني لاحق بري عز وجل ألا وإنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي للمهاجرين فيما بينهم خيراً، فإن الله يقول: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣] إن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، إن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غَالَبَ الله غلبه، ومن خادع الله خدعه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۚ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ ﴾ [محمد: ٢٢]

أيها الناس: إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا برَّ الناس برَّهم أثمتهم، وإذا فعجروا عَقَّهم أثمتهم » .

وراح رسول الله يدعو لأصحابه قائلاً: « حيَّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، أواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، أستخلفه عليكم أحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين » . فقال علي: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك، وفيما نكفئك، ومن يصلي عليك ومن يدخلك القبر؟

فقال: « يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصبُّ لك وجبريل ثالثكما، فإذا فرغتم من غسلي فكفوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل عليه السلام يأتيني بحنوطٍ من الجنة، فإذا

أنتم وضعتُموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي رب العالمين من عليائه، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد، واقرؤوا مني السلام على من تبني علي ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة » .

[وعليك السلام يا سيدي يا رسول الله ورحمة الله وبركاته].

معاشر المسلمين: أستودعتكم، الله أنتم في رجاء الله وأمانه، والله خليفتي عليكم فإني مفارق الدنيا، هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا.

أيها الإخوة: فرح المسلمون لنشاط رسول الله واطمأن الصديق عليه واستأذنه بالخروج إلى خارج المدينة، وتفرق المسلمون كل لشأنه، وعاد النبي إلى بيت عائشة، وكان ذلك ليلة الأحد.

وعند الفجر وأبو بكر يصلي بالناس لم يفجأهم إلا رسول الله وقد كشف ستر الحجرة وقام على الباب ينظر إليهم وهم صفوف في الصلاة.

قال أنس: كان وجهه كأنه ورقة مصحف. ثم تبسم يضحك سروراً لما رأى من هيئتهم في الصلاة. قال: فهممنا أن نفتن في الصلاة من الفرح برؤية رسول الله، وأشار النبي أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر. وصار الناس يقولون: أصبح رسول الله بحمد الله بارئاً. فانصرفوا إلى حوائجهم مستبشرين. أما العباس فقد عرف الموت يومئذ في وجه النبي فأخذ بيد علي وقال: إني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت (خ).

أيها السادة: هذا هو آخر مشهد رآه رسول الله مشهد الصلاة، وكان هذا هو العهد الأخير -فيا أيها الأحبة، يا أحباب رسول الله- العهد العهد الذي فارقنا عليه رسول الله وهو راضٍ يتيسم. من كان يحب الله ورسوله فلا يترك الصلاة، فإنها عهد الله ورسوله، فهل تعاهدون على أداء الصلاة؟. قولوا: نعم.

إننا -أيها الإخوة- في يوم الاثنين ٨ حزيران سنة ٦٣٢م وكان يوماً شديداً حاراً، فدعا النبي بإناء فيه ماء بارد راح يضع يده فيه ويمسح بمائه وجهه، وهو يكرر يقول: « اللهم أعني على سكرات الموت » (خ).

لقد كان من اليسير على الله - أيها الأخوة - أن يجعل مرتبة رسوله فوق مستوى الموت وآلامه ولكن الحكمة الإلهية شاءت أن يكون قضاء الله تعالى في تجرع هذا الكأس بشدتها وآلامها عامماً لكل أحد مهما كانت درجة قربته من الله ﷻ، حتى يعيش الناس في معنى التوحيد وحقيقته وحتى يدركوا جيداً أن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً، فليس لأحد أن يتمطى ليعلو بنفسه عن مستوى العبودية بعد أن عاش رسول الله خاضعاً لحكمها ونزل به قضاؤها، وليس لأحد أن لا يكثر من ذكر الموت وسكرته بعد أن عانى حبيب الله من برحائها وغشيته آلامها. إن سلطان الموت يقهر الجبابرة والمتألهين الذين يشيدون لأنفسهم صروحاً عالية من الجبروت والطغيان والتأله والكفران، سوف يموتون، كلهم سوف يموتون، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ / آل عمران: ١٨٥ - العنكبوت: ٥٧/ الله أكبر لن ينجو أحد من تلك القبضة ولا تلك الحقيقة، أن الله قهر بالموت سكان الدنيا منذ فجر الوجود إلى أن تغيب شمس.

وأما رسول الله وأما حبيب الله فإن الباب يطرق الآن عليه، وهو في غمرات الموت وسكراته، ها هو أعرابي يستأذن ليزور الحبيب مُجَدِّداً، قائلاً: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل؟ فقالت عائشة: يا فاطمة أجبي الرجل. فقالت فاطمة: أجرك الله في ممشاك يا عبد الله، إن رسول الله مشغول بنفسه. فإذا به بعد قليل ينادي الثانية فتجيبه بالجواب نفسه، ثم نادى الثالثة: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل فلا بد من الدخول. وسمع رسول الله صوت الأعرابي فقال: « يا فاطمة من بالباب؟ » فقالت: يا رسول الله إن رجلاً بالباب يستأذن بالدخول فأجبناه مرة بعد مرة ونادى الثالثة صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت فرائصي. فقال لها النبي: « يا فاطمة أتدريين من بالباب؟ هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات، هذا مرمل الأزواج وميتم الأولاد، هذا مخرب الدور وعامر القبور، هذا ملك الموت عليه السلام ادخل يرحمك الله يا ملك الموت ». فدخل ملك الموت على سيدنا رسول الله بزي أعرابي، فقال له الحبيب الأعظم: « يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً؟ ». »

قال: جئتكَ زائراً وقابضاً وأمرني ربي عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي. فقال رسول الله: « يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل؟ » فقال: خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك. قال: فما كان أسرع أن أتاه جبريل فقعده عند رأسه. فقال رسول الله: « يا جبريل، هذا الرحيل من الدنيا ». فقال جبريل: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿٤﴾ الضحى: ٤. قال: « فبشرني ما لي عند الله؟ ». قال: أبشرك يا حبيب الله أي تركت أبواب السماء قد فتحت، والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا مُحمَّد. فقال: « لوجه ربي الحمد، فبشرني يا جبريل ». قال: أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها قد اطردت، وأشجارها قد تدلت، وحورها قد تزينت لقدم روحك يا مُحمَّد. قال: « لوجه الله الحمد فبشرني يا جبريل ». قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدم روحك يا مُحمَّد. قال: « لوجه الله الحمد فبشرني يا جبريل ». قال: أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة. قال: « لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل ». قال جبريل: يا حبيبي عم تسألني؟ قال: « أسألك عن همي وغمي من لقراء القرآن من بعدي، من لصوم شهر رمضان، من بعدي من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي، من لأمتي المصطفاة من بعدي؟ ». قال: أبشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك.

قال رسول الله: « الآن طابت نفسي ادن يا ملك الموت فأنته إلى ما أمرت ». .

م (٢٤٤٤) (تقول السيدة عائشة: توفي رسول الله بين سَحْرِي (صدري) ونَحْرِي وأحسست بثقله وأنا أنظر إليه وهو يشخص ببصره إلى السماء وهو يقول: « اللهم الرفيق الأعلى » ، وكان يحدثهم أن « النبي لا يموت حتى يخيره الله بين الدنيا والآخرة ». تقول عائشة: فعلمت أنه اختار الآخرة على الدنيا، حتى قبض ومالت يده ﷺ).

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله، أذكرنا عند ربك يا بني الله.

وسمع في جنات البيت قائلاً يقول: إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فتقوا وإياه فارجو، وإنما المصاب من حُرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله.

وما أن شعرت عائشة بوفاة الحبيب الأعظم حتى وضعت رأسه الشريف على الوسادة وغطته ببردة، وفاحت رائحة المسك منه ﷺ ، تقول عائشة رضي الله عنها: فخرجت أبكي وأضرب وجهي، وصاح رجل على باب المسجد (وارسول الله) وضج الناس بخبر وفاته. وجاء عمر وقد أخذ سيفه وهو يصيح: من يقول رسول الله مات علوته بسيفي هذا. وأقبل الصديق إلى الحجرة فرأى رسول الله وهو مغشى، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها.

وجاء عثمان إلى المسجد وقد أُسكت لسانه من هول المصيبة لا يستطيع أن يتكلم، وأما جدي سيدنا علي فقد أقعد لا يستطيع القيام، وأما عبد الله بن أنيس فقال: اللهم إن كان هذا الخبر صادقاً فاقبضني لساعتي فوقع ميتاً على الأرض.

وقال رجل من الأنصار: اللهم إن كان هذا صحيحاً فأعمي بصري حتى لا أرى أحداً بعد نبيك، فأعمي بصره لساعته.

فصعد الصديق إلى المنبر وعمر يجول كالأسد المصور، ولا يريد أن يصدق أن رسول الله قد مات، فاجتمع الناس حول الصديق وهو يناديهم: أيها الناس إليَّ إليَّ. ثم خطب فيهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما ترك وأن الحديث كما حدَّث، وأن الله هو الحق المبين.

أيها الناس من كان منكم يعبد مُحمداً فإن مُحمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبكم ولا يفتننكم عن دينكم. إن الله نعى نبكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، أنسيتم قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ الزمر: ٣٠ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ أَفَايِنٌ مَاتَ أَوْ قُبِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤

فكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها الصديق فخرجوا وهم يتلون هذه الآية الكريمة، يقول عمر: والله ما هو إلا سمعت أبا بكر تلاها فغفرت ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أن النبي قد مات (خ).

أيها الأخوة: وغسل رسول الله كما أمر بثيابه، كانت تفوح منه رائحة الطيب فكان عليّ يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً. وكفن ووضع على سريره في المسجد، ثم دخل الناس يصلون عليه أفواجاً أفواجاً.

وجاء الناس إلى سقيفة بني ساعدة فبايعوا الصديق على الخلافة قالوا: رضيه لنا رسول الله إماماً لنا في الدين أفلا نرضاه إماماً لنا في الدنيا.

ودخل الصديق على الحبيب الأعظم مع خُلص أصحاب النبي وقد علاهم الصمت فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته نشهد أن نبي الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه، وجاهد في سبيله حتى أتم من النصر لدينه، وأنه وفى بوعده وأمر ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فصار الناس يقولون آمين آمين.

وقال لمن حوله: ادفنوا رسول الله في حجرته فقد سمعته يقول: « ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض ». فرفع فراش رسول الله وحفر له القبر ودفن فيه ورش بالماء ورفع عن الأرض شبراً.

أيها الإخوة:

هذه هي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، الحقيقة التي يسقط عندها جبوت المتجبرين وعناد الملحدين وطغيان البغاة والمتألهين. اسمع إلى مولاك يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ / آل عمران: ١٨٥ - العنكبوت: ٥٧.

لتسمع الدنيا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨ لسمع المتكبرون على الأرض والذين يظنون أنهم سيعيشون إلى الأبد، لسمعوا قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦١﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾﴾ الرحمن: ٢٦ - ٢٧ فلا ألوهية إلا لله وحده، ولا حاكمية إلا للذي تفرد بالبقاء، فلا يغلب الله غالب، ولا يرد قضاءه أحد.

هنا وستبقى هنا كلمة التوحيد مرفوعةً عالية، فمن كان معنا فليوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

مقدمة في السمعيات

- ٨٥ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تذكرون أننا قسمنا علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

- 777 -

إلهيات - نبويات - سمعيات.

وقد أكرمنا الله تعالى فتناولنا أغلب ما يتعلق بالقسمين الأولين أعني بهما الإلهيات والنبويات، ونحن اليوم بحمد الله تعالى ندخل إلى الباب الثالث من هذه الأقسام أعني به السمعيات، أي كل ما وردنا سمعاً من الكتاب والسنة، أو بعبارة أخرى عالم الغيب، كل ما غاب عن حسنا، ذلك أن في الوجود عوالم حقيقية لا ندركها بحواسنا أقربها إلينا الروح التي يحيا بها كل واحد منا، من ينكر وجود الروح؟ لا أحد، من يعرف ماهية الروح وحقيقتها؟ لا أحد. فكل ما شاهدناه وأدركناه هو الذي سمّاه القرآن عالم الشهادة، وكل ما غاب عن حواسنا هو عالم ما وراء المادة أو هو عالم الغيب.

انتبهوا - أيها السادة - عالم الشهادة يستوي في الإيمان به والتصديق به الناس جميعاً، حتى الحيوان الأعجم يدرك بحسه وجوده، فلا فضل في الإيمان به لأحد على أحد، لأن ذلك من العلم الضروري ولكن الفضل كل الفضل في الإيمان بالغيب، فيمن يؤمن بما لا يراه ويصدق بوجوده، اعتماداً على صدق الخبر به، وهذا ما يمتاز به المتقون ولذلك جعلها الله أول صفة وصف بها المتقين، فعلى موجات سورة البقرة:

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿البقرة: ١ - ٣﴾

فكيف نؤمن بالغيب؟ وما هو الغيب الذي يجب أن نؤمن به ونعتقده.

أيها الإخوة أجب عن هذين السؤالين بإذن الله تعالى مع الحلقة الخامسة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

قضيتنا اليوم قضية هامة جداً فعلياً فتح أذهاننا وعقولنا أصغوا وأقبلوا بقلوبكم علي، والقضية هي:

كيف نؤمن بالغيب ولم يعطنا الله الحواس التي ندركه بها إننا لو تركنا حواسنا نعتمد عليها وحدها، ولعقولنا نحكم بها على ما جاء من طريق الحواس فقط، لبقينا على جهلنا بما وراء المادة

أو ما نسميه عالم المثال فكان من حكمة الله، ومن رحمته بنا، أنه لم يترك العقل في عجزه عن إدراكها، بل أخبره بما يحتاج إليه من خبرها.

وهذه الأخبار لا تأتي من داخل النفس، بل من خارجها، وليس من قبيل الحدس النفسي، ولا الإلهام الروحي، ولا الوميض الذهني، ولا الاستنتاج العقلي، ليس صادراً عن الطاقة الإنسانية، ولكنه آتٍ من خارجها بطريق من الطرق الثلاثة التالية:

الأول: أن يضع الله هذه الأخبار في الإنسان بإلهام أو بمنام، أو بنوع من التلقي الذي لا عمل فيه للإنسان ولا يستطيع الوصول إليه باجتهاد فيحس بها ويعبر عنها.

الثاني: بأن يسمعها من غير أن يرى قائلها الحقيقي فتصل إلى أذنه ويدركها ويعيها.

الثالث: وهو الأعم الأكثر أن يرسل الله واحداً من مخلوقاته الخيرة والمطبعة المغيبة عنا التي تسمى الملائكة إلى واحد من البشر يختاره الله ويصطفيه فيبلغه رسالة الله، ويأمره أن يبلغها الناس .

فهذه ثلاثة طرق ليس لها رابع، اسمع الى مولك عز وجل وهو يبين هذه القضية:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ

عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ الشورى: ٥١

ولذلك كان الغيب الذي هو ركن الإيمان، والذي يكفر منكروه ويخرج من ملة الإسلام هو ما جاء في القرآن، أما الغيب الذي ورد في السنة الصحيحة فلا يكفر منكروه ولا يخرج من الملة بل يفسق.

وهذا الفرق بين الكتاب والسنة يحتاج إلى شيء من البيان، ذلك أن ما أبلغه الرسول ﷺ من الوحي وما نطق به من الحديث هما في الأصل درجة واحدة في قوة الاحتجاج بهما، فالقرآن وحي من الله بلفظه ومعناه، والحديث وحي من الله بالمعنى، واللفظ لفظ الرسول، أليس قد قال مولانا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم: ٣ - ٤ .

والصحابة الذين سمعوا من الرسول الآية يبلغها، والحديث ينطق به لم يكونوا يفرقون بينهما في وجوب العمل وفي الحجية ولكن الفرق نشأ من الرواية والنقل، فالقرآن نقل نقلاً متواتراً، ونقله آلاف الصحابة عن النبي، ونقله آلاف التابعين عن الصحابة، ونقله آلاف تابع التابعين عن

التابعين وهكذا حتى وصل إلينا بحيث نجزم بأن النص الذي في المصحف هو الذي نزل به جبريل على سيدنا محمد I وهو الذي بلغه سيدنا محمد ﷺ أصحابه ما نقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ولا أبدل منه شيء [وانتبهوا إلى هذه العبارة ما نقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ولا أبدل منه شيء: وكل إنسان يقول إن الذي في المصاحف ليس القرآن كله وأن من القرآن ما ليس في المصاحف التي يتداولها المسلمون كل هذا كفر وخروج من ملة الإسلام].

أما الحديث فننقل أغلبه آحاد عن آحاد، أشخاص عن شخص، أو شخصين عن شخصين، ولقد بذل علماء الحديث في تمحيص روايته والفحص عن رجاله أقصى ما تصل إليه الطاقة البشرية، ولكننا لا نقطع مع ذلك بأن الحديث الذي بين أيدينا والذي رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن قد قاله رسول الله ﷺ بلفظه تماماً كما وصل إلينا القرآن .

ليس من فرق أن ينقل جمع كبير القرآن الكريم إلى جمع كبير ممن بعده، بين أن ينقل واحد في الحديث إلى واحد إلى واحد، أليس هناك فرق؟ نعم إذاً الفرق بالرواية، ولما كانت العقيدة أساس الدين ويترتب على الإخلال بها الكفر والردة، وكان لا يحكم على المسلم بالردة مادام في الأمر احتمال (ادروا الحدود بالشبهات) لذلك قلنا من أنكر عقيدة جاء بالقرآن كفر، ومن أنكر عقيدة وردت في السنة فسق ولا يكفر.

فما هو هذا الغيب الذي أخبرنا به الشرع المطهر والذي يجب الإيمان به ويترتب على إنكاره الكفر ؟

هذا هو السؤال وهو درسنا اليوم والذي علينا أن نحفظه لنتقني ولأبدأ معكم من نقطة الصفر لنترتقي معاً شيئاً فشيئاً نحو هذا العلم لنخرج من بعدها مؤمنين معتقدين بهذه القضية الإيمانية ، قضية عالم الغيب .

عالم الغيب الذي يجب أن نؤمن به أقسام كل قسم منها يسمى غيباً ولأمثل لكم ذلك :

١ - قسم لم ندركه نحن ولكن أدركه غيرنا من البشر كقصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وقومه لم يدركوها بحواسهم، لم يسمعوها ولم يروها ولكن بني إسرائيل أي أولاد سيدنا يعقوب يوسف وإخوته أدركوها وعاشوها وكانت هي وقائع حياتهم، هذا يسمى غيباً بالنسبة لنا ولا يسمى غيباً بالنسبة لهم .

٢- القسم الثاني قسم لم يدركه البشر وإن كان من الممكن أن يروه لو خلقهم الله في ذلك الوقت، لو أوجدتهم كالحوادث التي كانت في الأرض من قبل خلق آدم وأخبار المخلوقات التي كانت تسكنها، ولكنهم لم يعرفوا عنها في الواقع وعن أخبار خلق أبيهم آدم وعن بداية الحياة البشرية إلا ما تلقيناه عن طريق الوحي .

٣- قسم لا يمكن إدراكه ولا الحكم عليه بالعقل ولا الإحاطة بحقيقته، كصفات الله عز وجل وما غاب عنا من مخلوقات كالملائكة والجن والشياطين وأحوال يوم القيامة والحساب والعقاب والثواب بمعنى ما قال الشيخ الشرنوبى :

ويجب الإيمان بالذي ورد عنه من المولى المهيمن الصمد
كالخسر والصراط والميزان والبعث والثواب في الجنان
والحور والولدان والأملأك والأنبيا والجن والأفلاك

هذا هو عالم الغيب الذي سوف نشرحه من الآن وحتى نهاية ملف التوحيد أسأل الله أن يعيننا على ذلك .

نحن اليوم بالركن الإيمانى السادس - الإيمان بالملائكة - الملائكة الذين أكرمهم الله وشرفهم وأفرغ عليهم الصفات القدسية فهم كرام برة أتقياء طهرة، عصمهم الله بعصمته، ووجههم نحو عبادته وطاعته يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهذا الذي أخبرنا به القرآن الكريم وإليكم نص العقيدة من أولها إلى آخرها :

﴿أَمَّا الرَّسُولُ فَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ

أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥ .

الملائكة تلك الأرواح القائمة في أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة بإذن الله تعالى .

اسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر إلى القائد الألى للأمة الإسلامية سيدنا محمد I فإن أعرابياً غريباً وفد إلى الصحابة لم يعرفه أحد منهم، أتى بتياب نظيفة وراح يسأل سيدنا محمد ﷺ عن أمور الدين وكيالاته ولأن الأمر يتعلق بالعقيدة علينا الانتباه جيداً .

أيها السادة صرح الناطق الإيماني وعملاق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب بما يلي :

بينما نحن جلوس في المسجد مع سيدنا رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل (انظروا من القادم) شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر (تأمل هذا المنظر ما أحلاه) لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وفي رواية النسائي أنه وضع يده على فخذ النبي ﷺ .

انظروا إلى هذا الأدب عندما قال : يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام ! فقال رسول الله ﷺ :

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدَ رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

فقال الرجل : صدقت . قال سيدنا عمر : فعجبنا له يسأله (سؤال الجاهل) ويصدقه (جواب العالم صدقت) .

قال : فأخبرني عن الإيمان .

فقال ﷺ : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى .

قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان .

قال ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه (مشاهدة)، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (أي يراقبك) لذلك ركنا الإحسان المراقبة والمشاهدة ، انتبه أن يسألك أحد بعد الآن أو يمتحنك ويقول لك : الإحسان ... ما ركناه ، فتسكت . لا بل احفظ أن للإحسان ركنين هما المشاهدة والمراقبة .

فالمشاهدة : أن تعبد الله كأنك تراه، هذه المشاهدة كأنك تشاهده .

والمراقبة : فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال السائل : صدقت . قال : فأخبرني عن الساعة .

فقال ﷺ : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . (حتى أنت لا تعرفها)

فقال : أخبرني عن أماراتها (علاماتها) .

فقال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها (سيدتها) (أي أن الحر يتزوج أمة فتلد له صبياً أو بنتاً فتصبح هذه البنت حرة وسيدة فتصبح سيدة أمها) وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان (أهل البدو يبنون ناطحات السحاب، أبراج كذا يتطاولون في البنيان) .

ثم انطلق (الأعرابي) ثم قال عمر فلبثت ملياً، ثم قال لي رسول الله: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

وهكذا معشر السادة الكرام تمثل سيدنا جبريل بصورة أعرابي يراه الصحابة ويسمعوا سؤاله، ويسمع جواب رسول الله ﷺ ويتعلم أمور الدين عن طريق السؤال والجواب لتنزل في قلوبهم وترسم في ذاكرتهم .

ولهذا نزلت الآيات القرآنية لتعلن بأن إنكار وجود الملائكة كفر، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦) إذ الملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى وعلينا أن نعتقد أنهم خلقوا قبل البشر، وأنهم درجات أصناف في أصل الخلقة وفي مقام العبودية جعلهم الله تعالى رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال تعالى ﴿وَمَا مِمَّا آتَاهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ١٦٤) والملائكة أيها السادة لا يوصفون بذكورة (ليسوا ذكوراً) ولا يوصفون بأنوثة (إنهم بنات) وقد قال المشركون قديماً بأن الملائكة إناث فرد الله عليهم كفرهم وضلالهم فقال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَى أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهِدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ١٩) ولهذا نص علماء العقيدة على كفر من قال : إن الملائكة إناث ومن قال بأن الملائكة إناث فقد كفر لأنه عارض صريح نص قرآني ، كما نصوا على من قال : إنهم ذكور أنه فاسق لأنه خالف صريح السنة . فبأي الأمثال تتشكل الملائكة ؟ ما هي أعمالهم ؟ ما هي عباداتهم ؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الإيمان بالملائكة الكرام

- ٨٦ -

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الحق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير .

الحمد لله العليم بما كان وما يكون، المدبر الحكيم فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله صفوة الخلق،
وعين الكمال المبعوث بين يدي الساعة وصاحب الحوض والشفاعة وأفضل من دعى إلى الخير
أتباعه فله السمع والطاعة .

فقل من قلبك سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى
أصحاب سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا
المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة
لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة ، وقفت معكم في الجمعة السابقة على حقيقة عالم الغيب،
أو السمعيات كما سماها علماء العقيدة، والسمعيات هي القسم الثالث من علم التوحيد الذي
ندرسه منذ عام ألف وأربعمئة وست عشرة، وقلت لكم إن الشيخ عبد المجيد الشرنوبلي صاحب
المنظومة لخص لنا أهم السمعيات فقال :

ويجب الإيمان بالذي ورد عنه من المولى المهيمن الصمد

كالخسر والصراط والميزان والبعث والثواب في الجنان

والحور والولدان والأملاك والأنبيا والجن والأفلاك

فهذه هي أهم السمعيات التي سنأتي على ذكرها بإذن الله تعالى .

بدأت معكم بالقسم الثالث بالإيمان بالملائكة، وأنه يجب علينا الاعتقاد بأنهم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل والتشكل بأشكال مختلفة بأمر الله وإذنه، لا يوصفون بالأنوثة ولا بالذكورة ولهذا رأينا نبينا ﷺ يقول : خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم بالقرآن .

فالملائكة مخلوقات نورانية وأما الجن فقد خلق أبوهم الأول وهو الجان من نار السموم، اسمع إلى مولك يقول : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۚ ﴾ الرحمن: ١٥ أي نار مخلوطة بهواء، والفرق بين الملائكة والجن أن الجن كالشجر تشملهم صفة الذكورة والأنوثة ويجري فيهم التناسل، وأما الملائكة فلا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وقد قال المشركون قديماً : إن الملائكة إناث. فرد عليهم مـولانا رداً قاصصاً فقال عز من قائل : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثَى أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۚ ﴾ الزخرف: ١٩ ولهذا نص علماء العقيدة على كفر من قال بأنوثة الملائكة، من قال إن الملائكة إناث فقد كفر ، لأنه عارض صريح القرآن، كما نص علماء العقيدة على فسق من قال بذكورتهم، لماذا ؟ لأن القرآن سكت عن مسألة الذكورة ولكن السنة بيّنتها، فبأي الأشكال تتشكل الملائكة ؟ أجب اليوم عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة السادسة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين المخلصين ليرفعوا شعار التوحيد : لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة مريم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيقًا ۖ ﴾ ١٦
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ ﴿ ١٧ ۖ قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ۚ ﴾ ١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ ﴿ ١٩ ۖ مَرْيَمُ: ١٦ - ١٩ والشاهد (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) الملك سيدنا جبريل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تمثل لها بشراً سوي الخلق، كامل البنية، وفي الأحاديث الصحيحة أن سيدنا جبريل كان يأتي نبينا ﷺ بصورة رجل أعرابي حسن المنظر، وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة الصحابي دحية بن خليفة حيث كان هذا

الصحابي جميل الصورة حسن الهيئة، وأما في الحرب فكانت الصورة تتناسب والمقام ففي الصحيحين وبعد غزوة الخندق ووضع السلاح جاء الأمين سيدنا جبريل بصورة محارب وعليه السلاح وقال للقائد الأعلى للأمة ﷺ أوضعت السلاح يا رسول الله، والله ما وضعناه، أخرج إليهم، فقال ﷺ: إلي أين. فقال مشيراً إلي بني قريظة فخرج إليهم نبينا ﷺ وإليكم رواية الإمام البخاري: إذا قال وهو سيدنا جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار، وعند ابن سعد في الطبقات (فذهب جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار) ففي الحرب يأتي بهيئة الحرب وهو شاكي السلاح.

وهكذا - معشر السادة - نرى كيف أن الملائكة تتمثل على حسب الحالات التي تناسب، يأتون بها كما أمرهم بها عز وجل، وإليكم هذا الحديث الذي لأخبرنا عنه سيدنا محمد I: إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى (أبرص بياض الجلد وهو لا يرى في الشمس والأقرع هو الأصلع وأعمى) أراد الله أن يبتليهم (يختبرهم) فبعث إليهم ملكاً فقال له: أي شيء أحب إليك فقال الأبرص: لون حسن وجلد حسن قد قدرني الناس جميعاً (ابتعدوا عني) قال فمسح الملك فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً بإذن الله فقال له الملك: وأي المال أحب إليك فقال: الإبل فأعطاه ناقه عشرةا حاملة وقال له: بارك الله لك فيها.

وأتى الملك الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك فقال: شعر حسن ويذهب اله هذا عني الذي قدرني الناس لأجله، فمسحه الملك فذهب عنه فأهبطي شعراً حسناً بإذن الله تعالى فقال الملك: فأني المال أحب إليك فقال: البقر فأعطاه بقرة حاملة وقال له: بارك الله لك فيها وأتى الملك الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله علي بصري فأبصر به الناس قال فمسحه الملك فرد الله إليه بصره لساعته قال: فأني المال أحب إليك قال: الغنم فأعطاه شاة والدأ. فأنتج هذان الإبل والبقر وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهاذ وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم، ثم أراد الله أن يمتحن هؤلاء الثلاثة.

أتى الملك إلى الأبرص في صورته فقال له الملك: رجل مسكين انقطعت به الحبال وليس له بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أسألك بغيراً أتبلغ به في سفري فقال الأبرص: إن الحقوق كثيرة فقال له الملك: كأني أعرفك، ألك تكن

أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله تعالى فقال الأبرص : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال له الملك إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . وأتى الملك الأقرع أيضاً في صورته (أي أقرع) فقال له مثا ما قال للأبرص فرد عليه الأقرع مثل ما رد الأبرص فقال الملك : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت . وأتى الملك الأعمى في صورته وهيئته (ضرب) فقال له : رجل مسكين وابن سبيل وانقطعت بي الأسباب في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالله الذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال الأعمى : قد كنت أعمى فرد الله علي بصري ، وكنت فقيراً فقد أغناني فخذ ما شئت فوالله ل أجهدك بشيء أخذته الله . فقال له الملك : أمسك عليك مالك فإنما ابتليتكم فقد وُضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

أيها السادة وأما سيدنا أسيد بن حضير فهو الآن يقرأ القرآن ، يحدثنا أنه يقرأ سورة البقرة في إحدى الليالي المباركة ، وإذا بنور يتدلى من فوّه كأنه المصباح بين السماء والأرض وهو يقرأ ويخشع في قراءة القرآن . وإذا بالفرس تضج خلفه وابنه نائم قريب من الفرس فخشي على ولده من حركة الفرس فسكت ، لكنه ما إن أذن الفجر حتى أقبل على حبيب القلوب سيدنا محمد ﷺ قال له : يا رسول الله جرى معي كذا وكذا : فقال له الحبيب الأعظم : اقرأ أبا عتيك تلك الملائكة تنزل لقراءة سورة البقرة ، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب .

لكننا إخوة الإيمان لنا وقفة تأمل في مسألة التشكل والتمثل بالملائكة ، إذا كانت الملائكة تتمثل بصورة بشر هل تنالهم الأحكام البشرية عندما يتمثلون بها ؟ هل يأكلون مثلما يأكل البشر ؟ هل يشربون مثلما يشرب البشر ؟ هل يمرضون أرى لزماً عليّ توضيحاً لهذا الموقف العقائدي أن أعرض على حضراتكم هذه القضية فقد عرضت لسيدنا الخليل سيدنا ابراهيم تماماً تعالوا بنا لننزل زائرين على سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (ما رأيتمكم قبل ذلك) ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (شواه لهم) ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢٧) فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿ (٢٨) الذاريات : ٢٤ - ٢٨ قال المفسرون : كان هؤلاء الأضياف سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ، إذ هم حين يتمثلون بصورة البشر لا يأكلون ولا يشربون ولا تعذبهم الأحكام البشرية عندما يتمثلون بها ، لكن

الصورة البشرية قد تتأثر بما تتأثر به الأجسام البشرية وأكبر دلالة على ذلك حديث ذكره سيدنا رسول الله ﷺ قال : جاء ملك الموت إلى سيدنا موسى فقال له أجب ربك، فنظر سيدنا موسى فرأى رجلاً يدخل عليه بيته بدون إذن ويأمره وهو نبي الله ومن أولي العزم ورسالته نارية، فاحتد منه فطم موسى عين الملك ففقأها، قال فرجع الملك إلى الله، قال : يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد أن يموت وقد فقأ عيني، قال فرد الله عليه عينه البشرية وقال : ارجع إلى عبدي موسى فقل الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور (على ظهر ثور) فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة فقال موسى : ثم مه (ماذا يكون بعدها) قال الملك : الموت، قال سيدنا موسى : فالآن عن قريب .

فهذا الحديث أيها الإخوة يدل على أن صورة الملك البشرية تتأثر مثلما تتأثر الأجسام والعناصر، فإذا كان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فبهم تكون قوتهم أو قوتهم بم ؟ إن الآيات القرآنية صرحت بأن قوتهم أو قوتهم تكون بالتسبيح والذكر والصلاة والعبادة والصلاة على سيدنا محمد ﷺ لا يعتر بهم تعب ولا فتور، اسمع إلى مولانا عزوجل يقول ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ

﴿٢٠﴾ (الأنبياء: ١٩ - ٢٠) (لا يعبون لا يملون) ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨) فصلت: ٣٨ فالملائكة يسبحون ربهم ، وفي آية أخرى يستغفرون لمن في الأرض ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى: ٥، عليهم السلام . وقال تعالى ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ (١) فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا (٢) فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) الصافات: ١ - ٤ أقسم مولانا سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة الصافات

الذين يصفون للصلاة والعبادة بين يدي مولانا، وهذا له شاهد من الصحيح ففي الحديث : ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قالوا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ فقال ﷺ يتمون صفوفهم المتقدمة ويتراصون في الصف . وأما الزاجرات زجراً فهي الملائكة التي تزجر السحب لتسوقه حيث أمرها الله تعالى، وأما التاليات ذكراً فهم الملائكة تتلو كلام الله تعالى، اسمع إلى مولانا ﴿فَأَن تَعْلَهُ﴾ (١٠) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَذِرٌ﴾ (١١) ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٢) ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (١٣) ﴿رَفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦) عبس: ١٠ - ١٦ وقال عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥)

وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٥﴾ الصافات: ١٦٥ - ١٦٦ وقال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة: ٣٠. ولذلك اسمع البشارة من النبي ﷺ يقول : (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء) فقل من قلبك الحمد لله.

أترون أيها السادة كل تلك العبادة التي لا تنقطع من الملائكة في كل لحظة ومع ذلك فإن الملائكة يعترفون بأنهم مقصرون يقولون إذا كان يوم القيامة (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) رغم أنهم لا يفترقون يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فالملائكة لا تفتر عن التسبيح في كل زمان وفي كل مكان وفي كل جهة، وهم الآن معكم يشهدون توحيدنا، اسمع إلى نبيك ﷺ يقول : (ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر وكف إلا وفيه ملك ساجد أو راعع لله، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً) حتى إن نبينا ﷺ يصفهم في حديث (إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من خيفة الله ما تقطر منهم دمعة إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولن يرفعوها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله وقالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) .

إخوة الإيمان

إننا في البيان الختامي لمؤتمرنا الإسلامي هذا الذي نعقده كل يوم جمعة اسمعوا التوجيهات الأخيرة، وبنود المؤتمر يوجهها إليكم رئيس المؤتمر سيدنا محمد ﷺ اسمعه يقول لك : (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق أن تنشط (يسمع لها صوت من كثرة الملائكة) ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك واطع جبهته لله تعالى ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله) .

وهكذا معشر السادة وقفنا اليوم على حقيقة الملائكة وهم معنا هنا يسبحون الله ويوحّدونه فمن كان معنا هنا فليوحد الله .

أمين وحي السماء - سيدنا جبريل

- ٨٧ -

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام كيف يشاء بحكمته، وجعل له السمع والأبصار، وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء، ورباه بإحسانه وغذاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار.

سبحانك اللهم لا نخصي ثناء عليك، وهبت الإنسان نعمة العقل، وخصصته بهذا الفضل، فعرفك به كل العرفان، وآمن بك حق الإيمان إلا من فسدت فطرته وكتبت شقوته.

حمداً لك اللهم أن هديتنا إلى توحيدك فكننا من المؤمنين من عبيدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نرجو ثوابه ونخشى عقابه ونبتغي إليه الوسيلة، ونسلك إلى هداه سبيله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه لا بلاغ الرسالة وإخراج الناس من الضلالة . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

حديثنا اليوم عن رئيس من الرؤساء، وعظيم من العظماء، علقت على صدره الأوسمة وأعطي من الجاه والمكانة ما لم يعط أحد من قبله، يسير في الأرض ويطير في السماء في جميع جهات الدنيا فلا يرده أحد، أطاعه كل أنسي وجني وحيوان وجماد حتى لقب بالأمين وبروح القدس، والناموس.

رئيس لا يعتريه الغضب ولا الشهوات، لم يستول على الرئاسة اغتصاباً وعدواناً أو بدفع الأموال والرشا والخداع والنصب على عباد الله، إنه عبد الله ورسوله سيدنا ومولانا جبريل قولوا عليه الصلاة والسلام .

فنحن بدأنا ننزل ضيوفاً على رؤساء الملائكة واحداً واحداً منهم سيدنا ملك الموت، وسيدنا إسرافيل وسيدنا ميكائيل وسيدنا جبريل، وكل هذه الأسماء تنتهي بـ(إيل)، وكل اسم فيه (إيل) فهو معبد لله لأن اسم إيل بالعبراني معناه: الله.

وقد روي عن جدي زين العابدين سيدنا علي بن الحسين (كما رواه ابن جرير) أنه قال: اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن، وأما ملك الموت فقيل (كما ورد في الكتب القديمة) أن اسمه عزرائيل ومعناه عبد الجبار. عليهم الصلاة والسلام. ومن أسرار هؤلاء الثلاثة (جبريل وميكائيل وإسرافيل) وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة: فسيدنا محمد جاء بروح العالم قال له مولانا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢.

وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياة سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة اسمع إلى الأمر الإلهي الأزلي يأمرنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤. وأما سيدنا جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحى الله تعالى إلى الأنبياء وهو سبب الحياة للعباد والبلاذ.

وأما سيدنا ميكائيل فهو الموكل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والإنسان والحيوان. وأما سيدنا إسرافيل فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى بنفخته فإذا هم قيام لرب العالمين.

إننا باختصار مع الحلقة السابعة والثامنين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة التكويد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۝١٦ وَالْيَلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَنَفَسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِينِ ۝٢٣﴾ التكويد: ١٥ - ٢٣.

إخوة الإيمان :

رأى سيدنا رسول الله ﷺ سيدنا جبريل الأمين مرتين على صورته الحقيقية، تارة في مكة وتارة عند سدرة المنتهى ليلة المعراج، وهو المراد من هذه الآية، رآه وله ستمئة جناح، رآه منهبطاً يثير من ريشه تهاويل الدر والياقوت (ما يدهش الناظر بجماله) ودرّ أنواره التي حلاه الله بها.

وهذا ثناء من مولانا لعبده جبريل، وتبيان أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ، وهذا فيه بيان مقامه العظيم، ولذلك أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم، وصاحب الكلمة المطاعة، وانتبهوا إلى هذا الوصف الجميل لسيدنا جبريل، ومن الذي يصفه ؟ إنه خالقه ومصوره الله رب العالمين، يقول عنه: بأنه كريم، وذو قوة، ومن قوته أنه يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم أو تنال منه شيئاً، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، وهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدن كبرى يقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها بإذن الواحد القهار.

وليس ذلك فقط بل هو أيضاً مطاع في الملأ الأعلى فيما بين الملائكة المقربين، يصدرون عن أمره، ويرجعون إلى رأيه، وإذا نزل في أمر حفت به الحشود والجنود من الملائكة تحت رايته وإمارته وقيادته.

وهو أمين وحي السماء وموصله بأمانة إلى أنبياء الله ورسله من غير تغيير وتحريف، هذا هو الذي نطق به الكتاب المبين ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥ الروح، روح كله، لا كأرواحنا في أجسامنا، بل روح عظيمة قوية التأثير، ولهذا كان من الحكمة أن يرسله مولانا إلى السيدة مريم فيخلق سيدنا عيسى ويعطى قوة على إحياء الموتى بإذن الله تعالى.

ولأجل هذا فلسيدنا جبريل قدسية خاصة وطهارة من الأدناس، لأنه ينزل بالتقديس من الله تعالى أي ينزل بتطهير النفوس وتقديس العقول والقلوب، ينزل بالقرآن، اسمعوا إلى مولانا يقول: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ النحل: ١٠٢.

ولهذا فهو روح القدس، والقدس معناه الطهارة والبركة، لأن التقديس هو التطهير والمباركة، فهو روح الطهارة والبركة عليه الصلاة والسلام، وإليكم هذا التوجيه النبوي الشريف (هـ- طب- حا) يقول:

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

أيها الإخوة:

عرفنا حتى الآن صفات هذا الملك الكريم وأنه ينزل بالشرائع الربانية والكتب الإلهية على الرسل، ولهذا يسمى الناموس الأكبر أي (صاحب سر الخير)، وحين جاء نبينا إلى ورقة بن نوفل يحدثه بما جرى معه عند نزول أولى آيات القرآن، الكريم قال له ورقة حين سمع الآيات: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، فهذه الوظيفة الأولى.

وأما الوظيفة الثانية للأمين جبريل فهو التأييد للرسول الأكرمين، أي أن الله يؤيد به أنبيائه ورسوله الأكرمين عليهم الصلاة والسلام، وإليكم هذه القضية الإيمانية التي صرح بها مولانا على موجات سورة التحريم:

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾

﴿التحريم: ٤﴾

إن مولانا يخاطب السيدة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في حادث الغيرة بين نسائه عليه السلام ويقول لهما إن تتعاونوا على حبيبي محمد عليه السلام فإنني أنا الله ناصره ومتولي أمره وكذا عبدي جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك كلهم أعوان مظاهرون ومؤيدون لعبدي وحبيبي محمد، فأنا الله لا أترك رسولي ولا أسلمه لأحد، هذا هو فضل نبينا عليه السلام.

وقد ذكر مولانا أيضاً تأييده لسيدنا عيسى بجبريل فقال ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَتِّتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ البقرة: ٨٧ وبهذا التأييد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود فقد تمالأ عليه اثنا عشر ألف يهودي لقتله فلم يتمكنوا منه:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ (بالنوم على القول الصحيح) ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ آل عمران: ٥٥.

وإليكم البشارة: إن مولانا يؤيد المؤمنين الصالحين بسيدنا جبريل، اسمع إلى مولانا يقول على الموجات الإيمانية من سورة المجادلة:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا
إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢ والشاهد: وأيدهم بروح منه ولهذا اسمع إلى حبيبك النبي
ﷺ وهو يقول لسيدنا حسان حين كان يهجو المشركين والكفار قال له (ق):

(اهجم وجبريل معك، أجب عني ثم قال: اللهم أيده بروح القدس، ثم قال (د): إن
روح القدس مع حسان مادام ينافح - يدافع - عن رسول الله) .

فالله يؤيد المسلمين والصالحين بسيدنا جبريل، وليس هذا فقط بل ويجب جبريل بهم
(بأحبابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وكذا يبعث جبريل في الذين كفروا، هذا ما صرحت به
الأحاديث الشريفة، اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول (ق - ت): «إذا أحبَّ الله عبداً نادى
جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء (أي الملائكة): إن الله يحب فلاناً
فأحبه ثم تنزل له الحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ مريم: ٩٦

وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في أهل السماء ثم
تنزل له البغضاء في الأرض) .

ولذا لما أبغض الله قوم ثمود بعد أن رفضوا الإيمان وآذوا رسول الله ﷺ صالحاً صاح فيهم جبريل
من فوقهم صيحة هزت قلوبهم وخلعتها، وجاءتهم الرجة من أسفل منهم ففاضت الأرواح
وزهقت النفوس وانتقم الله منهم وما هو من الظالمين ببعيد.

أيها السادة:

لقد بلغ سيدنا جبريل عند الله وعند رسوله منزلة كريمة ومحبة عظيمة ورتبة مكيمة، وظهرت
هذه المحبة في قلب سيدنا رسول الله ﷺ بأسلوب الخطاب، كان نبينا يخاطب سيدنا جبريل
بصيغة الإخوة فيقول له: يا أخي يا جبريل، وكان ينتظر زيارته ويترقبها ويستزيده منها حباً فيه
واشتياقاً إليه فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل (ق): ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما
تزورنا؟ فأنزل مولانا عز وجل قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَكِّنْ أَيْدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ

ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٦٤﴾ مريم: ٦٤ وهذه المحبة وذاك الشوق سببه أنه كان يصاحب نبينا ﷺ في مراحل حياته وفي إسرائه، ويظهر له مقامه ورتبته وتقديمه إماماً بالأنبياء، وصاحب نبينا في المعراج فكان يفتح له أبواب السموات يفعل كل ذلك قياماً بواجب التعظيم والاحترام لمقام نبينا، حتى تركه في موقع فوق السموات السبع وقد رأى أمامه بحراً عظيماً من نور قال: يا أخي يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، ما هذا البحر؟ فلم يجبه سيدنا جبريل، قال: يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، ما هذا؟ فلم يجبه فالتفت رسول الله I عن يمينه فلم يره، فالتفت خلفه فرآه بعيداً، فرجع إليه وقال: يا جبريل: أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبه فقال سيدنا جبريل: يا محمد، ذاك مقامك عند الله، وأنا هنا مقامي ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) الصافات: ١٦٤ لو تجاوزت حدي لاحترقت بنور العظمة الإلهية.

وسأل سيدنا رسول الله سيدنا جبريل سؤالاً، اسمعوا صيغة السؤال واسمعوا جوابه قال رسول الله ﷺ (مشكاة المصابيح وأبو نعيم): يا جبريل: هل رأيت ربك؟.

فانتفض جبريل (ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة الإلهية) وقال:

- يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاً من نور، لو دنوت من بعضها لاحترقت (بنورها).

فهذا جبريل مع أنه أحد رؤساء الملائكة لم ير الله تعالى، ولم يره أحد من الأنبياء أيضاً، أما سيدنا محمد ﷺ فإنه رأى الله تعالى بعيني رأسه يقظة لا مناماً وقال: نورٌ أنى أراه.

سيدي أبا القاسم يارسل الله:

وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله

رؤساء الملائكة الثلاثة

الحمد لله الذي أحيا علوم التوحيد فأينعت بعد اضمحلالها، وأعيا فهم الملحدِين عن إدراكها فرجعت بكلالها، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها، وأعبدته وأستعين به لعظام الأمور وعضاها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها، واقية من حلول الدركات وأهوالها.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها، أسمع به وقر الآذان، وجلا به رين القلوب بصقالها.

سيدي أبا القاسم يارسول الله:

أنت الذي قاد الجيوش محطماً عهد الضلال وأدب السفهاء

وسموت بالبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداء

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة يقول مولانا عز وجل في محكم كتابه الكريم على موجات سورة فاطر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتَلَّتْ وَرَبَّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السموات والأرض، ثم عطف على ذلك بذكر ملائكته سبحانه، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية، وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاءً وقوة، فجعلهم أولى أجنحة، فمنهم ذو الجناحين، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة، ومنهم ذو أربعة أجنحة، والله عز وجل يزيد في الخلق ما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة فإنه لا تعجز قدرته عما خصصته إرادته واقتضت حكمته فهو القادر المقتدر، ولهذا ورد في الصحيحين عن ابن مسعود

أن نبينا ﷺ رأى جبريل له ستمئة جناح. أي على صورته التي خلقه الله عليها، رآه وقد سدَّ ما بين السماء والأرض (سد الأفق).

أيها السادة:

كانت وقفتي معكم قبل شهر رمضان المبارك مع أمين وحي السماء وسفير الأنبياء، مع سلسلة رؤساء الملائكة الذين هم أفضل الملائكة، وسمحوا لي قبل الكلام مع الرئيس الملكي التالي أن أرجع معكم قليلاً إلى الوراء لأعيد معكم سلسلة الأفضلية الواجب علينا اعتقادها فيمن خلق الله تعالى وتذكرون أن:

١ - أفضل الخلق على الإطلاق نبينا سيدنا محمد ﷺ.

٢ - يليه في الأفضلية أولو العزم من الرسل سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام.

٣ - يليهم في الأفضلية بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٤ - يليهم في الأفضلية بقية الأنبياء غير الرسل.

٥ - ثم يليهم خواص الملائكة الذين نحن بصددهم وهم على الترتيب سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل ثم سيدنا اسرافيل ثم ملك الموت.

أيها الإخوة:

نحن اليوم إذاً مع ثاني وزيري سيدنا رسول الله ﷺ في السموات ألا وهو سيدنا ميكائيل، وهذا اللقب الشريف وهذا الوسام الأعظم ناله سيدنا ميكائيل من سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي قال (ت- صحيح، ح): «إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر».

وشأن الوزراء أن يشد الأزر عند احتدام الأمر ألم يقل مولانا عن سيدنا موسى ﷺ ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ ٢٩ ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي﴾ ٣٠ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ ٣١ طه: ٢٩ - ٣١ ولهذا نرى ابن عباس يرفع حديثاً إلى النبي ﷺ (طب - بز - نعيم) فيقول: إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء... أيدني، وهذا التأييد ظهر جلياً واضحاً يوم أحد إذ أنهما نزلا يقاتلان إلى جانب نبينا الأعظم ﷺ ففي الحديث (ق)

عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت على يمين رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد».

فما هي وظيفة هذا الملك الكريم؟

فقد علمنا سابقاً أن من بعض وظائف سيدنا جبريل أنه موكل على الريح وجنود الله تعالى، وأما سيدنا ميكائيل فوظيفته على النبات والقطر.

فقد ورد في الحديث (طب هب حسن) عنه ﷺ أنه قال لسيدنا جبريل: يا جبريل على أي شيء أنت (على أي شيء ولاك الله تعالى في جملة ما أمرك به) قال: على الرياح والجنود. فقال: على أي شيء ميكائيل: فقال على النبات والقطر .

أيها الإخوة الكرام:

إننا أمام الشخصية النورانية الثالثة في ترتيب الأفضلية الملكية ألا وهو سيدنا إسرافيل صاحب الصور ولكنني أرى أمامي مهمتين جليلتين قام بهما سيدنا ميكائيل أعرضهما على حضراتكم من خلال القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع هذه القضية اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى جوار الكعبة زادها الله تشريفاً وتكريماً ومهابة ورزقني الله وإياكم الطواف حولها كل عام على أحسن حال وخير مآل.

ومن هناك ألتقط لحضراتكم في المهمة الأولى. هذا المشهد من على الصفا حيث جمع هذا المكان سيد الأنبياء ومعه سفير الأنبياء في مشهد حزين أنقله لكم، يقول:

«يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق، ولا كف من سويق»،

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفرغته فقال ﷺ أمر الله تعالى القيامة أن تقوم؟ فقال جبريل لا، ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأثاه إسرافيل فقال: إن الله قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة، فإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. (اطلب وتمنى).

وهنا نظر سيد الكائنات وأكرم من مشى تحت أديم السماء إلى سيدنا جبريل كأنه يستشير، فأشار جبريل إليه بيده أن تواضع يقول ﷺ فعرفت أنه لي ناصح، فقلت: نبياً عبداً، ثم قال ﷺ فلو أني قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً».

وأما المهمة الثانية التي يتولاها هذا الملك الكريم فهو أنه يدعو الخلائق يوم القيامة بأمر الله تعالى، هو الذي يناديهم اسمع إلى مولانا عز وجل يقول:

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (قريب منهم ليؤثر فيهم النداء كل التأثير) ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ ق: ٤١ - ٤٢

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ (فطيع تنكره نفوسهم) ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ (مسرعين) يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ القمر: ٦ - ٨

أعرفون — أيها السادة — ما هو هذا النداء؟ روي أن إسرائيل عليه السلام ينادي: «ياأيها العظام النخرة، والجلود الممزقة، والأشعار المتقطعة، إن الله تعالى يأمرُك أن تجتمعني لفصل الحساب» (ابن عساكر والواسطي وابن جرير).
إخوة الإيمان :

وأما المهمة الرئيسة التي أمر بها سيدنا إسرائيل من رب العزة فهي النفخ في الصور اسمع إلى قول مولانا عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَبْطِرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨

الصور الذي هو مجمع الأرواح بعد مفارقة الأشباح، وهو على شكل القرن، لماذا؟ لأن النبي ﷺ يقول (ت): كيف أنعم (كيف أتغنم بنعيم الدنيا) وقد التقم صاحب القرنالقرن وحننا جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ، فكأن ذلك ثقل على الصحابة فقالوا: يارسول الله كيف نفعل فقال ﷺ قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله».

معشر السادة الكرام:

إننا في نهاية المطاف حول أحوال رؤساء الملائكة النورانية ونحن على عتبة الحديث عن سيدنا ملك الموت الذي قال فيه مولانا عز وجل: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) السجدة: ١١

وملك الموت هذا لم يرد اسمه في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة ولكن ورد اسمه عند أهل الكتاب وفي الآثار أن اسمه عزرائيل، وقد اشتهر عند المسلمين قبول هذا الاسم ولا مانع منه شرعاً، وله أعوان من الملائكة منهم ملائكة الرحمة ومنهم ملائكة العذاب، وقد ورد تفصيل ذلك على الموجات الإيمانية من كتاب مولانا عز وجل، يقول عز من قائل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (١١) الأنعام: ٦١

والمؤمنون تتوفاهم ملائكة الرحمة، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب اسمع إلى مولانا يقرر هذه القضية الإيمانية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) ذلك بما قدمت أيديكم وأنت الله ليس بظالم للعبيد (٥١) الأنفال: ٥٠ - ٥١
فتنزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة كما قال تعالى تماماً ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) النازعات: ١ وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة تنشط أرواحهم نشطاً يسر وسهولة كما قال تعالى ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) النازعات: ٢ ثم تلقاهم الملائكة بالسلام والترحيب والبشارة بالجنة ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) النحل: ٣٢

وسأوضح لكم هذه النقطة الأخيرة فأعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية وألسنة تصلي على سيدنا محمد ﷺ، هذه النقطة وضحتها لنا النبي الكريم بحديث صحيح (ق) يقول ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على راهب (عابد مترهب بعد عصر سيدنا عيسى ليس عنده كثير علم) فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة (ونظر العابد فغلبت عليه عبادته فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك الرجل وكيف استجراً على قتل هذا العدد الكثير) فقال: لا، فقتله فكمّل به مئة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم فسأله عن ذلك فقال العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة. انطلق إلى أرض كذا وكذا (أي أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ويصحب

الأخيار ويكون معهم لأن صاحب ساحب، ومن جالس جانس ألم يقل مولانا ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) دله على أرض أخرى وقال
له: إن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

قال فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، (اسمعوا الشاهد): فاختصمت فيه
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله،
وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم
(حكماً) فقال: قيسوا ما بين الأرضين (بلده والبلدة الأخرى الذهاب إليها) فأى أيتها كان
أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى القرية الصالحة، أقرب منها بشير فقبضته ملائكة
الرحمة.

أيها الإخوة:

أنتم الآن في قلب المدينة الصالحة، أنتم الآن في بيت الله ومعنا ملائكة الرحمة، فتوبوا إلى الله
تكونوا قريبين من الجنة، واستغفروه يغفر لكم. واعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا هنا
مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

حملة العرش والملائكة المقربون

- ٨٩ -

الحمد لله الذي اصطفى لدينه خلاصة العالمين، وهدى من أحبه للتفقه في التوحيد والدين،
حمداً نسلك به منهاج العارفين ونمنح به دخول رياض الموحدين.
واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الموقنين .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بهجة الموحدين، الحاوي لجميع فضائل المرسلين، من نبه
العقول لتحرير تنقيح أحكام الدين، البحر المحيط، القدوة العظمى في الدين.
سيدي أبا القاسم يارسول الله :

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه
أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين
وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

إن عالم الملائكة عالم حق ويجب الاعتقاد بوجودهم والإيمان بصفاتهم، لورود ذلك في آيات
عدة من كتاب مولانا عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ، مما يدل دلالة قاطعة على حقيقة
وجودهم، فالكلام عنهم ليس ضرباً من الأوهام ولا نوعاً من تخیلات الأحلام، إنما هم عالم غيبي
عن العيان المشهود، أكرمهم الله وشرفهم بصفات قدسية، ووكّل لهم وظائف يقومون بها بإذن
الله تعالى، فهم بأمره يعملون.

فمنهم الموكلون بقضايا الإنسان التكوينية كتطوير النطفة في الأرحام ثم تصويرها ثم نفخ الروح
في الجنين، وكتابة أعماله حتى موته، ومنهم المعقبات الحفظة، والكرام الكاتبون والموكلون بسؤال
القبر، ومنهم الموكلون بالكواكب والجبال والسحب والأمطار والبحار، وأصناف متعددة يعجز
الإنسان عن إحصائه وكيفيك قول مولانا ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١ كان هذا هو
موجز الأنباء - معشر السادة - وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة التاسعة والثمانين من

القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة غافر:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

غافر: ٧ - ٩

أيها الإخوة:

يخبر مولانا سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ودائبون على الإيمان به والاستغفار للمؤمنين. وهذه الآية تصريح هام حول حملة العرش الذين يحملونه تعزراً وتشرفاً وفي ذلك مظهر لسلطان ملك الملوك ومقام هبة للرب ﷻ.

وذكر مولانا عز وجل عدة حملة العرش فقال على موجات سورة ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (الحاقة: ١٧). قال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ فإنه الآن سوف يوجه بياناً هاماً إلى الأمة الإسلامية على موجات سنن أبي داود السجستاني، اسمعوا هذا البيان:

اسمعوا إلى الناطق الرسمي عن مولانا عز وجل، يقول رسول الله ﷺ:

«أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه (كتفه) مسيرة سبعة أميال» .

وعند أبي يعلى عنه ﷺ يقول: «أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة والعرش على منكبيه وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون».

فحملة العرش يسبحون مولانا عز وجل مع جميع الملائكة، وقد حدث مرة أن نبينا ﷺ كان مع نفر من أصحابه فإذا بشهاب أو نجم يسقط فيستنير فقال ﷺ ما كنت تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا: كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم.

فقال ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقولون لحملة العرش ماذا قال ربكم، فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتختطف الجن السمع فيؤمنون (ترميمهم الملائكة بالشهب) فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقفون فيه ويزيدون. (م).

فحملة العرش ينقلون بأمر الله تعالى إلى الملائكة ما يحب ويرضى، ولهذا يقول ﷺ (أحمد): إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه وفي رواية (ق): إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل، ويقول: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض [أي يوضع له القبول في الأرض] وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله: يا جبريل أن فلاناً يسخطني ألا وإن غضبي عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، ويقول حملة العرش، ويقول من دونه حتى يقول أهل السموات السبع ثم يهبط (أي القول بذلك إلى الأرض).

أيها السادة:

فيمكن أن نقول إن حملة العرش من أشرف الملائكة المقربين، ولعلمهم مع غيرهم هم المراد بهم بالماء الأعلى أو الرفيق الأعلى اسمع إلى مولانا يقول: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (القرآن) (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ص: ٦٧ - ٦٩

فنبينا ﷺ قبل أن ينبأه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصاص الماء الأعلى وما يجري بينهم من التناول في قضية آدم وقضية اعتبارات أعمال بني آدم من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها واعطائها استحقاقاتها، هذا الاختصاص وتلك المجادلات لم يكن عند نبينا علم به قبل أن ينبأ وينزل القرآن الكريم عليه، لأنه كان أمياً فمن أين جاءت تلك العلوم الوافرة التي كان من جملتها العلم باختصاص الماء الأعلى؟ انه حقاً إذن رسول الله.

إنني أدعوكم -أيها السادة- اليوم لنقف معاً على نعمة عظيمة أنعمها مولانا على حبيبه ومصطفاه فتعالوا نصلي صلاة الفجر مع سيدنا رسول الله ﷺ، هانحن قد انتهينا من الصلاة، وأرى وجه الحبيب الأعظم منوراً كأنه البدر المنير يقول (ت - حسن صحيح - ن): «إني قمت من الليل فصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بري عز وجل في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الماء الأعلى، قلت: لا أدري يارب فأعادها ثلاثاً. فرأيتَه وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برّدها بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت (أو علمت) ما في السموات وما في الأرض فقال: يا محمد فيم يختصم الماء الأعلى؟. قلت: في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات. قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند الكريهات.

قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام، ثم قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمي، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربني إلى حبك.

وهنا قال ﷺ: إنها حق فادرسوها وتعلّموها». [هذه الوظيفة اليوم].

فحملة العرش والماء الأعلى من الملائكة المقربين، وقد يسمون بالرفيق الأعلى أو الندي الأعلى، لأن نبينا ﷺ كان (د) إذا أخذ مضجعه من الليل قال: بسم الله وضعت جنبي اللهم

اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني (من نفسي المرهونة بعملها) واجعلني في الندي الأعلى» وهذا هو الشاهد من الكلام الندي الأعلى، أو الرفيق الأعلى لأن الحبيب الأعظم ﷺ لما حضرته الوفاة في مرضه الذي مات فيه سمعته السيدة عائشة يقول (ق) اللهم الرفيق الأعلى وفي رواية (ن- حب) أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل.

هؤلاء هم المقربون وغيرهم الله أعلم بهم، وهذا القرب هو المشار إليه في قوله تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ النساء: ١٧٢

هذا هو المقام الشريف والمنصب المنيف تكريماً للملائكة الكرام، ولهذا أثنى مولانا على الملائكة الكرام في الملاء الأعلى، اسمعه يقول: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ الأنبياء: ١٩ - ٢٠

هذا مدح، هذا ثناء للملائكة الذين لا ينقطعون عن الذكر، وهذا الأمر يحبه الله تعالى، الله يحب منك أن تذكر من ذكره، فإذا فعلت فإن الله يذكرك في هذا الملاء الأعلى الذي نتحدث عنه، لياهي بك ملائكته الكرام، وإليك هذه القضية الإيمانية يوضحها لنا الهادي ﷺ يقول لنا: إن الله عز وجل يقول (ق):

«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

المهم أن تسارع بالخيرات لتعمك رحمة الله تعالى، واسمع معي إلى حبيبك ﷺ يقول: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم فيم عنده» (ق).

اسمعتهم هذه البشارات من فم سيدنا محمد ﷺ (وذكرهم الله فيم عنده) وهماي رحمة الله تغشانا، هاهي الملائكة تحف بهذا المجلس المبارك فعليكم بذكر الله، عليكم بتوحيد الله، ليذكرك الله فيم عنده.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الكرام الكاتبون

- ٩٠ -

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُلَاقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨) ﴿ق: ١٦ - ١٨﴾ أيها الإخوة:

تقدم معنا في صفة العلم له تعالى إنه عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه ما سكن في الظلماء أو تحرك بالضياء.

وهو سبحانه الذي ينبي عباده يوم القيامة بأعمالهم ويطلعهم على جميع شؤونهم وأحوالهم. فما هي الحكمة من كتابة الملائكة أعمال العباد وهو أعلم بذلك ﷻ. أيها السادة:

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم ويسجلون عليهم كافة حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وأقوالهم، كل ذلك ليكيف العبد عن فعل المخالفات وارتكاب المنكرات ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة.

إنها حكمة توقف العبد عند حدّه فلا يغفل ولا ينسى ولا يلهو ولا يلعب لأن ملائكة الله يرقبونه، ولهذا اسمع إلى مولانا يهدد الكفار ويتوعد البغاة المجرمين ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ (٨٠) ﴿الزخرف: ٨٠﴾

إن الله يسجل إجرامهم وقتلهم للأبرياء، ومكرهم بعباد الله، ولكن الله لهم بالمرصاد ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَانَا﴾ (٢١) ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ (٢٢) ﴿إِنْ رُسُلُنَا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٣) ﴿يونس: ٢١﴾

هذا الكتاب شاهد حق على بني آدم يوم القيامة، لا يستطيع أن ينكر شيئاً منه قليل أو كثير صغير أو كبير ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢) ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ (٥٣) ﴿القم: ٥٢ - ٥٣﴾

فطوبى لمن جاء يوم القيامة وصحيفته ملاءى بالأعمال الصالحة، لاشك أنها فرحة كبرى.
 فيأخى المسلم إذا علمت أن أعمالك تكتب عليك وتحفظ في كتاب فيأياك من محقرات
 الذنوب ومن كبائرهما فإن الله تعالى يأمر ملائكته أن يضع كتاب الفجار في ديوان في أسفل
 السافلين، وتتوارد على أصحابها الويلات واللغات.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾

﴿المطففين: ٧ - ١٠﴾ إنها دعوة تحذيرية ترهيبية من مولانا لنحسِّن أعمالنا لنزيدها من الطاعات
 والحسنات والخيرات، عسى أن نكون من أولئك الذين يثني الله عليهم وينشر فضلهم ويعلو
 ذكرهم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

﴿المطففين: ١٨ - ٢١﴾

إنه موقف عظيم ذلك اليوم الذي يحاسب الله فيه العباد حين يوضع كتاب كلِّ منا أمام
 عينيه وهو موقف عصب على المجرمين.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ الكهف: ٤٩

وعندها لا سبيل إلى الانكار ولا الاعتذار ولا للطعن في الكتابة لأنهم عدول أخيار، فإذا
 حاول أحد المجرمين أن يكذب شهدت عليه أعضاؤه.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ورسول الله الآن يضحك مسروراً،
 فما الذي أضحكك يا رسول الله (م)، هكذا سأل: هل تدرون مم أضحك؟ قال الصحابة: الله
 ورسوله أعلم. قال ﷺ: من مخاطبة العبد ربّه، فيقول (العبد): يارب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول:
 بلى. فيقول (العبد): إني لا أجزى اليوم على نفسي شاهداً إلا مني، فيقول عز وجل: كفى
 بنفسك اليوم عليك حسيباً والكرام الكاتبين عليك شهوداً. قال: فيختم على فيه (فمه) ويقال
 لأعضائه: انطقي. فتتطرق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لَكُنَّ وسحقاً فعنكن
 كنت أناضل» (أدفع).

وصدق الله العظيم:

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ الإسراء: ١٣ - ١٤

فكل إنسان ألزمه مولانا عمله الصادر منه باختياره على حسب ما قدر له خيراً كان أو شراً، كأنه طار إليه من وَكُر القدر وعالم الغيب، ليلزم عنقه ويرتبط به فلا ينفك عنه، وكأنه قلادة أو طوق للمسلم، وأما العمل الشائن فيكون له كالأغلال في عنقه:

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) الجاثية: ٢٩

كنا نأمر الكتابة أن تكتب أعمالكم عليكم، ملك للحسنات وملك للسيئات كل منهما رقيب عتيد.

أعرفون - أيها الإخوة - أين يقعد الملائكة الكتابة؟.

اختلف العلماء في هذه القضية فقليل: ان محلهما على كتفيه، وقيل: على شفتيه وقيل: عنفقه.

وقال شيخ المفسرين من التابعين: إنه إن قعد كان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى كان أحدهما أمامه والآخر ورائه، وإن رقد كان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، ويمكن أن يجمع بين هذه الأقاويل بأنهما لا يلزمان محلاً واحداً.

وتكون الكتابة بالة حقيقية وقرطاس حقيقي ومداد يعلمها الله سبحانه وتعالى حملاً للنصوص على ظواهرها، لكن في بعض الأحاديث أن لسان العبد قلمهما وريقه مدادهما.

يؤرخون ما يكتبون من أعمال العباد بالأيام والجمع والأعوام والأماكن، وملك الحسنات من ناحية اليمين وملك السيئات من ناحية اليسار، وملك اليمين أمير أو أمين على ملك اليسار، فإذا فعل العبد حسنة بادر ملك اليمين إلى كتبها، وإذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين: أأكتب؟ فيقول: لا، لعله يستغفر ويتوب، فإذا مضى ست ساعات من غير توبة قال له: اكتب أراحنا الله منه.

وعند الأصبهاني عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه وأنسى جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب».

وقد اختلف العلماء -أيها الإخوة- هل يكتب الملك كل شيء من الكلام -أي حتى المباح- أي لا يكتبان فقط ما فيه ثواب أو عقاب، بل يكتبان ما لا ثواب فيه ولا عقاب عليه. ولهذا ذهب الإمام مالك وجماعة أن الملكين يكتبان على الإنسان كل شيء حتى الأنين في المرض:

بكل عبد حافظون وكلوا وكاتبون خيرةً لن يهملوا
من أمره شيئاً فعل ولو ذهل حتى الأنين في المرض كما نقل

ويطلع الله ملائكته الكرام على ما في قلب العبد، بدليل ما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى للملائكة: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي (مخافة مني) فكتبوها له حسنة، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة، فإن عملها فكتبوها له عشر حسنات إلى سبعة ضعف))

فهذا الحديث يدل على أن الملائكة تطلع على ما في القلوب من الهمم والإرادات. وقيل إن الله جعل للملك علامة، فجعل للحسنة رائحة طيبة وللسيئة رائحة خبيثة.

وقد يخفي مولانا عن الملائكة نية المرائين بأعمالهم فيكتبون ما ظهر لهم من العمل دون ما أخفي عنهم من الرياء، لماذا؟ قال ليبطل به سبحانه عمل المرائين بعد كتابته، يفعل ذلك بهم فضيحة لهم وتشهيراً، وإليكم هذا المشهد الذي يصوره لنا سيدنا رسول الله ﷺ (طب - هب)، قال: «يؤمر يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرين فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرينا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم يا أشقياء. كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم محبتين، تراؤون الناس بخلاف

ما تعطوني من قلوبكم وهبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتهم من الثواب».

أيها السادة:

وجعل الله لكل مسلم ملكاً يدلّه أو يلهمه رشده.

وهل ملك الحسنات أو السيئات نفسه هو الذي يدلّه على الخير، كما يُلّم الشيطان بآدم يعبده بالشر ويوسوس له؟ هذا السؤال أسأله لأن نبينا ﷺ (ت حسن - ن - حب) يقول: «إن للشيطان لَمَّةً بآدم وللملك لَمَّةً، فأما لَمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لَمَّةُ الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٨

ولعل للمسلم ملكاً خاصاً غير الملكين الكاتبين يأمره بالخير ويدله عليه، ولهذا اسمع إلى حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ يقول لنا (م - أحمد):

«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. قالوا وإياك يارسول الله قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعاني عليه فأسلم فلا يأتيني إلا بخير».

وهذه الرواية (فأسلم) يعني صار قرينه مسلماً مؤمناً وهذا من فضل الله على نبيه ﷺ لأن قلبه عليه الصلاة والسلام صافي نقي أبيض مستنير بنور الله تعالى، ولهذا تأتيه الواردات الرحمانية. فتحن أمام واردات أربعة:

وارد رحماني: يرد على القلوب السليمة الصافية.

وارد ملكي: ويسمى إلهاماً: يبعث على فعل الخير والصلاح.

وارد نفساني: ويسمى هاجساً: خاص بما هو في نفس الإنسان.

وارد شيطاني: ويسمى وسواساً: يدعو إلى فعل الشر ومخالفة الحق.

ونستطيع أن نفرق بينها بميزان الشرع المطهر فما وافق الشرع فهو رحماني وملكلي، وما خالف الشرع فهو نفساني وشيطاني، وهذا بحسب القلوب: طاهرة منيرة أو مظلمة سوداء.

أيها الإخوة الكرام:

إن نبينا ﷺ ضرب لنا مثلاً فاستمعوا له ووجهوا تحيتكم للحبيب الأعظم ﷺ يقول (ت - ن: حسن صحيح): ضرب الله مثلاً: صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: - يأيتها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا - لا تنحرفوا - .

وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجّه - تدخله - .

واسمعوا إلى النتيجة الإيمانية التي يريد بها رسول الله من هذا المثل قال ﷺ: فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». إخوة الإيمان:

بعد أن علمنا هذه القضايا الإيمانية الخاصة بالملائكة الكتبة وأنهم لا يغفل عنهم شيء مما نفعله أو نفكر به أو نقوله، فلماذا المعصية؟ لماذا تركنا الفرائض، والحلال، ولحقنا شهواتنا؟ هذا السؤال جوابه عند كل واحد منكم، وتذكروا معي في نهاية وقتنا اليوم أن مولانا قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كُنِينِ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ الانفطار: ٩ - ١٢ والسؤال الأخير هو:

إذا مات العبد أين يذهب ملكاه، هذا سؤال مهم، إذا كان الملكان لا يتغيران على العبد مادام حياً، فإذا مات أين يذهبان؟

إن العبد إذا كان مسلماً مؤمناً يقوم الملكان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه إلى يوم القيامة في صحيفته، وإن كان كافراً يقومان على قبره يلعنانه إلى يوم القيامة، فعن أنس عنه ﷺ (هب): «إن الله تعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات قال الملكان للذنان وكلا به: قد مات فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله تعالى: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحونني، فيقولان نقيم في الأرض، فيقول سبحانه: أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني فيقولان: فأين نقيم؟ فيقول: قوما على قبر عبدي فسبحاني واحمداني وكبراني واكتبوا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة».

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

أولياء الملائكة

- ٩١ -

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت.

أحمده سبحانه وتعالى على نعم توالى علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد: فياحمدا الإسلام وحراس العقيدة.

مازلت معكم في أصل من أصول الدين الواجب على كل مكلف أن يؤمن به ويصدق بوجوده ألا وهو الإيمان بالملائكة الكرام، عباد الله المكرمين، خلقهم لطاعته وشغلهم بعبادته، فالاعتقاد بهم وبأوصافهم ووظائفهم من علامات المؤمنين، وسوء الاعتقاد بهم من ضلالات الكافرين لأن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦)

أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الدرس الواحد والتسعين من دروس القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة السجدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتَبْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فصلت: ٣٠

٣٢ -

أيها السادة:

يخبرنا مولانا عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تتنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت فيقول لهم: لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم : عالم البرزخ، وعالم الحشر، وعالم الجنة، ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا، فأنتم في أمان الله تعالى، يقولون لهم: نحن أولياؤكم أي أحبائكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا، كنا ننصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير، ولنم بكم فنلهمكم الخير حين كان الشيطان يزين لكم الشر. ونحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الإنساني الكافر حين كنتم تقاثلونه قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الأنفال: ١٢ نحن أحبائكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم.

أيها الإخوة:

تعالوا بنا اليوم نستعرض معاً أحوال الملائكة معنا، عسانا نستحيي منها ونجتنب ما يتأذى منه الملائكة، فقد وردت الآيات والأحاديث أن الملائكة لا تفارق بني آدم منذ خروجه من بيته إلى محله أو مكتبه إلى عودته إلى بيته إلى حضور مجالسه، فنحن اليوم قد خرجنا من بيوتنا لنحضر الجمعة، أتدرون ماذا تفعل الملائكة في هذا اليوم؟ إن رب العزة يرسلها على أبواب المساجد ليكتبوا الداخلين إليها كل على قدر مجيئهم إلى الجمعة، واسمع معي إلى سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر (المبكر) كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طلوا صحفهم يستمعون الذكر» (ق).

وأما أولئك الذين يداومون على حضور جمعتنا هذه ويجلسون في أمكنتهم التي اعتادوا الجلوس فيها فإن الملائكة إذا غابوا عنها تسأل عنهم وتتفقدهم، اسمعوا إلى حبيب الله يقول ﷺ: «إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلسائهم، إن غابوا يفتقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانهم» (أحمد).

فإذا صلينا معاً أو فرادى على الحبيب الأعظم ﷺ التقطت الملائكة هذه الصلاة لتوصلها إلى السيد الأعظم في المدينة المنورة يقول ﷺ (أحمد - ن - حب): «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» ويقول أيضاً: «حيثما كنتم فصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني» (طب).

وفي رواية البزار قال ﷺ: إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه الله تعالى أسماع الخلائق، فهو قائم على قبري إذا مت، فليس أحد يصلي عليّ إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان، فيصلّي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً. أعظم بها شرفاً وفضلاً أن يذكر اسمك بين يدي سيدنا رسول الله، ويفرح بذلك سيدنا رسول الله ﷺ.

وحينما نذكر الله تعالى فإن الله يذكرنا وتنزل علينا رحماته وتدعو لنا الملائكة، وتستغفر، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ الأحزاب: ٤١ - ٤٣

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ: هو الذي يرحمكم ويتعطف عليكم، هذا هو معنى الصلاة من الله تعالى، فما هي الآثار التي تترتب على ذلك؟ اسمعوه يقول لنا: { لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } من ظلمات الذنوب والشبهات والشهوات إلى نور الطاعة والهداية والعبادات.

فالملائكة معنا -أيها الإخوة- أينما كنا، واسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مجلس كهذا المجلس ليحدثنا الحبيب الأعظم عن صورته الحقيقية التي تغيب عن حس كل منا. يقول ﷺ: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر (مجالس الذكر)، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم فيقولون:

جننا من عند عباد لك في الأرض، فيقول سبحانه ما يقول عبادي. قال فيقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويمجدونك. قال: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذاً وأكثر لك تسبيحاً، فيقول مولانا: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يارب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يارب ما رأوها فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني غفرت لهم. قال فيقول ملك من الملائكة: ان فيهم فلاناً الخطاء لم يُردهم، إنما جاء حاجة - أي لا يقصد الذكر معهم - فيقول سبحانه: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». أيها السادة:

فإذا كان مجيئكم أيضاً بنية طلب العلم فإن الملائكة تتزاحم علينا من شدة محبتهم لما نطلب، نطق بهذا السيد الأعظم عليه السلام فقد جاءه رجل وهو متكئ على برد له أحمر فقال: يارسول الله إني جئت أطلب العلم فقال: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب.

ولهذا أنت مأمور من لدن القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد عليه السلام أن تتجنب ما تتأذى منه الملائكة، فكما أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو كلب أو جنب أو جرس، وكما أن الملائكة لا تقرب السكران ولا الحائض ولا العبد الكذاب ولا الرجل المتضمخ بالخلوق الذي له لون فكذاك تتأذى الملائكة ممن يأتي إلى المسجد وقد أكل البصل والثوم، ولهذا يقول عليه السلام: من أكل البصل والثوم والكراث، وفي رواية من هذه الشجرة الحبيثة، فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» (م).

فإذا أقيمت الصلاة ووقفنا بين يدي الله لأداء العبادة والصلاة حفت بنا الملائكة حتى تصل إلى عنان السماء، ففي الحديث المرسل عنه عليه السلام: للمصلي ثلاث خصال: يتناثر البر من عنان

السماء إلى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء، ويناديه منادٍ: لو يعلم المصلي من يناجي ما انفعل».

فإذا قلنا آمين بعد قراءة الفاتحة خلف الإمام أمنت على تأميننا الملائكة، ولهذا يقول ﷺ (ق): «إذا قال الإمام: ﴿عَبْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْأَلِينَ﴾ الفاتحة: ٧ فقولوا: آمين. فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

«وإذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأما أولئك الذين يصلون في الصفوف الأولى فإن الملائكة تعتني بهم وتزداد استغفاراً لهم ودعاءً، بهذا نطق الصادق المصدوق ﷺ (أحمد) يقول: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول» فإذا انقضت صلاتنا وجلسنا قليلاً بعد صلاتنا في مكاننا لم تنزل الملائكة تصلي علينا وتدعو لنا: ((اللهم اغفر له الله ارحمه)) (أحمد).

فإذا حملنا الكلمة الطيبة التي سمعناها إلى أهلنا في بيوتنا فقد أعلمنا نبينا ﷺ بثواب عظيم كما هو عند الترمذي أنه ﷺ قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال ﷺ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير».

فإذا خرج الواحد منا بعد الصلاة ليعود صديقاً مريضاً لا يعود إلا الله شهدت معه ملائكة الله تعالى هذه الزيارة فهاهو جدي سيدنا علي ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غُدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة».

فإذا خرجت من عنده ودعوت له في ظهر الغيب أن يشفيه الله تعالى ويعافيه قال لك الموكل به آمين، ولك بمثله» أي بمثل ما دعوت لأخيك (م). وتبشره الملائكة حين يزور العبد أخاه في الله، لأن نبينا ﷺ أخبرنا عن رجل زار أخاً له في قرية أخرى فأرسل الله على طريقه ملكاً فسأله: إلى أين. قال: أريد أخاً في هذه القرية. فقال له: هل لك عليه من نعمة تربّها (تقوم بها) فقال: لا، غير أنني أحبه في الله. فقال الملك: فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحبته فيه».

إخوة الإيمان:

هذه عناية الله بعبده المسلم، ولو بقينا على ما نحن عليه في هذا المسجد ونحن في بيوتاتنا، لو بقيت قلوبنا طاهرة نقية ونفوسنا راضية مطمئنة أتدرون ماذا يكون؟ لصافحتنا ملائكة الله في الطرقات، لأن الصحابي حنظلة دخل على رسول الله ﷺ هو والصدیق فقال: يا رسول الله نافق حنظلة. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة» (م).

وهكذا - معشر السادة - رأينا تفسير قوله تعالى نقلاً عن قول الملائكة للعبد عند موته ﴿

نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فصلت: ٣١

هذا فعل الملائكة في الدنيا، فكيف يكون فعلهم في الآخرة؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى

هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

منكر ونكير
وخزنة الجنة والنار

الحمد لله المبدئ المعيد الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد . كل الرشيد

. قسم الخلق قسمين وجعلهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير إن ربك فعال لما يريد

. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد

. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البید

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

: أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية عن أولياء الملائكة الكرام للعبد المؤمن . وبقائها معه في سفره الطويل إلى الله تعالى في عالم البرزخ وعرصات يوم القيامة وأهوالها

وقلت لكم إن الملائكة تبشره وقت الاحتضار والنزع الأخير بما أعد الله له من خير عظيم . وتطمئنه بألا يخاف على ما سيقدم عليه من حياة برزخية وأهوال القبر

أيها الإخوة أوجب اليوم بعونه تعالى عن هذه المواقف مع الحلقة الثانية والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة لكتاب مولانا عز وجل على موجات سورة (الأنعام): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿الأنعام: ٦١ وعلى موجات سورة أخرى: ﴿ قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١

أيها الإخوة الكرام:

إننا اليوم مع قضيتين إيمانيتين هامتين علينا أن نستعد لهما كل الاستعداد بالأعمال الصالحة والأخلاق العالية، فإن الخطب شديد والهول عظيم، إذ أن حياة العبد قد توقفت ساعاتها وانتهت دقائقها. ما هو إلا أن يقدم على عمله إن كان صالحاً قبضته ملائكة الرحمة وإن كان كافراً قبضته ملائكة العذاب، وكلا هاتين الطائفتين من الملائكة تأتمران بأمر ملك الموت، وإليكم القضية الأولى التي صرحت الآيات القرآنية الكريمة بها فعلى موجات سورة (الأنفال): ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٥١﴾

﴿الأنفال: ٥٠ - ٥١﴾

أسمعتكم مثل هذا الوصف الرهيب عند أول قدوم الكافر على الله تعالى؟ إن ملائكة العذاب تنزع أرواح الكفار بعنف وشدة وضرب على الوجوه والأدبار تماماً كما وصف مولانا فقال ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴾ ﴿١﴾ ﴿النازعات: ١﴾

وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة تنشط أرواحهم نشطاً بيسر وسهولة كما قال مولانا ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴾ ﴿٢﴾ ﴿النازعات: ٢﴾ بل تلقاهم بالترحيب والبخارة والسلام اسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه القضية الإيمانية على موجات سورة (النحل):

﴿ الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿النحل: ٣٢﴾

فنحن إذاً أمام صنفين من أصناف الناس صنف المؤمنون وصنف الكافرين، ولكي أوضح هذه الفكرة وارتباطها بأولياء الملائكة الكرام اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى المدينة المنورة ، فإنه الآن يخرج مع صحابته في تشييع جنازة ﷺ حيث القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ، رجل من الأنصار، هاهو الأنصاري يدفن فيجلس رسول الله ويجلس حوله صحابته الكرام كأن على رؤوسهم الطير، وهم سكوت وراح رسول الله ينكت بعود الأرض، ثم رفع رأسه وقال لمن حوله: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء - بسهولة ويسر - فيأخذها ملك الموت فإذا أخذها لم يتركها - أولياء الملائكة - لم يتركها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط وعندها (عند خروج روحه) تخرج رائحة أطيب من رائحة المسك، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى «اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدهوه» إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه : ﷺ ثم قال الملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (الجلود) فجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتغرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السقود (الحديدة التي يشوى بها اللحم، سيخ اللحم المشوية) وهذا السفود كثير الشعب له أطراف عدة فينتزع روحه (كما ينتزع أحدنا السيخ من الصوف المبلول) فيأخذها، فإذا أخذها ملك الموت لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح (الجلود أو اللباس الخشن الغليظ) وعندها تخرج منه ريح جيفة كأنن ما وجدت رائحة على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هي هذه الروح الخبيثة

فيقولون: ربح فلان بن فلان بأفبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى

﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا { :﴿ السَّمَاءِ الدِّينَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠ فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتابه في

سجين في الأرض السفلى» فطرح روحه طرحاتم قرأ ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ

السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ الحج: ٣١

:إخوة الإيمان

ما زلنا في قضيتنا، والشاهد من الحديث قوله « نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه

كأن وجوههم الشمس » هذا عند الاحتضار تحضره أولياؤه من الملائكة، فإذا مات وأدرج في

أكفان القبر، نفعه إيمانه وعمله الصالح فإذا سئل عن أصول العقيدة أجاب مباشرة فعند (ق) أن

قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ رسول الله

فذلك قوله تعالى ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ ﴾ إبراهيم: ٢٧

ولذلك تروي لنا السيدة عائشة ؓ فتقول: يارسول الله تبلى هذه الأمة في قبورها فكيف

: يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَفِي الْآخِرَةِ

وكان عليه الصلاة والسلام إذا دفن أحد أصحابه وقف على القبر فقال « استغفروا

. « لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل

.والذي يسأله ملكان اسمهما منكر ونكير

يقول: إذا قبر الميت أتاه ملكان ﷺ فما هو هذا السؤال؟ أدع الاجابة لسيدي رسول الله

أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ماذا كنت تقول في هذا الرجل؟

.فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور فيه ثم يقال له نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا أدري (أي أنه نبي أم لا) فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التثمي -اجتبعي وانضمي- فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه أي تتفرق وتزول عن مستواها الذي كان عليه فلا يزال معذباً حتى يبعثه تعالى من مضجعه ذلك.

أيتها الإخوة الكرام:

هذه الفتنة في القبر ينجو منها المؤمن لأن أولياء الملائكة تشهده وتؤيده، وتلقاه بالترحاب عندما يخرج من قبره تستقبله لتشهد به يوم الهول الأكبر لتوصله إلى خزنة الجنة، فعلى كل باب من أبواب الجنة خزنة وكلهم الله تعالى في استقبال المؤمنين، ورئيس هؤلاء الملائكة سيدنا ففي الحديث أنه قال: **رضوان** من الملائكة المقربين، لا يفتح أبواب الجنة لأحد قبل سيدنا محمد آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الملك: من؟ فأقول: محمد فيقول الملك: بك أمرت أن لا أفتح «لأحد قبلك».

فإذا دخل المؤمن الجنة أقبلت عليه وفود الملائكة الكرام يحيونه ويشنون عليه اسمع إلى مولانا عز وجل:

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤

وأما أولئك الكفار فما لهم فظيع ونهايتهم مخزية، يساقون إلى جهنم زمراً زمراً، أصنافاً أصنافاً حسب نوعية كفرهم ونسبة ضلالهم، فهم يفاجئون حين وصولهم بأبواب جهنم قد فتحت، وراحت زبانية جهنم وملائكة العذاب تتخطفهم، لأنهم كفروا وأعرضوا وكذبوا بالحق، واتبعوا

أهواءهم الباطلة، اسمع معي إلى مولانا وهو يقول: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ۝﴾ (٢٨)

لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ۝ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۝ المذثر: ٢٧ - ٣١ وليس

هذا العدد فقط / ١٩ / بل هناك أعداد من الملائكة الموكلين على جهنم لا يعلم عددهم إلا الله، لأن الصادق المصدوق حدثنا بمشهد رهيب يحدث يوم القيامة يقول: «يُوتَى بالنار يوم القيامة «لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

فإذا دخلوها يتمنون الموت فيها من شدة عذابها، فينادون رئيس خزانة النار واسمه مالك يقولون

له: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ (٧٧) الخ: ٧٧ ويكفي النظر لوجهه في البخاري فقال: «فانطلقنا ﷺ سيدنا مالك حتى يغشى على أهل النار، فقد وصفه رسول الله «فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما أنت راء»

وأما خزانة النار فإليكم أوصافهم على موجات القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) الخ: ٦ خلقهم مولانا للعذاب، وسماهم في كتابه بالزبانية من الزبن: وهو الدفع بشدة (كما قاله الكسائي) من شدة البطش.

أيها السادة:

ما زلنا هناك عند الحبيب الأعظم، ولكن في مكة، وأرى الحبيب الأعظم يصلي عند مقام إبراهيم فيمر به أبو جهل فيقول له: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ (عن أن تصلي هذه الصلاة) وراح له القول وانتهره فقال أبو جهل يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما ﷺ يتوعده، وهنا أغلظ رسول الله والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً (جمعاً ومالاً وقوة) فأنزل الله تعالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَنَدْعُ

الرَّبَّانِيَّةُ ﴿١٨﴾ العلق: ١٧ - ١٨

وهنا قرر أبو جهل أمراً مع أنزال الكفر سألهم: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم (هل يسجد على الأرض) قالوا: نعم. فحلف باللات والعزى لئن رآه يفعل ذلك ليطأن على رقبته. وليعفرن وجهه في التراب.

يصلي فأقبل أبو جهل لينفذ ما توعده ﷺ وإذا به يأتيه ليفعل ما حلف عليه، وكان رسول الله به، ففوجئ أصحابه وهو يرجع القهقري إلى الوراء ويضع يديه على وجهه من شدة الخوف الذي

أصابه، فقليل له: مالك؟ فقال كبير الأندال أبو جهل: إن بيني وبين مُحمَّد خندقاً من نار وهولاً
«وأجنحة، وهنا قال رسول الله لأصحابه: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً

:أيها الإخوة

وهكذا يفعل الله بالجبابرة المتعاليين، هكذا سيفعل بأمريكا واليهود سوف تحتطفهم الملائكة
عضواً عضواً إن هم حاولوا أن يمسوا الإسلام والمسلمين بسوء إنها دعوة لنكون مع الله، فمن كان
مع الله كان معنا هنا وما أدراك ما هنا

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله

لا إله إلا الله سيدنا مُحمَّد رسول الله

عصمة الملائكة وعالم الجن

- 93 -

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنَّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنَّه وردَّ أمله وخيب
ظنَّه. إذ جعل الشريعة حصناً لأوليائه وجنَّة وفتح لهم أبواب الجنة

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عَرَفَ عباده أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله قائد الأمة وممهد السنة.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

: أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

أقف اليوم بينكم في خاتمة الحديث عن ملف الإيمان بالملائكة الكرام، بعد أن بقينا طيلة حلقات ثمانية ونحن نتناول القضايا الإيمانية الخاصة بهم، وقضيتنا اليوم تتضمن الحديث عن قضيتين فرعيتين.

.الأولى: قضية عصمة الملائكة الكرام

.والقضية الثانية: قضية عالم الجن باعتبارها القضية المتممة للإيمان بعالم الغيب

إننا باختصار مع الحلقة الثالثة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة

البقرة ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ

مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة:

١٠٢

:أيها السادة

نحن في أولى القضايا: وهي قضية عصمة الملائكة، لأن من الواجب اعتقاده أن ملائكة الله معصومون عن الذنوب والمعاصي بعصمة الله لهم وحفظه إياهم وقد بث مولانا في كتابه أدلة

عصمة الملائكة أنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ التحريم: ٦

هذه شهادة رب العالمين فيهم، إن جميع حركاتهم وسكناتهم مرتبطة بأمره تعالى، فهم لا يقعون في ذنب أو معصية، وفي آية أخرى نعى الله تعالى على القائلين عن الملائكة أنهم أولاد الله أو بناته، فقال ﷺ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ لَا

يَسْبِقُونَهُ ۚ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿الأنبياء: ٢٦-٢٧﴾ أنهم لا يعملون عملاً إلا بأمر الله تعالى لهم وإذنه، لا يتحركون ولا يتفوهون بكلمة إلا بأمر إلهي، فما هو حالهم يقول عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿الأنبياء: ٢٠﴾ فأنهم التسبيح، فالتسبيح عندهم كالشهيق والزفير بالنسبة لنا، فمن كان كذلك لا يصدر عنه ذنب ولا تقع منه معصية، وهم في مقام الخشية والخافة من الله تعالى، وهذه القضية صرحت بها الآيات القرآنية فقال عز وجل:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿النحل: ٥٠﴾ فهو القاهر فوقهم المستعلي بقره إياهم وغلبته عليهم وهم دونه.

ولما كان الملائكة بهذه الصفة اصطفاهم الله تعالى كما اصطفى خلاصة العالمين اسمع إلى

مولانا يقول: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٧٥﴾ الحج: ٧٥

وهنا وقف أحد تلامذتي الأذكياء فقال: سيدي، فماذا يقول علماء العقيدة في قول الملائكة

لمولانا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة: ٣٠. أليس هذا اعتراضاً منهم

قد أجاب العلماء عن هذه الآية بأن الملائكة معصومون عن فعل هذا الاعتراض،: فقلت له وأن الملائكة بسؤالهم ذاك استفسروا وسألوا عما خفي عليهم من الحكمة، كسؤال المتعلم معلمه

عما يختلج في صدره، فهذا السؤال ليس اعتراضاً ولا طعناً في بني آدم على وجه الغيبة، فإنهم أعلى من أن نظن بهم ذلك، ولولا أن الله اذن لهم بذلك لما قالوا هذا القول، وبهذا يزول الإشكال في هذه الآية.

ولكن قضية أخرى تعترضنا في عصمة الملائكة ألا وهي قصة هاروت وماروت، هذه القصة التي لعب اليهود فيها لعبتهم الشنيعة في تحريفها والحق أنه لا يوجد في هذه المسألة ما يطعن بالملائكة ويخل بعصمتهم، واسمحوا لي أن أستعرض معكم هذه القضية كما يجب اعتقادها:

أبيها الإخوة:

يسترقون السمع من السماء ثم يضمّون إلى ما سمعوه ﷺ كان الشياطين قبل بعثة نبينا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس وجعلت الكهنة يدونونها في كتب ويقرؤونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان حتى صاروا يقولون: إن الجن يعلمون الغيب، وإن هذا العلم هو علم سليمان، وإنه ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير، فأنزل مولانا من السماء ملكين هما هاروت وماروت لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس، وللتمييز بين السحر وبين المعجزة وظهور الفرق بين كلام الأنبياء وبين كلام السحرة.

والقارئ للقرآن يجد أن سياق الآيات الكريمة تبين أن مولانا يقول: إن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة، واتبعوا ما تتلو الشياطين من كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة على عهد سليمان وزمانه، والله يقول: { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ } { إنه يكذب الشياطين حين اتهموا سيدنا سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إياه وعلمه كما أشيع عنه من قبل الكهنة، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر إغواءً وإضلالاً.

فاليهود اتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر، واتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت أنزل عليهما السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة. { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } أي أنهما لا يعلمون أحداً حتى ينصحاه ويقولوا له: إنما نحن ابتلاءً من الله تعالى ومحنة واختبار فلا تكفر وتعمل بالسحر.

وكأنهما يقولان من تعلم السحر وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به، اسمع إلى مولانا يقول: {فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} أي أن الله يخلق عند السحر النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه، ولهذا قال: وَمَا هُمْ بِضَكَارَيْنِ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمر الله ومشيتته.

وهذه الآية دليل على أن للسحر حقيقة، وأن له تأثيراً كما عليه أهل السنة ولكن بإذن الله ومشيتته وخلقه، ولأجل ذلك أمرنا مولانا بالتعوذ من شر النفوس الساحرة النفاثات في العقد ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ من شر ما خلق ﴿٢﴾ ومن شر غاسق إذا وقب ﴿٣﴾ ومن شر النفاثات في العقد ﴿٤﴾ ومن شر حاسد إذا حسد ﴿٥﴾ الفلق: ١ - ٥ . يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فأخذ بهما وترك ما سواهما وكان وهناك صلة وثيقة بين الجن والسحر، الجن عالم خفي حقيقي الوجود ثابت ذكره مولانا في

آيات عديدة، اسمعوا إلى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ٣٦ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾ ٢٧ - ٢٦ الحجر: ٢٧ - ٢٦

من نار يعني هم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة، يأكلون ويشربون، منهم الذكور والإناث، ويتناكحون ويتناسلون، ويموتون طائفة بعد طائفة

ومن خصائصهم التي خصهم الله بها: قوله تعالى عنهم ﴿إِنَّهُمْ يَرْتَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٢٧

لكن قد يتصور الشيطان ببعض الصور فتمكن رؤيته، كما أنهم أصناف منهم العفاريت الأشياء الأقوياء الذين سخرهم مولانا لسيدنا سليمان يقول عز وجل: ﴿وَمِنَ الْجِنَّةِ جَمْعٌ يُعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٢ سبأ: ١٢

:أيها الإخوة

إننا في القضية الثانية (عالم الجن) هذا العالم مكلف مثل الإنس بالشرائع الربانية يقول عز وجل ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وهم يثابون ويعاقبون على أعمالهم، وقد كما أرسل إلينا، فكان منهم الصالحون وغيرهم، والمسلمون والكافرون، ومنهم ﷺ أرسل إليهم نبينا اليهودي والنصراني والمجوسي. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فالمسلمون منهم يقال لهم: الجن المسلمون وصلحائهم يقال لهم: صلحاء الجن.

والكفار منهم يسمون شياطين الجن، وأول شيطان منهم هو إبليس قال عنه مولانا ﴿كَانَ مِّنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] والشيطان ذئب ابن آدم كما أن الذئب ذئب الغنم إن الشيطان ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۖ﴾ [فاطر: ٦] ويقول «ليجري من بني آدم مجرى الدم».

ولهذا الإسلام جعل لنا أسلحة دفاعية ضد هذه العداوة فشرع لنا المعوذات وقراءة آية إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان «وفي رواية (ق) «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في قال: «اقرأوا سورة البقرة فإن ليلة كفتاه» والبقرة خاصة تمنع السحر فعند مسلم أن النبي (أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعهما البطلة) (السحرة).

هذه أسلحة دفاعية لا تهزم، وهناك أسلحة وقائية ضد الأبالسة والشياطين الجن منها الاستعاذة بالله منهم قال تعالى ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] فإذا رأى العبد رؤيا منامية يكرها فليستعذ بالله من شرها (ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره) (ق).

وإذا دخل بيت الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الحُبث والحبائث (د- هـ- ق) أي ذكران الجن وإناثهم .

وكذا التسمية على الطعام وعند دخول الرجل بيته وخروجه منه فعند (م) : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ومن قال إذا خرج من بيته «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له : «حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان

يقول: «لو أن ﷺ وإليكم هذا الحديث المروي في الصحيحين عن تبحون أن تصلوا عليه أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا « فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً

:أيها الإخوة

هذه هي الأدوية النبوية والطب النبوي، وما أعظم الطبيب إذا كان سيدنا مُحَمَّدًا، وما أعظم ﷺ الدواء إذا كان من يد سيدنا مُحَمَّد

. فما هي الكتب التي نزلت على الأنبياء الكرام ؟

.وما هو ركن الإيمان بالكتب السماوية وعلى من نزلت وما عددها ؟

أعلق هذه الأسئلة إلى الحلقة القادمة إن شاء الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

S SS

تأثير السحر وصلته بالجن

- 94 -

الحمد لله الذي افتتح بحمده الكتاب. والحمد لله الذي يُنال بحمده الثواب
نحمده سبحانه وتعالى على ما منح فهو المنعم الوهاب، ونستغفره ونتوب إليه فإنه غافر
الذنوب وقابلُ التوب شديدُ العقاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عليه توكلت وإليه متاب شهادة شهد الله بها
لنفسه في محكم الكتاب، شهد الله أنه لا إله إلا هو شهادة أرغم بها أنف كل جاحد مرتاب
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله جاء بالحق وفصل الخطاب نبي شق له القمر وردت له
الشمس وقد كادت تتوارى بالحجاب.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ما أفل شهاب وطلع شهاب وسلم تسليمًا

: أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد وقفت معكم قبل سفري إلى حج بيت الله الحرام في العام الهجري الماضي وقفة
قصيرة حول عالم الجن وصلته بالسحر، ولكن هذه العجالة في الحديث عن السحر وصلته بالجن
لم تكن مشبعة، فأحببت بناءً على رغبتكم قبل أن أدخل إلى باب الركن الإيماني الرابع أن أقف
وقفة عند هذه القضية الإيمانية. ذلك لأن مواقف الناس من السحر انقسمت ما بين افراط
وتفريط فريق قابل السحر بالاستنكار مستبعداً أن يكون له أدنى تأثير ومعتبراً ذلك من قبيل
الخرافة والشعوذة.

وفريق بالغ في ذلك فجعل للسحر تأثيراً كبيراً على النفوس وسبيلاً لحل كثير من المشكلات
فأين الحقيقة في ذلك؟

:أيها الإخوة

.نحن اليوم نضع قضية السحر في إطارها الشرعي بعيداً عن المغالاة في تأثير السحر
إننا مع الحلقة الرابعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية
هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

:إخوة الإيمان

قبل أن أدخل إلى هذه القضية أريد أن أطرح سؤالاً وأستعين بمولانا عز وجل في الإجابة عنه
.: ما هو السحر؟

السحر في اللغة صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره تقول: ما سحرك عن كذا: أي ما
. صرفك، وبهذا نزل القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَأَنِّي مُسْحَرُونَ﴾ (٨٩) المؤمنون: ٨٩ أي تصرفون
.وللسحر تعريفات كثيرة من حيث التعريف الاصطلاحي
عرفه الحنفية والمالكية بأنه: علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال
غريبة لأسباب خفية.

.وقال الشافعية: إنه مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة
وقال الحنابلة: بأنه عُقْد ورُقَى وكلام يتكلَّم به أو يكتبه الساحر أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن
المسحور أو قلبه أو عقله.

وهذا لا يكون إلا بالاستعانة بالشياطين، فالساحر يرتكب القبائح ليصل إلى رضا
الشياطين، ثم يرقى المسحور بألفاظ الشرك ويمدح الشيطان
أو يقوم الساحر بعبادة الكواكب ويبقى جُنُباً ويفعل المعاصي ليتقرب إلى الشياطين بها،
فتعاونه الشياطين كما تعاون الملائكة الأخيار من الناس.

:أيها السادة

هذا المدخل كان لابد منه، فأين القضية الاعتقادية في هذا الأمر؟ علينا أن نعتقد أن السحر قسمان:

سحر هو تخیلات وشعوذة وأخذ بعيون الناس ومبناه على النظر، والبصر يخطئ ويصيب، والساحر في هذا القسم يقوم بعمل شيء يذهل أذهان الناظرين ويأخذ عيونهم حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق وتصويب وتسديد النظر عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً كما هو مشاهد من خلال ما يظهر على شاشات المفسديون في الوقت الحاضر.

وقد يقوم الساحر المشعوذ باستخدام خصائص المواد الكيماوية كاستعمال الزئبق كحيلة «للتمويه والتخيل» وقد ذكر بعض المفسرين أن سحر سحرة فرعون من هذا القبيل، فعلى موجات سورة طه اجتمع سيدنا موسى مع السحرة أول النهار بمباراة بين الإيمان والكفر: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ طه: ٦٥ - ٦٦

وعلى موجات سورة الأعراف ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٦) الأعراف: ١١٦ فالعصي والحبال لم تكن تسعى في نفس الأمر، ولهذا قال ابن كثير (١٥٨/٣)، إنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميل بحيث يخيل للناظر أنها تتحرك باختيارهم، والواقع أنها كانت حيلة.

ومن سحر الشعوذة والتخيلات ما يفعله بعض السحرة مع المسحورين يطعمونهم بعض الأطعمة والمشروبات فتؤثر في عقولهم حتى إذا ما تعاطى الضحية هذه الأشياء قلت فطنته وخرج عن حد الاعتدال في عاداته فيقول الناس إنه مسحور، والواقع أنه عقار معين تناوله هو الذي سبب له تلك الحال.

لكن الذي يهمنا -أيها الإخوة- أن نتحدث عنه هو السحر الحقيقي فهو قضيتنا اليوم فافتحوا آذانكم وأصغوا إلي بأسماع أفهامكم.

السحر الحقيقي أنواع

أولها : السحر الذي يستعان فيه بالكواكب والأجرام السماوية وهذا كان الكلدانيين وأهل بابل في العراق كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ويعتقدون أنها مدبرة للعالم وأنها تضر وتنفع، وأنها تأتي بالخير والشر وهؤلاء بعث الله إليهم سيدنا إبراهيم الخليل مبطلاً لعقائدهم الفاسدة.

طبعاً هذا النوع كفرٌ لاشك فيه لأن السحرة ينادون الكواكب بلفظ الإلهية والتعظيم. ويقدمون لها قرباناً كما كان يفعل كفار قريش مع اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

فالساحر في هذا النوع يكتب بالطلاسم كتابة غير مفهومة على الورق أو المعدن أو الخشب أو الأحجار، وهذا النوع لا يقدر عليه إلا كل ساحر عاتٍ شاخ أو داخ في مهنته واتصل بالشياطين حتى أصبح عبداً لها.

هذا سحر حقيقي.

وهناك سحر حقيقي من نوع آخر يكون عند أهل النفوس القوية يفعلونه مع ذوي النفوس الضعيفة من الناس، الساحر تكون شخصيته قوية مؤثرة يستعين بالقوى الشيطانية (وكما يقولون عينه تحرق الحجر)، من هذا النوع الحسد أو الاصابة بالعين، فترى أصحاب النفوس الخبيثة تنظر بعينها شيئاً ويكثر من مديحه بدون أن يقول ما شاء الله كان، فإن قدر الله إصابته أثرت فيه ولا بد فأصيب بالعين ولهذا اسمعوا إلى هذا الحديث الصحيح عند مسلم بعد أن تُصلُّوا على . (يقول: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر سبقته العين» (١٧١٩/٤) ﷺ النبي

هذا الحديث الصحيح يدل على أن همة العائن وقوة نفسه جعلها الله سبباً للتأثير في المصاب بالعين، فالله يجري الضرر عند تحديد أو تسديد النظر.

آية أخرى: آية أخرى تشير إلى هذا المعنى في سورة القلم اسمعوها نقرؤها ولا نفهم معناها ﴿

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ القلم: ٥١

يقول ابن كثير: في هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله تعالى

ولماذا نبعد كثيراً في الكلام وأمامنا آية يحفظها كل واحد منا هي قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥ ﴾ الفلق: ١ - ٥

ولا يستبعد كما قال ابن القيم بأنه يوجد في عين الحاسد شرر غير مرئي يقع على المحسود فيحصل له الضرر، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا مكابر، وهو أصل الإصابة بالعين، وكفى بالله معيذاً في الالتجاء إليه من عين الحاسد إذا حسد.

معشر السادة:

الذي ألجأنا إلى الحديث عن السحر هو الحديث عن الجن، يجب أن نعلم أن كفر الجن أو الشياطين هم أعوان السحرة، والشياطين لا تعاون إلا الأشرار الذين يُشَبِّهُوهُمْ في الخبائث والنجاسة قولاً وفعلاً واعتقاداً، والقرآن أشار إلى هذا المعنى بوضوح تام اسمع إلى قوله تعالى على موجات سورة الشعراء:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ٣٣ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٣٤ ﴾ الشعراء: ٢٢١ -

٢٢٢

وعندما تنزل الشياطين تتصور في عدة صور تتصور بالإنسان والبهائم والحيات والعقارب، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير، وربما في صور الطيور، فلا يرون على خلقتهم الأصلية، فإذا تشكلوا في الصور المختلفة ظهروا وعرفوا ويتميزون بسرعة الحركة والقدرة على الأعمال الشاقة.

اسمع إلى قول مولانا عز وجل يقول ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٣٩ ﴾ النمل: ٣٩

فالشياطين بإذن الله يؤثرون في بني آدم، فيدخل الشيطان في بدن الإنسان فيصرعه أو يؤثر

في عقله وإيكم هذه القضية التي صرح بها القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ٣٦ ﴾ الزخرف: ٣٦ ولهذا نرى السحرة يستعينون بالشياطين للأمراض والإسقام كما يستطيع أن يحمل الساحر ويرفعه في الهواء. كما يستطيع الجن

معالجة بعض الأمراض كما يعالجها البشر كمعالجة الصمم أو الصلع أو أمراض القلوب والأمعاء. لكن انتبهوا مهما بلغت قوة الشياطين فلا تستطيع الشياطين تغيير حقائق الأشياء كإحياء الموتى وانطاق العجماء وتحويل الإنسان حماراً والجمار إنساناً.

فالشیطان لا يستطيع الإتيان بمثل معجزات الأنبياء، فلا يستطيع شق القمر ولا فلق البحر ولا إخراج ناقة من صخر فالشياطين أقل وأذل من أن يستطيعوا مثل هذا، وهذا هو الفرق بين المعجزة والسحر .

ويمكن للشياطين أن تخبر السحرة بالعلوم والأخبار الحاضرة أو الماضية مما يخفى خبره على الإنسان.

والأسود القيسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانهم على قتله. امرأة عرفت أنه كافر فقتلوه، وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يفعل له ذلك.

فإذا أراد الساحر الخبيث تنفيذ سحره نفث في العقد حتى ينعقد ما يريد من السحر ، ويردد أسماء المسحورين فيضرون بإذن الله، ولهذا قال مولانا ومن شر النفاثات في العقد. والنفث يراد به النفخ مع ريق، وهو أدنى من التفل.

والنافث في العقد الذي يستعين بالشياطين في إنفاذ قصده لا تحقق له الشياطين طلبه ما لم يستجيب لمطالبهم بالسجود للشياطين والشرك بالله.

والنفث في العقد له تأثير بإذن الله، لذا وَجَّهْنَا الْقُرْآنَ إِلَى الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وهذا النوع من السحر هو ما سحر به لبيد بن الأعصم سيدنا رسول الله، وهو المستعاذ منه في سورة الفلق، وهذا من أخطر أنواع السحر والاستعاذة منه دليل على ضرره.

وإليك رواية البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: كان رسول الله سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه: أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً. قال: وفيه؟ قال في مشط

ومشاطه (مشط وشعر، المشاطه الشعر الذي يسقط من المشط عند تسريح الشعر). قال: وأين ؟ قال: في جفّ طلعه دُكَّر (وعاء النخل الغشاء الذي يكون عليه). تحت راعوفة (صخرة أسفل البئر) في بئر ذروان (بئر في المدينة). قال: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء (أحمر كلون الحناء). وكأن نخلها رؤوس الشياطين قال فاستخرج. . ((أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً: ﷺ فقلت: أفلا تنشّرت؟ فقال

:أيها الإخوة

.فما هو تأثير السحر ؟ هل هناك أدلة نقلية تثبت تأثيره ؟

.ما هي الطرق لإبطاله ؟

أعلق هذه الأسئلة إلى الحلقة القادمة إن شاء الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

**تأثير السحر
التداوي منه**

■ ٩٥ ■

الحمد لله الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومنزل الكتاب في حوادث مختلفة الأسباب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى

مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) الإسراء: ١٠٦

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل الله عليه قرآناً عظيماً وذكرًا حكيمًا، وحبلاً ممدوداً، وعهداً معهوداً، دحض به حجج المبطلين وردّ به كيد الكائدين وأيد به الإسلام والدين، فلمع منهاجه، وثقب سراحه، وشملت بركته، ولمعت حكمته على خاتم الرسالة، والصادح بالدلالة، ﷺ الهادي للأمة، الكاشف للغمّة، الناطق بالحكمة، المبعوث بالرحمة سيدنا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا وليكن المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

: أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول حقيقة السحر، واستعانة السحرة بالشياطين وقلت لكم إن السحر الذي يحصل للمسحور إنما هو بفعلهم، فالشيطان يتولى الإضرار بمن يريد الساحر ضرره، أو يجهز الساحر أدوية أو تائم يحصل بها الضرر في بدن المسحور بإذن الله تعالى.

وكنت قد علقت معكم سؤالين هامين لأختتم بهما هذه القضية الإيمانية في هذا اليوم هل هناك أدلة قاطعة على تأثير السحر؟

.وكيف يكون التداوي منه ؟

إننا -معشر السادة- مع الحلقة الخامسة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

خير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢)

:أيها الإخوة

يخبرنا مولانا عز وجل أن الشياطين كانت تعلم الناس السحر ببابل من أرض العراق، وأنه أنزل الملكين هاروت وماروت يعلمان الناس السحر أيضاً ليبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنة أي ابتلاء ابتلينا به فلا تكفر

ولهذا لا يجترئ على السحر إلا كافر، يقول ابن كثير الدمشقي في تفسير قوله تعالى فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ أي فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به من الأفاعيل المذمومة، حتى إن سحرهم بلغ قوته أنهم ليفرقون بين الزوجين على ما بينهما من الخلطة والائتلاف، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو كذا وكذا، فيقول إبليس: والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقربه ويدنيه (ويلتزمه ويقول نعم أنت)» (٢١٦٧/٤)

:أيها السادة

الآية التي صدرت بها حديثي إليكم تدل دلالة قاطعة على أن السحر شيء موجود، شيء حقيقي يكون سبباً للتفريق بين الرجل وامرأته

. وهذا كله بإذن من؟ بإذن الله

وتعالوا نستعرض معاً الدليل الثاني في إثبات السحر إنه قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ ١ ﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥ ﴾ الفلق: ١ - ٥

وفي سبب نزولها أن الملكين أخبراه أن يستخرج السحر من هذه السورة نزلت حين سحر
بئر، فوجد تمثالاً من شمع هو تمثال رسول الله وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر (حبل) فيه إحدى
عشرة عقدة فنزل سيدنا جبريل بالمعوذتين فكان رسول الله كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع
إبرة وجد لها ألماً ثم وجد بعدها راحة¹ وفي رواية سألته السيدة عائشة أن يحرق السحر

الذي هو أفضل الخلق، ولو لم يزل هذا من أكبر الأدلة على تأثير السحر، فهو أثر بسيدنا محمد
يكن للسحر تأثير لكان أولى الخلق بعدم حصول هذا.

التأثير فيه هو سيدنا رسول الله لكمال إيمانه، لكن حصول تأثير السحر عليه دليل على أن
تأثيره في غير الرسول أولى لضعف إيمانهم مقارنة به، وأصدق دليل على تأثير السحر فيه قوله
: ((قد عافاني الله وشفاني)) ولي هنا معكم وقفة عقائدية ((

علينا أن نعتقد أن تأثير السحر على رسول الله لم يكن يتجاوز الضرر البدني، يعني هو
بالسم، أما أن يكون السحر قد أثر على الشريعة كمرض عادي يصيب البشر مثل إصابته
والعقل والقلب والروح فهذا غير ممكن، لأن الله صانه وحفظه بحفظ الشريعة المطهرة، وإليكم ما
، وأما ما قاله في هذا الخصوص القاضي عياض: ((السحر مرض من الأمراض يجوز عليه
ورد أنه كان يتخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء
)). (من تبليغه أو شريعته أو صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا

وأما الدليل الثالث فهو من القرآن أيضاً فعلى موجات سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠

﴿الأعراف: ١٠٩ - ١١٠﴾

وعلى موجات سورة طه قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ طه: ٦٣

إن فرعون اتهم سيدنا موسى وهارون بأن ما جاء به هو السحر وليس معجزة، وهذا اعتراف منه وقومه بأن السحر له تأثير بالإخراج من الديار وإبطال مثيله من السحر، ولهذا تطلب الأمر استدعاء للمهرة من السحرة ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ هود: ٧٩

:أيها الإخوة

بعد أن ثبت تأثير السحر بالأدلة المناسبة أصل بكم إلى أهم نقطة في هذه القضية الإيمانية ألا وهي علاج السحر، إذا كان السحر مرضاً من الأمراض فما هو علاجه؟ إن الاسلام شرع لنا الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى الشفاء، بشرط أن تكون هذه الأسباب مشروعة، من هذه الأدوية

الأدعية والآيات القرآنية فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورُدُّ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر.

أنه ﷺ ومن أعظم العلاجات له الرقى والتمائم القرآنية كالفاتحة والمعوذتين وفي الصحيح عنه رأى ﷺ رخص في الرقى ما لم تكن شركاً، وخاصة الرقية من العين فقد ورد عند البخاري أن النبي في بيت أم سلمة جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة أي أصابها الشيطان فأثرت هذه الإصابة بتغيير لون جزء من بشرة الوجه، بل ورد في صحيح مسلم أن سيدنا جبريل فقال: يا محمد أشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من ﷺ أتى النبي . ((شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك

للصحابي أبي دجانة، فقد جاءه أبو دجانة ﷺ ومن الرقى والأدعية رسالة كتبها سيدنا محمد وقال: بينا أنا مضطجع في فراشي إذ سمعت في داري صريراً كصيرير الرحي ودويّاً كدوي النحل ولمعاً كلمع البرق فرفعت رأسي فرعاً مرعوباً فإذا أنا بظل أسود مدلى يعلو ويطول في صحن داري فأهويت إليه فمسست جلده فإذا جلده كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار فظننت أنه

عامر دار سوء يأبأ دجانة (جني كافر) ثم قال: ايتوني بدواة: ﷺ قد أحرقني، فقال رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم: «وقرطاس، فأتي بهما فناوله علي بن أبي طالب وقال اكتب

هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين إلا طارقاً يطرق بخير يارحمنا أما بعد

فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن تكن عاشقاً مولعاً أو فاجراً مقتحمماً أو راعياً حقاً مبطلاً هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما كنتم تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون. تغلبون ، حم لا تنصرون ، حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فسيكفيكمهم الله «وهو السميع العليم

قال أبو دجانة فحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي وبثُ ليلتي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول : يأبأ دجانة أحرقتنا واللات والعزى الكلمات، فبحق صاحبه لما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك، فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله وأخبرته بما سمعت من الجن فقال: يأبأ دجانة ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحق إنهم ليجدون ألم العذاب (إلى يوم القيامة (هب) ١)

: معشر السادة

.ومن الأدوية النافعة استخراج السحر وإبطاله وهو بمنزلة إزالة السرطان من الجسم احتجم على رأسه بقرن حين ﷺ ومن الأدوية النافعة الحجامة في الرأس ففي الحديث أن النبي .طب أي سحر

من : ﷺ ومن طرق العلاج من السحر أكل سبع تمرات من تمر المدينة فعند البخاري قال .تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر

ولا يخفى أن التحصن بالقرآن والأذكار والأدعية هو العلاج النافع في دفع أذى شياطين الجن والإنس ألم يقل مولانا في كتابه:

﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

﴿٨٢﴾ الإسراء: ٨٢

قال: «عليكم بالشفاءين ﷺ ولهذا ورد عند ابن ماجه والحاكم ووافقه الذهبي أن رسول الله
«العسل والقرآن».

«الحبة السوداء شفاء من كل ﷺ ومن الأدوية النافعة حبة البركة فعند البخاري ومسلم قال
داء إلا السام» (الموت)

ومن الأدوية قراءة سورة البقرة وسورة والشمس وضحاها، بل كل القرآن يمكن للعبد أن
يتداوى به ففي الحديث «خذ من القرآن ما شئت لما شئت». وفي الحديث «يس لما قرئت
«له

: لكنني في نهاية المطاف أجيب عن سؤال هام، عرضه بعض الإخوة الكرام
هل يجوز علاج السحر بمثله؟ أو بما هو حرام مثلاً ؟
قال جمهور العلماء في الإجابة عن هذا السؤال: إنه يحرم علاج السحر بالسحر، لأن
السحر كفر فلا يعالج كفر بكفر، ولا يزال الضرر بضرر مثله.
وأما مذهب الشافعية ﷺ فقد أجازوا إزالة السحر بالسحر، وتوقف الحنابلة في هذا القضية
(وإن كانوا إلى الجواز أميل. ١)

أيها الإخوة:

علينا أن نعتقد أن تأثير السحر بإذن الله تعالى وأنه لا يزيله إلا الله تعالى فهو الذي يجب
المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

هذه هي عقيدتنا ، فالله هو الضار النافع ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴾ النحل: ٤٠

. هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

مقدمة بين يدي الإيمان بالكتب السماوية - ٩٦ -

الحمد لله الذي سما عن شوائب النقص وسماته، وتحلى بصفات الكمال اللائقة بذاته، سبحانه وتعالى دلت الأكوان على وجود آياته، وظهرت بجلال جماله وتجلياته، فهو الأول والآخر القديم الباقي وما سواه هالك، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أجدها في يوم تشخص فيه الأبصار
وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المصطفى من خيار الأخيار، نبي شق له القمر وسبح
بكفه الحجر وجاءت لدعوته الأشجار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ ورضي الله تعالى عن أصحابه أبي بكر الصديق
ورفيقه بالغار، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي نزه الحق عما يقول الكفار وخصَّ اللهم
عثمان بن عفان شهيد الدار، وأجعل أفضل رضاك وأتمه على مهلك الكفار، بالصارم البتار،
ذي الفقار جدي سيدنا علي بن أبي طالب سيد الأصهار، وابن عم نبيك المختار، وعلى
الستة الباقين من العشرة الكرام الأخيار، وعن عمي نبيك الحمزة والعباس اللذين ببركتهم هطل
الغيث المدرار، وعن جدي أبي مُحَمَّدٍ الحسن وجدي أبي عبد الله الحسين اللذين كانا من أهل
التقوى والاستغفار، وعن سائر الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، ما تعاقبت الشهور
والسنون بأدوار، عدد ما ناح طائر وترنم في الأسحار، وسلم تسليمًا.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

نحن اليوم كنا ومازلنا نعيش في بحوحة من الكرم الإلهي فقد دخلنا اليوم في السنة الرابعة من
ملف العقيدة، فينبغي علينا أن نحمد الله.

فيارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

إن مولانا أكرمنا فتناولنا في علم التوحيد الإلهيات ثم النبويات، وهانحن قد دخلنا في باب
السمعيات، فتناولنا منه باب الإيمان بالملائكة الكرام، وهانحن اليوم ندخل على الركن الإيمان
الرابع وهو الإيمان بالكتب السماوية، إننا لازلنا نسير الهوينا مع منظومة الشرنوبي ونحن في البيت
الثاني والعشرين وهو قوله:

ويجب الإيمان بالذي ورد عنه من المولى المهيمن الصمد

وقد روى الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب «أن جبريل أتى النبي ﷺ فسأله عن الإيمان فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (م: الإيمان ١).

إننا باختصار مع الحلقة السادسة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل: أعوذ بالله من

الشیطان الرجيم

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا وَإِسْمَاعِيلَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا ﴾ (١١٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ النساء: ١٦٣ - ١٦٥ أيها الإخوة:

الكتاب هنا هو ما يحتوي على شريعة الله وأوامره وكلامه وهديه ونهيه وعده ووعيده، وهي كلام الله حقيقة بدت منه بلا كيفية قولاً وأنزلها وحياً إما مكتوبة في الألواح، أو مسموعة من وراء حجاب، أو من ملك مشاهد أنزله على نبي رسول ليبلغها إلى الناس بأي لغة من اللغات، يحدد لهم ما كلفهم به من حلال وحرام وعبادات ومناسك.

فالكتاب هو دستور الأمة ترجع إليه في عقائدها وأحكامها ومحرماتها وفضائلها، يرجع إليه علماء الأمة لاستنباط الأحكام الشرعية لأقوامهم وأمتهم، وخاصة بعد مضي الرسل إلى الله عز وجل، عندها يبقى كتاب الله حكماً عدلاً ناطقاً بشريعة الله، يأمر وينهى، يعظ ويرشد، ويبشر وينذر، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، واسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه القضية الإيمانية فيقول:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣

وهكذا -أيها الإخوة- اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يرسل إلى الناس رسلاً كلما ضل العباد عن عقيدة التوحيد وحادوا على جادة الحق فيحتاجون إلى بعثة رسول جديد ونزول كتاب سماوي صحيح، لاعادة العقيدة والاستقامة على الشريعة وإقامة العدل في حياة الناس من جديد، ولهذا اسمع إلى مولانا عز وجل يقول لنا:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣

أسمعتم -أيها الإخوة- إن الله أنزل مع كل رسول كتاباً يهدي إلى الحق ليكون هذا الكتاب السماوي هو الحاكم بين الناس فيما يختلفون فيه، وليس فوق حكم الله حكم، وليس فوق عدل الله عدل، وإليكم قول إمام التوحيد في زمانه الإمام الرازي يقول في تفسيره: «ظاهر الآية السابقة يدل على أنه لا نبي إلا معه كتاب منزل، فيه بيان الحق طال ذلك الكتاب أم قصر، ودون ذلك الكتاب أم لم يدون، وكان ذلك الكتاب معجزاً أو لم يكن كذلك...».

إخوة الإيمان:

أول قضية إيمانية تعترضنا تقول: إن جميع الكتب والصحف الربانية تشترك في قضايا متعددة:

تشترك - أولاً- في أصول العقيدة وأركانها الستة.

٢- وتشترك في الدعوة إلى التخلق بالأخلاق والآداب الإنسانية الكريمة والبعد عن التخلق بالأخلاق الذميمة الفاسدة.

ولا تختلف هذه الكتب إلا في الأحكام التكليفية والتشريعات العملية التي تناسب كل زمان ومكان.

والسؤال الذي يجب أن يسأل اليوم: ما هو الواجب علينا تجاه عقيدة الكتب السماوية؟

الواجب علينا أن نعتقد ونجزم أن الله أنزل على أنبيائه ورسله كتباً بدون معرفة تفصيلها، وهذا ما يسمى بالإيمان الإجمالي، فنحن أمام إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي، الإيمان الإجمالي : أن نؤمن ونسلم تسليماً مطلقاً بوجود كتب وصحف سماوية.

وهذه القضية الإجمالية صرحت بها الآيات القرآنية فعلى موجات سورة البقرة:

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ٢٨٥

وأما الإيمان التفصيلي: بهذه الكتب فهي التي ذكرها مولانا في كتابه الكريم على اختلاف صورها وأشكالها، فقد اختلفت الصور التي أنزل الله بها هديه على رسله، حسبما وصف لنا في القرآن الكريم، إذ أنه وصف لنا ما أنزله على سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى بـ الصحف ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ﴿ الأعلى: ١٨ - ١٩ .

وكنلك أطلق مولانا لفظ الصحف على القرآن الكريم فقال عز وجل ﴿ رُسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَنْلُؤْنَ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ﴿ البينة: ٢

هذه الكتب وتلك الصحف لا يوجد حديث صحيح يعول عليه في معرفتها، لكن أثراً ورواية عن سيدنا أبي ذر الغفاري يرفع حديثاً للحبيب الأعظم سألته: يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى قال ﷺ: مئة صحيفة وأربعة كتب، أنزل الله على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

وكلها نزل في شهر رمضان المبارك، ففي تفسير ابن كثير في قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة: ١٨٥

يذكر حديثاً سنده إلى سيدنا رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول يوم من رمضان، والتوراة لستِ حَلُونُ منه، والانجيل في الثاني عشر، والزبور في الثالث عشر أو في الثامن عشر، والقرآن في الرابع والعشرين».

وقد أنزلت الصحف والكتب السابقة جملة واحدة على الرسل الكرام أما القرآن فقد نزل كله في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفصلاً حسب الوقائع والأحوال. والقرآن هو الكلمة الأخيرة في الكتب السماوية أنزله الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ فكما أن رسول الله ختم الله به الأنبياء والمرسلين كذلك جعل القرآن آخر الكتب السماوية وخاتمها.

والذي يجب أن نعتقده أن القرآن الكريم ناسخ للكتب أي أن الأحكام الواردة في القرآن ناسخة لما يعارضها في الكتب السابقة، انعقد إجماع الأمة الإسلامية عليه، لأنها لو لم تكن ناسخة لها لجاز العمل بها، والعمل بها غير جائز لمخالفتها لما جاء في القرآن، فثبت أن القرآن ناسخ لها اسمع إلى مولانا يقول في عليائه:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩

ويقول أيضاً: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) آل عمران: ٨٥

واسمع إلى مولانا عز وجل يقول على موجات سورة المائدة مخاطباً حبيبه ونبيه سيدنا محمداً ﷺ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨

ورحم الله من قال :

ونسخه لشرع غيره وقع حتماً أذل الله من له منع

ولذلك تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الرسالة الخاتمة، وهذه ميزة ينفرد بها هذا الكتاب السماوي ليبقى الحجة القائمة على الناس جميعاً وفي جميع العصور إلى قيام الساعة، اسمع إلى

مولانا يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ الحجر: ٩

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حميد ﴿٤٢﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢

أيها الإخوة:

هذه القضايا الإيمانية عن القرآن العظيم عمت المجتمع الإسلامي في كل عصر، حتى صارت من العقائد المعلومة من الدين بالضرورة التي من أنكرها كفر لا محالة.

فنحن نؤمن بكل خبر تضمنه القرآن تضمناً قطعياً، ونعتقد أن منكر ذلك كافر.

وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ﴿الإسراء: ٩﴾

كانت هذه هي القضايا الإيمانية بالتفصيل وإليكم موجزها:

الكتب والصحف الربانية هي مئة وأربعة كتب.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، حمداً لا انقطاع لراتبه ولا إقلاع لسحابه، حمداً يتردد مع أنفاس الصدور ويتكرر مع لحظات العيون، حمداً يستنزل الرحمة يستكشف الغمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦)

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، قال لنا : ((تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي))

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

كرم الله تعالى بني آدم، وخلقهم في أحسن تقويم وسخر لهم ما في السموات والأرض، ولم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم سدى، وإنما أمدهم بحبل من السماء، وبين لهم طريق النور والهداية، وأنزل عليهم الوحي واصطفى منهم أنبياء ورسلاً، وأوحى إليهم الكتب والصحف والشرائع والأحكام ليهتدوا بها ويسيروا على سننها وقد اتفقت كلمة التوراة والإنجيل والقرآن على ثلاثة أمور:

الأول- الشهادة لسيدنا محمد ﷺ بأنه رسول الله.

الثاني- التنويه بأصحاب سيدنا محمد وذكر طائفة من صفاتهم.

الثالث- الحث على الجهاد في سبيل الله بالبدن والمال.

والمعروف من الكتب السماوية يبين ما ذكره القرآن الكريم على التفصيل، فما أخبرنا الله في القرآن أنه من هذه الكتب آمنا به، وقلنا بكفر من أنكروه، وما وافق القرآن من

أخبار هذه الكتب اعتقدنا أنه باقٍ على صحته وأن التحريف لم يصل إليه، وما جاء من أخبارها مخالفاً لما رواه القرآن عنها اعتقدنا أنه محرّف عن أصله، فما هي الصحف الصحيحة؟
إخوة الإيمان :

أجيب اليوم عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة السابعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الصحف الربانية مئة صحيفة: ستون صحيفة أنزلت على شيث وثلاثون على إبراهيم، وعشر على موسى قبل نزول التوراة.

لكنه لم يرد شيء ثابت بخصوص صحف سيدنا شيث إلا أن المحدث ابن عساكر يروي لنا عن كعب الأخبار أن سيدنا آدم قال لولده شيث عند وفاته:

أي بني أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى، فكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة، فلم أر في الجنة قصرًا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نخور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورقة شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره بكل ساعاتها.

ويشهد للعبارة الأخيرة من هذه الرواية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ﴾ الأحزاب: ٥٦

وأما بقية الرسل فلا يوجد نص يحدد عدد الصحف المنزلة عليهم، وإن كانت الآيات القرآنية قد ذكرت أن لكل رسول أو نبي شريعة وأنهم كانوا جميعاً يدعون إلى عبادة الله تعالى، والدخول في طاعته واسمع معي إلى البيان القرآني يوضح هذه القضية الإيمانية فعلى موجات سورة النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الزُّلُمَ﴾ النحل: ٣٦

وعلى موجات سورة فصلت: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فصلت: ١٤

وعلى موجات سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء: ٢٣
أيها السادة:

إننا مع الصفحة الثانية من ملف الكتب السماوية، أعني بها صحف سيدنا إبراهيم الخليل، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين. على موجات سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ النجم: ٣٦ - ٣٧

وعلى موجات سورة الأعلى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ الأعلى: ١٨ - ١٩
أيها الإخوة الكرام:

اسمحو لي أن استعرض لحضراتكم القضايا اليقينية الموجودة في صحف سيدنا إبراهيم وموسى على الموجات العاملة من القرآن الكريم: ففي سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (٣٦) ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ آخَرَىٰ﴾ (٣٨) ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣٩) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٤٠) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ (٤١) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ (٤٢) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ (٤٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٤٥) ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ (٤٦) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخَرَىٰ﴾ (٤٧) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [أعطى من الأموال ما يقتني ويدخر] (٤٨) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ﴾ [نجم في السماء وعبدته طائفة من العرب] (٤٩) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ (٥٠) ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ (٥١) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ﴾ (٥٢) ﴿وَالْمُؤَنَفِكَهَ أَهْوَىٰ﴾ (٥٣) ﴿فَعَشَنَهَا مَا عَشَىٰ﴾ (٥٤) النجم: ٣٦ - ٥٤

فنحن نجزم ونعتقد ونؤمن إيماناً جازماً بأن الله أنزل على سيدنا إبراهيم صحفاً منها هذه القضايا الإيمانية.

لكن رواية عن سيدنا أبي ذر الغفاري، هي لا تعدو أنها رواية يذكر لنا فيها أنه سأل سيدنا رسول الله ﷺ ما كانت صحف إبراهيم، قال: كانت أمثالاً كلَّها. ثم ذكر بعض هذه الأمثال أقرؤها على حضراتكم للعبرة والعظة، اسمعوها:

أيها الملك المسلَّط (صاحب السلطان النافذ) المبتلى (المختبر بالحكم) المغرور (الناسي حقوق الله والذي أصابته الغفلة) ما هو جواب هذا النداء اسمعوه:

أيها الملك المسلَّط المبتلى المغرور: إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

وهذا الكلام له شاهد من الحديث النبوي الشريف : ((اتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب)) ورحمة الله على من قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

أيها الملك الذي سلطتك على رقاب الناس وامتحنتك واختبرتكَ بهذا الملك، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض وتكسب الأموال في البنوك السرية وغيرها، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

((على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: فساعةٌ يناجي فيها ربه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب هذه ست ساعات)).

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً (مقيماً) إلا لثلاث تزود لمعاد (عمل الآخرة) أو لمعاش أو لذة في غير مُحَرَّم.

وإليكم هذا المثال المضروب في صحف إبراهيم هذا المثال الذي يوزن بميزان الذهب فيرجح عليه:

على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه (يفيده).

هذه هي الأمثال المضروبة في صحف إبراهيم مما ورد فيها.

وحينما أنعمت النظر في كتاب مولانا وجدت بعض الوصايا، وصايا لقمان لابنه، اقتبسها لقمان (وهو ليس بنبي ولكنه كان تلميذاً لألف نبي) اقتبس لقمان هذه الوصايا مما أنزله الله في الكتب.

الأولى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنًا ۖ وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ ۖ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۝١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۖ إِلَىٰ تُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۖ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ ۖ وَأَعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١٩

﴿ لقمان: ١٣ - ١٩ ﴾

أيها الإخوة:

ولهذا فإن مولانا قال فيما أنزل على نبيه ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٢٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٢٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٢٥ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ

﴿ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦ ﴾

أي في صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى عليهم.

فما هي هذه الكتب التي نزلت عليهم ؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة
ان شاء الله تعالى .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى
لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

التوراة والزبور - ٩٨ -

الحمد لله الذي يجتبي من يشاء من عباده، ويصطفى من خلقه من شاء من أهل وداده،
رفعهم فوق الناس درجات وجعلهم من أكرم أهل بلاده.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجعلنا من خير أحبائه.
وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله سيد أنبيائه وأكرم رسله وأوليائه خير نبي اجتبه ورحمة
للعالمين أرسله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى
أصحاب سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا
المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة
لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .
أما بعد، فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة :

وقفت معكم اليوم لأضع معكم النقاط على الحروف بعد أن قامت امة المكر والخديعة بجرمة
تحريف الكلم عن مواضعه في كتابها المقدس عمداً وعدواناً، حرّفت التوراة على مدى القرون
المتطاولة، وهامي طائفة منهم ترفع أمرها إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ في رجل زنى
منهم، جاؤوا إليه يستفتونه في حكم الزاني المحسن، ظانين أن عقوبة الزاني المحسن في شريعة
سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ أخف من عقوبته في التوراة، فنشدهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدونه
في التوراة على من زنى إذا أحسن؟ فأجابوه: بالجلد والتعزير، فنشدهم رسول الله ثانية فقام شاب
من أحبارهم ظل ساكناً، فشدد عليه رسول الله النشدة فقال الشاب: اللهم إذ نشدتنا فلنا نجد
في التوراة الرجم فقال رسول الله ﷺ: فإني أحكم بما في التوراة فأمر بهما فرجما، فأنزل مولانا عز
وجل على نبيه الكريم قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى
وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا
أَسْتَخْفُوا مِنَ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

﴿٤٤﴾ المائدة: ٤٣ - ٤٤

إننا اليوم مع الحلقة الثامنة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة الكرام:

انتقل سيدنا موسى إلى جوار ربه ومضت مدة طويلة على وفاته فقام أحبار اليهود فجمعوا التوراة، فاجتمع منها ثلاث نسخ تختلف كل نسخة عن الأخرى، فيها التوراة وتتضمن على الأرجح الصحف التي أنزلت عليه والألواح التي جاء بها بعد مناجاته لربه في جانب الطور. تلك الصحف التي ورد منها عند ابن حبان حديث رواه الصحابي أبو ذر رضي الله عنه حين سأل سيدنا رسول الله ﷺ قائلاً: ما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً لكلها (عظات) منها:

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل.

فما هو معنى لفظ التوراة؟

إن التوراة لفظ عبراني معناه: التعليم أو الشريعة، وهو أول كتاب ذكر في كتاب الله صراحة بعد صحف الخليل إبراهيم، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يخاطب نبيه على موجات سورة آل عمران: ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ

اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ آل عمران: ١ - ٤

أيها السادة:

إننا في قضيتنا الرئيسة وهي الكتاب المقدس عند اليهود، والمسمى عندهم بالعهد القديم، وقد دخل التحريف إلى التوراة من كل جانب فأنت لا تستطيع أن تميز الأصل الصحيح من المحرف لذلك لا يوثق اليوم بالتوراة الحالية، واسمعوا إلى العقيدة الحقّة في هذه القضية الإيمانية: إن كل نص من نصوص أهل الكتاب الحالية سواء كان خبراً تاريخياً أو حقيقة علمية أو حكماً شرعياً:

- ١- إن صدّقه القرآن أو صدّفته السنة فهو مقبول عندنا يقيناً.
- ٢- وإن كذبه القرآن أو كذبه السنة فهو مردود عندنا يقيناً.
- ٣- إن سكت القرآن وسكتت السنة عن تصديقه أو تكذيبه فإننا نسكت عنه فلا نصدق ولا نكذب.

وهذه القضية الأخيرة صرحت بها السنة تصريحاً واضحاً فقال ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم».

فما هو الدليل على تحريف وتبديل أهل الكتاب للتوراة. إن القرآن الكريم وصف أهل الكتاب من يهود ونصارى بأنهم حرّفوا الكلم عن مواضعه وأنهم يظهرون من كتبهم شيئاً ويخفون أشياء، فنحن في قضية التحريف بين قضيتين:

أولاً- التحريف المعنوي: ويكون بتغيير مدلولات الألفاظ وترجمتها إلى ما يوافق تحريفهم.

ثانياً- التحريف اللفظي: ويكون بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقصان.

وإليكم هذه القضايا كلّها يصرح بها كتاب مولانا على موجات سورة المائدة:

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) المائدة: ١٣

ولقد حرفوا عقيدتهم عقيدة التوحيد فقد قالت طائفة منهم ﴿عَزَّيْرُ بْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠ فإذا كذبوا في أصل عقيدتهم سهل عليهم الكذب فيما دون ذلك من أحكام ونصوص وأخبار، ولذلك ذمهم مولانا وتوعدهم بعذاب النار فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ

بأيديهم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة: ٧٩

وهكذا - معشر السادة - فضح القرآن الكريم اليهود وكشف تحريفهم وكذبهم على الله تعالى، وذكر بعض الأحكام التي كانت في التوراة، فعلى موجات سورة المائدة: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ المائدة: ٤٥

هذه الآية خاصة بالأحكام، فإذا أردت أن تعرف ما هو اليقيني الموجود في التوراة فارجع إلى القرآن الكريم، ذكر لنا فيه مولانا قضية الحث على الجهاد بالنفس والمال هذه القضية لم يتفرد بها الأمة الإسلامية بل أيضاً أمة اليهود والنصارى، يقول عز من قائل على موجات سورة التوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقْرَأُونَ وَيُقَرَّبُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿١١١﴾ التوبة: ١١١

وأعظم شيء موجود في التوراة هو البشارة بسيدنا محمد ﷺ وذكر بعض صفاته الشريفة، يشهد لذلك قوله تعالى على موجات سورة الأعراف: ﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

الْحَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُواهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧﴾

فهنيئاً لكم ياأمة محمد، هاقد ذكركم مولانا في الكتب المتقدمة، بل ذكر مولانا في التوراة صفة
أصحاب سيدنا محمد ﷺ، إننا لا نؤمن بما في التوراة إلا بالقدر الذي أخبرنا به رب العزة ورسوله أنه
موجود حقاً في كتابهم، لذلك اسمعوا صفات أصحاب النبي كما ذكرتها الموجات العامل من سورة

الفتح: ﴿ثُمَّ حَمَّذُ رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۚ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ ﴿٢٩﴾ الفتح: ٢٩

كيف تراهم؟ أتراهم على قارعة الطريق يلهون، أراهم في شارع الحمرا يعبثون، أتراهم على
موائد القمار يلعبون، أتراهم في الخمارات يشربون؟ {تَرَبُّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} /، كيف تعرفهم،
ما سمتهم، وما علاماتهم؟ ما أماراتهم؟ {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} . السجود،
السجود لله وحده.

من أين عرفنا هذه الصفات عنهم؟ في أي كتاب عظيم صُدِّرت؟ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

التَّوْرَةِ ﴿الفتح: ٢٩﴾

هذا هو فضل أصحاب سيدنا محمد ﷺ.

فهنيئاً لنا أمة الإسلام بأصحاب سيدنا محمد ﷺ

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركناً غير منهدم

هذا هو ما في التوراة حقيقة، وقد جمع اليهود إلى كتبهم كتاباً آخر سموه بالعهد القديم، وفي

العهد القديم يوجد زبور سيدنا داود الذي قال فيه مولانا ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿١١٣﴾

﴿النساء: ١٦٣﴾

هذه الآية نص صريح أن الله أنزل على نبيه داود كتاباً سماوياً اسمه الزبور ((أي المكتوب))
أنزله بعد التوراة، وقد ذكر الإمام الصاوي على الجلالين في تفسيره أنه مئة وخمسون سورة ليس
فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ.

وذكر الإمام ابن كثير الدمشقي في تفسيره أن من جملة ما فيه : ((من رد لي آبقاً (هارباً من طاعتي) سميت جهبذاً، ومن سميت جهبذاً لا أعذبه في النار أبداً)) وهذا معنى قول نبينا ﷺ: لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم، أو خير لك مما طلعت عليه الشمس». أيها الإخوة:

ومما هو موجود يقيناً بالزبور آية ذكرها مولانا على موجات سورة الأنبياء، اسمعوها ففيها بشارة عظيمة لكم: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١٠٥) الأنبياء:

فأبشروا بأمة محمد ﷺ فأنتم ورثة هذه الأرض، أنتم الصالحون الذين ذكرهم مولانا في كتابه، لأن الإسلام هو الرسالة الخاتمة للشرائع الإلهية، فلنبق معاً على العهد على عقيدة التوحيد .

واسمعوا إلى البشارة من سيدنا محمد ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها)) وهم بالشام فهنيئاً لكم يا أهل الشام هنيئاً لكم سيدنا محمد ﷺ، وهنيئاً لكم عقيدة التوحيد، فمن كان من أمة التوحيد فليبق هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الإنجيل الرباني - ٩٩ -

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصّل الكتاب فاتح أبواب الصواب، ومانح أسباب الثواب،
أحمدته وهباته تنزل بغير حساب، وأعبدته وإليه المرجع والمآب، وأرجوه وأخافه فبيده الثواب
والعقاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقدمات دلائلها مبينة الأسباب ونتيجة
اعتقادها جنة مفتحة الأبواب.

وأشهد أن سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله أرسله وقد طال زمن الفترة، وحرّفت الشرائع والآداب،
وبعد عهد النبوة فزال الحق وانجاب، فمنازل الهدى خراب، ومعاهده لا تعتاد ولا تتتاب، وللناس
بالشهوات والشبهات إعجاب حتى أفرد النظر بالدنيا وادعي تعدد الأرباب، فاختار الله سيدنا
مُحمّداً ٢ من أشرف الأنساب وخيرة الأحساب، نذيراً بين يدي العذاب وبشيراً لمن أطاع الحق
وأجاب.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحمّداً وعلى
أصحاب سيدنا مُحمّداً وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا
المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة
لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

استغرق الشعب اليهودي في المادية وانحرف عن شريعة موسى بعد أن طال عليه الأمد،
فقست قلوبهم وحرّفوا شريعة الله وتلاعبوا بنصوص التوراة وانحرفوا عن طريق التوحيد الذي أقامهم
عليه نبيهم فأرسل الله تعالى سيدنا عيسى بشريعة جديدة روحية لم تخرج عن نطاق شريعة موسى
إلا ببعض التشريعات المعدلة التي جاءت تخفيفاً على بني إسرائيل، وأهم خصائص رسالته أنه

أرسل إلى اليهود، وبهذا جاءت الآيات القرآنية فعلى موجات سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ

بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ آل عمران: ٤٩ وعلى موجات سورة الأحقاف: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ

مُوسَىٰ

إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ هود: ١٧

فشريعة التوراة هي الأصل باعتبارها أساساً للتعامل في الديانات التي خص الله بها شعب بني إسرائيل، واسمع معي إلى هذه القضية بينها السيد المسيح على الإذاعة القرآنية وهو يقول: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ آل عمران: ٥٠ - ٥١

ولكن المشكلة التي وقعت فيها النصرانية هي انفصالها عن اليهودية الأم وتركها شريعة التوراة واستقلالها بديانة جديدة، عندها وجدت النصرانية نفسها بغير شريعة، فراح رجال الدين يشرعون لهم ما لم يأذن به الله، فلما عجزت المسيحية عن أن تكون نظاماً شاملاً للحياة البشرية اضطر أهلها إلى الفصل بين الدين والدولة.

كان هذا هو الموجز، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة التاسعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هذا هو دين الله، إنه التوحيد الذي توالى رسل الله جميعاً يدعون الناس إلى هذه الحقيقة الخالدة شعارهم واحد ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: ٥٩

ورسالة السيد المسيح شأن غيرها من رسالات السماء، دعت إلى هذه الحقيقة، والله تعالى يقول على لسان السيد المسيح: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ المائدة: ١١٧ كما دعاهم إلى التسامح والتشف والزهدي الدنيا، وبشّر باليوم الآخر، ودعا اليهود إلى الاتصال بالله دون وساطة أحد من الكهنة، وهذه القضية بالذات صرحت بها الآيات القرآنية فعلى موجات سورة التوبة ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحْبَتَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة: ٣١ لكن دعوته عليه الصلاة والسلام سرعان ما تبدلت لتقوم على أنقاضها المسيحية الحاضرة التي تنكرت لحقيقة التوحيد وجاءت بعقيدة التثليث المقتبسة من الفلسفة الوثنية التي كانت سائدة آنذاك.

أيها الإخوة:

والإنجيل الذي نحن بصدد اليوم معناه: البشرى أو البشارة.

ويسمى اليوم عند النصارى بالعهد الجديد وهو أربعة أناجيل: إنجيل متى - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا - إنجيل مرقس .

كتبت كلها بعد رفع سيدنا عيسى إلى السماء، وكلها تدور حول حياة السيدة مريم وابنها السيد المسيح حسب معتقداتهم كما أن فيها الحديث عن سيدنا يحيى المسمى عندهم يوحنا المعمدان.

وليس في هذه الأناجيل من إملأ السيد المسيح شيءً وهذا بشهادة المؤرخين عندهم والنقاد الغربيين. بل إن من المقطوع به أن الإنجيل الرباني الذي أنزله الله على عبده ورسوله سيدنا عيسى غير هذه الأناجيل الموجودة اليوم لدى النصارى، فهذه الأناجيل دخل إليها التحريف والتبديل كما ذكره مولانا في كتابه والناظر في هذه الأناجيل يجد بينها اختلافاً واضحاً، ثم إن مولانا أنزل إنجيلاً واحداً فكيف أصبحت أربعة أناجيل ؟ إن هذا لشيء عجاب.

ونحن في هذه العجالة نسأل: أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم؟ إن الإنجيل الذي أنزل عليه غير موجود وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغيرهم من بعدهم لم تسلم كلها من التحريف والزيادة والحذف والمسخ.

وهكذا -معشر السادة- نجد أنه على مرّ الزمان ترك الناس تعاليم السيد المسيح وعقيدة التوحيد، وضاع الإنجيل الحقيقي، وتمسك الناس بأناجيل ألفها الرهبان حتى كثرت الأناجيل كثرة فاحشة، حتى أصبح عددها احزروا كم؟ مئة إنجيل، مما أدى إلى أن الكنسية اختارت أربعة أناجيل، أتدرون ما هذه الأناجيل. إن من هذه الأناجيل الأربعة من لم يعلم من هو مؤلفها الحقيقي كإنجيل مرقس، ومنها إنجيل لم يعلم من ترجمه من اللغة العبرية ولا أين الأصل المترجم عنه حتى تتم المقارنة بينهما كإنجيل متى، ومنها إنجيل زعمت الكنيسة أن واضعه يوحنا أحد تلامذة المسيح ولكن جمهوراً كبيراً من محققي النصارى ينكرون أنه قد ألفه ويبينون أنه تأليف طالب من القرن الثاني الميلادي وهو إنجيل يوحنا، هذه الحقيقة ذكرتها دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمئة من علماء النصارى وإليكم هذا النص منها:

«أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما القديسان يوحنا ومتى».

وإليك الطامة الكبرى في الإنجيل الرابع لوقا الذي كتب بعد عشرين سنة من رفع السيد المسيح، ولوقا هذا ليس من تلاميذ السيد المسيح اتفاقاً، ولا من تلاميذ تلاميذه، وإنما هو تلميذ بولس وما أدراك ما بولس؟ يهودي متعصب لليهودية كان يسيء إلى النصارى ويضطهدهم، فلما وجد أن هذا لا يجدي عمداً إلى طريق الحيلة، فماذا فعل؟

ادّعى هذا اليهودي أنه صرع، وفي حال صرعه لمسه السيد المسيح وزجره عن الإساءة لأتباعه، ومن ذلك الوقت آمن بالسيد المسيح، وأنه أرسله ليشر بإنجيله، وانطلت الحيلة على الكنيسة وراح يحرف في ديانتهم فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر وطامات آخر لا علاقة لها بتعاليم السيد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

هذه هي الأناجيل الأربعة وهذه هي حقيقتها، وهناك إنجيل خامس لا تعترف به الكنيسة هو إنجيل برنابا، وبرنابا هذا هو القديس الحجة عندهم باتفاقهم وهو أحد الحواريين الاثني عشر حول السيد المسيح.

أندرون -أيها الإخوة- لماذا لا تعترف الكنيسة به؟ هذه هي القضية الهامة اليوم؟ لأن في هذا الإنجيل الحياة الصحيحة للسيد المسيح المذكورة في القرآن الكريم، فقد خالف هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة بعدد من النقاط أذكرها للأهمية:

أولاًها: يثبت أن سيدنا عيسى عبد الله ورسوله وينكر ألوهيته وكونه ابن الله.

ثانيها: يثبت أن الذبيح من ولدي إبراهيم هو سيدنا إسماعيل وليس سيدنا اسحق.

ثالثها: يبشر برسالة سيدنا محمد ﷺ بالاسم الصريح.

رابعها: يثبت أن عيسى لم يصلب بل رفع إلى السماء وأن الذي صلب هو يهوذا الاسخريوطي الخائن وقع شبه سيدنا عيسى عليه.

خامسها: يثبت كثيراً من الأصول الاعتقادية المتفقة مع أصول الشرائع الربانية.

هذه هي حقيقة الحقائق التي أنكرتها الكنيسة في السيد المسيح، ولهذا جاء القرآن مؤيداً ومؤكداً لهذه الحقيقة وأن هذه الحقائق موجودة فعلاً في الكتاب السماوي الرباني الذي أنزله الله

على السيد المسيح، ففي الإنجيل الهدى والنور والتصديق بالتوراة والموعظة، هذا ذكرته الموجات الإيمانية في سورة المائدة ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦﴾ المائدة: ٤٦

وفي الإنجيل أحكام تشريعية نرى ذلك فيما قاله مولانا عز وعجل: ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٧﴾ المائدة: ٤٧

وفي الإنجيل البشارة بسيدنا محمد ﷺ وذكر بعض صفاته ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ ۖ الْأَعْرَافُ: ١٥٧﴾ وفي الإنجيل صفة أصحاب سيدنا محمد ﷺ فعلى موجات سورة الفتح ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ۚ كَزَرَٰعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّارِعَ ۚ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ﴾ الفتح: ٢٩ إن مثل أصحاب سيدنا محمد ﷺ ١ وهم حوله كزرع يبدأ صغيراً ضعيفاً فتظهر جذوره وعروقه من حوله فتحميه، فيشتد الزرع ويستغلظ فيعقب استواء الزرع على سوقه، يرى فيه الزراع عجباً عجباً لسرعة نموه وشدة قوته، وهكذا أصحاب سيدنا محمد ﷺ من حوله انتشر سلطانهم وامتد ظلهم بسرعة ملأت قلوب الباحثين في التاريخ الإنساني عجباً.

هذا هو ما نعتقه ونؤمن به ونلقى الله تعالى عليه فيما يتعلق بالإنجيل، لقد جاء سيدنا عيسى بالتوحيد، فليس في الإنجيل السماوي شرك ولا تثليث ولا أن سيدنا عيسى ابنُ الله، ولهذا رد القرآن على النصارى زورهم وضلالهم وبهتانهم في شأن السيد المسيح فقال جل ثناؤه: ﴿ يَتَّاهِلَ الْكَتَبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ^ع أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ

وَلَدٌ ﴿النساء: ١٧١﴾

جل الله أن يتخذ ولداً أو صاحبة فهو الإله المستغني عن كل ما سواه، هذه هي عقيدتنا إنما
الله إله واحد، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، ولو كره
الكافرون ولو كره الملحدين، كلنا ما جاء إلى هنا إلا ليعلم بأنه موحد.
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله وسيدنا عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه،
اللهم اقبل شهادتنا .

ولهذا وقف مرة سيدنا رسول الله ﷺ على المنبر ووجه سؤالاً إلى الصحابة الكرام سألهم: هل
فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب؟ قالوا ما فينا غريب يارسول الله. فأمرهم بغلق باب المسجد ثم
قال لهم: ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله. عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح
منه، والجنة حق والنار حق. يقول الصحابة فرفعنا أيدينا ساعة. ثم قال ﷺ: الحمد لله اللهم إنك
بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال: ألا أبشروا فإن
الله قد غفر لكم .

وأنا أنقل لكم هذه البشارة قوموا فقد غفر الله لكم.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وجوب الإيمان بالقرآن الكريم

- ١٠٠ -

الحمد لله منزل القرآن وخالق الإنسان، علمه البيان، الذي استوى على العرش وزين السماء بالكواكب وجعلها ببعثة نبينا رجوماً لكل شيطان قضى وقدّر فلا قائل لتقديره لم كان، فسبحان من سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألحان.

أحمده على نعمه التي عمت الآباء والأبناء والإخوان، وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان والجنان، وأستعينه وأشهد به فما خاب من استهداه واستعان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه واختار الله له خير الكلام القرآن، أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

أبدأ اليوم معكم الحديث عن كتاب العليم العلام ذي الجلال والإكرام، الكتاب العزيز والكتاب الحكيم الجامع لأصناف الحكمة، إنه القرآن والفرقان والهدى والبيان والتبيان والنور والبصائر، فيه العبرة لمن يخشى والعبرة لأولي البصائر والأبصار، لا يخلُق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ولا تحُد فضائله ومناقبه، ترى فيه الحجة والبرهان كأنها أمام عينيك، تراها متعاقبة على مدى العصور وتعاقب الدهور، فيه مع الإيجاز الإعجاز ومع الهدى البينات، وفيه منهج السعادة الأبدية .

فإذا بحثت عن العقائد فلقد جاءك القرآن بأقومها، وإذا بحثت عن الشرائع فلقد جاءك بأحكمها، وإذا بحثت عن الأخلاق فلقد جاءك بأكملها، وإذا بحثت عن الآداب فلقد جاءك

بأرفعها، وإذا بحثت عن القصص فقد جاءك بأحسنها، وإذا بحثت عن العلوم جاءك بأوسعها، وإذا بحثت عن العوالم جاءك بالخير عن أعلاها وأسفلها، وإذا بحثت عن معرفة نفسك جاءك بالبيان عن خصائصها وصفاتها ومقاماتها ومنازلها، وإذا بحثت عن أخبار الماضين جاءك القرآن بأصحها وأصدقها، وإذا بحثت عن الأمثال فقد جاءك بأمثلها، وإذا سألت عن العوالم الآتية

جاءك القرآن بالجواب الشافي والدليل الكافي. إنه كما قال فيه مولانا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿الأعراف: ٥٢﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿النحل: ٨٩﴾

﴿لَٰكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ

بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿النساء: ١٦٦﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ﴿الإسراء: ٩﴾

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فصلت: ٤٢﴾

إننا باختصار -معشر السادة- مع الحلقة المئة من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

بعث الله نبينا إلى العالم أجمع ومعه نور من الله يضيء للعقول طرق التفكير والتذكر والتبصر، فيه يعلمون الحق علماً جازماً، وتستنير قلوبهم فيؤمنون إيماناً صادقاً بلا شك ولا ارتياب، اسمع إلى مولانا يوضح لنا هذه القضية: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

﴿البقرة: ١٥١﴾

وأعظم منة منها الله على العرب أن أنزل كتابه قرآناً عربياً كرامة لهذه الأمة ليفهموه ويعقلوه،
فعلى موجات سورة يونس: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ يوسف: ١ - ٢

أسمعتم -أيها الإخوة- إنا أنزلناه: نحن الله أنزلنا هذا الكتاب، فلم يكن هذا القرآن من عند رسول الله ولا أخذه من كتب من قبله، بل هو تنزيل من حكيم علیم، هذه قضية يجب الإيمان بها اسمع إلى مولانا يقرر هذه الحقيقة القرآنية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَتَابَ الْمُبِطُوتِ ﴿٤٨﴾﴾ العنكبوت: ٤٨ ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْقُرْآنَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ النمل: ٦ ولهذا وبخ سبحانه العرب الذين أعرضوا عن هذا الكتاب الكريم فقال عز من قائل ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ الأنبياء: ١٠ أسمعتم -أيها المسلمون- هذا الكتاب فيه ذكركم، فيه عزكم، فيه شرفكم فيه رفعتكم أفلا تعقلون.

إنها دعوة للوقوف عند حدود هذا الكتاب وعدم تجاوز أوامره ونواهيه، لأن كل من أعرض عن القرآن سيجري فيه ما جرى لكفار مكة عندما أعرضوا عنه، نعم أعرضوا بهذا صرحت الآيات القرآنية:

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ فصلت: ٣ - ٤

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ المؤمنون: ٧٣ - ٧٤

أسمعتم أيها السادة: إن الكفار ليعلمون علم اليقين أن القرآن حق وصدق، ولكنهم بآيات الله يحدون، أنكروها بعدما عرفوا حقيقتها، وكذبوا بها بعدما عقلوها، وكانوا بها يستهزون. أيها الإخوة:

تعلوا بنا نشهد هذا المشهد العظيم، مشهد اعترفت فيه صناديد الكفر بأن القرآن حق: إذ أن الوليد بن المغيرة جاء إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن الكريم فكان الوليد رقيقاً له، فبلغ ذلك كبير الأندال أبا جهل فأتاه فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك فإنك أتيت مُجداً لتعرض لما قبلك. فقال الوليد: قد علمت قريش أي من أكثرهم مالاً.

فقال أبو جهل: فقل في القرآن قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. فقال الوليد: فماذا أقول: فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، فو الله ما يشبه الذي يقول مُجد شيئاً من هذه، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، فقال له أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

فقال الوليد لأبي جهل: فدعني حتى أفكر، ففكر ثم فكر ثم قدر فقال: هذا سحر يؤثر، أي ينقله سيدنا محمد ﷺ عن غيره.

وهنا انتصر رب العزة لنبيه وكتابه، فأرسل أمين وحي السماء يطوي السبع الطباق نزل عليه بقوله تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۖ ۝١٦ سَاءَ رُفْقَهُ بِصُعُودًا ۖ ۝١٧ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۖ ۝١٨ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۝١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ۝٢٣ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۖ ۝٢٤ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ۝٢٥ سَاءَ صَاحِبِ سَقَرٍ ۖ ۝٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۖ ۝٢٧ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ۖ ۝٢٨ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۖ ۝٢٩﴾ المدثر: ١١ - ٢٩

إنها العصبية الجاهلية التي كسر شوكتها الإسلام، كان كفار مكة يقولون إن القرآن شعر أو حديث مفترى أو أساطير الأولين أو كانوا يقولون: إنما يعلمه بشر، أرأيتم مثل هذا التناقض في أقوالهم، وهذا أكبر دليل على كذبهم، وكان رسول الله يتضايق من كذبهم وافترائهم على القرآن، ولها طيب الله خاطر حبيبهم. ﴿فَدَعَلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ۖ﴾ الأنعام: ٣٣ سيندمون غداً، كل

المكذبين للقرآن، كل الظلمة والمتجبرين وأهل الكفر والضلال سيندمون غداً ولات ساعة مندم، لأنهم اتخذوا القرآن ظهيراً، جعلوه خلف ظهورهم ونبذوه وراءهم، ولقد حدثنا القرآن عن ندمهم غداً وهم بين أطباق النيران يعذبون إنه لمشهد رهيب سطرته الاذاعة القرآنية على موجات سورة تبارك: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴿الملك: ٨﴾

١١ -

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ النساء: ١٧٤

هذا هو النداء الذي وجهه القائد الأعلى للأمة، وجهه لجميع عقلاء العالم، فمنهم من أجاب ونجى، ومنهم من أعرض وهلك، وأما أكثم بن صيفي فقد أرسل ولديه إلى سيدنا رسول الله ﷺ ليستفسر عن هذه الدعوة.

أيها الإخوة:

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى سيد العالمين وقائد الغر المحجلين، إلى النبي الأمي الذي علم المتعلمين، تعالوا بنا إلى النبي الأمين لأشهد معكم هذه القضية الإيمانية، فإن ولدا أكثم بن صيفي قدما على الحبيب الأعظم وسألاه ثلاثة أسئلة: من أنت؟ وما أنت؟ وبم جئت به؟.

وهنا قال سيدنا رسول الله ﷺ: أما من أنا: فأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب [أي أنا المعروف في شرف نسبه وحسبه فوق كل نسب وحسب].

وأما ما أنا: فأنا عبد الله ورسوله، جئتكم بقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) ﴿النحل: ٩٠﴾

فلما رجعا إلى أبيهما وأبلغاه الأجوبة الثلاثة، وقرأ عليه تلك الآية الكريمة الجامعة فقال لمن حوله: يابني إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمتها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناً.

هذه النصيحة الغالية، من أراد أن يكون زعيماً أو رئيساً أو قائداً فليتمسك بكتاب الله تعالى، من أراد عزاً فليتبع القرآن، إن كنت تريد عزاً فهو في كلام الله فله العزة جميعاً، وهو رب العزة، وإن كنت تجل كلام العظماء والكبراء فلا أعظم ولا أجل ولا أكبر من الله تعالى الذي له الكبرياء.

اجعل بربك كل عزك يستقر ويشبث
فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت
هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الشرعية في العبادات

- ١٠١ -

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعناية الربانية فقَصّر آمالها.

أحمدّه سبحانه وتعالى حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله والجاهلية تشرع ضلالها، فلم يزل ﷺ يكثر جدالها ويضيق مجالها ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

القرآن دستور المسلمين، وهو الأصل الأول لشرعية الإسلام وقد قامت الحجة القاطعة عند من نظر في القرآن وعرف أسلوبه وتدبر معناه ثم أحاط بنشأة سيدنا محمد ﷺ والبيئة التي نبت منها وتقلب فيها، (من عرف ذلك علم) أنه لا يمكن أن يكون من صنع سيدنا محمد ﷺ ولا من صنع بشر تلقاه عنه، وبذلك آمن من خضع قلبه للحق بأنه من الله أوحاه إلى نبيه ومصطفاه، ولهذا كان القرآن عندنا (عند من آمنوا به) مصدرًا لعقائد الدين ولأصول أحكامه وشرائعه.

وقد سجل الله تعالى في كتابه القرآن عجز البشر عن الإتيان بمثله وجابه المعرضين عنه بالعجز الدائم المستمر، فقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ البقرة: ٢٣ -

٢٤

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: ٨٨

أيها الإخوة:

هذا هو التحدي، ومن هنا تكمن قضية الإعجاز القرآني، ومن هذا القرآن عرفنا أن الإسلام له شعبتان أساسيتان، لا توجد حقيقته ولا يتحقق معناه إلا إذا جعل الإنسان قلبه وحياته مطبقاً لهاتين الشعبتين: إنهما العقيدة والشرعة.

أما العقيدة فقد أجمع المسلمون عليها وتم تقريرها من يوم أن فتحنا ملف العقيدة، وكانت أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ وبقي طيلة حياته الشريفة يدعو إليها.

وأما الشرعة فهي المنهج الحياتي للمسلم، إنها النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه، نرى ذلك في خمس نقاط أذكرها لكم :

الأولى: نراها في علاقة العبد بربه عز وجل يؤدي فيها العبد الواجبات الدينية والصوم.
الثانية: علاقته بأخيه المسلم يتبادل معه المحبة والتناصر والتعاون في حياته الخاصة والعامة وتكوين الأسرة.

الثالثة: علاقته بأخيه الإنسان فيتعاون معه في تقدم الحياة العامة والسلم العام.
الرابعة: علاقته بالكون نرى ذلك في حرية البحث والنظر والرأي والفكر.
الخامسة: علاقته بالحياة نراها بالتمتع بلذات الحياة من الحلال دون إسراف أو تقتشف.
هذه منهجية القرآن إنه شرع مستقيم لجميع جوانب حياتنا، وقد عبر القرآن عن العقيدة: بالإيمان، وعن الشرعة بالعمل الصالح اسمع إلى مولانا عز وجل يقول على الموجات العاملة من سورة الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ ﴿١٠٧﴾ الكهف: ١٠٧

أسمعتهم: آمنوا وعملوا، فالعقيدة هي الأصل الذي تبنى عليه الشرعة، والشرع تبع، وعليه فمن آمن بالعقيدة وجحد الشرعة، أو أخذ بالشرعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلماً عند الله ولا عند الناس.

فنحن اليوم -معشر السادة- نقف وقفنا مع الشرعة إننا باختصار مع الحلقة الأولى بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

أبدأ معكم اليوم سلسلة ممتدة أحل معكم آية واحدة من القرآن، إنها شعار القرآن، بل وحيمة المسلم الحق هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

عليك أيها المسلم أن تحفظ هذه الآية وتعيها وتفهم مدلولها لأنها الدستور الأعظم في البيت والمدرسة، في العمل والثكنة في الشارع والمسجد، نعم في المسجد أيضاً لأن القرآن دستور الأمة في العبادات، ولهذا بدأ الله كتابه الكريم بعد سورة الفاتحة بآيات تتضمن الحياة العملية للمسلم الحق اسمعها وغذ بها روحك: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُؤْتُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢ - ٣]

إنها الصلاة والزكاة، الصلاة عنوان شخصية المسلم فهي الدليل على صدق العبد مع ربه، ويستحق بها أن يكون أخاً للمؤمنين هكنا قرر الكتب للبين: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخِوْهُمْ فِي الدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١]

إنه لشرف عظيم أن أقف بين يدي مولانا عز وجل، ولهذا كان للصلاة أثرها في تهذيب النفوس، وأنها تقي الفاحشة والمنكر، وتطهر من غرائز الشر وصدق الله العظيم ﴿أَتْلُ مَا

أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المؤمن: ٢٢] ﴿لَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩]

٢٣ -

فتعالوا لنرى كيف صور القرآن الوجه الآخر والصورة المقابلة.

إن القرآن جعل ترك الصلاة عنواناً للانغماس في الشهوات وسبيل الوقوع في الغي والضلال بل سبباً من أسباب الخلود في النار، اسمع إلى مولانا يقرر هذه الحقيقة فيقول: ﴿ خَلَفَ مِنْ

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ مريم: ٥٩

واسمعه يبين ذلك بوضوح وتفصيل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾

وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا تُكَذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّى

أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ المدثر: ٣٨ - ٤٧

إنها جرائم متعددة وكبائر عظيمة من بينها ترك الصلاة، ولهذا قال العلماء إن تارك الصلاة

مكذب بيوم الدين، من يغفل عن الصلاة مكذب بيوم الدين، نعم والدليل: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي

يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصْ عَلَى طَعَامِ

الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ

يُرَاءَوْنَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ الماعون: ١ - ٧

أيها السادة:

إن من ذاق معنى الصلوات الخمس ذاق معنى العبودية لله، ورأى أنها رحلات إلهية إلى الله

تعالى، يستمد فيها العبد العون والنصر والصبر، وتصغر أمامها مشاق الحياة وكدرها، ألم يقل

مولانا عز وجل: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ

يُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ البقرة: ٤٥ - ٤٦

ولهذا جعل الله فيها كافة أنواع العبودية وجعلها مظهراً لتعظيمه وعبادته.

حقاً - أيها الإخوة - إننا متعبدون بالصلاة وبالزكاة والصيام والحج.

فالزكاة هي المظهر الثاني لامتنال أوامر الرب ﷻ، شرعها لسد حاجة الفقير وإقامة للمصالح،

فقد استودع الله بين أيدينا المال وجعلنا خليفة عليه لنضعه حيث أمرنا، اسمع إلى مولانا يقرر لنا

هذه القضية الإيمانية فيقول: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور: ٣٣ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الحديد: ٧

وأما أولئك الذين لا يؤدون حق الله في مالهم فقد توعدهم القرآن بالعذاب الأليم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣٤

اسمعتم ولا ينفقونها في سبيل الله، وسبيل الله هي إحدى المصارف الزكوية التي فرضها الله في كتابه حيث عدَّ أصنافاً ثمانية: ﴿إِنَّمَا أَصْدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠

وأما المظهر الثالث للعبادة فهي الصوم إنها العبادة التي يمتنع فيها العبد القادر في شهر رمضان عن الأكل والشرب وشهوة الفرج من الفجر إلى غروب الشمس بقصد امتثال أمر الله تعالى.

وقد جمع القرآن آيات الصيام في سورة واحدة ويكفيها دليلاً على فرضية الصيام قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣

وهذا هو سبب فرضيته: التقوى أي غرس خلق المراقبة في نفوس المؤمنين للسيطرة على نوازع الشهوة والهوى ودوافع الغضب والانتقام، وبهذا تتحقق حكمة الله في التعبد بالصوم فتزكو نفسه ويصفو قلبه وتتهذب روحه.

إنها المدرسة القرآنية التي جردت العبد من حقوق الترف والزينة وتدريبه على مشاق العبادة نرى ذلك خاصة في عبادة الحج التي فرضها الله زمن خليله، واختار لها من شهور السنة شوال وذو القعدة وذو الحجة، ولأن القرآن دستور المسلمين في العبادات فقد ذكر مولانا الأحكام الرئيسة للمناسك في سورة البقرة وغيرها: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا

رَفَتْ وَلَا فُسُوكَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ الْتَقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ
رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ
حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا
ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْشَرُونَ

﴿٢٠٣﴾ البقرة: ١٩٧ - ٢٠٣

وذكر القرآن قضية الذبح والهدي في سورتي الحج والمائدة ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ
شَعْتِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا
الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ الحج: ٣٦

وهكذا معشر السادة ينفذ إلى بيت الله الحرام جميع طبقات المجتمع نراهم وقد نشرت عليهم
مكة أجنتها، وجمعتهم بكلمة التوحيد حول بيت الله، فيتعارفون ويتشاورون ويتعاونون، ثم
يعودون إلى بلادهم أمة واحدة متحدة القلب متحدة الشعور والإحساس. إنها المنافع التي ذكرها
مولانا بقوله ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ﴿الحج: ٢٨﴾

أندرون أيها الإخوة لقد عرفت البشرية خلال رحل كبير من الزمن أسلحة عديدة أعدت
للتخريب والتدمير وترويع الإنسانية فكان لابد أن يكون للمسلمين بإزاء هذه القوة الغاشمة
اجتماع عام شامل يحددون فيه موقفهم ويشهدون به منافعهم التي تقيهم وتقي العالم شر ذلك
الطيش الذي يقضي على الأمن والسلام، ألا فليعلم العالم أن الحج من أقوى وسائل السلم

المسلح، إن الحج ليس مجرد فعل المناسك حول بيت الله الحرام، وإنما هو وحدة الكلمة ووحدة الصف الإسلامي، إن الحج إلى بيت الله قوة الإسلام، انه رد على خصوم الإسلام الذين يدّعون تفرق كلمة المسلمين، إن الأمة كلها تسير من شرق وغرب من جميع الأقطار يهرعون إلى البيت العتيق بحكم الدين، لا بحكم المطاعم ولا بدعوة من الأشخاص، إنما الذي دعاهم هم الله والله وحده، هذا هو دين الله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩

إننا هنا في مدرسة القرآن من مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

هداية القرآن للأسرة { الترغيب } ١٠٢

وقفت معكم في الجمعة الماضية في رحاب القرآن الكريم الأصل الجامع لحقيقة الإسلام الذي أرشدنا إلى أن الإسلام عقيدة وشريعة، وكنت قد رفعت معكم شعار القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩

وقفنا مع الشريعة فوجدنا أنها قسمان: عبادات ومعاملات.

والمقصود بالمعاملات الأحكام الأسرية والإرثية وما يتعلق بالمبادلات المالية والعقوبات، وإذا كنت قد قدمت لكم الحديث عن العبادات فأقف اليوم بينكم مستمداً من عظمة القرآن في هدايته للأسرة، أفف بينكم لنتناول هذا الموضوع الهام الذي أصبح شائكاً ومعقداً نعم، لقد أصبح الزواج في أيامنا صعباً، فإذا عثر الإنسان على زوجة صالحة فقد لا يجد مسكناً يؤويه، وإذا وجد المسكن قد لا يجد قيمته أو فروغه المحرم شرعاً، وإذا وجد الفروغ قد لا يجد ما يشتري به الأثاث، فما هو الحل؟

ما هو الحل وقد طغت في مجتمعنا الماديات على المعنويات، طغت فيه المادة بكتافتها على الروح بلطافتها وهبطت الإنسانية من مدارج الأفلاك إلى مسابح الأسماك، فنزلت من مناط الثريا لتتمرغ في مضمار الثرى، فما هو الحل؟

الحل أن نعود إلى الإسلام لنرى كيف بنى القرآن الأسرة، ما هي هداية القرآن للأسرة؟ أيها الإخوة:

أجيب عن هذا السؤال بأذن الله تعالى مع الدرس الثاني بعد المئة من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿الرَّوم: ٢١﴾
﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿الفرقان: ٧٤﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا

فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾ ﴿النور: ٣٢﴾

وأنكحوا: زوجوا - الأيامي : جمع أيم وهي العازب ذكراً كان أو أنثى بكرة أو ثيباً.

عبادكم: المراد بهم المملوكين الذكور - إمائكم المملوكات الإناث.

يقول جدي ابن عباس في هذه الآية: رغبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه بالغنى.

وقال صدّيق الأمة: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.
واسمع معي إلى قول سيد الأنبياء والرسل الكرام يقول: ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله،

إخوة الإيمان: شرع الله النكاح لإصلاح الحياة باخراج الذرية الطيبة والنسل الصالح من التلاقي بين المرء وزوجه، وأمر الله المؤمنين بالإنكاح ورغبهم بالزواج قال جل شأنه:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَجَدَتْ﴾ النساء: ٣
فالزواج يجمع بين الأنساب المتباعدة والأرحام المتقاطعة فتتألف القلوب وتتوحد، والمرأة الصالحة تعين زوجها على الآخرة، وتساعد في شؤون الحياة، فإذا تم له ما أراد ومنّ الله عليه بالمرأة الذاكرة العابدة الصالحة فقد استكمل نصف الدين.
أيها الإخوة:

انتقل بكم الآن إلى الناطق الرسمي عن رب العالمين إلى صاحب الرسالة العصماء وقائد المسلمين الأعظم وسيد الإنسانية جمعاء سيدنا ومولانا محمد ﷺ لنسمع أوامره التي وجهها للأمة الإسلامية يقول: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتيق الله في الشطر الثاني»

هذه هي أوامر الدين، وأوامر الدين تأبى على الإنسان أن يمتنع عن الزواج بدون سبب، أو أن ينقّر غيره منه، لما في الامتناع عن الزواج والإحجام عنه من امتهان لتلك الأوامر ولما يجلب من المفاسد والخلافات بين الناس.

فاتقوا الله أيها الآباء في أبنائكم وبناتكم، وزوجوا من استحق الزواج ولا تعطلوا سنة الإسلام ولا تشترطوا شروطاً ليست من الدين في شيء فقد ورد في حديث البخاري عن أنس بن مالك قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي والله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي ولا أنام أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر أبداً، وقال الثالث: وأنا اعتزل النساء فلا

أتزوج أبداً. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ((.

هذه رسالة الإيمان لأمة سيدنا محمد ﷺ ليسمع الشباب ((من رغب عن سنتي فليس مني))، هذا الحديث نداء للشباب بالذات، لأن مرحلة الشباب أخطر المراحل في مشوار الحياة، ولهذا فقد أذاعت الإذاعة الرحمانية بياناً على لسان سيدنا محمد ﷺ قال فيها الحبيب الأعظم: استوصوا بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة، وإن الله ابتعثني بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ)) .

الشباب وما أصعب مراحل الشباب لاسيما في مجتمع كمجتمعنا أصبحت السنة فيه بدعة، والبدعة فيه سنة، مجتمع لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من المصحف إلا رسمه، همهم بطونهم وقبلتهم نساؤهم، إذا رأوك حسدوك وإذا تواريت عنهم اغتابوك.

ان تعطيل الشباب لأمر الزواج اليوم يؤدي إلى فجورهم وفسوقهم وحرمانهم من نعمة قيادة الأسرة ونعمة الولد، وسوف يجر هذا الحال إلى قلة النسل وانحلال الأمة، وسوف يتبع الناس شهواتهم فتهوي الأمة إلى مهالك الرذيلة.

ولا أنسى إن نسيت ذلك الموقف الذي كان بطله شاب من الشباب الذي دخل على القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ فقال: يا رسول الله أئذن لي بالزنا. وثارت ثائرة الصحب الكرام، ولكن طيبب القلوب قال: دعوه. أقبل يافتي، ماذا تريد، قال ائذن لي بالزنا، فماذا فعل طيبب القلوب.

هل قام بضرب الفتى على وجهه، هل أمر به فعلقه من رجليه، هل حبسه في زنزانة انفرادية كما يفعل الظلمة في فلسطين، ماذا فعل معه الحبيب المصطفى ؟ :

دوايت ممتداً وداووا طفرة	وأخص من بعض الدواء الداء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة	للحق لا ضغن ولا شحنة
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجهلاء

ماذا قال الحبيب للشاب المريض الذي غلبت عليه شقوته لما ثارت شهوته، والشهوة مارء إذا لم يجد من يروضه دمّر الأخضر واليابس، وتعلمون تماماً ما يجري في الصيف من العالم اليوم من أموال العرب.

سأله - أيها الشاب ماذا تريد؟

قال ائذن لي بالزنا، وهنا أيقظ رسول الله ضمير الشاب الذي غفا ونام على هدهدة الشهوات وضعف الوازع الديني فيه، قال له: أفترضاه لأملك؟! سؤال وقع على رأس الشاب كالصاعقة فاستقر في قلب الشاب فاستيقظ ضميره، وقال مباشرة: لا يارسول الله جعلني الله فداك، قال: فكذلك الناس لا يرضون لأمهاثم. قال أفترضاه لأختك؟ لعمتك؟ لخالتك؟ والشاب يقول: لا، لا، لا يارسول الله جعلني الله فداك.

وبعد هذه المقدمات جاءت النتيجة الحتمية: إذا كنت لا ترضاه لهؤلاء فكيف ترضاه لنفسك، وهنا تقدم الشاب من طبيب القلوب وطلب دواء من صيدلية سيدنا محمد e، قال له: يارسول الله سل الله أن يهديني.

معشر السادة أنتقل بكم الآن إلى صيدلية سيدنا محمد e مدّ رسول الله يده على صدر الشاب وقال: الله اغفر ذنبه وحصّن فرجه وطهر قلبه.

فهل نفع دواء رسول الله اسمعوا ماذا قال المريض بعد الجلسة الطبية الإيمانية قال: فخرجت من عند رسول الله وما شيء أبغض إلي من الزنا ولا أحد أحب إلي من رسول الله.

الدواء أن نعود إلى شرع الإسلام أن نعود إلى الدواء الذي وصفه لنا رسول الله عندما قال: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)).

إننا نرى اليوم بوادر هذا الفساد، وقد علمنا الداء وبأيدينا الدواء، لقد أعمانا السير وراء المدنية الحديثة وسلبت من أكثرنا العقول، فافيقوا من غفلتكم وارجعوا إلى أحكام شريعتكم وزوجوا البنين والبنات ولا تتكلفوا النفقات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وفتشوا عن الدين والخلق قبل أن تفتشوا عن المال والجمال.

إن طبيب القلوب يبين لنا حقيقة هامة: أن الدين والخلق جوهرا باقيا يصحبان المرء في مشوار الحياة، فكم من موسر غني شرس الأخلاق سيء المعاملة قد أشقى زوجته وجعل البيت في جحيم يلتهب وسعير يتقد، وكم من فقير تزوج وهو متدين وخلق قد أسعد زوجته وجعلها في سعادة أبدية، وكم من فقير تزوج وهو لا يملك إلا نفسه وزوجه وبعد فترة من الزمن أصبح من كبار الأغنياء، نحن أغنياء بالدين، أغنياء بالأخلاق، وصدق الله العظيم ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النور: ٣٢ (يا فيهم فهم) كم من غني تزوج بأبى الحلل والزينة ثم بعد قليل أصبح من أفقر البشر، والدنيا تقبل وتدبر ويا أخذ القرد على ماله.

لقد أثبت التاريخ أن المال ظل زائل، وعرض حائل، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً.

هذه صرخات الإيمان القرآنية، الدين، الدين، حتى المرأة تنكح فيفضل الدين على بقية الصفات اسمع إلى الأمر النبوي المقدس: تنكح المرأة على إحدى خصال وفي رواية لأربع: لجمالها ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يمينك». وصية أكيدة من حبيبك سيدنا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، اختر الدين، ولهذا نهى نهياً أكيداً في الاعتماد على مجرد الجمال أو الحسب أو المال، لأن صاحب الدين والخلق يقدر الرابطة الزوجية حق قدرها، ألا تسمع معي إلى سيدنا محمد ﷺ يقول: من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً (زوج الست) ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن نفسه ببارك الله له فيها وبارك لها فيه ((

اتبعوا وصايا رسول الله، اتبعوا وصايا القرآن فهي الصحيحة، هي الحقيقة، هي الأسلوب الأمثل للحياة، فكيف بنى الإسلام الأسرة أعلق هذا السؤال لأجيب عنه لاحقاً باذن الله تعالى. وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا هنا مدرسة القرآن من مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للأسرة - ٢ - مقدمات النكاح وأركانه وحقوق الزوجين - ١٠٣ -

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار. الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتبه من عبده فجعله من المقربين الأبرار.

أحمده سبحانه أبلغ الحمد على جميع نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ القاصد من فضله سؤله وأمله وتنبئه من بحر جوده ما قصده وأمله.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحببيه وخليله المؤيد بأنواع المعجزات الباهرة، الذي لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه، ولا تعدّ ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه.

أغمر عليه من النبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

خلق الله الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه، ثم منحه العقل والتفكير وفضله على كثير من خلقه، واستخلفه في أرضه وسخر له عوالم كونه، ثم هيا له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة وتدعوه إلى التعاون مع بني نوعه لعمارة الكون ببني الإنسان عن طريق الزواج.

وهذه القضية دعا إليها القرآن الكريم ويّين أنها السر في بقاء الإنسان في هذه الحياة عن طريق الأبناء والأحفاد وأنهم السبب في سكون القلب واطمئنان النفس وراحة الضمير.

وهذه القضية بالذات كنت قد علقتهام معكم تطبيقاً لشعار القرآن

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩

وتحت شعار هداية القرآن للأسرة أجب اليوم عن هذه القضية مع الحلقة الثالثة بعد المئة

الأولى من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية.

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً

وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ۚ﴾ النحل: ٧٢

أيها الإخوة:

نظر القرآن إلى الزواج هذه النظرة السامية في حياة الفرد والأسرة والأمة، فنوه بشأنه ورفع

عن أن يكون عقداً تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشهود، فجعله ميثاقاً يجب المحافظة

عليه والوفاء به بل جعله ميثاقاً غليظاً وعهداً قوياً، يتعذر حله فيربط القلوب ويحفظ المصالح

ويندمج به كل من الزوجين في صاحبه، فيتحد شعورهما وتلتقي رغباتهما، عقد لا يمكن تناسيه

ولا تقع الغفلة عنه حتى بعد انتهاء أجله، واسمعوا معي إلى هذه القضايا يصرح بها القرآن الكريم

على موجت سورة لساء ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ

إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ۚ﴾ وكيف

تَأْخُذُونَهُ ۚ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِثْلًا غَلِيظًا﴾

النساء: ٢٠ - ٢١

وتعالوا معي لتدبر قوله تعالى في شأن العلاقة الزوجية بين الزوجين: إنه قوله ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ البقرة: ١٨٧

أترون مثل هذه العلاقة كيف ربطها القرآن أسمى ترابط واندماج، ولهذا وضع القرآن أسساً للحياة الزوجية تقوم على الفضيلة والحق.

فما أن يبدأ العبد باختيار الزوجة على أساس الدين والخلق الحسن نرى الإسلام يوصي بخطوة ثانية هي خطوة الخطبة، خطوة الاختيار عن طريق الحس مشاهدةً واستماعاً: يرى وجهها ويديها ويستمتع حديثها.

وبهذا الاختبار يتعرف كل من الطرفين ما لصاحبه من المزايا الجسمية والصوتية والفكرية لتحصل بينهما الملاءمة والموافقة، والأحاديث التي تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته كثيرة، منها قول نبينا ﷺ للمغيرة بن شعبه وقد خطب امرأة: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما، وقوله ﷺ (ق- أحمد- د): «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر فيها اختلف».

وأما ما يفعله بعض الناس اليوم مع الخاطبين والمخطوبات وقد رفعت بينهما الحجب الشرعية في الخلوة والأسفار والمنتزهات فهو شر مستطير يعود بالآثار السيئة على المجتمع. وبعد هذه المرحلة أوجبت الشريعة تمام الرضا من الطرفين، وجعلته شرطاً في صحة العقد، وخاصة إذا كانت ثيباً، فأمرت الولي بأمرين:

الأمر الأول: أن يأخذ رأي المخطوبة في شريك حياتها.

الأمر الثاني: أن يأخذ رأي أمها التي هي أدرى الناس بأحوالها.

وبهذا جاء الإسلام حتى لا يرى أباً يستبد بسلطان الأبوة في تزويج بناته دون أن تعرف رضاها ولا رضا أمها، ولا نرى فتاة تخرج عن سلطان أبيها وأمها. اسمع إلى حبيبنا ﷺ يقول: أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فزواجها باطل. وقيل له: إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت فقال: سكوتهما إذنها. وعن ابن عمر أنه ﷺ قال: آمروا النساء في بناتهن. أيها السادة:

لم تقف الشريعة عند هذه الوسائل فقط بل طلبت شيئاً آخر هو ضمان لقوة الألفة وحسن العشرة واستمرار الحياة الزوجية، ألا وهو الكفاءة، أن يكون الزوج كفوًا للزوجة في الفضائل التي

يعتز بها الناس، أن يساوي الخاطب مخطوبته في أمور الدين والنسب والحرفة والحرية والخلو من العيوب (كالجنون والجذام والبرص والمال) فالعربي كفاء للعربية، والقرشي كفاء للقرشية، ومن لم يكن أصوله مسلمة فليس كفاءً لمن لها أصول مسلمة. بنت التاجر كفاء لابن التاجر، وبنت الصناعي كفاء لابن الصناعي، وبنت الموظف كفاء لابن الموظف، والحر كفاء للحر، والمعتق ليس كفاءً لمن لها أب حر وهكذا، والفاسق ليس كفاءً للمرأة الصالحة، وليس من ريب في أن انحطاط مكانة الزوج عن مكانة المرأة يجعلها دائماً تنظر إليه بعين الاحتقار وتأبى عليها نفسها أن تخضع لرأيه أو أن تنزل على مقتضى قوامته وسلطانه ثم تبدأ المحاكم فعلها في فصل الخصومات بين الزوجين لحل هذه الأزمة الاجتماعية، وقد ذكر لنا القرآن هذه الحالة تماماً حين قص علينا موقف السيدة زينب المرأة القرشية ابنة عمته ﷺ حين زوجها رسول الله من مولاه زيد بن حارثة ليهدم عادة من عادات الجاهلية - كما حدثكم به في ملف أمهات المؤمنين - فكانت السيدة زينب تتشوف على زوجها، وتفتخر عليه، وتذكره بأصله الوضع وبأنها المرأة الشريفة القرشية حتى وصل به الأمر أن رفع أمرها إلى القائد الأعلى للأمة الذي كان يصبره عليها، لكن زيداً طلق زوجته بعد أشهر لعدم الكفاءة الزوجية

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ (بالإسلام) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (بالتق) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا (وطلقها) زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ الأحزاب: ٣٧

والكفاءة حق للزوجة وأوليائها إن تمسكوا بها لزمت وإن أسقطوها سقطت، وإنما وجبت محافظة على الحياة الزوجية، والتفاوت بين الطبقات لا ينكره أحد، بل صرح القرآن الكريم بهذا التفاوت فعلى موجات سورة النحل ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ النحل:

٧١ وعلى موجات سورة الأنعام ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ الأنعام: ١٦٥

وعلى موجات سورة الزخرف ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ الزخرف: ٣٢
إخوة الإيمان:

إذا وصل الأمر إلى هذا الحد وانعقد الاتفاق على أن كلاً من الزوجين متفق مع الآخر في أحكام الخطبة، فرضت الشريعة على الزوج منحة تقديرية يقدمها للزوجة تحفظ عليها حياتها، ويقدم فيها الزوج تعبيراً عن تقديره ورغبته في إتمام الزواج بها، هذه المنحة تعرف باسم المهر، فجعل الإسلام «من بركة المرأة سرعة تزويجها ويسر مهرها» وجعل الإسلام «خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً».

ولم يحدد القرآن مقدار المهر بل قامت الأحاديث بتبيين مقداره مهما كان ففي الحديث: ((التمس ولو خاتماً من حديد.)) وفي رواية (أحمد - د): «لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً».

فالمهم أن المهر ما تراضى عليه الأهلون ففي الحديث (قط) «أنكحوا الأيامى وأدوا العلائق. قيل وما العلائق يارسول الله قال ما تراضى عليه الأهلون» [نيل الأوطار ١٤٢/٦].

ويرى الحنفية أن أقل المهر عشرة دراهم فضة، أما أكثره فلا حد له فللمتعاقدين أن يزيدها فيه حسب تراضيهما، ولهذا روي أن عمر أراد أن ينهى الناس عن التغالي في المهور ويحدد لها مقداراً معيناً لا يتعداه أحد، فقال في إحدى خطبه (تفسير القرطبي ٩٩/٥) «ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثني عشرة أوقية (٥٠٠ درهم) فقامت إليه امرأة فقالت :

ياعمر يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا

﴿النساء: ٢٠﴾ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر. وفي رواية فأطرق عمر ثم قال: كل الناس أفتقه منك يا عمر».

وفي الحق أن المغالاة في المهور وما يتبعها جعلت الراغبين في الزواج يحجمون عنه، فنتج عن ذلك أزمة الزواج التي حار الناس في حلها مع أن الحل في أيديهم، فلو وقفوا عن التغالي وعرفوا أن الزواج لم يشرع إلا لتكوين الأسرة في صورة موفقة جمالها البساطة والمودة وعمادها التعاون والمحبة، لو عرفوا ذلك وساروا عليه لآنحلت المشكلة وما وجدت شاكياً ولا باكياً، ولكن التقليد أعمى الناس عن الحقائق الواضحة وسار بهم في طرق ملتوية حتى عمت الشكوى وزادت البلوى.

معشر السادة:

إذا جرى العقد بين الزوجين ودخلا في نطاق الميثاق الغليظ فإن القرآن يقرر بينهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة وتنمو الرابطة وتطيب الحياة.

فلا نكاد نجد في تشريع ما أرضي أو سماوي مثل تلك القاعدة الجليلة التي جعلها القرآن أساساً للحياة الزوجية لفت بها القرآن الأنظار إلى ما بين الزوجين من الحقوق والواجبات، إنها

قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨

هل سمعتم كيف رفع القرآن من مكانة المرأة، بعد أن كانت متاعاً تورث لا قيمة لها ولا وزن، يأمرنا بأن لها من الحقوق مثل ما هو لنا، لقد منحت الشريعة الإسلامية للمرأة من أربعة عشر قرناً حقوقاً لم تستطع المدنية الأوروبية ولا الحضارة الغربية أن تمنحه للمرأة، وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة وما قبلها بمنزلة الأرقاء في كل شيء، بل وجد في كتبهم تعريفاً للمرأة أذكره لكم حتى تسمعه النساء وترفع رأسها عالياً بالمنزلة الرفيعة التي بوأها لها الإسلام، كانت المرأة تسمى عندهم: (بالحيوان اللبون) أليست أسوأ حالاً مما كانت عليه في الجاهلية عند العرب.

أما الإسلام فقد وزع الحقوق بين الزوجين، والذي يمثل الإسلام في كل الدهور هو القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد رسول الله ﷺ فقد قضى بين سيدتنا فاطمة وسيدنا علي أن تخدم ابنته البيت وترعاه، وأن يقوم زوجها بما كان خارجاً عن البيت، فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال وعلى سيدنا علي السعي والكسب، وعليه نقول: إن من يحمل زوجه ما لا طاقة لها به فليس

بمحسن عشرتها، ومن تحمل زوجها ما لا تحتاج إليه من مظاهر الزينة وفاخر الملبس فليست بمحسنة لعشرة زوجها، والناظم لكل ذلك القرآن فهو الهداية للأسرة فعلى موجات سورة

الطلاق: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا﴾ الطلاق: ٧

وقد جاءت الأحاديث شارحة لهذه الآية منها (د) ما رواه معاوية القشيري قال أتيت رسول

الله فقلت: ما تقول في نساءنا. قال: «أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكسون ولا

تضربوهن ولا تقبحوهن»، وفي حجة الوداع (م) قال ﷺ: ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن

بالمعروف» ولهذا فقد اجمعت الأمة على وجوب نفقة الزوجة على الزوج وفي الحديث (ق): أن

هنداً زوجة أبي سفيان قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفي

وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فلو لم تكن

النفقة للزوجة واجبة على زوجها لما أمرها أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بدون علمه لأنه لا

يجوز أخذ شيء من أموال الناس بدون حق. فما هو هذا الأمر الذي سَمَّاه الإسلام بالقوامة في

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا

أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء: ٣٤

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة ان شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى

هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للأسرة الأساليب العلاجية ١٠٤

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً، وجعلنا من أهله تعلمًا وتعليمًا، حمد من عمته رحمته وأفضاله وغمرته أعطيته ونواله.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستزيد بها وفور نفعه وأسترفد بها وفور كرمه.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقه وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوّقه.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

أقف اليوم بينكم لتحديد المعاني الإيمانية لقوامه الرجل في الأسرة، فقد جعل الإسلام لكل مجتمع رئيساً يرجع إليه عند الاختلاف في الرأي، ولكن يجب علينا أن نعرف أن هذه الرئاسة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر، وإنما هي درجة الرئاسة البيتية الناشئة عن عهد الزواج.

هذا القرار اتخذته القرآن بعد أن قرر المماثلة بين الزوجين في الحقوق والواجبات وقرر أن

أمرهم شورى بينهم واسمع معي إلى قوله تعالى على موجات سورة النساء قرر هذه الحقيقة ﴿

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء: ٣٤

وعلى موجات سورة البقرة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ﴾ البقرة: ٢٢٨

إنها درجة طبيعية في كل مجتمع درجة المسؤولية والتكليف فالمرأة ترجع في شؤونها وشؤون أبنائها إلى الرجل تطالبه بالانفاق، وتطالبه بما ليس من قدرتها وما ليس لها من سبيل إليه على أسس الإشارة القرآنية قوة البدن والعزم والعمل والانفاق {النِّسَاءُ} يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ {أما ذلك الزوج الذي يمنح نفسه السلطان المستقل والأمر النافذ القاهر تاركاً زوجه وراء ظهره متاعاً لا ينظر إليه إلا حيث يريد أن يقضي شهوته الحيوانية فهو زوج دخيل على الحياة الزوجية التي رسمها الإسلام، هو زوج لا يعرف معنى قوله تعالى ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقَ غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١) هو زوج لا يفهم معنى قوله تعالى ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) إخوة الإيمان:

إن الإسلام يفخر ويرفع رأسه عالياً بمثل هذا المستوى الذي رفع إليه الأسرة في حسن المعاشرة بين الزوج والزوجة، وبهذا جاءت وصايا رسول الله ﷺ مؤكدة وشارحة لما طلبه القرآن من حسن المعاشرة، فقال نبي الرحمة «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه».

وإن من وصاياه «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم». ومنها أيضاً «لا يفرك مؤمن مؤمنة (لا يبغضها) إن كره منها خلقاً رضي منها غيره». وكانت من الكلمات التي سجلتها الأمة والحبيب الأعظم على عتبة المقابلة لربه عز وجل «استوصوا بالنساء خيراً، وفي رواية: فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه (لسانها) فإن ذهبَ تقيمه كسرتَه وإن كسره طافُها». أيها الإخوة:

إننا مع الحلقة الرابعة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل حول هداية القرآن

للأسرة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمِنْ كَرِهَتْهُمَا بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَتَرْثُوهَا رِثَاةً بِمَا كَرِهْتُمُوهُنَّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوهَا مِنْهُنَّ شَيْئًا

وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩ أنهى القرآن عن التضييق وشد الخناق على
المرأة بالتزمت في معاملتها بدون سبب معقول، وأمر بالمعاشرة الطيبة التي يقرها العرف النابع من
الكرامة الإنسانية ثم بين أن الخير قد يكون فيما نكره من المرأة، والقرآن وضع حلولاً إصلاحية
وعلاجية لما قد يظهر من الزوجين من نشوز وتعلي، فإذا ما حاولت المرأة الخروج على الحقوق
الزوجية أو حاولت الترفع والنشوز والتعلي على زوجها فإن القرآن، وضع لردعها وإصلاحها
وردها إلى مكانتها الطبيعية والمنزلية طريقين واضحين ومألوفين في حياة التأديب والإصلاح
فكيف فعل ذلك؟

إن القرآن وكل إلى الرجل بحكم الإشراف والرياسة وصوناً للأسرة أن يطلع على مشاكلها
الأهل والأصحاب، وَكَلَّ إِلَيْهِ عَلاَجاً دَاخِلياً هُوَ النَّصْحُ وَالْإِرشَادُ عَنْ طَرِيقِ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ، ثم بالهجر إذا لم يثمر الوعظ، ثم بقليل من الإيذاء البدني إذا اشتد بها الصلف والغرور
وأُسْرِفت في الطغيان، واسمعوا إلى هذه القضايا الشرعية يصرح بها القرآن الكريم على موجات
سورة النساء فيقول: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

النساء: ٣٤

وأريد منكم - أيها الإخوة - أن تنتبهوا إلى هذه القضايا الثلاث: المرأة التي يكفيها الوعظ
بالقول لا يتخذ معها سواه، والتي يصلحها الهجر نقف بها عند حده، لكن هناك صنف من
النساء معروفات في بعض البيئات لا تنفع معهن موعظة ولا يكثرن بهجر، هذا الصنف أباح

القرآن للرجل نوعاً من التأديب المادي وجعله آخر الوسائل الاصلاحية التي يملكها الرجل وبذلك كان كالدواء الأخير الذي لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة.

هذه هي الطرق القرآنية في العلاج الداخلي وهي أنفع الطرق العلاجية لمشاكل المرأة، فليس من كرامة الرجل أن يهرع إلى أبيها أو إلى حاكم أو قاض لمحاكمة زوجته كلما انحرفت أو خالفت، وليس من الحكمة أن تترك الزوجة تسترسل في نشوزها فتهدم بيتها وتشرذم أطفالها؟ فماذا يقول القرآن فيما إذا كان النشوز من الزوج؟

إخوة الإيمان: القرآن أرشد الزوجة إذا خافت من زوجها نشوزاً أو فتوراً أو إعراضاً في العلاقة الزوجية أن تعمل على كسب قلبه بما تقدر عليه من وسائل الترضية المشروعة التي لا تمس خلقاً ولا ديناً، وأن تتنازل في سبيل ذلك عن بعض رغباتها وتتقي تفاقم الشر بينهما، وكم من كلمة طيبة أو اشرافة في وجه أو ابتسامة في مقابلة، يكون له الأثر الحسن في عودة النفوس إلى صفائها والقلوب إلى تلاقيها هذه القضايا الشرعية صرح بها القرآن على موجات سورة النساء ﴿وَإِنْ أَمْرَاهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨)

وعلى المرأة أن تتذكر ما ورد في الحديث: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل صبر أيوب على بلائه».

هذا إذا خيف النشوز فالعلاج أيضاً داخلي بين الزوج والزوجة، أما إذا اشتد الخلاف وتفاقم الأمر بين الزوجين، ولكي لا يشتط أحدهما في إيذاء صاحبه ولا يتغالى في إهائته وقهره، فإن واجباً على أهل الزوجين وأقاربهما الذين يسعدون بسعادتهما ويشقون بشقائهما وتلفح وجوههم نار الخلاف التي تشتعل بينهما، عليهم واجب كفائي أن يحاولوا إصلاح ما بين الزوجين وأن يخلصوا في هذا الإصلاح ويتحروا العدل ما استطاعوا لعل الله يصلح بينهما، وإليك هذا العلاج الذي رسمته الآية القرآنية على موجات سورة النساء:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا

إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ النساء: ٣٥

وانتبهوا إلى هذه الآية، فإنها لم تتعرض في مهمة التحكيم إلى التفريق بين الزوجين، وإنما هي مهمة إصلاح بينهما وإحلال الوفاق محل الشقاق.

علينا أن نفهم هذا: التحكم وسيلة إصلاحية لم تعهد إلا لاطفاء نار الحرب وانتزاع أسباب البغضاء من القلوب.

فإذا ما عجز الزوج عن اصلاح زوجه، وعجزت الزوجة عن إصلاح زوجها، وعجز الحكمان بعدهما عن إصلاحهما، وتباعدت شقة الخلاف بينهما وأبى الزوج أن يطلق سراح زوجه وأمسكها وهي كارهة للمقام معه دون إيذاء منه لها واضرار بها، فإن القرآن شرع للزوجة في هذه الحال أن تقدم لزوجها من مالها ما تفتدي به نفسها وهو المسمى في لسان الفقه بالخلع، هذه

القضية هي نفسها المذكورة على موجات سورة البقرة: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْنَدْتُمْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ البقرة: ٢٢٩ هذه الآية نقلها سيدنا رسول الله

ﷺ حينما جاءت إليه امرأة ثابت بن قيس (خ-ت) اسمعوا أول طلاق في الإسلام ماذا كان

سببه؟ كان سببه الاختلاط فقد أرادت امرأة ثابت بن قيس أن تتعرف على أصحاب زوجها، لا

أن تجالسهم بل أن تنظر إليهم من شق الباب، نظرت إليهم فرأت زوجها أقصرهم قامه، وأقبحهم

منظراً ودمامة فأسرعت إلى طبيب القلوب e ترفع شكواها إليه، أسرعت إلى سيدنا رسول الله

فقلت: يا رسول الله ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام [أي كفران

العشير، والتقصير في حقه بسبب شدة البغض له]. فقال لها النبي ﷺ: أتردين عليه حديثه؟

قالت: نعم. وهنا أمر رسول الله ثابت بن قيس أن يقبل الحديقة ويطلقها تطليقة (نيل الأوطار

٢٠٩/٦) لتسمع الدنيا، لترفع المرأة رأسها عالياً، إن الإسلام أنصف المرأة فجعل لها طريقاً

للخلاص من حياة زوجية لا تجدد فيها راحتها ولا استقرارها، فجعل لها أن تفتدي نفسها بمال

تدفعه لزوجها تعويضاً له عما دفعه إليها حتى لا يضار هو الآخر، لكن ينبغي على المرأة ألا

تفعل ذلك إلا عند سبب يقتضيه لأن سيدنا رسول الله قال (أصحاب السنن): «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» [نيل الأوطار ٦/١٨٧] فما هو هذا الطلاق؟ ما هي أحكامه من القرآن ضمن ملف هداية القرآن للأسرة؟ هل يقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة أم ثلاث طلقات؟ أعلق هذا لأسئلة لأجيب عنها في الحلقة القادمة. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

هداية القرآن في الطلاق

- ١٠٥ -

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أوضح فيه لأهل الأفكار طريق الاعتبار، بما قص عليهم من القصص والأخبار، وبَيَّن فيه المنهج القويم والصراط المستقيم، بما فصل فيه من الأحكام، وفرَّق فيه بين الحلال والحرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل القرآن فيه الضياء والنور، وفيه شفاء لما في الصدور، وبه النجاة من الغرور، من خالفه من الجبارة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله سيد الورى وشمس الهدى والسيد المرتضى المجتبي. اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

شرع مولانا عز وجل الزواج، وجعله عقد الحياة، وأحاطه بكل الضمانات ليستقر فيؤتي ثمراته الطيبة، وهو لا يكون كذلك إلا إذا تحقق التوافق بين الطرفين وسكن كل منهما إلى صاحبه وارتبط قلباهما برباط المودة، وشاعت بينهما الثقة وعرف كل منهما ما للآخر عليه من حقوق. وقد يطرأ على تلك الحياة الشقاق المنبعث من تنافر القلوب بعد توافقها، أو ينكشف لأحد الزوجين ما كان خفياً قبل الزواج أو يصاب أحدهما بمرض لا يستطاع معه المعاشرة مما يجعل الحياة جحيماً لا يطاق أو عذاباً لا يحتمل.

وهنا القرآن الذي جاء هداية للأسرة ففتح المجال لإنهاء الحياة الزوجية عندما تتعرض للخطر الذي يتعذر معه الاستمرار فيها، فشرع الطلاق ليحسم ذلك الداء بعد عجز طرق الإصلاح العديدة، ومع ذلك جعله أبغض الحلال إلى الله.

أيها الإخوة:

إننا اليوم حول حل الرابطة الزوجية مع الحلقة الخامسة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة

البقرة: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٠﴾﴾ البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠

أيها السادة:

الطلاق حق للزوج، لأن القرآن الذي هو هداية للأسرة أسنده إلى الرجل، وإليكم الآيات الدالة على ذلك.

فعلى موجات سورة الطلاق ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ

لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ﴿الطلاق: ١

وعلى موجات سورة البقرة ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا

لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٣٦

وعلى موجات سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ

طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ﴿الأحزاب: ٤٩

وقد جاء التصريح أكثر بالسنة المطهرة فقد قال ﷺ لسيدنا عبد الله بن سيدنا عمر: «يا عبد

الله بن عمر طلق زوجتك».

وفي الحديث أيضاً: «ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما، إنما الطلاق لمن أخذ بالساق» ٣٠٣/٦ نيل الأوطار.

فهذه النصوص صريحة كل الصراحة في أن الطلاق حق للزوج، وليس ذلك غبناً للمرأة بل هو حفاظ عليها وتقديس للرابطة الزوجية، وانظروا: القرآن لما أوجب على الزوج المهر وجعله مسؤولاً عن الأسرة جعل العصمة مقابل المهر للمرأة والعصمة للرجل، هذه واحدة. والثانية: أن الطلاق تشريع استثنائي لا يلجأ إليه إلا عند الحاجة فهو أمر نَفَر الشرع منه في أكثر من نص.

نرى ذلك في قوله ﷺ: «لا تطلق النساء إلا من رغبة إن الله لا يحب الذواقين والذواقات»

بل ورد في الحديث: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»

ومن هنا كان الأصل في الطلاق الحظر، وكل شخص يردد هذه الكلمة عند كل أمر له أحمق أو مجنون، هذه الكلمة لا يلجأ إليها إلا عند وجود سبب، مثلاً إذا كان الباعث عليه مجرد النفور الطبيعي بين الزوجين (فيكون الطلاق هنا مباحاً).

وقد يكون مستحباً إذا كان الدافع له سوء أخلاق الزوجة وإيقاعها الأذى بزوجها أو جيرانها، أو كانت تاركةً لحقوق الله من صلاة وصيام، لأنها بسلوكها هذا تكون قدوة سيئة لأولادها ومدمرة لبيت الزوجية.

وقد يكون الطلاق واجباً إذا كان الباعث عليه أمراً يقوض الحياة الزوجية كتهانها في عرضها وشرفها أو استحكام الشقاق بين الزوجين.

أو كان بأحد الزوجين عيب يحول بين السعادة الزوجية. وعلى هذا حمل قوله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» (عدم الرضا به).

وقد يكون الطلاق حراماً إذا وقع على غير الوجه المشروع، بأن طلقها في الحالة التي نهى الشارع المطهر عن الطلاق فيها كالحيض، قاصداً الإضرار بها وتطويل عدتها وإن كان هذا الطلاق يقع لكنه مع الحرمة والإثم.

ومن هنا قسم العلماء الطلاق إلى نوعين: طلاق السنة وطلاق البدعة، فطلاق البدعة هو الذي جاء على خلاف ما ورد في السنة المطهرة وهو حرام ومن يفعله يأثم بلا خلاف. أيها السادة:

اسمحوا لي أن أفصّل في هذه القضية قليلاً. إن القرآن الذي ملّك الرجل الطلاق (أقول الرجل يعني البالغ العاقل غير المكره (عند غير الحنفية)) القرآن رسم للرجل طريقة إيقاع الطلاق: أولاً: أن يوقع الطلاق مفرقاً مرة بعد مرة.

وهذا هو بالضبط معنى الآية ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾ البقرة: ٢٢٩

لا دفعة واحدة، ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ويروضها على الصبر والاحتمال، ولتجرب المرأة أيضاً نفسها، حتى إذا لم تفد التجارب وأوقع الطلقة الثالثة وضع أمامهما حاجزاً وهو أنه لا يباح لهما مراجعة الحياة الزوجية إلا بعد شرط هو المشار إليه في قوله تعالى ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ البقرة: ٢٣٠

لكن ما دام الرجل لم يصل إلى الطلقة الثالثة فإن القرآن يغريه بالرجوع إلى زوجه ويمكنه منها بكلمة المراجعة فقط، دون تحديد عقد مادامت في عدتها.

وهنا صرح به القرآن أيضاً ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (حيض - أو أطهار) وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ البقرة: ٢٢٨

والأمر الثاني: ورد في السنة المطهرة في حديث ابن عمر لما طلق امرأة له وهي حائض فذكر ذلك عمر لبنينا عليهما السلام فقال له: «مُرْهُ فَلِيرَاجِعْهَا ثُمَّ يَمْسُكُهَا حَتَّى تَطْهَرُ ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا قَبْلَ أَنْ يَمْسُهَا فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَطْلُقَ بِهَا النِّسَاءَ».

فهذا الحديث يدل على أن الطلاق في الحيض غير مشروع لغضب رسول الله ﷺ، ويرشد إلى أن الطلاق المشروع هو ما يكون في طهر لم يمسه فيها، لأنه يلحق الضرر بالمرأة حيث يطول عليها العدة، لأن الحيضة التي وقع فيها الطلاق لا تحسب منها، ولا يظن إنسان أن الطلاق لا

يقع مع الحرمة، بلى يقع لأن رسول الله أمر ابن عمر بمراجعة زوجته، والرجعة لا تكون إلا بعد وقوع الطلاق، ولهذا جاء في بعض الروايات أن عبد الله قال: «حسبت علي طلقة»

أيها الإخوة:

ومن الطلاق البدعي أي المخالف للسنة جمع الطلقات مرة واحدة، سواء كان بلفظ واحد أو بتكرار اللفظ ثلاث مرات، لأن رجلاً طلق امرأته على عهد سيدنا رسول الله ثلاثاً دفعة واحدة، فغضب رسول الله وخطب الناس فقال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» فجمع الطلقات معاً فيه مخالفة لما شرعه القرآن، من أنه يكون مرة بعد مرة، مع أنه يقع باتفاق المذاهب الأربعة.

لا يلعبن أهل السوء بأحد في مسائل الطلاق، فنحن متعبدون بالمذاهب الأربعة التي استقت أحكامها من الكتاب والسنة.

إن رجلاً ممن أضله الله على علم فسّر حديثاً رواه جدي سيدنا ابن عباس فسّره خطأً لأنه أخذه على ظاهره، اسمعوا نص الحديث: «كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله وأبي بكر وستين من خلافة عمر يقع طلقة واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في شيء كان لهم فيه أناة» فأفضاه عليهم.

وانظروا إلى الفهم الصحيح لهذا الحديث الموافق للقرآن والسنة، إن أصحاب المذاهب فهموه على أنهم كانوا يطلقون تطليقة واحدة أو أنهم كانوا يطلقون ثلاثاً للتوكيد، مثل أنت طالق أنت طالق أنت طالق، وكانوا يقولون إنهم أرادوا بالثانية والثالثة للتوكيد، فلما كان عهد الفاروق وفسد الناس لم يعد يصدقهم لقلة الدين فأفضاه عليهم.

ومما استدل به ممن أضله الله على علم حديث ركانة طلق زوجته ألبته، هذه هي الرواية الصحيحة ولكن رواية ضعيفة (والروايات الضعيفة لا يؤخذ فيها بالأحكام الشرعية) إنه طلقها ثلاثاً، ولم يذكر الراوي كلمة البتة، فرسول الله سألها ماذا أردت بالبتة (لأنها من كنايات الطلاق: فالطلاق ألفاظه الصريحة ثلاثة الطلاق والفراق والسراح، هذه الألفاظ الثلاثة لا تحتاج إلى نية.

وأما إن كان من كنايات الطلاق مثل: الحقي بأهلك، حبلك على غاربك - أنت بائن - ألبته وغير ذلك من الألفاظ التي لا يفهم منها الطلاق إلا بالنية. فرسول الله سأل ركانة: ماذا أردت بالبتة، فقال: ما أردت إلا واحدة، فصدّقه رسول الله وجعلها واحدة. وأما إن طلق الرجل زوجته ثلاثاً فلا حاجة لأن نسأله هل أردتها واحدة أم لا، كما يفعل علماء السوء الذين اتبعوا القول الشاذ لأحد الذين أضلهم الله على علم. نحن لا نأخذ الفقه إلا من الفقهاء، ولا نأخذ الفتاوى إلا من أهل التقوى والدين. فكيف هدى القرآن الأبناء للبر بالوالدين؟ ما هي هداية القرآن للأبناء؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة ان شاء الله تعالى. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

هداية القرآن في البر بالوالدين - ١٠٦ -

الحمد لله الذي جعل مكارم الأخلاق من أعمال الجنان، وجعل حسن الخلق أفضل شيء يوضع في الميزان. نحمده على نعمه كلها فإنه يجب أن يحمد بكل لسان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه واختار الله له خير الكلام القرآن، وأرسله بالإيمان وإلى الوالدين بإحسان وأنزلها في كتابه للملك الديان ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٦٠)

﴿الرحمن: ٦٠﴾

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

نحن اليوم بصدد الحديث عن قضاء أزلي وحكم نافذ، قضاءه وأنفذه رب العزة والجلال، شرع شرعه في كتابه الكريم وجعله في المنزلة التالية للإيمان به.

عهد أخذه على كل أمة، وبعث به كل رسول إلى قومه، وجعله ضمن الوصايا الرئيسة التي توصى به كل أمة من الأمم. إنها منزلة الوالدين هذه المنزلة التي لفت أنظار عباده إليها في كلامه القديم في سبع سور من كتابه المحكم.

إننا - أيها الإخوة - مع الحلقة السادسة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا مُحَمَّد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة

النساء: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ النساء: ٣٦

وعلى موجات سورة الإسراء يذكر القرآن الكريم الذي هو هداية للأسرة بعض حقوق

الأبوين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ (هذا هو الحق الأول) وَلَا نَهْرُهُمَا (هذا الحق الثاني)
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (والحق الثالث) ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

الحق الرابع) وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٤

وتجيء موجات سورة لقمان والعنكبوت فترفعان منزلة الاحسان بالوالدين إلى درجة ليس بعدها درجة ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ لقمان: ١٥

فلا يدعي إنسان مهما بلغ عقله أنه لن يستطيع بر والديه لأنهما كافران أو مشركان،
واسمحوا لي معشر السادة أن انتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، إلى صاحب الجبين الأنور
والروض الأزهر، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية، إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله
عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

وأرى الباب يطرق على الحبيب الأعظم، فإذا على الباب إحدى سيدات مكة المكرمة
وصاحبة الجاه فيها، إنها السيدة أسماء بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما، هاهي تستفتي
سيدنا رسول الله وتسأله عن أمر أهمها، إذ أنها جاءت أمها فإذا بها تحش في وجهها وتبسم،
وتضمها إلى صدرها كما هي طبيعة الأمومة والبنوة، لكن الابتسامة جمدت على شفتيها إذ
تذكرت أن أمها ما زالت على شركها وكفرها لم تسلم بعد، وهنا وكما يفعل المسلم المؤمن المحافظ
على دينه، أتت تسأل رسول الله قالت: يا رسول الله إن أُمِّي قدمت علي وهي مشركة أفأصلها
(أفأحسن إليها) فقال طيب القلوب: نعم صلي أمك. فالصلاة والسلام عليك يا نبي الرحمة،
يا كاشف الغمة، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين.

نعم إن الكفر بغيب والشرك بغيب ولكن هذا لا يمنعنا أن نحترم ونوقر ونحسن إلى سبب
وجودنا في هذه الحياة، فكم لاقى كل واحد منهما في سبيل تنشئتنا وتربيتنا وتغذيتنا فلما كبرنا
واشتد عودنا بدأنا بالخل عليهما وعصيانهما.

إن القرآن الكريم نبه على تلك المعاناة التي يلقاها الوالد في سبيل ولده فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ لقمان: ١٤ وعلى موجات سورة الأحقاف: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ، وَفَصَلَّهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥

أبعد تلك المعاناة نجد فضلها وتربيتها، إنني أذكر تلك اللحظة التي وقف فيها شاب من الصحابة أمام الحبيب الأعظم يشكوه، أتدرون مم يشكوه ؟ يشكوه من أبيه قال: يارسول الله إن أبي أنفذ مالي. فقال له القائد الأعلى للأمة: اذهب وائتني بأبيك. فذهب الشاب ونزل سيدنا جبريل على النبي ﷺ وقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ (أبو الشاب) فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه. فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ ما بال ولدك يشكو أنك تنفذ ماله؟ فقال الشيخ: سله يارسول الله هل أنفقه إلا على عماته أو خالاته ؟ فقال النبي الكريم: دعنا من هذا وأخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك، فقال الشيخ: والله يارسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا، لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي، فقال النبي قل وأنا أسمع. فقال قلت:

غدوتك مولوداً وعُلْتُكَ يافعا	تُعَلِّ بما أجني عليك وَتَنُهَلْ
إذا ليلة ضافَتْكَ بالسقم لم أبتْ	لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به فعيني تَهْمَلْ
تحاف الردى نفسي عليك وإنها	لتعلم أن الموت وقتٌ مؤجلٌ
فلما بلغت السنَّ والغاية التي	إليها مدى ما كنت منه أؤمل
جعلت جزائي غلظةً وفضاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل

وهنا أمسك النبي الكريم بتلابيب ابنه وقال له: اذهب أنت ومالك لأبيك.

هذا الحكم الشرعي أطلقه رسول الله من قلب الشرع المطهر عندما يكون الوالدان فقيرين. فيجب على الابن الغني النفقة عليهما، ولا يجوز إعطاؤهما من الزكاة لوجوب النفقة عليهما، ولهذا جعل الإسلام خدمة الوالدين أعظم من صلاة النافلة والصدقة والهجرة والجهاد في سبيل الله.

إخوة الإيمان:

مازلنا عند طبيب القلوب ﷺ هاهو رجل (خ ٣٠٠٤ - م ٢٥٤٩) يدخل على نبي الله ورسوله فيستأذنه في الجهاد في سبيل الله، فقال له السيد الأعظم: أحيي والدك قال: نعم. قال: فيهما فجاهد.

وفي رواية (د ٢٥٢٨ - ت ١٦٧١): جئت أبايعك على الهجرة وتركيت أباي يكيان فقال له: ارجع إليهما فأضحكما كما أبكيتهما.

ولهذا صدر القرار النبوي الشريف بإلهام من المولى اللطيف قراراً وجاهياً غير قابل للنقض لأنه محكم، وغير قابل للاستئناف لأنه مبهم (م ٢٥٥١) «رَغِمَ أنفه» (لصق بالرغام وهو التراب أي ذل وخاب وخسر) ثم رَغِمَ أنفه ثم رَغِمَ أنفه. قيل من يارسول الله؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة».

فمن أراد أن يدخل الجنة فليخدم والديه، فليبرِّ بوالديه: لهذا جاءت الأحاديث وتواترت بهذا المعنى، اسمعوا إلى المكافآت التشجيعية النبوية يقول ﷺ «الوالد أوسط أبواب الجنة» (ت - أحمد - ه).

وقد جاء رجل إلى رسول الله فقال يارسول الله: أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال هل لك أم؟ قال: نعم قال: فالزمها فإن الجنة تحت رجلها».

أيها الإخوة:

ما زالت هذه الأنباء أذيعها على حضراتكم من فم النبوة المطهر على موجات الأحاديث الصحيحة.

وأرى بعين الإيمان واليقين رجلاً يقدم على طبيب القلوب وقد ارتكب ذنباً عظيماً (أحمد ١٣/٢ - ت ١٩٠٤) وهو يسأله: كيف يتوب منه؟ فقال سيدنا رسول الله: هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرّها».

فدل هذا الحديث على أن بر الوالدين سبب عظيم لمغفرة الذنوب، بل إن بر الوالدين سبب في بر الأبناء ففي الحديث الشريف (طب حسن مجمع الزوائد ١٣٨/٨) «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تَعَفَّ نساؤكم».

معشر السادة :

فهنيئاً للبار بوالديه في هذا الخير العظيم الذي أجراه الله على يديه ونبشره بطول العمر مع حسن الخاتمة، وهذا أيضاً صرح به رسول الله ﷺ فقال (ت: حسن): «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»

وفي رواية (أحمد): «إن الله يزيد في عمر الرجل ببره والديه»

كما أبشر البار بوالديه برضا الله عز وجل عنه يقول ﷺ (ت ١٨٩٩ حسن) «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد»
أيها السادة:

إذا وصلنا إلى هذا الحد من مستوى رفعة بر الوالدين، فإني أضع لكم بعض الأسس التي بها نعرف حقوق الآباء على الأبناء عسى أن نتمسك بها لننال رضا ربنا عز وجل:

الأول: إن الإحسان إلى الوالدين يكون بمصاحبتهم بالمعروف المأمور به في قوله ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لقمان: ١٥

الثاني: إن احتاجا إلى الطعام أطعمهما أو إلى كسوة كساهما أو إلى خدمة خدمهما.
الثالث: إذا دعيه أجابهما، وإن أمره بطاعة أطاعهما، حتى لو كان يصلي نافلة فإنه يقطع الصلاة ويحببهما، وقد ورد في الحديث (ق): أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة في رأس جبل فكانت أمه تأتيه تحضر له الطعام، فأنته مرة وهو يصلي فنادت عليه: يا جريج - فقال: يارب أمي أم صلاتي فأقبل على صلاته. فانصرفت. ثم جاءت ففعلت مثل المرة الأولى ثانية وثالثة، وجريج لا يرد على أمه لأنه يكون في صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.
وتذاكر بنو إسرائيل عبادة جريج وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئت لأفتننه لكم. فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأنت راعياً يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو ابن جريج الراهب.

فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال ما شأنكم ؟ قالوا زנית بهذه البغي فولدت منك !. فقال أين الصبي فجأؤوا به، فقال: دعوني أصلي، فصلى فلما انصرف أتى

الصبي قطعته في بطنه وقال: يا غلام من أبوك ؟ قال فلان الراعي. فأقبلوا على جريح يقبلونه ويتمسحون به، وهنا قال سيدنا رسول الله ﷺ لو كان جريح فقيهاً لأجاب أمه».

لأن إجابته لأمه خير له من صلاة النافلة.

التوجيه الرابع: إن كلمهما يكلمهما باللين واللفظ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما.

الخامس: إذا مشى معهما فلا يتقدمهما بل يمشي خلفهما كالخادم تطبيقاً لقوله تعالى

﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤ والمقصود بخفض الجناح أن لا يرفع

بصره إليهما ولا يرد قولهما ولا يتكلم بحضرتهما إلا بإذنهما.

وليس من المروءة والأدب أن يكون السبب في سب والديه، ولهذا ورد في الحديث (خ):

«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله، قال: يسب

أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» وهذا من العقوق الذي هو من أكبر الكبائر.

ففي الحديث (ق - ت) «ألا أخبركم بأ أكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال:

الإشراك بالله وعقوق الوالدين» ومهما فعل العبد من عبادات فإن منزلته عند الله تكون أدنى

من منزلة البار بوالديه، فقد جاء رجل إلى سيدنا رسول الله فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله

إلا الله وأنت رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت رمضان، فقال النبي ﷺ (حب

- أحمد) «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء ما لم يعق والديه».

فهذا الحديث دليل على أن الفروض لا تغني مع العقوق، ولا بد من حسن الصلة بالله

وحسن المعاملة للوالدين ليتم إيمان المرء وعمله، كما أنه لا بد من الصلاة والزكاة في أركان الإسلام

، لا يتم الإيمان إلا بهما معاً، فلا ينفع عمل صالح من غير إيمان، كما لا ينفع عمل صالح مع

العقوق، ولذلك ورد في الحديث: «ثلاثة لا ينفع معهن عمل صالح: الشرك بالله وعقوق

الوالدين والفرار من الزحف».

التوجيه السادس: ألا يجعل العبد سبيلاً للدعاء عليه من والديه فإن دعاءهما لا يرد: فقد ورد

«ثلاث دعوات مستجابات لهن ولا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة

الوالدين على ولده»

هذه هي الوصايا العشر التي ينبغي علينا العمل بها وتنفيذها، وإلا فليستعد العاق بما أعد الله له من العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

اسمع إلى حبيبك ﷺ وأنت تصلي عليه يقول:

«كل الذنوب يؤخر الله تعالى منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه قبل الممات».

أيها السادة:

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان جدي سيدنا علي رضي الله عنه يقول:
«فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار»

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله